مؤتمر دولي

القوى العالمية الكبرى ومنطقة الشرق الأوسط

كتاب أعمال المؤتمر

تحرير

أ.د. أحمد أويصال | أ.د. فوزي بن دريدي

د.ماريز يونس | د. واثق السعدون | د. إسماعيل ساري

مكتبة أورسام

القوى العالمية الكبرى ومنطقة الشرق الأوسط

كتاب أعمال المؤتمر

مكتبة أورسام

القوى العالمية الكبرى ومنطقة الشرق الأوسط

كتاب أعمال المؤتمر

تحرير

أ.د. أحمد أويصال | أ.د. فوزي بن دريدي

د.ماريز يونس | د. واثق السعدون | د. إسماعيل ساري

هذا الكتاب يحتوي على أوراق المؤتمر الدولي "القوى العالمية الكبرى ومنطقة الشرق الأوسط"
الذي عقد في 12-13 تموز/يوليو 2021

تحرير

أ.د. أحمد أويصال
رئيس مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط في أنقرة ORSAM

أ.د. فوزي بن دريدي
المنسق العام للشبكة الدولية لدراسة المجتمعات العربية I.N.A.S.S.

د. واثق السعدون
مدير الدراسات العربية في أورسام

د. إسماعيل ساري
خبير دراسات الخليج في أورسام

د.ماريز يونس
المنسق العام للشبكة الدولية لدراسة المجتمعات العربية I.N.A.S.S.

رقم الكتاب المعياري الدولي
978-625-7219-76-1

تصميم وغرافيك
مصطفى جينكوز

تاريخ النشر والطباعة
كانون الثاني/ يناير 2022 – أنقرة

لناشر
جمعية دراسات الشرق الأوسط التركية-أورسام

Ortadoğu Araştırmaları Merkezi
مركز دراسات الشرق الأوسط
Center for Middle Eastern Studies

أنقرة 2022© جميع حقوق النشر تعود إلى مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط

العنوان: Mustafa Kemal Mah. 2128. Sok. No:3 Pk: 06510 Çankaya / Ankara
هاتف: +90 850 888 15 20 **البريد الألكتروني:** info@orsam.org.tr

وثيقة اعتماد رقم: 41963

الطباعة والغلاف
KD Karton Dijital للطباعة الرقيمة
حي زبيدة هانم/ كويونلو خان/ 36/95 أنقرة/ جنكايا

وثيقة اعتماد رقم: 44423

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعكس وجهة نظر مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط مالم ينص على خلاف ذلك. جميع المقالات في هذا الكتاب محمية بحقوق النشر بواسطة مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط ولا يمكن استخدامها أو إعادة نشرها بأي شكل من الأشكال من دون إذن مسبق، باستثناء الاقتباسات المعقولة الجزئية وذلك عن طريق إظهار المصدر وفقا لقانون الأعمال الفكرية والفنية رقم 5846.

المحتويات

البحوث التي قُدمت للمؤتمر باللغة العربية:

مقدمة 7

المحررون

القوى العالمية الصاعدة والتحول في هيكلية النظام الدولي 9

د. جمال بن مرار

القوى الكبرى ومستقبل الاستقرار في الشرق الأوسط 33

.أ.د. ناجي محمد الهتّاش

تنافس القوى الكبرى تجاه المنطقة العربية: العوامل، السياسات، النتائج 65

أ.د. خضر عباس عطوان

أ.م.د.عباس سعدون رفعت

أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية لدى الولايات المتحدة الأمريكية ما بين التراجع والاهتمام 83

د. خالد هاشم محمد

العلاقات المغربية الأمريكية وقضية الصحراء المغربية 99

د. محسن الندوي

الولايات المتحدة الأمريكية وقضية الصحراء المغربية في ظل مقترح الحكم الذاتي 117

د. محمد لكريني

مواقف القوى العالمية الكبرى من الحراك الشعبي في الجزائر 141

د. عمر روابحي

الاطماع الفرنسية في احتلال الجزائر خلال القرن 16م 157

د. الشيخ لكحل

أثر السِّياسات الأمريكيّة في منطقة الشّرق الأوسط: التّأثير الأمريكيّ على الأوضاع في السُّودان أنموذجا 169

د. عواطف سيد احمد حمزة

السياسات الأمريكية تجاه الاحتلال الإيراني للجزر الإماراتية الثلاث «أبو موسى، طنب الكبرى، طنب الصغرى" 193

رهام عمرو

أهم العوامل المؤثرة في ديناميكات/
محركات العلاقات الإيرانية الأمريكية, وآثارها على الفاعلين في المنطقة 211
محمد نذير سالم

العلاقات التركية-الصينية في عهد حزب العدالة والتنمية 2002-2020
دراسة في البعد السياسي والدبلوماسي 229
د.لقمان عمر محمود النعيمي

الصراع الأمريكي الإيراني في العراق:
دراسة في الابعاد الاستراتيجية والتصورات المستقبلية 253
أ.د عبدالخالق شامل محمد العيادة

الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية في ظل مجتمع مأزوم:
دراسة انثروبولوجية للمجتمع العراقي بعد 2003 279
د. حارث علي العبيدي

إشكالية العلاقات بين الصين والدول العربية الأفريقية: الفرص والتحديات 295
د. جواد الرباع

الصراع العراقي منذ العام 2006: **دراسة في ضوء منهج تحليل الصراعات متعدد الجوانب** 315
د. فراس كوركيس عزيز
لينا عماد محسن

الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط : قضايا مختارة 349
رشا سهيل محمد زيدان

الاستراتيجية الروسية تجاه الشرق الاوسط وابعادها الاستراتيجية والاقتصادية 373
أ.د.حارث قحطان عبدالله
حنين ابراهيم عبدالله

مكانة سوريا في الاستراتيجية الروسية للشرق الأوسط 385
د.عبدالله تركماني

الإستراتيجية الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط: الواقع, التحديات, رؤية مستقبلية 403
د. أحمد مشعان النجم

لغة المعالجة الإعلامية لأزمة شرق المتوسط: الموقع الإخباري "الجزيرة نت" إنموذجاً 423
د.علي بوكريطة
ياسين صدوقي

مقدمة

لم تمر فترة في التاريخ يصعب فيها تحليل وفهم استراتيجيات القوى العالمية (الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا وأوروبا) تجاه منطقة الشرق الأوسط، مثل الفترة الحالية. ففي حين أن المنطقة تمر حالياً بحالة شبيهة بالفوضى، فإننا نجد أن علاقات القوى العالمية هي الأخرى متقلبة، والتحالفات الدولية والإقليمية تنطوي على دينامية ومرونة عالية. لذلك من المؤكد أن في هذا النظام الدولي الجديد، سيكون التوازن الذي سيتم إنشاؤه في المنطقة مختلفاً عن توازنات حقبة القطبية الثنائية السابقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، ومختلفاً عن توازنات حقبة القطبية الأحادية التي ظهرت بعد انتهاء الحرب الباردة. كما إن تزايد تأثير القوى الإقليمية التي استثمرت الفجوات التي نشأت في نفوذ القوى العالمية الكبرى في المنطقة، وانتشار المنظمات الإرهابية والفاعلين من خارج الأطر الرسمية للدولة Non state actor، كلها عوامل مهمة أيضاً، تطرح أسئلة جديدة حول طبيعة العلاقات الدولية في منطقة الشرق الأوسط.

انطلاقاً من منظور تحليل سياسات واستراتيجيات (الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، الصين، أوروبا، القوى العالمية الصاعدة الجديدة) تجاه منطقة الشرق الأوسط، وعلاقاتها الثنائية مع دول المنطقة والتحالفات المتعددة، ومواقف القوى الكبرى تجاه أزمات وصراعات المنطقة. بادر مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط في أنقرة ORSAM، بالتعاون مع الشبكة الدولية لدراسة المجتمعات العربية INASS، وجامعة إسطنبول، والوكالة التركية للتعاون والتنمية الدولية TIKA، بتنظيم المؤتمر الأكاديمي الدولي الموسوم "القوى العالمية الكبرى ومنطقة الشرق الأوسط" خلال الأيام 12-14 تموز/ يوليو 2021. هدف هذا المؤتمر إلى فهم ديناميكيات الأحداث والصراعات الأخيرة، وقراءة طبيعة علاقات القوى العالمية الكبرى في المنطقة، فضلاً عن الحصول على بعض التوقعات حول مستقبل العلاقات بين القوى العالمية الكبرى ودول المنطقة.

عقدت جلسات هذا المؤتمر في رحاب جامعة اسطنبول التاريخية العريقة، وفي أجواء علمية أكاديمية اتسمت بالنشاط والهمة العالية، حيث تضمن برنامج المؤتمر الدولي الذي استمر على مدار يومين 9 جلسات علمية توزعت في قاعتين منفصلتين، فضلاً عن الجلسة العلمية الرئيسة التي عقدت في بداية اليوم الأول للمؤتمر في قاعة المؤتمر الرئيسة. جمعت جلسات المؤتمر العلمية بين المشاركات الحضورية في قاعات المؤتمر والمشاركات عن بعد Online. اشترك في تلك الجلسات أكثر من 60 باحثة وباحث من عدة بلدان عربية وأوروبية وآسيوية وأمريكية، فضلاً عن البلد المضيف لهذه الفعاليات تركيا. قدمت عروض البحوث المشاركة في المؤتمر العلمي الدولي باللغات التركية والعربية والإنكليزية، وكانت الترجمة متاحة من منظمي هذه الفعالية للمشاركين في هذه الجلسات ومتابعيها، حضورياً وعن بعد.

من بين كل الأوراق البحثية التي قدمت في المؤتمر، سيحتوي هذا الكتاب الذي في متناولكم على 30 ورقة بحثية متميزة من أعمال المؤتمر، أجازتها اللجنة العلمية للمؤتمر للنشر. 21 منها باللغة العربية، 5 باللغة التركية، 4 باللغة الانكليزية.

نأمل أن يكون هذا الجهد البحثي مفيداً وأن ينال رضا القراء الكرام.

المحررون

القوى العالمية الصاعدة والتحول في هيكلية النظام الدولي

د. جمال بن مرار*

الملخص

يتناول هذا المقال القوى العالمية الصاعدة والتحول في هيكلية النظام الدولي،من خلال إيجاد إطار يُعتدُّ به لفهم التعقيدات المتزايدة للقوى الفاعلة في الساحة العالمية؛ وهذا بدراسة مفهوم القوة الذي يعد من المفاهيم الأساسية في علم السياسة حيث تفرض القوة منطقها على منحنيات العلاقات الدولية وتتعدد أشكالها لطبيعتها المركبة؛ فيما يمكن اعتباره أدواراً ازدواجية وتفاعلات تبادلية، ولفهم أبعاد ومظاهر وطبيعة الفاعلين في معادلة القوة خاصة ببروز تجاذبات وصراعات بين مصالح الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الصاعدة في العالم في ظل التوجهات الإستراتيجية الجديدة لما بعد الحرب الباردة ومحاولة كل طرف الهيمنة على مناطق النفوذ والثروة انطلاقا من سياسة جيوبولتيك براغماتية.

تعتبر قوة الدولة من العوامل التي يعلق عليها أهمية خاصة في ميدان العلاقات الدولية، وذلك بالنظر إلى أن هذه القوة هي التي ترسم أبعاد الدور الذي تقوم به الدولة والمجتمع الدولي وتحدد إطار علاقاتها بالقوى الخارجية في البيئة الدولية وأن امتلاك عناصر القوة لا تكفي حتى تكون الدولة مؤثرة فلا بد من تبني سياسات فعّالة؛ وفرض هيمنتها على مستوى النظام العالمي الذي تؤثر فيه القوى الصاعدة على هيكل النظام العالمي ومنه توزيع القوى على الساحة العالمية وفهم طبيعة انعكاساتها وفي هذا السياق يؤكد " **فابريس أرجونيس**" في كتابه: "**نظرية القوة** " على أهمية دور عنصر القوة في فهم الخيارات الأساسية للعناصر الفاعلة في المجتمع الدولي مثل الصين والولايات المتحدة الأمريكية عل سبيل المثال كما يتطرق إلى أصول عنصر القوة ومكانتها في العلوم الاجتماعية كونها أصبحت تمثل تلوناً متنوعاً وأكثر تعقيداً ولغزاً أيضاً في بعض الأحيان ويعود ذلك برأيه إلى تعقد وصعوبة فهم ما وراء الدوافع المؤسسة للمواقف الدول تجاه قضايا معينة.

الكلمات المفتاحية: القوة؛ القوى الصاعدة؛ العلاقات الدولية؛ الفواعل؛ النظام العالمي.

* أستاذ محاضر(أ)، حاصل على دكتوراه علوم والتاهيل الجامعي من كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، الجزائر3، يعمل حاليا أستاذ دائم جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر، كلية الحقوق والعلوم السياسية. وعضو بمختبر الأمن القومي الجزائري: الرهانات والتحديات.

Argounès" in his book: "The Theory of Power" on the importance of the role of the power element in understanding the basic options of the actors. In the international community, such as China and the United States of America, for example, he also deals with the origins of the element of power and its position in the social sciences, as it has become a varied color, more complex and sometimes mystery, and this is due in his opinion to the complexity and difficulty of understanding what is behind the founding motives of states' positions towards issues.

Keywords: Power; Rising powers; International Relations; The Actors; World system.

Rising Global Powers and The Transformation in the Structure of the International System

Dr. Djamel Ben Merar*

Abstract

This article examines the Rising Global Powers and The Transformation in the Structure of the International System, by creating a reliable framework for understanding the increasing complexities of the forces at work in the global arena. This is by studying the concept of power, which is one of the basic concepts in political science, whereby force imposes its logic on the curves of international relations and has multiple forms due to its complex nature. In what can be considered dual roles and reciprocal interactions, and to understand the dimensions, manifestations and nature of the actors in the power equation, especially the emergence of tensions and conflicts between the interests of the United States of America and the emerging powers in the world in light of the new strategic directions after the Cold War and each party's attempt to dominate areas of influence and wealth based on the policy of geopolitics Pragmatic.

The power of the state is considered one of the factors on which it attaches a special importance in the field of international relations, given that this power is what delineates the dimensions of the role played by the state and the international community and defines the framework of its relations with external forces in the international environment, and that possessing the elements of power is not sufficient for the state to be influential Effective policies must be adopted; And impose its hegemony on the level of the global system in which the rising powers are affected by the structure of the global system, including the distribution of forces on the global arena and understanding the nature of their repercussions. In this context, "Fabrice

مقدمة:

إن بنية النظام العالمي تتأثر بشكل القوة التي تعد من المفاهيم الأساسية في علم السياسة والعلاقات الدولية، ويختلف تعريف القوة بين الباحثين نظراً للطبيعة المركبة للمفهوم، فإنّ جوهر المفهوم كما ذكره "كارل فريدريك" هو إنشاء علاقة تبعية بين طرفين يستطيع من خلاله الطرف الأول أن يجعل الطرف الثاني يفعل ما يريد، أي التصرف بطريقة تضيف إلى مصالح مالك القوة.وقد عرف "**أوستين ربيني**" القوة:على أنها علاقة التبعية و الطاعة من جانب و علاقة السلطة والسيطرة من الجانب الآخر،وذلك بالإقناع و المكافأة أو بالعنف والإكراه، فإذا فشل الإقناع نستخدم المكافأة وإذا لم ينجح ذلك غالبا ما نستخدم القوة العنيفة.

تعتبر قوة الدولة من العوامل التي يعلق عليها أهمية خاصة في ميدان العلاقات الدولية،وذلك بالنظر إلى أن هذه القوة هي التي ترسم أبعاد الدور الذي تقوم به الدولة والمجتمع الدولي وتحدد إطار علاقاتها بالقوى الخارجية في البيئة الدولية وأن امتلاك عناصر القوة لا تكفي حتى تكون الدولة مؤثرة فلا بد من تبني سياسات فعّالة لا تستخدم القوة.

وعند دراسة القوة في العلاقات الدولية فإننا نأخذ بعين الاعتبار دور القوة في النظام الدولي،ولكن هذا المفهوم تطور عبر مراحل، فقد كان مفهوم القوة يركز على القوة العسكرية ودورها في العلاقات بين الدول ثم انتقل ليشمل القوة الاقتصادية التي أصبحت هي المعيار الأساسي للعلاقات الدولية،وتحول العالم إلى الأحادية القطبية السياسية (متعدد الأقطاب اقتصاديا ببروز قوى صاعدة) وانتشار العولمة (بكل أبعادها وأشكالها) ظهر نوعاً آخر من القوة للتأثير في العلاقات الدولية و هي القوة الناعمة والتي تعني القدرة على تشكيل تفضيلات الآخرين فإذا فرضنا أن هناك علاقة بين طرفين فأن الطرف الأول يستطيع أن يؤثر في الطرف الثاني عن طريق توجيه سلوكه ويتم بالانجذاب إلى ثقافة وقيم الطرف الآخر وليس عن طريق التهديد و الإرغام ؛ وكان أوّل من صاغ هذا المصطلح "جوزيف ناي" في تسعينيات القرن الماضي،وتطور هذا المفهوم ليشمل القوة الذكية وهي تعتبر مزيج من استخدام كل من القوة الصلبة والقوة الناعمة معاً في العلاقات الدولية،ومن هذا المنطلق يمكن أن نوضح الأبعاد الثلاثية كما حددها "جوزيف ناي" في كتابه: "القوة الناعمة وسيلة النجاح في السياسة الدولية" فهي تشبه رقعة الشطرنج: أولا: الرقعة العليا وهي تشمل القضايا العسكرية التقليدية، ثانيا: الرقعة الوسطى وهي تتعلق بالقضايا الاقتصادية بين الدول، ثالثا:الرقعة السفلى وهي الخاصة الانتقالية مثل الإرهاب والجرائم الدولية وتغير المناخ وانتشار الأمراض.

وفي هذا السياق يؤكد " **فابريس أرجونيس**" في كتابه: "**نظرية القوة** " على أهمية دور عنصر القوة في فهم الخيارات الأساسية للعناصر الفاعلة في المجتمع الدولي مثل الصين والولايات المتحدة الأمريكية عل سبيل المثال كما يتطرق إلى أصول عنصر القوة ومكانتها في العلوم الاجتماعية كونها أصبحت تمثل تلوناً متنوعاً وأكثر تعقيداً و لغزاً أيضاً في بعض الأحيان ويعود ذلك برأيه إلى تعقد و صعوبة فهم ما وراء الدوافع المؤسسة لمواقف الدول تجاه قضايا معينة.

هناك ثلاث متغيرات تتمركز فيها القوة عالمياً ويمكن تحديدها في:

شمولية القوة العسكرية.

النزعة الانفرادية في استخدام القوة بعيد عن المؤسسات والتنظيمات الدولية.

العامل التقني و التكنولوجي المتطور.

أهمية نظرية القوة في العلاقات الدولية:

1 الدور البارز الذي لعبته النظرية في صياغة مفاهيم جديدة في العلاقات الدولية خاصة بتصنيف وأنواع القوة.

2 تزايد الاهتمام الدولي بموضوع القوة من حيث ازدياد قابلية الدولة على امتلاك أنواع جديدة من القوى واستخدامها.

3 أهمية القوة في تغيير شكل النظام الدولي و تحديد فاعلية الأقطاب به.

4 تغيير في شكل وعناصر قوة الدولة فبعدما كانت القوة العسكرية هي الأساس يضاف لها أنواع أخرى من القوى الاقتصادية والسياسية والتقنية والتكنولوجيا التي لها دور فاعلاً في تغيير مسار قوة الدول.

ومن هذا المنطلق وعلى ضوء ما تقدمنا به نطرح السؤال الرئيس للاشكالية:

إلى أي مدى أثرت القوى الصاعدة في تحول بنية النظام العالمي؟

ومن هنا يتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالقوى الصاعدة ؟
- ما هي مقومات وتأثير القوى الصاعدة؟
- ما هو مستقبل بنية النظام العالمي؟

للإجابة عن الإشكالية البحثية نطرح الفرضيات الآتية:

- كلما زاد عدد الفاعلين وتعدد الكتل كلما زاد من الاستقرار في بنية النظام العالمي؛
- كلما تزايد دور القوى الصاعدة على المستوى الاقليمي أدى إلى تحول في بنية النظام العالمي؛
- كلما قلّ عدد الفاعلين يقلّ احتمال الحرب ويزداد الاستقرار في النظام العالمي؛

أهمية الدراسة: يتلخص الهدف الأساسي الذي تصبو الدراسة لِتّصُّل إليه في محاولة فهم بنية النظام العالمي مابعد الحرب الباردة خاصة بظهور القوى الصاعدة،وعليه ضرورة إعادة النظر في بنية النظام العالمي وفق مقومات وطبيعة القوة وكيفية توزعها.

المحور الأول- القوى الصاعدة: المفهوم والمعالم

قد استحدث مصطلح القوى الصاعدة من طرف الهولنديAntoine Van Agtmael في التجمع المالي الدولي،وكان أوّل استعمال له سنة 1981 وكانت هذه الدول تقدم فرص مناسبة للمستثمرين،وهناك من يرى أنه مصطلح غامض ولايوجد له تعريف محدد وهذا التصور ظهر في ثمانينيات القرن العشرين مع التطور في أسواق البورصة في الدول النامية.[1]

ويمكن القول أنها تلك الدول الأقل تقدما أو التي لاتصل إلى مستوى الدول المتقدمة ومنه فإن القوى الصاعدة هي دول لها خصوصية معينة تظهر خاصة في الجال الاقتصادي والتي تتميز بمايلي:

تسجيل نمو سريع.

زيادة المستوى المعيشي للأفراد الذي يتجه إلى مستوى الدول المتقدمة.

الشركات الجديدة والبنية التحتية.

تحسن نوعية حياة المواطنين.

إن القوى الصاعدة توفر فرص استثمار وأرضية مناسبة بأقل مخاطرة، كونها أشد نموا وأكثر استقطابا لرأس المال الخارجي،وفي هذا الصدد يشير "**Carlos Quenan**" إلى أن الدول الصاعدة تمتاز بنمو بليغ في دخل الفرد والعمل، ونصيب مرتفع في الدخل العالمي.

ومن الملاحظ أن الدول الصاعدة اندمجت بشكل سريع في الاقتصاد العالمي على الصعيد التجاري من خلال نمو قطاع التصدير والصعيد المالي من خلال فتح الأسواق المالية أمام رأس المال الخارجي.

تتمركز أغلب القوى الصاعدة في القارة الآسيوية بالتحديد في الجانب الشرقي وتصنف كما يلي:

الجيل الأول: هي حديثة التصنيع منذ السبعينيات من القرن العشرين مثل: التنانين الأربع الآسيوية وهي كوريا الجنوبية وتايوان وستغافورة وهونغ كونغ.

الجيل الثاني: تشكل في الثمانينيات والتسعينيات وتمثل في صعود ماليزيا والصين والهند وكذا البرازيل والأرجنتين في قارة امريكا الجنوبية، بينما تراجع كل من اندونيسيا وتيلاندا والفلبين.[2]

[1] منير مباركية، القوى الصاعدة والعالم الذي نريد: رؤية في ضوء لأجندة التنمية مابعد2018, رؤى استراتيجية,الجزائر: قسم العلوم السياسية,جانفي2015,ص122.

[2] محمد خنوش،الفواعل الدول المؤثر في النظام الدولي، مجلة المفكر، عدد10, بسكرة: جامعة محمد خيضر, كلية الحقوق والعلوم السياسية, (د.ت.ن),ص188.

تتميز الدول الصاعدة بكثافة الاستثمار والتصدير من خلال انشاء مراكز توزيع لمنتجاتها عبر أنحاء العالم عن طريق الاستثمار في تلك الدول لتقريب منتجاتها من المستهلك.

أبرز الأسباب التي أدت إلى صعود هذه القوى مايلي:

تقسيم العمل: سر العصرنة الاقتصادية في الدول الصاعدة تعود بالأساس لاقتصاد التنمية المنبسط.

نمو الصادرات: من خلال تشجيع الصادرات لهذه الدول وتعزيز الغرض الوطني كبديل للاستيراد.

قيمة الاستثمار: مصدره قيمة الادخار التي ترتفع بارتفاع السكان لاسيما الاستثمارات المحققة من طرف البنوك الأجنبية.[3]

الدول الصاعدة موجودة في أربع فئات للدخل في البنك العالمي:

ضعيف: الهند والفيتنام.

وسيط تحتي: البرازيل والصين.

وسيط فوقي: المكسيك،روسيا وجنوب افريقيا.

المعايير المحددة للصعود:

النمو في الدخل الاجمالي المحلي.

رسملة المستفيد.

الدخل الداخلي الصافي للسكان.

الشروط المحيطة بالاقتصاد الكلي.

حجم السوق والمنشآت.

درجة السيولة الاقتصادية.

مستوى الفساد.

الانفتاح الاقتصادي.

التنوع ونمو الصادرات.[4]

[3] Mark Kobayashi, Building a Future with BRICs: The Next Decade for Offshoring, London: Spring, 2008, P149.

[4] Philippe Dorion, L'Afrique du Sud : le « S » dans les BRICs, Université d'Ottawa, Ecole Supérieur d'affaires Publique et International, 19 Novembre2014, P 09.

وبشكل عام يمكن القول أن الدول الصاعدة هي في مستوى دخل متوسط للأفراد قيمة النمو الناتج المحلي الاجمالي أكثر إرتفاعا بالنسبة للاقتصاديات الأكثر تقدما، وتتحمل تغير مؤسساتي أكبر.

القوة كدافع للقوى الصاعدة:

إن إنتهاج سياسة معينة أو سلوك ما على الساحة الدولية كدافع أو رد فعل على سلوك أو سياسة أخرى،كما أن هذه الدول تدعمها وتساعدها مجموعة من المقومات للوصول لأهدافها.

وفقا لنظرية توازن القوى إنه من الحتمي أن سيطرة وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية لأنها القطب الوحيد في العالم يدفع دولاً أخرى لأن تصعد للبروز من أجل إقامة التوازن، حيث يرى "كينث والتز" أن القوة المسيطرة تدفع دولا أخرى لأن توازن معها،وهكذا فإن الاتحاد الأوروبي والصين وقوى أخرى سوف تسعى للصعود وإحداث توازن في السياسات العالمية.

تُعد المدرسة الواقعية من أهم النظريات في دراسة العلاقات الدولية،وأهم ماجاءت به تلك النظرية تأكيدها على القوة والمصلحة باعتبارها المحرك الأول لسلوكيات الدول إزاء بعضها البعض، والقوة تقاس بحجم الموارد المادية المتاحة لكل دولة وبمقدار النفوذ السياسي الذي يؤهله هذا الحجم لها؛ كلما زادت قوة الدولة وثراؤها طمحت في أن يكون لها تأثير إقليمي ودولي أكبر.

يرى "**هانس مورغنتو**" أن للقوة ثلاث مهام رئيسية في العلاقات الدولية:

القوة كعلة مسببة (**Power as a Cause**): أي تكون القوة بمثابة السبب المباشر لأي فعل سياسي (**Political Action**)، بمجرد امتلاك دولة ما لمقومات القوة، يعد سببا مباشرا لدفع وبسط هيمنتها وسيطرتها على الآخرين.

القوة كمخرج/ هدف (**Power as an Outcome/Goal**): بأنها صراع من أجل القوة،فمهما اختلفت طبيعة السياسات المنتهجة من طرف الدول فإنها تصب كلها في قالب القوة.

القوة كأداة/ وسيلة (**Power as a Tool/Means**): تنحصر في كونها أداة لبلوغ الغايات المرجوة.[5]

قد أدرك الواقعيون والليبراليون بأن المكانة المهيمنة للولايات المتحدة الأمريكية أصبحت موضع تساؤل،لأن التطور الحاصل في العالم ينقصه الاستقرار الاجتماعي والتنظيم مع التركيز على مطالب الدول النامية بمجموعة جديدة من المبادئ والأعراف لتعزيز الأنظمة المرتبطة بالاقتصاد العالمي،حيث كانت النظرة إلى الأنظمة الموجودة هي أنها تعمل ضد مصالح دول النامية،فتعرضها لمنافسة غير عادلة من طرف القوى الاقتصادية،وعليه فمطالب الدول النامية لن

[5] عبدالناصر جندلي، التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظرية التكوينية، الجزائر:الخلدزنية،2007،ص146 .

تبدأ في العمل إلا إذا تغير ميزان القوى في توزيع القوة على الساحة العالمية،وهو مايعني أن ساحة العلاقات الدولية هي شكل من أشكال سياسيات القوة يصعب قياس القوة،كما أن توزيعها بين الدول يتغير

مع الزمن ولايوجد إجماع بين الدول حول كيفية توزيعها، ومع ذلك تظل العلاقات الدولية جزءا من عالم الضرورة وعلى الدول أن تسعى وراء القوة حتى تتمكن من البقاء في بيئة تنافسية والاستمرارية مع الزمن.

فإن التجارب السابقة توضح بشكل جلي أن المشاركة في الاقتصاد العالمي صارت هي العامل المسيطر في أداء الاقتصاد المحلي للدول المتقدمة؛ كانت علاقات الدول بالاقتصاد العالمي دائما محل إشكال لأن النظام الدولي فوضوي تصعب إدارته حتى مع وجود انظمة فعّالة، ومن هنا فإذا كان الاقتصاد الدولي هما لثروة الدول فإنه يصبح موضوع سياسي محلي مهم، ويظهر التداخل جليا في محاولات فهم العلاقة بين القوة الصاعدة في النظام الدولي، مثلا: الهند ترى الصين كتهديد لكن في نفس الوقت شريك ونموذج تسعى الهند لمحاكاته خاصة مايتعلق بالجانب الاقتصادي.

مقومات القوى الصاعدة:

تمتاز الدول الصاعدة بمجموعة من المقومات التي حققت لها مكانة بالغة الأهمية ومركز في السلم الدولي، من أبرزها المقومات الاقتصادية كونها القاعدة والأساس، ومن أهم المقومات التي ساهمت في بناء هذه الدول مايلي:

1. **المقومات العسكرية**: ترتبط القوة بالجانب العسكري،وهو ما أدركته الصين بتطوير القدرات العسكرية لجعلها ذات تقنية عالية لمواجهة تحديات القوى التقليدية خاصة الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة آسيا والمحيط الهندي، وبينما كانت دول منظمة الحلف الأطلسي تقلص نفقاتها العسكرية بسبب الأزمة المالية لعام2008م, حيث كانت نسبة انخفاض النفقات العسكرية من 11% عام 2006م لتصل 25% لعام 2011م وخفض تعداد قواتها المسلحة من 2.51 مليون عسكري عام2000م إلى 1.86 مليون في عام 2012م وبذلك تراجع دور دول حلف الناتو بالحفاظ على ضمانها للأمن العالمي.[6]

وأما روسيا الفيدرالية فقد استعادت مكانتها الاقليمية والعالمية من خلال التوجه للقرن الافريقي والمحيط الهادي عام 2015م مما يؤشر لاستعداد روسيا لمواجهة تحديات دول حلف الناتو خاصة الأمريكية والبريطانية في الشرق الأوسط وفي آسيا وفي حوض البحر الأبيض المتوسط.

حيث بدأ التحرك السريع واللافت في إعادة توزيع القوى الجيو-عسكرية للدول الكبرى: الصين، روسيا وأمريكا؛ مما ينبىء بمؤشر العد التنازلي للحرب الاستباقية متعددة الأطراف في العديد من مناطق العالم.

[6] ماهر بن إبراهيم القصير، تكتل دول البريكس نشأته-إقتصادية-أهدافه، القاهرة: الفكر العربي، 2014, ص278.

2 **المقومات السياسية والدبلوماسية**: فقد تميزت دبلوماسية الدول الصاعدة بكثرة نشاطها سواء من جانب عقد الاتفاقيات الثنائية أو متعددة الأطراف من خلال الفاعلية في إطارها وامتلاك الارادة السياسية لمتابعة المصالح حيث تعتبر العلاقات الوثيقة المتضامنة بين الحكومة والأعمال من أبرز مقومات الدول الصاعدة وعلى سبيل المثال فإن الصين تمارس بشكل وغير مسبوق دولياً، دبلوماسية الاموال السائلة (**Diplomacy Cash**) مما أدى إلى أن تمتد مصالحها الحيوية إلى مختلف أنحاء العالم.[7]

3 **المقومات الاقتصادية**: اعتمدت الحكومات الوطنية للاقتصاديات الصاعدة عدة استراتيجيات اقتصادية منها: الأولى وهي الاستراتيجية الاقتصادية المعتمدة على التصنيع من خلال تجميع الصناعات المحلية والشركات التابعة للشركات المتعددة الجنسيات بإرساء قواعدها والشروع بالتصنيع للاستهلاك المحلي، وتم وضع سياسات حمائية المتمثلة بالتعريفات الجمركية والحصص لحماية هذه الصناعات؛ أما الثانية وهي الاستراتيجية الاقتصادية الموجه نحو التصدير باستهداف مجموعة من الصناعات التي تتوفر فيها القدرة على المنافسة في الأسواق العالمية، وتم منح تلك الصناعات الدعم والمعاملة المتميزة.

4 **المقومات الاجتماعية**: يعتبر النمو السكاني مقوم هام ومساهم في نمو اقتصاديات الدول الصاعدة من خلال وفرة اليد العاملة مايوازي استقطاب لاستثمارات الرأس المال الخارجي، ورفع في معدل الادخار.

5 **المقومات الثقافية**: إن أهمية العامل الثقافي في السياسة العالمية برز بصعود دول لاتنتمي إلى الحضارة الغربية بل هي تشكل مزيجا متميزا من حضارات مختلفة منها: الهندوسية في الهند والبوذية في الصين وغيرها من حضارات في جنوب افريقيا والبرازيل، طبيعة هذه الثقافات المتنوعة كجزء من ثقافات العالم المتنوعة عكس الرؤية التي تريد التسويق إلى نموذج واحد "نهاية التاريخ" وكذا مقولة "صدام الحضارات" صامويل هنتغتون في محاولة منه لبناء تطوير شامل يشرح الملامح الرئيسية لنظام السياسية الدولية، يتميز بتركيزه على الحضارات بوصفها وحدة التحليل الأساسية.[8]

مجالات تأثير القوى الصاعدة:

لم يعد انتقال القوى مرهون بالانتصار في ميدان المعارك بل أصبح النمو الاقتصادي المتسارع هو مفتاح انتقال مراكز القوى في العالم المعاصر، ويتسم الانتقال بطبيعة بنيوية مفاجئة وسيؤثر بشكل جذري على العلاقات الدولية والأمن والسلم الدوليين.

[7] مارتن غريفيش وتيري أوكلاهان، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، الامارات: مركز الخليج للأبحاث 2008, ص104.

[8] مصطفى بوخوش، مضامين ومدلولات التحولات الدولية بعد الحرب الباردة، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، عدد3, أكتوبر 2002, ص279.

يعتبر الاقتصاد هو المحرك الرئيسي للسياسة العالمية والدول ترسم سياساتها الخارجية استنادا لوقائع ومعطيات اقتصادية،لقد ارتفع مركز الدول الصاعدة في سلم القوى الدولي، وأصبحت اكثر تأثيرا ونفوذا، ولاسيما بعد استمرار انجازاتها التنموية،وترابطها ومأسسة علاقاتها، وإسهامها في الحفاظ على النمو واستقرار الاقتصاد العالمي بعد الأزمات التي عرفتها.

إنّ بروز القوى الصاعد في السياسات العالمية كفاعل جديد بالسياسات التنموية العالمية وأجنتدها وله مساهمته ومقاربته في مجال التعاون والتكامل التنموي، واقع تدركه كل الأطراف وتهتم بتحليله ومتابعته،وهو إشارة إلى المتغيرات الجديدة التي تحصل على المستوى العالمي منها متغير التكنولوجيا الجديدة والقوى الصاعدة الاقتصادية.

تعتبر القوى الصاعدة نقطة تحول في موازين القوة والمسؤوليات ومراكز صنع القرار واتخاذ القرار على الصعيد الدولي يكون له أثر أن تتحول تلك القوى من مجرد منفذ او مشارك أو معارض إلى صنع السياسات العالمية.

وفي هذا السياق أكد وزير الخارجية الروسي "**سيرغي لافروووف**" في مؤتمر علمي بأثينا في 2013/10/30 على وجود نمط جديد سوف يبرز في العلاقات الدولية، بقوله:« اليوم عندما تتبلور الهيكلة الدولية الجديدة المتعددة الأقطاب، التي تتميز بتعدد مراكز النمو ونماذج التنمية، يتعين علينا أن نوحد جهودنا ونعزز الشراكة من اجل تنفيذ المهمات المشتركة بين الجميع وايجاد حلول للتحديات العالمية، ولايجوز أن تسمح بترسيخ الخطوط الفاصلة الجديدة في القارة الأوروبية في مجالات الأمن وحرية التنقل والتكامل الاقتصادي على حد سواء، أو في أي مجال آخر".[9]

أما "**سيمون سيرفاتي**" أستاذ العلاقات الدولية ومدير مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية في واشنطن في مقاله: "**الحركة نحو عالم مابعد الغرب**"، من خلال نظرة شاملة على اللاعبيين الرئيسيين في عالم مابعد الغرب والعلاقة بينهم، يؤكد أن عصر الأحادية القطبية قد ولى إلى غير رجعة، كما يستبعد أن يعود العالم إلى حالة من الثنائية القطبية، فرغم تراجع القوة الأمريكية، فإنه ليست هناك أيّ قوة دولية أخرى في نظر "سيرفاتي" قادرة على فرض الهيمنة عليها، أو حتى الوصول إلى موقع الندية معها.

أو أن العالم يتجه نحو اللاقطبية في العالم بظهور أنماط مختلفة من الرأسمالية: صينية، هندية،روسية وبرازيلية التي مافتئت تحقق نجاحا ملحوظا،وتحول ديناميكيتها الاقتصادية بشكل سريع إلى قوة ونفوذ على الصعيد السياسي.

وهذا مايسميه " **هنري كسينجر**" بتحولات القوة، حيث يرى أن النظام العالمي الذي كان سائدا في السبعينيات من القرن الماضي، فقد كان هناك خط استراتيجي يفصل بين القوى الدولية، يمر في وسط القارة الاوروبية؛ أما في العالم المعاصر، فمن الصعب حصر الخطوط الاستراتيجية

[9] المصدر نفسه، ص285.

الفاصلة، أو تحديد عامل مشترك أدنى يجمع بينها وقد ظهرت تفاوتات جوهرية في المعايير والقوة على المستوى الاستراتيجي، الدور الأمريكي على هذا المستوى في تراجع لعدة أسباب اقتصادية وسياسية، حيث من الصعب مستقبلا ضرورة التدخل العسكري الخارجي إلا تحت ظروف معينة، كما أن أوروبا قلصت بشكل عام من استخدام القوة العسكرية لتحقيق أهداف استراتيجية واتجهت اهتماماتها إلى عمليات حفظ السلام وغيرها، وقد تركت الحروب الأخيرة التي خاضها الحلف الأطلسي انقسامات داخل المجتمعات الغربية، مما يقلل من احتمالات استخدام هذه الدول لقوتها العسكرية في مواجهة مشاكل أو نزاعات في مختلف أنحاء العالم.[10]

فيما تتوسع قوة الصين المالية ستتزايد قدرتها على منح القروض والمساعدات بدرجة كبيرة، وهو ما يفوق قروض البنك الدولي، مما أدى إلى تراجع الإقراض المالي لصندوق النقد الدولي.

فقد بدأت منظمة التجارة العالمية تفقد أهميتها مع نمو الاتفاقيات التجارية الثنائية التي تعقدها الصين والهند منذ عام2000م،وقد تخطت عملية تحرير التجارة في شرق آسيا منظمة التجارة العالمية.

يرى "**مايكل هدسون**" أن هناك تحول جوهري في ميزان القوى العالمي لمصلحة آسيا وتراجع نمط الهيمنة العالمي الراهن للولايات المتحدة الأمريكية، وسبب ذلك لايعود للصعود الآسيوي، وإنما لتراجع في قوة الولايات المتحدة الأمريكية،وبذلك لن يكون هناك انهيار سريع وفوري بل تآكل تدريجي مع الوقت، حتى مع افتراض عدم وجود صيني أو هندي أو قوى آسيوية أخرى في الأفق،فإن ذلك لن يغير في حقيقة التراجع في نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية.

والملاحظ أن القوى تتجه نحو منحنى التنافس أكثر من التوجه نحو التواؤم بين بعضها البعض، وبالنسبة للدول الأكثر قربا من الصين، وهي: الهند واندونسيا وغيرها، هناك أولوية قصوى تـوليـهـا هـذه الـدول لـلـحـفـاظ عـلـى تـوازن مستـقـر مـع الصيـن، والـمـلاحـظ أن الـهـنـد، استراليا،اندونسيا، اليابان وكوريا الجنوبية، كل هذه الدول وبالرغم من حجم تجارتها مع الصين، إلاّ انها تظهر مواءمة بين بعضها البعض وبين الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من المواءمة بينها وبين الصين في المستقبل.[11]

بعد سيطرة وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم أكثر من نصف قرن من خلال التحكم ووضع القواعد والقوانين الناظمة لعمل المؤسسات الدولية، فإن عددا من القوى الصاعدة تقوم بفرض رؤيتها وسياستها في ظل تراجع القوة الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي يجعلها تتقبل مشاركة القوى الصاعدة لها في السياسات العالمية.

[10] جون بيليس، ستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، الامارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث، 2004, ص511.

[11] مايكل هدسون، الصعود الآسيوي والتراجع الأمريكي في الشرق الأوسط ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013, ص96.

محددات القوى الصاعدة:

إن هناك مجموعة من المحددات التي تساهم في تحول الدول الصاعدة إلى قطب قوة أو قوة كبرى ويكون لها دور محوري في العلاقات الدولية بالتركيز على العوامل المحورية للقوة وكيفية استخدامها وأهم مؤشراتها في حقبة مابعد الصناعية التي تشهد تغيرا محوريا في أشكال القوة خاصة مع تصاعد الجانب التكنولوجي وهو مايعرف بتكنولوجيا المعلومات وهذا مايجعل المحاور التي طرحها "**كينث والتز**" لقياس القوة غير كافية لكن لايغير مكانة القطاع العسكري كمحور أساسي للقوة، ناهيك عن دور العامل البشري والاقتصادي والمالي وكيف يحددان قوة الدولة.

المحور الثاني- التحول في بنية النظام العالمي

إنّ فهم بنية النظام الدولي ودوافع التحول والتغير فيها لايمكن دون النظر بعين الاعتبار للسياق التاريخي الذي ساهم في ذلك، يرى "**باري بوزان**" في كتابه التحولات العالمية **Global Transformation** أن العالم الذي تعيش فيه اليوم أو سيكون عليه في المستقبل هو ناتج ورافد أساسي للتحولات الكبرى التي وقعت في القرن التاسع عشر على موازين القوى في العالم، التحولات ساهمت في ظهور الفجوة التي لم تؤشر فقط لتوزيع "**Distribution**" قوة جديدة بل أظهرت نوع "**Mode**" جديد من القوة، عندما يبقى نوع القوة على حاله أو تغير ببطأ؛ لكن الحداثة أفرزت نوع جديد من القوة له مخرجين: **أولاً:** الفجوة بين المجتمعات أصبحت أكبر بسبب وفرة الامكانيات الموجودة لدى المجتمعات الحداثية، **ثانياً:** الفجوة بين المجتمعات الحديثة وغيرها أصبحت صعبة الغلق بسبب نوع القوة الجديد التي ترتكز عليها.

أصبح الغرب مهيمن على الكثير من جوانب العلاقات الدولية على أساس نوع القوة الذي اكتسبته، يعكس فيها أنواع قوة جديدة للتنظيم وأفكار جديدة غيرت النظم السابقة.

التحولات الأساسية:

كانت للتحولات الكبرى في القرن التاسع عشر ثلاث تأثيرات رئيسية على العلاقات الدولية وهي:

أولا: انتشار الصناعة، المال، السكك الحديدية والتلغراف بالاضافة إلى تجليات الحركة الاستعمارية، ربط الأفراد والدول في نظام عالمي أكثر تداخلا، وأنتج مجتمعات أكثر ترابطا أو على الأقل كانت لبنة لتكوين مجتمع عالمي مبني على المعرفة المشتركة والوعي الجماعي.

ثانيا: التحولات في القرن التاسع عشر أنتجت انفصال بين النظم الاجتماعية التي تبنت الحداثة العالمية والنظم الاجتماعية التي فشلت في ذلك وأنكرت النوع الجديد للقوة، لأن القوة بنسقها الجديد مكنت من الانفتاح على المجتمعات البعيدة وتوسيع العلاقات التجارية عالميا، هذه التفاعلات لم تكن تخضع لمبدأ المساواة لأن التحولات قسمت العالم بين دول أقلية محورية قوية وغنية وأغلبية ضعيفة وفقيرة عادة ماتتعرض للاحتلال.

ثالثا: موجة الحداثة أدت إلى ثورة في ترتيب القوى الكبرى في تلك الحقبة، خاصة الدول التي تبنتها بريطانيا مثلا وفي اواخر ربع القرن التاسع عشر ألمانيا، الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، وتراجعت مكانة الدول التي تأخرت في اللحاق بموجة الحداثة كالصين والامبراطورية العثمانية وروسيا.[12]

لفهم آلية التغير الكبرى في نظام القوة العالمي في القرن التاسع عشر بعد الحرب العالمية الأولى سبقتها عدة نزاعات كانت لها سببا في حدوث تغيير في أمن العالم ككل، لكن بعد هذه الأحداث ظهرت نزعة ماأسماها "**فليكس غيلبريت Felix Gilbert**" الأحلاف الجامدة.[13] " **Rigidification**

كان بتوقيع أغلب الدول أنه في حالة وقوع حرب كبرى سيكون في حلف معين،هذا الواقع سيعزز من صعوبة وتعقيد قياس القوة الوطنية لأن الأحلاف كما أتت بمنافع كانت لها سلبيات.

يرى "**غاري شيفيلد** " **Gary Sheffield** أن الحرب العالمية الأولى هي المنعطف الأساسي في القرن العشرين وكل ماحدث بعدها يرتبط بها.[14]

في صناعة شكل القرن العشرين على المستوى السياسي العسكري والاستراتيجي،فإن النظام العالمي الناتج بعد نهايتها تمت صياغته على هذا الأساس.[15]

فقد أطلق " **فرانك نيكوفيش**" **Frank Ninkovich** تسمية " **القرن الويلسوني** "**Wilsonian Century** على القرن العشرين للدور الذي تبنته الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى، حدد من خلال نقاط ويلسون الأربع عشر شكل النظام العالمي بعد ذلك،إن الحاجة لفهم أفكار ويلسون وتأثير اتجاهه أساسي لفهم السياسة العالمية في تلك الفترة ودور الولايات المتحدة الأمريكية.[16]

فقد تم إنشاء منظمة عالمية تبنى على مبدأ الأمن الجماعي وهي عصبة الأمم التي سعت إلى السلم،فكانت محاولة رسمية لنع هيكل عالمي لحل المشاكل من خلال مؤسسة عالمية دائمة، بغض النظر عن فشلها الذريع في اتخاذ إجراءات ضد الدول كألمانيا واليابان وايطاليا،فإن عصبة الأمم مهدت لظهور الأمم المتحدة سنة 1945.[17]

---

[12] Barry Buzan & George Lawson, The Global Transformation: History, Modernity the Making of International Relation, London: Cambridge Press, 2013, P43.

[13] Paul Kennedy, the Rise & Fall of the Great Power, New York: Vintage Books, 1987, PP 337 - 338.

[14] Colin S. Gray, War, Peace & International Relation, London: Routledge, 2007, P77.

[15] Kenneth N. Waltz, Man, the State & War: A Theoretical Analysis, 3rd ed, New York: Colombia University Press,2001, P 236.

[16] Trygve Throntveit, la Fable des Quatorze points : Woodrow Wilson et l'Autodétermination National, Histoire Diplomatique,35 (3),2011, P450.

[17] John Baylis & Steve Smith, the Globalization of World Politics: An Introduction to International Relation,2nd ed, London: Oxford University Press2002, P56.

فبعد الأزمة المالية 1929 برزت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة مهيمنة في الاقتصاد العالمي,أصبحت تنتج 42% من الصناعة العالمية مقارنة ببريطانيا وفرنسا وألمانيا مجتمعة ماقدره 28%؛ اعتبرت الولايات المتحدة كمحرك مالي للاقتصاد العالمي.

وبعد الحرب العالمية الثانية1945 كانت القوة الأوروبية تتراجع شيئا فشيئا والاقتصاد كان يعاني هذا ماجعل الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي يظهران كقوة عظمى على الساحة بسبب القوة العسكرية وهيمنة وسيطرة الولايات المتحدة الأمريكية من خلال مبدأ المرجعية للذهب الذي يربط كل الدول في شبكة ثابتة لتحويل العملات,فقد برزت الثنائية القطبية الذي كان سمة النظام الدولي في مرحلة بعد 1945م.

فحسب "**والتز**" ثمة خمس أنواع من التطورات يمكن أن تزعزع استقرار الأنظمة ثنائية القطبية وتطلق صراع الهيمنة الأحادية وهي:

1 فشل أحد القطبين في ممارسة دوره في خلق التوازن الثنائي.

2 خطر ظهور طرف ثالث يحدث اضطرابا في التوازن ثنائي القطبي، فيرى الكثير من المحللين في العلاقات الدولية أن النظام ثنائي قطبي الأكثر استقرارا.

3 تحول الصراع بين المعسكرين إلى مباراة صفرية.

4 خطر تورط القوى الكبرى في طموحات الحلفاء الصغار.

5 خطر فقدان السيطرة على التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فالتغير الثوري السريع داخل الدول تنشىءُ غموض ومخاوف لدى النخب السياسية في القوى الكبرى، لم تؤدي إلى حدوث تغيرات في العلاقات السياسية بين الدول وحسب وإنما أدت بحدوثإلى حدوث اجتماعية واقتصادية أيضا.[18]

نهاية الحرب الباردة وتأثيرها على النظام العالمي: إن الأحداث التي شهدها العالم بين 1989 إلى غاية 1991 تمثل نقطة تحول أساسية في العلاقات الدولية وهي:

- نهاية الثنائية القطبية في العلاقات الدولية.
- تغير نوعي على مستوى الدولة القومية التي كانت تتبع ايديولوجيا معينة ضمن منظومة المعسكر الشرقي نحو النموذج البراغماتي في العلاقات الدولية.
- تغير المحوري لدول المنظمات الدولية خاصة منظمة الأمم المتحدة التي تحررت من الاستخدام الايديولوجي، نهاية الأحلاف المتعددة مثل حلف وارسو لكن الحلف الأطلسي بقي من خلال تعديل توجهاته وسياساته خدمة لأهداف المرحلة المقبلة.

[18] روبرت غيلين، الحرب والتغير في السياسة العالمية، بيروت: دار الكتاب العربي، 2009, ص281-283.

النظام العالمي مابعد الحرب الباردة:

إن مرحلة مابعد الحرب الباردة تميزت بالغموض من خلال تعدد وجهات النظر وتضاربها فيما يخص مستقبل النظام العالمي، والملاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية هي القطب المهيمن في النظام العالمي.

حسب "**فوكوياما**" في كتابه: "**نهاية التاريخ**" يؤكد ترجيح الميزان نحو القوى الفردية على حساب الجماعية ويعتبر بذلك انتصارا تاريخيا لقوى الفردية وهو نهاية مرحلة من مراحل التاريخ وبداية مرحلة الليبرالية الاقتصادية التي ستظهر في كافة انحاء العالم،مايجعل انحصار الصراع الايديولوجي أساساً ويفسح المجال أمام الوسائل بدل من الايديولوجيات وسيستمر هذا النمط في المستقبل المنظور وربما للأبد، لأنه لايوجد بديل عن الليبرالية الرأسمالية.

أما بخصوص الاقتصاد السياسي الدولي فقد نزعت الليبرالية إلى التقليل من شأن القوة التحويلية للعولمة من خلال نظرتها الايجابية للاعتمادية الاقتصادية،هذا ماجعلها تتجاهل المشاكل الاجتماعية والسياسية التي يتسبب فيها الاقتصاد المعولم والقطاع الخاص الذي يفرض قوة جديدة قد تكون خطيرة في حد ذاتها.[19]

ويعتبر "**جون ميرشايمر**" النزعة التفائلية للولايات المتحدة الأمريكية بعد نهاية الحرب الباردة تتم عن سوء فهم للتاريخ، لأنه يرى أن الحرب الباردة لم تهدد الأمن العالمي بقدر ماجعلت العالم مكانا آمنا منذ 1945م، فالتوزيع الجديد للقوى حسبه يجعل النظام العالمي أقل استقرار وماحصل في أوروبا الشرقية بعد الحرب الباردة هو السبب الأساسي في عدم الاستقرار.[20]

يرى "**جون ميرشايمر**" أن الحرب والسلم تقع في بنية النظام العالمي في حد ذاته وليست في طبيعة الدول منفردة، واحتمالات وقوع حرب شاملة جديدة في أوروبا بعد الحرب الباردة تزيد في ظل نظام عالمي متعدد الأقطاب لأنه حسب القراءة التاريخية فالحروب التي وقعت في أوروبا قبل سنة 1945م كان سببها وجود تعدد قطبي أدى إلى تصارع بين الدول الأوروبية وأن غياب الحرب في أوروبا سنة 1945م كان بسبب ثلاث محددات وهي:

- التوزيع الثنائي القطب للقوات العسكرية في القارة الأوروبية.
- التقارب في حجم القوة العسكرية بين القطبين، حال دون تحويل اللعبة إلى محصلة صفرية.
- التوازن في الردع النووي بين القطبين، حال دون وقوع حرب كبرى.

يقر"**جون ميرشايمر**" بوجود عوامل داخلية وقومية يمكن أن تزيد احتمالات وقوع حرب لكن يبقى عامل القوة العسكرية هو المحرك الأساسي وأهم محدد لاحتمال وقوع الحرب من عدمه،

[19] Adrian Hyde-Price, European Security in the Twenty-First Century: The Challenge of Multipolarity, London: Routledge, 2007, p26.

[20] John J. Mearsheimer, Black to the Future: Instability in Europe After the Cold War, International Security, 1990, P10.

وخلال الحرب الباردة لم تشهد أوروبا حربا كبرى على غرار الحربين العالميتين وهذا حسب الواقعية الجديدة راجع إلى التعددية القطبية التي كانت سائدة في تلك الفترة. [21]

أما حسب "**صامويل هنتغتون**" في كتابه:« **صدام الحضارات**" أن الولايات المتحدة الأمريكية هي القطب الذي سيشكل معالم مابعد الحرب الباردة وبذلك حذر مما يخبئه مستقبل السياسة العالمية؛ بعض المحللين استنتجوا أن العالم الذي تحدث عنه "صامويل هنتغتون" في أطروحته "صدام الحضارات" لم يُوجد بعد، أما ماذهب إليه "صامويل هنتغتون" ماهي إلاّ محاولة لصنع عدو جديد للولايات المتحدة الأمريكية لتبرير بقائها كمهيمن ومسيطر في السياسة العالمية.

يرى "**صامويل هنتغتون**" أن السياسة العالمية دخلت مرحلة جديدة مع نهاية الحرب الباردة، رغم السيناريوهات العديدة لما سيكون عليه هيكل النظام الدولي والسياسية العالمية، لكن لم يحددوا المتغير الأهم الذي يؤدي إلى النزاع وعدم الاستقرار في العالم،ويفترض "صامويل هنتغتون" أن السبب الرئيسي للصراع في عالم مابعد الحرب الباردة لن يكون ايديولوجي أو حتى اقتصادي بل سيكون مصدر النزاع يكون ثقافي بالأساس، ستبقى الدولة القومية هي الفاعل الرئيسي في السياسة العالمية، لكن النزاعات والصراعات ستكون بين الأمم والمجموعات التي تنحدر من حضارات مختلفة، صدام الحضارات سيهيمن على السياسة العالمية.[22]

مع نهاية الحرب الباردة السياسة العالمية تحولت من مرحلة الحضارة الغربية فقط إلى مرحلة محورها الأساسي العلاقة بين الغرب وغير الغرب يعني بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى الذين سيشاركون في صناعة وصياغة التاريخ.

نشر "**روبرت كابلان**" في فيفري 1994 مقالا بعنوان: "**الفوضى القادمة The Coming Anarchy**" في **مجلة الأتلانتيكAtlantic** ،عن رؤيته الخاصة لعالم مابعد الحرب الباردة الذي بحسبه يتسبب تحلل واختفاء البُنى والمسلمات التقليدية فيه في صناعة الفوضى،مثلا في بعض دول افريقيا مما تعيشه من انعدام وفشل الحكومات وتصاعد النزاعات القبلية والأمراض والأوبئة فالحياة صارت عبأ على شعوب هذه الدول من فقر وحرمان واللأمن وفي مناطق أخرى من العالم تسبب النزاع الايديولوجي بين الرأسمالية والاشتراكية فيها نزاع حول الموارد الأساسية كالماء والغذاء مع الزيادة في التعداد السكاني.

حاول "**روبرت كابلان**" أن يقسم العالم بعد الحرب الباردة إلى قسمين: دول تتمتع فيها الشعوب بالأمن والغذاء والصحة واستعمال التكنولوجيا،وقسم تكون فيه ظروف صحية متراجعة جدا مع انعدام الأمن؛وفي الأخير تأتي مرحلة أين نبدأ الحرب بين القسمين ماصطلح عليه "**كابلان" الفوضى القادمة**. [23]

---

[21] Ibid., P3-10.

[22] Samuel Huntington, the Clash of Civilizations & the Remaking of World Order, editions Odile Jacob: Simon & Shuster,1997, P03.

[23] روبرت غبلين، الحرب والتغير في السياسة العالمية، بيروت: دار الكتاب العربي، 2009, ص69.

بروز الأحادية القطبية:

بعد نهاية الحرب الباردة أصبح النظام الدولي الجديد أحادي قطبي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية دون منافس،وقدرتها على استعمال القوة العسكرية وتجنيد حلفائها في حلف الأطلسي لحسم أي صراع،ولممارسة مسؤولياتها في المحافظة على الاستقرار وتوجيه الحركة العالمية باتجاه الديمقراطية،قد فسح المجال أمام الولايات المتحدة الأمريكية لتصبح القوة العظمى الوحيدة بفضل قوتها ومكانتها وهي بذلك مركزا للقوة العالمية قادرة على استخدام وتوظيف ماتمتلكه من عناصر القوة في تنظيم وإدارة الشؤون العالمية دون منافس حقيقي أو تحد من جانب أي قوة دولية أخرى،وإن انتصار الايديولوجية الليبرالية في الحرب الباردة يضيف قدرات للولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القطب المهيمن ومصدرا إضافي يتمثل في جاذبية أفكار الليبرالية وقدرتها على التأثير الثقافي والايديولوجي على وحدات النظام الأخرى، فضلا عن تمتع الولايات المتحدة الأمريكية بقدر من التفوق في العديد من مقومات وعناصر القوة مثل التفوق التكنولوجي والعسكري وانتشار النموذج نموذج الأمريكي ونطاق الدبلوماسية الدولية وشبكة العلاقات السياسية.[24]

إن طبيعة الهيمنة الأمريكية يتمثل في:

- **الجانب الاقتصادي**: من خلال أمننة القضايا الاقتصادية التي لاتتأثر عادة بالمجالات الأمنية، فالعولمة الاقتصادية ينظر لها من خلال الأجندة الأمنية الأمريكية.[25]
- **الجانب السياسي**: بالتركيز على موضوع الديمقراطية وموضوع السوق الحرة وبروز النظام العالمي الجديد فقد تم تبني أفكار فوكوياما من خلال جعل الولايات المتحدة الأمريكية فكرة في ذهن الكثير من شعوب العالم وجعلها هي قلب العالم ونموذج الحرية والديمقراطية.[26]
- **الجانب العسكري**: لقد كانت حرب الخليج الأولى نموذجاً تسويقيا للنموذج الأمريكي وتأكيدا لقوتها وتفوقها وإستمرارها في قيادة العالم، بالاضافة في التدخل في البوسنة بعد فشل الدول الأوروبية في حل النزاع.
- **الجانب الثقافي**: إن النموذج الثقافي الأمريكي كان له تأثير على باقي دول العالم من خلال طريقة اللباس والأكل والموسيقى وغيرها حتى أصبح الحلم الأمريكي هو حلم العالم.

---

[24] منير محمود بدوي السيد، الاتجاهات الحديثة في دراسة النظام الدولي منذ إنتهاء الحرب الباردة، مصر: جامعة أسيوط،2019, ص10. متاح على الرابط: shorturl.at/bnxUX

[25] Mark Beeson & Richard Higgott, Hegemony, Institutional & US Foreign Policy: theory & practice in comparative Historical Perspective, the British International Studies Association Conference, Birmingham: 15-17 December 2003, p14.

[26] Hunt H. Michael, the American Ascendancy: how the United States Gained é Wielded Global Dominance, North Carolina: The University of North Carolina Press, 2007, P271.

مستقبل بنية النظام العالمي:

بعد نهاية الحرب الباردة ظهرت الحاجة إلى قطب يؤسس لنوع من التوازن في القوى ويحفظ السلام وهذا هو الدور الرئيسي للولايات المتحدة الأمريكية كقطب مهيمن في النظام العالمي الجديد.

فإن حقبة الحرب الباردة تبدأ من عام 2000م إلى يومنا هذا،وهي مرحلة تميزت بظهور قوى صاعدة على الساحة العالمية على غرار مجموعة **البريكس** (**BRICS**) - البرازيل، روسيا، الهند، الصين وجنوب إفريقيا- هذا الصعود يغلب عليه الجانب الاقتصادي أساساً، هذا ما أفرز أطروحات تتنبأ بانتهاء حقبة الهيمنة والسيطرة للولايات المتحدة الأمريكية - أي مرحلة الأحادية القطبية- من خلال طرح سيناريوهات لما سيكون عليه هيكل النظام العالمي، وعليه هناك من تنبأ بانتهاء الحقبة الأحادية القطبية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية - حسب "**ستيفن والت وجون ميرشايمر**- لصالح نظام متعدد الأقطاب، وهناك سيناريو يطرحه - **ريتشارد هاس** و**باري بوزان** - وهو اللاقطبية.

1 **سيناريو نظام عالمي متعدد الأقطاب**: يطرح هذا السيناريو بروز قوى اقليمية منفردة كالهند، البرازيل، الصين، روسيا والاتحاد الأوروبي، ستكون لهم هيمنة اقليمية سيمارسون نوعا من الهيمنة في مناطق نفوذهم الاقليمية، وبذلك ستتراجع قوة الولايات المتحدة الأمريكية وستكتفي بدورها في نطاقها الاقليمي فقط ؛ وهذا السيناريو يطرح تراجع النظام العالمي من المستوى العالمي إلى المستوى الاقليمي.

في هذا الصدد يرى "**ميشال ماي Michael May**" أن المؤشرات النووية لوحدها تشير إلى أننا نعيش ضمن نظام عالمي متعدد الأقطاب، لأن القدرة النووية تحتم على القوى الكبرى أن ترضخ لمتطلبات بعضها البعض.[27]

قد أنهت أحداث 2001/09/11 بقاء الولايات المتحدة الأمريكية كقطب وحيد في العلاقات الدولية لأن رد فعل الدول على الأحداث 09/11 هو إنشاء تحالف ضد تنظيم القاعدة إدراكاً منها على انه مصدر تهديد أنه لايحمل الصفة الدولاتية ؛ أما حرب العراق 2003 اتسمت بالرفض الدولي خاصة من طرف روسيا الفيدرالية والصين الشعبية ومن فرنسا,فرغم النجاح العسكري إلاّ أنها أخفقت دبلوماسيا لعدم شرعية هذه الحرب التي كانت خارج نطاق منظمة الأمم المتحدة,وأخيرا,الأزمة المالية 2008 أدت إلى تراجع الهيمنة القطبية للولايات المتحدة الأمريكية على الاقتصاد العالمي وتزايد تنامي الاقتصاديات الصاعدة مثل الصين والهند ويؤشر لأننا نتجه نحو عالم متعدد الأقطاب.[28]

---

[27] Bradley H. Roberts, World Order in the Post-Post-Cold War Era: Beyond the Rogue State Problem? Virginia: Institute for Defense Analyses, 1996, P04-05.

[28] Ivan Krastev & Mark Leonard, What Does Russia Think, London: European Council on Foreign Relation,2009, pp63.64.

1 **سيناريو نظام عالمي لا قطبي**: يرجع طرح النظام العالمي اللاقطبي "**ريتشارد هاس Richard Hass**" في مقال **بمجلة الشؤون الخارجية** في صيف 2008، غير أن "**باري بوزان Barry Buzan**" تبنى نفس الطرح بعد أن كان في سنة 2004 يساند التيار السائد الذي يميل نحو بقاء الولايات المتحدة الأمريكية كقطب أوحد في العلاقات الدولية.[29]

حسب "**ريتشارد هاس**" تتصف العلاقات الدولية للقرن العشرين بأنها تتحول نحو اللاقطبية التي تفهم على أنها: عالم لاتهيمن عليه دولة أو اثنتان أو حتى بعض دول لكن بالعشرات من الفواعل الذين يمتلكون ويمارسون العديد من أشكال القوة، هذا يمثل نقلة نوعية من الماضي والنموذج التاريخي الذي ساد العالم لقرون.[30]

إن طبيعة النظام العالمي اللاقطبي يتصف بالعديد من المراكز التي لها قوة مميزة، بخلاف التعددية القطبية التي تتضمن العديد من الأقطاب المنفردة تتركز حولها القوة، يتسم بعدم وجود قوة واحدة مهيمنة أو سيصبح النظام أحادي القطب أو وجود محورين للقوة كما هو في نموذج الحرب الباردة مما يجعل النظام ثنائي القطب.

2 **سيناريو نظام عالمي أحادي قطبي سياسي ومتعدد الأقطاب إقتصادياً**: إن حال النظام العالمي اليوم (في عام 2021) قد يبدو أنه متعدد الأقطاب بوجود قوى كبرى مثال: الصين,الاتحاد الأوروبي,الهند,روسيا الفيدرالية والولايات المتحدة الأمريكية,لكن هذا المظهر قد يكون مخادعاً لأنه النظام العالمي الحالي (في عام 2021) يختلف جذرياً عن التعددية القطبية الكلاسيكية لأن وجود العديد من مراكز القوة غير طبيعة الدولة القوية التي لايمكن القول عنها أنها أساس العلاقات الدولية والفاعل الوحيد فيها في القرن العشرين، فأن مكانة الدولة القومية أصبحت مهددة من طرف العديد من المنظمات الحكومية وغير الحكومية والشركات المتعددة الجنسيات.

فإن القوة موجودة في عدة أماكن ومراكز على غرار الدول الصاعدة وكذلك ستكون على قائمة مراكز القوة على غرار المنظمات ذات طابع الكوسموبوليتية مثال: صندوق النقد الدولي، الأمم المتحدة والبنك العالمي والمنظمات الاقليمية مثال: الاتحاد الأوروبي، الجامعة العربية، منظمة الدول الأمريكية والمنظمات الناشطة مثال: منظمة الطاقة العالمية، منظمةالأوبيك، منظمة الصحة العالمية، وكذا الشركات الكبرى العالمية التي تتحكم في منابع الطاقة والتمويل والتصنيع، وكذلك المؤسسات الاعلامية الكبرى مثال: بي بي سي، سي آن أن والجزيرة وغيرها.[31]فيمكن القول أن النظام العالمي يسير نحو نظام متعدد الأقطاب في المجال الاقتصادي وأحادي القطب سياسياً من خلال هيمنة النموذج الليبرالي الغربي ومنه يطرح الصعود الذي تشهده

[29] Barry Buzan, A World Order Without Superpowers: Decentered Globalism, London: The Inaugural Kenneth Waltz Lecture, 2008, p04.

[30] Richard N. Hass, the Age of Nonpolarity: what will follow US Dominance, Foreign Affaire: May/June 2008, p01

[31] Ibid., P02.

عدة دول أسئلة حول مستقبل النظام العالمي ومدى نجاحه في فرض الانتقال إلى قطبية متعددة تجمع بين دول من خارج النموذج الغربي الذي ظل منذ سقوط جدار برلين،وهو ماتسعى إليه الدول الصاعدة من خلال زيادة جهودهم المشتركة ضد توسع منظمة حلف الشمال الأطلسي (NATO) ومما يجعل لموقف هذه الدول تأثيرا هاما في قضايا دولية تشمل الطاقة والأمن الغذائي والهجرة الدولية غير نظامية والجرائم المنظمة العابرة للحدود والارهاب وضبط التسلح النووي وقواعد التجارة الدولية والاستثمار والتعاون الأمني والتقسيم الدولي للعمل والعديد من القضايا الراهنة الأخرى.

النتائج:

من خلال دراستنا توصلنا إلى النتائج التالية:

- تعتبر قوة الدولة من العوامل التي يعلق عليها أهمية خاصة في ميدان العلاقات الدولية.
- القوة هي التي ترسم أبعاد الدور الذي تقوم به الدولة في مجالها وتحدد إطار علاقاتها بالقوى الخارجية في البيئة العالمية.
- امتلاك عناصر القوة لا تكفي حتى تكون الدولة مؤثرة فلا بد من تبني سياسات فعّالة للاستخدامها.
- القوى الصاعدة مصطلح يفهم منه تغيير الشكل الأحادي القطبية في الهيكل العالمي لتوزيع القوة.
- العامل الاقتصادي سيطر ومازال يسيطر على علاقات القوى في النظام العالمي.
- النظام العالمي يتجه نحو نموذج متعدد الأقطاب أو اللاقطبي دون الولايات المتحدة الأمريكية.
- العامل العسكري والاقتصادي والتكنولوجي يتفاعلون فيما بينهم لبلورة قوة الدولة، ولايمكن قياس قوة الدولة إلاّ بفهم العلاقة بينهم.
- رغم وجود مقومات للدول الصاعدة إلاّ أن هذه المقومات لا تجتمع في دولة واحدة، فدرجة الصعود تختلف من دولة إلى أخرى وحتى في المستوى.

التوصيات:

من خلال الدراسة توصلنا إلى التوصيات التالية:

- يجب بناء أطر مؤسساتية تعاونية وتقوية دور المجتمع العالمي والفواعل غير الرسمية وبلورة آليات فعّالة على المستوى العالمي.

- يجب إعادة بناء نظام عالمي جديد في ظل التنوع الثقافي والحضاري.
- ضرورة وجود وعي وإدراك حقيقي للرهانات والتحديات التي توجهها البشرية جمعاء.
- ضرورة انشاء مراكز الأبحاث مهمتها الأساسية تقديم الرؤى والبرامج.

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى أن شكل النظام العالمي في تغير مستمر لم تبرز ملامحه بعد بصفة نهائية،سواء نحو نظام متعدد الأقطاب يقوم على التحالفات مابين الدول في أقطاب موحدة تجمعها مصالح مشتركة،إضافة إلى طبيعة التغيرات التي طرأت على اهتمامات النظام العالمي خصوصا بعد أحداث 11سبتمبر2001م,وبذلك فإن المرحلة الحالية (2021م) هي مرحلة إرهاصات تشكيل نظام عالمي جديد لم تحدد معالمه بعد ولكنها في طور التشكيل والتكوين،ينقسم العالم إلى عدة أقطاب ببروز القوى الصاعدة التي تغير موازين القوى العالمية وبذلك تتراجع القوى التقليدية لصالح القوى الجديدة التي تساهم في تشكيل وبلورة نظام عالمي جديد.

المراجع:

أولاً: بالغة العربية:

1 الكتب:

- بيليس جون، سميث ستيف، **عولمة السياسة العالمية**، الامارات: مركز الخليج للأبحاث، 2004.
- جندلي عبد الناصر، **التنظير في العلاقات الدولية بين الاتجاهات التفسيرية والنظرية التكوينية**، الجزائر: الخلدونية، 2007.
- غريفيش مارتن، أوكالاهان تيري، **المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية**، الامارات: مركز الخليج للأبحاث، 2008.
- غيلين روبرت، **الحرب والتغير في السياسة العالمية**، بيروت: دار الكتاب العربي، 2009.
- القصير ماهر بن إبراهيم، **تكتل دول البريكس نشأته-إقتصادية-أهدافه**، القاهرة: الفكر العربي، 2014.
- موغل فرانسوا شارل، **تاريخ العلاقات الدولية في القرنين التاسع عشر والعشرين**، بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2010.
- هدسون مايكل، **الصعود الآسيوي والتراجع الأمريكي في الشرق الأوسط**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013.

2 المجلات:

- بوخوش مصطفى، **مضامين ومدلولات التحولات الدولية بعد الحرب الباردة، مجلة العلوم الانسانية**، جامعة محمد خيضر،عدد3, أكتوبر,2002.
- خنوش محمد، **الفواعل الدولية المؤثرة في النظام الدولي، مجلة المفكر**، عدد10، بسكرة: جامعة محمد خيضر، كلية الحقوق والعلوم السياسية.
- مباركية منير، **القوى الصاعدة والعالم الذي نريد: رؤية في ضوء التحضيرات لأجندة التنمية مابعد2018، رؤى استراتيجية**،الجزائر: قسم العلوم السياسية، جانفي2015.

3 المواقع الالكترونية:

- منير محمود بدوي السيد، **الاتجاهات الحديثة في دراسة النظام الدولي منذ إنتهاء الحرب الباردة**،مصر: جامعة أسيوط،كلية التجارة، 2019. متاح على الرابط: shorturl.at/bnxUX

ثانيا: باللغات الأجنبية:

Books :1

Buzan Barry, *A World Order Without Superpowers: Decentered Globalism*, London: The Inaugural Kenneth N. Waltz Lecture,2008.

Baylis John & Steve Smith, The *Globalization of World Politics: An Introduction to International Relation*, 2nd ed, London: Oxford University Press,2002.

Bradley H. Roberts, *World Order in the Post-Post-Cold War Era: Beyond the Rogue State Problem?* Virginia: Institute for Defense Analyses, 1996.

Buzan Barry & Lawson George, *The Global Transformation: History, Modernity the Making of International Relation*, London: Cambridge Press, 2013.

Gray S. Colin, *War, Peace & International Relations*, London: Routledge, 2007.

Hyde-Price Adrian, *European Security in the Twenty-first Century: The Challenge of Multipolarity*, London: Routledge, 2007.

Kennedy Paul, *The Rise & Fall of the Great Powers*, New York: Vintage Books,1987.

Kenneth N. Waltz, Man, *The State, & War: A Theoretical Analysis*, 3rd ed, New York: Colombia University Press, 2001.

Kobayashi Mark, *Building a Future with BRICs: The Next Decade for Offshoring*, London: Springer,2008.

Krastev Ivan & Leonard Mark, *What Does Russia Think*, London: European Council on Foreign Relation, 2009.

Michael H. Hunt, *the American Ascendancy: how the United States gained & wielded global dominance*, North Carolina: The University of North Carolina Press, 2007.

Samuel Huntington, the Clash of Civilizations & the Remaking of World Order, editions Odile Jacob: Simon & Shuster,1997.

2- Review:

Beeson Mark & Higgott Richard, *Hegemony, Institutionalism & US Foreign Policy: Theory & Practice in Comparative Historical Perspective*, The British International Studies Association Conference, December 15-17, Birmingham, 14 2003.

Dorion Philippe, *L'Afrique du Sud : le « S » dans les « BRICs »*, Université d'Ottawa, Ecole Supérieur d'affaires Publiques et Internationales, 19 Novembre 2014.

Hass N. Richard, *The Age of Nonpolarity: What Will Follow US Dominance*, Foreign Affairs May/June 2008.

Trygve Throntveit, la Fable des Quatorze points : Woodrow Wilson et l'Autodétermination National, Histoire Diplomatique,35 (3),2011.

John J. Mearsheimer, Black to the Future: Instability in Europe After the Cold War, International Security, 1990.

القوى الكبرى ومستقبل الاستقرار في الشرق الأوسط

أ.د. ناجي محمد الهتّاش*

الملخص

لقد تعددت أسباب عدم الاستقرار في الشرق الأوسط فكانت منها الاقليمية على خلفية التنافس بين القوى الاقليمية الفاعلة، والدولية بسبب حدة التنافس بين القوى العالمية الكبرى الذي وصل في حالات الى درجة الصراع بسبب المصالح، وقد تبنت هذه القوى الولايات المتحدة، روسيا، الدول الأوروبية، والصين استراتيجيات مختلفة في الشرق الأوسط بهدف تحقيق مصالحها، وبموجب ذلك تبنت كل واحدة منها رؤية أمنية لهذه المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الشرق الأوسط، الأمن الإقليمي، الاستقرار ، القوى الاقليمية، القوى العالمية.

Great Powers and the Future of Stability in the Middle East

Dr. Naji Mohammed Al Hatash

Abstract

There are many causes of instability in the Middle East، including regionalism against the backdrop of competition between the active regional powers، and the international ones due to the intensity of competition between the major global powers، which in some cases reached the point of conflict because of interests. These powers have adopted the United States، Russia، European countries، and China Various strategies in the Middle East with the aim of achieving its interests، and accordingly each of them adopted a security vision for this region.

Keywords: Middle East، regional security، stability، regional powers، global powers.

* أستاذ دكتور، حاصل على الدكتوراه في العلوم السياسية من كلية العلوم السياسية بجامعة النهرين ، يعمل حالياً استاذ في قسم الدراسات الدولية بكلية العلوم السياسية /جامعة تكريت، العراق.

المقدمة

احتل الشرق الأوسط وما زال أهمية كبيرة في استراتيجيات القوى الكبرى، وفي صوغ موازين القوى الدولية على خلفية المصالح والاهداف في هذه المنطقة، لما تتمتع به من موقع استراتيجي عالمي متميز، فضلا عن ثرواتها الاقتصادية الهائلة.

والمميز لهذه المنطقة انها تعيش حالة من عدم الاستقرار منذ الحرب العالمية الثانية وقيام دولة اسرائيل فيها، ونشوب العديد من الحروب فيها، ولم تكن القوى الكبرى بعيدة كمتغير مهم وفعّال في عدم الاستقرار، وما زاد من أهمية المنطقة وزيادة تدخل هذه القوى هو اكتشاف البترول السلعة الاولى المحركة للاقتصاد العالمي، فزاد التنافس الدولي للوصول الى منابع هذه السلعة وبشتى الطرق وأهمها العسكرية.

لقد تبنت القوى العالمية الرئيسة في النظام الدولي الولايات المتحدة، روسيا، الدول الاوربية، والصين استراتيجيات مختلفة في الشرق الاوسط بهدف تحقيق مصالحها، وبموجب ذلك تبنت كل واحدة منها رؤية أمنية في هذه المنطقة، وكانت هذه الرؤى متصارعة في الدوام على وفق قاعدة المصالح مما أثر على استقرار المنطقة.

تنطلق إشكالية الدراسة من الأهمية التي تشكلها المنطقة للقوى الكبرى وتأتي الطاقة على رأس تلك الأولويات، وتأمين مصادرها وطرق امداداتها، لذلك كان التواجد العسكري والأمني أمرا لابد منه بالنسبة لبعض هذه القوى وعلى هذا الأساس ستتمحور إشكالية الورقة البحثية الإجابة على سؤالين رئيسيين...**الاول: ماهي رؤية كل قوة دولية لترتيبات الامن والاستقرار في الشرق الأوسط؟. الثاني: كيف سيكون عليه المستقبل في هذه المنطقة؟**.

أما الفرضية التي تحاول الدراسة اثباتها فهي ان من يتحكم بمكانزيم الأمن في الشرق الأوسط استقرارا، أو عدم استقرار فستكون له اليد الطولى في السيطرة والتحكم بما يجري فيها باتجاه تحقيق مصالحه على حساب القوى الأخرى. وعلى هذا الأساس عملت القوى الكبرى جاهدة كل بطريقته لتكون لاعبا أساسيا في ترتيبات الامن في هذه المنطقة الحيوية .

سيتم تقسيم الورقة الى ثلاثة أقسام:

الأول: المفاهيم (مفهوم الامن الإقليمي، مفهوم البيئة الإقليمية، مفهوم الامن الشرق أوسطي)

الثاني: الرؤى الأمنية الدولية للشرق الأوسط (الرؤية الامريكية، الروسية، الصينية، الأوروبية)

الثالث: مستقبل الاستقرار في الشرق الأوسط.

1: المفاهيم

نحاول هنا ان نتطرق لبعض المفاهيم المهمة والتي لها علاقة بدراستنا، وهي (مفهوم الامن الإقليمي، مفهوم البيئة الإقليمية، مفهوم الامن الشرق أوسطي)

1-1: الأمن الإقليمي

حاولت الكثير من التعريفات الإحاطة بكل جوانب الامن الإقليمي، ومن بين أبرز التعريفات العربية ذلك الذي وضعه " حامد ربيع" على انه سياسة لمجموعة من الدول في إقليم واحد، تضع من خلالها أسس للتعاون العسكري والتنظيمي للتصدي للقوى الخارجية [1]. وبذلك فإن الامن الإقليمي هو اتفاق دولي بين دول إقليم محدد يتضمن خطوات متدرجة ومتداخلة بهدف تأمين سياسة دفاعية لمواجهة المخاطر المختلفة، سواء كانت الطبيعية منها كالكوارث الطبيعية، او مواجهة المخاطر المتأتية من قوى دولية خارجية. وقد ينبني على ذلك تنسيق السياسات الدفاعية، وصولا الى تشكيل التحالفات. وفي اطار التنظيم الإقليمي تعرف جامعة الدول العربية الامن الاقليمي على أنه توثيق الصلات بين الدول الاعضاء وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون فيما بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها مع الحرص على المصالح المشركة على كافة الاصعدة، ومنها تحقيق الامن الاقليمي بما يوفر لها الاستقرار الداخلي لكل دولة وعناصر الحماية ضد الاختراقات المحتملة للأمن القومي العربي[2].

1-2: الأمن الشرق اوسطي

سؤال يطرح هل هناك مفهوما أو تعريفا للأمن الشرق أوسطي وبتقدير الباحث لا يوجد مثل هذا التعريف متفق عليه، فالتعريف الذي وضعته الجامعة العربية كان تعريفا للأمن الإقليمي العربي، والسؤال، هل يصلح هذا المفهوم لبقية دول الإقليم الشرق أوسطي؟ والجواب بالتأكيد لا، والسبب ببساطة ان هناك تعارض شديد وتضارب بين رؤى القوى العربية والرؤى الإقليمية المؤثرة خاصة الإسرائيلية، والإيرانية، نتيجة التعارضات والتصادمات السياسية، بمعنى آخر يمكن أن نجد أمنا اقليميا في حالة وجود نشاطات ايجابية في العلاقات البينية لدول الاقليم، وبما يحقق الامن الاقليمي وأمن كل دولة، وهذا لم يتحقق في الشرق الاوسط.

وفي السياق نفسه معروف في أدبيات السياسة الدولية ان النظام العالمي تشكله الأنظمة الإقليمية، وان هذه الأنظمة تختلف من حيث الأهمية العالمية، ويمكن الاستدلال بسهولة لدرجات هذه الأهمية من خلال درجة الاهتمام العالمي بها، فضلا عن تدخل الأمم المتحدة من خلال مجلس الامن تحديدا، والقرارات المتخذة بشأن قضاياه. وعلى هذا الأساس يأتي إقليم الشرق الأوسط في قمة الأنظمة الإقليمية من حيث الأهمية، ومن حيث التدخل الاممي في شؤونه الداخلية. ومما لاشك فيه أن منطقة قلب الشرق الأوسط، هي الأهم عالميا، كونها الاغنى عالميا بمصادر الطاقة لتوافرها على ثلثي الإنتاج العالمي من البترول، وأكبر احتياطي عالمي من هذه السلعة الحيوية، وسيبقى محافظا على هذه المرتبة مستقبلا، اذ لا توجد منطقة اخرى تنافسه على ذلك، فضلا الى موقعة الجغرافي والجيوبولتيكي، كونه يتوسط خارطة العالم من جهة، ولسيطرته

[1] حليمة بوزناد، تأثير الاقليات على الامن الاقليمي في منطقة الشرق الاوسط : اكراد سوريا انموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي التبسي تبسه، الجزائر ، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، 2016 , ص 21.

[2] نفس المصدر ، ص 23 .

على الملاحة الدولية من خلال المضائق والقنوات ، كقناة السويس، ومضيق باب المندب، ومضيق هرمز. لذا كان مفهوم الامن الشرق أوسطي والاستقرار فيه مرتبطا ارتباطا وثيقا بمصالح القوى العالمية المتحكمة بالسياسة الدولية، وان الحديث عن أمن واستقرار الشرق الاوسط في اطار الاستقلال واحترام السيادة لدوله، وعدم التدخل بالشؤون الداخلية فيها، وحقوق الانسان ، وغيرها انما هي زيف شعارات وعناوين تتستر به القوى الكبرى بهدف انجاز أهدافها ومصالحها، بدليل ما قامت به الولايات المتحدة بشكل واسع، وروسيا على نحو أضيق في الشرق الأوسط من تقتيل وتهجير الملايين، وانتهاك سيادة دول واحتلالها، وزرع الفتنة بين مكونات الشعب الواحد. لذا اعتقد من الصعوبة بمكان ان نجد مفهوما محددا للأمن الشرق اوسطي، إذ هناك مفهوما عربيا، واخر إيرانيا، وإسرائيليا، وتركياً، وكما هو الحال بالنسبة للقوى الكبرى التي هي الأخرى لها رؤى أمنية مختلفة لهذه المنطقة الحيوية عالميا، فكان ذلك عاملا رئيسيا في عدم استقرار هذا الإقليم، وجعله في المرتبة الادنى في مؤشر السلام العالمي، ليشهد اكبر تدهور في السلام والامن في عام 2015، ولحد الان مع تصاعد الحروب الأهلية فيه[3].

1-3: الأهمية الأمنية للشرق الأوسط

في الوقت الذي يشكل إقليم الشرق الأوسط أهمية اقتصادية معروفة لما يتوافر عليه من كميات كبيرة من مصادر الطاقة الرئيسية النفط والغاز، فهو في الوقت نفسه يشكل أهمية أمنية عالمية، ويكفي هنا ان نشير الى نقطتين أساسيتين، **الأولى**: يتمتع هذا الإقليم بخصائص جيوستراتيجية وجيوبولتيكية انطلاقا من النظريات الجيوبولتيكية بسبب الموقع الجغرافي المتميز، احتلاله مكانة في نظرية قلب الأرض لماكندر، اذ اعتبره جزءاً من قلب العالم الذي يشمل روسيا الاوربية واسيا الوسطى، وكذلك الهلال الداخلي المحيط بمنطقة القلب[4].كما أعطى ماهان في نظريته القوة البحرية المنطقة أهمية استراتيجية، لموقعها البحري المحيط بمنطقة القلب، وبذلك فهي المسيطرة والمهيمنة على منطقة الريملاند ويقصد بها المناطق البرية والبحرية وتشمل الجزيرة العربية والعراق وايران وافغانستان وعلل ذلك بكون المنطقة كانت النواة التي انطلقت منها الجيوش المختلفة للتوسع والتوغل في وسط وجنوب أوروبا وعمق اسيا الوسطى[5]. وعدّ سبيكمان الريملاند الحاجز بين القوى المتصارعة البرية والبحرية. **الثانية:** ان منطقة الشرق الأوسط قد تكون أهم المناطق في العالم بالنسبة للأمن والسلم الدوليين والأكثر ارتباطا بهما، بدليل أن اكثر القرارات التي اتخذها مجلس الامن الدولي بشأن ما يحدث في هذه المنطقة تتخذ على وفق الفصل السابع من الميثاق وربط هذه الاحداث بالأمن العالمي على انها تهدد الامن والسلم الدوليين، كما حصل في العراق 1990 والحرب ضد الارهاب التي قادتها الولايات المتحدة الامريكية بعد العام 2001 , والتدخل في العراق 2003, ومع ايران بعد عام 2003 في برنامجها النووي, والوضع في السودان

[3] ينظر: أحمد عبد العليم، دول الشرق الأوسط على مؤشر السلام العالمي، مركز المستقبل للأبحاث للدراسات المتقدمة، 2015, 18 تموز 2015، في: (26/12/2019)https://futureuae.com/ar-/Mainpage/Item/279

[4] محمد زباري مؤنس، "الاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط بعد انتهاء الثنائية الدولية (دراسة في الجغرافية السياسية)" ، مجلة آداب البصرة ، العدد68 (العراق: 2014), ص 305-306.

[5] نفس المصدر، ص 305-306.

والصومال، فقد اتخذ مجلس الامن في العام 2019 على سبيل المثال (52) قرارا , كانت حصة الشرق الأوسط منها بحدود النصف, وفي العام 2020 اتخذ المجلس (58) قرارا من بينها (34) قرارا يخص الشرق الاوسط[6].

2: عوامل عدم الاستقرار في الشرق الأوسط

ثمة مجموعة من الإشكاليات الإقليمية والدولية التي تشكل عوامل عدم استقرار في الشرق الأوسط، سنتطرق اليها باختصار:

2-1: وجود اسرائيل واشكالية الصراع العربي الإسرائيلي

يعد هذا العامل هو الأهم بين عوامل عدم الاستقرار، ويعد الصراع العربي-الإسرائيلي من أطول الصراعات في تأريخنا المعاصر والممتد على طول أكثر من سبعين عاما، تخللتها العديد من الحروب، ومازال هذا الصراع دون حل ، وانكار لحقوق شعب شرد من ارضه وهو الشعب الفلسطيني. وقد كان للقوى الكبرى دور في إيجاد إسرائيل في قلب الشرق الأوسط والدفاع عنها والمشاركة معها فعليا في صراعها، ونذكر هنا بريطانيا، وفرنسا، ومن ثم الولايات المتحدة الامريكية، التي لم تطرح مبادرة او مشروع للمنطقة ، الاّ وأعطت الأولوية للمصالح الإسرائيلية على حساب مصالح الأطراف العربية.

ان استمرار إسرائيل بسياسة القمع والتطهير العرقي والاستيلاء على أراضي الفلسطينيين، واستمرار انشاء المستوطنات، والعمل على تشكيل الدولة اليهودية النقية، او ما عرف بنقاء الدولة كلها عوامل تزيد من عدم الاستقرار الإقليمي. وفوق كل ذلك يأتي البرنامج النووي الإسرائيلي، وامتلاك السلاح النووي ليشكل هو الاخر عامل لزعزعة الاستقرار، اذ ان عدم انضمام إسرائيل لاتفاقية نزع الأسلحة النووية ، وعدم اعترافها بقرار مجلس الامن (687) لسنة 1991 الذي أشار الى ضرورة اخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل ، دفع ذلك دولا مثل ايران للسعي للحصول على السلاح النووي، ومن قبل كان العراق قد سعى لذات الهدف وما حصل للعراق ويحصل لإيران صورة واضحة ومعبّرة لمشهد استمرار عدم الاستقرار في المنطقة.

2-2: الصراع الاقليمي على النفوذ:

من أسباب عدم الاستقرار في الشرق الأوسط أيضا شدة التنافس إقليميا بين القوى الإقليمية الفاعلة، ايران، تركيا، السعودية، وإسرائيل، والذي وصل حد الصراع، اذ تسعى كل قوة لتنفيذ مشروعها ورؤيتها في الشرق الأوسط ، والبروز كقوة إقليمية رئيسية ومهيمنة. باختصار شديد تحاول السعودية ان تكون دولة فاعلة بما تتمتع به من مكانة عربية وإسلامية، وقيامها بالعديد من المبادرات ، وبما تمتلك من علاقات مع الولايات المتحدة، لذلك هي وجدت نفسها بالضد من

[6] ينظر موقع منظمة الأمم المتحدة على الشبكة العنكبوتية: https://www.un.org/securitycouncil/ar/content/resolutions

المشروع الإيراني. أما تركيا فقد عادت لتكون لاعباً مهماً في الشرق الأوسط، فبعد عقود من عدم الاهتمام التركي بالشرق الأوسط تعيد اليوم تركيا دورها لاعباً نشطاً في هذه المنطقة، لتصبح إحدى أهم القوى فيها، ليس فقط بحكم موقعها وإنما بحكم قوتها الاقتصادية المتنامية، ويستند تنامي الدور التركي إلى نظرية " العمق الاستراتيجي " وأنَّ موقع تركيا وتاريخها قد منحها حرية كبيرة في الحركة الاقليمية في ضوء علاقاتها الاقليمية الجيدة عربيا واسلاميا، وهو ما اطلق علية بالعثمنة الجديدة ، وقد نجحت بأن تؤسس لها تواجدا عسكريا في أكثر من منطقة في الشرق الأوسط. أما ايران فمما لاشك فيه ان الاحداث التي شهدتها المنطقة وخاصة احتلال العراق في العام 2003 شكلت فرصة ذهبية لإيران للانطلاق في بسط نفوذها في الشرق الأوسط وتحقيق حلم تصدير الثورة الذي أعلِن عنه منذ العام 1979، وتحقيق مشروع (الاستراتيجية الوطنية -نظرية أم القرى-)، الذي يمنح ايران القدسية باعتبارها ام القرى ووجوب الدفاع عنها، كما يمنحها الحق في التوسع اقليميا . واليوم ايران تتمتع بتواجد عسكري وسياسي في هلال شيعي يمتد من العراق، سوريا، لبنان، واليمن، فضلا عن تأثيرها خليجيا . هذا التوسع الإيراني جوبه باعتراض إقليمي ودولي، مما ادخل ايران في صراع ومواجهات عسكرية مع السعودية والولايات المتحدة. أما إسرائيل فهي تنطلق ظاهريا في مشروع شمعون بيريز " الشرق اوسطية " الذي يرى أنَّ المشكلة الفلسطينية لم تعد هي المشكلة الوحيدة في الشرق الأوسط، وأنَّ مشاكل أخرى تتعلق بالتنمية والفقر والبطالة أفضت إلى ظهور التطرف، ويرى بيريز أنَّ على دول المنطقة أن تنصرف إلى التعاون في معالجة هذه المشاكل، واقتراح إقامة منطقة إقليمية للتعاون تجمع دول المنطقة بعيداً عن القومية، وإيجاد نظام إقليمي للرقابة والرصد مؤطر بتحالف إقليمي سياسي قادر على فرض هيبته يكون السلام وسيلة لحفظ الأمن، وأنَّ تحقيق ذلك مشروط بإقامة مشاريع مشتركة. في حين ان مشروع إسرائيل الحقيقي هو الرهان على الزمن لتحقيق عدة أهداف منها فرض مزيد من الامر الواقع خاصة في التوسع بإنشاء المستعمرات على الأراضي الفلسطينية، ومزيدا من التفتيت والتشرذم العربي، وكل هذا يتم بدعم امريكي كبير، والهدف ان تكون إسرائيل القوة الإقليمية الأقوى التي تمتلك السلاح النووي وحدها في الشرق الاوسط، والبروز كقوة اقليمية كبرى مهيمنة على الشرق الاوسط.

2-3: الطائفية الاقليمية

ظهرت بوادر هذه ظاهرة بشكل كبير بعد الإحتراب الطائفي في العراق بعد العام 2005 نتيجة الاقتسام الطائفي في العراق بعد العام 2003, وظهور المحاصصة الطائفية في النظام السياسي, ثم انعكس بشكل مقيت على المجتمع ليشهد العراق تقسيما طائفيا واضحا تمثل باقتتال طائفي لم يشهد له العراق مثيلا من قبل, ومنذرا بحرب أهلية , وما أن اندلعت الازمة السورية في العام 2011، وانخراط ايران بشكل فعّال فيها الى جانب النظام السوري حتى خرجت هذه الظاهرة من حدودها الوطنية لتفرز عن جبهتين **الأولى** شيعية متمثلة بإيران وسوريا والعراق، **والثانية** سنية متمثلة بتركيا والسعودية ودول الخليج ومصر، هذا الانقسام الطائفي أشعل المنطقة بصراع وحروب اخذت شكلا طائفيا ظاهريا وباطنيا، أكملت حلقاتها الازمة اليمنية التي أوضحت وأثبتت وبشكل لا يقبل اللبس هذه الظاهرة التي نعيش نتائجها لحد الان.

2-4: سباق التسلح الإقليمي

يُعد الشرق الأوسط من أكبر المناطق في العالم التي تشهد سباقا للتسلح ، خاصة بين الدول العربية وإسرائيل وايران، وبدون الدخول في تفاصيل الاتفاقات العسكرية لدول المنطقة سنكتفي هنا بما كشفه معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام من أن تجارة الأسلحة في العالم نمت في السنوات الأخيرة بنسبة (10%), وان (32 %) من تجارة السلاح العالمي ذهبت الى الشرق الاوسط خلال المدة 2013 -2017, وذكر المعهد في تقريره السنوي الذي نشر في آذار 2018 أن معظم دول المنطقة متورطة في نزاعات مسلحة في المنطقة وتنافس استراتيجي، تدفعها نحو سباق التسلح[7]. أن مايقلق في هذا الموضوع ليس في استراد الاسلحة وتخزينها حسب، وانما لاستخدامها فعليا داخل حدودها أو مع دول اخرى داخل الاقليم.

ويرى محللون في المعهد البريطاني للدفاع " **آي.اتش.اس جينز** "، إن الإنفاق على التسلح في الشرق الأوسط سيبدأ في الارتفاع مرة أخرى، بعد تراجعه جراء انخفاض أسعار البترول، وأن الإنفاق على الدفاع في المنطقة ،سيرتفع إلى(180) مليار دولار حتى عام 2022[8].

2-5 :إشكالية الامن الإنساني

لا شك ان أي تهديد لحياة الانسان أو نشاطاته سيؤثر على الدور الذي يؤديه، وبالتالي سيكون التأثير شاملا على استقرار المجتمعات والدول، ولذلك أصبح الأمن الانساني مدخلاً جديداً للأمن وعاملا مهما في استقرار وعدم استقرار المجتمعات والدول والاقاليم، ونتيجة للصراعات والحروب التي شهدتها وما تزال تشهدها منطقة الشرق الأوسط، ونتيجة للسياسات الخاطئة للحكومات، فقد لعب هذا المتغير دورا مهما في عدم استقرار المنطقة، اذ تهدد رأس المال البشري في عدة دول من الشرق الأوسط في سلمية حياته، ومنعه من تأدية دوره الانساني بحرية سواء تهديد حياته، أو الضغط عليه قسراً، أو نفيه وتهجيره من موطنه الأصلي. ويكفي هنا ان نذكر العنف المستشري في سورية ونتائجه الكارثية على الحياة. وفي اليمن ايضا، وقبله في فلسطين والعراق. وكان من نتائج ذلك أن دمرت مدن بالكامل أو هُجِر سكانها ليشكلوا عبئا على مدن ودول أخرى، وكثرت الهجرة غير الشرعية الى اوربا التي لم تخفِ مخاوفها من انتشار الإرهاب الى أراضيها.

2-6: التصارع الإقليمي-الدولي

ونقصد به الصراع بين قوة إقليمية وأخرى دولية، ومنذ العام 1990 يعيش الشرق الأوسط لحد الان هذا الصراع، وكان طرفاه في البدأ العراق كقوة إقليمية، والولايات المتحدة على خلفية الاجتياح العراقي للكويت الذي شكل مبررا للولايات المتحدة للتمسك واتخاذه الحجة ضد العراق، سيما ان ما مؤشر ضد العراق أمريكيا كثير، منها اعتراض العراق على التواجد الأمريكي في المنطقة ومناهضته للهيمنة الامريكية، والدعم الكبير الذي يقدمه العراق للفلسطينيين بهدف رفع المقاومة

[7] محمد عبد الله يونس، الملامح الرئيسية لاتجاهات التسلح في الشرق الأوسط، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 16نيسان 2019، في: (26/8/2019) https://futureuae.com/archive.php/Release/ReleaseArticle/98/new-arms-race

[8] albayyna-new.net/content.php?id=571

الفلسطينية ضد الإسرائيليين، فكان هذا كافيا أن تثبت الولايات المتحدة النظام العراقي السابق كعدو رئيس في المنطقة ، والدخول معه في حربين كبيرتين الأولى انتهت بإخراج القوات العراقية من الكويت وتدمير قدراته، والثانية انتهت باحتلال العراق من قبل القوات الامريكية، واسقاط النظام السياسي وتأسيس لنظام سياسي جديد. واليوم يكاد يعيد التاريخ نفسه بين الولايات المتحدة وايران المناهضة للهيمنة الامريكية وتواجدها العسكري في المنطقة، وعدائها لإسرائيل، والداعمة لحزب الله وحماس، فضلا عن ذلك سعي ايران لامتلاك السلاح النووي. كان نتاج هذا الصراع مزيدا من قرارات مجلس الامن بموجب الفصل السابع ضد ايران، وحصار اقتصادي خانق، والمؤشر الأهم هو وقوع عمليات عسكرية ضد مواقع أمريكية من قبل فصائل عسكرية موالية لإيران، وهو مؤشر مهم في عدم الاستقرار في المنطقة.

2-7: تنافس الدول الكبرى واشكالية الصراع على النفوذ

سيتم التطرق عنه في القسم الثالث من خلال رؤى هذه القوى للأمن والاستقرار في الشرق الاوسط.

2-8: اشكالية الارهـــــاب العالمي

يعتقد الباحث ان موضوع الارهاب الذي تم لصقه بالإسلام، انما جاء على وفق تخطيط التيار اليميني المتصهين في الولايات المتحدة وبدفع من الصهيونية العالمية، والهدف تشويه صورة الاسلام، فبعد انتصار الرأسمالية على الشيوعية، وما أذاعوا عن نهاية التاريخ، وجد هذا التيار ان الساحة باتت خالية من أي عدو تتطارح معه الولايات المتحدة، فاخترعوا كذبة صراع الحضارات، ورشحوا الاسلام كعدو، على وفق الاحتراف الامريكي في صناعة العدو فكانت من اهم حلقاته اعتداءات 11 سبتمبر 2001، لتشن بعدها الولايات المتحدة حملاتها العسكرية التي أفضت في النهاية احتلال افغانستان والعراق في غضون عامين من الاحداث. ولعل اللافت للنظر في التبريرات لاحتلال العراق والتي لم يتم التركيز عليها اعلاميا وسياسيا بشكل كبير، هو تجميع الارهاب في الشرق الاوسط للقضاء عليه، وهنا كانت الولايات المتحدة صادقة في تجميع الارهاب في منطقة مهمة جدا من العالم والشرق الاوسط، وتم اختيارها بعناية فائقة العراق وسوريا، وقرب ايران وعلى حدود الجزيرة العربية والخليج العربي، وبذلك ضمنت الولايات المتحدة تواجدا عسكريا مكثفا في المنطقة وتحديدا في مناطق انتاج البترول واليوم هي متواجدة فعليا في كل دول الخليج والعراق، وأمنت لإسرائيل انشغال اكبر قوتين عربيتين معادتين لإسرائيل والتي تعرف بالجبهة الشرقية لإسرائيل وهما العراق وسوريا بأوضاعهما الداخلية والاقتتال الداخلي فيهما، والعمل على تفتيتهما على قاعة سياسة التفتيت التي تريدها اسرائيل للمنطقة. فضلا عن التهديد بهذا الارهاب لدول الخليج للابتزاز والرضوخ للمطالب الامريكية، وكان اخرها موضوع التطبيع مع اسرائيل، وكذلك التواجد على مقربة من ايران المتطلعة للتوسع اقليميا والعمل على تحجيم هذا التوسع. المهم في كل هذا أن الولايات المتحدة هي المتحكمة في تحريك هذا الارهاب في المنطقة ، ان ارادت اظهاره أو السماح له بالظهور، كما في حالة "داعش" واحتلال اجزاء كبيرة من العراق وسوريا، وان شاءت

خبأته لتعلن انتصارات عليه ، ولغرض تقليل تكاليف مجابهة هذا الارهاب عملت الادارة الامريكية على اشراك دول اخرى في المواجهة، فأنشأت تحالفا دوليا لذلك والاظهار للعالم ان الحرب ضده مسئولية الجميع .

2-9: التدخلات العسكرية وضعف دور الامم المتحدة

لقد كان للأمم المتحدة دورا ضعيفا في جل أزمات الشرق الاوسط بدأ من مسألة إدارة الصراع العربي-الإسرائيلي والتغاضي عن التجاوزات الإسرائيلية، وعدم منح الفلسطينيين حقوقهم ومن ثم احتلال العراق الذي جاء من خارج قرارات مجلس الامن، ومن ثم شرعنة هذا الاحتلال على وفق رغبة المحتل. ، وعجز المنظمة الدولية في حل الأزمات المتلاحقة في سوريا واليمن وليبيا، وما زاد من التهديدات الأمنية هو ظاهرة زيادة التدخل العسكري المباشر للقوى الكبرى. وخاصة الولايات المتحدة وروسيا، مما زاد من ظاهرة عدم استقرار المنطقة.

مخطط (1)

اسباب عدم الاستقرار في الشرق الاوسط

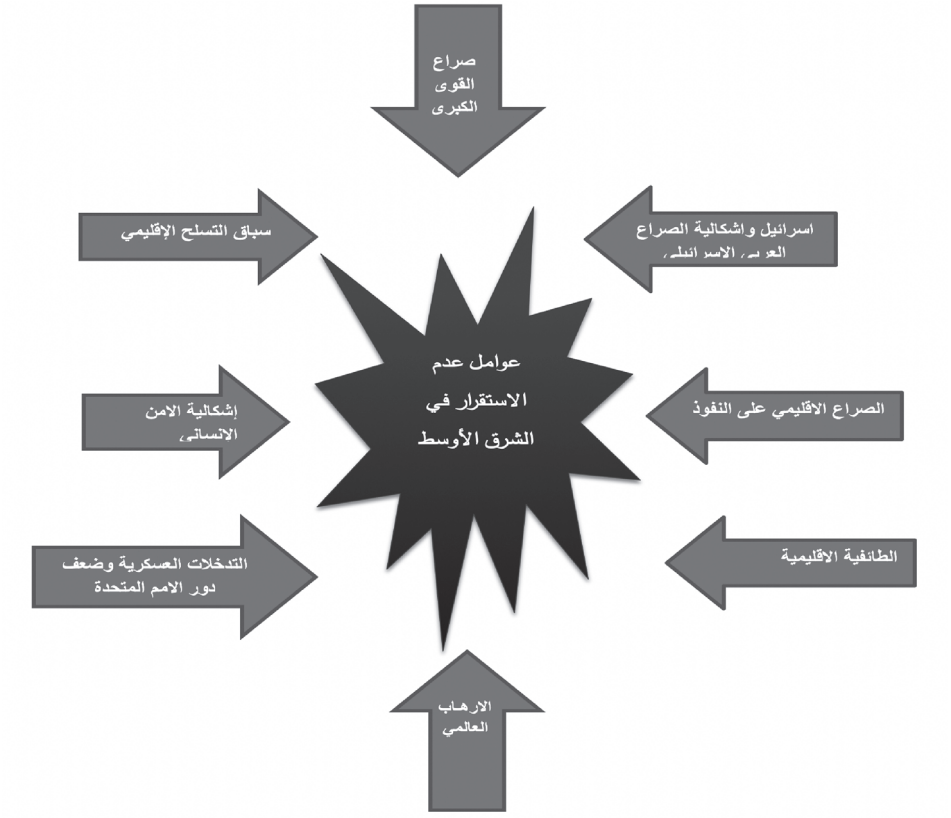

3: الرؤى الدولية للأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط

في هذا القسم سيتم التركيز بشيء من التفصيل على الرؤى الدولية لموضوع الامن والاستقرار، والتركيز على الرؤيات الامريكية، الروسية، الأوربية، والصينية.

3-1: الرؤية الامريكية

لقد وجد الفكر الاستراتيجي الأمريكي أهمية للشرق الاوسط بالنسبة للأمن القومي الامريكي ووجوب التواجد فيها للحيلولة دون سيطرة دولة اخرى عليها، وقد عبّر بريجنسكي عن اهمية هذه المنطقة بأنها منطقة أزمات وتشمل الاراضي الواقعة من باكستان وافغانستان والجزيرة العربية ومصر والسودان والصومال واسماها (قوس الازمات)[9]. لذا ظلت الولايات المتحدة اللاعب الأكبر في كل شؤون المنطقة منذ الحرب العالمية الثانية ولحد الان، وهي موجودة في كل قضاياه وأزماته، وباتت تحدد الأصدقاء والاعداء، ومنْ هي الدول المارقة والحليفة، وهي منْ تحدد منْ هو المهدد للأمن والاستقرار في المنطقة والعالم ، وبالتأكيد هذه الرؤية الامريكية تنطلق من مصلحتها بالدرجة الأساس، ومصلحتها هي :

- عدم تهديد الأنظمة الحليفة.
- الحفاظ عل أمن إسرائيل ودوام تفوقها الإقليمي.
- القضاء على الأنظمة المعادية للسياسة الامريكية ووجود إسرائيل.
- تأمين منابع النفط وخطوط امداداته.
- منع القوى الكبرى من السيطرة عليه.

وعدت هذه ثوابت للسياسة والاستراتيجية الامريكية في المنطقة وأي خرق لها فإن ذلك معناه تهديد للمصالح الامريكية، ولكن ليس بالضرورة تهديد للأمن والاستقرار في الشرق الاوسط

بمعنى ان الولايات المتحدة هي من تقرر ما هو تهديد للشرق الاوسط والامن والسلم العالميين من عدمه والأدلة على ذلك كثير نذكر منها:

- رغم كل الممارسات القمعية التي تقوم بها إسرائيل ضد الفلسطينيين ومنع قيام الدولة الفلسطينية المستقلة، كانت الولايات المتحدة الدولة الأكثر معارضة في اتخاذ قرارات أممية لنصرة القضية الفلسطينية، وكانت أكثر الدول لاستخدام حق النقض الفيتو في مجلس الامن.
- في الحرب العراقية - الإيرانية التي استمرت ثمان سنوات، والتي كانت تشكل تهديدا كبيرا على الشرق الاوسط، الا أنه لم يتم التدخل بموجب البند السابع لإيقاف هذا التهديد الخطير، لان هناك مصلحة وهدف امريكي-إسرائيلي هو انهاك وتدمير قوتين مناهضتين للطرفين الأمريكي والاسرائيلي.

[9] محمد زياري مونس، مصدر سبق ذكره، ص307.

- عندما اجتاحت القوات العراقية الكويت كان اسرع رد فعل من الولايات المتحدة، لأن ذلك هدد حليف لها ولمصالحها، ولم تسمح الأخيرة من حل الازمة عربيا، فأسرعت بتدويل الازمة، واتخاذ سلسلة من القرارات السريعة من قبل مجلس الامن، بموجب الفصل السابع، وما لبث ان قادت تحالفا دوليا لإخراج العراق من الكويت، ثم ما لبثت في العام 2003 من اسقاط النظام العراقي الاكثر عداءا لإسرائيل والهيمنة الامريكية.

كان دور الولايات المتحدة ضعيفا في الازمتين السورية واليمنية، ولم يتم التدخل الاممي بموجب البند السابع لأن الدولتين لم يكن فيهما تهديد للمصالح الامريكية، من جانب ومن جانب اخر فيه اضعاف وانهاء الجبهة الشرقية التي كانت تهدد إسرائيل بعد انهاء القوة العراقية.

عندما انكشف امر البرنامج النووي الإيراني اسرعت الولايات المتحدة الى اتخاذ موقف متشددة متشدد في مجلس الامن وخارجه واستصدار مجموعة من القرارات بموجب البند السابع ، وعدم استبعاد الخيار العسكري والوقوف الى جانب اسرائيل في اتخاذ جميع التدابير ضد النشاطات النووية الإيرانية.

من هنا يمكن أن نفهم مغزى أن ما هو مفيد للولايات المتحدة ويحقق مصالحها فهو بالضرورة مفيد للعالم، ولكن العكس غير صحيح.

ان جميع النشاطات العسكرية الامريكية منذ حرب افغانستان 2001, ومن ثم حرب العراق 2003، وما رفقهما من انتشار عسكري أميركي في دول الشرق الأوسط، وعقد الاتفاقيات الأمنية، وإقامة قواعد في بعضها، تحت شعار الحرب على "الارهاب" كلّها كانت أعمالاً عسكرية من أجل خدمة رؤية سياسية لها مضامين أمنية واقتصادية، يمكن تلخيصها بالآتي:

1 استمرار الولايات المتحدة بقيادة السلام في الشرق الاوسط، واستمرار الدعم للدول الحليفة.

2 السيطرة على الصراعات المسلحة في المنطقة المهددة للأمن والسلم الدوليين. وردع أي قوة اقليمية مناهضة للسياسة الامريكية في المنطقة.

3 تأمين المصالح الامريكية في المنطقة وخاصة تلك المتعلقة بالاقتصاد والامن الأمريكيين

4 القدرة على التدخل والرد لمواجهة أية أحداث تؤدي إلى الإخلال بما هو مرسوم في المنطقة على وفق الرؤية الامريكية.

5 إيجاد هويّة "شرق أوسطية" كإطار جامع لبلدان المنطقة كبديل لهُويّتها العربية، وانهاء ما هو قومي عربي، بهدف اشراك فعّال لإسرائيل في "الشرق الأوسط الجديد أو الكبير" لإتمام ما يُعرف بـ "صفقة القرن". وبذلك تغيب الهويّتان العربية والإسلامية عن أيِّ تكتّل إقليمي ، فيما يكون لإسرائيل الدورٌ الفاعل بعموم المنطقة.

مخطط رقم (2)
الرؤية الامريكية للأمن والاستقرار في الشرق الاوسط

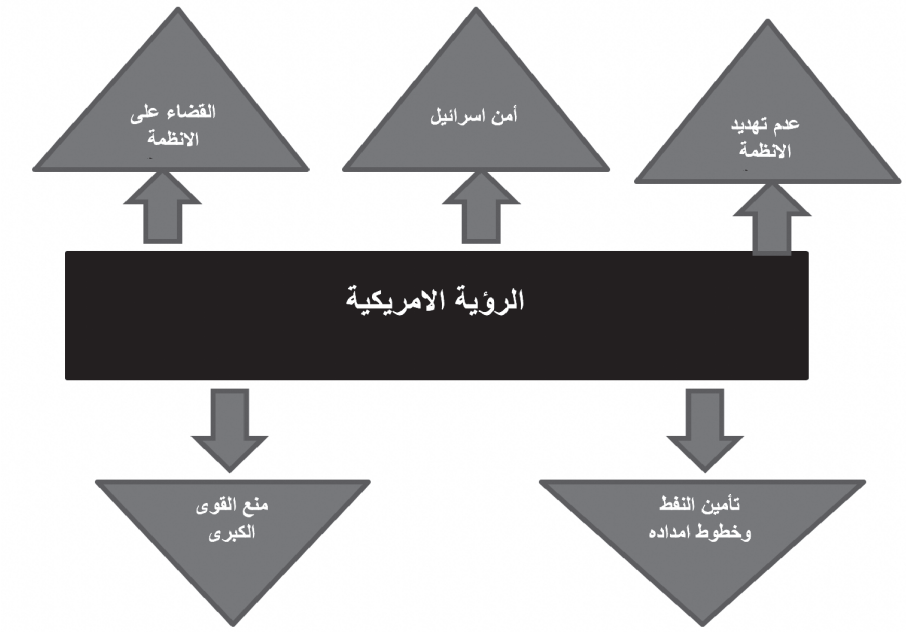

أمثلة على وجهة النظر الامريكية لمهددات الامن في الشرق الاوسط

الأحداث المهددة للأمن الشرق اوسطي (وجهة نظر الباحث)	وجهة النظر الامريكية	الدليل والاجراءات
الممارسات القمعية التي تقوم بها إسرائيل ضد الفلسطينيين	غير مهددة دعم اسرائيل	عدم اتخاذ اي اجراء ومنع قيام الدولة الفلسطينية
الحرب العراقية-الايرانية	غير مهددة ، اضعاف القوتين العراقية والايرانية	لم يتم التدخل بموجب الفصل السابع
اجتياح القوات العراقية للكويت	مهددة جدا	التدخل بموجب الفصل السابع استخدام القوة العسكرية وانتهت باحتلال العراق
الأزمتين السورية واليمنية	غير مهددة	لم تكن هناك جدية لحل الأزمتان ولم يتم التدخل بموجب البند السابع (انهاء الجبهة الشرقية المعادية لإسرائيل)
البرنامج النووي الايراني	مهددة جدا	التدخل بموجب البند السابع

مخطط رقم (3)
الاهداف الامريكية

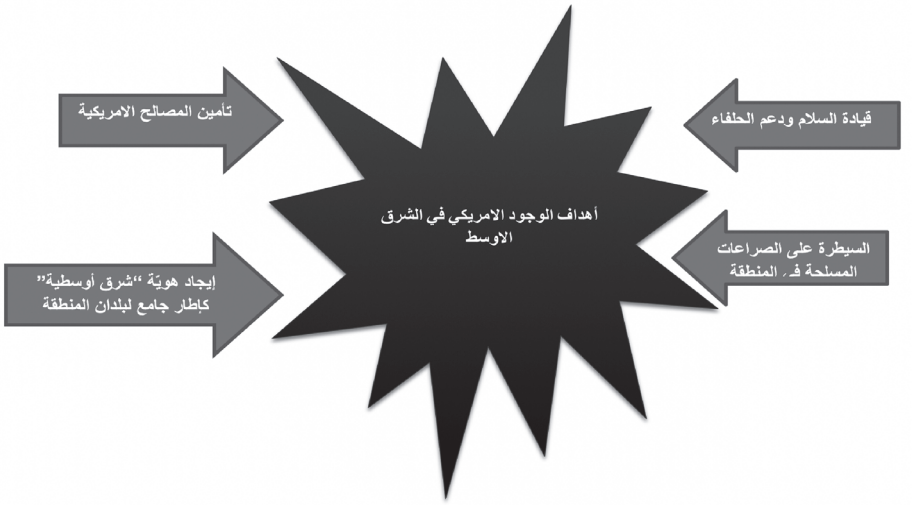

3-3 : الرؤية الروسية

كان وصول فلاديمير بوتين إلى الحكم في ديسمبر 2000 بمثابة نقطة تحول في السياسة الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسط, وبالأخص في الفترة الثانية من حكمه التي بدأت في عام 2004, إذ بدأت روسيا تتقرب من الشرق الأوسط بأساليب جديدة, فقام الرئيس بوتين بزيارتين إلى المنطقة في 2005 و 2007، الأمر الذي ساهم في إعطاء انطباع بأن الروس قادمون، وأن محاولات إحياء الدور الروسي في المنطقة أمر لا مفر منه ولا يحتاج لجدال، وأن هناك حربًا باردة جديدة بدأ الروس يحضرون لها في الشرق الأوسط[10]. ويؤكده الاصرار الروسي على التواجد العسكري في المنطقة من خلال القضية السورية واستمرار التزام ودعم النظام السوري، وبالتالي مزاحمة النفوذ الأمريكي، وعقد شراكات اقتصادية مع دولها، بما فيها ابرام عقود لتوريد الأسلحة اليها[11].

وثمة جملة من المصالح الكبرى والأساسية التي تحدد الرؤية والسلوك الروسي في منطقة الشرق الأوسط وهي:

1 العمل على مشاغلة وإنهاك الولايات المتحدة استراتيجيًّا عن طريق مزاحمتها في المنطقة وذلك عن طريق استدراج الولايات المتحدة في مشاغبات على أكثر من ساحة واحدة في الشرق الأوسط ، وذلك نابع من إدراك روسيا بأنه سيأتي الوقت لإعادة حساب موازين القوى العالمية ، برغم إدراك الروس بأنهم لا تستطيعون معادلة القوة العسكرية، أو الاقتصادية الأمريكية في المنطقة في أي وقت قريب، فإنها مع ذلك

[10] George Friedman، «Russia's: Window of Opportunity»، Stratfor Global Intelligence (21 Aug 2007)،https://worldview.stratfor.com/article/russias-window-opportunity

ترفض أن تظل قوة عالمية من الفئة الثانية وتصر على ضرورة إعادة تشكيل ميزان القوى العالمي[12].

2 أهمية الشرق الاوسط كونه يشكل الحزام لآسيا الوسطى والقوقاز كونهما مناطق نفوذ لروسيا لا تريد لأحد منافستها فيهما.

3 اهتمام روسيا بكل ما يشغل ويزعج الولايات المتحدة في الشرق الاوسط، لذا فهي مستمرة في دعم ومساندة النظام السوري من جهة، ومن جهة أخرى توثيق علاقاتها بإيران التي تشغل الولايات المتحدة كثيرا في المنطقة. مع الاخذ بعين الاعتبار أن هناك من المسؤولين الروس من يرى ان مصلحة الامن القومي الروسي تعتمد على دول الجوار وليس الولايات المتحدة [13]، لذا وجدوا ضرورة التعاون الأمني مع إيران، إذ رأت في الاخيرة قوة إقليمية مؤثرة في محيطها، وتتطابق رؤيتها معها في كثير من القضايا في المنطقة، توج بتوقيع مذكرة تفاهم للتعاون الأمني بين البلدين في العام 2014 .

4 تأمين المصالح الاقتصادية الروسية، وخاصة تلك المتعلقة بالوصول الى أسواق المنطقة، والمنافسة مع الولايات المتحدة والصين، وبنفس الوقت العمل مع الدول المنتجة للنفط للتوافق بشأن انتاج البترول والغاز. في العام 2016 أقام مركز راند الامريكي ورشة عمل بمشاركة مختصين روس، خلصت الى ان السياسة الخارجية الروسية في الشرق الاوسط يحركها البراغماتية في تحقيق المكانة، والتجارة، والاستقرار الاقليمي[14].

5 أمنية ذات شقين **الأول**: المشاركة فيما يسمى الحرب على الإرهاب والعمل على منع وصوله الى روسيا واسيا الوسطى والقوقاز، خاصة في ظل تنامي الحركات الإسلامية التي ترى فيها روسيا خطرا على أمنها القومي، تضمنته العقيدة العسكرية الروسية الجديدة الصادرة في ديسمبر 2014، التي ركزت على المخاطر الخارجية المهددة للأمن الروسي، وفي مقدمتها تزايد التطرف والاعمال الإرهابية، سيما أنها عاشت التجربة في الشيشان. **والثاني**: أن ترتبط باتفاقيات أمنية وتحالفات مع دول المنطقة وأن تكون مورد مهم للسلاح لهذه الدول.

تحاول روسيا أن تظهر نفسها بأنها يمكن ان تلعب دور في استقرار وتعزيز الامن في المنطقة العربية لذا هي تحاول كلما سنحت لها الفرصة التقارب مع الدول العربية خاصة في فترات الفتور التي تصيب العلاقات العربية-الامريكية، والمشاركة في مؤتمرات ومنتديات تجمع روسيا بالدول

[11] فيودرلوكيانوف، التدخل الروسي في سوريا ضد (داعش)، صحيفة الحياة اللندنية، 2015/11/16.

[12] George Friedman, op.cit.

[13] نجاة مدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة: دراسة حالة سوريا 2010-2014, رسالة ماجستير, الجزائر, جامعة محمد خيضر, بسكره, كلية الحقوق والعلوم السياسية, 2015, ص125.

[14] . Jams sildden, Bacca Wasser,، Russian Strategy in The Middle East. www.Rand.com

العربية أهمها منتدى التعاون العربي- الروسي والحوار الاستراتيجي بين دول مجلس التعاون الخليجي وروسيا، إضافة إلى تبادل الزيارات الرسمية .من جانبه أكد وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف غير مرة وقوف بلاده الى جانب الدول العربية في مجابهة ومحاربة التطرف والارهاب بهدف استقرارها، فضلا عن تأكيده على مواصلة سعي بلاده لمعالجة الازمات التي تتعرض لها الدول العربية وفي مقدمتها الازمة السورية، وبنفس الوقت تحاول روسيا التوازن في علاقاتها مع ايران وعلاقاتها مع دول الخليج العربي وخاصة السعودية ، والعمل على اثبات انها دولة يمكن الاعتماد عليها في منطقة الخليج العربي، في مسألة الامن والدفاع واستقرار المنطقة كون روسيا هي جار للمنطقة، وعضو دائم في مجلس الأمن لذا فهي مهتمة أن تكون أحد ضامني الامن في الخليج العربي[15]. وتنطلق روسيا في رؤيتها لأمن الشرق الاوسط، وتحديدا منطقة الخليج العربي من ضرورة بناء جسور الثقة بين ايران والدول العربية، وهو ما أكد عليه لافروف في الاجتماع الوزاري المشترك الثالث للحوار الاستراتيجي بين دول الخليج العربي وروسيا عام 2014، مشددا على ضرورة تطبيع العلاقات الخليجية-الايرانية وخاصة بين ايران والسعودية[16]. كما انها ترى ان سبب عدم الاستقرار في الشرق الاوسط هو التأثير الامريكي الكبير على التفاعلات الكبيرة فيها ، لذا لابد من تقويض هذا التأثير لتحقيق الهدفين المصلحة والاستقرار. المصلحة الذاتية الروسية باستعادة دور روسيا العالمي، أما الاستقرار في الشرق الاوسط فروسيا تجد فيه أهمية كبيرة بالنسبة لآسيا الوسطى والقوقاز اللتان تتأثران بما يحدث في الشرق الاوسط بسبب المشتركات الجغرافية والدينية.

[15] نجاة مدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة، مصدر سبق ذكره، ص127-129.

[16] نفس المصدر، ص130.

مخطط رقم (4)
الرؤية الروسية

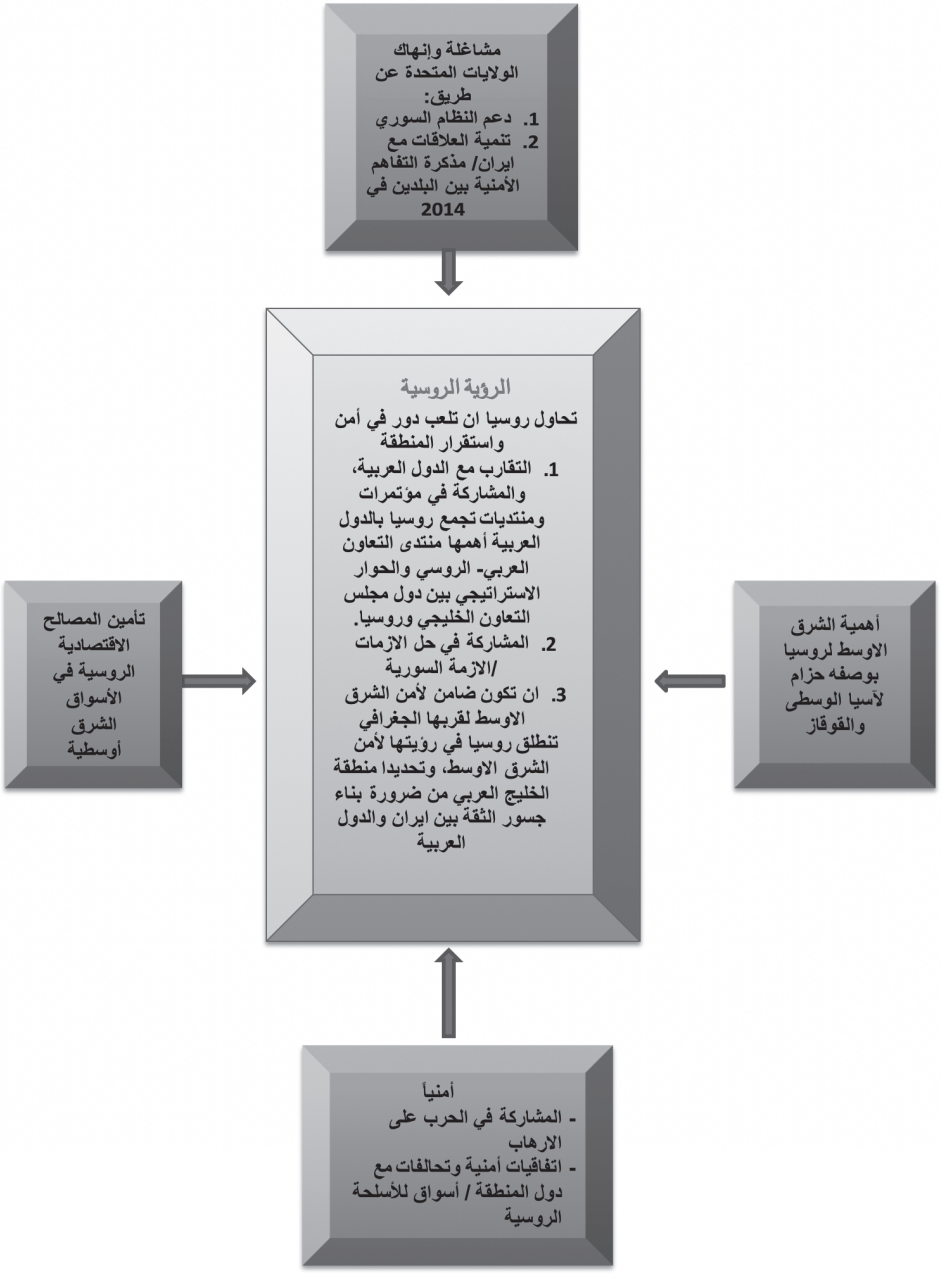

4-3 : الرؤية الأوروبية

انطلاقا من الأهمية الاستراتيجية التي يشكلها الشرق الاوسط وتحديدا منطقة الخليج العربي لأوربا بشكل عام وللقوى الأوروبية الرئيسية (فرنسا، المانيا، والمملكة المتحدة) خاصة، فقد كان موضوع الامن والاستقرار في هذه المنطقة من بين أكبر اهتمامات هذه القوى، والذي تمثلت صورته بأمن واستقرار الخليج، لذا وجدنا تواجدا اوربيا مهما في ملفات كبيرة كان على رأسها الملف النووي الإيراني، والأزمات في سوريا، وليبيا، واليمن، فضلا عن المشاركة في التحالف الدولي ضد الإرهاب.

صدر في كانون اول 2003 وثيقة عن الاتحاد الاوربي بعنوان (استراتيجية الامن الأوروبي) ذكر فيها خمسة تهديدات أمنية رئيسية في منطقة الشرق الاوسط وهي : الإرهاب، اسلحة الدمار الشامل ، الصراع الإقليمي، وفشل الدولة والجريمة المنظمة[17].

ونظرا للارتباط الأوروبي بحلف الناتو مع الولايات المتحدة، وللتطابق في الرؤى الأمنية بين الطرفين، فإن السياسات الأوربية تجاه الشرق الأوسط جاءت متطابقة إلى حد كبير مع الرؤية الامريكية، خاصة فيما يتعلق موضوع أسلحة الدمار الشامل والإرهاب، اذ كان الموقف من النووي الايراني هو التوصل الى حل سلمي لهذه الازمة لذا لعبت الترويكا الأوروبية دورا مهما في اتفاق ال (5+1) في العام 2015, وعارضت بفتور الولايات المتحدة في الغاء الاتفاق من قبل ادارة الرئيس ترامب . كما شاركت بالتحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة ضد الارهاب سيما بعد الهجمات الإرهابية التي تعرضت لها بعض الدول الأوروبية, وزيادة الهجرة غير الشرعية الى أوروبا. ولغرض تعزيز الاهتمام الأوربي بالأمن في الشرق الاوسط اصدر الاتحاد الأوروبي في العام 2003 وثيقة بعنوان(تعزيز شراكة الاتحاد الأوروبي مع العالم العربي)، حددت فيها المبادئ التي يجب ان تحكم علاقات الاتحاد الأوربي مع العالم العربي، وشددت الوثيقة على التشجيع على الاصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والتأكيد على تعميق الحوار السياسي الصريح، ودعت الوثيقة الى اشتراك واسع من القوى والمنظمات التي تؤيد القواعد الديمقراطية، وترفض العنف[18]. وفي العام 2004 صدر التقرير المؤقت بشأن شراكة استراتيجية للاتحاد الاوربي مع حوض البحر المتوسط والشرق الاوسط ، والذي تناول التطورات الجديدة في استراتيجية الاتحاد الاوربي في الشرق الاوسط، وشدد التقرير على الحاجة الى قيام الاتحاد الاوربي بالتشاور مع بلدان الشرق الاوسط بشأن العديد من القضايا منها، الحاجة لحل الصراع العربي-الإسرائيلي، ومعالجة الكثير من المشاكل والشواغل التي لها علاقة بالأمن منها البطالة، التخلف ، واختتم التقرير بتحديد مجموعة من الأهداف من خلال الشراكة منها، انشاء منطقة يسودها السلام والرخاء، حل الصراع العربي-الإسرائيلي، احترام حقوق الإنسان وغيرها[19]. وفي إطار بناء الشراكات مع دول الشرق الأوسط فقد وجد الاتحاد الأوروبي أن الشراكة الاورومتوسطية، والشراكة أو التعاون من اجل المتوسط يمكن لها أن تعمل على

[17] منى يعقوبيان، الترويج للديمقراطية في الشرق الاوسط المبادرات الاوربية، معهد السلام الامريكي، تقرير خاص رقم127 (الولايات المتحدة : تشرين الاول 2004), ص3.

[18] المصدر نفسه، ص10.

[19] منى يعقوبيان، مصدر سبق ذكره، ص11.

معالجة التطرف الديني، أو الحد منها من خلال الدعم الأوربي لدول جنوب المتوسط، وتبادل المعلومات الأمنية حول الشبكات الإرهابية والتصدي لها. وقد اعتمد الاتحاد الأوربي برنامجا للتصدي للإرهاب في الشرق الأوسط بقيمة (17.5) مليون يورو لمدة ثلاث سنوات بهدف تحسين الأمن الإنساني، دعم استقرار المجتمعات ودول المنطقة، ومعالجة أسباب التطرف[20]، كذلك مشروع شراكة أمنية يفسح المجال لثمان دول شرق أوسطية الاستفادة من قدرات الشرطة الأوربية وخبرات الانتربول لتحديد الأفراد والجماعات الإرهابية واعتراضها، من خلال استخدام التكنولوجيا وبناء القدرات وإعداد عمليات مشتركة للشرطة[21].

وحول موقف الاتحاد الأوربي بشأن المتغيرات في الشرق الأوسط، فقد عدّ الاتحاد الأوروبي ان الاستقرار في هذه المنطقة يتطلب إنشاء حكم عادل في العراق، وانتقال سياسي سلمي في سوريا، واستقرار في ليبيا، وهذا كله من شأنه أن يساعد في إيجاد بيئة أمنية مستقرة في المنطقة. من جانبه شدد السيد رودر يشكيسافيتر المسئول عن السياسية الخارجية لمجموعة حزبي الاتحاد الديمقراطي المسيحي/ الاتحاد الاجتماعي المسيحي في البرلمان الألماني، بان السياسة التي ينتهجها النظام السوري ضد شعبه والدعم الذي يتلاقه من ايران يساهم في زيادة مخاطر زعزعة الاستقرار في المنطقة، وشدد ايضا بأن السياستين الامريكية والروسية فقدت من مصداقيتهما في المنطقة، مؤكدا ان السياسة الخارجية الألمانية تعمل على احتواء الصراعات، من خلال تقديم المساعدات الانسانية، وانها لا تعول على العمليات العسكرية، الاّ اذا كان التدخل قائم على أساس قانوني صحيح ومتين، وعلى تفويض من الأمم المتحدة، أو دعوة من قبل الدولة المعنية، ويجب أن يكون العمل العسكري جزءاً لا يتجزأ من برنامج العمل الإنساني و إعادة الإعمار، مؤكدا على أن ألمانيا لن تقوم بأي عمل عسكري بشكل منفرد، بل ستكون مساهمتها ضمن فريق من الشركاء الدوليين[22]. ولا ينكر النائب الالماني وجود بعض المعوقات داخل الاتحاد الأوروبي، وافتقاره في كثير من الأحيان إلى الإرادة والمبادرة اللازمة لتعزيز السياسة الأمنية الأوروبية من خلال المهمات العسكرية والإنسانية، مؤكدا ثمة أهداف على الاتحاد الاوربي العمل لتحقيقها وهي: ضرورة تقديم الحوافز لإيران لتساهم في استقرار المنطقة، وممارسة الضغط عليها لتقوم بهذا الدور، احتواء الحرب في سوريا، واستمرار مفاوضات استانا لاستكمال محادثات جنيف، الاستمرار في محاربة داعش، واستقرار الدول المجاورة لسوريا خاصة الأردن ولبنان إضافة الى دول شمال افريقيا[23].

[20] أمين لبوس، الاتحاد الأوربي في الشرق الاوسط، التغيير في الأولويات، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد111, كانون الثاني 2020.

[21] نفس المصدر.

[22] https://dafg.eu/ar/aktivitaeten/archiv/archiv-politik/translate-to-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%89-archiv-politik/?tx_ttnews%5Btt_news%5D=1567&cHash=4a9182877a09db8fa83e79504588bfbd

[23] https://dafg.eu/ar/aktivitaeten/archiv/archiv-politik/translate-to-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%89-archiv-politik/?tx_ttnews%5Btt_news%5D=1567&cHash=4a9182877a09db8fa83e79504588bfbd.

مخطط رقم (5)

الرؤية الأوروبية الاوربية

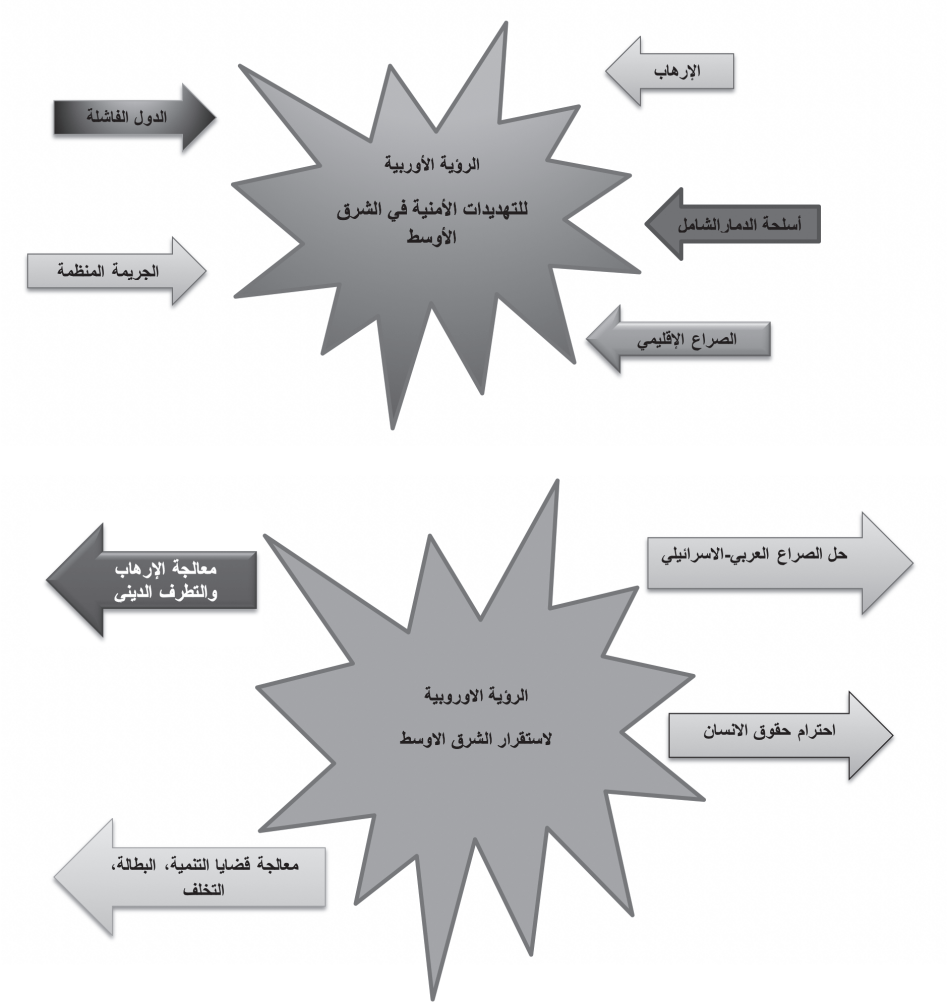

3-5: الرؤية الصينية

تحاول الصين إقامة التحالفات والعلاقات الحسنة مع الدول النامية بشكل عام ، ودول الشرق الأوسط خاصة، وتتجنب الانجرار إلى التصعيد في النزاعات والحروب الإقليمية، كون ذلك يؤثر سلبا على أدائها الاقتصادي، وهي بذلك تتمسك برفضها التصعيد ضد إيران، لذلك سعت إلى خلق سياسة مصالح مشتركة مع الدول. لقد بدأت صورة الاهتمام الصيني بالشرق الأوسط بالوضوح بعد تولي الرئيس (شى جي بينج) الرئاسة في عام 2012, وتحديدا مع اطلاق مبادرة طريق الحرير في العام 2013, الذي يربط الصين بالشرق الاوسط, وازداد النشاط السياسي الصيني الذي توج بزيارة الرئيس الصيني للمنطقة في العام 2016، التي شملت مصر والسعودية وإيران، وألقى خلالها خطابا

في جامعة الدول العربية طرح فيه سياسة الصين مع الدول العربية والمعمول بها الآن[24]. وتشير الإحصاءات ان الصين استثمرت بحدود(150) مليار دولار في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا, ونحو (13) مليار دولار في إسرائيل في قطاع التكنولوجيا المتقدمة[25]، وبذلك أصبحت الصين اليوم منافسا قويا للولايات المتحدة في المنطقة، وخاصة في مجال الاستثمارات، وتصدير السلاح، وتأمين الأسواق، اذ تلقى البضائع الصينية أسواقا رائجة في الشرق الأوسط ، فضلا عن إن اغلب احتياجات الصين من النفط والغاز تؤمنها من هذه المنطقة.

وعلى خلاف الانغماس الصيني الاقتصادي في المنطقة نجدها غير مبالية لحد الآن في الانغماس الأمني والعسكري، واقتصرت مشاركاتها على تمويل عمليات حفظ السلام في إطار جهود الأمم المتحدة. ويشير تقرير لمؤسسة راند الامريكية للأبحاث ان الصين مترددة في رفع مستوى تعاونها الامني مع الولايات المتحدة ودول الشرق الاوسط؛ لأنها تخشى التورط في التوترات والخلافات الاقليمية، وتخشى أن تؤدي مشاركاتها الامنية الى ضعضعة مكانتها المتميزة مع دول المنطقة، باعتبارها صديقة للجميع ولا تعادي احد، فضلا عن التكلفة المادية والبشرية، لذا هي تعتمد استراتيجية "التنين الحذر"[26]. وان تعاونها العسكري مع بعض دول المنطقة لم يشكل مصدر قلق للولايات المتحدة. إلا إن الصعود الصيني وبدأ التنافس الصيني-الأمريكي ، واتساقا مع العقيدة العسكرية الصينية 2019 [27]، فإن ثمة من يقول أن الصين ربما تغير من سلوكها والانغماس عسكريا في المنطقة. وباعتقادنا إن الصين ستبقي على سياستها حاليا، والاستفادة في تأمين احتياجاتها من الطاقة على التواجد العسكري الأمريكي، فهي على ما يبدو لا تريد أن تتحمل تكاليف أعباء ذلك، إلا في حدود مشاركتها في قوات حفظ السلام ، وكذلك دورا نشطا ضد القرصنة في القرن الإفريقي والدفاع عن طريق التجارة الدولية. إن ما يهم الصين اليوم في أمن الشرق الأوسط أن لا تؤثر الأزمات والأحداث فيه على الأسواق الصينية، واستمرار تدفق النفط والغاز، فضلا على عقد الاتفاقيات بما يؤمن مبادرة الحزام والطريق. لكن بالمقابل نجد أن هناك توجسا أمريكا من الحركة الصينية في الشرق الأوسط خاصة بعد توقيع الصين وإيران شراكة استراتيجية لمدة 25 سنة في مجموعة متنوعة من المشاريع بما فيها تطوير بعض حلقات التكنولوجيا العسكرية وبحسب صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية إن هذه الشراكة ستخفف من العقوبات الاقتصادية ضد إيران، وستمكن الأخيرة من توفير الدعم للمجموعات العسكرية لها في دول المنطقة[28]، وهو ما سيؤثر في استقرار المنطقة. كما أن الإصلاحات العسكرية التي تبناها الرئيس الصيني الخاصة ببناء قدرات عسكرية

---

[24] عزت سعد، الصين وأمن الشرق الاوسط. https://www.shorouknews.com/mobile/columns/view.aspx?cdate=31082020&id=187fc273-c736-4d67-9496-be83ffb94b80

[25] عزت سعد، الصين وأمن الشرق الاوسط. https://www.shorouknews.com/mobile/columns/view.aspx?cdate=31082020&id=187fc273-c736-4d67-9496-be83ffb94b80

[26] Andrew Scobell، Ali Reza Nader. Chania Pivots to the Middle East، p ix. www.Rand.com

[27] تتبنى رؤية صينية واسعة للأمن القومي تشمل الانخراط العسكري في حالات تهديد السلامة الإقليمية بما فيها السيادة البحرية والفضاء واستعادة الوحدة الوطنية وصيانة المصالح الصينية فيما وراء البحار والاحتفاظ بالردع الاستراتيجي والإعداد لضربات نووية مضادة والمشاركة في التعاون الأمني الإقليمي والدولي وتعزيز القدرة على منع الاختراق ومنع الانفصال ومكافحة الإرهاب وضمان الأمن السياسي القومي والاستقرار الاجتماعي وحماية حقوق ومصالح الشعب الصيني.

[28] The China-Iran Axis،the wall street journal ، March 29، 2021.

قادرة على العمل خارج الحدود، وبناء قاعدة عسكرية في جيبوتي في العام 2017، كلها مؤشرات لدور صيني مستقبلي في الترتيبات الأمنية للمنطقة، إلا أن المؤشرات الحالية تؤكد ان الصين تريد توفير بيئة آمنة ومستقرة تتيح التعاون المشترك وهي مبادئ أكدتها الصين في مبادرتها "الحزام والطريق"، ومن هنا طرحت الصين مبادرة تهدف إلى تحقيق الأمن والاستقرار في الشرق الأوسط، ودعت المجتمع الدولي إلى الاضطلاع بدور ايجابي في ذلك، وتضمنت هذه المبادرة ما يأتي[29]:

1 الاحترام المتبادل، وتعزيز حوار الحضارات وتحقيق التعايش بين شعوب المنطقة، ودعم الجهود في الشرق الأوسط لاكتشاف طرق تنموية بإرادتها المستقلة، والاعتماد على دول المنطقة لإيجاد حلول لازمات المنطقة في سوريا، اليمن، وليبيا.

2 تسوية القضية الفلسطينية على أساس حل الدولتين، والتواصل مع الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، وكذلك داخل مجلس الأمن لهذا الغرض.

3 الطلب من المجتمع الدولي دعم جهود المنطقة في انشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل، داعية الأطراف المعنية في الملف النووي الإيراني الى تقريب المسافات والوفاء بالتزامات الاتفاق النووي.

4 الدعوة الى العمل على تحقيق الامن الجماعي، وأن تعزيز الامن والاستقرار في الشرق الاوسط يتطلب مراعاة الهموم المشروعة لكل طرف، ودعت هذه الأطراف لإجراء الحوارات وتحسين العلاقات بينهم، والتأكيد على مكافحة الإرهاب بحزم.

ودعت الصين في هذه المبادرة الى عقد حوار متعدد الأطراف في الصين بشأن أمن الخليج، للبحث في آلية بناء الثقة في الشرق الأوسط، بدءاً من مواضيع ضمان أمن المنشآت النفطية والممرات الملاحية، وإقامة منظومة أمنية مشتركة وشاملة وتعاونية ومستدامة في الشرق الأوسط بخطوات تدريجية، وحرص الصين على مواصلة إقامة المنتدى العربي-الصيني للإصلاح والتنمية ومنتدى أمن الشرق الأوسط، علما إن الصين وقعت على وثائق التعاون لبناء " الحزام والطريق" مع (19) دولة في الشرق الأوسط.

[29] الصين تطرح مبادرة لتحقيق أمن واستقرار الشرق الاوسط، متاح على الرابط:https://www.alittihad.ae/news/عربي-ودولي/4175160/الصين-تطرح-مبادرة-لتحقيق-أمن-استقرار-الشرق-الأوسط

مخطط رقم (6)
الرؤية الصينية

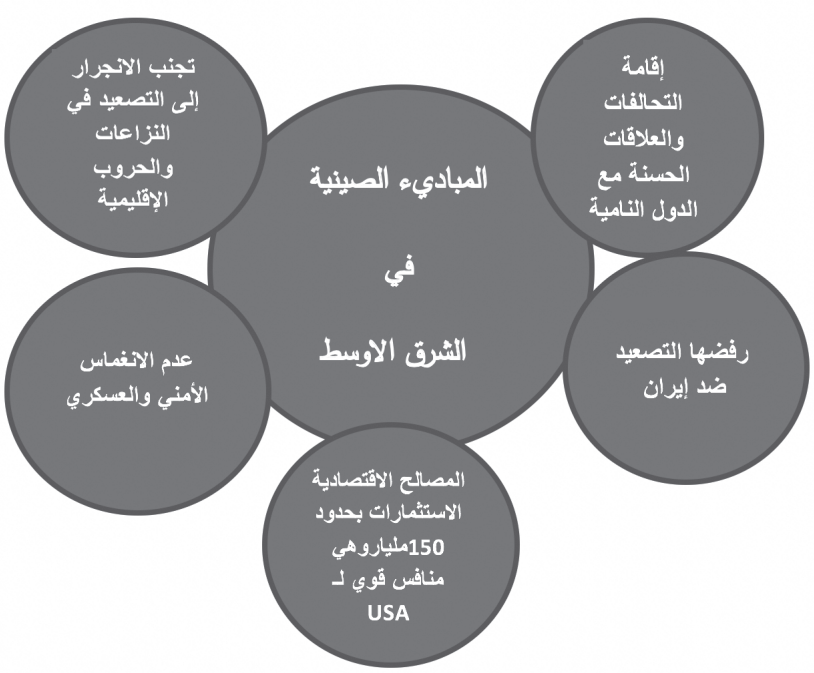

4: مستقبل الاستقرار في الشرق الاوسط

رغم ان الدراسات المستقبلية للظواهر السياسية يكتنفها الغموض والاستشراف المستقبلي، فإن استشراف مستقبل الاستقرار في الشرق الاوسط ينبع، من الديناميكية السياسية والاستراتيجية والاقتصادية التي يتمتع بها، لذا تبقى كل الاحتمالات لاستشراف مستقبله مفتوحة سواء المتفائل، او المتشائم بما فيها صورة البجعة السوداء.

وعلى هذا الاساس سيعمل الباحث رسم صور لمستقبل الاستقرار في الشرق الاوسط على ضوء الرؤى الدولية للأمن آنفة الذكر للإقليم. في ثلاثة سيناريوهات:

الاول: سيناريو خطي استمرار للوضع القائم.

الثاني: سيناريو متفائل التغيير باتجاه الاستقرار.

الثالث: سيناريو متشائم باتجاه تصاعد حدة عدم الاستقرار ونشوب الحرب.

وقبل الشروع في تفاصيل هذه السيناريوهات، فإن ثمة متغيرات رئيسة سيكون لها الاثر البالغ في رسم صورة المستقبل للاستقرار في الشرق الاوسط من عدمه منها:

1 مدى استمرار الاهمية العالمية للشرق الاوسط وتحديداً منطقة القلب فيها من عدمه، وبخاصة أن هناك طروحات تشير الى تراجع هذه الاهمية.

2 ثبات أو تراجع المكانة الدولية للولايات المتحدة، او بروز قوة مكافئة للقوة الامريكية.

3 مدى امكانية القوى الاقليمية للتوصل الى تفاهمات بشأن الاقليم الشرق اوسطي.

4 فاعلية المنظمة الدولية للأمم المتحدة.

5 قدرة المجتمع الدولي لإيجاد حل للقضية الفلسطينية.

6 قدرة القوى الدولية الفاعلة للتوصل الى اتفاقات بشأن قضايا الشرق الاوسط المسببة لعدم الاستقرار.

7 مدى جدية الادارة الامريكية في تعاملها مع ايران، ومدى صمود النظام الايراني على مقاومة الضغوط الامريكية، أما باتجاه الانصياع للرغبات الامريكية، او اسقاطه.

4-1: سيناربو استمرار الوضع الراهن

في وصف هذا المشهد يستمر عدم استقرار الشرق الاوسط على ما هو عليه، وان كان مسيطرا عليه، إذ تبقى منطقة قلب الشرق الاوسط بشكل عام والخليج العربي بشكل خاص على ذات الاهمية العالمية، لعدم وجود منطقة تنافسها من حيث الاهمية الاقتصادية لتوافرها على الاحتياط الاكبر عالميا من البترول، ولانخفاض تكاليف استخراجه، وهي بذلك تبقى أكثر اهمية من منطقة

بحر قزوين والقوقاز من الناحية الاقتصادية. وستبقى الولايات المتحدة هي اللاعب الاكبر في المنطقة وتبقى الخيوط الرئيسية بيدها، والسيطرة على ما يجري فيه، وان لا يخرج ما يحدث فيه عن هذه السيطرة، وستستمر بسياسة تبديل الاعداء، وابراز ايران على انها العدو الاول للعرب، والمضي قدما في سياسة تطبيع العلاقات العربية-الاسرائيلية وتبقى القوى الأوروبية تابعة للسياسات الامريكية الرئيسية، وخاصة فيما يتعلق بدعم متطلبات الامن الاسرائيلي ودعم سياسات اسرائيل الرافضة منح الفلسطينيين حق انشاء الدولة المستقلة، وكذلك فيما يتعلق بالبرنامج النووي الايراني، ومزيدا من الضغط على ايران، فضلا عن التضامن الكلي فيما يتعلق بمحاربة الارهاب، واعطاء دور أوسع للدول الاوربية في محاربته في اطار التحالف الدولي. ومن جانبها ستستمر روسيا بموقفها الذي تحاول اظهاره على أنه مناوئ للسياسة الامريكية، من خلال تقربها الى ايران، ودورها الكبير في سوريا، وبتقدير الباحث، ان الولايات المتحدة قادرة على احتواء روسيا سواء بالضغط، او اجراء التفاهمات خلف الكواليس وربط ذلك بملفات اخرى في اسيا الوسطى والقوقاز، مع غض البصر عن الدور الروسي في سوريا، او ربما دعمه اذا تطلب الامر ذلك. أما الصين فإنها ستستمر بوقفها البراغماتي، وستعمل جاهدة على تحقيق مصالحها الاقتصادية، وستستفاد من التواجد العسكري الامريكي في تأمين هذه المصالح، فما دامت المنطقة مفتوحة كسوق للبضائع الصينية فهي لا يهمها منْ يكون صاحب اليد الطولى فيها.

وشروط هذا المشهد هي:

- استمرار الهيمنة الامريكية عالميا.
- عدم وجود تغيير ملموس في سياسة ادارة الرئيس بايدن، خاصة فيما يتعلق بدعم اسرائيل، واستمرار الضغط على ايران.
- تشرذم الموقف العربي، وعدم اتخاذ خطوات جادة بشأن دعم اقامة الدولة الفلسطينية، والتي كان اخرها المبادرة العربية في قمة بيروت 2002.
- استمرار الازمات العربية الداخلية، وتعرض الدول لعربية التي تشهد أزمات واحتراب داخلي الى التقسيم على وفق المخطط الصهيوني، كما في العراق، سوريا، اليمن، ولبنان، وليبيا، واعداد مخطط أكبر لمصر باعتبارها القوة الأكبر عربيا. وجدير بالذكر هنا ما نشرته صحيفة النيويورك تايمز بتقسيم السعودية، العراق ، سوريا ،اليمن، وليبيا الى (14) دويلة[30].
- استمرار التطلعات الايرانية الاقليمية، ودفعها باتجاه اتخاذ مواقف متشددة من مسألة برنامجها النووي. وبالمقابل مزيدا من الضغوط الامريكية.
- استمرار العداء وعدم الثقة في العلاقات العربية-الايرانية.
- عدم جرأة القوى الكبرى المنافسة للولايات المتحدة من اتخاذ مواقف تتعارض مع المصالح الامريكية الكبيرة.

[30] Robin Wrigth, how 5 Countries Cold Become 14, the New Work Times, September, 28, 2013.

مخطط رقم (7)
سيناريو إستمرار الأوضاع في الشرق الأوسط على ماهي عليه

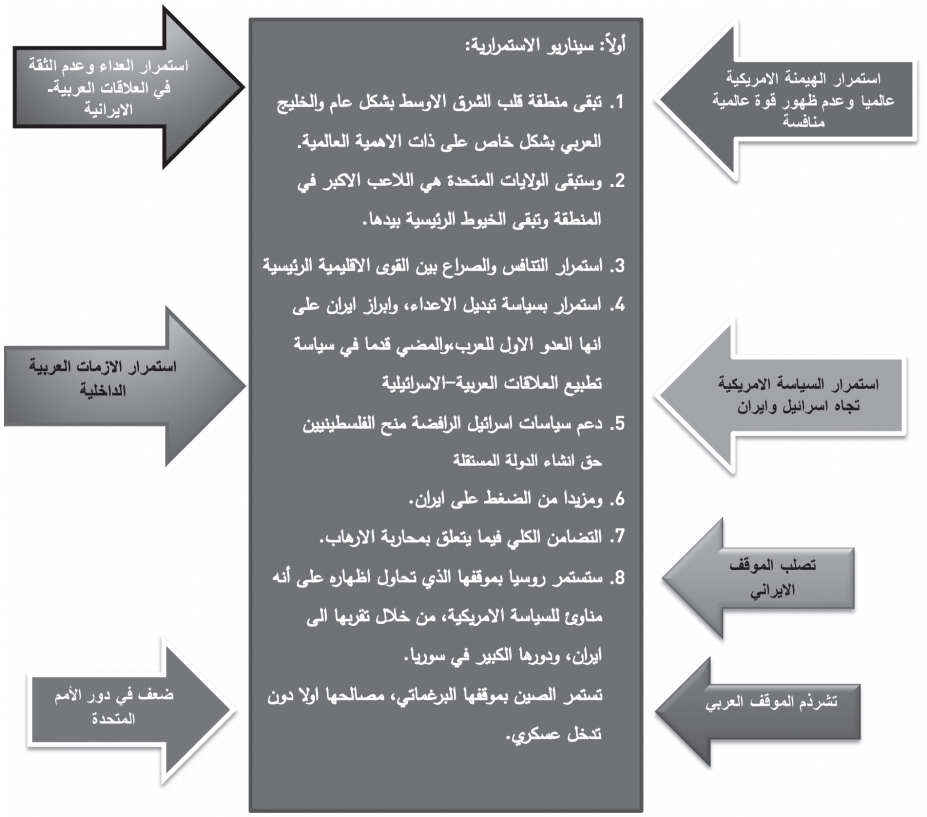

4-2: سيناريو الاستقرار

هذا السيناريو ربما يكون أقرب الى البجعة السوداء، اذ تتفق القوى الكبرى تحت مظلة الامم المتحدة الى وجوب استقرار هذه المنطقة المهمة عالميا لعلاقتها الوثيقة بالأمن والسلم الدوليين، وتتفق على عقد مؤتمر دولي لحل كل الاشكاليات فيه، وفي مقدمة ذلك اشكالية الصراع العربي-الاسرائيلي، والتوصل الى اتفاق لإقامة الدولة الفلسطينية نتيجة الضغوط التي قد يشكلها الرأي العام العالمي على حكوماته تجاه الممارسات القمعية الاسرائيلية كتلك المتكررة في العدوان على غزة واستخدام القوة المفرطة ضد المدنيين، ويتم تقديم الدعم الدولي لإرساء الحكم الرشيد في المنطقة، وترسخ الديمقراطية، أو والتخلص من الانظمة الشمولية، خاصة النظام الايراني، اذ اتخذ مجلس النواب الامريكي في 2021/4/21 قرارا مشابها للقرار الذي اتخذ في العام 1997، الداعي الى تغيير نظام الحكم القائم في العراق حينئذ، وأيد القرار الذي اتخذ بالأغلبية بمعاقبة النظام الايراني على ما يقوم به داخل ايران والمنطقة، والاعتراف بحقوق الشعب الايراني في اقامة جمهورية ديمقراطية علمانية غير نووية. كما يتم اشراك القوى الاقليمية الفاعلة في مباحثات مباشرة لتخفيف

حدة التصادم وخاصة بين ايران والسعودية لحل ازمات واشراكها في وضع ترتيبات أمنية للمنطقة، بما يؤمن مشاركة فعلية في حفظ الامن، وقد يتم تأطير ذلك في اطار اتفاقية دفاعية، او منظمة اقليمية لدول الشرق الاوسط تشارك فيه حتى اسرائيل بعد منح حقوق الفلسطينيين في دولتهم. مع احتفاظ القوى الكبرى بقواعد عسكرية او اي نوع من التواجد العسكري في المنطقة. **أما شروط تحقيق هذا المشهد فهي:**

أن تتجنب إدارة بايدن الاسراف في التدخلات الأمريكية في الشرق الأوسط، واستثمار الجهود الدبلوماسية لتحقق قدر معقول من الاستقرار في الشرق الأوسط في المستقبل، وبذلك يتوجب عليها تبني رؤية أوسع للديناميكيات الإقليمية، وجعل تقليل القوى الإقليمية الجديدة المتنافسة على رأس أولوياتها.

أن يصيب الهيمنة الامريكية التراجع عالميا جراء ظهور قطب قوي ينافس الولايات المتحدة، وخاصة من جهة الصين وروسيا، أو أن يشكل الاخيران تحالفا يضم دولا اخرى لمناهضة الهيمنة الامريكية على غرار "بريكس"، او توسيع الاخيرة لتكون التحالف المضاد.

تزايد تصاعد الاصوات المناهضة للسياسة الاسرائيلية خاصة من داخل اسرائيل، اذ يوجد تيار اسرائيلي عريض متخوف جدا من سياسة حكومته، نتيجة تحول الصراع العربي- الاسرائيلي الى صراع ديني قد ينهي اسرائيل، وهم بذلك يطالبون حل الدولتين.

تنامي الكراهية بين شعوب أوربا ضد اليهود، والتي تعرف (معاداة السامية)، وهنا نود الإشارة إلى التقرير السري الذي أعده خبراء في الخارجية الإسرائيلية في العام 2004، من أن بؤرة العداء الرئيسية لإسرائيل في المستقبل ستكون الاتحاد الأوربي، الذي ربما يصوغ سياسة خارجية موحدة تضر بمصالح إسرائيل[31]. بسبب تشكيل رأي عام عالمي يدين ويستهجن الممارسات الاسرائيلية ضد الفلسطينيين.

اقامة تنظيم اقليمي شرق اوسطي غير الجامعة العربية يضم الدول العربية وغير العربية، يؤسس لعلاقات سياسية واقتصادية في المنطقة ويساهم في حل ازمات المنطقة، والمشاكل العالقة. وهو ما تدعو له اسرائيل، ولا يسمح لها دخوله، الا في حالة الاقرار بالحقوق الفلسطينية.

يكون دور أكبر للأمم المتحدة في الشرق الاوسط، والتحرر من الهيمنة الامريكية.

أن يطرأ بعض التغيير في سياسة ادارة الرئيس بايدن وابداء المرونة باتجاه التعاون الدولي واعطاء دور أكبر للقوى الاخرى في المنطقة.

[31] أحمد عمرابي، إسرائيل والمستقبل، صحيفة البيان الإماراتية، 2004/10/18.

مخطط رقم (8)
سيناريو الاستقرار في الشرق الأوسط

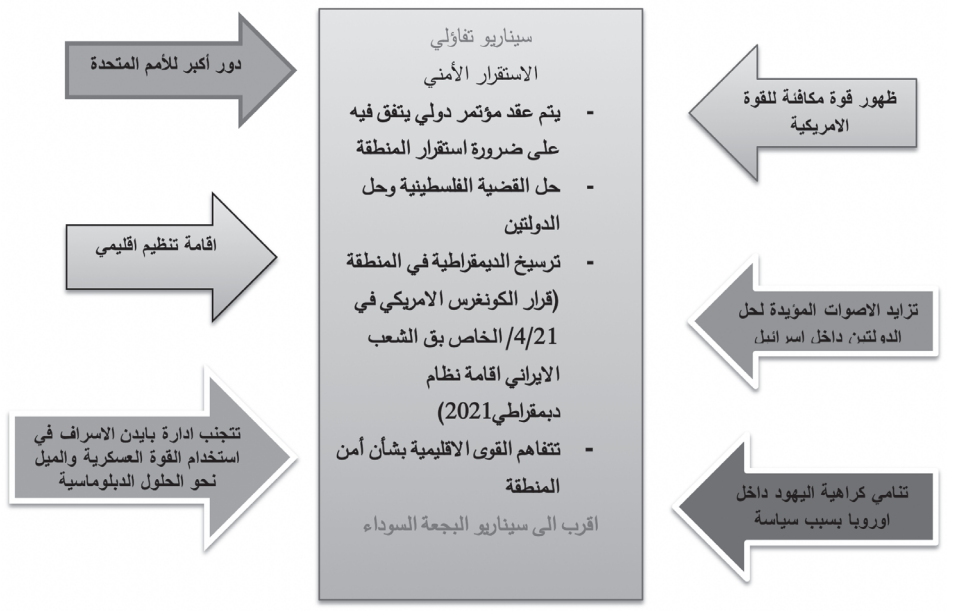

3-4: سيناريو التصاعد (الحرب)

في هذا السيناريو تتدهور الاوضاع في الشرق الاوسط وتنزلق الامور الى نشوب حرب واحدة أو أكثر، نتيجة سياسات الدول، وثمة أكثر من حرب مرشحة للحدوث، وأن كان بعضها ضعيفا:

1 عودة الحرب العربية-الاسرائيلية، وان كانت ضعيفة، الا أن تكرار الاعتداءات الاسرائيلية على قطاع غزة يدفع بالشباب العربي للتطوع في القتال الى جانب الفلسطينيين، وهذا ما حدث فعلا في العدوان الاخير في مايو 2021.

2 الحرب الاقليمية بين السعودية وايران، على خلفية التناقضات الكبيرة بين الطرفين ، والتي وصمت بالطائفية، وقد بدأت بوادرها فعلا بحرب بالنيابة في اليمن، وتعرض منشآت ارامكو النفطية في العمق السعودي للصواريخ الايرانية، فضلا عن تصاعد التصريحات بين مسئولي البلدين بشأن ضربات عسكرية قوية.

3 الحرب بين ايران من جهة واسرائيل، والولايات المتحدة، أو مع احداها، على خلفية استمرار ايران ببرنامجها النووي، وتهديدها لإسرائيل على لسان مسئوليها، وهناك بوادر مهمة لهذه الحرب بدأت باغتيال عالم الفيزياء النووية الايراني محسن فخري زاده وتبقى ساحات المواجهة مفتوحة بضربات جوية او صاروخية، في لبنان او في سوريا. أما على الطرف الامريكي، فلم يستبعد المسئولين الامريكيين الخيار العسكري ضد ايران في ظل

وجود غطاء دولي قانوني متمثلا بقرات مجلس الامن العديدة المتخذة ضد ايران بموجب الفصل السابع الذي لم يستبعد الخيار العسكري، لوجود تهديد للأمن والسلم الدوليين. وقد ترتكب ايران خطأ ضد دولة خليجية لتكون حجة مضافة للعمل العسكري الامريكي.

4 الحرب التركية-الايرانية: تطرح مجلة فورن بولسي الامريكية مشهدا لهذه الحرب على خلفية التنافس القوي في الشرق الاوسط، وسعي القوتين الاقليميتين التركية والايرانية للهيمنة على هذه المنطقة، وترى ايران ان التوسع التركي في المنطقة لإعادة روح العثمانية القديمة يتعارض مع المصالح الإقليمية الإيرانية، فضلا عن أن ثمة حواف للاحتكاك بين القوتين موجودة في العراق وسوريا، والخليج العربي، وفي القوقاز في الحرب بين أرمينيا وأذربيجان[32]. كما ان فتح قنصلية ايرانية في مدينة حلب السورية سيزيد من حدة التصادم الايراني-التركي، ويرى الباحث ان فتح القنصلية في هذا التوقيت سيكون له مغزى كبير عن الاتراك، اذ ستتخذ هذه القنصلية قاعدة للعمل الامني والاستخباري ضد تركيا، سيما ان الواقع يؤكد عدم حاجة ايران لهذه القنصلية في مدينة لا يوجد فيها جالية ايرانية.

5 الحرب العالمية الثالثة، بين الولايات المتحدة والصين، وقد بدأت بوادرها اقتصاديا، على خلفية الصراع الاقتصادي المحتدم بين البلدين، وكذا الحال في الفضاء السيبراني. وفي هذا الشأن حذر السياسي الامريكي المخضرم هنري كسينجر غير مرة من أن نذر الحرب العالمية الثالثة باتت في الأفق بين الولايات المتحدة والصين[33]، وكان في وقت سابق حذر في حديث له مع صحيفة دلي سكيب الامريكية ايضا من وقوع الحرب بين الولايات المتحدة من جهة والصين وروسيا وايران من جهة اخرى، وأن هذه الحرب ستكون قاسية جدا[34].

[32] ليست بين العرب وإيران.. كيف ستكون حرب الشرق الأوسط المقبلة ، 2021/5/20. https://www.elbalad.news/4723729

[33] بشير عبد الفتاح، كيسنجر والحرب العالمية الثالثة.
https://www.shorouknews.com/mobile/columns/view.aspx?cdate=02112020&id=f0e4ac06-c4cc-4889-a7ca-8a77f7dcba72

[34] كيسنجر: الحرب العالمية الثالثة اقتربت وتم التخطيط لها بعناية وأمريكا ستنتصر.
http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=1f239fef299a97fe

مخطط رقم (9)

سيناريو التصاعد (الحرب):

في هذا السيناريو تتدهور الاوضاع في الشرق الاوسط وتنزلق الامور الى نشوب حرب واحدة أو أكثر، نتيجة سياسات الدول، وثمة أكثر من حرب مرشحة!

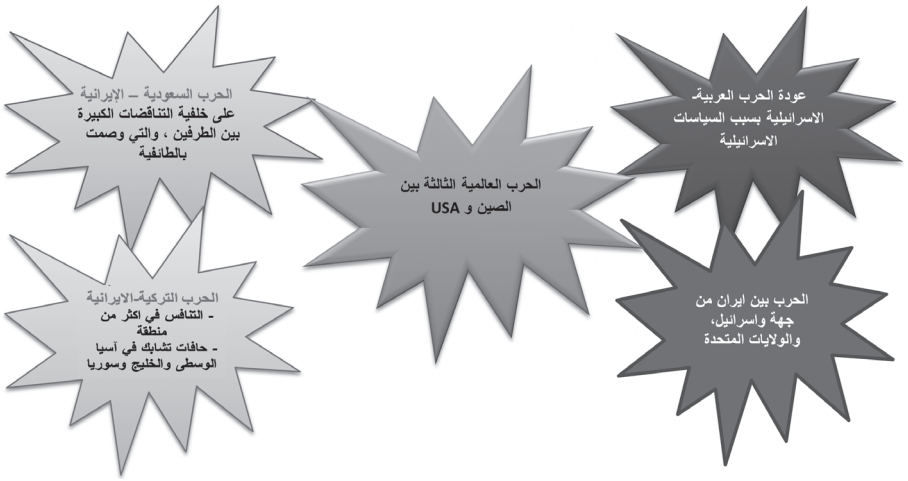

الخلاصة والاستنتاجات

لقد اثبتت الورقة أن الولايات المتحدة هي الاكثر فاعلية في الشرق الاوسط، وبالتالي فهي اللاعب رقم واحد في تفاعلاتها، والاكثر تأثيرا في مسألة استقرارها، كونها الاقوى تواجدا فيها خاصة في جانبها العسكري والامني، من خلال قواعدها المنتشرة واساطيلها في البحار المحيطة بها. وعليه يبقى موضوع استقرار هذه المنطقة بيد هذه القوة بالدرجة الاساس، مع الفارق الكبير للقوة الروسية المتواجدة بشكل رئيس في سوريا، والبحر المتوسط. وان ما يحدث من تصارع عسكري بين القوى الاقليمية، انما هو تحت السيطرة الامريكية، اذ لا تحبذ الولايات المتحدة لحد هذه اللحظة تصعيد هذا التصارع ليأخذ شكل الحرب الشاملة، وستبقي على بعض العمليات العسكرية الصغيرة كنوع من التلويح بالقوة خاصة في ضرب بعض المقرات التابعة للفصائل العسكرية التابعة لإيران، كما انها لا تأبه للعمليات التي تقوم بها هذه الفصائل ضد مواقع امريكية عسكرية لعدم تأثيرها على الوضع الاستراتيجي العام العسكري الامريكي، ويبقى موضوع التصعيد مع ايران من عدمه موضوعا تتحكم فيه الولايات المتحدة، وليس ايران، إذ قد تعود واشنطن الى تفعيل الاتفاق النووي، ولكن بشروط أقوى من ذي قبل، مقابل التخفيف من الحصار الاقتصادي الخانق ضد ايران. وستضطر ايران القبول به نتيجة اوضاعها الاقتصادية، ونتيجة الضغوط الدولية، الا ان هذا لا يعني رفع ايران من قائمة الدول الاكثر عداءا للولايات المتحدة والراعية للإرهاب . لذا سيستمر موضوع تغيير النظام الايراني هدفا مهما للولايات المتحدة. واستنادا لهذا سيبقى السيناريو الاول (استمرار الوضع الراهن) هو المرشح في الوقت الحاضر، وقد يتطور باتجاه نشوب حرب اقليمية، او امريكية ايرانية ، وان كانت محدودة.

المراجع:

أولا : البحوث والتقارير

1 أحمد عبدالعليم، دول الشرق الأوسط على مؤشر السلام العالمي، مركز المستقبل للأبحاث للدراسات المتقدمة ، 2015, 18 تموز 2015.

2 أمين لبوس، الاتحاد الأوربي في الشرق الاوسط، التغيير في الأولويات، مجلة الدفاع الوطني اللبناني، العدد111, كانون الثاني 2020.

3 محمد زباري مؤنس، "الاستراتيجية الامريكية في الشرق الاوسط بعد انتهاء الثنائية الدولية (دراسة في الجغرافية السياسية)" ، مجلة آداب البصرة ، العدد68 , 2014.

4 محمد عبد الله يونس، الملامح الرئيسية لاتجاهات التسلح في الشرق الأوسط، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 16نيسان 2019،

5 منى يعقوبيان، الترويج للديمقراطية في الشرق الاوسط المبادرات الاوربية، معهد السلام الامريكي، تقرير خاص رقم127 (الولايات المتحدة: تشرين الاول 2004).

ثانيا : الرسائل والاطاريح

1 حليمة بوزناد، تأثير الاقليات على الامن الاقليمي في منطقة الشرق الاوسط: اكراد سوريا انموذجاً، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة العربي التبسي تبسه، الجزائر، كلية الحقوق والعلوم السياسية ، 2016 .

2 نجاة مدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة: دراسة حالة سوريا 2010-2014, رسالة ماجستير, الجزائر, جامعة محمد خيضر, بسكره, كلية الحقوق والعلوم السياسية, 2015.

ثالثا: الصحف

1 أحمد عمرابي، إسرائيل والمستقبل، صحيفة البيان الإماراتية، 2004/10/18.

2 فيودرلوكيانوف، التدخل الروسي في سوريا ضد (داعش)، صحيفة الحياة اللندنية، 2015/11/16.

1 The China-Iran Axis, the wall street journal, March 29, 2021.3

2 Robin Wrigth, how 5 Countries Cold Become 14, The New Work4 Times, September, 28, 2013.

رابعا: مواقع الانترنيت

1 موقع الأمم المتحدة على الشبكة العنكبوتية:https://www.un.org/securitycouncil/ar/content/resolutions

2 George Friedman، «Russia's: Window of Opportunity»، Stratfor Global Intelligence (21 Aug 2007) ،https://worldview.stratfor.com/article/russias-window-opportunity

3 Jams sildden، Bacca Wasser، Russian Strategy in The Middle East.ww.Rand.com)

4 https://dafg.eu/ar/aktivitaeten/archiv/archiv-politik/translate-to-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%89-archiv-politik/?tx_ttnews%5Btt_news%5D=1567&cHash=4a9182877a09db8fa83e79504588bfbd

5 https://dafg.eu/ar/aktivitaeten/archiv/archiv-politik/translate-to-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%89-archiv-politik/?tx_ttnews%5Btt_news%5D=1567&cHash=4a9182877a09db8fa83e79504588bfbd.

6 عزت سعد، الصين وأمن الشرق الاوسط: https://www.shorouknews.com/mobile/columns/view.aspx?cdate=31082020&id=187fc273-c736-4d67-9496-be83ffb94b80

7 Andrew Scobell، Ali Reza Nader. Chania Pivots to the Middle East، p ix. www.Rand.com

8 الصين تطرح مبادرة لتحقيق أمن واستقرار الشرق الاوسط: https://www.alittihad.ae/news/عربي-ودولي/4175160/الصين-تطرح-مبادرة-لتحقيق-أمن-استقرار-الشرق-الأوسط

9 ليست بين العرب وإيران.. كيف ستكون حرب الشرق الأوسط المقبلة، 2021/5/20. https://www.elbalad.news/4723729

10 بشير عبد الفتاح، كيسنجر والحرب العالمية الثالثة. https://www.shorouknews.com/mobile/columns/view.aspx?cdate=02112020&id=f0e4ac06-c4cc-4889-a7ca-8a77f7dcba72

11 كيسنجر: الحرب العالمية الثالثة اقتربت وتم التخطيط لها بعناية وأمريكا ستنتصر. http://ejabat.google.com/ejabat/thread?tid=1f239fef299a97fe

تنافس القوى الكبرى تجاه المنطقة العربية: العوامل، السياسات، النتائج

أ.د. خضر عباس عطوان*

أ.م.د.عباس سعدون رفعت**

الملخص

إن الموارد والقدرات تتاح على الصعيد العالمي بشكل غير متساو، وبعضها يكون نتيجة تخطيط وارادة، واخرى نتيجة طبيعية، ومن يمتلكهما يمكن أن يمارس سياسات تقوم على: التوسع والنفوذ التأثير في الغير، أو قد يبقى محافظاً على سياسات غير تدخلية. ينبؤنا التاريخ، بأن المنطقة العربية هي مركز اغلب أحداث التاريخ، ويتفق المسلمون: ان اللغة العربية والاسلام، هما المادة الاساسية للعالم الاسلامي. بينما يرى الغرب ان المنطقة تتحمل ان تكون منفذ للعالمية، بالتزامن مع الموارد والقدرات، إلى جانب انها حل عقائدي للمشكلة اليهودية في الغرب.

مارست القوى الكبرى سياسات تقوم على: استغلال موارد المنطقة، والعمل على اخضاعها للتاثير، والعمل على مزيد من عمليات التفكيك فيها، وبضمنه: استلاب هويتها القومية والدينية، وتمزيق تاريخها، فكانت المشاريع: سايكس بيكو، وصنع إسرائيل، واحتلال العراق، ومشروع الشرق الاوسط الكبير،.. كلها مشاريع لإعادة تفكيك المنطقة، إلى اصغر مكونات هوية قابلة لان تدخل في صراع، بعضها البعض الآخر.

ان النتائج التي ترتبت على وجود القوى الكبرى، التقليدية، في المنطقة، انتهت الى: ضياع العرب والمسلمين، في اطار هويات مصطنعة، غربية الاتجاه، متصارعة، ويتم مهاجمة كل محاولة يمكن ان تعيد جعل العرب أو المسلمين مركزا حضارياً عالمياً.

* استاذ في قسم السياسة الدولية بكلية العلوم السياسية في جامعة النهرين، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة النهرين، العراق.

** استاذ مساعد ومقرر قسم السياسة الدولية بكلية العلوم السياسية في جامعة النهرين، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة النهرين، العراق.

ما تقدم، سيناقشه هذا البحث ضمن الفقرات الآتية:
أولاً-منطقة عربية أم اسلامية أم شرق اوسطية؟
ثانياً-أهداف القوى الكبرى والاقليمية وأدواتها عربياً.
ثالثاً-أسباب تغييب الهويتين العربية والاسلامية في سياسات القوى الكبرى والاقليمية.
رابعاً-المظاهر الخارجية لمعاناة وتدهور وضعف المنطقة العربية.
خامساً-الارهاب بوصفه أكبر استثمار دولي واقليمي ضد العرب والمسلمين.
سادساً-مستقبل العرب في ظل سياسات تنافس القوى الكبرى والاقليمية.

الكلمات المفتاحية: قوى كبرى، تنافس، منطقة عربية، شرق اوسط، الاسلام، العرب.

Great Power Competition towards the Arab Region: Factors, Policies, and Results

Prof. Dr. Khudhir Abbas Atwan

Dr. Abbas Saadoun Refaat

Abstract

Resources and capabilities are available at the global level unequally, and some of them are the result of planning and will, and others are a natural result, and those who possess them can practice policies based on: expansion, influence and influence in others, or they may remain non-intrusive.

History agreed that the Arab region is the center of most of the events in history, and Muslims agree: that the Arabic language and Islam are the basic material of the Islamic world.

While the West believes that the region bears to be an outlet for globalism, in conjunction with resources and capabilities, in addition to being an ideological solution to the Jewish problem in the West.

The Great powers practiced policies based on: exploiting the region's resources, working to subject them to influence, and working on further processes of dismantling them, including: the dispossession of their national and religious identity, and the tearing of its history. The projects were: Sykes-Picot, the making of Israel, the occupation of Iraq, and the Greater Middle East project.... all of them are projects to re-dismantle the region into the smallest components of an identity capable of entering into conflict, each other.

The consequences of the presence of the Great powers, traditional, in the region have ended in: the loss of Arabs and Muslims, within the framework of

artificial, Western-oriented, conflicting identities, and every attempt that could re-make Arabs or Muslims a global civilized center is attacked.

The above will be covered in the following paragraphs:

First - Arab, Islamic, or Middle Eastern region?

Second - the goals of the Great and regional powers and their Arab tools.

Third - The reasons for the absence of the two identities: The Arab and the Islamic, in the politics of the Great powers and the region.

Fourth - the external manifestations of the suffering, deterioration and weakness of the Arab region.

Fifthly - Terrorism is the largest international and regional investment against Arabs and Muslims.

Sixth - The future of the Arabs in light of the politics of Great and regional competition.

Keywords: Great powers, competition, Arab region, Middle East, Islam, Arabs.

المقدمة:

كانت المنطقة العربية وما زالت محط اهتمام دولي، ومنذ ان ضعفت المنطقة كمساهم حضاري عالمي في القرن الثالث عشر ميلادي، إلى اليوم اصبحت محل تنافس وصراع القوى الراغبة بالهيمنة على العالم.

اتفق التاريخ، ان المنطقة العربية هي مركز اغلب احداث التاريخ، وهي نقطة البدأ لأغلب التاريخ المدون في الحياة الانسانية، ويتفق المسلمون: ان اللغة العربية والاسلام، هما المادة الاساسية للعالم الاسلامي. المنطقة العربية تمتد كمنطقة عمق سكاني من وسط ايران شرقا إلى المغرب العربي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى وسط افريقيا جنوبا، وهي مقسمة على عدد من الدول الناطقة باللغة العربية، المنطقة تمتلك عوامل القوة، وهو ما يجعلها قادرة على النهوض في حال امتلكت الارادة والتنظيم والقيادة، الا ان هناك قوى وعوامل تدفع إلى استمرار المنطقة في سباتها الحضاري والانساني، ومنها قوى وعوامل داخلية واقليمية ودولية.

ان اكثر القوى التي اثرت على واقع المنطقة العربية هي القوى الغربية، وبقدر ما انها قوى تفاعلت مع المنطقة، الا ان الاسهام الحضاري الغربي في تطوير المنطقة العربية كان وما زال اضعف ما يكون، بل وفي احيان عديدة كان تأثيره سلبي، ان الغرب يرى ان المنطقة تتحمل ان تكون منفذ للعالمية، بالتزامن مع الموارد والقدرات، إلى جانب انها حل عقائدي للمشكلة اليهودية في الغرب.

وعبر التاريخ الحديث والمعاصر، فان اغلب القوى الكبرى هي قوى غربية، ومارست القوى الكبرى سياسات تقوم على: استغلال موارد المنطقة، والعمل على اخضاعها للتاثير، والعمل على

مزيد من عمليات التفكيك فيها، وبضمنه: استلاب هويتها القومية والدينية، وتمزيق تاريخها، فكانت المشاريع: سايكس بيكو، وصنع إسرائيل، واحتلال العراق، ومشروع الشرق الاوسط الكبير، والفوضى الخلاقة وما عرف بالربيع العربي،.. كلها مشاريع لاعادة تفكيك المنطقة، إلى اصغر مكونات هوية قابلة لان تدخل في صراع، بعضها مع البعض الآخر

ما يهم هنا، ان القوى الكبرى، تنافست على المنطقة العربية، وعملت على التاثير فيها، بما يضمن مناطق النفوذ والتاثير الدوليين.

ان النتائج التي ترتبت على وجود القوى الكبرى، التقليدية، في المنطقة، انتهت الى: ضياع العرب والمسلمين، في اطار هويات مصطنعة، ونظم سياسية غربية الفكر والهوية، لا يمكنها ان تتفاعل مع واقع المنطقة وعمقها الحضاري، اي اننا اليوم نعيش مرحلة كوننا صناعة غربية الاتجاه والمضمون، هوياتنا متصارعة، ويتم مهاجمة كل محاولة يمكن ان تعيد جعل العرب أو المسلمين، مركزا حضاريا عالميا.

ان البحث يركز في غايته واهدافه، على إبراز هوية المنطقة، وتوجهات القوى الكبرى، الحديثة منها والراهنة وما يمكن ان يظهر أو يبرز منها في السنين القادمة، واسباب الاتفاق والعمل على تغييب الهوية الاسلامية للمنطقة بشكل متعمد، وكيف استثمرت قوى عديدة في اضعاف المنطقة العربية، والمستقبل الذي يمكن ان يتجه اليه العرب في ظل التنافس بين القوى الكبرى.

معضلة البحث تدور حول تساؤل مركزي مضمونه : لماذا تتجه القوى الكبرى إلى تصريف سياساتها تجاه المنطقة العربية بالطريقة التي تقوم على استلاب الخصوصية الحضارية والانسانية للمنطقة؟

ان تلك المعضلة الفكرية انما تقوم على فكرة ان المنطقة بها من عوامل القوة والنهوض ما يمكن ان يجعلها تحقق قدرة لاسترجاع وجودها وهويتها الانسانية، الا ان ذلك يصطدم مع اهم العقبات التي تؤمن بها القوى الكبرى، الغربية في اقل تقدير، ألا وهي إسرائيل، والصدام مع البعد الاسلامي الذي يمثل قاعدة الحضارة العربية، وهو ما يجعل الكل متفق على نقطة : استغلال بقاء الاوضاع القائمة والعمل على تفكيك الواقع، بما يؤخر امكانية البروز العربي.

والمنهجية المتبعة هي القائمة على اعتماد المنهج الوصفي، بما يتناسب مع المعضلة الفكرية والخط العام للبحث.

ما تقدم، سيتم تناوله بالفقرات الاتية:

اولا-منطقة عربية أم اسلامية أم شرق أوسطية؟

ثانيا-اهداف القوى الكبرى والاقليمية وادواتها عربيا.

ثالثا-المظاهر الخارجية لمعاناة وتدهور وضعف المنطقة العربية.

رابعا -الارهاب بوصفه استثمارا دوليا واقليميا ضد العرب والمسلمين.

خامسا -مستقبل العرب في ظل سياسات تنافس القوى الكبرى والاقليمية.

أولاً-منطقة عربية أم اسلامية أم شرق أوسطية؟

ان اول التساؤلات الكبرى التي ترتبط بالمنطقة العربية هو : من نحن؟

وبعيدا عن النظريات الوضعية التي تحاول ان تفسر الحضارات القديمة، ان اول ظهور للخليقة على الارض، يتحدث عن منطقة تمتد من الهند إلى الجزيرة العربية، وبعدها ظهرت اول الحضارات التي تم توثيقها في اراضي العراق ومصر، وتظهر مؤشرات ان جزيرة العرب كانت مسكونة قبلهما، وان الموجات الاولى لنزوح البشر كانت منها، مع موجات الجفاف وتغير طبيعة الارض، اي ان الحديث لا يمكن ان يتجاوز 20 الف سنة قبل الميلاد في افضل الاحوال، وان الحضارات الاولى كانت بين 6000 – 4000 سنة قبل الميلاد، وبعدها انتقل البشر واستوطنوا مساحات جغرافية شاسعة حول العالم بالتدرج، إلى جانب ظهور حضارات فرعية وصغيرة عدة في المنطقة العربية ومنها الحضارات في سوريا والاردن والحضارة اليهودية على ارض فلسطين، وما ان حلت الالفي عام الاخيرة قبل الميلاد الا وكان هناك حضارات عدة، ومنها : الحضارات الصينية والهندية واليونانية والفارسية،.. في حين ان الحضارات الاساسية والفرعية في المنطقة العربية اخذت بالتدهور السريع، في ظل تسارع انزال الرسل والانبياء من الخالق جل وعلا على شعوب المنطقة من اجل هدايتهم لطرق الاستقامة في الحياة، وكان اكثرهم عددا المنزلين على اليهود، واتجهت عموم المنطقة العربية إلى التفكك والصراع الجانبي ذو الابعاد القبلية والاقتصادية على الكفاف، وهو ما سمح بأن تتمدد الحضارة البيزنطية والفارسية عليها، وتستولي على مساحات كبيرة، واسست جزء من منظومتها المادية على المنطقة العربية، بل واستغلت اجزاء واسعة من السكان في اعمال خدمة الحضارتين البيزنطية والفارسية وادوات حرب فيهما.

لم يحدث تغير كبير في المنطقة الا بعد ان انزل الاسلام، الذي عمل على توحيد الالسن على العربية، وتوحيد التفكير على الشريعة الجديدة بوصفها هي الضامن للجميع، ولم ينكر الاسلام الانتماء القومي الموجود انما تعايش بحدود مرنة جدا مع كل التكوينات، وهو ما جعله اكبر جامع للمحتوى الانساني والحضاري، واستطاع العرب في غضون عدة سنوات من فتح المنطقة الممتدة بين شمال افريقيا ووسط اسيا، رغم ان امكاناتهم لا تقاس بما امتلكته الحضارات البيزنطية والفارسية في تلك المرحلة.

اندمج العرب بالاسلام على نحو صار العرب المادة الخام لنشر الاسلام، وارتحل العرب مع عمليات نشر الشريعة الجديدة إلى مناطق واسعة تمتد من الهند ووسط اسيا شرقا [1] إلى الاندلس وشرق المحيط الاطلسي غربا، والى جنوب الصحراء الافريقية وحدود تنزانيا جنوبا [2]، وبنوا حضارة عرفت باسم الحضارة العربية الاسلامية.

[1] -عبدالرحمن الفريح، العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي، الدرعية: العدد الأول مايو 1998، على الرابط: https://www.alukah.net/culture/0/32989/

[2] رؤوف عباس حامد، العرب في أفريقيا: الجذور التاريخية والواقع المعاصر، القاهرة، دار الثقافة العربية،1987, ص198.

بعد سقوط تلك الحضارة على يد المغول شرقا وعلى يد الاسبان غربا، تفككت الوحدة السياسية للعرب ولم يكن من جامع لهم لاحقا الا الدولة العثمانية، التي استمرت حتى الحرب العالمية الاولى، لتظهر بعد ذلك وحدات سياسية قومية، تحت مطالب البريطانيين والفرنسيين في تقويض الاساس الاسلامي للدولة العثمانية، من خلال ابراز العامل القومي، فتأسست عدة دول عربية، بحسب مصالح الاطراف الاوروبية التي احتلت المنطقة العربية وضاعت العديد من الاراضي التي يستوطنها العرب في الدول المجاورة، واتجهت الانظمة الحاكمة إلى تأصيل العوامل السيادية السياسية وعدم الاهتمام بتطوير العوامل الرابطة بين العرب، ثم تعشقوا لاحقا بمفاهيم القوى الغربية في اطلاق تسمية الشرق الاوسط على جزء من السكان العرب في المشرق العربي، وجعل عرب افريقيا تحت مسمى "شمال افريقيا".

اذن، هل سكان المنطقة العربية هم : عرب ام مسلمين ام شرق اوسطيين؟ [3]

ان التسمية "شرق اوسطية" ما هي الا تسمية غربية، بقصد اظهار ان العرب كيانات قبلية مجزئة، لا رابط بينها، في الوقت الذي يتم استهداف الاسلام بوصفه مادة اولية جامعة لاغلب سكان المنطقة العربية، اي ان الامر بدأ باستهداف الدولة العثمانية عبر نشاط التيارات القومية، ثم صار الاتجاه إلى استهداف التيار القومي بقصد منع وحدة العرب عبر اعلاء التيارات الايديولوجية والفئوية والقبلية.

والتسمية الصحيحة المعبرة عن هوية المنطقة هي : مسلمون عرب، أو عرب مسلمون، رغم وجود اقليات اخرى اثنية، مثل الكرد، والبربر، والافارقة، والاقباط، والارمن، وغيرهم، الا ان مجموعهم الكلي لا يتعدى الا نسبة صغيرة، بقت حقوقهم مضمونة حتى في اطار الدولة العربية الاسلامية، في ظرف تظهر الادعاءات الراهنة بان لا حل في التعايش مع الاقليات الا باللجوء إلى الدولة المدنية وليس إلى الدولة الدينية لانها لا يمكن ان تضمن حقوق الاقليات الاخرى.

ثانياً-أهداف القوى الكبرى والاقليمية وادواتها عربياً

حتى وقت قريب كانت القوى الكبرى هي غربية الاتجاه والتوجه، الا ان عوامل القوة انتشرت، واصبح هناك قوى كبرى غير غربية مثل الصين والهند واليابان، ويمكن ان تظهر قوى اخرى مثل تركيا والبرازيل، وغيرها بحسب المؤشرات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتكنولوجية والثقافية.

وبتتبع أهداف القوى الكبرى الغربية، يلاحظ انها كانت تدور حول:

1 مركزية وهيمنة العالم الغربية، عبر عمليات فرض النفوذ، وهو ما يتم عبر آليات عديدة سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية، كلها تؤشر ان الغرب يعمل على إدامة وجوده في قمة القيادة العالمية، وهو بدأ يتجه إلى الهيمنة والنفوذ منذ سقوط الدولة العربية

[3] فخري لبيب، إبراهيم سعد الدين، تجمع عربي أم شرق أوسطي؟، القاهرة، منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الأسيوية، 1994, ص154-155.

الاسلامية في الاندلس، وبدأت مؤشرات تفكك الدولة العثمانية، وثم جاءت الحرب العالمية الاولى لتؤشر ان المنحنى البياني لهيمنة العالم الغربي بدأت بالهبوط، نتيجة حجم الكلف التي تحملتها الدول الغربية، وبدأ ظهور الوعي لدى الشعوب الاخرى، ويعمد الغرب إلى استخدام كل الادوات لغرض الاستمرار، وبضمنه استهداف الدول والشعوب التي يمكن ان تظهر وعيا لبروزها.

2 انشاء ودعم وجود دولة لليهود في المنطقة العربية على ارض فلسطين، وهو مشروع ظهر في نهاية القرن التاسع عشر، واشتد التاكيد عليه مع قوة التيارات التي تؤمن بوجود إسرائيل في العالم الغربي، حتى اصبح دعم وجود وتاكيد قوة إسرائيل يمثل احد اهم اهداف القوى الكبرى في المنطقة العربية [4].

3 دعم الاقليات غير العربية وغير الاسلامية، وهذه من أهم ادوات تفكيك واضعاف الدول العربية، فبعد ان تم تجزئة المنطقة العربية، اصبح العرب قياسا إلى الاقليات الموجودة في كل كيان عربي، نسبة قابلة للملاحظة، ومن ثم دعوة الدول العربية إلى تبني سياسات تراعي هوياتها الوطنية وليس الهوية القومية، مع دعم الاقليات لكي تكون ادوات الغرب في المنطقة، واتجهت القوى الغربية إلى دعم بعض التيارات في داخل المنطقة، بقصد استهداف الوحدة الوطنية، وانتهى الامر إلى تفكيك السودان، ويمكن ان يظهر نفس الاتجاه في دول اخرى مستقبلا [5].

4 تغييب واضعاف الهويتين العربية والاسلامية، وهو ما يتم من خلال أداتين :

- عدم ظهور دولة عربية قوية يمكن ان تجمع العرب أو المسلمين حولها، وهو ما يتم عبر استهداف مزدوج للعرب والمسلمين، ويتم مقابله دعم التيارات العلمانية، والقبلية والطائفية، لان الدول الغربية تدرك ان استعانة العرب بهويتهم الاسلامية كفيل باعادة بث المنطقة حضاريا وانسانيا ونهضتها بما يتوافق مع امكاناتها ورسالتها وتاريخها [6].

- اضعاف المسلمين وتفكيكهم، وعدم السماح باي ظهور لاي تيار اسلامي يمكنه ان يكون عامل توحيد للمنطقة، وهو عمل مستمر منذ عدة عقود، كانت تتولاه انظمة الحكم العربية من خلال اشاعة اجواء الانظمة التي لا تتفق مع القاعدة أو الاسس الحضارية للمنطقة وقيمها، فبكل الاحوال النظام العلماني والديمقراطية انما هي انماط حكم غربية تتعارض مع الاسلام في اكثر من زاوية، واهمها ان الاسلام لا يحكم بمبدأ الاغلبية وانما بمبدأ الاصلح، ولا يعمل بالانتخابات وانما بالاختيار استنادا إلى الشورى [7].

[4] ابراهيم نافع، جنون الخطر الاخضر: وحملة تشويه الاسلام، القاهرة، مؤسسة الاهرام - مركز الاهرام للترجمة والنشر, 2004, ص115.

[5] أحمد سعيد نوفل، دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي، بيروت، مركز زيتونة للدراسات والاستشارات، 2010, ص63-64.

[6] محمد السيد سعيد، سوريا بين الاستهداف و الاصلاح، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية, 2005, ص24.

[7] أمان عبد المؤمن قحيف، اشكالية الصراع والتعايش بين الحضارات : الإسلام والغرب نموذجا، القاهرة، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، 2007, ص 250.

1 تسويق المنتجات ونمط الحياة الغربية، وهذا الهدف مهم للغرب لانه يحقق له : تسويق تجارته والحصول على عائد منها، واستقطاب المتعلمين في المنطقة العربية، وجعل المنطقة بلا هوية لان الثقافة الغربية ان تم تبنيها مع اساس ثقافي اسلامي يحدث تعارض ولا يمكن التكييف بينها، لان قواعد الاسلام واحكامه لا تقبل الاجتهاد، وعملية التسويق تتم عبر : نظم التعليم، والاعلانات، وعبر السلع الاستهلاكية والملابس.

2 الاعتماد على الأدوات العربية ومن بينهم أفراد يستوطنون في العالم الاسلامي لاستهداف المنطقة وتمكينهم من الوصول إلى الحكم أو الثروة أو التأثير في المنطقة العربية، وهو ما ظهر بالتيارات التي تعيش حالة تغريب واضحة، وفي السنين الاخيرة تتم الدعوة إلى دعم كل تيار لا يتفاعل مع الخواص الحضارية للمنطقة العربية ومنها : التيارات الملحدة، والشواذ وغيرها، والعمل على تقليص حضور العامل الاسلامي في المنهج التعليمي عبر مشروع الشرق الاوسط الكبير، واظهار ان المشكلة في الاسم وليس في انظمة الحكم وفي السياسات الغربية في المنطقة [8].

ثالثاً-المظاهر الخارجية لمعاناة وتدهور وضعف المنطقة العربية

ان الاهداف للدول الكبرى، سواء كانت بصيغتها الحديثة التقليدية : القوى الكبرى الغربية، أو بصيغتها الراهنة : كافة القوى الكبرى، انما اتجهت إلى مواضيع مختلفة ومنها من وجهة نظرنا:

1 التسويق السياسي، لنفسها وهويتها ومنتجاتها، وهذه النقطة تعبر عن محتوى سياسي-اقتصادي-ثقافي، وتجد في المنطقة العربية نقطة استهلاك كبيرة للمنتجات الاخرى التي يتم تسويقها.

2 دعم إسرائيل، وهو هدف تستمر القوى الكبرى في تتبعه في كل سياساتها تجاه المنطقة العربية نتيجة قوة التيارات الصهيونية في العالم وخاصة بين النخب السياسية والاقتصادية والثقافية في القوى الكبرى.

3 استمرار امتلاك الادوات التي يمكن التاثير عبرها في غيرها، ومنها : الشركات الكبرى، وغيرها.

4 الحصول على الموارد الاولية ومنها النفط والغاز، ولهذا نجد ان الصين اتجهت إلى الحصول على الاستثمارات في صفقات طويلة نسبياً.

5 النفوذ في المناطق الاقليمية، ومنها المنطقة العربية عبر امتلاك التاثير فيها، فهي تجد في تلك المناطق ما يمهد للوصول إلى الهدف الاهم : الريادة على النظام العالمي.

[8] مجدي صلاح طه مهدي، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الآليات، التداعيات، المواجهة، مصر-المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2009, ص 324.

6 عدم السماح للعرب بالبروز كهوية اسلامية أو كهوية عربية واحدة، وهو هدف تلتقي فيه كل سياسات القوى الكبرى بشكل أو بآخر.

7 والهدف النهائي هو: التمكين السياسي من الوصول إلى مراكز القيادة في النظام العالمي، بوصفه الهدف الاهم الذي يؤثر على التنافس بين القوى الكبرى.

ان من تطبيقات السياسات للدول الكبرى تجاه المنطقة العربية هو وجود معاناة في هذه المنطقة، والذي يتجسد بالآتي :

ا. الانكشاف السياسي والامني والاقتصادي، فتعد هذه المرحلة من اكثر المراحل التي عبرت عن وجود انحطاط حضاري وانساني كبيرين في المنطقة، وتعبر فيها عن ان انظمة الحكم الموجودة والطبقات السياسية لم تستطع ان تعكس المحتوى السياسي للحضارة والتاريخ العربيين، أما أمنياً فانه لا توجد عملية تصنيع أو توزيع وتنظيم للقوة العسكرية العربية، وكل عمليات الاستهداف التي تقع والتي يتعرضون لها تعبر عن ضعف في القدرة على الدفاع عن وجودهم، اما اقتصاديا فان الدول العربية لم تستطع ان تكون قوة اقتصادية منتجة خارج دائرة تصدير النفط، ومن ثم فان الاسهام الحضاري الراهن يكاد يكون بلا اي عائد، واسهام العرب في الوجود الانساني متدني جدا، وهو نتيجة الانكشاف الحاد امام البيئة الدولية [9].

ب. التفكك، وهي السياسة الثانية المهمة التي تنتهجها كافة القوى الكبرى تجاه المنطقة صراحة أو ضمنا، اذ لا يمكن القبول بأي عملية توحيد للدول العربية، وهو ما تستعد له عبر مزيد من عمليات التفكيك، ولا يمكن تجاوز ما طرح من خرائط سايكس بيكو الجديدة خلال السنوات الماضية، والتي ارادت بها الدول الغربية تحديدا ان تستغل ما عرف باوضاع العراق [10] وما جرى في المنطقة عام 2011 [11] لتفكيك المنطقة إلى وحدات سياسية متصارعة اصغر، فالعرب اصبحوا اليوم مشدودين بشكل متزايد لهويات ونماذج وتاثيرات خارجية عديدة، تجعلهم متصارعين بفعل العوامل السياسية وليسوا متجهين للاندماج[12].

ان هذه المقومات التي رسمت الوجه الجديد للاستراتيجية الامريكية اثناء الثورات العربية تعطي،نتيجة واحدة في تشكيل الجوهر والمضمون الذي يحدد استراتيجية الغرب والولايات المتحدة الامريكية في المنطقة واستثمار وتوظيف مزاياها الاقتصادية

[9] عزت سعد، المسار المرتقب للعلاقات بين القوى الكبرى بعد فوز (بايدن) وتداعياته على المنطقة، مجلة شؤون عربية، العدد 185، جامعة الدول العربية، ربيع 2021, ص51.

[10] حيدر علي حسين، احتلال العراق وتداعياته الإقليمية، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية, العدد 17, الجامعة المستنصرية، 2005, ص84.

[11] ينظر:ميثاق خيرالله جلود، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورات العربية عام 2011 مصر وليبيا أنموذجان, مجلة دراسات اقليمية, المجلد 10, العدد 30، جامعة الموصل، 2013, ص241-242.

[12] ناصر ابو عون، خريف العرب ربيع الغرب: تحولات السياسة الأمريكية وخارطة سايكس بيكو جديدة، عمان، دار دجلة، 2018, ص69 وما بعدها.

والسياسية بشكل كامل وعلى هذا الأساس لجأت الولايات المتحدة في تعاملها مع المنطقة الى استراتيجية جديدة لم تكن معهودة من قبل الا في تعاملها مع الاتحاد السوفيتي الا وهي استراتيجية الفوضى الخلاقة اذ منذ مجيئ بوش الأبن توسعت الولايات المتحدة في استعمال النظريات الفوضوية الهدامة خاصة بعد احداث 11 أيلول 2001 كالحرب على الارهاب واستراتيجية الحرب الاستباقية وتفعيل نظرية الدومينو، ان الاستقرار لم يعد يخدم المصالح الامريكية لذا فقد استثمرت الادارة الامريكية ثورات الربيع العربي لتعود الى استراتيجية الفوضى الخلاقة وتتبناها مرة اخرى ثم بعد ذلك تردفها باستراتيجية الفوضى البناءة كحل اخير للتعامل مع هذه المنطقه وتتكون عناصرها من تفكيك النظام الاقليمي من خلال محاور مع الغرب او ضده ووضع النظم في حالة قلق مستمر وتهديدها بالتغير واعادة صياغة النظم بحيث تقوم فيه الولايات المتحدة بدور الهدم (الفوضى) ثم تتركها لصراعاتها الداخلية بحيث تكون الحاجة الى التدخل والضبط الامريكية ملحة.

ج. مزيد من اضعاف الهوية العربية-الاسلامية لدول المنطقة، اذ لا يمكن تجاهل مشروع الشرق الاوسط الكبير وخاصة في موضوع اضعاف التعليم الديني وانهاءه، وموضوع اعادة النظر بشان موضوع وجود التيار الاسلامي في الحياة العامة والسياسية في الدولة والمجتمع العربيين، وهو ما يتم من خلال الترويج ليس للعلمانية وانما إلى تيارات متطرفة في المنطقة العربية ومنها : الالحاد والتيارات المثلية وغيرها في تعبير عن تصادم مع الخصوصية الحضارية والتاريخية والانسانية والدينية في المنطقة العربية [13].

د. دفع الدول العربية إلى التطبيع مع إسرائيل من دون اي تنازل في موضوع القضية الفلسطينية، وهي عملية تعبر عن انشطة متدرجة مخطط لها تقوم على توسع تدريجي بسقف منخفض من الانتقاد الحكومي العربي والاسلامي، وانتقالا متزايدا من مبدأ الارض مقابل السلام إلى الرفاهية مقابل السلام كما وضعتها صفقة القرن التي روجت لها الادارة الامريكية للاعوام 2018- 2020، وكان اخر انشطتها دفع الامارات والبحرين والسودان والمغرب إلى اعلان التطبيع مع إسرائيل من دون اي تنازل في موضوع الحقوق الفلسطينية [14].

ه. ما زال العرب متمسكين بانظمة سياسية غربية التوجه، وغير قادرين على انتاج نظرية سياسية بالحكم تعبر عن خصوصيتهم الحضارية والانسانية والتاريخية، ليس قصورا في الديمقراطية والفصل بين السلطات، انما نحتاج إلى نظرية حكم جديدة تتناسب مع خصوصية المنطقة وتعبر عن هويتها.

[13] مجموعة مؤلفين، الدين والسياسة في أجندة الإصلاح في العالم العربي، القاهرة، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، 2005, ص3-4.
وللمزيد ينظر كذلك: عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي (الجزء الثاني/ المجلد الاول)، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات · 2014, ص109.

[14] مجدي عبد العزيز، ورشة المنامة 2019, مجلة دراسات شرق أوسطية العدد 89، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط · 2019, ص73-74.

رابعاً-الارهاب بوصفه أكبر استثمار دولي واقليمي ضد العرب والمسلمين

نبدأ بكلمة: نتحفظ على لفظ "ارهاب"، فهو في الدلالات القرآنية مصطلح حميد، في حين ان المعنى الذي ألصق باللفظ غير حميد، وهو ما يدعونا إلى القول انه يجب استخدام الفاظ اخرى للتعبير عن الكلمة، بما يعكس الحاجة إلى مراجعة تركة ما نتعامل به من الفاظ غربية، والى اين يريدنا الغرب ان نذهب من صدام مصطلحي مع مصطلحات القرآن الكريم. وعليه سنستخدم مصطلح العنف السياسي الموجه، ويمكن استخدام العنف الاجرامي الموجه.

ظهرت جماعات العنف السياسي الموجه، والتي يطلق عليها الجماعات الارهابية، منذ عدة عقود في المنطقة العربية، وفي مناطق اخرى، لكن تتبع الآتي: ان الحدود مراقبة ولا تتحمل انتقال كثيف للموارد(افراد واموال واسلحة) عبرها من دون ان تثير الانتباه، كما ان بعض الانشطة من الصعب وضعها في اطار أو دائرة قدرة مجموعة افراد على تنظيمها، وهو ما يدفعنا للقول ان هناك انشطة استخبارية وربما تعاوني استخباري دولي-اقليمي، يقف خلف تلك الانشطة.

لقد تم رمي الاسلام والمسلمين بتلك الانشطة، وتتبع كل المجموعات التي صنفت بهذا الاسم، والخريطة الجغرافية لانشطتها، نجد انها تقع في مركز العالم الاسلامي: المنطقة العربية، ودون ان تصل إلى مركزين : إسرائيل وايران، وهو ما يجعلنا لا نستبعد وجود شبهة بالموضوع.

ان الاسلام صريح لا يقبل ان يكون دين عنف لغاية العنف، وانما العنف بالاسلام محدد بقيود وشروط، ويغلب الاسلام لغة الحوار والحكمة والعقل، وهذه النقطة ما لم تفهمها القوى التي تقف خلف صناعة جماعات : العنف السياسي الموجه، فهي تعتقد ان الاسلام دين عنف لأجل العنف، وهو ما جعل تلك الجماعات لا تجد لها قاعدة دعم حقيقية، فهي تظهر سريعا وتختفي سريعا.

كان اكبر عملية تتعرض لها المنطقة العربية هو ما جرى في الأعوام 2013-2015 من ظهور لتنظيم داعش، في العراق وسوريا وتمدد محدود لأنشطته في مصر ودول المغرب العربي، وكل المؤشرات المتاحة تظهر انه صناعة لتعاون مخابراتي، وما زال الهدف من انشاءه في المنطقة العربية غير معلوم لنا كأكاديميين، قياسا بهجمات 11 ايلول 2001 في الولايات المتحدة التي تعد اكبر عملية صناعة حدث في الولايات المتحدة قامت بها اطراف امريكية باستخدام أدوات حملت عناوين : عربية-اسلامية، من اجل تبرير ما قامت به لاحقا الولايات المتحدة من تبني سياسات هجومية في المنطقة العربية [15].

ان ما تحقق من جراء الاستثمار في مجموعات وتنظيمات : العنف السياسي الموجه، إنما تمثل في ابتعاد بعض العرب والمسلمين عن الاسلام، واجتذابهم نحو الأنموذج الثقافي الغربي، ظناً منهم ان المشكلة في الاسلام، إلى جانب خسائر وكلف تحملتها بعض الشعوب في سوريا والعراق

[15] تيري ميسان، 11 أيلول 2001 الخديعة المرعبة، لم تصطدم أية طائرة بمبنى البنتاغون!، ترجمة سوزان قازان - مايا سلمان، دمشق، دار كنعان للدراسات والنشر, 2002، صفحات متفرقة.

وللمزيد: شادي فقيه، عندما خدع جورج بوش العالم، بيروت، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع، 2006, ص7 وما بعدها.

وليبيا وغيرها، واتجاه مجلس الامن إلى تجريم الانشطة التي وسمت بانها : ارهابية، كتسمية، والتي تبيح للانظمة السياسية محاربة كل مجموعة اسلامية، وترك فسحة العمل السياسي للعلمانية، وهو ما يمثل اشكالية مهمة في المنطقة العربية، اذ اصبح على العمل السياسي ان يقدم صورة للغرب تظهر انه غير متسامح مع ما يصفه الغرب بانه اسلامي، من خلال مزيد من التساهل مع انشطة التيارات الغريبة عن المنطقة : الالحاد والمثليين، وكل التعابير التي تطلق على انشطة الحرية الشخصية غير المقيدة، وكان اخر التعابير هو الاتجاه المتسارع للتطبيع مع إسرائيل من دون وجود اي نتيجة سياسية تبرر ذلك.

خامساً -مستقبل العرب في ظل سياسات تنافس القوى الكبرى والاقليمية

ان من الاسئلة التي طرحت منذ عدة عقود في المنطقة العربية هي : العرب إلى اين؟

ان المنطقة كانت مصنفة منذ القرن السابع كمنطقة اسلامية، وصولا إلى سقوط الدولة العثمانية، اذ اجتاحتها هويات قومية، ترغب ان يكون هناك كيانات قومية عربية، الا ان الدول الغربية فرضت الحدود السياسية على الكيانات ولم تسمح بالتوحد، لتأتي الحرب الباردة بعدها لتفرض على المنطقة انقساماً حاداً وفقا لدائرة التوجه السياسي بين دول غربية التوجه واخرى شرقية، وهو انقسام أثّر في واقع الدول العربية، وجعلها منكشفة على سياسات التنافس للقوى الكبرى لمدة ليست بالقليلة.

وبعد انتهاء الحرب الباردة، اتجهت اقاليم ومناطق شتى حول العالم إلى اعادة تعريف حضورها وهويتها العالمية، لكن بقت المنطقة العربية خاملة، والاسباب تقع في عدة عوامل مؤثرة :

- إسرائيل، فهي ترى ان اي تحرك للعرب نحو الهوية الاسلامية انما يفيد بنهايتها السريعة فهي ليست بالقوة الكبرى التي لا يمكن مواجهتها انما تستمد قوتها من الدعم الغربي والتواطؤ من انظمة الحكم في المنطقة

- الدول الغربية، والتي ترى ان اي اعادة تعريف غير موجهة للهوية في المنطقة العربية ستقود إلى الوحدة العربية وهو ما سيعني نهوض جديد للعرب وربما للهوية الاسلامية، وهو ابرز تحدي يشعره الغرب.

- انظمة الحكم في المنطقة العربية، والتي ترى ان اي اصلاح سيضر بوجودها، وان مصالحها تتحقق في سبات الشعوب والمجتمعات العربية.

لم يبرز تيار اصلاحي في العالم العربي بعد العام 1990، مع بروز لقوة تيارات تدعي انها تتمسك بهويات اسلامية، في تحول مهم يظهر لاول مرة في المنطقة منذ سقوط الدولة العثمانية.

اذاً اصبح هنالك ثنائية مهمة: فأنظمة حكم تدعي العلمانية والقومية، مقابل تيارات صغيرة غير منظمة تدعي انها اسلامية، وهو ما اوجد حوارات صغيرة اكاديمية ظهرت في تسعينيات القرن الماضي للحوار بين القوى العلمانية العربية والتيارات الاسلامية، الا ان التغير حدث بعد احداث 11

ايلول 2001 عندما طرحت الولايات المتحدة ضرورة لاحداث تغييرات واصلاحات كبيرة بالمنطقة، بدعوة ان المنطقة تتسبب بعدم الاستقرار جراء الضعف السياسي الموجود، فطرحت مشروع الشرق الاوسط الكبير، والذي كان من بين طروحاته : التحول نحو تداول السلطة سلمياً، والاتجاه إلى الخصخصة، ومنح المرأة الحرية، وانهاء التعليم الديني، وكان الصدام الاكبر مع الواقع العربي هو بحدث احتلال العراق عام 2003، وما طرح خلاله من مشروع للفوضى الخلاقة، اي جعل التيارات الداخلية تتصارع بعنف وتقود: أما إلى ظهور تيار جديد قادر على كسب الشرعية بقوة العنف أو الاقناع، أو ان الصدام بين التيارات الداخلية يقود إلى فوضى وفشل انظمة الحكم وفشل الدول في السيطرة عليها، ومن ثم يقود إلى تفكك الدول العربية القائمة، ان المنطقة العربية كانت ساحة تجربة نظرية واطروحات في مراكز الفكر الغربية لدفع المنطقة لكي تتفكك بشكل اكبر وبإرادة داخلية وليس بارادة خارجية [16].

وما ان اندلعت احداث عام 2011 في المنطقة العربية، حتى أصبح هنالك مصدرين للتوتر والاضطراب في المنطقة :

1 قوى داخلية كثيرة تتجه إلى الصدام مع بعضها لاعادة تعريف هوية الداخل بما يتناسب مع مصالحها، ومنها : أنظمة الحكم التقليدية وتيارات عدة ومنها قوى عنفية.

2 قوى اقليمية تعمل عبر أدوات محلية لكي تكسب نقاط وتاثير باستغلال نقطة مهمة: ان الغرب يركز على تفكيك المنطقة وليس على القوى الاقليمية [17].

3 وقوى دولية كبرى، وهو ما ظهر من الصدام في سوريا والذي تصارعت فيه الارادة الغربية التي تريد اطالة الصراع من اجل اضعاف العرب قياسا بتعظيم قوة إسرائيل اقليميا، وروسيا التي ارادت مزيداً من الحضور في المنطقة [18].

وبالنتيجة، فان المنطقة العربية انتجت الدول الفاشلة الآتية : العراق وسوريا والصومال وليبيا واليمن، فمعدلات الفشل مرتفعة، ولا يمكن ان تكون الارادة الغربية والاقليمية بعيدة عنه، مستغلة فشل انظمة الحكم في بناء دول وطنية أو ان تحاكي انظمة الحكم الهوية الحقيقية للمنطقة: كونها دول عربية-اسلامية، وانما ركزت على السلطة والبقاء فيها، ومن ثم انتجت ازمة داخلية وانكشاف حاد، قاد إلى مشاكل كبرى في المنطقة وفي تلك الدول، وهو ما انتهى إلى جعل

[16] رمزي المنياوي، الفوضي الخلاّقة: الربيع العربي بين الثورة و الفوضى، السيناريو الأمريكي لتفتيت الشرق الأوسط و النظرية الصهيونية التي تبنتها أمريكا لشرذمته، بيروت، دار الكتاب العربي، 2012, ص18-20. وللمزيد ينظر: عيسى السيد دسوقي، الصراع الدولي على الشرق الأوسط، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، 2016, ص138 وما بعدها.

[17] جواد الحمد، التحولات في الشرق الأوسط واتجاهاتها، مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 81، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، خريف 2017, ص2-3.

وللمزيد: منير موسى أبو رحمة،آسية قوراري، موقف إيران كقوة تعديلية في ميزان القوى الجديد في الشرق الأوسط، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، بتاريخ سبتمبر 2020، على الرابط: https://rasanah-iiis.org/%D989/

[18] ناجي خليفة الدهان، التنافس (الأمريكي، الروسي، الإيراني)، في سوريا وفي الشرق الأوسط، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ 20 تموز 2020، على الرابط: http://www.umayya.org/articles/umayya_articles/21229

وللمزيد: احمد عبد الامير الانباري، التنافس الروسي - الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط: تنازع النفوذ والأدوار: سوريا أنموذجاً، مجلة العلوم السياسية، العدد 60, جامعة بغداد, 2020, ص84-85.

المستقبل مفتوحاً على كل الاحتمالات امام تلك الدول وامام عموم المنطقة العربية.

ان مشكلة الدول العربية ليست في بناء الدول [19]، انما في استعادة المنطقة لهويتها، فكل نظام حكم لا يبني أسسه على قاعدة تتفاعل مع الخصوصية الحضارية للمنطقة انما يبقى كيان خارجي، قد ينجح لسنوات الا انه سيفشل لاحقا، واستمرار التعرض للهوية الاسلامية للمنطقة لا يعبر عن قوة انما يعبر عن صدام مؤجل لا يخدم حتى المصالح الغربية، لانها ستوجد ارضية لصدام لاحق مع المصالح والسياسات الغربية.

الخاتمة:

توصل البحث إلى ان ما تم الحديث عنه هو منطقة عربية -اسلامية، وليس منطقة شرق اوسطية، فالوجود العربي يمتد على مساحة جغرافية كبيرة، وان القوى الغربية عملت على اضاعة الهوية لهذه المنطقة فأسمتها تجاوزاً منطقة "الشرق الاوسط"، فهو شرق بالنسبة اليها، وأوسط بالنسبة إلى عموم المنطقة الممتدة من شرق آسيا إلى غربها، وشعوب المنطقة التي يتم الحديث عنها هي شعوب حية متفاعلة بعضها مع البعض الاخر ويجمعها روابط : التاريخ والتعايش والجوار الجغرافي والاسلام، الا انها شعوب لكل منها خصوصية، وهوية، ومن ثم فإن جمعها في اطار منظومة وجعلها تعبر عن محتوى واحد، انما يقود إلى تقوية الصراع فيما بينها ويعبر عن وجود مشروع يهدف إلى استلاب المنطقة العربية خصوصيتها في ظل الاصرار على تقسيم المنطقة العربية إلى اجزاء غير مترابطة : شمال افريقيا، ومنطقة الخليج العربي، والمشرق العربي ومصر يتم دمجها في اطار ما يعرف بالشرق الاوسط.

اوضحنا في متن هذا البحث، ان المنطقة العربية مهمة، بامكاناتها وعمقها التاريخي، والاهم بما تتمتع به من خاصية حضور الاسلام، فهو هوية متكاملة رغم كل محاولات التعرض الغربية التي يعانيها العرب في ضرب تلك الهوية بقصد التركيز على هويات محلية أو مشوهة وجعلها هي الهويات التي تمثل المنطقة.

العوامل الثلاثة : الامكانات، والتاريخ، والاسلام، جعلت المنطقة القوى الكبرى تتنافس عليها، بقصد معالجة اختلالات كبرى لدى تلك القوى، فالمكانة التي تتمتع بها دولة ما في العالم لا يمكن ان تستمر ضمن منطق تغير احوال الدول والشعوب، خصوصا وان اغلب القوى الكبرى تعاني من اختلالات عديدة، الا انه مستمر في مكانته نتيجة الضعف الذي يستشري بين القوى والشعوب الاخرى.

انتهجت القوى الكبرى سياسات مختلفة للتنافس، والصراع، على المنطقة العربية، واعتمدت ذلك لغايات عديدة اقلها الرغبة بالهيمنة والنفوذ والتاثير عالمياً، والسبب الاخر انما يرجع كما اوضحنا إلى معالجة التناقضات داخل القوى الكبرى ومنها معالجة المشكلة اليهودية، عبر انشاء

[19] روبرت بيشيل واخرون، الحوكمة في المنطقة العربية: الخبراء يناقشون الاستجابات العامة لفيروس كورونا المستجدّ، معهد بروكنجز، بتاريخ 3 سبتمبر 20، على الرابط: https://www.brookings.edu/ar/opinions//

الكيان العبري في المنطقة، لمعالجة المشكلة اليهودية في العالم الغربي، والسبب الاخر استهداف الاسلام، ومنع بروز منافس جدي يمتلك القدرة على النهوض السريع ألا وهو العرب، بل وحتى المسلمين.

ان العمل على تغييب الهويتين العربية والاسلامية في سياسات القوى الكبرى انما يعود إلى أبعاد تاريخية، واخرى تقترن بالتوقعات، فأما الأبعاد التاريخية فان الحضارات القديمة في المنطقة العربية تظهر ان المنطقة أكثر عمقاً انسانياً وحضارياً من الغرب، كما ان الغرب بعمومه ينظر صراحة أو ضمنا إلى ان الحضارة العربية-الاسلامية استطاعت ان تنهي سيطرة وحضور الحضارة الرومانية، وتمد تاثيرها إلى داخل أوروبا، وان الغرب ينظر توقعا إلى ان الامكانات التي تجمع العرب انما يمكن من خلالها ان تمدهم باسباب انطلاقهم الحضاري والانساني، وان العمل على تغييب واستهداف الاصول والاسس التي تمنح العرب والمسلمين الخصوصية والهوية والتميز والتفرد عالميا انما هو ما يمكنه ان يعيق وعي العرب والمسلمين برسالتهم الانسانية والحضارية.

ان ابرز ما تعانيه المنطقة العربية اليوم هو واقعها السلبي، فهي في موضع متلقي التاثير والضعف والاستلاب، والتفكك، ولا يمكن ابعاد العامل الدولي من هذا الواقع، وهو ما يظهر في نقطة مهمة الا وهو ظهور ما تسميه الدول الغربية بـ: الارهاب، في العقود الاخيرة، بوصفه استثماراً سياسياً-مخابراتياً بإمتياز، من قبل قوى متعددة الهويات، وكلها سلطت تاثيرها وحضور هذا الاستثمار في المنطقة العربية مستغلين الضعف الحضاري العالمي، الذي يرى ان العرب والمسلمين غير واعين بدينهم وغير واعين بواقعهم، ومن ثم فان اقتطاع نصوص مجزئة، وتصويرها انها هي الدين انما يمكن ان يعمل على تشويه الاسلام وصورة العرب في نظر العالم، وهو استثمار لا يمكن ان يطول، ورغم ان الامر تسبب بموجة محدودة من الالحاد في العالم الاسلامي وخسائر مادية وبشرية، الا انه مردود عليه بانه لا يمثل خسارة استراتيجية للعالمين العربي والاسلامي، فما جرى انما استهدف استخدام واقع متأخر، وادوات تم تصنيعها باجتهاد، الا ان علاجها هو ان تتجه المنطقة إلى التوعية بان الاسلام والعرب انما يمثلان هويتين متفاعلتين، ولا يمكن للعرب ان يبرزوا كأمة انسانية وحضارية من دون الهوية الاسلامية.

ان المستقبل اذي يمكن ان ينتظر المنطقة العربية، لا يمكن ان يكون بعيدا عن البروز ان استعاد العرب هويتهم، وتأكدوا ان ما يميزهم هو الأبعاد : الاسلام والتاريخ والحضارة والانسانية، والامكانات، والا فانهم سيكونوا قابلين لمزيد من التراجع والتفكك مستقبلاً.

قائمة المصادر:

أولاً-الكتب باللغة العربية

1 ابراهيم نافع، جنون الخطر الاخضر: وحملة تشويه الاسلام، القاهرة، مؤسسة الاهرام - مركز الاهرام للترجمة والنشر، 2004.

2 أحمد سعيد نوفل، دور إسرائيل في تفتيت الوطن العربي، بيروت، مركز زيتونة للدراسات والاستشارات، 2010.

3 أمان عبد المؤمن قحيف، اشكالية الصراع والتعايش بين الحضارات: الإسلام والغرب نموذجا، القاهرة، مكتبة الآداب للنشر والتوزيع، 2007.

4 تيري ميسان، 11 أيلول 2001 الخديعة المرعبة, لم تصطدم أية طائرة بمبنى البنتاغون!, ترجمة سوزان قازان - مايا سلمان, دمشق, دار كنعان للدراسات والنشر, 2002.

5 جواد الحمد، التحولات في الشرق الأوسط واتجاهاتها، مجلة دراسات شرق أوسطية، عدد 81, عمان, مركز دراسات الشرق الأوسط, خريف 2017.

6 رمزي المنياوي، الفوضى الخلّاقة: الربيع العربي بين الثورة و الفوضى، السيناريو الأمريكي لتفتيت الشرق الأوسط و النظرية الصهيونية التي تبنتها أمريكا لشرذمته، بيروت، دار الكتاب العربي، 2012.

7 شادي فقيه، عندما خدع جورج بوش العالم، بيروت، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، 2006.

8 عيسى السيد دسوقي، الصراع الدولي على الشرق الأوسط، القاهرة، مكتبة جزيرة الورد، 2016.

9 فخري لبيب، إبراهيم سعد الدين، تجمع عربي أم شرق أوسطي؟، القاهرة، منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الأسيوية، 1994.

10 مجدي صلاح طه مهدي، مشروع الشرق الأوسط الكبير: الآليات، التداعيات، المواجهة، مصر-المنصورة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.

11 مجدي عبد العزيز، ورشة المنامة 2019, مجلة دراسات شرق أوسطية العدد 89, عمان, مركز دراسات الشرق الأوسط · 2019.

12 مجموعة مؤلفين، الدين والسياسة في أجندة الإصلاح في العالم العربي، القاهرة، مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية، 2005.

13 محمد السيد سعيد، سوريا بين الاستهداف والاصلاح، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، 2005.

14 ناصر ابو عون، خريف العرب ربيع الغرب: تحولات السياسة الأمريكية وخارطة سايكس بيكو جديدة، عمان، دار دجلة، 2018.

15 عزمي بشارة، الدين والعلمانية في سياق تاريخي (الجزء الثاني/ المجلد الاول)، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

16 رؤوف عباس حامد، العرب في أفريقيا: الجذور التاريخية والواقع المعاصر، القاهرة، دار الثقافة العربية،1987.

ثانياً-الدوريات باللغة العربية

1 احمد عبد الامير الانباري، التنافس الروسي - الأمريكي في منطقة الشرق الأوسط: تنازع النفوذ والأدوار: سوريا أنموذجاً، مجلة العلوم السياسية، العدد 60, جامعة بغداد, 2020.

2 حيدر علي حسين، احتلال العراق وتداعياته الإقليمية، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد 17, الجامعة المستنصرية, 2005.

3 عزت سعد، المسار المرتقب للعلاقات بين القوى الكبرى بعد فوز (بايدن) وتداعياته على المنطقة، مجلة شؤون عربية، العدد 185، جامعة الدول العربية، ربيع 2021.

4 ميثاق خيرالله جلود، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورات العربية عام 2011 مصر وليبيا أنموذجان, مجلة دراسات اقليمية, المجلد 10، العدد، جامعة الموصل، 2013.

ثالثاً-مصادر الانترنت باللغة العربية

1 روبرت بيشيل واخرون، الحوكمة في المنطقة العربية: الخبراء يناقشون الاستجابات العامة لفيروس كورونا المستجدّ، معهد بروكنجز، بتاريخ 3 سبتمبر 20، على الرابط: https://www.brookings.edu/ar/opinions//

2 عبدالرحمن الفريح، العرب في خراسان وبلاد ما وراء النهر في العصر الأموي، الدرعية: العدد الأول، مايو 1998، على الرابط: https://www.alukah.net/culture/0/32989/

3 منير موسى أبو رحمة،آسية قوراري، موقف إيران كقوة تعديلية في ميزان القوى الجديد في الشرق الأوسط، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، بتاريخ سبتمبر 2020، على الرابط: https://rasanah-iiis.org/%D989/

4 ناجي خليفة الدهان، التنافس (الأمريكي، الروسي، الإيراني)، في سوريا وفي الشرق الأوسط، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، بتاريخ 20 تموز 2020، على الرابط: http://www.umayya.org/articles/umayya_articles/21229

أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية لدى الولايات المتحدة الأمريكية ما بين التراجع والاهتمام

د. خالد هاشم محمد*

الملخص

لم تعد منطقة الشرق الاوسط تحظى بالأهمية النسبية التي كانت تحظى بها سابقا بالنسبة إلى السياسة الأمريكية، لأسباب عديدة في مقدمتها الاكتشافات الهائلة للنفط الصخري في الولايات المتحدة، والذي يراه الكثير من المحللين وراء تراجع اهتمام الولايات المتحدة بمنطقة الشرق الأوسط، والتوجه شرقا نحو آسيا نتيجة تنامي أهمية جنوب وجنوب شرق آسيا في الاقتصاد العالمي، إضافة إلى توجهات الرأي العام الأمريكي، الذي لم يعد متحمسا للتدخل الأمريكي في هذه المنطقة المضطربة من العالم، أو النشاط الزائد بها، نتيجة للثمن الاقتصادي والبشري الذي دفعته الولايات المتحدة هناك.

ولكن هذا التوجه لا يعني أن الولايات المتحدة ستتخلى بالكامل عن الشرق الأوسط. فالولايات المتحدة ستحافظ على قدر من الاهتمام بهذه المنطقة لعدة أسباب، أهمها يتعلق بمكانة الولايات المتحدة كقوة عالمية وستظل مهتمة بأن تلعب دورا ما في الشرق الأوسط.

وبالتالي، فإن الفرضية الأساسية التي بنيت عليها المقالة هي، أن منطقة الشرق الأوسط قد تراجعت اهميتها الاستراتيجية نسبيا لدى صانع القرار الأمريكي ومنذ مدة ليست بالقصيرة، وهذا لا يعني أن الولايات المتحدة ستتخلى عنها نهائيا أو تغادرها بالكامل، وإنما يعني أن أهميتها النسبية على مستوى العالم قد تراجعت إلى مرتبة ثالثة أو حتى رابعة بعد أوروبا ومنطقة آسيا وأمريكا اللاتينية.

الكلمات الافتتاحية: الشرق الأوسط، الولايات المتحدة، التراجع، الاهتمام.

* دكتوراه علوم سياسية من جامعة القاهرة- كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، يعمل الان مستشار في المركز العراقي للدراسات الاستراتيجية، عمان/ الأردن.

The strategic importance of the Middle East for the United States of America between retreat and interest

Dr. Khaled Hashem Mohammed

Abstract

The Middle East region no longer enjoys the relative importance it previously had for US policy, for many reasons, foremost of which are the massive discoveries of shale oil in the United States, which many analysts believe is behind the decline of the US interest in the Middle East region and the orientation towards Asia as a result of the growing importance of the South. And Southeast Asia in the global economy, in addition to the trends of the American public, who is no longer enthusiastic about the US intervention in this troubled region of the world, or the excessive activity in it, as a result of the economic and human price that the United States paid there.

But, this approach does not mean that the United States will completely abandon the Middle East. The United States will maintain a degree of interest in this region for several reasons, the most important of which is related to the status of the United States as a global power, and it will remain interested in playing some role in the Middle East.

Consequently, the basic premise on which the article is based is that the Middle East region has declined relatively its strategic importance to the American decision-maker for quite some time now, and this does not mean that the United States will abandon it permanently or leave it completely, but rather that its relative importance on the world level has decreased. It fell to a third or even fourth place after Europe, the Asian region and Latin America.

Key words: Middle East, United States, Retreat, Interest.

مقدمة:

ظلت منطقة الشرق الأوسط تعتبر من أهم المناطق في العالم؛ نظراً لموقعها الاستراتيجي ولما تتميز به من ثروات طبيعية، أهمها النفط والغاز الطبيعي اللذين يعدان من أساسيات حياة البشرية على كوكب الأرض في العصر الحديث، إضافة إلى الممرات البحرية الأساسية، التي تصل بين الشرق والغرب، ومن هنا جاء الاهتمام الأمريكي بهذه المنطقة الحيوية من العالم.

وفي الحقيقة، ومنذ تولى باراك أوباما سدة الرئاسة في كانون الثاني من عام 2009، بدأ الاهتمام الامريكي بمنطقة الشرق الأوسط في التراجع والانحسار، وتبدلت الأولويات والأهداف، فقد ترك الرئيس بوش الإبن لخلفه الرئيس أوباما أوضاعا دولية متردية، خلفتها سياساته تجاه القضايا الدولية المختلفة، وفي مقدمتها الحرب على كل من العراق وأفغانستان، والحرب على الإرهاب، وبدأت تظهر ملامح مرحلة جديدة شعارها "التغيير" وقد تعززت تلك الرؤية أكثر بالانسحاب من الشرق الأوسط واستمرت مع ادارة دونالد ترامب وستستمر أيضا مع إدارة جو بايدن الجديدة.

ولكن هذا التوجه لا يعني انسحاب الولايات المتحدة بالكامل من الشرق الأوسط. فالولايات المتحدة ستحافظ على قدر من الاهتمام بهذه المنطقة لعدة أسباب، أهمها يتعلق بكون الولايات المتحدة قوة كبرى في العالم وستظل مهتمة بأن تلعب دورا ما في الشرق الأوسط.

وبناءً على ما تقدم، فإن التساؤل الرئيسي للدراسة يدور حول: هل ما تزال منطقة الشرق الأوسط تتمتع بنفس الأهمية الاستراتيجية التي كانت تتمتع بها في السابق؟ أم إن تلك الأهمية قد تراجعت بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية؟

ومن هذا التساؤل الرئيسي تنبثق عدة تساؤلات فرعية:

1_ ما هي أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط؟ وهل تغيرت تلك الأهداف؟ أم بقيت ثابتة؟

2_ ما هي أسباب تراجع أهمية الشرق الأوسط لدى الولايات المتحدة الأمريكية في الفترات الأخيرة؟

3_ هل تستطيع الولايات المتحدة فك ارتباطها بالشرق الأوسط بشكل نهائي؟ أم هناك أسباب تدعوها إلى الحفاظ على قدر معين من الاهتمام بهذه المنطقة المهمة من العالم؟

فرضية الدراسة: الفرضية الأساسية التي بنيت عليها الدراسة هي، أن منطقة الشرق الأوسط قد تراجعت أهميتها الاستراتيجية نسبيا لدى صانع القرار الأمريكي ومنذ مدة ليست بالقصيرة، وهذا لا يعني أن الولايات المتحدة ستتخلى عنها نهائيا أو تغادرها بالكامل، وإنما يعني أن أهميتها النسبية على مستوى العالم قد تراجعت إلى مرتبة ثالثة أو حتى رابعة بعد أوروبا ومنطقة آسيا وأمريكا اللاتينية.

ضمن هذا السياق، قسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث رئيسية:

المبحث الأول: أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط.

المبحث الثاني: أسباب تراجع الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط لدى الولايات المتحدة الأمريكية.

المبحث الثالث: الولايات المتحدة ما بين فك الارتباط والارتباط بالشرق الأوسط.

المبحث الأول

أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط

تتمتع منطقة الشرق الأوسط بمكانة كبيرة الأهمية في حسابات الكثير من دول العالم، وتأتي في مقدمة تلك الدول، الولايات المتحدة الأمريكية، لأن هذه المنطقة من أكثر المناطق تتركز فيها المصالح الأمريكية الحيوية، التي لا يمكن الاستغناء عنها، بل إن الولايات المتحدة الأمريكية على أتم الاستعداد لاستخدام قوتها العسكرية في حال تعرض أي من مصالحها في الشرق الأوسط للتهديد.

وعلى الرغم من أن الاهتمام الأمريكي بهذه المنطقة قد أخذ أولوية وشكلا أخر بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 فإن تلك الأهمية الاستراتيجية تجاه الشرق الأوسط لم تكن وليدة تلك الأحداث، بل إن للولايات المتحدة الأمريكية استراتيجية محكمة تجاه المنطقة، تبلورت بصورة واضحة منذ بدء مرحلة الحرب الباردة وإلى يومنا هذا. ولكن شكلت أحداث 11 سبتمبر منعرجاً دفع بالولايات المتحدة الأمريكية إلى الإعلان عن استراتيجية جديدة قوامها ما يسمى بـ(الحرب على الإرهاب).

أولاً: أهداف الولايات المتحدة في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة.

منذ بدء الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي عام 1947، قامت استراتيجية الغرب على فكرة حصار الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له من خلال سياسة الأحلاف، وأصبحت سياسة إنشاء الأحلاف السمة الرئيسية المميزة لسياسة الغرب في مواجهة الاتحاد السوفيتي وكتلته الشرقية وعزلهما.

وكان منطقيا أن ينظر الغرب إلى منطقة الشرق الأوسط، بحكم موقعها الجغرافي ومواردها الأقتصادية وخاصة البترول، منطقة تخدم مصالحه وتشكل حلقة مهمة في تلك السياسة الغربية، ولذلك كانت مصالح الغرب في الشرق الأوسط في تلك الفترة تتركز حول:

1_ السيطرة على هذه المنطقة وإخضاعها لنفوذها ضماناً للمحافظة على مصالحها الاقتصادية وأهمها النفط.

2_ إنشاء حلف يضم دول المنطقة لإحكام تطويق الاتحاد السوفيتي وعزله.

لقد أسهم انتهاء الحرب الباردة بإحداث متغيرات دولية وإقليمية كبيرة، أهمها بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب عالمي أوحد من دون منافس، ساعدها ذلك على إنجاز معظم أهدافها الاستراتيجية في مناطق كثيرة من العالم، وفي مقدمتها منطقة الشرق الأوسط، كما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب الخليج الثانية بترسيخ وجودها العسكري المباشر في الشرق الأوسط، تطبيقاً لمبدأ النظام الدولي الجديد. وعلى هذا الأساس، فإن الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بعد الحرب الباردة استندت إلى عدة مفاهيم أهمها[1]:

أ. ردع ودرء أي اعتداء أو عدوان خارجي أو داخلي يضر بمصالح الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها وأصدقائها داخل منطقة الخليج العربي وخارجها.

ب. بقاء الهيمنة الأمريكية على أسواق النفط والمال والاستثمارات وتشجيع التغلغل السياسي والاقتصادي والثقافي الأمريكي.

ج. الحفاظ على أمن إسرائيل من خلال البدء في التطبيع الثقافي والاقتصادي والسياسي ما بين العرب وإسرائيل لإحلال السلام.

ثانياً: أهداف الولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط بعد أحداث 11 سبتمبر2001.

على الرغم من ارتكاز الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط على مجموعة من الثوابت، تتمثل بالتحكم بالنفط والسيطرة عليه والحفاظ على أمن إسرائيل وحماية المصالح الأمريكية الأخرى، فإن عالم ما بعد 11 سبتمبر قد أفرز أهدافا أمريكية جديدة في المنطقة، أدت بدورها إلى تغيير في وسائل تحقيق تلك الأهداف على نحو استخدام القوة العسكرية المباشرة، لحماية هذه الأهداف والحفاظ عليها أو لتحقيق أهداف جديدة.

وقد تمحورت الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط بعد أحداث 11 سبتمبر حول مجموعة من الأهداف منها:

1_ التصدي للإرهاب. تعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، منعطفا حاسما في إعادة صيغة الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص، حيث عدت تلك الأحداث بأنها محطة عبور بين نظامين دوليين مختلفين، عبور نظام ما بعد الحرب الباردة إلى النظام الجديد، نظام ما يسمى بـ(الحرب على الإرهاب)، الذي تبوأ المرتبة الأولى من الاهتمام الأمريكي في الشرق الأوسط، وكان على رأس تلك التنظيمات، التي حاربتها الولايات المتحدة، تنظيم القاعدة وتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام(داعش)، وكان من أهدافها، تقويض أنظمة الشرق الأوسط المتحالفة مع الولايات المتحدة، لذا، سعت الولايات المتحدة إلى مواجهة تهديدات تلك التنظيمات، التي تستهدف أصدقاءها وتقديم المساعدات اللازمة لها لحفظ استقرار المنطقة[2].

[1] حارث قحطان عبدا لله، الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط (مرحلة ما بعد أحداث 11سبتمبر), مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية, العدد(6),2010, ص308_333.

[2] Daniel L. Byman, Comparing Al Qaeda and ISIS: Different goals, different targets, Brookings, at: https://www.brookings.edu.

2 _ منع انتشار أسلحة الدمار الشامل: تعد منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق في العالم التي تثار فيها المسألة النووية بين الحين والآخر، وذلك لأهميتها سياسيا واقتصاديا وجغرافيا في المدرك الاستراتيجي للقوى الكبرى، وعلى الرغم من تعدد المحاولات والجهود الرامية لإنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط، فإن تلك الجهود والمحاولات في سبيل جعل هذه المنطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل قد باءت بالفشل.

ومن المعروف أن أغلب دول المنطقة عدا إسرائيل موقعة على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية، وأن أغلبها لا يملك أسلحة دمار شامل فحسب، بل لا يملك أيضا حتى القدرة النووية للأغراض السلمية ما عدا إيران.

ومن بين الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأوسط، منع انتشار أسلحة الدمار الشامل بكل أنواعها، كما أن انتشار هذه الأسلحة يهدد أصدقاء الولايات المتحدة في المنطقة، لا سيما الخليج وإسرائيل، وكذلك القوات الأمريكية المنتشرة حول المنطقة، وتحت هذه الذريعة، قامت الولايات المتحدة باحتلال العراق عام 2003م، كما تسعى اليوم على منع إيران من امتلاك تلك الأسلحة[3].

3_ تدفق النفط بأسعار مناسبة: يتوفر في منطقة الشرق الأوسط أكبر مخزون نفطي في العالم يفي بحاجة الولايات المتحدة من الطاقة اللازمة لتفوقها العسكري والاقتصادي والسياسي، لهذا تحرص واشنطن على تدفق النفط من الشرق الأوسط وبأسعار مناسبة.

وتطلبت سياسة الهيمنة على النفط ضرورة التدخل في شؤون منطقة الشرق الأوسط، ولهذا عدت الولايات المتحدة منظمة أوبك المصدرة للنفط مصدر تهديد لاقتصاديات السوق الحر، وأدركت ضرورة الحد من تأثيرها من خلال الضغط على الدول النفطية، لتقوم بتعديل سياستها النفطية، بما يتواءم ومصالح الولايات المتحدة[4].

4_ استقرار الأنظمة الصديقة: حرصت الولايات المتحدة على إبقاء علاقات الصداقة مع الأنظمة السياسية في الخليج العربي ومصر والأردن والمغرب، وفي المقابل تحرص تلك الدول على إرضاء المطالب السياسية الأمريكية بالمنطقة، فتكافئها واشنطن بالتأييد والمساندة[5].

5_ أمن إسرائيل: اهتمت الولايات المتحدة طويلاً بأمن إسرائيل، لأنها الدولة الوحيدة التي تمارس الديمقراطية الغربية ومنحازة للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، لهذا تعمل الولايات

---

[3] Gregory L. Schulte, Stopping Proliferation Before It Starts: How to Prevent the Next Nuclear Wave, Foreign Affairs, July/August 2010 Issue, at: https://www.foreignaffairs.com.

[4] AARON DAVID MILLER and RICHARD SOKOLSK, The Middle East Just Doesn't Matter as Much Any Longer: The United States has much bigger problems to worry about and limited resources to fix them. Politico, at: https://www.politico.com.

[5] عدنان الهياجنة، العلاقات العربية – الامريكية.. المصالح والمبادئ، موقع الجزيرة، متاح: https://www.aljazeera.net.

المتحدة على تثبيت هذه الدولة وتهيئة الظروف مع العرب والمسلمين، لإنهاء حالة الصراع العربي الإسرائيلي، وإقامة سلام دائم في المنطقة. كما تضطلع إسرائيل بحكم موقعها الجغرافي في المنطقة بدور حارس استقرار للأنظمة القائمة، وفي منع أي تحول راديكالي أو ديني، قد يضر بمصالحها ومصالح الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة[6].

6_ تعزيز الديمقراطية وحقوق الإنسان: وظفت الولايات المتحدة موضوع الديمقراطية وحقوق الإنسان كإحدى الوسائل التي تخدم مصالحها في الشرق الأوسط، وقد استخدمت هذه الوسيلة تحديدا بما يخدم أهدافها، فقد ترى الولايات المتحدة، أن دعم الديمقراطية قد يضر بمصالحها عندما تصل أحد التيارات الإسلامية إلى الحكم عن طريق الانتخابات[7].

المبحث الثاني

أسباب تراجع الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط لدى الولايات المتحدة الأمريكية.

في الحقيقة، منذ تولى باراك أوباما سدة الرئاسة في كانون الثاني من عام 2009، بدأ الاهتمام الامريكي بمنطقة الشرق الاوسط في التراجع والانحسار، وتبدلت الأولويات والأهداف، فقد ترك الرئيس بوش لخلفه الرئيس أوباما أوضاعا دولية متردية، خلفتها سياساته تجاه القضايا الدولية المختلفة، وفي مقدمتها الحرب على كل من العراق وأفغانستان، والحرب على الإرهاب، وبدأت تظهر ملامح مرحلة جديدة شعارها "التغيير" وقد تعززت تلك الرؤية أكثر بالانسحاب من الشرق الأوسط وظهرت بصورة جلية في الفترة الثانية من حكم باراك أوباما.

رأى أوباما أن الوقت قد حان لترك الشرق الأوسط في سبيل التوجه شرقاً نحو الاهتمام بمنطقة آسيا ومنطقة الباسيفيك، تحت خطة أسماها "Asia Rebalance" تهدف هذه السياسة الجديدة إلى زيادة الانخراط الأمريكي في هذه المنطقة الواعدة والعمل على تعظيم الفرص المستقبلية وتعبئة مواردها لخدمة التحديات الاقتصادية الجديدة.

وفي يناير 2012، صدرت وثيقة استراتيجية مهمة من البيت الابيض تتحدث عن تحول في سلم أولويات الولايات المتحدة الأمريكية من الشرق الاوسط وأوروبا الى منطقة حوض الباسفيك وآسيا، وبالتالي شهد الاهتمام الأمريكي بالشرق الأوسط تراجعا، خصوصا في السنوات الاخيرة من إدارة الرئيس أوباما.

في المقابل زاد الاهتمام الأمريكي بالقارة الأسيوية، سواء للمشاركة في ثمار النمو بهذه القارة الواعدة اقتصاديا، أو لمواجهة تصاعد النفوذ الاستراتيجي الصيني هناك، الذي يهدد الوجود

[6] Kali Robinson, What Is U.S. Policy on the Israeli-Palestinian Conflict?, Council Foreign Relations, at: https://www.cfr.org.

[7] أحمد السيد النجار، إدارة ترامب وقضايا الشرق الأوسط .http://www.siyassa.org.eg

الأمريكي في القارة الأسيوية، والذي أصبح مصدر التهديد الرئيسي للولايات المتحدة الأمريكية، ومن هنا أصبحنا امام ما عرف باستراتيجية "إعادة التوازن نحو آسيا ومنطقة الباسفيك[8].

أولاً: الشرق الأوسط في مؤسسات الفكر الأمريكية ودوائرها.

في الحقيقة، لا يمكننا أن نفهم الأفكار التي دفعت بالولايات المتحدة الأمريكية إلى التفكير بالانسحاب من الشرق الأوسط، من دون الرجوع إلى مجموعة من المفكرين وصناع الرؤى في الولايات المتحدة، الذين دعوا إلى ذلك الانسحاب وتقليل دور الولايات المتحدة الأمريكية في هذه المنطقة الحساسة من العالم.

فعلى سبيل المثال، تأثر الرئيس باراك أوباما فيما يتعلق بالشرق الأوسط، بمجموعة الأفكار التي طرحها ستيفن والت، الأستاذ بجامعة هارفارد، حول السياسة الأمريكية تجاه هذه المنطقة، ويرى ستيفن والت أن الشرق الأوسط في منتصف ثورة عميقة، لا يزال مسار مستقبلها غير محدد، والصراع فيها يدور من خلال خطوط عديدة، كالسنة ضد الشيعة، والعرب ضد الفرس، والعلمانية ضد الإسلام، والديمقراطيين ضد السلطويين.. الخ. وفي إطار هذا الموقف المتشابك وغير المفهوم، فإن آخر ما يجب أن تقوم به الولايات المتحدة الأمريكية هو أن تحاول القيام بدور الحكم، أو أن تحاول فرض رؤيتها السياسية المفضلة على تلك الأحداث، وإن أفضل استراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة، يجب أن تقوم على تقليل وجودها بها، وإنشاء نظام لتوازن القوى (Balance of power) بين القوى الإقليمية. ويشير والت إلى أن هذه هي السياسة التي انتهجتها الولايات المتحدة في الفترة من 1945 الى 1990، حيث لعبت دور الموازن أو المعادل الخارجي في الإقليم. وبالتالي، يرى والت أن الحل الواضح للولايات المتحدة هو أن تعود الى هذه الإستراتيجية المتعلقة بتوازن القوى وترك المنطقة لتدير شؤونها بنفسها[9].

كما شبه البعض حال الشرق الاوسط اليوم، بفترة حرب الثلاثين عاما التي شهدتها أوروبا، والتي دارت رحاها في الفترة من 1618 الى 1648, ففي كتابه عن النظام الدولي الذي صدر عام 2014، يتحدث "هنري كيسنجر" وزير الخارجية الأمريكية الأسبق عن هذا التشابه، خاصة التدخل بين النزاعات الدينية والسياسية، التي ادت إلى حروب راح ضحيتها آلاف البشر، وبالتالي فان استمرار هذا الوضع في الشرق الأوسط سيؤدي إلى اشتعال المواجهة فيه على غرار الحروب الدينية التي سادت أوروبا في القرن السابع عشر. ويفرد كيسنجر فصلا مستقلا للشرق الأوسط في كتابه، يحلل فيه رؤية هذه المنطقة للنظام الدولي، وتفاعلاتها معه. ويرى أن بناء نظام دولي جديد يواجه تحديّين أساسيين في منطقة الشرق الأوسط. التحدي الأول يتعلق بتيار الإسلام السياسي الذي يعارض الأسس التي يقوم عليها هذا النظام، والتحدي الثاني يرتبط بحالة التفكك والانهيار التي تواجهها العديد من الدول في هذه المنطقة. ويطرح كيسنجر أفكارا لبناء نظام دولي جديد، يستلهم

[8] جوان كول، السياسة الامريكية في الشرق الاوسط في الفترة الثانية لباراك اوباما، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، 2014, ص6.

[9] خالد هاشم محمد، الاستراتيجية الامريكية تجاه العراق خلال المدة 2008_2016, رسالة دكتوراة, جامعة القاهرة, كلية الاقتصاد والعلوم السياسية, رسالة منشورة, 2018, ص139-140.

مبادئ نظام وستفاليا الذي قام على احترام سيادة الدولة والامتناع عن التدخل في شؤونها الداخلية، والحد من الطموحات التوسعية للدول من خلال إنشاء نظام لتوازن القوى بينها. ويرى أن العلاقات بين الدول يجب أن تقوم بالأساس على مفهوم المصالح، وليس الاعتبارات الإيديولوجية والقيمية، كما هو سائد في منطقة الشرق الأوسط. ويدعو كيسنجر إلى تحقيق الاستقرار، من خلال إنشاء نظم للأمن الإقليمي في المناطق الجغرافية المختلفة، والربط بين هذا المناطق في إطار النظام الدولي[10].

ونشر ايضا "ريتشارد هاس" رئيس مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي، مقالا حول هذا الموضوع، ذكر فيه أن الشرق الأوسط يعيش الأن المراحل المبكرة من النسخة المعاصرة من حرب الثلاثين عاما، حيث تعمل الولاءات الدينية والسياسية على تأجيج الصراعات داخل الدول وفيما بينها. وذكر هاس أن المنطقة مهيأة للمزيد من الاضطرابات، فمعظم شعوبها ضعيفة في قدراتها السياسية والاقتصادية، ولا تملك رؤية مستقبلية، والخطوط الفاصلة بين المقدس والدنيوي غامضة ومحل خلاف وتتنافس الهوية الوطنية مع هويات نابعة من الدين، والمذهب، والقبيلة، وتطغى عليها، بالإضافة إلى انتشار الإرهاب والميليشيات المسلحة. ويرى "هاس" أن هذا الصراع سيكون طويلا ومكلفا ومهلكا. وبقدر ما ساءت الأمور حتى الآن، فمن الممكن أن تتفاقم في المستقبل[11].

ومن ثم، هناك اقتناع لدى عدد من المفكرين في دوائر الفكر الأمريكية، بانه من الأفضل ترك منطقة الشرق الأوسط تمر بعملية التحول الكبرى التي شهدتها، وأن المنطقة سيسودها الاضطراب والسيولة، وعدم الاستقرار لفترة طويلة من الزمن، وهذا أمر لا مفر منه، وإن التدخل الخارجي لن يغير من عملية التحول بالمنطقة، والأفضل تركها لشأنها.

ثانياً: أسباب فك الارتباط الأمريكي بالشرق الأوسط.

فرضت المتغيرات الجديدة سواء المرتبطة بالوضع في إقليم الشرق الأوسط، وخاصة بعد ثورات "الربيع العربي"، أو تلك المتعلقة بتوجهات الولايات المتحدة الأمريكية، فرضت تبدلا في نهج السياسة الخارجية الأمريكية، وتحولا من "الانخراط المكثف" إلى "الانخراط المرن"، وأضحى التدخل الأمريكي في الشرق الأوسط يتسم بالحذر، وهو ما تفسره المتغيرات التالية:

1_ انخفاض احتياج الولايات المتحدة إلى نفط الشرق الأوسط، سواء بسبب قيامها بتنويع مصادر استيراد النفط، والاعتماد بشكل أكبر على مصادر من خارج منطقة الخليج العربي، مثل كندا والمكسيك ونيجيريا، أو ما يتعلق بالاكتشافات الضخمة لما يسمى "النفط الصخري" في الولايات المتحدة، والبدء في استخراجه وإنتاجه بمعايير اقتصادية، وهو ما أدى إلى وصول الولايات المتحدة إلى حالة الاكتفاء الذاتي من الطاقة، ووفق تقديرات تشير إلى أن الولايات

[10] محمد كمال، قراءة في كتاب هنري كيسنجر" النظام العالمي: أفكار حول طبيعة الأمم ومسار التاريخ"، مجلة آفاق سياسية، العدد (2), القاهرة, 2014.

[11] محمد كمال، مبدأ أوباما وسياسته الشرق اوسطية، السياسة الدولية، العدد (201), مركز الاهرام للدراسات السياسية والإستراتيجة, القاهرة, , يوليو2015, ص72.

المتحدة ستصبح دولة مصدرة للنفط خلال الفترة من 2025 إلى 2030، وبالتالي عدم الحاجة للواردات النفطية من الخارج، وخاصة من الشرق الأوسط[12].

هذا التطور أصبح يشكل أحد المدخلات الأساسية في التفكير الاستراتيجي الأمريكي تجاه منطقة الشرق الأوسط، التي ارتبط بها وجودها التاريخي، بتأمين مصادر البترول للأسواق الأمريكية، ومن ثم، فإن انخفاض حاجة الولايات المتحدة لبترول المنطقة أصبح يؤثر بالتأكيد في درجة اهتمامها وارتباطها بها.

2_ انخفاض ارتباط الولايات المتحدة بالشرق الأوسط كان أيضا انعكاسا لتوجهات الرأي العام الامريكي، الذي لم يعد متحمسا للتدخل الأمريكي في المنطقة، أو النشاط الزائد بها، نتيجة للثمن الاقتصادي والبشري الذي دفعته الولايات المتحدة في غزوها واحتلالها العراق، وقد اتضح ذلك بشكل جلي في محدودية الدور والتأثير الأمريكيين في مرحلة ما بعد الربيع العربي، ورفض قطاع واسع من الرأي العام في البلدان العربية والقوى السياسية المتباينة لأي دور للولايات المتحدة، ووصفها بعدم المصداقية والتشكك في نياتها.

أي هناك إدراك أمريكي لمحدودية الدور الذي يمكن أن تلعبه في المنطقة، وعدم الترحيب به، وبالتالي وصلت بعض دوائر الحكم الأمريكية، كوزارة الخارجية إلى قناعات واقعية، مفادها أنه لا داعي للقيام بمثل هذا الدور[13].

3_ تقليص الانفاق العسكري. ففي ظل ارتفاع مستوى عجز الموازنة والضغوط التي واجهتها الإدارات السابقة المختلفة، وتقليص ميزانية وزارة الدفاع، بات من الصعب التورط في حروب جديدة في منطقة الشرق الأوسط والاستمرار في حالة الاستنزاف الأمريكي. بالإضافة إلى أن زيادة معدلات عدم الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، ادت إلى إعادة صياغة الأهداف الاستراتيجية للمصالح الأمريكية، فبدلا من الأهداف التقليدية المرتبطة بالحفاظ على تدفق النفط، وأمن إسرائيل، ومنع الانتشار النووي، ومواجهة النفوذ الروسي وريث الاتحاد السوفيتي، أصبح التركيز أكثر على كيفية تحقيق الاستقرار، ومواجهة صعود الحركات الإرهابية.

وقد ظهرت ملامح إعادة صياغة التعامل مع إقليم الشرق الأوسط والتحرك نحو تبني استراتيجية إعادة الهيكلة، مما يخدم المصالح الأمريكية الجديدة في اكثر من ملمح، بداية من استمرارية التمسك بخيار عدم التورط عسكريا في المنطقة، والتركيز على التعامل مع أزمات الإقليم بانتقائية وعدم تبني استراتيجية شاملة، والاهتمام باضطلاع دول المنطقة بدور مركزي في التعامل مع قضايا وأزمات المنطقة مباشرة وعدم التعويل على الدور الأمريكي، وصولا إلى تغيير البيئة الاستراتيجية للإقليم، كما هو الحال في تحويل نمط العلاقة على سبيل المثال مع إيران من حالة العداء إلى حالة التعاون، ثم الانتقال إلى مستوى مختلف يتضمن علاقات طبيعية على المدى البعيد[14].

---

[12] محمد كمال، السياسة الامريكية والشرق الاوسط.. حدود الاستمرارية والتغيير، مجلة السياسة الدولية، العدد (203)، مركز الاهرام للدراسات السياسة والاستراتيجية، القاهرة، 2016، ص112.

[13] الشرق الاوسط وعصر ما بعد امريكا: http://chinaasia-rc.org/index.php?d=42&id=1396

[14] حسام ابراهيم، دمج إيران: السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط بعد الاتفاق النووي مع ايران، حالة الاقليم، العدد (19)، المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية، القاهرة، 2015، ص6.

4_ كذلك لا يمكن فصل التوجه نحو آسيا والتخوف الأمريكي من تصاعد النفوذ الصيني بتلك القارة الأسيوية، ومن أن يؤدي ذلك إلى الحد من نفوذها في القارة، أو استبعادها من التفاعلات التي تقودها الصين لإعادة ترتيب آسيا، وهو ما يتطلب إعادة توزيع درجة الاهتمام والإمكانات الاستراتيجية الأمريكية، بعيدا عن الشرق الأوسط وقريبا من آسيا[15].

وبالتالي، شهد الاهتمام الأمريكي بالشرق الأوسط تراجعا، وفي المقابل زاد الاهتمام بالقارة الأسيوية، سواء للمشاركة في ثمار النمو بهذه القارة الواعدة اقتصاديا، أو لمواجهة تصاعد النفوذ الاستراتيجي الصيني بها، الذي يهدد الوجود الأمريكي في القارة الأسيوية، والذي أصبح مصدر التهديد الرئيسي للولايات المتحدة الأمريكية وأصبحنا أمام ما عرف باستراتيجية "إعادة التوازن نحو آسيا ومنطقة الباسفيك".

وقد بدا واضحا أن هذا التغيير والانتقال من حالة "الانخراط المكثف" إلى "الانخراط المرن" الذي حصل في منطقة الشرق الأوسط، لا يتوافقان مع مصالح القوى الإقليمية المؤثرة في الشرق الأوسط، ومن ثم دخلت العلاقات بين هذه القوى والولايات المتحدة مرحلة جديدة، اختلط فيها التحالف التقليدي بالشك في توجهات الإدارة الامريكية، وكثر الحديث في دوائر صنع القرار الإقليمية ومراكز الفكر والإعلام عن انسحاب الولايات المتحدة من المنطقة، الأمر الذي دفع تلك القوى أيضا، خاصة القوى العربية إلى إعادة صياغة تحالفاتها مع القوى الدولية الأخرى[16].

المبحث الثالث

الولايات المتحدة ما بين فك الارتباط والارتباط بالشرق الأوسط

يمكننا القول بناء على ما سبق، إن تراجع أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية، بات من المسلمات في السياسة الأمريكية، وهو التراجع الناتج عن الإحباط المتزايد من التدخلات الأمريكية على مدى أكثر من عقدين في هذه المنطقة المثقلة بالمشاكل والصراعات، فضلا عن أن الولايات المتحدة تواجه تحديات أكبر في مناطق أخرى من العالم وعلى رأسها منطقة جنوب شرق اسيا حيث العملاق الصيني.

ومع ذلك، فإن مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط لم تختف تماما، وبالتالي، فإمكانية أن تفك الولايات المتحدة ارتباطها بشكل نهائي بالشرق الأوسط، هي إمكانية غير قائمة للأسباب التالية:

1_ احتمال أن تؤثر مشاكل الشرق الأوسط على أمريكا إذا تركت من دون علاج، هو احتمال قائم، كما حصل في السابق، خصوصا أذا ما سارعت الولايات المتحدة للخروج من الشرق

[15] محمد سعد ابو عامود، الخيارات الصعبة.. مستقبل السياسة الامريكية في الشرق الاوسط، مجلة السياسة الدولية، العدد (199)، القاهرة، 2015، ص73.

[16] حسام ابراهيم، نفس المصدر.

الأوسط، فقد تجد نفسها تتراجع عن ذلك الانسحاب في ظل ظروف أسوأ وبتكاليف أعلى في المستقبل[17].

2_ من جانب آخر, صحيح أن الولايات المتحدة دخلت مجال الإنتاج النفطي وأصبحت تملك كميات كبيرة من النفط التي من المؤمل أن تجعلها إحدى الدول المصدرة له بعد عام 2030، إلا أن دول الشرق الأوسط لا تزال على قمة ترتيب الدول التي تملك احتياطيات ضخمة من الطاقة، تمنح ثروة كبيرة وسلطة لمن يسيطر عليها، وبالتالي، فإن الأهمية الاستراتيجية للشرق الأوسط وضرورة إبعاده عن الأيدي المعادية ستظل قائمة ومطلوبة[18].

3_ السبب المهم الآخر، هي أن هناك بعض القضايا الملحة أبقت على الولايات المتحدة ضرورة انخراطها في الشرق الأوسط. فمنذ سبعينيات القرن الماضي، كان لأمريكا مصلحة كبيرة في منع الإرهاب الدولي أو مكافحته، وجزء كبير منه كان ياتي من هذه المنطقة. فقد واجهت الولايات المتحدة العدوان على الدول الصديقة ومنعت انتشار أسلحة الدمار الشامل من قبل الدول المارقة أو الجهات الفاعلة غير الحكومية هناك[19].

4_ كما كان هناك دائما مصلحة أمريكية في تعزيز السلام والديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط - مصلحة لم تكن أبدًا بنفس أهمية المصالح الأمريكية الأخرى، لكنها مارست قوة جذب قوية للسياسة الأمريكية، مما جعل من المستحيل على المسؤولين الأمريكيين تجاهل هذه المنطقة[20].

• بماذا يخبرنا التاريخ؟

خلال الحرب العراقية الإيرانية، دعمت إدارة ريغان صدام حسين كحصن ضد نفوذ طهران في المنطقة، لكن في الوقت نفسه، امتنعت الولايات المتحدة عن تواجد عسكري لقواتها على الشاطئ في الخليج العربي، خوفًا من التحريض على تلك القوات وبالتالي تعرضها للهجمات الإرهابية، أو خوفا من الإساءة إلى الحساسيات المحلية، أو تشويه سمعة الأنظمة الصديقة للولايات المتحدة هناك، وبمجرد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية، بدأ الاهتمام الأمريكي بالمنطقة يقل، ليتم إعادة تركيزها على أولويات أخرى، انعكس هذا التوجه الأمريكي بقيام صدام حسين باجتياح الكويت عام 1990, فساهم ذلك بتدخل هائل للولايات المتحدة لاستعادة التوازن الإقليمي الذي اختل في المنطقة, لكن استمرار الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة بعد عام 1990، كان محل قلق المسؤولين الأمريكيين لناحية جعل القوات الأمريكية هدفًا للجماعات الإرهابية التي

---

[17] Seth Cropsey and Gary Roughead, A U.S. Withdrawal Will Cause a Power Struggle in the Middle East: Washington could find itself fighting its way back into the region for the first time since World War II, foreign policy, https://foreignpolicy.com.

[18] Robin Mills, The US isn't protecting oil supplies from the Middle East, it wants to control prices as foreign policy, euractiv, At: https://www.euractiv.com.

[19] خالد هاشم، لماذا لا تستطيع الولايات المتحدة فك ارتباطها بالشرق الأوسط؟، صحيفة الصباح العراقية، الخميس 2021/3/18، متاح: https://alsabaah.iq/.

[20] المصدر نفسه.

عارضت التواجد الأمريكي في الخليج، وعارضت في الوقت نفسه حكوماتها الاستبدادية، ذلك القلق كان مبررا عندما بدأت القاعدة باستهداف أهداف أمريكية في المنطقة وخارجها.

قدمت هجمات 2001/9/11 دليلاً على أن مشاكل الشرق الأوسط يمكن أن تصل وتلامس الولايات المتحدة بطرق كارثية، فكان رد إدارة جورج دبليو بوش بالإسقاط الهائل للقوة الأمريكية في المنطقة، وركزت على هزيمة القاعدة، وإسقاط الحكومات المعادية في كل من أفغانستان والعراق، وبشرت بولادة الديمقراطيات المستقرة في المنطقة، وبالتالي تحويل منطقة الشرق الأوسط إلى الأفضل، وعندما ثبت أن هذا المشروع أكثر تكلفة وصعوبة مما كان متوقعًا، سعت إدارة أوباما إلى الحد من ارتباطها بالمنطقة وفك ذلك الارتباط والتمحور في مناطق أخرى واعدة وأكثر حيوية ومصالح للولايات المتحدة، كمنطقة جنوب شرق آسيا.

ومع ذلك، حتى إدارة باراك أوباما، المتحفظة جدا على التدخل في شؤون منطقة الشرق الأوسط، لم تكن قادرَة على الخروج نهائيا منها، فقد ساهمت الظروف المتعلقة بما سمي بـ«الربيع العربي" بتفاقم الأزمات والمشاكل في المنطقة، وأدت المخاوف الإنسانية في ليبيا إلى عمل عسكري هناك، كما ساهم الانسحاب الأمريكي من العراق والتقاعس في سوريا في الانهيار الإقليمي، الذي اضطر الولايات المتحدة في نهاية المطاف إلى إعادة التدخل للتعامل مع هذا التهديد الجديد والمتمثل بـ«داعش"[21].

كما أظهرت إدارة ترامب نفس التناقض. وأعلن عن خططه أيضا للانسحاب من سوريا واصفا إياها بأنها دولة تقدم فقط "الرمال والموت"، وأعلن أيضا عن تطلعه للخروج من أفغانستان. ذلك التطلع الذي حققته إدارة جو بايدن بالانسحاب الكامل من أفغانستان بعد تواجد دام لأكثر من عقدين، على الرغم من تحذير أجهزة المخابرات الأمريكية، من أن الانسحاب الكامل من أفغانستان قد يؤدي إلى هجوم إرهابي كبير على الوطن الأمريكي في غضون عامين[22].

الخاتمة وخلاصة الاستنتاجات:

بناء على ما تقدم، ومن خلال التجربة التاريخية للولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط يمكن القول:

أولاً: من الوهم الاعتقاد بأن الولايات المتحدة يمكنها الانسحاب من الشرق الأوسط من دون عواقب، هذا، لأن أمريكا لا تزال لديها مصالح ملحة في تلك المنطقة، ولأن هذه المصالح من غير المرجح أن تحمي نفسها اليوم من دون حماية أمريكية، كما كانت في الماضي، فتنامي النفوذ الروسي، وطموحات إيران في الهيمنة، والعودة المحتملة للمنظمات الإرهابية الرئيسية، وعدم الاستقرار السياسي والعنف الذي ابتليت به مساحات شاسعة من المنطقة، كلها مشاكل حقيقية

[21] Hal Brands, Why America Can't Quit The Middle East, Hoover Institution, Thursday, March 21, 2019, At: https://www.hoover.org.

[22] Missy Ryan and Karen DeYoung, Biden will withdraw all U.S. forces from Afghanistan by Sept. 11, 2021, The Washington post, At: https://www.washingtonpost.com.

تتطلب إدارة ذات كفاءة. صحيح أن شركاء أمريكا في المنطقة يمكن أن يفعلوا الكثير لإدارة هذه المشاكل، أكثر مما فعلوا في السابق وحتى الآن، لكنهم ما زالوا بشكل واضح غير قادرين على القيام بذلك من دون دعم أمريكي كبير.

ثانياً: من المرجح أن تتبع عمليات الانسحاب المتسرعة عمليات إعادة ارتباط متسرعة، فبعد أن غادرت الولايات المتحدة العراق في عام 2011، كادت الدولة أن تنهار، وبرزت داعش إلى الصدارة، وكان التدخل الأمريكي العسكري الطارئ، الذي استمر قرابة خمس سنوات، ضروريًا لإصلاح الضرر الناتج عن الانسحاب، ولكن هذه العودة لم تستطع إصلاح ذلك الضرر الناتج عن الانسحاب غير المسؤول من العراق. والحال ينطبق أيضاً على الانسحاب من سوريا وأفغانستان اليوم.

وبالنتيجة، وما يمكن قوله هو، إن أي انسحاب أمريكي من المنطقة اليوم ستكون نتيجته هجومًا إرهابيًا كبيرًا. وبالتالي، فإن الضغط للعودة إلى المنطقة والقيام بعمل عسكري حاسم سيكونان مكلفين وباهظين جداً ايضاً.

وفي ظل هذه الظروف، ستركز الاستراتيجية الأمريكية على تقليل مخاطر المشاركة وتكاليفها، من خلال مواجهة التهديدات في الشرق الأوسط، بأقل قدر من الإنفاق في الموارد، وذلك باستخدام قوات العمليات الخاصة، والقوة الجوية التكتيكية، ودعم القوات الصديقة في المنطقة عبر الدعم الاستخباري والدبلوماسي والعسكري لكي تستطيع مواجهة الجماعات الإرهابية الأكثر خطورة، ومنعها من شن هجمات خارجية كبيرة، أو مواجهة تطلعات إيران وأذرعها، وبالتالي الحفاظ على توازن القوى المسموح به في المنطقة.

إجمالاً، يمكن القول، سيشهد الدور الأمريكي مزيدا من التراجع في منطقة الشرق الأوسط، ولكن هذا التوجه لم ولن يعني انسحاب الولايات المتحدة بالكامل من الشرق الاوسط. فالولايات المتحدة ستحافظ على قدر من الاهتمام بهذه المنطقة لعدة أسباب، أولها يتعلق بكون الولايات المتحدة قوة كبرى في العالم وستظل مهتمة بأن تلعب دورا ما في الشرق الأوسط. والسبب الثاني يتعلق بسعر النفط وتأثيره على الاقتصاد العالمي. فمازالت منطقة الخليج تلعب دورا مهما في تحديد سعر النفط كسلعة عالمية تخضع لمتطلبات العرض والطلب.

ولكن المؤكد، هو أن أهمية المنطقة للولايات المتحدة في تراجع مستمر، ومن ثم، فإن رغبتها في التورط في شؤونها أو لعب دور قيادي بشأن قضاياها، هي أيضا في تراجع مستمر

وسيبقى التوجه الأمريكي نحو تقليل الاهتمام والارتباط بمنطقة الشرق الأوسط والتوجه نحو القارة الأسيوية، أحد متغيرات السياسة الدولية الجديرة بالاهتمام والمتابعة في الآونة الأخيرة.

المراجع:

المراجع العربية:

1_ أحمد السيد النجار، إدارة ترامب وقضايا الشرق الأوسط

http://www.siyassa.org.eg.

_2 جوان كول، السياسة الامريكية في الشرق الاوسط في الفترة الثانية لباراك اوباما، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ابو ظبي، 2014.

3_ حارث قحطان عبدا لله, الإستراتيجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط (مرحلة ما بعد أحداث 11سبتمبر), مجلة جامعة تكريت للعلوم القانونية والسياسية, العدد (6),2010.

4_ حسام ابراهيم, دمج إيران: السياسة الامريكية تجاه الشرق الاوسط بعد الاتفاق النووي مع ايران, حالة الاقليم, العدد (19), المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية, القاهرة, 2015.

5_ خالد هاشم محمد, الاستراتيجية الامريكية تجاه العراق خلال المدة 2008_2016, رسالة دكتوراة, جامعة القاهرة, كلية الاقتصاد والعلوم السياسية, رسالة منشورة, 2018.

6_ عدنان الهياجنة، العلاقات العربية - الامريكية.. المصالح والمبادئ، موقع الجزيرة، متاح:

https://www.aljazeera.net.

_7 محمد كمال، قراءة في كتاب هنري كيسنجر" النظام العالمي: أفكار حول طبيعة الأمم ومسار التاريخ"، مجلة آفاق سياسية، العدد (2), القاهرة, 2014.

8_ محمد كمال, مبدأ أوباما وسياسته الشرق اوسطية, السياسة الدولية, العدد (201), مركز الاهرام للدراسات السياسية والإستراتيجة, القاهرة, يوليو2015.

9_ محمد كمال, السياسة الامريكية والشرق الاوسط.. حدود الاستمرارية والتغيير, مجلة السياسة الدولية, العدد (203), مركز الاهرام للدراسات السياسة والاستراتيجية, القاهرة, 2016.

10_ محمد سعد ابو عامود, الخيارات الصعبة.. مستقبل السياسة الامريكية في الشرق الاوسط, مجلة السياسة الدولية, العدد (199), القاهرة, 2015.

المراجع الأجنبية:

1_ Aaron David Miller and Richard Skulks, The Middle East Just Doesn't Matter as Much Any Longer: The United States has much bigger problems to worry about and limited resources to fix them. Politico, at: https://www.politico.com.

2_ Daniel L. Byman, Comparing Al Qaeda and ISIS: Different goals, differenttargets, Brookings, at: https://www.brookings.edu.

3_ Gregory L. Schulte, Stopping Proliferation Before It Starts: How to Prevent the Next Nuclear Wave, Foreign Affairs, July/August 2010 Issue, at: https://www.foreignaffairs.com.

4_ Hal Brands, Why America Can't Quit the Middle East, HooverInstitution,Thursday,March21,2019,At:https://www.hoover.org.

5_ Kali Robinson, What Is U.S. Policy on the Israeli-Palestinian Conflict? Council Foreign Relations, at: https://www.cfr.org.

6_ Missy Ryan and Karen DeYoung, Biden will withdraw all U.S. forces from Afghanistan by Sept. 11, 2021, The Washington post, At: https://www.washingtonpost.com.

7_ Robin Mills, The US isn't protecting oil supplies from the Middle East, it wants to control prices as foreign policy, erective, At: https://www.euractiv.com.

8_ Seth Crapsey and Gary Roughed, A U.S. Withdrawal Will Cause a Power Struggle in the Middle East: Washington could find itself fighting its way back into the region for the first time since World War II, foreign policy, https://foreignpolicy.com.

العلاقات المغربية الأمريكية وقضية الصحراء المغربية

د. محسن الندوي*

الملخص

إن الإستراتيجية الأمريكية في تعاملها مع قضية الصحراء تتمثل في استعمال هذه القضية كأداة تكتيكية للتعامل الاستراتيجي مع المنطقة المغاربية، لأن ما يهم أمريكا ليس الانتصار لشريك بقدر ما هو الانتصار لنفسها في حل يضمن الاستقرار للمنطقة. وفي الوقت الذي يسعى فيه المغرب إلى تحقيق مجموعة من المكتسبات والأهداف الاستراتيجية عبر تطوير العلاقات المغربية الامريكية؛ في ارتباط ذلك بتنويع شركائه الاقتصاديين وتجاوز الاحتكار الأوروبي في هذا الصدد؛ وضمان الدعم الأمريكي والأممي لمقترح المغرب؛ فيما يتعلق بمشروع الحكم الذاتي في الصحراء؛ وتعزيز علاقاته مع القوى الدولية الكبرى المتحكمة في القرارات الدولية.. فإن الطرف الأمريكي يسعى بدوره عبر تمتين هذه العلاقات إلى الولوج إلى سوق مغربية تغري بإمكانياتها وفرصها الاقتصادية الواعدة؛ وتعزيز الأمن في منطقة استراتيجية؛ والاعتماد على الدور المغربي في ترسيخ الاستقرار بالمنطقة؛ علاوة على توفير مناخ إقليمي ملائم للولوج الاقتصادي إلى العمق الإفريقي عبر بوابة المغرب الذي يحظى بعلاقات تاريخية واقتصادية وسياسية مع العديد من الدول الإفريقية.

لذلك، يتناول هذا البحث محددات العلاقات السياسية المغربية الأمريكية كما يتناول الابعاد الاستراتيجية في قضية الصحراء المغربية وصولا إلى أهمية دور الدبلوماسية المغربية للدفاع عن قضيتنا الأولى في الداخل الأمريكي.

الكلمات المفتاحية: العلاقات - الصحراء المغربية - المغرب -أمريكا -الابعاد الاستراتيجية.

* أستاذ زائر، حاصل على الدكتوراه في العلاقات الدولية من كلية الحقوق طنجة بجامعة عبد الملك السعدي بالمغرب، أستاذ زائر بكلية الحقوق تطوان بالمغرب، رئيس المركز المغربي للدراسات الاستراتيجية والعلاقات الدولية .

Moroccan-US relations and the issue of the Moroccan Sahara

Dr. Mohssine Nadoui

Abstract

The US strategy in dealing with the issue of the Sahara is to use this issue as a tactical tool for strategic dealing with the Maghreb region, because what matters to America is not the victory for a partner but rather the victory for itself in a solution that guarantees stability for the region, and at a time when Morocco seeks to achieve a set of gains And strategic goals through the development of Moroccan-US relations; In connection with this, the diversification of its economic partners and overcoming the European monopoly in this regard And to ensure US and international support for Morocco's proposal; Concerning the Sahara Autonomy Project; And strengthening its relations with the major international powers controlling international decisions.

US side, in turn, is seeking, through strengthening these relations, to gain access to a Moroccan market that entices its promising economic potentiel and opportunistes. Strengthening security in a strategic area ; Relying on the Moroccan role in stabilizing the region; In addition to providing a favorable regional climate for economic access to Africa through the gateway to Morocco, which enjoys historical, economic and political relations with many African countries.

Therefore, this research deals with the determinants of the Moroccan-US political relations as well as the strategic dimensions in the issue of the Moroccan Sahara, up to the importance of the role of Moroccan diplomacy to defend our first cause at home.

Key words: Relations - Moroccan Sahara - Morocco -America -Dimensions strategy.

مقدمة

منذ تسعينيات القرن العشرين، شهدت السياسة الأمريكية تجاه منطقة المغرب العربي انعطافة كبيرة تجلت في الاهتمام الأمريكي المتعاظم بالمنطقة، وتكثيف العلاقات السياسية والاقتصادية بدولها، بعد أن كادت المنطقة تكون حكرا على السياسات والمصالح الأوروبية، وبخاصة الفرنسية، التي استفادت من تراكم العلاقات في ظل الحقبة الاستعمارية في المنطقة، وحرصت على تنميتها وصيانتها بما يؤمن لها ديمومة النفوذ والهيمنة .

ومما لاشك فيه أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت فاعلا يحتل الصدارة في توجيه السياسة التي تهم المنطقة، بما في ذلك ملف الصحراء، إلا أن العلاقات المغربية الأمريكية تأثرت دائما بالأوضاع التي كانت تعرفها الحياة السياسية المغربية، وبالتنافس الأمريكي الفرنسي، وموقف فرنسا من السياسة الأمريكية، لذا فمعظم المواقف التي اتخذتها الإدارة الأمريكية بقيت متأرجحة بين الحياد السلبي والحياد الإيجابي (من وجهة نظر المغرب)، ثم هناك المتغيرات العالمية التي تؤثر على المحيط الدولي بصفة عامة.

وإذا كان الهاجس الاقتصادي هو الأكثر وضوحا في دوافع الجانب المغربي لعقد اتفاق التبادل الحر مع الولايات المتحدة الأمريكية، فإن هناك من ذهب إلى التركيز على أن الدوافع السياسية لدى المغرب أكثر منها اقتصادية، ويأتي على رأس هذه الدوافع المراهنة على كسب موقف الولايات المتحدة الأمريكية لصالح المغرب في ملف الصحراء، لأن تدبير ملف الصحراء يظل من المشاغل الرئيسية للدبلوماسية المغربية، وهو الملف الذي شهد عدة تطورات كبيرة، حيث أن ظروف الحل تتعقد يوما بعد يوم.

وبخصوص موقف الولايات المتحدة الأمريكية تجاه قضية الصحراء، فإن موقفها لم يتضح في أي وقت من الأوقات، لكنها خلال مرحلة الحرب الباردة كانت تعمل على أن لا يفقد المغرب جوانب قوته سواء من الناحية العسكرية أو الدبلوماسية.

وهكذا فإن الإستراتيجية الأمريكية في تعاملها مع قضية الصحراء تتمثل في استعمال هذه القضية كأداة تكتيكية للتعامل الاستراتيجي مع المنطقة المغاربية، لأن ما يهم أمريكا ليس الانتصار لشريك بقدر ما هو الانتصار لنفسها في حل يضمن الاستقرار للمنطقة.

وما يمكن الاعتقاد به هو أن قضية الصحراء لا تحظى بالأولوية لدى الدبلوماسية الأمريكية حتى يتم الحسم فيها، بل إن الدول التي لها مصالح إستراتيجية في المنطقة تتعمد أن يبقى الصراع قائما لكي لا يتم التفكير في توجهات أخرى من طرف دول المنطقة، مثل بناء الاتحاد المغرب العربي مثلا، لأن هذا الأخير مصيره مرتبط إلى حد كبير بحل مشكلة الصحراء.

و تأسيسا على هذا الفهم سنعمل على بلورة الإشكالية التالية:

ما هي الدوافع و الأبعاد الإستراتيجية التي تتحكم في طبيعة المواقف الأمريكية من قضية الصحراء؟

و سنتناول الموضوع في مبحثين: المبحث الأول :المسار التاريخي لموقف الولايات الأمريكية من قضية الصحراء

المبحث الثاني :العلاقات المغربية الأمريكية والأبعاد الإستراتيجية في قضية الصحراء.

المبحث الأول - المسار التاريخي لموقف الولايات الأمريكية من قضية الصحراء

تمتد العلاقات المغربية - الأمريكية لعدة قرون مضت؛ ذلك أن المغرب كان أول دولة تعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية؛ وتربطه بها علاقات صداقة منذ عام 1786.

وشهدت هذه العلاقات تطورا كبيرا منذ منتصف القرن الماضي؛ حيث سارعت الولايات المتحدة إلى دعم استقلال المغرب؛ واعتبرته ضمن لائحة الدول الصديقة في أجواء الحرب الباردة؛ كما ظلت تعتبره بلدا حليفا؛ مع وجود نظامان مواليين للاتحاد السوفييتي بالمنطقة آنذاك هما النظامين الليبي والجزائري؛

وفي عام 1975 بدأت العلاقة بالانتعاش من جديد مع الدور الهام الذي قامت به الولايات المتحدة في قضية الصحراء وجهودها في إقناع الطرف الإسباني بالتوقيع على اتفاقية مدريد التي تخلت بمقتضاها إسبانيا عن إدارة الصحراء لصالح المغرب.وفي عهد الرئيس ريغان طور مقاربة للنزاع في الصحراء باعتباره صراعا بـ"الوكالة" يدخل في إطار الحرب الباردة، صنفا جبهة البوليساريو كحليف للاتحاد السوفياتي. وعلى الرغم من ذلك، تميزت هذه الفترة بسلوك أميركي يقوم على الحياد الإيجابي المتمثل في دعم المغرب عسكريا من دون الوصول إلى درجة دعم الموقف السياسي المغربي المتمثل في الدعوة إلى استفتاء في منتصف الثمانينات، أو الدفاع عنه أمام المحافل الدولية.

وقد اتخذت الولايات المتحدة منذ سنة 1977 موقف الحياد في النزاع بالصحراء المغربية, رغم أنها هي التي سهلت ودعمت توقيع اتفاقية مدريد الثلاثية سنة1975 [1]، في محاولة منها لتفادي اندلاع الحرب بين حليفيها الرئيسيين بالمنطقة.حيث اعتبرت واشنطن حينها أن النزاع بين المغرب وجبهة البوليساريو لا يدخل في إطار صراع شرق-غرب، بل يعتبر جهوي. وهذا التحليل هو الذي دفع بكارتر للبقاء في موقفه الحيادي السلبي الذي سيعرف نوعا من التعديل، ابتداء من سنة 1979، وكانت السياسة الأمريكية ترتكز على المحاور التالية:

[1] قام بالسهر على تنفيذ المساعي الأمريكية لتسهيل توقيع اتفاقيات لتفادي النزاع بين حلفائها كل من ألفريد أتيرتون ALFRED ATHETON، كاتب الدولة الملحق، والجنرال فيرنون والتيرز، ونائب مدير المخابرات .CIA هذا الأخير الذي كان وراء عدة مهام حساسة خلال المباحثات الفرنسية الفيتنامية أو خلال الزيارة السرية التي قام بها هنري كسينجر Henry Kissinger للصين سنة 1971. وقد صرح في سرية سنة 1979 بأن المهمة التي كلف بها في الصحراء الغربية لازالت حديثة حتى يتم الحديث عنها: هكذا سيقدم ملك المغرب وملك إسبانيا على أنهما بيدقين داخل اللعبة الأمريكية، وهذا ليس في صالح أحد، أنظر : Africa Newe 2/11/1979 الذي أورده: Tony Hodges, » la stratégie américaine et le conflit du Sahara occidental «, en le monde diplomatique, no 310, 1981, p 12-13.

وحول الموضوع كذلك، أنظر: José Ramon Diego Aguirre, » la verdad sobre la entrega del sahara « en historio 16, n° 177 , 1991 , p 12-28.

1 الاعتراف بالسلطة الإدارية للمغرب على الصحراء المغربية، ولكن ليس بالسيادة، وذلك لاعتبار مسلسل انسحاب المستعمر لم يتم بعد نظرا لعدم إعطاء الفرصة للشعب الصحراوي ليقول كلمته حول مستقبله مثلما كانت تقول الأمم المتحدة.

2 دعم حل للنزاع بالتفاوض على مستوى جهوي ودون تدخل القوى العظمى.

3 الحفاظ على علاقات جيدة مع المغرب والجزائر مع تفادي تأثير حيادها في النزاع على العلاقات الثنائية مع الدولتين.

وقامت إدارة كارتر بتطبيق "سياسة موازنات" للتوفيق بين مصالحها المتناقضة في المنطقة وذلك بالحفاظ على علاقات جيدة مع كل من الجزائر والمغرب دون انحياز لأي منهما في قضية النزاع بالصحراء المغربية.[2] وقد أدى هذا الغموض الناتج عن هذه السياسة وكذا الشروط التي وضعتها واشنطن في استعمال المغرب لأسلحتها إلى خلق خلاف كبير وجاد بين الرباط وواشنطن. فالولايات المتحدة، التي حلت محل فرنسا منذ 1975 كمزود رئيسي للمغرب بالأسلحة, كانت تحاول تفادي التورط المباشر في الصحراء الغربية, لذلك, أخضعت عملية بيع معداتها العسكرية لقانون جد محدد (اتفاقية الدعم في مجال الأمن سنة 1960 وتصدير أسلحة تحت المراقبة (Arms Export Control Acts) يمنع استعمالها في الهجوم خارج الحدود المغربية المعترف بها دوليا.[3]

كان موقف أمريكا السلبي تجاه مشروعية إلحاق المغرب للصحراء المغربية يستجيب للإكراهات العامة لسياستها الخارجية وكذا ضرورة التوفيق بين مصالحها المتناقضة في المنطقة. فالولايات المتحدة لم تكن لتؤيد خرق أعراف القانون الدولي العام التي يتضمنها ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية، إذ أن هذا سيكون سابقة خطيرة قد تقلدها بعض الدول. وإذا حصل فقد يؤدي إلى خرق الوضع الترابي الذي أسس حول التعايش الإفريقي بعد الاستقلال وبالتالي قد يخلق نوعا من الفوضى التي قد لا تخدم المصالح الأمريكية[4].

كما أن دعم الطرح المغربي في نزاع الصحراء المغربية (مبادرة الحكم الذاتي) قد يولد أحكاما مسبقة تجاه المصالح الأمريكية، مؤثرا في العلاقات بين الولايات المتحدة والعديد من الدول الإفريقية التي كانت تعترف بالجمهورية الصحراوية وتفتح-حسب قول بعض النواب الأمريكيين- المجال أمام تدخل الاتحاد السوفياتي في القارة الإفريقية[5].

إضافة إلى كل هذه الاعتبارات العامة، نجد أن الحياد الأمريكي في النزاع يستجيب كذلك لرغبة واشنطن في الحفاظ على العلاقات الوثيقة مع المغرب، الذي يعتبر نظامه منسجما وموقعه الجيواستراتيجي المتميز، دون أن يعرقل ذلك المصالح الأمريكية المتزايدة والمهمة بالجزائر.[6]

---

[2] Abdelkhalek berramdane, le sahara occidental enjeu maghrébin, op cit 1992, p 149.

[3] نجد هذه الشروط في اتفاقية الدعم في مجال الموقعة بين البلدين سنة 1960 وفي القانون الأمريكي الخاص بتصدير الأسلحة, ففي غياب اتفاقية مضادة, لا يمكن استعمال الأسلحة الأمريكية إلا في الحفاظ على الأمن الداخلي أو في حالة الدفاع الشرعي هذه الشروط التي تضمنتها اتفاقية 1960 كانت مفروضة لمنع استعمال الأسلحة الأمريكية ضد إسرائيل، انظر: John damis » les relation des Etets-Unis avec le Maroc « en Maghreb-Machrek, n° 111, 1986, p 13-14.

[4] Stephen Zunes, « The United States and regional interests en Arab Studies Quaterly. N° 4 1987, p 426

[5] Stephen J. Solarz, « Arms for Morocco ? » en forffairs , vol, 58, n° 2 1980 ? p 288-290.

[6] ميغيل هيرناندو دي لارامندي ، السياسة الخارجية للمغرب، ترجمة عبد العالي بروكي، منشورات الزمن،المغرب، ص:176

ويعتبر حجم التجارة الأمريكية مع المغرب متواضعا بالمقارنة مع حجم تعاملاتها مع الجزائر وليبيا كمنتجين للبترول. فالولايات المتحدة كانت إلى حدود 1982, أكبر مستورد للبترول الجزائري, وقد استوردت سنة 1980 50% من الصادرات متجاوزة بذلك فرنسا التي استوردت فقط 15%. في نفس الفترة قامت الشركات الأمريكية بإبرام عقود في الجزائر بقيمة 6.000 مليون دولار تخص مجال الغاز السائل والصناعة الهيدروكاربونية. أما المغرب, فهو البلد العربي الذي تلقى أكبر إعانة أمريكية بعد مصر بين 1950 و1981[7].

هذه المعطيات أدت بالدبلوماسي الأمريكي ريشارد باركر Richard Parker إلى الإفصاح عن التناقض الحاصل في السياسة الخارجية الأمريكية، بحيث إن "الولايات المتحدة تتقرب من المغرب الذي لا تتوفر فيه على مصالح مادية كبرى أكثر من الجزائر التي توجد بها مصالح أمريكية هامة أكثر تطورا من المتواجدة بالمغرب.[8]

ومنذ بداية التسعينيات ومع نهاية الحرب الباردة؛ أصبحت للولايات المتحدة مكانة وازنة في العلاقات الدولية؛ وهو ما جعل تعزيز العلاقات معها - من المنظور البراغماتي - أمراً حيويا على مختلف الواجهات بالنسبة لدولة في طور النمو كالمغرب.. لكن تراجعت الأهمية الاستراتيجية للمغرب في السياسة الأمريكية ومعها التحالفات القديمة. وهذا التحول، كان له تأثير على مجرى الاهتمام الأمريكي بقضية الصحراء. لكن أهم ما ميز موقف إدارة جورج بوش الأب في بداية التسعينيات هو احتفاظها بموقف الحياد في النزاع ودعوتها علنا إلى إيجاد حل سلمي له.

ويلاحظ هنا أنه على رغم الدور الذي لعبه المغرب في حرب الخليج بعد تدخل العراق في الكويت، وهو دور مؤيد للتحالف الدولي، واستعداده خلال هذه المرحلة للعب دور الوسيط بين العرب وإسرائيل لإنجاح عملية السلام (وهي خطوات مغربية تهدف في المقابل إلى التأثير على حياد الولايات المتحدة في قضية الصحراء)، فإن الولايات المتحدة أصرت على أن يظل موضوع الصحراء بين يدي الأمم المتحدة (ذكر جورج بوش في لقائه بالحسن الثاني العام 1991 أن اتخاذ القرار في شأن الصحراء تعود مسؤوليته إلى الأمم المتحدة)، وهو موقف ينطوي على أكثر من تفسير في مرحلة التسعينيات:

فمن جهة، هو يحسن صورة الولايات المتحدة ويؤكد تمسكها بالشرعية الدولية. ومن جهة أخرى يحدد سياسة الولايات المتحدة في منطقة المغرب العربي بعد نهاية الحرب الباردة، والتي تهدف من خلالها إلى المحافظة على المغرب كحليف له دور جيو- استراتيجي من دون أن يضر ذلك بمصالحها الاقتصادية في الجزائر.

وخلال عهدي كلينتون الأول والثاني، استمر الموقف الأمريكي المحايد الذي لا يعترف بمغربية الصحراء، لكن الذي يدافع في المقابل عن إيجاد حل سلمي للنزاع ترعاه الأمم المتحدة، ليبدأ

[7] حصلت مصر بين سنتي 1950 و1981 على 3610 مليون دولار, والمغرب على 765 مليونا والسودان 240 مليونا أنظر: Foreign military sales, foreign military construction sales and military assistance facts, U.S. Washington Departement of defense, 1982.

[8] Richard B .Parker , north africa, regional tensions and strategie concerns, neuva york, praeger 1984 p 144.

تحول طفيف في السلوك الأمريكي في نهاية ولاية كلينتون، وذلك في ضوء احتمال انهيار المساعي الرامية إلى إيجاد حل سلمي في الصحراء، وإمكانية بروز مخاطر تهدد بتجدد العنف على نحو يعرض مصالح الولايات المتحدة في المنطقة إلى الخطر ويشكل أيضا خطرا محتملا على منطقة جنوب أوربا.

وعلى رغم الدعم المغربي الواضح للولايات المتحدة الأمريكية في قضايا التعاون الثنائي خلال فترة حكم جورج دبليو بوش وخاصة الارهاب، ظل الموقف السياسي الأمريكي المبني على الحياد مستقرا، وإن كانت الولايات المتحدة قد تدخلت في ملفات أخرى مرتبطة بالمغرب مثل محاولات الوساطة في قضية جزيرة ليلى في الصراع مع إسبانيا.

وقد ظل موقف الحياد ثابتا رغم التطور المفاجئ في موقف الولايات المتحدة من النزاع في الأمم المتحدة في 9 يوليو 2003، عبر تمرير الإدارة الأمريكية لبيان يقضي بدعم خطة بيكر الاولى لحل النزاع في الصحراء (إما استقلالية المحافظات الصحراوية ضمن إطار مملكة فيدرالية مجهولة الترسيم الحدودي، أو القبول بقرار تقسيم الصحراء)، وهو موقف أمريكي عابر عاد بعده الرئيس بوش مجددا إلى التأكيد على أن حل قضية الصحراء لن يفرض على المغرب بسبب حساسية الملف في سياسته الداخلية. موقف بوش هذا يعود في جوهره إلى استراتيجية شن الحرب على الإرهاب الدولي، إذ أن السلوك الأمريكي إزاء نزاع الصحراء ارتبط في فترة حكم جورج دابليو بوش بمسألة التعاون المغربي في محاربة الإرهاب.[9]

وقد حاول المغرب بدوره توظيف هذا النوع من التعاون، وذلك ببلورة خطاب يستند إلى نوع من التقاطع بين تسوية قضية الصحراء ومخاطر انتشار الجماعات الإرهابية في صحراء شمال إفريقيا. لكن هذا الخطاب ظل محدودا لكون أطراف الصراع في ملف الصحراء (المغرب والجزائر) وجدا نفسيهما متساويين من حيث درجة انخراطهما في السياسة الأمريكية لمحارب الإرهاب، لا بل مدفوعين أحيانا تحت الضغط الأمريكي إلى تبادل المعلومات حول موضوع الإرهاب وانتقال الإرهابيين، خاصة بعد الإعلان عن ميلاد تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي.

وواقع الأمر أنه يمكن تحليل السياسة الأمريكية الراهنة تجاه قضية الصحراء من خلال مقارنة مواقف كل من الإدارة والكونغرس الأمريكيين. ذلك أن إدراك هذه المواقف من داخل المؤسستين يسمح لنا بقياس درجة أهمية ملف الصحراء المغربية بالنسبة إلى الولايات المتحدة.

موقف الكونغرس ليس موحدا تجاه قضية الصحراء، إذ هناك مؤيدون للمغرب بنوا حججهم على العلاقات التاريخية وعلى الحرب على الإرهاب وقضية الشرق الأوسط والتطور الديمقراطي داخل المغرب.

[9] عبد الرحيم منار السليمي ، الولايات المتحدة الامريكية وقضية الصحراء، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، بيروت 16 يونيو 2009
https://carnegieendowment.org/files/sahara.pdf

مقابل هذا التأييد، هناك مواقف معارضة للمغرب على قاعدة مبدأ تقرير المصير للشعب الصحراوي، وانتهاكات المغرب لحقوق الإنسان في الصحراء، فضلا عن رفض البعض استغلال المغرب لثروات الصحراء الغربية، واعتبار العلاقات التاريخية بين البلدين مجرد جزء من صفحة الماضي. بالإضافة إلى هذا التباين، هناك مواقف شبه محايدة تميل إلى النظر إلى قضية الصحراء في بعدها الإقليمي أكثر من معالجة القضية كأزمة بين جبهة البوليساريو والمغرب. ويظهر في السنوات الأخيرة انقسام واضح في الكونغرس بين المدافعين عن الحكم الذاتي والمدافعين عن تقرير المصير.[10]

وفي خضمّ هذه التحولات؛ كان هناك عاملان دعّما إلى حد كبير العلاقات المغربية-الأمريكية؛ أولهما؛ توجه المغرب إلى تنويع الشركاء وتعزيز العلاقات مع الولايات الامريكية ، وثانيهما؛ يتعلق باهتمام الولايات المتحدة بإفريقيا لعوامل اقتصادية وأخرى أمنية.

وفي الوقت الذي يسعى فيه المغرب إلى تحقيق مجموعة من المكتسبات والأهداف الاستراتيجية عبر تطوير هذه العلاقات؛ في ارتباط ذلك بتنويع شركائه الاقتصاديين وتجاوز الاحتكار الأوربي في هذا الصدد؛ وضمان الدعم الأمريكي والأممي لمقترح المغرب؛ فيما يتعلق بمشروع الحكم الذاتي في الصحراء؛ وتعزيز علاقاته مع القوى الدولية الكبرى المتحكمة في القرارات الدولية.. فإن الطرف الأمريكي يسعى بدوره عبر تمتين هذه العلاقات إلى الولوج إلى سوق مغربية تغري بإمكانياتها وفرصها الاقتصادية الواعدة؛ وتعزيز الأمن في منطقة استراتيجية؛ والاعتماد على الدور المغربي في ترسيخ الاستقرار بالمنطقة؛ علاوة على توفير مناخ إقليمي ملائم للولوج الاقتصادي إلى العمق الإفريقي عبر بوابة المغرب الذي يحظى بعلاقات تاريخية واقتصادية وسياسية مع العديد من الدول الإفريقية.

ثمة ثوابت تحدد ملامح السياسة الخارجية الأمريكية إزاء قضية الصحراء؛ يمكن إجمالها في دعم الجهود الرامية إلى إيجاد حل سلمي ودائم ومقبول للنزاع من لدن الأطراف؛ ودعم الخيار التفاوضي الذي تشرف عليه الأمم المتحدة؛ والسعي لتوفير شروط الثقة؛ إضافة إلى التأكيد على جدية وواقعية مشروع الحكم الذاتي الذي طرحه المغرب لحل النزاع كإطار يلبي تطلعات ساكنة الصحراء في تدبير شؤونها الخاصة في إطار من السلم والكرامة؛ ثم دعم الجهود الرامية لمواصلة حماية حقوق الإنسان والنهوض بها في المنطقة..

لكن في المقابل؛ يبدو أن هناك قدرا كبيرا من الالتباس في بعض مواقف أمريكا من قضية الصحراء في الآونة الأخيرة؛ وهو ما يتجسد في التوجهات السابقة لتوسيع صلاحيات المينورسو فيما يتعلق بمراقبة حقوق الإنسان؛ والدعوة إلى عودة المكون المدني لبعثة المينورسو؛ من جهة؛ مع الإبقاء على تثمين واستحسان مشروع الحكم الذاتي كحل واقعي للقضية من جهة أخرى.

[10] عبد الرحيم منار السليمي ، الولايات المتحدة الامريكية وقضية الصحراء، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، بيروت 16 يونيو 2009
https://carnegieendowment.org/files/sahara.pdf

فيما أسهم التقرير الذي أصدرته الخارجية الأمريكية في شهر أبريل للعام 2016 في إرباك العلاقات بين الجانبين؛ بلغت حد استدعاء السفير الأمريكي بالمغرب والتعبير عن الغضب من المعلومات والمعطيات المغلوطة التي تضمنها التقرير بخصوص انتهاك المغرب لحقوق الانسان ولحرية الصحافة , لكنها عادت في عام 2017 وأشادت بالمغرب وبالتطورات التي عرفها لتعزيز استقلال القضاء وتفعيل قانون الصحافة.

وبغض النظر عما إذا كان الأمر يجسّد تحولا استراتيجيا في التوجهات الأمريكية؛ أو مجرّد مواقف تحكمها اعتبارات مرحلية مرتبطة بالانتخابات الرئاسية؛ يبدو أن دول المنطقة ومنها المغرب؛ بحاجة إلى استيعاب أكبر لمقومات اتخاذ القرار الأمريكي ومختلف الفعاليات المتحكمة فيه.. وبلورة تحالفات ومواقف تدعم سيادتها؛ ومصالحها في مواجهة البراغماتية الصارخة التي تطبع السلوك الخارجي للدول الكبرى..[11]

المبحث الثاني : العلاقات المغربية الأمريكية والأبعاد الإستراتيجية في قضية الصحراء

اولا: محددات العلاقة السياسية المغربية الأمريكية

أ-المحددات الإستراتيجية

تأتي مكانة المغرب في الإستراتيجية الأمريكية في سياق تحكمه عدة محددات و لعل رغبة أمريكا في استغلال الموقع الإستراتيجي للمغرب بصفته دولة تنتمي إلى عدة وحدات إقليمية و دولية مهمة، فالمغرب في إطاره الإقليمي يكتسي أهمية كبرى بسبب مكانته الحيوية في البحر الأبيض المتوسط وشمال إفريقيا، ولذلك فان الحديث عن العلاقات المغربية الأمريكية يطرح عدة تساؤلات فيما يخص الأهمية الإستراتيجية للمغرب في السياسة الأمريكية، وإلى أي حد يمكن اعتبار موقع المغرب كمحدد في العلاقة المغربية الأمريكية.

وفي هذا الاتجاه يعتبر المغرب كحلقة وصل لمنطقة إستراتيجية تمتد من السواحل الأطلسية حتى جبال إيران نظرا لما تشكله من أهمية قصوى بالنسبة للمصالح الأمريكية في الشرق الأوسط ومنطقة الخليج لتسهيل أي تدخل سريع بالمنطقة لذلك فهو يدخل في إطار المفهوم الأمريكي الشامل للإستراتيجية. إذ أن الاهتمام الأمريكي بالمغرب هو اهتمام استراتيجي عسكري، حيث شكل المغرب نقطة انطلاق لتطويق الإتحاد السوفياتي ومحاصرة قواعد دول المحور، إضافة إلى انه يشكل حزاما أمنيا لأمريكا يستوجب السيطرة عليه.

وفي هذا السياق قد أبرم المغرب عدة اتفاقيات مع الولايات المتحدة بشأن تسهيل مرور القوات الأمريكية عبر القواعد الجوية المغربية، ومن بينها اتفاقية 1982 والاتفاق السري الفرنسي الأمريكي في 22 دجنبر1950 الذي يخول لأمريكا إقامة قواعد عسكرية بالمغرب.

[11] ادريس لكريني، الثابت والمتغير في العلاقات المغربية الامريكية، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، - 17 يونيو,2016، https://rawabetcenter.com/archives/28379

إذا يتضح من خلال ما سبق إن المغرب يأخذ في الإستراتيجية العسكرية الأمريكية مكانة متقدمة وهو الخط الأمامي في الدفاع عن أمريكا، وهذا ما أكده وزير الخارجية السابق "هنري كسنجر"الذي أكد على إن المغرب يشكل نقطة وخطاً أماميا في الإستراتيجية الأمريكية اتجاه افريقيا والشرق الأوسط[12].

فإذا كان المغرب يشكل أهمية إستراتيجية في السياسة الأمريكية فانه لا يعتبر حليفا استراتيجيا كإسرائيل وتركيا وإنما فقط شريك يتمتع بجانب كبير من الثقة في السياسة الأمريكية.

وذلك ما جعل المغرب يستغل هذه المكانة التي يحظى بها لدى الولايات المتحدة لتمتين روابطه السياسية خدمة لمصالحة الوطنية.[13]

ب- المحددات السياسية

إن العلاقات المغربية الأمريكية لا تحكمها المحددات الإستراتيجية فقط وإنما تفسر بالأهمية السياسية على اعتبار أن التوجه السياسي للمغرب اتجاه القضايا الجهوية والدولية غالبا ما تقاطعت مع خيارات السياسة الخارجية الأمريكية [14].

فالأسس التي تنبني عليها السياسة الخارجية للمغرب التي تتسم بالمرونة والاعتدال والتريث في اتخاذ المواقف والقرارات وانفتاحها على المنظمات الإقليمية والدولية جعلت من المغرب محط اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية، حيث نظرت إليه دائما على أنه الشريك ذا التوجه المعتدل في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إذ غالبا ما كان يستشار في المبادرات والمقاربات التي يقدمها الجانب العربي من جهة والإسرائيلي والأمريكي من جهة اخرى.

وبالتالي شكلت هذه العناصر سمات إيجابية للسياسة المغربية المعتدلة التي جعلت الولايات المتحدة تقترب منه ليس من زاوية المصالح الإستراتيجية فحسب ولكن بقيمته السياسية ودوره في الحفاظ على الأمن والاستقرار بالمنطقة، وحسب الدبلوماسي الأمريكي ROBER BARRET الذي قال ان علاقاتنا التقليدية القديمة مع المغرب وسياسته العربية هي التي ننهجها منذ الاستقلال تسمح لنا بالتنسيق والإشراف معه في المجال العسكري والسياسي في المنطقة[15]، وهذا ماسيدفع بالعلاقات بين البلدين نحو مزيد من التوطيد خصوصا في ظل التغيرات الدولية الجديدة والحراك العربي وماترتب عنه من نتائج تطرح عدة رهانات بخصوص السياسية الأمريكية بالمنطقة.

[12] روم لاندو "تاريخ المغرب في القرن العشرين ترجمة نيقولا زيادة دار الثقافة بيروث لبنان ط اا 1980 ص 240

[13] بداية محجوبة، العلاقات الأمريكية المغربية المجلة المغربية للدراسات الدولية العدد 5 - 6 سنة 2001 ص 18.

[14] بداية محجوبة، مرجع سابق

[15] أحمد بلحاج السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه المغرب من 1987 - 1996, بحث لنيل دبلوم السلك العالي للمدرسة الوطنية الإدارة الرباط 1995 ص 23.

ثانيا -الأبعاد الاستراتيجية في قضية الصحراء

أ- البعد السياسي :

ان الاهتمام الأمريكي بالمغرب هو اهتمام استراتيجي عسكري بالمقام الأول ، فالموقع الاستراتيجي للمغرب شكل أهمية كبرى مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث استخدم الحلفاء ارض المغرب نقطة انطلاق لتطويق الاتحاد السوفييتي، وبالنسبة للإستراتيجية الأمريكية، شكل المغرب حزاما امنيا لأمريكا يستوجب السيطرة عليه وعدم إعطاء الفرصة للقوات المعتدية باستغلاله واستخدامه كقواعد بحرية وجوية لهجماتهم ضد الأراضي الأمريكية.[16]

تشكل قضية الصحراء إحدى أهم القضايا التي استرعت انتباه الساسة الأمريكيين، سواء تعمق الأمر بمرحلة الحرب الباردة، أو فترة ما بعد 1990 , غير أن الولايات المتحدة الأمريكية وان كانت إبان الحرب الباردة تتبنى موقفا واضحا وداعما للمغرب, إلا أنها وفي إطار ترتيبات النظام العالمي الجديد حرصت على تبني موقف غير واضح يتماشى والأهداف التي تمليها مصالحها, وهو ما تأكد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001 .

ففي ظل الحرب الباردة وعى الرغم من أنها فترة اتسمت بالتوازن بين القطبين السوفيتي والأمريكي، فان الولايات المتحدة استطاعت أن تحافظ على علاقاتها بالمغرب داعمةً الموقف المغربي في مطالبته بالصحراء، ومنذ بروز البوادر الأولى للنزاع حول الصحراء ، حيث برزت خلافات حادة بين الدول المغاربية خصوصا المغرب، الجزائر وموريتانيا حول مستقبل الإقليم. ولكن هذا الدعم كان مرهونا بضمان مصالح الولايات المتحدة الاقتصادية والعسكرية والحفاظ على علاقات متوازنة مع الجزائر واسبانيا فيما يخص الصحراء، وهذا التحرك الأمريكي يعود لرغبتها بالمحافظة على مصالحها الإستراتيجية في المنطقة فضلا عن خوفها من وقوع المغرب تحت النفوذ السوفيتي. لذا راهن الحسن الثاني على مساندة المعسكر الغربي له ولاسيما الولايات المتحدة في ضم الصحراء إلى المملكة المغربية وهو مطلب يتفق حوله الحكومة والملك والمعارضة ويشكل سببا من أسباب الوحدة الوطنية المغربية ويبرر داخليا التزام الملك للنهج الغربي[17]

ورغم تأييد الولايات المتحدة لجهود الأمم المتحدة لحل مشكلة الصحراء إلا أنها لم تجد ضرورة للضغط على أي طرف للتوصل لتسوية ترضي أطراف النزاع المغرب والبوليساريو مدعومة من قبل الجزائر ما دام الوضع لم يبلغ حد الانفجار أو التصعيد العسكري.

واستمر موقفها على هذا النحو حتى اندلاع أزمة الخليج الثانية العام 1990 ، ففرضت هذه الأزمة على الولايات المتحدة من الناحية التكتيكية التحرك بكل طاقاتها لحشد التأييد العربي ومنه المغربي الذي سارع إلى تأييد التحالف الدولي لإخراج العراق من الكويت، في محاولة منه للتأثير على الولايات المتحدة من اجل أن تتخذ موقفا مساندا له، إلا أنها دعمت مخطط التسوية وأصرت على إبقاء قضية الصحراء في أروقة الأمم المتحدة.

[16] احمد المومني، تطورات العلاقات الثنائية المغربية الأمريكية، مجلة وجهة نظر، العدد: 26 ,الرباط, كانون الاول 2005 ,ص 3

[17] المصدر نفسه، ص 22

إلا أن نهاية عقد التسعينات شهد تحولا في الموقف الأمريكي تجاه مشكلة الصحراء فقد دعمت الولايات المتحدة تعيين الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان لوزير خارجية أمريكا جيمس بيكر في العام 1997 ، كوسيط بين الأطراف المتنازعة لتسريع عملية الاستفتاء في الصحراء ويبدو أن هذا الموقف كان مدفوعا بسببين رئيسيين:

أولهما، المأزق الذي وصل إليه مسلسل السلام في الشرق الأوسط، لذا كانت الولايات المتحدة ترجو من المغرب أن يلعب دورا لإحداث تقارب بين الفلسطينيين و الاسرائليين إما السبب الثاني، فهو رغبة أمريكا في حل المشكلة بهدف اقترابها من السوق الأفريقية عبر البوابة المغربية[18].

وعند التطرق لموقف الولايات المتحدة الأمريكية من الصحراء بعد أحداث الحادي عشر ، فانه يفرض الأخذ بعين الاعتبار طبيعة التحولات التي عرفتها السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه مجمل القضايا الدولية ومنها قضية الصحراء، نظرا لما أخذته القضية من أهمية سواء على المستوى الاستراتيجي أو كأداة تجاذب سياسي. فالموقف الأمريكي إزاء نزاع الصحراء أصبح يخضع في جوهره لاستراتيجية الحرب على الارهاب، وهو ما يجعل أية سياسة أمريكية تجاه المملكة المغربية أو إزاء نزاع الصحراء مرتبط بكيفية وكم التعاون المغربي مع أمريكا في حربها ضد الارهاب[19].

وما يمكن التسليم به هو أن قضية الصحراء لا تحظى بالأولوية لدى الدبلوماسية الأمريكية حتى يتم الحسم فيها، بل إن الدول التي لها مصالح إستراتيجية في المنطقة تتعمد أن يبقى الصراع قائما لكي لا يتم التفكير في توجهات أخرى من طرف دول المنطقة، مثل بناء اتحاد المغرب العربي مثلا[20]، لأن هذا الأخير مصيره مرتبط إلى حد كبير بحل مشكل الصحراء[21].

وفي نفس السياق في العام 2013، جاءت المبادرة الامريكية حول توسيع صلاحيات البعثة الأممية في الصحراء لتشمل مراقبة وضع حقوق الإنسان في الصحراء المغربية، وهو ما اعتبره المغرب مسا بالسيادة الوطنية باعتباره أمراً لن يقبل به المغاربة ملكا وحكومة وشعبا.

واعتبرت الحكومة المغربية آنذاك أن المبادرة الأمريكية هي مبادرة أحادية الجانب ومنحازة وتمس بالسيادة المغربية، وستكون لها انعكاسات على مسلسل المفاوضات الجارية بين المغرب والبوليساريو والجزائر. وأن المبادرة تمثل خطرا على القضية الوطنية وتعد من وجهة نظر المغاربة انتقاصا من السيادة الوطنية دون مبررات. وأنها بحسب الحكومة المغربية تعد مكافأة سياسية

[18] جورج جوقي، النزاعات الحدودية العربية التداعيات عمى الأمن العربي، المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، سلسلة أوراق شهرية، العدد 10 , القاهرة, مصر, 1997 ,ص32

[19] غسان سلامة، الدبلوماسية العربية تجاه الحرب على العراق، ضمن ندوة تحت عنوان الدبلوماسية العربية في عالم متغير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الاولى 2004 , ص 200

[20] عبد الهادي مزراري "معركة الاستفتاء الكبرى" المطبعة الفنية، رقم الإيداع 1999/1225, ص: 91-94.

[21] رسالة الأمة الأربعاء 16 غشت 2006.

للبوليساريو والجزائر اللذين لم يقوما بالمطلوب منهما لتسوية النزاع المفتعل بحسب قرارات مجلس الأمن السابقة.

وفي عام 2020 عند إصدار قرار مجلس الامن رقم 2548، أشادت الولايات المتحدة الأمريكية بتجديد مجلس الأمن الدولي لولاية بعثة "المينورسو" سنة إضافية. وأكدت بعثة الولايات المتحدة بمجلس الأمن الدولي، في بيان لها، على أهمية العمل اليومي لحفظ السلام، وذلك في ردها على تهديد البوليساريو بتعليق تعاملها مع بعثة "المينورسو" بالصحراء.

وأضافت واشنطن أن مجلس الأمن الدولي يقر بنجاح هذه المهمة في تهدئة التوترات والحفاظ على الهدوء العام، وإجراء عمليات إزالة الألغام الخطيرة، ودعم العمليات الإنسانية، ومنع انتشار "كوفيد- 19". اذن نلاحظ ان هناك تغييراً في مهام المينورسو التي كانت هي التسوية السياسية ومراقبة وقف اطلاق النار .

هذا وقد عبرت واشنطن عن قلقها إزاء الغياب المطول للمبعوث الأممي منذ استقالة هورست كولر لما يقرب من عام ونصف، وأكدت أن هذا الفراغ ساهم في عدم إحراز تقدم نحو حل سياسي.ودعت الولايات المتحدة الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة إلى العمل على ملئ هذا المنصب قريباً.

وأكدت واشنطن كما العادة على أهمية مبادرة الحكم الذاتي المغربية بكونها "جادة وذات مصداقية وواقعية، وتمثل مقاربة محتملة واحدة لتلبية تطلعات الشعب في الصحراء لإدارة شؤونه الخاصة بسلام وكرامة".

وطالبت أمريكا جميع الأطراف بممارسة "ضبط النفس، لا سيما في ضوء الأحداث الأخيرة في معبر الكركرات، التي تشكل تهديدا للسلام والاستقرار في المنطقة، والزيادة العامة في الانتهاكات التي أبرزها تقرير الأمين العام الأخير".ونبهت الولايات المتحدة إلى أن "التغييرات أحادية الجانب للوضع الراهن على الأرض لن تساعدنا في الوصول إلى حل دائم وسلمي".

ب-البعد الاقتصادي:

إن الاهتمام الأمريكي في الصحراء ظهر خلال مدة حكم اسبانيا للصحراء، إذ تستطيع الولايات المتحدة من خلال الصحراء السيطرة لا على المحيط الأطلسي فقط بل والبحر المتوسط وشمالي وغرب القارة الإفريقية ، فضلا عن الأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها هذه المنطقة ولم تخف الولايات المتحدة اهتمامها الشديد بمعادن الصحراء، بحيث امتلكت حصة لا تقل عن 25 % من المشاريع كافة المقامة في الصحراء[22]

فالموقف الأمريكي اتجاه قضية الصحراء يستجيب للإكراهات العامة لسياستها الخارجية، وكذا ضرورة التوفيق بين مصالحها المتناقضة في المنطقة، كما أن الحياد الأمريكي يستجيب أيضا

[22] سمر رحيم نعمة، العلاقات المغربية الأمريكية 1991 1956 , رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية التربية - للبنات, جامعة بغداد, 2003 , ص 215 216

لرغبة واشنطن في الحفاظ على العلاقات الوثيقة مع المغرب، دون أن يعرقل ذلك المصالح الأمريكية المتزايدة والمهمة بالجزائر الداعم الأكبر لجبهة البوليساريو.

ولعله من المفاجئ في ما يخص اتفاقية التبادل الحر الموقعة مع المغرب، من خلال موقف الولايات المتحدة الذي أعلن عنه في 17 غشت 2004، والذي يستثني إقليم الصحراء؛ المتنازع عليها بين المغرب وجبهة البوليساريو؛ من اتفاق التبادل الحر.

فقد اعتبر المندوب الأمريكي في التجارة الخارجية؛ آنذاك؛ ،"روبرت زوليك"، بصريح العبارة، أن اتفاق التبادل الحر بين المغرب والولايات المتحدة لن يشمل الصحراء[23]، و«لن يغطي إلا التجارة والإستثمار في التراب المغربي المعترف به دوليا"، بناء على كون أن : "الولايات المتحدة والعديد من البلدان الأخرى لا تعترف بسيادة المغرب في الصحراء الغربية، وأنه لا شيء في اتفاق التبادل الحر سيفرض على واشنطن تغيير موقفها هذا".

وهكذا يتبين، أن الهدف الذي كان المغرب ينتظره من اتفاق التبادل الحر وهو ربح المساندة الأمريكية في نزاع الصحراء، لم يؤدي الدور المأمول منه بشكل مباشر، لكنه ساهم في تغيير الموقف الأمريكي فيما بعد من الدعم المطلق لتقرير المصير إلى دعم حل سياسي توافقي.

من جهة أخرى وفي عام 2018 مع تعيين جون بولتون مستشارا للامن القومي الامريكي الذي ازعج الدبلوماسية المغربية والذي ارتاحت كثيرا البوليزاريو والجزائر عند تعيينه، فهذا السياسي كان مساعداً للمبعوث الشخصي للأمين العام في نزاع الصحراء، جيمس بيكر، وزير الخارجية الأمريكي الأسبق. الذي يعد احد صقور الإدارة الامريكية في عهد جورج بوش الابن ، حيث هدد جون بولتون، في عهد جورش بوش الابن بسحب البعثة الدولية من الصحراء لا بل وصلت إدارة بوش الابن الأولى إلى حد تداول مسألة نقل الملف من الفصل السادس لميثاق الأمم المتحدة إلى الفصل السابع الذي تترتب عليه مسؤوليات جزائية خطيرة في حالة رفض مقتضياته. وألف كتاباً حول رؤيته السياسية والملفات التي عمل فيها وهو بعنوان «الاستسلام ليس حلاً».

وخصص فيه فصلاً عن الصحراء دافع فيه عن الحق في تقرير المصير، ووجه انتقادات قاسية الى إليوت أبراهام مستشار الأمن القومي لجورج بوش سنة 2006 الذي كان يدافع عن عدم الضغط على المغرب, وارتاحت الدبلوماسية المغربية كثيرا من جون بولتون بعد إقالته من طرف الرئيس ترامب في سبتمبر 2019.

فإذا كانت العلاقات الدولية تقوم على ثوابت، يمكن القول بعدم حدوث أي تغير في إدارة واشنطن تجاه المغرب،رغم حدوث بعد الخلافات العابرة ومن ضمن الأمثلة هو عدم تغيير إدارة

[23] In a letter at 22.07.2004 to Congressman Joe Pitts, Robert Zoellick, the United States Trade Representative said: "The Administration's position on Western Sahara is clear: sovereignty of Western Sahara is in dispute, and the United States fully supports the United Nations' efforts to resolve this issue. The United States and many other countries do not recognize Moroccan sovereignty over Western Sahara and have consistently urged the parties to work with the United Nations to resolve the conflict by peaceful means." http://pitts.house.gov/temporary/040719l-ustr-moroccoFTA.pdf

باراك أوباما من موقفها من الصحراء، ولكنها شددت على حقوق الإنسان في النزاع واحترام تقرير المصير، الأمر الذي اعتبره المغرب سياسة تآمرية وعدوانية. مثال اخر في عهد ترامب رغم ان المغرب ساند حملة هيلاري كلينتون الانتخابية الرئاسية ضد ترامب هذا الاخير الذي وصف المرة الأولى المغاربة بالإرهابيين، والمرة الثانية عندما تحدث عن أموال منحها المغرب في حملة هيلاري لمؤسسة كلينتون ووصفها بأموال فساد ورشاوي وقيمتها الحقيقية 28 مليون دولار.[24] ومع ذلك وقّع الرئيس الأمريكي دونالد ترامب للسنة الثانية على التوالي على قانون الميزانية الذي يخصص نسبة من الاعتمادات الأمريكية للمغرب في الصحراء المغربية.

ج- البعد الاستراتيجي :

أكدت الولايات المتحدة عزمها على إجراءات اعترافها بالصحراء المغربية على أرض الواقع، وتنزيل مضامينه بالأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية من خلال آليتين:

الآلية الأولى: فتح قنصلية للولايات المتحدة الأمريكية في مدينة الداخلة:

يعد تضمين نص الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء مسألةَ فتح قنصلية عامة للولايات المتحدة الأمريكية في مدينة الداخلة جنوب المغرب، حيث بتاريخ 10 يناير 2021 توجه السفير الامريكي دافيد ت. فيشر في عهد ترامب لمدينة الداخلة المغربية لإعطاء الانطلاقة للعملية الرسمية لافتتاح قنصلية للولايات المتحدة الأمريكية بالأقاليم الجنوبية للمملكة المغربية وللتعبير عن التزام الولايات المتحدة لدعم التنمية الاقتصادية بالمنطقة. وهي اول زيارة سفير أمريكي يقوم بزيارة الصحراء المغربية. حيث صرح السفير فيشر" إن زيارتنا اليوم لمدينة الداخلة تعتبر حدثا تاريخيا إضافيا يميز الصداقة ما بين المملكة المغربية والولايات المتحدة التي تمتد على مدى مائتي سنة ". "إنه لشرف عظيم لي أن أقوم بزيارة هذه المنطقة من المغرب الباهرة الجمال والبالغة الأهمية، والشروع في عملية تأسيس تواجد دبلوماسي أمريكي هنا" أستطيع القول أنه ستتبع هذه الزيارة الأولية للأقاليم الجنوبية المغربية زيارات رسمية متعددة أخرى لمسؤولين بالحكومة الأمريكية، في حين نشرع في تحديد موقع ملائم للقنصلية الجديدة. "أضاف السفير فيشر." سيسمح افتتاح القنصلية الجديدة للولايات المتحدة بالاستفادة بشكل أفضل من موقع المغرب الاستراتيجي كقطب للتجارة بكل من إفريقيا وأوروبا والشرق الأوسط. وسيسمح ذلك على الخصوص بدعم وتشجيع مشاريع الاستثمار والتنمية التي ستحقق فوائد ملموسة للمنطقة." [25]

الآلية الثانية: آلية الاستثمار والفرص الواعدة للاقتصاد

لعل من أبرز الأسس التي تقوم عليها العلاقات الخارجية الأمريكية أساَس البراغماتية والواقعية، وبناء على هذه المبادئ العامة للعلاقات الخارجية الأمريكية، يجب قياس قرارها التاريخي بخصوص اعترافها بمغربية الصحراء يوم 10 ديسمبر 2020، والإقرار بمبادرة الحكم الذاتي

[24] القدس العربي 2016/11/11

[25] موقع السفارة الامريكية بالرباط https://ma.usembassy.gov تاريخ الزيارة 2021/05/02

التي قدمتها المملكة المغربية كأداة لإيجاد مخرج عادل ومنصف لهذا الملف المفبرك؛ إذ أكدت الولايات المتحدة أن هذه المبادرة وحيدة، ولا ثانية لها، وأنها الأساس الذي يجب أن تبنى عليه مختلف المقاربات والتصورات الخاصة بطي هذا الملف نهائيا.

وقد التزمت الولايات المتحدة الأمريكية بالعمل على تعزيز فرص الاقتصاد والاستثمار لفائدة الأقاليم الجنوبية المغربية، وأكدت على البدء في تنزيل هذه الرؤية التنموية الواسعة في الصحراء من خلال ضخ سيولة مالية هائلة تبلغ نحو خمسة مليارات دولار في إطار برمجة مرحلية تروم الاستثمار في سلة من القطاعات الحيوية التي لها أبعاد استراتيجية في المنطقة، والتي تحظى بأولوية بالغة من قبل رجال الأعمال الأمريكيين الذين وضعوا ثقتهم في المملكة المغربية بالنظر إلى ما يمتاز به المغرب من أمن واستقرار، وقياسا إلى موقعه الاستراتيجي الذي يمثل ثقلا كبيرا في منظومة العلاقات الدولية الراهنة.

كما حافظت إدارة الرئيس جو بايدن عن اعتراف سلفها بسيادة المغرب على الصحراء المغربية من خلال برمجة التدريبات المغربية الأمريكية المشتركة "الأسد الإفريقي 2021" التي ستجرى في جنوب المغرب من 7 إلى 18 يونيو 2021 ، يعتبر تتويجا للاعتراف الأميركي بمغربية الصحراء ويشارك في هذه المناورات العسكرية بريطانيا والبرازيل وكندا وتونس والسنغال وهولندا وإيطاليا، فضلا عن الحلف الأطلسي ومراقبين عسكريين من حوالي ثلاثين دولة تمثل إفريقيا وأوروبا وأمريكا.

خاتمة

في الخاتمة يمكن القول بما لايدع مجالا للشك ، إن الاعتراف الامريكي بمغربية الصحراء هو موقف الإدارة الامريكية، وليس قرارا صادرا عن رئيس سابق -دونالد ترامب - وفقط، حيث باتت أمريكا تعتمد رسميا في تقاريرها ووثائقها خريطة المغرب الكاملة المتضمنة للأقاليم الصحراوية . وجاء في الإعلان الذي نشرته الأمم المتحدة بصفة رسمية ضمن وثائقها أن "الولايات المتحدة تؤكد، كما أعلنت ذلك الإدارات السابقة، دعمها للمقترح المغربي للحكم الذاتي باعتباره الأساس الوحيد لحل عادل ودائم للنزاع حول إقليم الصحراء الغربية".

وعليه ، فإن المملكة المغربية وصلت إلى المرحلة النهائية في ملف الصحراء المغربية، وذلك على ثلاثة مستويات اساسية، الأول يتعلق بالنهضة التنموية الكبرى التي تشهدها الأقاليم الجنوبية للمغرب بتوجيهات من الملك محمد السادس وخاصة تأسيس مشروع ميناء الداخلة الأطلسي حيث أكد الملك محمد السادس في خطابه أنه "وانطلاقا من هذه الرؤية، ستكون الواجهة الأطلسية، بجنوب المملكة، قبالة الصحراء المغربية، واجهة بحرية للتكامل الاقتصادي، والإشعاع القاري والدولي. فإضافة إلى ميناء طنجة -المتوسط، الذي يحتل مركز الصدارة، بين موانئ إفريقيا، سيساهم ميناء الداخلة الأطلسي، في تعزيز هذا التوجه". [27]، والمستوى الثاني يتعلق بالموقف الأمريكي الإيجابي من ملف الصحراء، فالولايات المتحدة مستمرة في دعم العملية السياسية والتي تعتبر الحكم الذاتي، المقترح الأكثر جدية ومصداقية. والمستوى

[26] موقع وزارة التجهيز والنقل واللوجستيك والماء بالمغرب http://www.equipement.gov.ma/AR/ تاريخ الزيارة 2021/04/30

الثالث يتعلق بالدعم الدولي المتزايد لمغربية الصحراء بتأسيس قنصليات في مدينتي الداخلة والعيون الصحراويتين المغربيتين .

واخيرا نوصي أخيرا بالاعتماد ليس فقط على الدبلوماسية الرسمية في الطي النهائي لملف الصحراء المغربية وانما بالاعتماد أيضا على الدبلوماسية الموازية سواء على مستوى الأحزاب السياسية او المجتمع المدني او عبر دبلوماسية المراكز البحثية بالمغرب.

المراجع:

المراجع العربية:

- روم لاندو "تاريخ المغرب في القرن العشرين ترجمة نيقولا زيادة دار الثقافة بيروت لبنان ط اا 1980 - ميغيل هيرناندو دي لارامندي ، السياسة الخارجية للمغرب، ترجمة عبد العالي بروكي، منشورات الزمن،المغرب،
- بداية محجوبة، العلاقات الأمريكية المغربية المجلة المغربية للدراسات الدولية العدد 5 – 6 سنة 2001
- أحمد بلحاج السياسة الخارجية الأمريكية اتجاه المغرب من 1987 – 1996, بحث لنيل دبلوم السلك العالي للمدرسة الوطنية الإدارة الرباط 1995
- احمد المومني، تطورات العلاقات الثنائية المغربية الأمريكية، مجلة وجهة نظر، العدد: 26 ,الرباط, كانون الاول 2005
- سمر رحيم نعمة، العلاقات المغربية الأمريكية 1991 1956 , رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية التربية - للبنات, جامعة بغداد, 2003 ،
- جورج جوقي، النزاعات الحدودية العربية التداعيات على الأمن العربي، المركز العربي للد راسات

. الاستراتيجية، سلسلة أوراق شهرية، العدد 10 , القاهرة,مصر, 1997 ،
- غسان سلامة، الدبلوماسية العربية تجاه الحرب على العراق، ضمن ندوة تحت عنوان الدبلوماسية العربية في عالم متغير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت الطبعة الاولى 2004 ،
- عبد الهادي مزراري "معركة الاستفتاء الكبرى" المطبعة الفنية، رقم الإيداع 1999/1225،

ادريس لكريني، الثابت والمتغير في العلاقات المغربية الامريكية، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، - 17 يونيو,2016،

https://rawabetcenter.com/archives/28379

- عبد الرحيم منار السليمي ، الولايات المتحدة الامريكية وقضية الصحراء، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، بيروت 16 يونيو 2009

https://carnegieendowment.org/files/sahara.pdf

- رسالة الأمة الأربعاء 16 غشت 2006.

المراجع الأجنبية:

- Tony Hodges, « la stratégie américaine et le conflit du Sahara occidental », en le monde diplomatique, n° 310, 1981, p 12-13.
- José Ramon Diego Aguirre, « la verdad sobre la entrega del sahara » en historio 16, n° 177 , 1991 ,
- Stephen Zunes, « The United States and regional interests en Arab Studies Quaterly. N° 4 1987,

  Stephen J. Solarz, « Arms for Morocco ? » en forffairs , vol, 58, n° 2 1980 ?
- Foreign military sales, foreign military construction sales and military assistance facts, U.S. Washington Departement of defense, 1982.
- Richard B .Parker , north africa, regional tensions and strategie concerns, neuva york, praeger 1984

الولايات المتحدة الأمريكية وقضية الصحراء المغربية في ظل مقترح الحكم الذاتي

د. محمد لكريني*

الملخص

بعدما باءت بالفشل المقترحات التي حاول الأمناء العامون المتعاقبون تنفيذها؛ إذ تقدم المغرب سنة 2007 بنص المبادرة المغربية للتفاوض بشأن نظام الحكم الذاتي لجهة الصحراء من أجل إيجاد حل نهائي لهذا النزاع بعدما قدم مقترحات عديدة لهذا النزاع المفتعل من لدن الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب؛ غير أنه لحدود الساعة لم يتفق طرفي النزاع على أرضية موحدة كأساس للتفاوض ليبقى كل طرف متشبث بموقفه.

لقيت المبادرة المغربية لنظام الحكم الذاتي ترحيبا دوليا واسعا من خلال موقف القوى الدولية الكبرى المؤيدة للمشروع المغربي؛ فضلا عن موقف الأمم المتحدة من خلال القرارات الأممية وتقارير الأمناء العامين، إذكانت ردود الفعل الدولية بصدد المبادرة المغربية لنظام الحكم الذاتي لجهة الصحراء لتسوية هذا النزاع إيجابية، حيث لقيت تأييدا واضحا من قبل الدول الكبرى، بل الأكثر من ذلك اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بعد إصدار الرئيس الأمريكي السابق ترامب مرسوما في الجريدة الفيدرالية بتاريخ يوم 10 ديسمبر 2020 بعد تواصل بينه وبين الملك محمد السادس والقاضي باعتراف الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة في تاريخها بسيادة المملكة المغربية الكاملة على كافة منطقة الصحراء المغربية، إذ يشكل هذا الاعتراف منعطفا مهما ومحطة كبرى ومفصلية في مسار هذه القضية التي عمرت طويلا. يمكن الإقرار بأنه اعتراف منطقي على اعتبار أن المغرب اتسم بحسن النية في مختلف مراحل وأطوار هذا النزاع بغية طيه من خلال تقديمه للعديد من المقترحات إلى أن وصل إلى مشروعه الأخير المتعلق بالحكم الذاتي الذي اعتبره أقصى ما يمكن تقديمه.

الكلمات المفتاحية: القوى الدولية الكبرى، قضية الصحراء المغربية؛ مشروع الحكم الذاتي، الاعتراف الأمريكي، جبهة البوليساريو.

* أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية بكلية الحقوق-أيت ملول-جامعة ابن زهر، المغرب.

USA and the Moroccan Sahara issue in light of these issues autonomy proposal

Dr. Mohamed Lagrini

Abstract

After the proposals that successive Secretaries General tried to implement were unsuccessful; In 2007, Morocco submitted the text of the Moroccan initiative to negotiate a system of autonomy for the Sahara side, in order to find a final solution to this conflict, after submitting numerous proposals to this fabricated conflict by the Popular Front for the Liberation of Saguia el-Hamra and the Valley of Gold. However, for the time being, the two parties to the conflict have not agreed on a unified ground as a basis for negotiation, so that each party remains attached to its position. The Moroccan initiative for the autonomy system was widely welcomed internationally through the stance of the major international powers in support of the Moroccan project. In addition to the position of the United Nations through the UN resolutions and the reports of the secretaries-general, as the international reactions regarding the Moroccan initiative for the autonomy system in the Sahara side to settle this conflict were positive, as it was clearly supported by the major powers. Former US President Trump issued a decree in the Federal Gazette on December 10, 2020, after communication between him and King Mohammed VI, the judge, that the United States of America recognized, for the first time in its history, the full sovereignty of the Kingdom of Morocco over the entire region of the Moroccan Sahara, as this recognition constitutes an important turning point and a major and decisive milestone in the course of This is a long-standing case. It can be acknowledged that it is a logical recognition given that Morocco was characterized by good faith in the various stages and phases of this conflict in order to fold it by submitting many proposals until it reached its last project on autonomy, which it considered the most that could be presented. Key words: the major international powers, the Moroccan Sahara issue; Autonomy Project, American recognition, the Polisario Front.

مقدمة:

تشكل قضية الصحراء المغربية الملف الجوهري الذي يحظى بالأولوية الكبرى في السياسة الخارجية للمغرب، إلا أنه بالرغم من إيلاء الأهمية القصوى لهذا الملف الذي لازال يراوح مكانه، تميز تدبيره لسنوات عدة بنوع من الانغلاق، مما حال دون مشاركة فعاليات أخرى للمساهمة في تدبيره، غير أن ذلك لا ينفي المجهودات التي بذلتها الدبلوماسية الرسمية المغربية من خلال التعاون مع منظمة الأمم المتحدة منذ طرح المخطط الأممي للتسوية لطي هذا الملف العالق.

بعدما فشلت منظمة الوحدة الإفريقية (منظمة الاتحاد الإفريقي حاليا) في إيجاد حل نهائي لقضية الصحراء، تمت العودة إلى منظمة الأمم المتحدة مرة أخرى سنة 1985 سعيا نحو خروج هذه القضية من مأزقها، إذ كانت تكلفتها كبيرة على شعوب المنطقة المغاربية؛ حيث اقترح الأمناء العامون المتعاقبون سواء تعلق الأمر بمخطط التسوية الأممي الذي تم اقتراحه منذ أواخر الثمانينيات من القرن الماضي أو حينما تعلق الأمر بإيجاد حل سياسي متفاوض بشأنه بين أطراف النزاع.

حاولت منظمة الأمم المتحدة جاهدة في سبيل تنظيم عملية الاستفتاء بدءا بالأمين العام الأممي بيريز دي كويلار؛ مرورا ببطرس غالي وانتهاء بكوفي عنان بغية تطبيق مخطط التسوية الأممي ل30 آب 1988؛ الذي لقي صعوبات جمة على مستوى تنفيذه على أرض الواقع بسبب تضارب الرؤى ومواقف أطراف النزاع لإيجاد مخرج لقضية الصحراء[1] التي تعد من بين أطول النزاعات بالقارة الإفريقية؛ حيث كانت تداعيات هذه القضية من الناحية الاقتصادية والسياسية والأمنية.. وخيمة على شعوب دول هذه المنطقة.

وعلى الرغم من إقناع السيد بيريز دي كويلار لأطراف النزاع بأهمية مخطط التسوية، ومصادقة مجلس الأمن على هذه الخطة بموجب قرار مجلس الأمن رقم 690[2]؛ إلا أنها لم تجد طريقها إلى التفعيل على أرض الواقع نتيجة تنازع طرفي النزاع حول تحديد هوية من سيشارك في الاستفتاء.

إن التأجيل الذي طال المخطط الأممي لأكثر من مرة يؤكد صعوبة تطبيقه رغم المجهودات التي بذلها الأمناء العامون الذين تعاقبوا لتنفيذ هذا المخطط لتنظيم عملية الاستفتاء. علاوة على مواقف طرفي النزاع التي زادت من تعقيد الأمور دون الإسهام في إيجاد حل ينهي الخلاف الدائر حول هذه القضية؛ الأمر الذي فتح المجال أمام مقترحات وخطط أخرى تمثلت في محاولة الدخول في مفاوضات مباشرة لإيجاد حل سياسي بعد فشل المخطط الأممي السابق.

بادر السيد جيمس بيكر إلى وضع مشروع الاتفاق الإطار أو "الحل الثالث"، حيث أعلن في أبريل 2001 أن المغرب باعتباره السلطة التي ستتكلف بإدارة الصحراء, مستعد لنقل السلطة إلى سكان الأقاليم الجنوبية مع الاحتفاظ بكل ما يتعلق بالسيادة المغربية؛ إذ تقدم بيكر بمشروع

[1] انظر ماجدة كريمي:« الحكم الذاتي بأقاليمنا الصحراوية: المرتكزات التاريخية "؛ مطبعة فاس بريس 2010 ص 194.

[2] قرار مجلس الأمن الدولي رقم 690 والمؤرخ بتاريخ 29 أبريل 1991.

الاتفاق الإطار كما تضمنه تقرير الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان في 20 يونيو 2001، والذي كاد أن يشكل محطة مهمة لحسم هذا النزاع المفتعل حول مغربية الصحراء لولا تباين مواقف طرفي النزاع من هذه المبادرة[3].

إن بنود مشروع اتفاق الإطار نصت على نقل قدر مهم من السلطة إلى سكان الأقاليم الصحراوية أي عدم تبني فكرة الانفصال وفي مقابل ذلك احتفظت المملكة المغربية بكل ما يرتبط بسيادتها على هذه الأقاليم والحفاظ على مبدأ الوحدة الترابية[4]-أو بعبارة أخرى فهذه المبادرة لا تعني الاستقلال الكامل أو الاندماج الكامل[5]- كمؤسسة الدفاع الوطني والأمن الداخلي والعملة والعلم الوطني واحترام الدستور المغربي من طرف الهيئة التشريعية للحكم المحلي التي يجب ألا تخالف التشريعات الصادرة عنها المقتضيات الدستورية[6].

وأمام استمرار تعثر مسلسل التسوية الأممي بعد رفض كل الخيارات السالفة الذكر التي أكد عليها الأمين العام الأممي، أصدر مجلس الأمن قراره رقم 1429 في 30 يوليو2002 الذي تم التأكيد فيه على ضرورة البحث عن حل سياسي تعم فائدته على الجميع نظرا لعدم إحراز أي تقدم في تسوية النزاع المتعلق بالصحراء، مما يفرز آثارا تنعكس أساسا على استقرار المنطقة من ناحية، ثم من ناحية أخرى يعيق تحقيق التنمية الاقتصادية لبلدان المنطقة المغاربية[7].

أصدر مجلس الأمن بتاريخ 28 أكتوبر 2003 قرارا رقم 1513 حول نزاع الصحراء مؤكدا قراره السابق 1495, والذي يتبنى الخطة المقترحة من طرف السيد جيمس بيكر في بداية سنة 2003 تحت مخطط أطلق عليه "خطة السلام من أجل تقرير مصير شعب الصحراء الغربية"[8] وعرضها على مجلس الأمن في بداية مارس من نفس السنة.

غير أن المغرب اعتبر أن هذه الخطة تشكّل تراجعا عن الاتفاق الإطار، ورفض هذا الأخير لكونه يتضمن مجموعة من المقترحات التي تمس السيادة المغربية كمشاركة الإدارة التنفيذية في جميع المفاوضات المرتبطة بملف الصحراء، وكذا انسحاب القوات المغربية بعد تسلّم الإدارة الجديدة المرتقبة لمهامها، ثم إجراء استفتاء خلال 4 سنوات[9].

بعدما باءت بالفشل المقترحات التي حاول الأمناء العامون المتعاقبون تنفيذها؛ تقدم المغرب سنة 2007 بنص المبادرة المغربية للتفاوض بشأن نظام الحكم الذاتي لجهة الصحراء من

---

[3] للاطلاع على بنود اتفاق الإطار، انظر علي طعمه؛" الصحراء مغربية حقيقة التاريخ.. وتاريخ الحقيقة"؛ منشورات الهيثم للصحافة والطباعة والنشر؛ بيروت لبنان يناير 2005؛ ص 275.

[4] للمزيد من التفاصيل انظر مبدأ الوحدة الترابية، في الندوة الدولية المنظمة من طرف كلية العلوم القانونية والاقتصادية بنواكشوط يومي 10 و 11 ماي 2004, التسوية السلمية للنزاعات في إفريقيا, منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية العدد 49 ص: 32.

[5] أحمد السيد أحمد:« مشكلة الصحراء الغربية في انتظار التنازلات"؛ مجلة السياسة الدولية العدد 150-المجلد 37؛ أكتوبر 2002 ص 127.

[6] أحمد بودراع:« ملف الصحراء المغربية في الأمم المتحدة: السيرورة والمآل"؛ مجلة وجهة نظر العدد 28 ربيع 2006 ص: 33.

[7] قرار مجلس الأمنرقم 1429 الذي اعتمده في الجلسة 4594؛ المعقودة في 30 يوليوز 2002 (2002)S/RES/1429

[8] بنود خطة السلام من أجل تقرير مصير الساكنة الصحراوية؛ انظر علي طعمه؛" الصحراء مغربية حقيقة التاريخ..وتاريخ الحقيقة "؛ مرجع سابق؛ ص 268.

[9] عبد الواحد الناصر: " المشكلات السياسية الكبرى"، مرجع سابق ص: 484.

أجل إيجاد حل نهائي لهذا النزاع المفتعل من لدن الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب؛ غير أنه لحدود الساعة لم يتفق طرفا النزاع على أرضية موحدة كأساس للتفاوض ليبقى كل طرف متشبث بموقفه[10].

إذن ما هي ردود الفعل الدولية والمحلية حول الحكم الذاتي؟ وما هي تطورات قضية الصحراء المغربية بعد طرح مشروع الحكم الذاتي والقرارات الأخيرة لمجلس الأمن وتقرير الأمين العام للأمم المتحدة؟ ألا يمكن اعتبار موقف الولايات المتحدة الأمريكية المؤيد لمشروع الحكم الذاتي منطلقا لاعترافها بالسيادة المغربية على الأقاليم الجنوبية من جهة؟ ثم من جهة أخرى ألا يمكن القول بأن الاعتراف الأمريكي بسيادة المغرب على أقاليمه الجنوبية مقدمة لحل النزاع الذي طال أمده وكانت تكلفته كبيرة على دول المنطقة؟

أولاً: الأساس التفاوضي للمبادرة المغربية للحكم الذاتي

تقدم المغرب بطرح مشروع الحكم الذاتي على أنظار منظمة الأمم المتحدة في 11 أبريل 2007, وقد سبقت جبهة البوليساريو المغرب بتقديم مقترحها يوم 10 أبريل من نفس السنة بهدف إيجاد حل سياسي متوافق بشأنه لإنهاء هذا الصراع الذي لم يجد طريقه إلى الحل بعد، علما" أن المبادرة المغربية مستلهمة من مقترحات الأمم المتحدة ذات الصلة ومن الأحكام الدستورية المعمول بها في الدول القريبة من المغرب جغرافيا وثقافيا.. وهو مشروع يقوم على ضوابط ومعايير متعارف عليها عالميا"[11].

أظهرت المبادرة المغربية للحكم الذاتي استيعابها للتعدديات الثقافية والإثنية والقطع مع النزعات الانفصالية[12]؛ حيث سعى المغرب إلى الدفع باتجاه جعل هذه المبادرة كأساس للتفاوض لأنها ليست نهائية؛ إلا ما يرتبط منها بحفاظ المغرب على سيادته وبخاصة الأمن الوطني والدفاع الخارجي؛ الوحدة الترابية والعلاقات الخارجية والاختصاصات الدستورية والدينية للملك أمير المؤمنين والضامن لحرية ممارسة الشعائر الدينية وللحريات الفردية والجماعية؛ والعلم؛ والنشيد الوطني؛ العملة؛ ثم النظام القضائي للمملكة[13]، غير أن الطرف الآخر ظل متمسكا بطروحاته التقليدية التي تجاوزها الزمن والواقع الذي تحقق في المنطقة على امتداد أزيد من ثلاثة عقود.

وتأكيدا لما سبق تكون: "مباشرة الدولة لمسؤوليتها في حقل العلاقات الخارجية بتشاور مع جهة الحكم الذاتي للصحراء؛ وذلك بالنسبة لكل القضايا ذات الصلة المباشرة باختصاصات هذه الجهة. كما يجوز لجهة الحكم الذاتي للصحراء بتشاور مع الحكومة إقامة علاقات تعاون مع جهات أجنبية بهدف تطوير الحوار والتعاون بين الجهات"[14].

---

[10] بالرغم من الإمكانيات المهمة التي جاءت بها مبادرة الحكم الذاتي باعتبارها مبادرة يمكن إدراج فيها ما قد يتم الاتفاق عليه في حال إذا ما اعتبرت أرضية أساسية للتفاوض وتجاوز الموقف المتصلب وغير الواقعي لجبهة البوليساريو كما أكد ذلك السيد فان والسوم.

[11] انظر الفقرة 11 من المبادرة المغربية للتفاوض بشأن نظم للحكم الذاتي لجهة الصحراء.

[12] إدريس ديداح:«الجهوية ومشروع الحكم الذاتي بالمغرب"؛ رسالة لنيل شهادة الماستر؛ كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية-جامعة مولاس اسماعيل-مكناس؛ السنة الجامعية 2010/2009 ص 98.

[13] انظر الفقرات 2و6 و14 من مبادرة الحكم الذاتي المغربي.

[14] انظر الفقرة 15 من مشروع الحكم الذاتي المغربي.

وبالرغم من أن المبادرة المغربية للحكم الذاتي لقيت ترحيبا دوليا واسعا؛ فالتجارب الدولية أثبتت أن هناك مشاكل تطرح على مستوى تنزيل هذه المبادرة، من قبيل مشكلة الشخصية الدولية، ومشكل توزيع الاختصاصات بين السلطة المركزية والوحدات الإقليمية المتمتعة بالحكم الذاتي[15]، واستغلال الموارد الطبيعية، والقضايا الأمنية ثم السياسة الاقتصادية والمالية[16].

يعتبر المغرب مشروع الحكم الذاتي لجهة الصحراء أساسا للتفاوض فهو مقترح غير نهائي، بل يمكن إدراج ما قد يتم الاتفاق عليه في حال ما إذا اعتُبر هذا المقترح المغربي كأساس وحيد للتفاوض للخروج من هذا المأزق الذي طال أمده. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المبادرة المغربية لنظام الحكم الذاتي في جهة الصحراء الرامية إلى إنهاء هذا النزاع المفتعل حول مغربية الصحراء، أشارت بشكل مكثف في فقراتها إلى التفاوض[17]، (الفقرات34 ;2;7;9;28;33) [18].

أكدت الفقرة الثامنة على أن:« نظام الحكم الذاتي المنبثق عن المفاوضات يخضع لاستشارة استفتائية للسكان المعنيين طبقا لمبدأ تقرير المصير (توصية الجمعية 1514 سنة 1960) ولأحكام ميثاق الأمم المتحدة (المادة الأولى في فقرتها الثانية والمادة 55). وعليه فالميثاق الأممي لم يحدد ما المقصود بحق الشعوب في تقرير مصيرها لهذا السبب والغموض ظهرت تأويلات وتفسيرات خاصة بهذا المبدأ[19].

كما نصت الفقرة السابعة والعشرون: على أن يكون نظام الحكم الذاتي لجهة الصحراء كموضوع تفاوض، ويطرح على السكان المعنيين بموجب استفتاء حر ضمن استشارة ديمقراطية، ويعد هذا الاستفتاء طبقا للشرعية الدولية وميثاق الأمم المتحدة وقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن بمثابة ممارسة حرة من لدن هؤلاء السكان لحقهم في تقرير المصير.

ومن ثمة فالمبادرة المغربية تتضمن حق تقرير المصير في تفاصيلها وإجراءات تطبيقها من خلال عرضه على سكان الصحراء قصد الاستشارة الحرة، وبالتالي ستكون الموافقة على هذا النظام بمثابة استعمال حق تقرير المصير للسكان الصحراويين، وهو آخر ما يمكن للمغرب أن يسمح به وفاء لتاريخه وحفاظا على سيادته ووحدته الترابية[20].

يأمل المغرب أن تستوعب الأطراف الأخرى دلالة هذا المقترح بكل أبعاده، وأن تقدره حق قدره وتسهم فيه إسهاما إيجابيا وبنّاء، معتبرة أن الدينامية التي أفرزتها هذه المبادرة تتيح فرصة تاريخية

---

[15] وقد تضمنت المبادرة المغربية في متنها إلى مبدأ التفريع والتفاوض؛ وهو الأمر الذي يحيل على أن المغرب مستوعب للإشكاليات التي قد يتم طرحها في هذا الشأن في حال إذا ما اعتبر مشروع الحكم الذاتي كأساس للتفاوض لحل قضية الصحراء المغربية.

[16] محمد بوبوش:«الحكم الذاتي ومشكل الأقليات"؛ مجلة الدولية؛ المطبعة والوراقة الوطنية؛ مراكش- المغرب، العدد 2 /2006 ص 13-16.

[17] إدريس لكريني:«السياسة الخارجية المغربية وقضية الصحراء.. من التدبير الأحادي إلى الانفتاح المحسوب"؛ مجلة نوافذ العدد 43 -44, ص 53.

[18] انظر بنود مبادرة الحكم الذاتي على الموقع الإلكتروني للمجلس الملكي للشؤون الصحراوية:http://www.corcas.com/Portals/4/Doc/autonomie.pdf

[19] أنظر صالحين إبراهيم بوكراع:« تطبيقات مبدأ حق تقرير المصير في ضوء المتغيرات الدولية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس -أكدال- السنة الجامعية 1997 ص: 20.

[20] محمد توفيق القباج:« مختصر حول قضية الصحراء المغربية في بعدها التاريخي"، التواصل دورية ثقافية اجتماعية إخبارية، النادي الدبلوماسي المغربي، العدد 7 يوليوز 2007 ص: 73.

لحل هذه القضية بصفة نهائية (الفقرة الأخيرة من المبادرة المغربية لنظام الحكم الذاتي لجهة الصحراء).

خصوصا وأن المغرب: "قدم أول تنازل عندما قبل بالاستفتاء في 1981, وبعد عشر سنوات أي خلال سنة 1991 قَبل وقف إطلاق النار في مرحلة تفوق عسكري قادر على تصفية الجبهة، وقدّم تنازلا أخطر بدخول المينورسو إلى الإقليم، وقدّم تنازلات في إطار مسلسل الاستفتاء، وقدم تنازلا من جانب واحد عندما قرر منح سكان الإقليم حكما ذاتيا، ثم تنازل عندما جعله قابلا للتفاوض"[21].

استقر موقف جبهة البوليساريو في المطالبة بالاستقلال التام عن المغرب في إطار مطالبتها بحق تقرير المصير، حيث تشير الممارسة إلى عدم واقعية المطلب الذي تردده الجبهة بالنظر للتحولات والتطورات التي شهدتها الأقاليم الصحراوية ولكون مشروع الحكم الذاتي أيضا يشكل صورة من صور تقرير المصير إذا ما مورس بشكل ديمقراطي؛ الأمر الذي جعله يحظى بترحيب من عدد من القوى الدولية الكبرى.

إن نجاح أي مفاوضات مرتبطة بالتزام الأطراف المتفاوضة بحسن النية وإحلال جو من الثقة المتبادلة وهو ما دعا إليه الأمين العام المساعد للأمم المتحدة السابق"لين باسكو" ممثلا عن "بان كي مون" لإنهاء هذا الخلاف الإقليمي بحل متفق عليه، يضمن حق تقرير المصير لساكنة الصحراء، فجبهة البوليساريو متشبثة بموقفها المتصلب والمتعنت فكل طرف يتمسك بموقفه، فالجبهة تقر بأنه لا يمكن الدخول في المفاوضات إلا بقبول إجراء الاستفتاء "لتصفية الاستعمار" لتقرير مصير سكـان الصحـراء "الغربية"، إضافةإلى أنهـاتعـتـبـر نـفسها "الممـثـل الشرعي والوحيد للساكنة الصحراوية"[22].

بعد مرور يوم على خطاب الملك محمد السادس الذي ألقاه بطنجة بمناسبة الذكرى الثامنة لتوليه العرش يوم 30 يوليو 2007 والذي أعلن فيه: "أن المغرب على استعداد دائم للتفاوض على الحكم الذاتي فقط، الحكم الذاتي المتوافق عليه لن يكون إلا في إطار السيادة المغربية غير القابلة للتصرف والتي لا مساومة فيها ووحدتها الوطنية المتلاحمة التي لا تفريط فيها وحوزتها غير القابلة للتجزئة"، كما أن نص الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى 39 للمسيرة الخضراء بتاريخ 6 نوفمبر 2014 أكد على أن مبادرة الحكم الذاتي هي أقصى ما يمكن أن يقدمه المغرب في إطار التفاوض من أجل إيجاد حل نهائي لهذا النزاع الإقليمي, ردّت جبهة البوليساريو على خطاب العرش مباشرة يوم 31 يوليو 2007 من خلال رئيس الجبهة محمد عبد العزيز الذي وصفالخطاب بـ«التعصب والتشدد" تجاه تسوية هذا النزاع، وأكد محمد خداد - وهو أحد المفاوضين المنتمين لجبهة البوليساريو- في الجـولـة الأولى مـن المـفـاوضات أن"الـبـولـيساريو لـن تـقـدم أي تـنـازل بشأن تـقـرير المـصيـر" أثناء المفاوضات.[23]

[21] عبد الحميد العوني:« أسرار مانهاست بين البوليساريو والمغرب، منشورات عربية العدد 22, 2007 ص: 9.

[22] علال الأزهر:« محطات تاريخية في النزاع من استرجاع الصحراء إلى الحكم الذاتي"، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، نداكوم - الرباط، العدد 77-78, يناير 2010 ص: 25.

[23] سها عيد رجب: "نزاعات الحدود في العالم العربي من نهايات القرن العشرين إلى بدايات القرن الواحد والعشرين"؛ مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات-مصر، الطبعة الأولى 2009 ص 162.

كما أن الطرف الجزائري الرئيسي في هذا النزاع لازال يتبع خطوات تمس بنزاهة وموضوعية هذه المفاوضات حتى بعد انتهاء هذه الأخيرة وقبل إعطاء البوليساريو انطباعها حولها وحول ما حققته، حيث تعمل الجزائر على التشويش عند نهاية كل جولة من المفاوضات إما بشكل مسبق أو لاحق بإساءتها للمغرب. وإذا كان النظام الجزائري يقوم بالتشويش على المفاوضات ومحاولة السيطرة على موقف البوليساريو، مما لاشك فيه أنه لا يمكن انتظار حل متفاوض ومتفق عليه، خصوصا وأن هذه الدولة الجارة تحاول أن تستثمر هذا الخلاف لأغراض ضيقة مما يستبعد بلورة حل النزاع على المستوى القريب؛ مما يفرض استحضار حسن النية من أجل حل توافقي نهائي، وعليه فالدور الجزائري ووصايتها على جبهة البوليساريو تعرقل مسار ومسلسل المفاوضات، مما يشكل صعوبة تحول دون الوصول إلى حل نهائي متوافق بشأنه[24]، إلا أن تلك المناورات التي تقوم بها كل من الجزائر وجبهة البوليساريو، لم تمنع المجتمع الدولي من التفاعل الإيجابي مع المبادرة المغربية المتعلقة بنظام الحكم الذاتي، بل الأكثر من ذلك فالجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب تهدد دائما باللجوء إلى الحرب[25]، علما أن المغرب له من الإمكانيات العسكرية التي تخول له القضاء على هذه الحركة، إلا أنه لا يمكنه اللجوء إلى هذا الخيار [26] لقناعاته المرتبطة باحترام المبادئ التي تضمنها الميثاق الأممي[27]، والتي يتشبث بها في دفاعه عن قضاياه أو القضايا الدولية أو الإقليمية الأخرى.

ثانياً: تداعيات مقترح الحكم الذاتي داخلياً وخارجياً

لقيت مبادرة الحكم الذاتي ترحيبا محليا ودوليا حيث تبلور هذا الأمر في اقتناع عدد كبير من قيادي جبهة البوليساريو بالعودة إلى المغرب وبحقوق هذا الأخير المشروعة على أراضيه في الأقاليم الجنوبية، ثم موقف القوى الدولية من المبادرة المغربية والذي ترجم على مستوى قرارات مجلس الأمن في الأمم المتحدة ومواقف بعض القوى الكبرى المؤيدة للمقترح المغربي كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا..

بعدما قدم المغرب مشروع الحكم الذاتي للأمم المتحدة، لقي هذا الأخير ترحيبا واستحسانا وتأييدا واسعا من قبل المجتمع الدولي، بل الأكثر من ذلك أسهم ذلك في عودة نخب وقيادات من "الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب"؛ بعد اقتناعها بصعوبة تطبيق الأطروحات الانفصالية وواقعية وجدية المقترح المغربي.

يمكن القول إن عودة قادة ونخب جبهة البوليساريو إلى المغرب يوحي بمدى استيعاب المشروع المغربي باعتباره فرصة تاريخية للطرفين لحل هذا النزاع الذي عمّر طويلا؛ فما هي إذن دلالة العودة؟ ثم ما مدى أهمية هذه العودة ودورها في دعم الموقف المغربي؟

[24] حوار مع إدريس لكريني، جريدة الشروق السنة الثانية – عدد 128 من 17 إلى 24 ديسمبر 2010 .

[25]-voir « vers une nouvelle guerre au Sahara », Maroc Hebdo ; N° 772 du 21 au 27 décembre 2007.

[26] إلا في بعض الحالات الاستثنائية التي تقوم فيها جبهة البوليساريو بتهديد حقيقي للمغرب.

[27] كما هو الشأن بالنسبة للجوء إلى التسوية السلمية في فض النزاعات وباقي المبادئ الأخرى وفقا لما نص عليه الميثاق الأممي.

إن عودة العديد من قادة جبهة البوليساريو بمثابة اقتناع بحقوق المغرب على أقاليمه الجنوبية، حيث اعتبر الحبيب أيوب أحد أبرز العائدين إلى المغرب بعد عمر الحضرمي، المسؤول السابق عن الأمن العسكري، ووزير الخارجية الأسبق "للجمهورية الصحراوية" إبراهيم حكيم، وأحمد ولد سويلم الذي عيّن سفيرا سابقا للمغرب بإسبانيا..؛ إضافة إلى ذلك عاد خلال نفس الفترة قياديون عسكريون بارزون في جبهة البوليساريو أبرزهم مصطفى البرزاني ومحمد فاصل الوادي اللذان تقلدا مهام عسكرية سامية في الجبهة قبل عودتهم إلى المغرب، والبشير الدخيل أحد مؤسسي "البوليساريو"، كما عادت إلى المغرب كجمولة بنت أبي التي تقدمت لانتخابات 2002 كوكيلة للائحة الوطنية للنساء ضمن حزب الحركة الشعبية.

ينتمي الحبيب أيوب إلى قبيلة الركيبات إحدى أكبر فصائل الصحراء حيث سبق له أن شغل منصب عضو اللجنة التنفيذية داخل الجبهة لعدة سنوات، وتقلد منصب وزير "الأراضي المحلية" وتولى قيادة الناحية الثالثة العسكرية للجبهة، إلى أن دخل في خلاف مع قادة البوليساريو مما أدى به إلى التخلي عن أطروحتهم والعودة إلى المغرب.

كما أن عودة القيادي البارز في صفوف البوليساريو وأحد مؤسسيها في السبعينات أحمد ولد سويلم أربكت جبهة البوليساريو[28]، باعتباره أحد أبرز شيوخ قبيلة أولاد دليم، التحق بالمغرب أواخر شهر يوليو 2009 واستقبل من طرف الملك محمد السادس، تزامنا مع الاحتفال بالذكرى العاشرة لعيد العرش، بل الأكثر من ذلك شكلت عودة ولد السويلم صدمة قوية للجبهة، هذا الرجوع الذي تزامن مع الخطاب الملكي الذي أشار إلى البدء في التفكير في آليات تطبيق "الجهوية المتقدمة" انطلاقا من الأقاليم الجنوبية لتدبير شؤونهم المحلية بأنفسهم كتمهيد نحو تفعيل الحكم الذاتي.

أثرت عودة أحمد ولد السويلم بشكل كبير على الجبهة لأن عودته ليست هي الأولى والأخيرة؛ بل لازال يطمح العديد من القياديين الرجوع إلى أرض الوطن، فأزيد من 1400 شخص دخلوا خلال النصف الأول من سنة 2010 من الجزائر عائدين إلى أرض الوطن، وكلهم يؤكدون أن الأغلبية الساحقة تريد العودة للمغرب اقتناعا منها بأن الحكم الذاتي هو الحل الأنسب، لذلك فالمجتمع الدولي وكافة المنظمات الإنسانية والحقوقية مطالبة أكثر من أي وقت مضى بالضغط على الجزائر من أجل ضمان إعطاء كافة المحتجزين بحقهم في التنقل والتعبير[29]، وبالتالي ينبغي على المسؤولين المغاربة استغلال هذا النقطة من أجل السير قدما نحو منح الصحراويين حكما ذاتيا في إطار السيادة المغربية، وهو الكفيل بإضعاف جبهة البوليساريو، وما يؤكد ما سبق هو انخراط ولد السويلم في زعامة "تيار خط الشهيد" إلى جانب قيادات أخرى كالمحجوب السالك.

بعد عودة ولد السويلم إلى أرض الوطن تم تعيينه سفيرا سابقا للمغرب بإسبانيا مما يدل على التزام المغرب بتعهداته تنفيذا لبنود المبادرة المغربية المتعلقة بالحكم الذاتي، التي نصت في

[28] محمود معروف:«وفدا البوليساريو والمغرب يبدآن اليوم في النمسا مفاوضات غير رسمية "؛ القدس العربي؛ العدد 6277؛ الإثنين 10 أغسطس 2009.

[29] عبد الفضيل أكنيديل:«الحكم الذاتي المبادرة المغربية بشأن الصحراء كتعبير عن تقرير المصير " ؛ مطبعة الرسالة الرباطالمغرب، الطبعة الأولى 2011 ص 24 .

فقرتها 30 منها على أن: "تتخذ المملكة المغربية كافة الإجراءات اللازمة لإدماج الأشخاص الذين تتم عودتهم إلى أرض الوطن إدماجا تاما في حظيرته، وذلك في ظل ظروف تكفل الحفاظ على كرامتهم وسلامتهم وحماية ممتلكاتهم"[30]. ومن ثمة فعودة قيادي ونخب البوليساريو في تصور المبادرة المغربية المتعلقة بالحكم الذاتي ينبني على ركيزتين أساسيتين: العفو الشامل والإدماج[31].

علاوة على أن هذا الأمر يشكل نوعا من جبر الضرر للعائدين لأرض الوطن؛ وتأكيدا للسياسة التي سبق وأن تبناها الملك الراحل الحسن الثاني "إن الوطن غفور رحيم"[32]؛ وسار على منوالها الملك محمد السادس، الأمر الذي أثبت أنه ليس هناك أقدمية في المواطنة[33].

نجد في مقابل ذلك المحجوب السالك أحد قيادي الجبهة ومؤسس تيار" خط الشهيد" أكّد خلال الندوة التي نظمها مركز هسبريس للدراسات والإعلام يوم 09 أبريل 2015 بالرباط حول: "ملف الصحراء: الرهانات والآفاق"، على أن:« تأسيس الجبهة كان نتيجة أخطاء النظام السياسي والأحزاب السياسية"[34]، فهذا الانفتاح على قيادي الجبهة عبر فتح نقاشات موسعة (ندوات، وأيام دراسية..) سيمكن من معرفة الأسباب الحقيقية لاستمرار هذا النزاع.

وعليه فدلالة عودة معظم قادة جبهة البوليساريو واضحة وهي استيعاب المقترح المغربي المتعلق بالحكم الذاتي ومدى أهميته وواقعيته وكذا جديته، باعتباره الفرصة الواقعية التي لا مثيل لهالفض هذا النزاع نهائيا.

تبرز عودة نخبة مهمة من قيادي جبهة البوليساريو ومؤسسيها بداية الاقتناع بجدية جهود المغرب باتجاه إيجاد حل حقيقي للقضية، كما تحيل أيضا إلى إيمانهم بجدوى ونجاعة مشروع الحكم الذاتي في هذا الشأن، وتوضح كذلك حجم الارتباك الذي خلفته المبادرة المغربية في صفوف الجبهة.

لقيت مبادرة الحكم الذاتي ترحيبا من قبل عدد كبير من النخب الوازنة من قيادة جبهة البوليساريو التي أبدت ارتياحها للمشروع وتفاؤلها بمقتضياته لتقرر العودة بشكل نهائي إلى المغرب[35]، بمعنى أن هذا الأمر يعد عاملا داعما لمواقف الدبلوماسية المغربية؛ وينبغي استحضاره من قبل الدبلوماسية الرسمية وغير الرسمية لتبيان حقيقة ما يقع حول هذه القضية وتصحيح المغالطات التي رسختها جبهة البوليساريو لدى مجموعة من الدول، والتأكيد على عودة عدد كبير من نخبهم وقياديهم إلى المغرب.

---

30 انظر بنود مبادرة الحكم الذاتي.

31 خالد شيات: "الصحراء المغربية مسارات الحل الشامل"؛ دار النشر الجسور-وجدة؛ الطبعة الأولى 2007 ص 81-82.

32 عثمان الزياني: "مشروع الحكم الذاتي خطوة نحو تأكيد مبادئ الإنصاف"؛ منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية؛ سلسلة مواضيع الساعة" الجهوية الموسعة ونظام الحكم الذاتي"؛ عدد خاص 2011/71 ص 121.

33 محمد العربي المساري:«10 ملاحظات حول مشروع الحكم الذاتي"؛ مجلة آفاق؛ منشورات اتحاد كتاب المغرب العدد 77-78/يناير 2010 ص 11.

34 محمود معروف:«السالك يحمل النظام المغربي والأحزاب السياسية مسؤولية قيام جهة البوليساريو"، جريدة القدس العربي العدد 8071, السبت 11 أبريل 2015, ص 8.

35 إدريس لكريني:«الأبعاد الإنسانية والديقراطية لمشروع الحكم الذاتي في الصحراء"، مجلة المنبر القانوني، المغرب، العدد الأول، أكتوبر 2011, ص 152.

فضلا عن ذلك شكلت هذه الرابطة تيار التنسيقية الدولية لمعارضي البوليساريو من قادة هذه الأخيرة الذين كانوا يمثلونها في عدد من دول أوروبا وإفريقيا[36]، بما يفيد رد الفعل الإيجابي بخصوص أطروحة المغرب ودعم موقفه من طرف غالبية المحتجزين الراغبين في العودة إلى أرض الوطن في ظل خيار المقترح المغربي المتعلق بالحكم الذاتي.

تبين للقياديين المؤسسين لجبهة البوليساريو الذين كانوا في البداية يدافعون عن أطروحة الجبهة، بأن هذه الأخيرة لا تأخذ بعين الاعتبار مصلحة سكان هذه الأقاليم بقدر ما تضع في أولوياتها إطالة هذا النزاع والاستفادة منه خدمة لمصالحها الضيقة، كما اقتنعوا أيضا على أن ما يقترحه المغرب (نظام الحكم الذاتي لجهة الصحراء) سيكون فعّالا على الاستقلال الذي تنادي به البوليساريو[37]، ومن تم فهذه العودة تشكل خطوة مهمة ستخدم القضية من حيث أنها ستشجع قيادات أخرى على العودة، وستساهم في تعزيز مواقف المغرب من قضيته إذا ما استثمرت الدبلوماسية الرسمية وغير الرسمية هذه المعطيات في شرحها وتفسيرها في لقاءاتهم الدولية والإقليمية.

ثالثاً: موقف المجتمع الدولي من المقترح المغربي

لقيت المبادرة المغربية لنظام الحكم الذاتي ترحيبا دوليا واسعا؛ تمثل في موقف القوى الدولية الكبرى المؤيدة للمشروع المغربي؛ وموقف الأمم المتحدة من خلال القرارات الأممية وتقارير الأمناء العامين.كانت ردود الفعل الدولية بصدد المبادرة المغربية لنظام الحكم الذاتي لجهة الصحراء لتسوية هذا النزاع إيجابية، حيث لقيت تأييدا واضحا من قبل الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا..

الموقف الأمريكي:

أكدت الولايات المتحدة الأمريكية تأييدها ودعمها لمشروع الحكم الذاتي، حيث أعلنت مندوبتها السابقة لدى الأمم المتحدة "جاكي ساندوز" أن بلادها تدعم المشروع المغربي لمنح الصحراء "الغربية" حكما ذاتيا موسعا، كما أشادت بالخطة المغربية وهي تقول:« نعتقد أن السبيل المباشر والواقعي للتقدم إلى الأمام فيما يخص قضية الصحراء الغربية هو منح حكم ذاتي حقيقي، ونثني على الجهود الجدية والموثوقة التي يبذلها المغرب لدفع العملية نحو الحل". كما عبر الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش نفسه ضمن برقية وجهها إلى الملك محمد السادس عن ارتياحه للجهود المبذولة لتسوية قضية الصحراء[38].

كما سبق لمساعد وزير الخارجية الأمريكي ديفيد ويلش الأسبق عند تقديمه لمداخلته في جلسة الاستماع التي عقدتها لجنة الشؤون الخارجية التابعة للكونغريس الأمريكي؛ بترحيب بلاده

[36] حميد السموني:« الشباب الصحراوي ينتفض مجددا ضد البوليساريو في تندوف"، جريدة المغربية العدد 7898 , الإثنين 13 يونيو 2011 .

[37] رياض فخري: "قضية الصحراء بين خيار الجهوية الموسعة والحكم الذاتي"؛ الجهوية الموسعة بالمغرب (أي نموذج مغربي على ضوء التجارب المقارنة)؛ جمع وتنسيق سعيد جعفري وكريم لحرش؛ سلسلة اللامركزية والإدارة المحلية العدد 6 ؛ الطبعة الأولى 2010ص 216 .

[38] عزيزة بدر: "الصحراء الغربية ومفاوضات 2007.. حجر في ماء البحيرة الراكد" مرجع سابق ص: 154.

بالمبادرة التي طرحها المغرب، والموسومة بالجدية والمصداقية لإيجاد حل لهذا النزاع، لأنها "خلقت جوا من النقاش وفرصة جديدة للطرفين ليتوصلا إلى اتفاق"[39]. علاوة على المندوب الأمريكي السابق الذي أكد بتاريخ 30 أبريل 2008 على:« أننا نتفق مع المبعوث الشخصي للأمين العام الأممي فان والسوم في تقييمه المتمثل في صعوبة قيام دولة صحراوية مستقلة لأنه ليس خيارا واقعيا لتسوية هذا النزاع؛ وأن الحل الوحيد الممكن عمليا هو الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية؛ ولذلك نرى أن ينصب التركيز في جولات المفاوضات المقبلة على تصميم نظام للحكم الذاتي مقبول من الطرفين ويتماشى مع طموحات سكان الصحراء الغربية"[40].

بالرغم من التصريحات الواردة أعلاه فالولايات المتحدة الأمريكية كانت في بداية الأمر تراقب النزاع عن بعد دون أن تقوم بإعطاء موقف واضح وصريح من هذا النزاع؛ لأن الواقع الدولي يفرض التحرك بخطوات محسوبة تخدم مصالح الدول؛ خصوصا وأن أمريكا لها مصالح اقتصادية بالجزائر وتحاول أن تحافظ على استمرار العلاقات التقليدية مع المغرب؛ باستعمال لغة دبلوماسية مرنة مع الطرفين[41]؛ وهو ما يبرز أنه:« ليست هناك صداقة دائمة ولا عداوة دائمة وإنما هناك مصالح دائمة"؛ بمعنى آخر أن لغة المصالح هي من يتحكم في حقل العلاقات ما بين الدول وباقي الفاعلين الآخرين.

يمكن تحليل الموقف الأمريكي عبر المقارنة بين بعض المؤسسات الأمريكية التي تساهم في صناعة القرار المرتبط بحقل السياسة الخارجية، كما هو الشأن بالنسبة للإدارة والكونغريس الأمريكيين، ففي هذا الأخير وموقفه من قضية الصحراء توجد ثلاث تيارات تيار مؤيد للمغرب وآخر مؤيد لجبهة البوليساريو وثالثهما محايد[42]، فالتيار الأول المؤيد للمغرب في قضية الصحراء يستند إلى بعض الحجج المتمثلة فيما يلي:

-العلاقات التاريخية بين البلدين؛

-مقاربة المغرب المرتبطة بمكافحة الإرهاب؛

- التطور الديمقراطي داخل المغرب.

بينما التيار الآخر الذي يؤيد الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب؛ يبني حججه على حق تقرير المصير؛ وقضية حقوق الإنسان في الصحراء، ثم أخيرا تضاف إلى ذلك مواقف شبه محايدة تنظر إلى قضية الصحراء من زاوية البعد الإقليمي لهذا النزاع أكثر من معالجة

[39] نقلا عن إيمان حسين: "المقاربة المغربية لملف الصحراء في ظل المتغيرات الدولية"؛ رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة؛ جامعة محمد الخامس-كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية-أكدال-الرباط؛ السنة الجامعية 2009/2008؛ انظر مداخلة ديفيد ويلش في جلسة الاستماع أمام لجنة الشؤون الخارجية التابعة للكونغريس؛ مجلة الوطن العربي العدد 1581؛ بتاريخ 20 يونيو 2007 ص 36.

[40] محضر جلسة مجلس الأمن 5884 المننقدة بتاريخ 30 أبريل 2008؛ منشور على الموقع الإلكتروني لمنظمة الأمم المتحدة:www.un.org

[41] علال الأزهر: "محطات تاريخية في النزاع من استرجاع الصحراء إلى الحكم الذاتي"؛ مجلة آفاق؛ منشورات اتحاد كتاب المغرب؛ العدد 77-78/يناير 2010 ص 23.

[42] كريمة خورشا بنعثمان: " نزاع الصحراء في إطار الأمم المتحدة: حديث التاريخ .. ومغزل السياسة"، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، الطبعة الأولى فبراير 2015, ص 154.

القضية كصراع بين البوليساريو والمغرب[43]، أما الإدارة الأمريكية فمرت بمراحل متعددة نجد منها مرحلة الحياد المدعوم بخطاب الشرعية الدولية، بعدما اقترحت الولايات المتحدة الأمريكية توسيع صلاحيات المينورسو لتشمل حقوق الإنسان[44].

وبالرغم من تأييد المقترح المغربي في بداياته من قبل القوى الدولية الكبرى؛ فإن تذبذب مواقفهم في الآونة الأخيرة دفع الملك محمد السادس في خطابه[45] بمناسبة الذكرى 39 للمسيرة الخضراء إلى مواقف واضحة من القضية؛ حيث جاء في الخطاب:«إننا نعبر عن تقديرنا للأمين العام للأمم المتحدة، والقوى الدولية الكبرى، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى رأسها البيت الأبيض، لمساهمتها الإيجابية، في مختلف المراحل، لإيجاد حل لهذه القضية؛ وإذ نثمن دعمهم للجهود التي يبذلها المغرب، وللمسار التفاوضي، على أساس مبادرة الحكم الذاتي فإننا نطالب، اليوم بموقف واضح من هذا النزاع"[46].

يتضح جليا من هذه الفقرة أن الملك محمد السادس طلب في خطابه بشكل واضح من الأمم المتحدة والقوى الدولية الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، بإعطاء موقف واضح إزاء هذا النزاع؛ وبخاصة وأن المبادرة المغربية المتعلقة بمنح حكم ذاتي في جهة الصحراء رغم ما لقيته من ترحيب دولي واسع؛ إلا أن الجمعية العامة ومجلس الأمن لازالا يربطان أي حل تفاوضي لهذا النزاع بتمكين سكان هذه الأقاليم المعنية من ممارسة حقهم في تقرير مصيرهم[47].

رابعاً: قرارات مجلس الأمن وتقارير الأمناء العامين

أصدر مجلس الأمن قراره رقم 1754 الذي اتخذه في جلسته 5669 المنعقدة في 30 أبريل 2007, الذي رحب بالمقترح المغربي المقدم إلى الأمين العام في 11 أبريل 2007 واصفا إياه بأنه "اتسم بالجدية والمصداقية والرامي إلى المضي قدما بالعملية صوب التسوية".[48]

يدل هذا وبشهادة القوى الفاعلة في المنتظم الدولي ومختلف مكوناته، أن المبادرة المغربية التي تم طرحها بعد مسلسل من الإعداد الجدي، ومشاورات موسعة، محليا ووطنيا ودوليا بشكل ديمقراطي وتصور شمولي، لا ترمي الاقتصار على مصالحة كل أبناء الوطن من الصحراء فقط، لكن

[43] كريمة خورشا بنعثمان:« نزاع الصحراء في إطار الأمم المتحدة: حديث التاريخ .. ومغزل السياسة"، المرجع السابق، ص 154-155.

[44] نفس المصدر السابق ص 155.

[45] لاحظنا أنه قبيل خطاب المسيرة الخضراء لسنة 2014؛ بدأت الخطابات الملكية تتسم بالوضوح والجرأة في طرح مجموعة من القضايا والتعاطي معها سواء ما تعلق الأمر بهذا الخطاب أو بنص الخطاب الملكي الذي ألقاه السيد رئيس الحكومة عبد الإلاه بنكيران بمناسبة الدورة التاسعة والستين للجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة في نيويورك في موضوع التنمية البشرية المستدامة بتاريخ 25 سبتمبر 2014 بنيويورك؛ أو الخطاب الملكي الذي ألقي بمناسبة عيد العرش خلال سنة 2014؛ وقد بدأت هذه الجرأة والتعاطي بشكل واضح مع مجموعة من القضايا ابتداء من هذاالخطاب الأخير.

[46] نص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس بمناسبة الذكرى 39 للمسيرة الخضراء يوم 06 نوفمبر 2014؛ منشور على الموقع الإلكتروني لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون:-http://www.diplomatie.ma/arab/DiscoursRoyaux/tabid/1701/vw/1/ItemID/11354/language/en-US/Default.aspx

[47] عبد الوهاب معلمي: "مشروع الحكم الذاتي في الصحراء البعد الإقليمي والدولي"؛ مجلة آفاق؛ منشورات اتحاد كتاب المغرب؛ العدد 77-78/ يناير 2010 ص 14.

[48] انظر قرار مجلس الأمن رقم 1754 في جلسته المعقودة 5669 المنعقدة في 30 أبريل 2007 .(2007) S/RES/1754

تتجاوزه إلى بلورة منظور استراتيجي للمنطقة برمتها[49]؛ كما أن المفاوضات التي أقرها مجلس الأمن والتي مؤداها أن تكون دون شروط مسبقة وبحسن نية هو قرار حيادي بالرغم من الإشادة بالمبادرة المغربية[50].

إن تأكيد مجلس الأمن: "على الدخول في مفاوضات دون شروط مسبقة، وبحسن نية مع أخذ التطورات الحاصلة على مدى الشهور الأخيرة في الحسبان؛ من أجل التوصل إلى حل سياسي عادل ودائم ومقبول للطرفين؛ بما يكفل لشعب الصحراء الغربية تقرير مصيره"، يحيل على أن المبادرات السابقة بصدد القضية وبخاصة مخطط بيكر الثاني؛ لم تعد لها قيمة على مستوى تنفيذه على أرض الواقع. ومن ثمة فأنجع الحلول هو البحث عن حل سياسي لطي هذا الملف نهائيا[51]؛ فالمخطط الذي كان يحتوي في متنه على تقرير المصير بخصوص الاندماج أو الاستقلال عن المغرب عبر استفتاء ينظم بعد أربع سنوات من الحكم الذاتي تحت سلطة وسيادة المغرب[52].

أشار المبعوث الشخصي السابق للأمين العام للأمم المتحدة "فان والسوم" على أن المقترح المغربي أخذ حيزا كبيرا حينما تطرق القرار بتفصيل لمشروع الحكم الذاتي مقارنة مع مقترح جبهة البوليساريو، وهو ما يدل بشكل كبير على التأييد الذي حظي به المقترح المغربي.[53]

إن قرار مجلس الأمن رقم 1813 الذي أصدره في جلسته المعقودة 5884 في 30 أبريل 2008, كان مشابها على مستوى المضمون مع نظيره (قرار رقم 1754) غير أن اختلاف القرار 1813 عن سابقه يكمن في دعم المقترح المغربي من خلال تغيير عبارة "مع أخذ الجهود المبذولة منذ سنة 2006, والتطورات الحاصلة على مدار الشهور الأخيرة في الحسبان المتضمنة في القرار رقم 1783 (2007). إن عبارة "مع الأخذ بالجهود المبذولة منذ 2006 والتطورات اللاحقة"؛ تدل على ما اتفق عليه الأمين العام ومبعوثه الشخصي فان والسوم الذي عبر على أن استقلال الصحراء عن المغرب خيار غير مقبول وغير قابل للتطبيق[54].

إن القرار 1871 (سنة 2009)[55] سار على نفس مسار القرارات السابقة، كما هو الحال أيضا بالنسبة للقرار 1920 (سنة 2010) الذي أكد على أهمية المفاوضات لإحراز تقدم من أجل تحسين نوعية حياة "شعب" الصحراء الغربية من جميع جوانبها[56]، في سبيل إيجاد حل سياسي واقعي

---

[49] نظام الحكم الذاتي للجهات: المبادرة المغربية على ضوء التجارب الأجنبية لأنظمة الحكم الذاتي الجهوي منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية ، سلسلة نصوص ووثائق، عدد 191, 2008 ص 84.

[50] علال الأزهر: "محطات تاريخية في النزاع من استرجاع الصحراء إلى الحكم الذاتي"؛ مرجع سابق؛ ص 26.

[51] عمر بوزيان: "مبادرة التفاوض بشأن الحكم الذاتي في الصحراء بين القانون الدولي والواقع السياسي"؛ أشغال الندوة الدولية الثانية المنعقدة بالعيون 13 و 14 يونيو 2007؛ حول موضوع: "الحكم الذاتي للأقاليم الجنوبية السيادة الوطنية الخصوصيات المحلية والقانون الدولي"؛ مطبعة النجاح الجديدة؛ الدارالبيضاء؛ 2008؛ ص 71.

[52] حسن خطابي:« الشرعية الدولية بين مخطط التسوية الأممي ومشروع الحكم الذاتي"؛ أشغال الندوة الدولية الثانية المنعقدة بالعيون 13 و 14 يونيو 2007؛ حول موضوع:« الحكم الذاتي للأقاليم الجنوبية السيادة الوطنية الخصوصيات المحلية والقانون الدولي"؛مطبعة النجاح الجديدة؛ الدارالبيضاء؛ 2008؛ ص59.

[53] انظر تقرير الأمين العام للأمم المتحدة في 19 أكتوبر 2007 ص:5 S/2007/619

[54]- « le projet marocain d'autonomie : réalisme d'un plan réalisable » ; la lettre du sud marocain ; centre d'études internationales ; avril 2009. p.8.

[55] دنفور بوسيف:« الجهوية السياسية ورهان التنمية المحلية"، بحث لنيل دبلوم الماستر، جامعة القاضي عياض كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية ؛ السنة الجامعية 2010 -2009 ص: 12.

[56] انظر قرار مجلس الأمن في جلسته6305 المعقودة في 30 أبريل 2010 S/RES/1920/2010

وتوافقي يرضي الطرفين. ورحّب القرار 1979 لسنة 2011 باتفاق الطرفين على استكشاف نهج مبتكر للتفاوض ومواضيع مستقلة، كما أشاد بالتزام الطرفين بمواصلة إجراء محادثات مصغرة وغير رسمية؛ بل الأكثر من ذلك أكد على ضرورة تحليهما بالواقعية والرغبة في التسوية من أجل إحراز تقدم على مستوى المفاوضات[57].

سارت القرارات الأممية اللاحقة على نفس النهج[58]؛ من قبيل قرار مجلس الأمن رقم2044(سنة 2012)[59]؛ والقرار رقم 2099 (سنة 2013)[60] ثم القرار رقم 2152 (سنة 2014)[61]. يتبين من كل قرارات مجلس الأمن، وتقارير الأمناء العامين الأخيرة؛ أن المنظمة الأممية والمنتظم الدولي رغم تأكيدهما واتفاقهما على مصداقية وجدية الحكم الذاتي الذي تقدم به المغرب[62]؛ إلا أنها تحاول بشكل أو بآخر تبني سياسة الحياد.

أشار قرار مجلس الأمن2414 (2018) إلى مجموعة من المستجدات لها آثار مهمة على قضية الصحراء، حيث أكد مثنى هذا القرار على ضرورة احترام طرفي النزاع كل الالتزامات من خلال الامتناع عن القيام بكل الأعمال التي من شأنها زعزعة استقرار الوضع بل الأكثر من ذلك اعترف هذا القرار بالرد المتزن للمغرب بخصوص تحركات جبهة البوليساريو بالمنطقة العازلة في الكركارات وانسحابها الفوري منها، كما أن مجلس الأمن في قراره لم يرض عن نقل المهام الإدارية إلى بير الحلو والدعوة إلى امتناع جبهة البوليساريو عن كل الأعمال التي من شأنها تهدد وتزعزع الاستقرار[63] .

إضافة إلى ذلك سبق لقرارات مجلس ومنها هذا القرار(2414) أن أيدت المبادرات التي أقدم عليها المغرب من خلال الدور الهام الذي تقوم به لجنتان تابعتان للمجلس الوطني لحقوق الإنسان تعملان على التوالي في العيون والداخلة, فضلا عن التفاعل الإيجابي للمغرب والإجراءات المتعلقة بمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة. كما أشار قرار مجلس الأمن الأخير لسنة 2018 على أن المقيمين بمخيمات تيندوف يستمرون في المعاناة من خلال الاعتماد على المساعدات الإنسانية الخارجة، فضلا عن نقص هذا التمويل لهؤلاء المقيمين بالمخيمات.

حمل قرار مجلس الأمن مستجد مهم يتعلق الأمر بتمديد ولاية بعثة الأمم المتحدة للاستفتاء في الصحراء حتى 31 أكتوبر 2018 أي لمدة ستة أشهر ولم يعد تمديد ولاية البعثة لمدة سنة، فالإيجابي في تقليص مدة ولاية البعثة أن الاهتمام بقضية الصحراء سيتزايد سواء من قبل

[57] انظر قرار مجلس الأمن في جلسته6523 المعقودة في 27 أبريل 2011 S/RES/1979/2011

[58] اللهم التطرق في مضامين هذه القرارات الأممية لبعض القضايا المرتبطة بمجال حقوق الإنسان.

[59] القرار 2044(2012) الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 6758؛المعقودة في 24 أبريل 2012. (2012) S/RES/2044

[60] القرار 2099(2013) الذي تخذه مجلس الأمن في جلسته6951؛المعقودة في 25 أبريل 2013. (2013) S/RES/2099

[61] القرار 2152 (2014) الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 7162؛ المعقودة في 29 أبريل2014. (2014) S/RES/2152

[62] رشيد لبكر: "لماذا يحظى مشروع الحكم الذاتي بتأييد دولي"؛ مجلة مسالك موضوع العدد حول: "الجهوية بالمغرب المسار؛ الرهانات والآفاق"؛ عدد مزدوج 17-18/ 2011؛ ص 47.

[63] -القرار 2414(2018) الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 8246 المعقودة في 27 أبريل 2018. S/RES /2414(2018) Distr.: General 27 April 2018

الدبلوماسية الرسمية وغير الرسمية ولن يبقى موسميا حتى اقتراب صدور قرار مجلس الأمن وتقرير الأمين العام للأمم المتحدة في نهاية شهر أبريل من كل سنة.

إن الملاحظ من قرار مجلس الأمن الأخير رقم 2414 لسنة 2018 حول الصحراء هو محاولة زعزعة استقرار المنطقة من قبل جبهة البوليساريو، بعدما قامت مجموعة عسكرية صغيرة تابعة لها بالدخول للمنطقة العازلة لفترة قصيرة لإرسال رسالة لمراقبي البعثة مفادها أن الجبهة ستعترض سباق السيارات من المقرر أن تمر المركبات المشاركة فيه عبر المنطقة في اتجاه موريتانيا[64]، عكس المغرب الذي لم تسجل عليه أي نقطة في هذا الخصوص احتراما له للشرعية الدولية ولمبادئ التسوية السلمية للنزاعات.

عرفت قضية الصحراء منعطفا مهما بعد ما اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية بالسيادة المغربية على أقاليمه الجنوبية وهو ما ستترتب عنه اعترافات أخرى خصوصا وأن المغرب لجأ لاستراتيجية فتح قنصليات في مدينتي العيون والداخلة لتأكيد سيادته على هذه الأقاليم.

خامساً: مستجدات الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء

أصدر الرئيس الأمريكي السابق ترامب بعد تواصل بينه وبين الملك محمد السادس مرسوما رئاسيا يوم 10 ديسمبر 2020 بما له من قوة قانونية وسياسية وبما يسري من أثر فوري بعدما تم نشره في الجريدة الفيدرالية [65] والقاضي باعتراف الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة في تاريخها بسيادة المملكة المغربية الكاملة على كافة منطقة الصحراء المغربية، إذ يشكل هذا الاعتراف منعطفا مهما ومحطة كبرى ومفصلية في مسار هذه القضية[66] التي عمرت طويلا. يمكن الإقرار بأنه اعتراف منطقي على اعتبار أن المغرب اتسم بحسن النية في مختلف مراحل وأطوار هذا النزاع بغية طيه، فقد قدّ تقديمه للعديد من المقترحات إلى أن وصل إلى مشروعه الأخير المتعلق بالحكم الذاتي الذي اعتبره أقصى ما يمكن تقديمه.

بعد تقديم المغرب لمقترح الحكم الذاتي سنة 2007 أصدر مجلس الأمن قراره رقم 1754 الذي أقر فيه بجدية وواقعية المقترح المغربي، ومنه باقي القوى الدولية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا وغيرهما التي أيدت هذه المبادرة، خصوصا وأنها تضمنت في تفاصيلها استشارة استفتائية للسكان المعنيين طبقا لحق تقرير المصير ولأحكام ميثاق الأمم المتحدة، لذلك فقرار ترامب الذي صرّح فيه بالسيادة المغربية الكاملة على صحرائه يمكن اعتباره قرارا تاريخيا نتيجة لمجموعة من العوامل والأسباب التالية:

[64] تقرير الأمين العام عن الحالة فيما يتعلق بالصحراء الغربية، مجلس الأمن، الأمم المتحدة سنة 8201, ص 1. S /2018/277 Distr. : General 29 March 2018

[65] انظر الرابط الخاص بالسجل الفيدرالي الخاص بقضية الصحراء منشور بتاريخ 15 ديسمبر 2020:
https://www.federalregister.gov/documents/2020/12/15/2020-27738/recognizing-the-sovereignty-of-the-kingdom-of-morocco-over-the-western-sahara

[66] الجلسة الشهرية المتعلقة بالسياسة العامة (الفصل 100 من الدستور) مجلس النواب، جواب رئيس الحكومة سعد الدين العثماني حول السؤال المحوري:« الحصيلة الدبلوماسية للملكة في ملف القضية الوطنية وآفاق حسم نزاع الصحراء المغربية، الإثنين 13 جمادى الأولى 1442 (28 ديسمبر 2020)، ص 4.

- العلاقات التاريخية بين المغربية الأمريكية على اعتبار أن المغرب أول بلد يعترف بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1777، ويمكن اعتبار هذا الاعتراف كدين أو رد للجميل قامت به أمريكا للمغرب؛

- العلاقات المتنوعة بين البلدين سواء تعلق الأمر باتفاق التبادل الحر الذي وقع سنة 2004 رغم عدم تكافؤ الطرفين، التعاون العسكري والأمني من خلال الشراكة على مستوى مكافحة الإرهاب وكذا القيام ببعض المناورات العسكرية المشتركة؛

- الخطاب الملكي بمناسبة الذكرى 39 للمسيرة الخضراء الذي انتقد فيه غموض الموقف الأمريكي المتعلق بقضية الوحدة الترابية؛

- الدور الإقليمي للمغرب وحضوره الإفريقي على مستوى عمليات حفظ السلام أو على مستوى تدخله في الأزمة الليبية بحيث تم التوصل إلى اتفاق الصخيرات الذي يعد مرجعا أساسيا لحل هذه الأزمة؛

- خرق اتفاق وقف إطلاق النار من قبل جبهة البوليساريو خصوصا وأنه خلال شهر ديسمبر 2020 تمت داخل الاتحاد الأوروبي استقالة رئيس أحد المجموعات الداعمة لجبهة البوليساريو.

إن دلالات الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء مرتبطة بتوثيق هذا الاعتراف في السجل الفيدرالي وهذا له دلالة قانونية كبيرة باعتباره يشكل الجريدة الرسمية داخل هذا البلد القوي اقتصاديا وعسكريا..، كما لا ننسى أيضا أن أمريكا كقائدة للعالم وزعيمة له في المجتمع الدولي إذ باعترافها هذا سيخدم الموقف المغربي الذي يرتكز على مبادرة الحكم الذاتي كأساس وحيد للتفاوض والقابل لإدراج العديد من الأمور ما عدا ما يندرج ضمن السيادة كالعملة، الدفاع الوطني، السياسة الخارجية.. قصد تنزيله بالأقاليم الجنوبية المغربية.

إن الاعتراف الأمريكي بمغربية الصحراء سيدفع الدول الحليفة لهذا البلد القوي نحو هذا الاعتراف على اعتبار أنها من القوى الدولية الكبرى التي تدعم العديد من البلدان في مجالات عدة عبر استخدامها لقوتها الناعمة في تعاملها مع مختلف الدول وتقديمها لمساعدات تقنية أو مالية.. مما سيدفع هذه الدول المستفيدة من تأييد مواقف أمريكا، فضلا عن انخراطها المالي ومساهمتها السنوية الكبيرة في منظمة الأمم المتحدة الأمر الذي يبرز التأثير الذي تقوم به داخل أروقة هذه المنظمة العالمية، علاوة على عضويتها الدائمة في مجلس الأمن..، وبفعل المؤشرات السابقة التي تبرز قوة الولايات المتحدة الأمريكية طالبت هذه الأخيرة بتسجيل وثيقة الاعتراف الأمريكي في أروقة منظمة الأمم المتحدة تأكيدا لاعترافها بالسيادة المغربية وفعلا تم نشر هذه الوثيقة المهمة في أروقة هذه المنظمة الأممية.

إن أبعاد الاعتراف الأمريكي مرتبطة بالاقتناع بالموقف المغربي وأدلته التاريخية والواقعية المقدَّمة لإنهاء هذا النزاع المفتعل خصوصا وأن جبهة البوليساريو ما فتئت تقدم طرحا متجاوزا

ومتقادما، وأن الطرح المغربي أكثر واقعية وجدية لحل هذا النزاع على اعتبار أن الحكم الذاتي يتضمن في تفاصيله الاستفتاء ومن ثمة حق تقرير المصير، كما أنه يمكّن من إدراج مجموعة من النقط ما عدا الأمور المتصلة بالحفاظ على السيادة المغربية من جهة، ثم من جهة أخرى ثمنت قرارات مجلس الأمن المبادرة المغربية الخاصة بالحكم الذاتي وتعاطفت العديد من الدول مع هذا المقترح قبل وبعد المؤتمر الوزاري المنعقد عن بعد لدعم المبادرة المغربية تحت السيادة المغربية بتاريخ 15 يناير 2021 والذي شاركت فيه 40 دولة [67].

إن اللقاء الذي جمع وزير الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج ناصر بوريطة بالسفير الأمريكي السابق بالرباط دفيد فيشر بتاريخ 10 يناير 2021 من أجل إحداث قنصلية أمريكية في مدينة الداخلة، هذا اللقاء الذي تمت فيه زيارة بعض المقرات التي سيمارس فيها الموظفون القنصليون مهامهم قريبا، وكذلك تم مناقشة بعض النقط المهمة كاتفاق التبادل الحر بين الولايات المتحدة الأمريكية والمغرب والذي سيتم تكييفه مع الاعتراف الأمريكي قصد تسويق مُنتجات الأقاليم الجنوبية المغربية في الولايات المتحدة الأمريكية من جهة، ومن جهة أخرى ينبغي إبداء ملاحظة مهمة مرتبطة بتعيين ديفيد كرين قائما بالأعمال بعدما كان دفيد فيشر سفيرا بالمغرب بمعنى آخر أن صفة القائم بالأعمال أقل درجة من سفير وبذلك فهذا التعيين الجديد للقائم بالأعمال يفرض طرح تساؤل مهم يتعلق الأمر بما هو السبب في النزول من مرتبة ودرجة سفير إلى قائم بالأعمال؟ رغم تأكيد الرئيس الأمريكي الحالي بايدن قرار الاعتراف بالسيادة المغربية على أقاليمه الجنوبية واعتباره قرارا تذوب فيه الخلافات بين الديمقراطيين والجمهوريين.

[67] "المؤتمر الوزاري لدعم مبادرة الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية: خلاصات الرئاسة"، منشور بتاريخ 15 يناير 2021 على الموقع الإلكتروني لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإفريقي والمغاربة المقيمين بالخارج: /sptth//:www.eitamolpid.ra/am

خاتمة:

عرفت قضية الصحراء تطورات مهمة قدم فيها المغرب تنازلات وبدائل متعددة لحل هذا النزاع، إلا أن جبهة البوليساريو استقرت على أطروحة وحيدة - منذ افتعالها هذا النزاع- لم تعد تواكب التطورات الحاصلة في مجرى الحياة الدولية.

لقيت المبادرة المغربية للحكم الذاتي ترحيبا دوليا مهما بعدما قدم المغرب مبادرات سابقة لينتهي عند مقترح الحكم الذاتي كأساس للتفاوض، حيث اعتبر المغرب هذا المقترح أقصى ما يمكن تقديمه لأن جبهة البوليساريو لم تقدم بديلا عن موقفها الذي لم تغيره منذ بداية النزاع وهو موقف أكل عليه الدهر وشرب ولم يعد يساير التطورات والتحولات الدولية، وفي هذا الصدد سبق للمبعوث الشخصي السابق للأمين العام للأمم المتحدة للصحراء بيتر فان والسوم بعد طرح مشروع الحكم الذاتي أن عبر عن عدم واقعية طرح جبهة البوليساريو.

إن المسؤولية ملقاة على عاتق الدبلوماسية الرسمية وغير الرسمية في الترويج لمقترح الحكم الذاتي بغية جعله أساسا للتفاوض بين أطراف النزاع، خصوصا وأن هذا المقترح ليس نهائيا بل يمكن إدراج ما يمكن إدراجه في حال قبوله كأساس للتفاوض لحل هذا النزاع الذي عمر طويلا وكانت تكلفته كبيرة على المنطقة، وكذا الترويج للاعتراف الأمريكي بالسيادة المغربية على أقاليمه الجنوبية لتحقيق مزيد من التأييد للمبادرة المغربية من قبل دول أخرى بهدف تنزيلها في هذه الأقاليم.

قائمة المراجع:

الكتب:

- ماجدة كريمي:« الحكم الذاتي بأقاليمنا الصحراوية: المرتكزات التاريخية "؛ مطبعة فاس بريس 2010.
- علي طعمه؛" الصحراء مغربية حقيقة التاريخ.. وتاريخ الحقيقة"؛ منشورات الهيثم للصحافة والطباعة والنشر؛ بيروت لبنان يناير 2005.

سها عيد رجب: "نزاعات الحدود في العالم العربي من نهايات القرن العشرين إلى بدايات القرن الواحد والعشرين"؛ مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات-مصر، الطبعة الأولى 2009.

- خالد شيات: "الصحراء المغربية مسارات الحل الشامل"؛ دار النشر الجسور-وجدة؛ الطبعة الأولى 2007.
- عبد الحميد العوني:« أسرار مانهاست بين البوليساريو والمغرب، منشورات عربية العدد 22, 2007.

- عبد الفضيل أكنيديل:«الحكم الذاتي المبادرة المغربية بشأن الصحراء كتعبير عن تقرير المصير " ؛ مطبعة الرسالة الرباطالمغرب، الطبعة الأولى 2011.

- كريمة خورشا بنعثمان: " نزاع الصحراء في إطار الأمم المتحدة: حديث التاريخ .. ومغزل السياسة"، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، الطبعة الأولى فبراير 2015.

- عمر بوزيان: "مبادرة التفاوض بشأن الحكم الذاتي في الصحراء بين القانون الدولي والواقع السياسي"؛ أشغال الندوة الدولية الثانية المنعقدة بالعيون 13 و 14 يونيو 2007؛ حول موضوع: "الحكم الذاتي للأقاليم الجنوبية السيادة الوطنية الخصوصيات المحلية والقانون الدولي"؛ مطبعة النجاح الجديدة؛ الدارالبيضاء؛2008.

المقالات والدراسات:

بالعربية

- أحمد السيد أحمد:« مشكلة الصحراء الغربية في انتظار التنازلات"؛ مجلة السياسة الدولية العدد 150-المجلد 37؛ أكتوبر 2002.

- أحمد بودراع:« ملف الصحراء المغربية في الأمم المتحدة: السيرورة والمآل"؛ مجلة وجهة نظر العدد 28 ربيع 2006.

- محمد بوبوش:«الحكم الذاتي ومشكل الأقليات"؛ مجلة الدولية؛ المطبعة والوراقة الوطنية؛ مراكش- المغرب، العدد 2 /2006.

- إدريس لكريني:«السياسة الخارجية المغربية وقضية الصحراء.. من التدبير الأحادي إلى الانفتاح المحسوب"؛ مجلة نوافذ العدد 43 -44.

- محمد توفيق القباج:« مختصر حول قضية الصحراء المغربية في بعدها التاريخي"، التواصل دورية ثقافية اجتماعية إخبارية، النادي الدبلوماسي المغربي، العدد 7 يوليو 2007.

- علال الأزهر:« محطات تاريخية في النزاع من استرجاع الصحراء إلى الحكم الذاتي"، مجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب، نداكوم - الرباط، العدد 77-78, يناير 2010.

- إدريس لكريني:«الأبعاد الإنسانية والديقراطية لمشروع الحكم الذاتي في الصحراء"، مجلة المنبر القانوني، المغرب، العدد الأول، أكتوبر 2011.

- عثمان الزياني: "مشروع الحكم الذاتي خطوة نحو تأكيد مبادئ الإنصاف"؛ منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية؛ سلسلة مواضيع الساعة" الجهوية الموسعة ونظام الحكم الذاتي"؛ عدد خاص 2011/71.

- محمد العربي المساري:«10 ملاحظات حول مشروع الحكم الذاتي"؛ مجلة آفاق؛ منشورات اتحاد كتاب المغرب العدد 77-78/يناير 2010.

- رياض فخري: "قضية الصحراء بين خيار الجهوية الموسعة والحكم الذاتي"؛ الجهوية الموسعة بالمغرب (أي نموذج مغربي على ضوء التجارب المقارنة)؛ جمع وتنسيق سعيد جعفري وكريم لحرش؛ سلسلة اللامركزية والإدارة المحلية العدد 6؛ الطبعة الأولى 2010.

- عبد الوهاب معلمي: "مشروع الحكم الذاتي في الصحراء البعد الإقليمي والدولي"؛ مجلة آفاق؛ منشورات اتحاد كتاب المغرب؛ العدد 77-78/ يناير 2010.

- نظام الحكم الذاتي للجهات: المبادرة المغربية على ضوء التجارب الأجنبية لأنظمة الحكم الذاتي الجهوي منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، سلسلة نصوص ووثائق، عدد 191, 2008.

- حسن خطابي:« الشرعية الدولية بين مخطط التسوية الأممي ومشروع الحكم الذاتي"؛ أشغال الندوة الدولية الثانية المنعقدة بالعيون 13 و 14 يونيو 2007؛ حول موضوع:« الحكم الذاتي للأقاليم الجنوبية السيادة الوطنية الخصوصيات المحلية والقانون الدولي"؛ مطبعة النجاح الجديدة؛ الدارالبيضاء؛2008.

- رشيد لبكر: "لماذا يحظى مشروع الحكم الذاتي بتأييد دولي"؛ مجلة مسالك موضوع العدد حول: "الجهوية بالمغرب المسار؛ الرهانات والآفاق"؛ عدد مزدوج 17-18/ 2011.

بالفرنسية:

- « le projet marocain d'autonomie : réalisme d'un plan réalisable » ; la lettre du sud marocain ; centre d'études internationales ; avril 2009.

- Voir « vers une nouvelle guerre au Sahara », Maroc Hebdo ; N° 772 du 21 au 27 décembre 2007.

رسائل الماجستير:

- إدريس ديداح:«الجهوية ومشروع الحكم الذاتي بالمغرب"؛ رسالة لنيل شهادة الماستر؛ كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية-جامعة مولاي اسماعيل-مكناس؛ السنة الجامعية 2010/2009.

- صالحين إبراهيم بوكراع:« تطبيقات مبدأ حق تقرير المصير في ضوء المتغيرات الدولية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة محمد الخامس -أكدال- السنة الجامعية 1997.

- نقلا عن إيمان حسين: "المقاربة المغربية لملف الصحراء في ظل المتغيرات الدولية"؛ رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة؛ جامعة محمد الخامس-كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية-أكدال-الرباط؛ السنة الجامعية 2009/2008؛ انظر مداخلة ديفيد ويلش في جلسة الاستماع أمام لجنة الشؤون الخارجية التابعة للكونغريس؛ مجلة الوطن العربي العدد 1581؛ بتاريخ 20 يونيو 2007.

- دنفور بوسيف:« الجهوية السياسية ورهان التنمية المحلية"، بحث لنيل دبلوم الماستر، جامعة القاضي عياض كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية؛ السنة الجامعية 2010 -2009.

قرارات مجلس الأمن وتقارير الأمين العام للأمم المتحدة

- قرار مجلس الأمن رقم 1754 في جلسته المعقودة 5669 المنعقدة في 30 أبريل 2007 S/RES/1754 (2007).

- تقرير الأمين العام للأمم المتحدة في 19 أكتوبر 2007 S/2007/619

- انظر قرار مجلس الأمن في جلسته 6305 المعقودة في 30 أبريل 2010 S/RES/1920/2010

- انظر قرار مجلس الأمن في جلسته 6523 المعقودة في 27 أبريل 2011 S/RES/1979/2011

- القرار 2044(2012) الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 6758 المعقودة في 24 أبريل 2012.

- القرار 2099(2013) الذي تخذه مجلس الأمن في جلسته 6951؛ المعقودة في 25 أبريل 2013. (2013) S/RES/2099

- القرار 2152 (2014) الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 7162؛ المعقودة في 29 أبريل 2014. (2014) S/RES/2152

- القرار 2414(2018) الذي اتخذه مجلس الأمن في جلسته 8246 المعقودة في 27 أبريل 2018. (2018)2414/ S/RES

Distr.: General 27 April 2018

- تقرير الأمين العام عن الحالة فيما يتعلق بالصحراء الغربية، مجلس الأمن، الأمم المتحدة سنة 8201. 2018 Martch 29 : General Distr. /277 2018/ S

المواقع الإلكترونية

- https://www.diplomatie.ma/ar/
- https://www.federalregister.gov/documents/2020/12/15/2020-27738/recognizing-the-sovereignty-of-the-kingdom-of-morocco-over-the-western-sahara
- www.un.org

http://www.diplomatie.ma/arab/DiscoursRoyaux/tabid/1701/vw/1/ItemID/11354/language/en-US/Default.aspx

- http://www.corcas.com/Portals/4/Doc/autonomie.pdf

مواقف القوى العالمية الكبرى من الحراك الشعبي في الجزائر

د. عمر روابحي*

الملخص

كان الرئيس التونسي الباجي قايد السبسي أول طرف رسمي خارجي يعلق على التظاهرات الحاشدة التي اندلعت في الجزائر بتاريخ 22 فبراير 2019 احتجاجا على ترشح بوتفليقة لعهدة رئاسية خامسة, لتتوالى بعده تصريحات ومواقف الأطراف الدولية الأخرى حول الأحداث في الجزائر, ومن خلال عمل مسحي للأشهر الستة التي تلت اندلاع التظاهرات يمكن رصد كثافة عالية للتعليقات والمواقف والتصريحات الرسمية الفرنسية (10 تصريحات) مقارنة بالتصريحات الأمريكية (4 تصريحات)، الروسية (تصريحين)، الصينية (تصريح واحد)، المغربية (تصريح واحد)، السويسرية (تصريح واحد) الناتو (تصريح واحد)، الأمم المتحدة (تصريح واحد)، الاتحاد الأوروبي (تصريح واحد).

تحاول هذه الورقة البحثية الإحاطة بمواقف القوى العالمية الكبرى سواء كانت دولا (الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، المملكة المتحدة، روسيا، والصين) أو تكتلات دولية وإقليمية مؤثرة (الأمم المتحدة، الاتحاد الأوروبي، حلف الناتو) اتجاه الحراك الشعبي الذي انطلق في الجزائر في 22 فبراير 2019 ولا يزال مستمرا إلى غاية اليوم، وذلك عن طريق تحليل مضمون هذه المواقف ودراسة تأثرها وتأثيرها على العلاقات بين القوى المتصارعة داخل الجزائر، لاسيما فيما يتعلق بملف حقوق الإنسان.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، القوى الكبرى، الحراك الشعبي.

* أستاذ مشارك، حاصل على الدكتوراه في القانون العام بإشراف ثلاثي من جامعة وهران (الجزائر)، جامعة جيل فارن (فرنسا)، وجامعة إسطنبول (تركيا)، يعمل حالياً خبيراً لدراسات شمال أفريقيا في مركز أورسام لدراسات الشرق الأوسط بتركيا وأستاذاً محاضراً في كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة البويرة، الجزائر.

The Popular Movement (Hirak) in Algeria

Dr. Amar Rouabhi

Abstract

The Tunisian President Beji Caid Essebsi was the first official external party who comment on the massive demonstrations that erupted in Algeria on February 22, 2019 in protest against Bouteflika's candidacy for a fifth presidential term, then the statements and positions of other international parties on the events in Algeria follow, and through a survey work for the six months that followed the outbreak of the demonstrations, a high intensity of French official comments, positions and statements (10 statements) can be observed compared to the American statements (4 statements), Russian (two statements), and Chinese (one statement), Moroccan (one statementt), Swiss (one statement), NATO (one statement), United Nations (one statement), European Union (one statement).

This research paper attempts to capture the positions of the major world powers, whether they are Countries (USA, France, UK, Russia, and China) or influential international and regional blocs (the United Nations, the European Union, NATO, NGO's) towards the popular movement that began in Algeria on 22 February 2019 and continues to this day, by analyzing the content of these positions and studying their impact and impact on the relations between the conflicting forces inside Algeria, especially with regard to the human rights file.

Key words: Algeria, major powers, popular movement.

مقدمة:

يلعب الموقع الجغرافي لأي دولة دورا مهما في تقرير درجة ومدى التدخلات الخارجية المحتملة في أوضاعها الداخلية، من حيث تعطيل أو تشجيع المسار الديمقراطي وإصلاح المؤسسات، ومن حيث منع أو تشجيع الانهيار الشامل للدولة، وتخبرنا التجارب الدولية كيف سقطت الأنظمة العسكرية والشمولية في جنوب وشرق أوروبا ونجح مسار الديمقراطية والتنمية لأن كتلة الاتحاد الأوروبي وهي كتلة إقليمية قوية داعمة كانت من بين أسباب النجاح، يمكن أن تنطبق هذه القاعدة أيضا على تركيا، فبفضل مساعي الانضمام للاتحاد الأوروبي تحتم على تركيا القيام بالعديد من الإصلاحات المؤسسية في بنية النظام مثل مسار إصلاح المؤسسة العسكرية والأمنية والديمقراطية والشفافية ...إلخ، في حين فشلت تجارب تحقيق التنمية والديمقراطية في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا لغياب وجود كتلة إقليمية تؤمن بهذا المسار وتدعمه، بل وجود كتلة الاتحاد الأوروبي في شمال المتوسط وهي تعتبر المنطقة الجنوبية -من ناحية إستراتيجية- منطقة منافسة يعتبر نهوضها تهديدا مباشرا للشمال.

وتُؤكد لنا أدبيات الجغرافيا السياسية المعاصرة صحة القاعدة أعلاه، فمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تقع فيما يطلق عليه الخبراء بمنطقة الارتطام (Crash zone) بين قوى البحر وقوى البر، وهذا ما يفسر صعوبة الانتقال الديمقراطي في المنطقة وخضوعه لموازين القوى الدولية، غير أن القواعد التي تحكم دول المنطقة ليست واحدة رغم خضوعها جميعا لفيتو التنمية والديمقراطية، فدول المنطقة التي تقع في الأطراف بعيدا عن روسيا، الصين وأوروبا الغربية يمكن أن تتعرض للانهيار الشامل دون أن تكون هناك تدخلات لكبح ذلك، بل إن بعض الأطراف الخارجية تشجع هذا الانهيار، في حين أن خصوصية المنطقة المغاربية كونها قريبة من السواحل الأوروبية ومعبرا مهما لمهاجري الساحل وجنوب الصحراء يجعلها محصنة من الانهيار الشامل.

تقع الجزائر في قلب المنطقة المغاربية وتتربع على مساحة تقدر بـ 2.381.741 كم2, وتمتلك شريطا ساحليا على البحر المتوسط يتجاوز طوله 1600 كم, ويقارب عدد سكانها الـ 45 مليون نسمة[1]، وهذا الرقم معطى جيوسياسي مهم يعطي للجزائر حصانة ضد الانهيار التام للأوضاع السياسية والأمنية على وجه الخصوص، وذلك بسبب قرب السواحل الجزائرية من سواحل جنوب أوروبا لاسيما اسبانيا وإيطاليا، مما يجعلها معبرا مهما للمهاجرين غير الشرعيين من الجزائريين والقادمين من الدول الأفريقية الأخرى، فضلا عن أنه يوجد حوالي 800.000 من الجزائريين الحاملين للجنسية الفرنسية والمقيمين حاليا بالجزائر[2]، وقد كان لافتا تصريح السياسي اليساري الفرنسي جون لوك ميلونشون (Jean-Luc Mélenchon) مع انطلاق الحراك الشعبي في الجزائر، عندما حذر فرنسا الرسمية من التدخل لخلط الأوضاع في الجزائر لأن ذلك يعني انتقال نصف هذا

[1] L'office national des statistiques ONS, Démographie Algériennes Doc N° 890/bis, valable sur : (https://www.ons.dz/IMG/pdf/demographie2019_bis.pdf), site visité le 10/08/2021.

[2] Imene A, « Mouvement populaire en Algérie: La diaspora algérienne en France toujours solidaire », Algérie Eco, le 24 mars 2019, valable sur : (https://cutt.ly/NQIwWAb), site visité le 10/08/2021.

العدد الكبير من حاملي جنسيتها فورا إلى فرنسا وإحداث هزات اقتصادية مكلفة في الاقتصاد الفرنسي المتعب أصلا.

وتستعرض هذه الورقة تفاعل القوى الدولية الكبرى مع الحراك الشعبي الذي انطلق في الجزائر في فبراير 2019، من حيث عدد التصريحات ونوعيتها، ولا تقتصر الورقة على مواقف الدول فحسب (المبحث الأول)، بل تتعداها إلى استعراض مواقف المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية (المبحث الثاني)، ولا بأس من الناحية المنهجية قبل الولوج للموضوع من استعراض أبرز الأحداث السياسية التي مرت بها الجزائر عقب انطلاق الحراك الشعبي.

يعتبر متابعون للشأن الجزائري أن التظاهرات العارمة التي انطلقت ابتداء من 22 فبراير 2019 في أغلب المدن الجزائرية, بمثابة أعظم حدث بعد استقلال الجزائر, وقد كان الاعتراض على ذهاب بوتفليقة لعهدة رئاسية خامسة هو الشرارة التي أشعلت فتيل التظاهرات ولم توقفها بعد ذلك استقالته يوم 15 مارس 2019، بيد أن المتابعات القضائية غير المسبوقة التي أطلقتها القيادة العسكرية ضد قيادات عسكرية وأمنية ومدنية عليا من أنصار بوتفليقة من جهة، ورجال ما يعرف بالدولة العميقة من جهة أخرى، أدت إلى انقسام الشارع بين مؤيد لهذا المسار - تراخى عن النزول للشارع-، ومستمر في التظاهر يتمسك بشعار "دولة مدنية وليست عسكرية"، استطاع هذا القسم من الشارع تأجيل الانتخابات الرئاسية مرتين متتاليتين، ولكن في النهاية تمكنت القيادة العسكرية من فرض المسار الدستوري والتمسك به كحل للأزمة، وأفضى ذلك إلى انتخابات ديسمبر 2019 التي جاءت بعبد المجيد تبون رئيسا للجمهورية بنسبة مشاركة انتخابية بلغت 39.8%.

وتعتبر الأحداث السياسية التي تلت الانتخابات الرئاسية في ديسمبر 2019 استمرارا واستكمالاً لخارطة طريق السلطة, حيث تم تعديل الدستور في نوفمبر 2020 دون أن تكون هناك تغييرات جوهرية تعبر عن تطلعات الملايين الذين خرجوا إلى الشارع, وهذا ما يفسر تراجع نسبة المشاركة الانتخابية إلى 23.72%, لتعقب ذلك الانتخابات التشريعية (البرلمانية) في حزيران 2021 والتي واصلت نسبة المشاركة فيها في الانخفاض لتبلغ 23.03%, وذلك حسب الأرقام المعلنة رسميا من طرف السلطة الوطنية المستقلة للانتخابات, هذه الأرقام التي تشكك فيها المعارضة وتدعي أن نسب المشاركة لم تتعد الـ 10%.

تمثل الفترة الممتدة من انطلاق الحراك الشعبي في فبراير 2019 إلى غاية إجراء الانتخابات الرئاسية في ديسمبر 2019 الإطار الزمني الأمثل لدراسة مواقف القوى العالمية الكبرى من الأحداث في الجزائر, ذلك أنها كانت فترة اضطرابات كبرى وعدم يقين من مآلات الأوضاع, وبالفعل, فقد كانت هذه الفترة تحديدا هي الأكثر كثافة من حيث البيانات والتصريحات الخارجية حول الأوضاع في الجزائر, وما تلاها من فترات شهدت تراجعا كبيرا في التعليق على الأحداث بسبب تحكم النظام السياسي الجزائري من جديد في الوضع بعد الهزات التي عرفها, وقد ساهم الانتشار العالمي لوباء كوفيد 19 ابتداء من مارس 2020 في انكفاء الشارع الجزائري وانحسار دوره وتأثيره السياسي.

المبحث الأول- مواقف الدول الكبرى من الحراك الشعبي في الجزائر:

نقصد بالدول الكبرى تلك التي تتمتع بالعضوية الدائمة في مجلس الأمن الدولي وهي: الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، فرنسا، الاتحاد الروسي والصين، وهذا باستحضار معيار القوة السياسية، ونضيف إليها كلا من ألمانيا، اسبانيا وإيطاليا باستحضار معايير القوة السياسية والاقتصادية في الاتحاد الأوروبي وكذلك القرب الجغرافي من الجزائر، بالإضافة إلى استعراض موقف سويسرا كجهة إيداع مالي كبير للمسؤولين ورجال الأعمال الجزائريين، ولا يفوتنا في هذا المبحث كذلك أن نستعرض مواقف دول الجوار تونس والمغرب.

عندما نجري مقارنات بين الدول العربية التي شهدت وتشهد اضطرابات سياسية واجتماعية وأمنية كبيرة، من حيث مستويات تفاعل القوى الدولية مع الأحداث فيها، نجد أن الجزائر تأتي في ذيل القائمة، وذلك راجع لعدة أسباب لعل من أهمها التغطية السياسية الفرنسية الروسية وبدرجة أقل الصينية، وكذلك توزيع صفقات الريع (استخراج الثروات) على مختلف القوى الدولية بما في ذلك المملكة المتحدة والولايات المتحدة، وتبدي السلطات في الجزائر حساسية كبيرة من تصاعد الانتقادات للأوضاع الداخلية لاسيما فيما يتعلق بوضعية حقوق الإنسان الصادرة من طرف الدول أو المنظمات الدولية على حد سواء.

من ناحية كمية يشير الجدول رقم 1 أدناه إلى عدد التعليقات الرسمية التي صدرت من طرف مختلف الدول حول الأحداث في الجزائر في الفترة الممتدة بين انطلاق الحراك الشعبي في فبراير 2019 وإجراء الانتخابات الرئاسية في ديسمبر من نفس العام.

الدول	فرنسا	الولايات المتحدة	روسيا وتونس	الصين، المغرب وسويسرا
عدد التعليقات	9	4	2	1

(الجدول رقم 1[3])

كانت حصة الأسد من التعليقات الرسمية على الأوضاع في الجزائر من نصيب فرنسا تليها الولايات المتحدة وهذا يعكس تراتبية صحيحة في درجة التأثير والاهتمام بالشأن الجزائري، غير أن أول تعليق رسمي على المظاهرات في الجزائر صدر من الرئيس التونسي الباجي قايد السبسي بتاريخ 25 فبراير 2019، ثلاثة أيام بعد انطلاق الاحتجاجات، وذلك خلال مؤتمر صحفي بمقر الأمم المتحدة بجنيف، حيث ذكر أنه: "ليس من حقه إعطاء دروس لأي دولة"، متابعا أن: "الجزائر دولة شقيقة حرة افتكت استقلالها بعد 130 عاما من الاستعمار، وهي بلد فيه حرية التعبير وفق حوكمة وخصوصية سياسة هذا البلد"[4]، وقد تغيرت المصطلحات المستخدمة من طرف الرئيس التونسي بعد ذلك من التركيز والإشادة بالدولة الجزائرية إلى الإشادة بالشعب الجزائري، بعد استقالة

[3] الجدول من تصميم صاحب البحث.

[4] إيمان عويمر، "الجزائر- السبسي يعلق على الاحتجاجات الرافضة لترشح بوتفليقة لعهدة خامسة"، كل شيء عن الجزائر بالعربية، 2019/2/25, شوهد في 2021/05/10 على: http://bit.ly/2XMDJYk

بوتفليقة في 15 مارس 2019, حيث عبر الرئيس التونسي عن قناعته أن الشعب الجزائري قادر على بناء مستقبله, وذلك أثناء استقباله لوزير الشؤون الخارجية الجزائري رمطان لعمامرة في 29 مارس 2019[5].

كانت فرنسا أول قوة دولية تعلق على الأحداث في الجزائر، وذلك بعد خمسة أيام من انطلاقها، وقد عبر أول تصريح رسمي للمتحدث باسم الحكومة الفرنسية بنيامين غريفو عن دعم بلاده لانتخابات 18 أبريل[6] التي خرج الشعب احتجاجا عليها لأنها تمثل عبور بوتفليقة لعهدة خامسة، وقد كان واضحا أن الموقف الفرنسي منسجم مع قناعاته قبل انطلاق الحراك الشعبي وملتزم بدعم وإسناد بوتفليقة إلى غاية تغير موازين القوة بعد ذلك، والدلالة على ذلك هو صدور تصريح رسمي ثان 15 يوما قبل موعد الانتخابات الرئاسية يتمنى فيه المتحدث باسم الحكومة الفرنسية مرور الانتخابات الرئاسية الجزائرية في ظروف جيدة، ومشيرا أن بلده قد أحيط علما بترشيح الرئيس عبد العزيز بوتفليقة[7].

استغرق الأمر من فرنسا الرسمية حوالي أسبوعين حتى تعبر صراحة عن اعترافها بالمظاهرات الشعبية العارمة المنددة بترشح بوتفليقة لعهدة رئاسية خامسة، حيث أعرب وزير الدولة للشؤون الخارجية الفرنسية جان باتيست لويموين بأنه مهتم كثيرا بالمسيرات المناهضة للعهدة الخامسة للرئيس بوتفليقة، وفسر عدم تدخل الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بأنه رفض للتدخل في الشؤون الجزائرية خوفا من إخراج هواجس الماضي الاستعماري الدامية من سباتها، وأعربت فرنسا أن هذا السكوت السياسي لا يعني إطلاقا عدم الاكتراث بما يجري في الجزائر أو التقليل من أهمية سيرورة الأحداث هناك[8].

لم يدم صمت الرئيس الفرنسي طويلا، وسرعان ما عبر معلقا على حسابه في التويتر بتاريخ 12 مارس 2019 عن احتفائه بالشباب الجزائري الذي عبر عن أمله في التغيير بكرامة, وقد عبر الرئيس الفرنسي عن تأييده لقرار بوتفليقة بالعدول عن الترشح وتأجيل الانتخابات الرئاسية بتاريخ 11 مارس 2019، ووصف ماكرون القرار بأنه يفتح صفحة جديدة للديمقراطية الجزائرية[9]، وفي نفس اليوم أعاد على تأكيد هذا الموقف بالصوت والصورة خلال زيارته إلى جيبوتي، مضيفا إلى ذلك الدعوة إلى مرحلة انتقالية بمهلة محدودة[10].

وباستقراء المواقف الرسمية الفرنسية من الحراك الشعبي في الجزائر يتضح أن وتيرة التدخل السياسي ارتفعت بشكل متدرج ومضطرد، وما وُصف في البداية على أنه سكوت سياسي تحول فيما

[5] جريدة الخبر، "الرئيس التونسي يستقبل لعمامرة"، 2019/3/29, شوهد في 2021/7/09 على الرابط: http://bit.ly/2GtSlG7

[6] فرانس 24، " فرنسا تعرب عن أملها في أن تلبي الانتخابات الرئاسية في الجزائر التطلعات العميقة للشعب"، 2019/2/27, شوهد في 2021/6/03 على الرابط http://bit.ly/2JEImyP

[7] APS, « La France souhaite que la présidentielle en Algérie se déroule dans de bonnes conditions », 04/3/2019, accessed on 04/6/2021 at : http://bit.ly/2NPwOOf

[8] الشروق، "مظاهرات الجزائريين تخطف اهتمام الدول الكبرى"، 2019/03/05, شوهد في 2021/05/10 على: http://bit.ly/2JL7HqP

[9] Emmanuel Macron, Twitter, 12/03/2019, accessed on 15/06/2021 at : http://bit.ly/2YRcEVl

[10] يوتيوب، " ماكرون يحيي قرار بوتفليقة ويدعو الى مرحلة انتقالية بمهلة معقولة"، 2019/03/12, شوهد في 2021/06/17 على: http://bit.ly/2xOdt5w

بعد إلى تدخل مباشر عندما صرح الرئيس الفرنسي بأن بلاده ستعمل على " مرافقة مسار الانتقال الديمقراطي في الجزائر، بالتعاون مع الذين يحكمون البلد" جاء هذا التصريح كرد على المؤرخ بنيامين ستورا، خلال نقاش مع نخبة من المفكرين والعلماء في فرنسا[11]، وبعد تصاعد رفض الشارع الجزائري لخارطة الطريق التي اقترحها بوتفليقة، عاد الموقف الرسمي الفرنسي للتماهي مع ذلك، وصرح وزير الخارجية الفرنسية جان إيف لودريان بتاريخ 2019/03/29 عقب اجتماعات الأمم المتحدة بنيويورك أنه يثق بأن الشعب الجزائري سيحل هذه الأزمة، كما دعا -صراحة- رئيس أركان الجيش الجزائري إلى تفعيل الإجراء الدستوري لتنحية الرئيس الحالي، والذهاب إلى مرحلة انتقالية[12].

في الأول من أبريل 2019 صدر بيان عن الرئاسة الجمهورية يفيد بأن بوتفليقة لن يكمل ولايته الرئاسية وسيستقيل قبل إتمامها المقرر في 28 أبريل من نفس العام[13]، وبالفعل ظهر بوتفليقة بالصوت والصورة يوم 3 أبريل مقدما استقالته بشكل رسمي، لتنطلق احتفالات كبيرة في كل ربوع البلاد، وبعد هذا الحدث بدأت الدبلوماسية العلنية الفرنسية في التراجع والتركيز أكثر على الدبلوماسية السرية التي تمتلك فرنسا خيوطها داخل الجزائر، واتضح ذلك جليا من خلال بيانات السفارة الفرنسية في الجزائر التي كانت تصرح بأن فرنسا لا تتدخل في الشؤون الداخلية للجزائر[14]، ورغم عدم وجود إثباتات وقرائن دامغة على العداء لفرنسا من طرف جناح القايد صالح الذي استلم دفة إدارة البلاد خلال تلك الفترة، إلا أن اعتقال وهروب المئات من المدنيين والعسكريين من المحسوبين على الكارتل الفرنسي في الجزائر كان مؤشرا يعطي تفسيرا على خفوت صوت الدبلوماسية العلنية الفرنسية.

وفي النهاية أفلحت الدبلوماسية السرية الفرنسية في إعادة التحكم واحتواء المشهد الجزائري، خصوصا بعد الرحيل المريب -الوفاة المفاجئة- لقائد أركان الجيش في ديسمبر 2019، والإفراج عن قائد المخابرات السابق وإيقاف المتابعات عن العشرات من العسكريين المحسوبين عليه، وعودة الجنرال المتقاعد خالد نزار إلى الجزائر على متن طائرة رئاسية بعدما كان هاربا من العدالة في إسبانيا.

كانت الولايات المتحدة هي ثاني قوة دولية تعلق على الأحداث في الجزائر بعد فرنسا، حيث صرح المتحدث باسم الخارجية الأمريكية روبرت بالادينو بتاريخ 2019/03/05 أن الولايات المتحدة تدعم الشعب الجزائري وحقه في التظاهر السلمي، دون التطرق لا لدوافع الاحتجاجات ولا لترشح الرئيس بوتفليقة المنتهية ولايته لعهدة خامسة[15]، وقد كان لافتا آنذاك اختلاف الموقف الأمريكي عن الموقف الفرنسي الذي تجاهل الإشارة والإشادة بالشعب الجزائري، ولكن سرعان ما تطابق

[11] الخبر، "ماكرون: نحن نرافق النظام في تنظيم عملية الانتقال"، 2019/03/19, شوهد في 2021/06/18 على: http://bit.ly/30BLIti

[12] الخبر، "لودريان: المرحلة الانتقالية في الجزائر باتت ضرورية"، 2019/03/29, شوهد في 2021/06/19 على: http://bit.ly/2SGMp1E

[13] الجزيرة نت، "نهاية مسار .. بوتفليقة يقرر الاستقالة بعد 20 عاما في السلطة"، 2019/04/01, شوهد في 2021/05/19 على: https://bit.ly/2YGPx04

[14] البرج الآن، "السفارة الفرنسية تنفي في بيان لها صادر يوم 09 ماي 2019 مباركتها لانتخابات 04 جويلية"، 2019/05/09, شوهد في 2021/06/18 على:(https://bit.ly/2GczXBB)؛ الخبر، " سفير فرنسا: لن نتدخل في الشأن الجزائري"، 2019/05/16, شوهد في 2021/06/26 على: (https://bit.ly/29pzgIZ)

[15] فرانس 24، " واشنطن تدعو الجزائر لاحترام حق التظاهر"، 2019/03/05, شوهد في 2021/06/27 على: http://bit.ly/2XE9YxI

الموقف الأمريكي مع الفرنسي في تأييد قرارات بوتفليقة بعزمه على عدم الترشح في الانتخابات الرئاسية المقبلة وتأجيلها[16]، وقبيل استقالة بوتفليقة صرح المتحدث باسم الخارجية الأمريكية روبرت بلادينو في مؤتمر صحفي أن الشعب الجزائري هو من يختار كيف يتجاوز المرحلة، كما دعا الحكومة الجزائرية إلى الحفاظ على أمن المتظاهرين[17].

بشكل عام، لا تمثل الجزائر بالنسبة للولايات المتحدة أي ثقل استراتيجي، وهي تتعامل معها بمنطق دبلوماسية الوكالة التي تتكفل بها فرنسا، ما لم يكن هناك تقارب كبير يتجاوز الخطوط الحمراء مع روسيا أو الصين كإنشاء قواعد عسكرية - وهذا الأمر أصلا ترفضه الثقافة السياسية الموروثة والتوجهات الأمنية للدولة الجزائرية منذ عشرات السنين - أو بعض أنواع التسلح الاستراتيجي.

أما روسيا فقد كانت ثالث قوة دولية تعلن عن موقفها إزاء الحراك الشعبي في الجزائر، وقد ركز خطابها على التحذير من أي تدخل أجنبي في الشؤون الداخلية للجزائر، ففي 12 مارس 2019 أكدت ماريا زاخاروفا المتحدثة باسم وزارة الخارجية الروسية في حديثها لصحيفة كوميرسانت، أن الأحداث التي تمر بها الجزائر هي شأن داخلي لدولة صديقة، معربة عن أملها في أن تحل الأزمة في الجزائر بطريقة بناءة ومسؤولة، بما فيه مصلحة للشعب الجزائري بأكمله[18].

وتعتبر الجزائر منذ استقلالها في 1962 شريكا استراتيجيا للاتحاد السوفياتي ولوريثه الشرعي روسيا الاتحادية فيما بعد, ويعبر الموقف الروسي من الحراك الشعبي في الجزائر عن مخاوف من تكرار الاخفاق الروسي في الملف الليبي عام 2012, وهو الاخفاق الذي حاولت روسيا استدراكه من خلال دعم خليفة حفتر وإرسال ميليشيا فاغنر للقتال إلى جانبه في الآونة الأخيرة, وللاستدلال على هذه المخاوف يكفي أن نورد هنا تصريح وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف بتاريخ 2019/03/19، حيث قال أن مقارنة ما يجري بالجزائر مع الربيع العربي تعني محاولة زعزعة الوضع بالتدخل الخارجي، وأن الشعب الجزائري هو من يسوي قضاياه ويحل مشاكله بالدستور، وباحترام القانون الدولي، وأن روسيا من جانبها ترفض أي تدخل في الشؤون الجزائرية[19].

كانت روسيا من اوائل المحطات الدولية التي زارها وزير الخارجية الجزائري رمطان لعمامرة ضمن برنامج زياراته المكثفة لدول عديدة بُعيد انطلاق الحراك الشعبي، فيما بدا أنه طلب للدعم والإسناد في حال انهيار النظام، وقد استمرت الزيارات المعلنة والسرية بين البلدين إلى غاية اللقاء الذي جمع عبد القادر بن صالح الرئيس المؤقت للجزائر مع الرئيس بوتين في شهر أكتوبر 2019، وقد أسال هذا اللقاء تحديدا الكثير من الحبر وأحدث غضبا عارما عبر وسائل التواصل الاجتماعي لأنه أظهر الرئيس الجزائري المؤقت ضعيفا ومريضا وكمن يقدم عرض حال يطمئن من خلاله الطرف الروسي على أن الوضع الداخلي الجزائري متحكم فيه[20].

---

[16] الخبر، "الخارجية الأمريكية: نؤيد الإجراءات التي اتخذها بوتفليقة"، 2019/03/12, شوهد في 2021/06/24 على: http://bit.ly/30rtRVE

[17] الخبر، "واشنطن: الكلمة تعود للشعب الجزائري"، 2019/03/29, شوهد في 2021/05/26 على: http://bit.ly/32X7Xvo

[18] الخبر، " روسيا: نعتبر أحداث الجزائر شأنا داخليا لدولة صديقة"، 2019/03/12, شوهد في 2021/06/29 على: http://bit.ly/2Ll4AsF

[19] يوتيوب، " لافروف: روسيا تعارض أي تدخل خارجي في الجزائر"، 2019/3/19, شوهد في 2021/05/20 على الرابط: http://bit.ly/2JBnZUb

[20] يوتيوب، " الرئيس بوتين يلتقي الرئيس الجزائري المؤقت عبد القادر بن صالح على هامش قمة روسيا-أفريقيا"، 2019/10/24, شوهد في 2021/06/14 على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=wEVD4rmmkwo

وتزامن التعليق الرسمي الصيني الوحيد على الأحداث في الجزائر مع التعليق الروسي، غير أن الصين بصفتها الشريك التجاري الأول للجزائر وباعتبار توليفة نموذجها السياسية والاقتصادية المتفردة، فإنها ركزت على الجانب التنموي في تعليقها الرسمي، حيث عبرت على لسان المتحدث باسم وزارة خارجيتها قنغ شوانغ خلال مؤتمر صحفي عن ثقتها في أن الجزائريين يتمتعون بالحكمة والقدرة في البحث عن الطريق التنموي الذي يتفق مع الظروف الوطنية الجزائرية، مشيرا إلى أنها تتطلع إلى دفع العملية السياسية في داخل الجزائر بصفة سلسة ومستقرة، وأضاف أن الصين لاحظت تخلي بوتفليقة عن المشاركة في الانتخابات المقبلة[21].

وفي حين مارست بعض القوى الدولية الأخرى كألمانيا، إسبانيا، إيطاليا وبريطانيا الصمت الدبلوماسي حول الأحداث الجارية في الجزائر، وانتظر المغرب أكثر من شهرين للإدلاء بتصريح يؤكد فيه رئيس حكومته عدم التدخل في الشأن الجزائري[22]، أعلنت سويسرا بتاريخ 2019/06/14 استعدادها لمساعدة الجزائر في استرداد الأموال المنهوبة، جاء ذلك على لسان النائب والمستشار الفيدرالي السويسري إجنازيو كاسيس، في كلمة ألقاها أمام أعضاء البرلمان السويسري، أشار فيها إلى أن بلاده تؤيد الجزائر في حق التظاهر سلميا على النحو الذي يكفله الدستور الجزائري وأكد المستشار الفيدرالي السويسري مواصلة بلاده مراقبة التطورات في الجزائر عن كثب[23].

في ختام هذا المبحث يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

- كانت تعليقات القوى الكبرى وحتى دول الجوار والمحيط العربي والأفريقي حول الحراك الشعبي في الجزائر ضعيفة جدا مقارنة بأحداث مشابهة في دول عربية أخرى، وهذا لا ينفي أن تحركات الدبلوماسية السرية وخلايا الأزمة ذات الطابع الأمني والاستراتيجي كانت على أشدها في دول مثل فرنسا، الولايات المتحدة، روسيا والصين وحتى المغرب، الإمارات، مصر، والسعودية، لاسيما في الأشهر الأولى من انطلاق الحراك الشعبي.
- كانت التحركات الدبلوماسية الجزائرية في الأشهر الأولى من انطلاق الحراك مكثفة للغاية، شملت روسيا، الصين، ألمانيا، تونس ودولا أخرى[24]، وقد قاد رمطان لعمامرة نائب الوزير الأول هذه الجهود، فيما بدا أنه محاولات للتواصل المباشر مع القوى الدولية لنقل الرواية الرسمية حول الأحداث في الجزائر.
- ارتبطت كثافة التعليقات الرسمية للقوى الكبرى حول الأحداث في الجزائر بارتفاع وتيرة الشارع وكثافة الحشود، وكلما هدأ الشارع خفت التعليقات الرسمية، وهذا على العكس تماما من الوتيرة التي أخذتها تعليقات وتدخلات المنظمات الدولية المختلفة إزاء الأحداث.

---

[21] الخبر، "تعليق الخارجية الصينية عن الأوضاع في الجزائر"، 2019/03/19, شوهد في 2021/05/25 على الرابط: http://bit.ly/30AOaQu

[22] الخبر، إسلام ب، "أول تعليق للحكومة المغربية على أحداث الجزائر"، 2019/05/16, شوهد في 2021/04/11 على الرابط: https://bit.ly/2Q9V0sf

[23] النهار، "المستشار الفيدرالي السويسري: مستعدون لمساعدة الجزائر في مكافحة الفساد واسترجاع الأموال المنهوبة"، 2019/06/14, شوهد في 2021/06/24 على الرابط: http://bit.ly/2Yw0pfX

[24] مونت كارلو الدولية، " لعمامرة يزور الصين وروسيا ودولا أوربية لتوضيح الأحداث في الجزائر"، 2019/18803, شوهد في 2021/05/13 على الرابط: shorturl.at/fsHLV

المبحث الثاني- مواقف المنظمات الدولية من الحراك الشعبي في الجزائر:

تنقسم المنظمات الدولية التي أبدت موقفا حول الأحداث في الجزائر، إلى منظمات دولية غير حكومية مثل العفو الدولية ومحامون بلا حدود، ومنظمات دولية حكومية أو تكتلات إقليمية حكومية كمنظمة الأمم المتحدة، الاتحاد الأوروبي والناتو، ويوضح الجدول أدناه عدد التعليقات لكل منظمة من هذه المنظمات خلال الستة أشهر الأولى من انطلاق الحراك الشعبي:

المنظمات	الاتحاد الأوروبي	العفو الدولية	محامون بلا حدود	الأمم المتحدة	الناتو
عدد التعليقات	2	2	1	1	1

منظمة محامون بلا حدود تتفرد بالدعوة لرفع السرية عن الملف الصحي لبوتفليقة:

كان من اللافت في الأيام الأولى لانطلاق الحراك الشعبي، وتحديدا بتاريخ 2019/03/09 قيام ساسكيا ديتيشايم رئيسة الفرع السويسري في منظمة محامون بلا حدود، بتقديم التماس إلى محكمة مختصة جاء فيه: أن وضع الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة لا يسمح له باتخاذ أي قرارات، وليس هو من تقدم بترشحه للرئاسة، ولا من كتب الرسالتين الموجهتين للشعب الجزائري" وطالب الالتماس برفع السرية الطبية عن بوتفليقة كي تتمكن فرق متخصصة من فحصه والإطلاع على وضعه الصحي بدقة[25]، ويشار إلى أن هذا الالتماس يأتي على خلفية العديد من الفحوصات الطبية التي أجراها بوتفليقة في جنيف.

تصريحات منظمة العفو الدولية:

كانت منظمة العفو الدولية أول منظمة دولية غير حكومية تدلي بتصريح حول التظاهرات في الجزائر، أياما قليلة بعد انطلاقها، حيث حذرت السلطات الجزائرية من استخدام القوة لتفريق المظاهرات، وأكدت المنظمة عدم وقوع انتهاكات صارخة حتى اللحظة، باستثناء توقيف 41 شخص وما لا يقل عن 4 صحفيين وإطلاق سراحهم فيما بعد[26]، وسرعان ما انتقلت المنظمة من خطاب التحذير إلى خطاب التنديد بعد تصاعد الأحداث، حيث قالت المنظمة بتاريخ 2019/07/10 أن السلطات الجزائرية تصعد من حملتها القمعية ضد المحتجين السلميين, باعتقالها 41 شخصا في الأيام الأخيرة بسبب التلويح بعلم المجتمع الأمازيغي خلال مظاهرات نظمت في جميع أنحاء البلاد, أو لمجرد وجود تلك الأعلام في حوزتهم. وقد دعت المنظمة السلطات الجزائرية إلى الإفراج, فورا ودون شرط أو قيد, عن المحتجين الـ 34 الذين ما زالوا رهن الاحتجاز، واحترام وحماية حرية التعبير، وتكوين الجمعيات أو الانضمام إليها، والتجمع السلمي خلال المظاهرات. وعلى وجه الخصوص،

[25] فرانس 24، "جنيف: تقديم التماس لوضع بوتفليقة تحت وصاية جهة محايدة ورفع السرية الطبية عنه"، 2019/03/09, شوهد في 2021/06/15 على الرابط: http://bit.ly/2xKirAd.

[26] منظمة العفو الدولية، "الجزائر: يجب ألا تستخدم قوات الأمن القوة المفرطة ضد المحتجين السلميين"، 2019/02/28, شوهد في 2021/06/11 على الرابط: http://bit.ly/2XMGGbm

ينبغي على السلطات الامتناع عن مضايقة أو ترهيب أو اعتقال أو مقاضاة أي شخص لمجرد حمل العلم الأمازيغي أو لمجرد وجوده بحوزته. وفي ذات السياق، قالت نائبة مديرة المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في منظمة العفو الدولية، ماجد الينا مغربي "لقد اتهم جميع الذين لا يزالون رهن الاعتقال بتهمة "المساس بسلامة وحدة الوطن"، وإذا أدينوا فقد يواجهون عقوبة السجن لمدة تصل إلى 10 سنوات, ودفع غرامة تتراوح بين 3000 و70 ألف دينار جزائري (حوالي 25 إلى 600 دولار)[27].

حلف الناتو وهواجس الربيع العربي:

بلغة تشي بمخاوف وهواجس الربيع العربي رغم إخراجها في شكل دبلوماسي مطمئن، كان الناتو هو ثاني منظمة تعلق على الأحداث في الجزائر، بعد أسبوعين فقط من انطلاقها، حيث اعتبر مسؤول بالمنظمة الوضع في الجزائر "ظاهرة عادية غير مقلقة ولا يمكن أبدا تشبيهها بما عرفته العديد من الدول العربية سنتي 2013/2011"[28].

بين الاتحاد الأوروبي والبرلمان الأوروبي.. موقفان متضادان:

ولم يخرج الاتحاد الأوروبي عن سياق التخوف والتوجس من أي هبة كبرى في شوارع الضفة الجنوبية للمتوسط، بل إن تعليقه الوحيد على الأحداث في الجزائر طوال فترة الستة أشهر الأولى من انطلاق الحراك جاء يحمل تعريضا بالاحتجاجات وتحذيرا مبطنا من تحولها للعنف، وذلك من خلال تأكيد الناطقة باسمه مايا كوسيانتشيش: " أن حريات التعبير والتظاهر مكفولة في الدستور الجزائري، مضيفة أن هذه الحقوق يجب ممارستها بالوسائل السلمية، وأن تتم في إطار احترام دولة القانون ... "[29]، وإذا كان هذا هو موقف الاتحاد الأوروبي فإن البرلمان الأوروبي كان له رأي مغاير، حيث صوت نوابه في نهاية نوفمبر 2019 على لائحة أدانوا من خلالها ما أسموه انتهاكات لحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الجزائر، وفي تفاصيل اللائحة أدان النواب الأوروبيون بشدة "الاعتقالات التعسفية وغير القانونية والاعتداءات والتهديدات التي تطال الصحافيين والنقابيين والمحامين والطلاب والمدافعين عن حقوق الإنسان، ونشطاء المجتمع المدني وجميع المتظاهرين المسالمين الذين شاركوا في الحراك"[30].

الأمم المتحدة .. تعليقات بلهجة متصاعدة:

استغرق إبداء منظمة الأمم المتحدة لموقفها حول الأحداث في الجزائر ما يربو على الشهر، وقد اغتنم أن أنطونيو غوتيريش الأمين العام للأمم المتحدة حضوره للقمة العربية المنعقدة في

---

[27] منظمة العفو الدولية، " الجزائر: القبض على 41 شخصا لمجرد حملهم العلم الأمازيغي بينما تشن السلطات حملة قمع ضد حرية التعبير"، 2019/07/05, شوهد في 2021/06/15 على الرابط: https://cutt.ly/YYqnBd

[28] وكالة الأنباء الجزائرية، "الناتو: المسيرات الشعبية بالجزائر ظاهرة ديمقراطية عادية غير مقلقة"، 2019/03/09, شوهد في 2021/06/27 على الرابط: http://bit.ly/2JwAmB1

[29] الخبر، "الاتحاد الأوربي يشدد على حق التظاهر السلمي للجزائريين"، 2019/03/13, شوهد في 2021/06/29 على الرابط: http://bit.ly/2JKHF7b

[30] Parlement Européen, Résolution N° RC-B9-0193/2019, disponible sur le lien :(shorturl.at/loNS0) visité le 05/05/2021.

تونس بتاريخ 2019/03/31 ليعبر عن تأييده "لانتقال ديمقراطي سلمي للسلطة في الجزائر، وأن أي خطوات تتخذ في هذا الصدد لا بد أن تتخذ بأسلوب يهدئ من مخاوف الشعب"[31]، غير أن بيانات المفوضية السامية لحقوق الإنسان التي تتبع منظمة الأمم المتحدة توالت بعد ذلك تباعا، منددة بالانتهاكات المتصاعدة لحقوق الإنسان، لاسيما حملات الاعتقالات والتضييقات التي طالت نشطاء الحراك، ولعل آخر هذه التحركات تمثلت في مطالبة 82 منظمة جزائرية ودولية من الأمم المتحدة التصدي لحملة السلطات الجزائرية لقمع القوى المؤيدة للديمقراطية, وذلك خلال الجلسة الـ47 لمجلس حقوق الإنسان[32].

منظمات كبيرة معنية بالأحداث في الجزائر لكنها آثرت السكوت:

فضلت منظمات إقليمية كبرى الصمت الدبلوماسي عما يحدث في الجزائر، وفي طليعة هذه المنظمات جامعة الدول العربية التي لم يصدر عنها أي بيان أو تعليق رسمي على عكس تحركاتها السابقة في الملفين الليبي والسوري، وإن كانت مستويات العنف في هذين الملفين قد بلغت درجات من الحدة والكثافة يصعب الصمت حيالها[33]، واتخذ الاتحاد الأفريقي نفس الموقف الصامت، ولعل ذلك يُعزى إلى قوة تأثير الجزائر الرسمية على هذا الكيان على الرغم من تراجعها في السنوات الأخيرة، وذهبت في نفس الاتجاه منظمة التعاون الإسلامي التي تهيمن عليها السعودية، وهي الدولة التي لا تخفى مواقفها اتجاه التحركات الشعبية الكبرى في المنطقة.

وفي ختام هذا المبحث يمكن أن نستنتج أن تدخلات المنظمات الدولية الحكومية في الدول التي تعرف احتجاجات شعبية كبرى يرتبط أساسا بمصالح الدول الأعضاء في هذه المنظمات، وأن هذه التدخلات تزداد كثافة كلما كان الشارع نشطا والحشود كثيفة، بينما -على العكس من ذلك- ترتبط كثافة تدخلات المنظمات الدولية غير الحكومية بكثافة انتهاكات حقوق الإنسان، وهي الظاهرة التي تصاحب عموما قلة الحشود في الشارع بسبب القمع والمتابعات الأمنية والقضائية للنشطاء.

وباستقراء ردود فعل السلطات الرسمية في الجزائر إزاء التدخلات والتعليقات الرسمية الصادرة عن المنظمات الدولية، نلاحظ أن السلطات الجزائرية تبدي حساسية مفرطة نحو كل تعليق سلبي يصدر عن الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة، في حين تتجاهل بشكل عام الانتقادات الصادرة عن المنظمات الدولية غير الحكومية،

[31] أورونيوز، "في القمة العربية ... غوتيريش يؤيد الانتقال السلمي الديمقراطي في الجزائر"، 2019/03/31, شوهد في 2021/06/02 على الرابط: http://bit.ly/2JYXcS7

[32] هيومن رايتس ووتش، "82 منظمة تطالب الأمم المتحدة بالتصدي لحملة السلطات الجزائرية لقمع القوى المؤيدة للديمقراطية"، 2021/06/28, شوهد في 2021/07/03 على الرابط: https://www.hrw.org/ar/news/2021/06/28/379073

[33] بي بي سي نيوز، " كيف احتضنت الجامعة العربية ثورات المنطقة ؟"، 2011/12/02, شوهد في 2021/06/17 على الرابط: shorturl.at/yBLP8

خاتمة:

تميزت الاحتجاجات الشعبية العارمة التي أطلق عليها في الجزائر مصطلح الحراك الشعبي بطابعها السلمي التام، ولعل ضعف تفاعل الدول الكبرى معها وشِح التعليقات الرسمية -عدا الجانب الفرنسي- مرده إلى عدم انزلاق الأحداث نحو العنف الشامل، وهو ما تتعامل معه الدول عادة كتهديد لمصالحها الحيوية، ومرده كذلك إلى تحكم السلطة الفعلية في المشهد رغم الاهتزازات التي عرفتها في بدايات الحراك، ومما يدلل على ذلك أنه بعد إجراء الانتخابات الرئاسية في 12 ديسمبر 2019 خفت كثيرا، بل وانعدمت التعليقات الصادرة من طرف الدول، ولكن بالمقابل تزايدت بوتيرة عالية بيانات وتعليقات المنظمات الدولية الحقوقية حول وضع حقوق الإنسان في الجزائر، وذلك بعد تزايد حالات منع وقمع التظاهرات والاحتجاجات، وتزايد حملات الاعتقال والمتابعات القضائية لنشطاء الحراك بشكل عام.

لقد أثبتت لنا تجارب العشر سنوات الماضية في المنطقة العربية، أن تدخلات القوى الكبرى لا تحدث بشكل فعال، إلا إذا كانت هناك أحداث كبرى على الأرض قد تقود إلى تغير نظم الحكم، لاسيما إذا كان هناك احتمال أن توصل هذه الأحداث ما يُعرف بتيارات الإسلام السياسي إلى السلطة، وقد كان لافتا تحذير نائب رئيس الوزير الأول الجزائري للأطراف الدولية التي زارها بُعيد انطلاق الحراك الشعبي من وصول الإسلاميين للسلطة، ففي منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وهي المنطقة التي توصف بمنطقة الارتطام في أدبيات الجغرافيا السياسية، تعتبر التحركات الشعبية الكبرى التي تهدف إلى تحقيق التنمية والديمقراطية خطا أحمر.

قائمة المراجع:

- الشروق، "مظاهرات الجزائريين تخطف اهتمام الدول الكبرى"، 2019/03/05, شوهد في 2021/05/10 على: http://bit.ly/2JL7HqP
- الخبر، "الرئيس التونسي يستقبل لعمامرة"، 2019/3/29, شوهد في 2021/7/09 على الرابط: http://bit.ly/2GtSlG7
- الخبر، "ماكرون: نحن نرافق النظام في تنظيم عملية الانتقال"، 2019/03/19, شوهد في 2021/06/18 على: http://bit.ly/30BLIti
- الخبر، "لودريان: المرحلة الانتقالية في الجزائر باتت ضرورية"، 2019/03/29, شوهد في 2021/06/19 على: http://bit.ly/2SGMp1E
- الخبر، " سفير فرنسا: لن نتدخل في الشأن الجزائري"، 2019/05/16, شوهد في 2021/06/26 على: (https://bit.ly/29pzgIZ)
- الخبر، "الخارجية الأمريكية: نؤيد الإجراءات التي اتخذها بوتفليقة"، 2019/03/12, شوهد في 2021/06/24 على: http://bit.ly/30rtRVE

- الخبر، "واشنطن: الكلمة تعود للشعب الجزائري"، 2019/03/29, شوهد في 2021/05/26 على: http://bit.ly/32X7Xvo
- الخبر، " روسيا: نعتبر أحداث الجزائر شأنا داخليا لدولة صديقة"، 2019/03/12, شوهد في 2021/06/29 على: http://bit.ly/2Ll4AsF
- الخبر، "الاتحاد الأوروبي يشدد على حق التظاهر السلمي للجزائريين"، 2019/03/13, شوهد في 2021/06/29 على الرابط: http://bit.ly/2JKHF7b
- الخبر، "تعليق الخارجية الصينية عن الأوضاع في الجزائر"، 2019/03/19, شوهد في 2021/05/25 على الرابط: http://bit.ly/30AOaQu
- الخبر، إسلام ب، "أول تعليق للحكومة المغربية على أحداث الجزائر"، 2019/05/16, شوهد في 2021/04/11 على الرابط: https://bit.ly/2Q9V0sf
- النهار، "المستشار الفيدرالي السويسري: مستعدون لمساعدة الجزائر في مكافحة الفساد واسترجاع الأموال المنهوبة"، 2019/06/14, شوهد في 2021/06/24 على الرابط: http://bit.ly/2Yw0pfX
- الجزيرة نت، "نهاية مسار .. بوتفليقة يقرر الاستقالة بعد 20 عاما في السلطة"، 2019/04/01, شوهد في 2021/05/19 على: https://bit.ly/2YGPx04
- البرج الآن، "السفارة الفرنسية تنفي في بيان لها صادر يوم 09 ماي 2019 مباركتها لانتخابات 04 جويلية"، 2019/05/09, شوهد في 2021/06/18 على:) https://bit.ly/2GczXBB)
- أورونيوز، "في القمة العربية ... غوتيريش يؤيد الانتقال السلمي الديمقراطي في الجزائر"، 2019/03/31, شوهد في 2021/06/02 على الرابط: http://bit.ly/2JYXcS7
- بي بي سي نيوز، " كيف احتضنت الجامعة العربية ثورات المنطقة ؟ "، 2011/12/02, شوهد في 2021/06/17 على الرابط: shorturl.at/yBLP8
- فرانس 24، " فرنسا تعرب عن أملها في أن تلبي الانتخابات الرئاسية في الجزائر التطلعات العميقة للشعب"، 2019/2/27, شوهد في 2021/6/03 على الرابط http://bit.ly/2JEImyP
- فرانس 24، " واشنطن تدعو الجزائر لاحترام حق التظاهر"، 2019/03/05, شوهد في 2021/06/27 على: http://bit.ly/2XE9YxI
- فرانس 24، "جنيف: تقديم التماس لوضع بوتفليقة تحت وصاية جهة محايدة ورفع السرية الطبية عنه"، 2019/03/09, شوهد في 2021/06/15 على الرابط: http://bit.ly/2xKirAd.
- كل شيء عن الجزائر بالعربية، إيمان عويمر، "الجزائر- السبسي يعلق على الاحتجاجات الرافضة لترشح بوتفليقة لعهدة خامسة"، 2019/2/25, شوهد في 2021/05/10 على: http://bit.ly/2XMDJYk
- منظمة العفو الدولية، "الجزائر: يجب ألا تستخدم قوات الأمن القوة المفرطة ضد المحتجين السلميين"، 2019/02/28, شوهد في 2021/06/11 على الرابط: http://bit.ly/2XMGGbm

- منظمة العفو الدولية، " الجزائر: القبض على 41 شخصا لمجرد حملهم العلم الأمازيغي بينما تشن السلطات حملة قمع ضد حرية التعبير"، 2019/07/05, شوهد في 2021/06/15 على الرابط: https://cutt.ly/YYqnBd
- مونت كارلو الدولية، " لعمامرة يزور الصين وروسيا ودولا أوربية لتوضيح الأحداث في الجزائر"، 2019/18803, شوهد في 2021/05/13 على الرابط: shorturl.at/fsHLV
- هيومن رايتس ووتش، "82 منظمة تطالب الأمم المتحدة بالتصدي لحملة السلطات الجزائرية لقمع القوى المؤيدة للديمقراطية"، 2021/06/28, شوهد في 2021/07/03 على الرابط: https://www.hrw.org/ar/news/2021/06/28/379073
- وكالة الأنباء الجزائرية، "الناتو: المسيرات الشعبية بالجزائر ظاهرة ديمقراطية عادية غير مقلقة"، 2019/03/09, شوهد في 2021/06/27 على الرابط: http://bit.ly/2JwAmB1
- يوتيوب، " ماكرون يحيي قرار بوتفليقة ويدعو الى مرحلة انتقالية بمهلة معقولة"، 2019/03/12, شوهد في 2021/06/17 على: http://bit.ly/2xOdt5w
- يوتيوب، " لافروف: روسيا تعارض أي تدخل خارجي في الجزائر"، 2019/3/19, شوهد في 2021/05/20 على الرابط: http://bit.ly/2JBnZUb
- يوتيوب، " الرئيس بوتين يلتقي الرئيس الجزائري المؤقت عبد القادر بن صالح على هامش قمة روسيا-أفريقيا"، 2019/10/24, شوهد في 2021/06/14 على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=wEVD4rmmkwo

- APS, « La France souhaite que la présidentielle en Algérie se déroule dans de bonnes conditions », 04/3/2019, accessed on 04/6/2021 at : http://bit.ly/2NPwOOf
- Emmanuel Macron, Twitter, 12/03/2019, accessed on 15/06/2021 at : http://bit.ly/2YRcEVl
- Imene A, « Mouvement populaire en Algérie: La diaspora algérienne en France toujours solidaire », Algérie Eco, le 24 mars 2019, valable sur : (https://cutt.ly/NQIwWAb), site visité le 10/08/2021
- L'office national des statistiques ONS, Démographie Algériennes Doc N° 890/bis, valable sur : (https://www.ons.dz/IMG/pdf/demographie2019_bis.pdf), site visité le 10/08/2021.
- Parlement Européen, Résolution N° RC-B9-0193/2019, disponible sur le lien :(shorturl.at/loNS0) visité le 05/05/2021.

الاطماع الفرنسية في احتلال الجزائر خلال القرن 16م

د. الشيخ لكحل*

الملخص

يتناول الباحث في هذه الورقة البحثية إشكالية بداية الاطماع الفرنسية في احتلال الجزائر خلال القرن 16. بالرغم من التحالف بين فرنسا والدولة العثمانية خلال القرن 16, إلا أن فرنسا استغلت الظروف الدولية الطارئة بعد معركة ليبانتي 1571م وحاولت ان تضم إيالة الجزائر العثمانية لممتلكاتها، وقد بعث الملك الفرنسي شارل التاسع برسالة إلى سفيره في إسطنبول " داكس" يوصيه فيها بالسعي الحثيثِ لأخذ موافقةِ الديوان السلطاني لتحقيق مشروع احتلال الجزائر. وكان شارل التاسع يعتقد بأنّ السلطان العثماني سيرضخ للأمر الواقع، وسيقوم بتسليم مملكةِ الجزائر إلى ابنِ أخيه الدوق دانجو(Duc d'Anjou) عِوَضَ تركِها تسقط في أيدي الاسبان.

ويبدو أنّ جهودَ داكس لم تُؤتِ أُكلَها؛ إذ قوبلت الفكرةُ بالرفض من طرف السلطان العثماني. فرغم حرص الدولةِ العثمانية على تحالفها مع فرنسا، وتخوّفِها من انضمامها إلى العصبة المقدسة، إلا أنها لم تُرد أن تفرِّطَ في قاعدتها المتقدمة في الحوض الغربي للمتوسط

وقد توصل الباحث في ختام هذه الدراسة إلى أنّ المطامع الفرنسية في الاستيلاءِ على الجزائر، لم تكن وليدةَ القرن التاسع عشر، وإنما تعود، على الأقل، إلى عهد شارل التاسع الذي لم يَجِد غضاضةً في استغلال الظروف الدولية الطارئة، بعد معركة ليبانتي، ليُفصحَ عن نيته في ضم الجزائر إلى ممتلكاته سنة 1572م، بداعي حمايتِها من الخطر الاسباني؛ الذي لا يملك حتى دفعَه عن نفسه، وتعويلُه على انتفاضِ الجزائريين ضدّ الحكم التركي، بعد ادعائه بوصول طلباتِ هؤلاء للدخول تحت عرشه.

كلمات مفتاحية: الجزائر، فرنسا، شارل التاسع، احتلال.

* دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، أستاذ محاضر بقسم التاريخ بجامعة غرداية، الجزائر.

French ambitions to occupy Algeria during the 16th century AD

Dr. Chikh Lakehal

Abstract

In this paper, the researcher deals with the problematic of the beginning of French ambitions to occupy Algeria during the 16th century.

Despite the alliance between France and the Ottoman Empire during the 16th century, France took advantage of the emergency international circumstances after the Battle of "Lepante" in 1571, and tried to occupy Algeria. The French King Charles IX sent a letter to his ambassador in Istanbul, "Dax", recommending him to strive to obtain the approval of the Court Sultani to achieve the project to occupy Algeria. Charles IX believed that the Ottoman Sultan would submit to the bad situation, and would hand over the Kingdom of Algeria to his nephew, Duc D'Anjou, instead of letting it fall into the hands of the Spaniards.

It appears that Dax's efforts were unsuccessful. The idea was rejected by the Ottoman Sultan. Despite the Ottoman Empire's keenness on its alliance with France, and its fear of joining the Holy League, it did not want to neglect its advanced base in the western basin of the Mediterranean.

The researcher concluded that the French ambitions to occupy Algeria were not born in the nineteenth century, but rather go back, at least, to the reign of Charles IX, who found no objection to exploiting the emergency international conditions, after the Battle of Lepante, to reveal his intention for the annexation of Algeria to his possessions in 1572, in order to protect it from the Spanish threat.

Key words: Algeria, France, Charles IX, occupation

مقدمة:

لقد كان الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، خلال القرن السادس عشر، مسرحَ صراع بين ضفتيه المتقابلتين الشمالية والجنوبية، وقد مثّل الصدامُ العثماني الاسباني أهمَّ فصوله؛ إذ شهد في مطلعه تصاعدَ الغارات الأيبيرية على شمال إفريقيا منذ سقوط الأندلس، وما تلى ذلك من وفود الأتراك العثمانيين؛ الذين أخذوا على عاتقهم ردَّ تلك الهجمات، وتحريرَ المدن المغاربية من التواجد الأيبيري. وقد مثّلت الجزائر أهمَّ واجهةٍ لهذا الصراع؛ فبالإضافة إلى جغرافيتها الكبيرة، والممتدةِ على مساحة معتبرة من الضفة الجنوبية، فقد شكّلت، بعد انضوائها تحت السلطنة العثمانية، سنة 1520م، رأسَ الحربة الإسلامية في مواجهة قوى غرب أوروبا المسيحية.

أما الدولةُ الفرنسيةُ الطامحةُ إلى استعادة مجدِها الصليبي، فقد أجبرتها المنافسةُ الاسبانية على التحالف مع العدو العثماني. إلا أنّ ذلك لم يكن مُيَسّراً مع الجزائر؛ فرغم ولاءِ الجزائر للعثمانيين، إلا أنها كانت تتوجَّسُ من الحليف الفرنسي، الذي لم يُخفِ مطامعَه في الاستيلاء على الجزائر كلما توفّرت الظروفُ المناسبة.

فما طبيعة العلاقات الجزائربة الفرنسية خلال القرن السادس عشر وكيف بدأت الأطماع الفرنسية لاحتلال الجزائر؟

أولا: طبيعة العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن 16.

بحكم قرب البلدين جغرافيا على ضفتي المتوسط المتقابلتين فقد امتدت العلاقات بينهما إلى قرون عديدة، وان كان التوتر والصدام قد غلب على طبيعتها، إلا أنه بداية من سنة 1536م سنةَ توقيع معاهدة الامتيازات الفرنسية، ازداد حجم تلك العلاقات وبدأت تنحو نحو الجانب التجاري والعلاقات الدبلوماسية، لكن فرنسا لم تترك أية فرصة مواتية لاحتلال الجزائر كما سنرى ذلك.

1-الامتيازات الاقتصادية الفرنسية في الجزائر:

بعد توقيع معاهدة الامتيازات بين فرانسوا الأول والسلطان سليمان القانوني؛ والتي أعطت للفرنسيين الكثيرَ من الامتيازات الاقتصادية والدبلوماسية وحتى الدينية في ممالك الدولة العثمانية، تمكنت مؤسسة المرجان المارسيلية[1] سنة968ه/1561م، من تأسيس وكالة تجارية على الساحل الشرقي للجزائر، على بعد اثني عشر فرسخاً[2] شرقَ عنابة، وأربعةِ فراسخَ غربَ القالة، عرفت بوكلة الباستيون، أو حصن فرنسا. وقد تحصّلت من السلطان سليمان القانوني؛ في مقابل رسوم تصل إلى 1500أوقية (ecus) ذهبيةٍ تدفع إلى إيالة الجزائر،[3] على حقِّ صيد المرجان في

[1] هي مؤسسة تجارية أسسها توماس لانش في مرسيليا، سنة1553م، وكانت تضم نخبةَ التجار المرسيليين، من أمثال دوميرابو(Jean Riqueti de Mirabeau)، بوسيه(Pierre Bausset)، وديديه .(Carlin Didier)وقد ازدهر نشاطها منذ حصولها على امتياز صيد المرجان على السواحل الشرقية للجزائر سنة 1561م. أنظر: Paul Masson : Les compagnies du corail, fontemoing éditeur, Paris, 1918, p17.

[2] الفرسخ: أصله فرنسك، لفظ فارسي، دخل إلى العربية بمعنيين، الأول يدل على الزمن، والثاني ارتبط بمسافة معلومة اتفق على تقديرها بالمسافة التي إذا مشاها الرجل قعد واستراح. وهي تقدر بثلاثة أميال؛ أي ما يقارب 5كيلومتر. أنظر: مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم الألقاب والمصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416ه/1996م, ص337.

[3] يحيى بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1985, ص59.

المناطق والخلجانِ الممتدة من الرأس الأحمر إلى واد سيبوس، مع السماحِ ببناء وكالة الباستيون، وبإجراء التحصينات اللازمةِ.[4]

وقد نشطت وكالةُ الباستيون في صيدِ المرجان، وذلك لتوفُّرِ هذه المادة في السواحل القريبة منها، وقد ذكر ماسون (Masson) أنها عرفت ازدهاراً مطّرداً بسبب نوعيةِ المرجان الرفيعة والمتوفرة بكمياتٍ كبيرةٍ، ولهذا فقد ازدادت مداخيل هذه الشركة، وتوسّع نشاطها، حيث أقحمت نفسَها في تجارة القمح منذ وقت مبكرٍ؛ إذ كانت تستثمر جزءاً من مداخيلها في شراء كمياتٍ معتَبَرةٍ من الحبوب من الأهالي، وتوريدها نحو مرسيليا وجنوة.[5]

كما أنّ هذه الوكالةَ قد عرفت توسعاً جغرافياً بعد ضم مرسى الخرز[6]، سنةَ 986ه /1578م، بعد أن كان محلَّ صراع بين الفرنسيين والجنويين. وتتضمن وثيقة من وثائق مهمة دفتري أمراً صادراً إلى بيلرباي الجزائر، بالسماح للفرنسيين بصيد المرجان في هذا المكان، وذلك بشرط عدمِ تحصينه أو تسليحه. وتشير الوثيقة أيضاً إلى ضرورةِ دفعِ الفرنسيين المستغلين لهذا المرسى، مقدار العُشرِ من مداخيله إلى خزينة الجزائر.[7]

ورغم طابعها "المَرجاني"، إلا أنّ الشركة تحصلت على امتياز شراء الجلود والصوف والشمع من أهالي المنطقة، وكذلك شراء ما يكفي من الحبوب لغذاء الصيادين وعائلاتهم، أي حوالي ألف قفيزٍ من الحبوب؛ حسب الاتفاق الذي أبرمته مع حكام الجزائر. إلا أنها كانت تنجح في تصدير كمّياتٍ غيرِ محدودةٍ من الحبوب بفضل الهدايا التي كانت تقدمها للحكام المحليين.[8] وكان هؤلاء يحتكرون بيعَ المنتجاتِ الزراعيةَ لهذه الشركة وذلك بسعر أغلى من ذلك الذي تشتري به من الأهالي. وكان الحكام يتابعون الأسعارَ في الخارج لتحديد سعرِ بيعهم؛ وفي هذا الإطار فقد كان الاتفاقُ بين الشركة وخَضِر باشا على سعر 7 أوقية لقفيز القمح, لكنّه لما علم بأنّ مناطقَ فرنسا الجنوبية بحاجة ماسّةٍ للقمح, قام برفع السعر إلى 12أوقية.[9]

ورغم الامتيازات التي منحها السلاطينُ العثمانيون للفرنسيين، خلال القرن السادس عشر، إلا أنّ وضعَ وكالةِ الباستيون لم يستقر إلاّ في نهايةِ القرن؛ إذ أنّ السلطانَ محمد الثالث[10] جدَّدَ للفرنسيين هذه الامتيازات للمرة الرابعة، سنة1006ه/1597م، والتي مكنتهم من استغلال هذه الوكالة في صيد المرجان، وفي أنشطةٍ تجارية علنيةٍ، مثل تجارةِ الجلود والشمع والكتان، وغيرها. وغيرِ علنيةٍ، كتجارة الحبوب والقمح.[11]

---

[4] Pierre Heinrich: L'Alliance Franco-Algérienne au XVIe siècle, Imprimerie Vve Mougin-Rusand, Lyon, 1898, p109.

[5] Paul Masson: op.cit, P18.

[6] مرسى الخرز: هو الاسم القديم للقالة، يقع شرق الباستيون بأربعة فراسخ،كان معروفاً منذ القرون الوسطى بغنى منطقته بالمرجان؛ حيث استغله الجنويون فترة من الزمن، وقبل خروجهم منه عمد روجير دي لوريا (Roger de Loria) الجنوي إلى تخريبه، سنة 1286م. وبقي على حاله، إلى غاية منحه إلى الفرنسيين. وقد أسموه القالة (Calle)لأنهم اعتبروه بمثابة موقف وملجأ للسفن التي تعمل في الباستيون. أنظر:

Charles Féraud: Histoire des villes de la province de Constantine. La Calle, Typ.de l'Association ouvriére V. Aillaud et Cie, Alger, 1877, p93.

[7] مهمة دفتري رقم 35, صحيفة 122, حكم رقم 314.

[8] المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، جزآن، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009, ج1, ص83.

[9] Paul Masson: op.cit, p96.

[10] هو السلطان محمد الثالث ابن مراد الثالث، ولد في 7 ذي القعدة 974ه/16 مايو 1566م. أمه صفية الإيطالية الأصل, تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة 1003ه/1595م. شهد عصره عدة حروب في المجر, وبعض الثورات في الأقاليم الآسيوية, قادها بعض جنود الإنكشارية. توفي في 12 رجب 1012ه/16 ديسمبر 1603م. أنظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان عباس، دار النفائس ، بيروت، 1401ه/1981م, ص267.

[11] Paul Masson: Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque(1560-1793), librairie Hachette et Cie, Paris, 1903, p15.

2-التواجد العسكري الجزائري على السواحل الفرنسية

إنّ الظروفَ الدوليةَ التي عرفتها القارة الأوربية، وتراجعَ القوة العسكرية الفرنسية أمام نظيرتها الاسبانية جعل الفرنسيين يستنجدون بالعثمانيين، طالبين منهم التدخلَ العسكريَّ لصالحهم ضد الاسبان، وكانت حادثة نيس(Nice)، سنة 949ه/1543م، أهمّ مظهرٍ من مظاهر هذا التدخّل.

فقد كانت مقاطعةُ نيس تشكّل أهميةً إستراتيجيةً بالنسبة للقوى الأوربية، ذلك أنّ السيطرةَ عليها تسهّل الهيمنةَ على شبه الجزيرة الايطالية، وبما أنّ أغلبَ المناطقِ الايطالية كانت تدين بالولاء لإمبراطورية شارلكان، فلم يجد الأسبان بُداً من إدخال هذه المقاطعة تحت العرش الإمبراطوري؛ وذلك بالتحالف مع دوق دوصافوا(Duc de Savoie)، الذي كان يحكم هذه المقاطعةَ. وقد تسبب هذا في تأجيج صراعٍ محتدمٍ مع فرنسا؛ التي كانت تعتبر مقاطعةَ نيس إحدى ممتلكاتها. ولكي تتمكن من مواجهة قوة شارلكان فقد استنجدت فرنسا بحليفِها العثماني. وفي هذا الإطار فقد قام خير الدين على رأس قوة بحرية كبيرة، تتشكل من حوالي 120سفينة, بإحكام الحصار على مدينة نيس في ماي سنة 1543م/949ه، ورغم سقوط المدينة في شهر آب من هذه السنة، إلا أنّ استسلامها بصفة نهائيةٍ للفرنسيين لم يتمّ، ولذلك فإنّ أسطولَ خير الدين لم يغادر السواحلَ الفرنسيةَ، بين ظَلَّ راسياً في ميناء مدينة تولون (Toulon)طيلة سنتي 1543-1544م.[12] وتذكر المصادر[13] أنّ حسن آغا؛ بيلرباي الجزائر، قد شارك في هذا المجهود الحربي بحوالي 40 سفينة جزائرية.[14]

ولم يقتصر نشاطُ البحريةِ الجزائرية على هذه الحادثة فقط، بل ظلّت تنشط على السواحل الجنوبية الفرنسية طيلة القرن السادس عشر؛ فقد استنجد هنري الثاني بصالح رايس، سنة 959ه/1552م، ضدّ الملك الاسباني فيليب الثاني(Phillipe II)، وقد أرسل بيلرباي الجزائر أسطولاً بحرياً إلى سواحل ميورقة(Majorque).[15] ويذكر هايدو(Haedo) أنّ 22 غليوطة جزائرية كانت متواجدة على السواحل الفرنسية، وكانت تترصد تحركات أندري دوريا(André Doria).[16]وحسب مراسلة الملك الفرنسي هنري الثالث، والمؤرخة في 4أوت 1584م/991ه، فإنّ حسن فنيزيانو؛ باشا الجزائر، قد أقام ثمانيةَ أيامٍ في الجزر المقابلة لمرسيليا، وقام بمطاردة سفنِ أندري دوريا حتى قُبالة سواحل جنوة.[17]

إنّ تلك الأعمالَ التي كانت تقوم بها الجزائرُ لصالح فرنسا خلال القرن السادس عشر، وبدون مقابل، سوى ترضيةَ السلطان العثماني، جعلت قِلّة من المؤرخين الفرنسيين المنصفين يعترفون

---

12 Anne Brogini: "Entre France et Espagne, Les Crises dans le Comté de Nice Au XVIe Siècle", in, Cahiers de la Méditerranée, N°74, 2007, http://cdlm.revues.org/index2073.html, 12/02/2011, 20 :15.

13 J.De Hammer: Histoire de l'Empire Ottoman depuis son origine jusqu'à nos jours, Trad: J.J.Hellert, 18 Tomes, Bellizard et Cie Libraires, Paris, 1836, T5, p352.

14 قد لا يبدو هذا مستغربا إذا علمنا أنّ الجزائر قد غنمت الكثير من السفن الاسبانية المحملة بالمدافع والذخيرة، والتي خلفها شرلكان بعد فشل حملته على الجزائر سنة 1541م. أنظر: محمد بن عبد الرحمان التلمساني: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تح: سليم بابا عمر، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، ع3, 1967, ص18.

15 Gilles Veinstein: "Les Préparatifs de la Campagne Navale Franco-Turque en 1552 à Travers les Ordres du Divan Ottomane", in, R.O.M.M, N°:39, 1985. pp. 35-67.

16 F Diego de Haedo: Histoire des rois d'Alger, Trad: H.-D. De Grammont, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1881, p193.

17 E. Charrière : Négociations de la France dans le levant, 4Tomes, Imprimerie Nationale, Paris, 1848, T4, p300.

بهذا الفضل للجزائر، مثل كارو (Garrot)؛ الذي أقرّ بأنّ الجزائرَ كانت تمارس، بفضل قادتها البحريين، ضغطاً على أوربا كان في صالح فرنسا، خاصّةً أنّ ذلك حدث في وقت كانت فيه الأمّةُ الفرنسيةُ مهددةً، من شارلكان وهنري الثامن، بالخطر. وبفضل تلك العلاقاتِ مع الجزائر أنقذَ فرانسوا الأول عرشَه، وحفظ شعبَه من الخراب.[18]

3- القنصلية الفرنسية في الجزائر

لقد عملت فرنسا، منذ توقيعها على معاهدة الامتيازات مع الدولة العثمانية، على إرسال ممثّلٍ لها في الجزائر. وقد أصبح هذا المطلب أكثرَ إلحاحاً، منذ تأسيسِ المراكز التجارية الفرنسية في شرق الجزائر؛ ذلك أنّ التجارَ والرعايا الفرنسيين العاملين في هذه المراكز كانوا دائما يبحثون عمن يمثلهم، ويرعى مصالحَهم لدى حكام الجزائر.

ورغم التقاربِ الفرنسي العثماني، وولاءِ حكام الجزائر للسلطان، إلا أنّ التمثيلَ الدبلوماسي الفرنسي في الجزائر قد تأخر بسبب رفضِ الجزائريين المتكرر لأيّ تمثيل مسيحي فوق أراضيهم، وذلك بسبب الحملة الصليبية المتوحشة التي كانت تتعرض لها الجزائر منذ مطلع القرن.

كما أنّ حكامَ الجزائر "الأقوياء" كانوا غالباً ما يبرّرون تماطلَهم في تنفيذ رغبةِ السلطان في قبولِ الممثل الفرنسي، بالرفض العام الذي كان يسود الجزائر حول هذا الموضوع. ونلمس ذلك جلياً من خلال المراسلة التي بعثها حسن فنيزيانو إلى حكام مرسيليا؛ حيث أخبرَهم فيها بأنه لا يمكن قبول اعتماد قنصلٍ بالجزائر، لأن ذلك "يأنف منه التجار، والشعب، وكل الناس".([19])

وقد بذل الفرنسيون جهوداً كبيرةً من أجل تثبيت قنصلٍ لهم في الجزائر، وذلك بواسطة سفرائهم في اسطنبول؛ الذين كانوا لا يألون جهداً ولا حيلةً من أجل الضغط على حكام الجزائر لتحقيق هذا الهدف. وقد بلغ نفوذ السفراء الفرنسيين في الديوان السلطاني أن كانوا يتدخلون حتى في تعيين أو عزلِ حكام الجزائر؛ مثلما قام به السفير دارامون حينَ نجح في عزل حسن بن خير الدين عن إمارةِ الجزائر، بعد رفضِ هذا الأخير طلباً من الملك الفرنسي هنري الثاني للمساعدة في الحرب ضد الاسبان؛ فقد كان حسن باشا شديدَ العداءِ للفرنسيين، ولمّا لم يكن لهم مجالٌ للتقدم بطلب تعيين قنصلٍ لهم، فقد سعَوْا لدى الباب العالي لعزله، حيث تمَّ عزله سنة 958هـ /1551م.[20]

ويرى بعض المؤرخين أنّ مسارعةَ الفرنسيين إلى إقامة قنصليةٍ لهم في الجزائر، كان لعِدَّةِ أسبابٍ؛ فبالإضافة إلى العامل التجاري والاقتصادي الذي أشرنا إليه آنفاً، فإنّ فرنسا ستتمكن من تفادي اعتداءاتِ القراصنة الجزائريين، وستحظى بمكانة خاصة في الحوض الغربي للمتوسط، بعد اعتراف الجزائر بها.[21]

---

[18] Henri Garrot: Histoire Générale de l'Algérie, Imprimerie P. Crescenzo, Alger 1910, p403.

[19] الرسالة مؤرخة في 28 أفريل 1579م/987هـ. أنظر: Eugène Plantet: Les correspondances des deys d'Alger avec la cour de France)1579-1833(, 2 Tomes, Paris, 1889, T1, p2.

[20] عزيز سامح إلتر: الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص181.

[21] عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1985م، ص13.

وترجع أولى المحاولاتِ إلى ما بعد التوقيع على معاهدةِ الامتيازات، والتي نصّت في بندها الثالث على حقِّ فرنسا في تعيين قناصلَ لها في الولايات العثمانية؛ فقد قدِم مبعوثٌ فرنسي إلى الجزائر، سنة 958ه/1551م؛ مباشرةً بعد عزل حسن بن خير الدين. ثم قدِم مبعوثٌ آخر, سنة 961ه/1553م، ويبدو أنّ زيارة كلَيْهما لم تكلّل بالنجاح.[22]

إلا أنّ أولَ تسميةٍ رسميةٍ لقنصلٍ فرنسي بالجزائر يعود لتاريخ 15سبتمبر 1564م/ 972ه؛ حينَ اعتمد الملك الفرنسي، شارل التاسع، السيدَ فانسون بيرطول (Vincent Bertholle) كقنصلٍ عامٍ في الجزائر.[23] ورغم ذلك، فإنّ هذا القنصلَ لم يباشر مهامّه، أو أنه جاء إلى الجزائر ولم يُقبل اعتماده؛ إذ أنّ مراسلة السفير الفرنسي في القسطنطينية، والمؤرخة في 15جويلية 1565م/972ه، تتحدث عن ضرورة وجودِ قنصلٍ في الجزائر يرعى مصالحَ التجار الفرنسيين، ويحدّ من اعتداءاتِ القراصنة الجزائريين على السفن الفرنسية.[24]وتتحدث مراسلة أخرى للسفير دي ليزل(de l'abbé Lisle)، مؤرخة في 12 فيفري 1578م/986ه، عن تعيين القائد صورون(Sauron) قنصلاً لفرنسا في الجزائر، لكنّ تعيينَه لم يكن مقبولاً لدى حسن فنزيانو كما وضّحنا آنفاً.

ويبدو أنّ إلحاحَ السلطانِ العثماني، قد أدى في النهاية إلى تراجع الجزائريين عن رفضِهم للقنصل الفرنسي، إذ تتحدث الوثائقُ عن تعيين رجلِ الدين المرسيلي بيونو(P.Bionneau)، سنة 989ه/1581م، وعن إقامته في الجزائر. إلا أنّ هذه الإقامةَ لم تكن مريحةً؛ إذ سرعان مازُجّ به في السجن.[25]وفي سنة 994ه/1586م، تمّ تعيين السيد دو فيا(M. de Vias)، الذي تعرَّض هو أيضا لكثير من المضايقات أثناء إقامته في الجزائر، إلا أنّ بعهده تبدأُ المراسلات القنصلية الرسمية، خاصة منذ سنة 1005ه/1597م.[26]

وهكذا نرى بأنّ التمثيلَ الدبلوماسي الفرنسي في الجزائر قد تأخر بسبب عدمِ قَبولِ الجزائريين بالتمثيل الأوربي المسيحي في بلادهم، ورفضِهم للتواجد الأجنبي فوق أراضيهم.

ثانيا: فكرة احتلال الجزائر سنة 1572.

نشر المؤرخُ الفرنسي بربريجير(A. Berbrugger)، سنةَ 1861، مقالاً في المجلة الإفريقية بعنوان "الجزائريون يطلبون ملكاً فرنسياً سنة1572م"،[27]والحقيقة أنّ هذا العنوانَ الجذّابَ، قد جعلني أسارع بقراءة هذا المقال، لعلَي أكتشف فيه فصلًا من فصول العلاقاتِ الجزائرية الفرنسية، خلال القرن السادس عشر.

---

[22] جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830, دار هومه, الجزائر, 2010م, ص49.

[23] Eugène Plantet: Les consuls de France à Alger avant la conquête 1579 -1830, Messagerie Hachette, Paris, 1930, p8.

[24] E.Watbled: "Aperçu sur les premiers consulats français dans le levant", in, R.A, A. Jourdan Libraire-éditeur, Alger, V16,1872, p32.

[25] Eugène Plantet: op.cit, p11.

[26] يقول دوفو(Devoulx) أنّ الفترة من 1586م-1597م يكتنفها الغموض, ولا يمكن التأكد إن كان دوفيا قد استمر قنصلاً طيلة هذه الفترة أو أنه استُبدل بشخص آخر, إلا أنه ومنذ 1597م يظهر اسم دوفيا على المراسلات القنصلية المحفوظة في أرشيف القنصلية الفرنسية بالجزائر. أنظر:.Albert Devoulx: Les Archives du consulat général de France à Alger, Bastide Libraire- Editeur, Alger, 1865, p4

[27] A. Berbrugger: "Les Algériens demandent un roi français en 1572", in, R.A, V5, 1861, p5.

ومحتوى هذا المقالِ المطوّل، يدور حول مراسلةٍ مؤرخةٍ في 11 ماي 1572م/980هـ، بعثها الملكُ الفرنسي شارل التاسع(Charles IX)، إلى سفيره في اسطنبول الأسقف داكس (M. d'Acqs)،[28] يُعْلمُه فيها برغبته في ضمِّ الجزائرِ إلى ممتلكاته، بعد ورود طلباتِ الجزائريين، حسبَ هذه المراسلة، للملك الفرنسي بحمايتهم من التهديد الاسباني المتزايد، بعد معركة ليبانتي(Lepante) سنة 979هـ/1571م، ويوصيه في هذه المراسلة بالسعي الحثيثِ لأخذ موافقةِ الديوان السلطاني لتحقيق هذا المشروع.[29] وكان شارل التاسع يعتقد بأنّ السلطان العثماني سيرضخ للأمر الواقع، وسيقوم بتسليم مملكةِ الجزائر إلى ابنِ أخيه الدوق دانجو(Duc d'Anjou) عِوَضَ تركِها تسقط في أيدي الاسبان.[30]

ويبدو أنّ جهودَ داكس لم تُؤتِ أُكلَها؛ إذ قوبلت الفكرةُ بالرفض من طرف السلطان العثماني. فرغم حرص الدولةِ العثمانية على تحالفها مع فرنسا، وتخوّفِها من انضمامها إلى العصبة المقدسة[31]، إلا أنها لم تُرد أن تفرِّطَ في قاعدتها المتقدمة في الحوض الغربي للمتوسط.

كما أن السفير داكس قد وجد في طلب الملك الفرنسي خطورةً وجرأةً على السلطان، وخشي أن تُودي تحركاته لدى الباب العالي بحياته، بعدما لمس ردة الفعل القوية من حكام استنبول؛ لذلك عمل على صرف نظر الملك الفرنسي عن مسألة احتلال الجزائر بإغرائه نحو ضم مملكة بولونيا، بعد وفاة ملكها. ويبدو أنّ الملك الفرنسي قد رضي بهذه "المبادلة " من سفيره بعد تيقنه باستحالة تحقيق مشروع احتلال الجزائر.[32]

إنّ هذه القضيةَ؛ التي أولاها بعض المؤرخين الفرنسيين اهتماماً[33]، وذهبوا ينسجون من وراء ذلك أحكاماً تتعلق بعلاقة الجزائريين مع الأتراك، ورغبتِهم في التقرب من الفرنسيين، لم أجد لها دليلاً بيّنًا. فباستثناء مراسلاتِ الملك الفرنسي شارل التاسع مع سفيره في اسطنبول، الأسقفِ داكس، والتي ضمّنها شاريار في مفاوضاته، لم يزودنا الذين تحدثوا عن الموضوع بوثائقَ تثبت الجانب المهمّ فيه؛ وهو طلب الجزائريين الحمايةَ الفرنسية. ويعترف بربريجير، في هذا الصدد، أنه لم يتمكن من إيجاد أي دليل في أرشيف الأهالي الذي اطلع عليه.[34]

---

[28] اسمه الكامل هو فرانسوا دو نواي(François De Noailles)، التحق بمنصب السفارة في استانبول في 13 مارس 1572م, كان على علاقة جيدة مع السلطان, خاصة بعد نجاحه في عقد السلام بين البندقية والباب العالي, وهذا ما جعله يترشح لاستلام عرش بولونيا. لكنه في المقابل لم يقدّم الكثير لبلده؛ فرنسا, وهذا ما أدى في الأخير إلى عزله في سنة 1574م. ورجع إلى أسقُفيته حتى وافته المنية في بايون(Bayoune)، سنة 1585م, عن عمر ناهز 66 سنة. أنظر: Le Comte de Saint-Priest : Mémoires sur l'Ambassade de France en Turquie, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1877, p193.

[29] E. Charrière : op.cit, T3, p114.

[30] Pierre Heinrich: op.cit, p129.

[31] العصبة المقدسة: أو الجمعية المقدسة هو تحالف عقدته، بتاريخ 25 ماي 1571م، وبرعاية البابا بيوس الخامس، الدولُ الكاثوليكية الموجودة في البحر الأبيض المتوسط بهدف كسر الأتراك العثمانيين. وكان أوّل ثمرات هذا التحالف هو هزيمة الدولة العثمانية في معركة ليبانتي في 7أكتوبر 1571م. أنظر: توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792, دار البصائر, الجزائر, 2007, ص372.

[32] A. Berbrugger: Op.cit, p10.

[33] جدير بالذكر أنّ هناك الكثير من المؤرخين الفرنسيين المهتمين بتاريخ العلاقات بين الجزائر وفرنسا لم يتكلموا عن طلب الجزائريين حمايةَ الملك الفرنسي، مثل ماسون ولابريموداي ...وغيرهما. وهذا دليل آخر على عدم ثبوت الأدلة حول الموضوع.

[34] A. Berbrugger: Op.cit, p6.

وإذا استعرضنا الأوضاعَ الداخليةَ للجزائر بعد معركة ليبانتي، وعلمنا أنها كانت تتوقع هجومَ العصبة المقدسة، وأنها كانت تموج ببعض القلاقل الداخلية، والتي استطاع الباشا عراب أحمد[35] السيطرةَ عليها في غضون أقل من سنتين. علمنا أنّ هؤلاء الطامحين لنقض تبعيتهم لحكم الأتراك، لم يكونوا يفكّرون مطلقاً في الدخول تحت حكم المسيحيين، وإنما كانوا يرغبون إمّا في الاستقلال، أو في تجديد البيعة للحفصيين؛ مثلما قام به الثائر قاسم بن أم هانئ ووالده محمد بن الأحسن في بايلك الشرق.[36]

كما أننا إذا أحصينا الأعمالَ الكبيرةَ التي أنجزها الباشا عراب أحمد، في الأيام الأولى لحكمه؛ من إجراءٍ للتعديلات البنيوية الكبيرة لمدينة الجزائر، وذلك بغرض تشديد تحصيناتها، وجعلِها مستعدةً لأي هجوم طارئ، نستنتج أنّ مدينةَ الجزائر، على الأقل، كانت تحظى باستقرارٍ سمح لها بإنجاز كلِّ تلك الأعمال في فترة وجيزةٍ.

إضافةً إلى أنّ هايدو؛ المعروفَ بتتبعه لثورات الجزائريين ضد الأتراك، لم يحدثنا عن حدوث اضطرابات، أو انتفاضات، جعلت الحكمَ العثماني في تلك الفترة مهدداً، وإنما وجدناه لم يشر إلى أي ثورة. بل أكثرَ من ذلك، فهو يشيد بإنجازات هذا الباشا.[37]

وإذا أضفنا لكل ذلك، عداءَ الجزائريين الدائم للمسيحيين، سواءً كانوا اسبانيين أو فرنسيين؛ والدليلُ على ذلك رفضُهم للتمثيل الدبلوماسي الفرنسي في الجزائر، رغم إلحاح السلطان العثماني على ذلك، كما تكلمنا عن هذا سابقا، أصبح من المستبعد تصديقُ الرواية التي تتحدث عن استغاثتهم بالملك الفرنسي. وفي هذا الصدد يقول مبارك الميلي في تاريخه معلقاً على الموضوع: "...لكنّ سياق الحوادث التي جرت في ذلك العهد وتسلسلَها، وما اشتهر به الجزائريون من تعلقٍ بالاستقلال، وقوةِ عاطفتِهم الدينية، تنفي أن يكون الجزائريون قد طلبوا من تلقاء أنفسِهم تعيينَ ملكٍ فرنسي."[38]

من كل ذلك نستنتج أنّ المطامع الفرنسية في الاستيلاءِ على الجزائر، لم تكن وليدةَ القرن التاسع عشر، وإنما تعود، على الأقل، إلى عهد شارل التاسع الذي لم يَجِد غضاضةً في استغلال الظروف الدولية الطارئة، بعد معركة ليبانتي، ليُفصحَ عن نيته في ضم الجزائر إلى ممتلكاته سنة 980هـ/1572م، بداعي حمايتِها من الخطر الاسباني؛ الذي لا يملك حتى دفعَه عن نفسه، وتعويلُه على انتفاضِ الجزائريين ضدّ الحكم التركي، بعد ادعائه بوصول طلباتِ هؤلاء للدخول تحت عرشه.

---

[35] عراب أحمد: أحد حكام الجزائر القلائل من أصول عربية؛ حيث يعود أصله إلى الإسكندرية. تولّى في ذي الحجة979هـ/ 1572م, بعد ترقية سلفه العلج علي إلى قيادة الأسطول العثماني, عقب معركة ليبانتي. اشتغل خلال فترة حكمه بتحصين مدينة الجزائر وإخماد الثورات, والاحتياط لهجوم السعديين, وكذلك المساهمة في تحرير تونس وحلق الوادي, سنة 1574م. اغتيل, في قبرص, من طرف زملائه الانكشاريين سنة 1578م. وخلفه على حكم الجزائر, سنة 1574م، رمضان باشا. أنظر: حسين بن المفتي: تاريخ بشّوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر،2008, ص42./ عمار بن خروف: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب خلال القرن10هـ/16م, دار الأمل, الجزائر, 1427هـ/2006م, ص109.

[36] عبد الكريم الفكون: منشور الهداية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ/ 1987م, ص118.

[37] Haedo F Diego de: Histoire des rois d'Alger, Trad: H.-D. De Grammont, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1881, p155.

[38] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 3 أجزاء, مكتبة النهضة الجزائرية, الجزائر, 1964, ج3, ص110.

ومن كلّ ما تقدم يمكننا القولُ أنّ العلاقاتِ الجزائرية الفرنسية، خلال القرن السادس عشر، كانت في عمومها هادئةً، وإن لم تصل إلى درجة الوئام، رغمَ التحالفِ العثماني الفرنسي، وذلك بسبب توجّسِ الجزائريين الدائم من المسيحيين. وأن الفرنسيين قد نجحوا بسبب تحالفهم مع الدولة العثمانية في الحصول على امتيازات اقتصادية وديبلوماسية في الجزائر.

كما أنّ الفرنسيين حاولوا استغلال الظروف الدولية الطارئة بعد معركة ليبانتي، لتوسيع نفوذِهم في الجزائر، ومحاولة احتلالها.

المصادر والمراجع:

1 ابن المفتي حسين: تاريخ بشوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر 2008.

2 إلتر عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

3 بن خروف عمار: العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب خلال القرن10ه/16م, دار الأمل, الجزائر, 1427ه/2006م.

4 بوعزيز يحيى: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا 1500-1830, ديوان المطبوعات الجامعية, الجزائر, 1985.

5 التلمساني محمد بن عبد الرحمان: الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تح: سليم بابا عمر، في مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، ع3, 1967.

6 الخطيب مصطفى عبد الكريم: معجم الألقاب والمصطلحات التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416ه/1996م.

7 غطاس عائشة: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1985م.

8 فريد بك محمد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: احسان عباس، دار النفائس، بيروت، 1401ه/1981م.

9 الفكون عبد الكريم: منشور الهداية، تح: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408ه/ 1987م.

10 قنان جمال: معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830, دار هومه, الجزائر, 2010م.

11 المدني توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792, دار البصائر, الجزائر, 2007، ص

12 مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، جزآن، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009.

13 مهمة دفتري رقم 35, صحيفة 122, حكم رقم 314.

14 الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، 3 أجزاء, مكتبة النهضة الجزائرية, الجزائر, 1964.

1 Berbrugger A. : “Les Algériens demandent un roi français en 1572”, in, R.A, V5, 1861.

2 Brogini Anne : “Entre France et Espagne, Les Crises dans le Comté de Nice Au XVIe Siècle”, in, Cahiers de la Méditerranée, N°74, 2007, http://cdlm.revues.org/index2073.html, 12/02/2011, 20 :15.

3 Charrière E. : Négociations de la France dans le levant, 4Tomes, Imprimerie Nationale, Paris, 1848.

4 Devoulx Albert : Les Archives du consulat général de France à Alger, Bastide Libraire- Editeur, Alger, 1865.

5 Féraud Charles : Histoire des villes de la province de Constantine. La Calle, Typ.de l’Association ouvriére V. Aillaud et Cie, Alger, 1877.

6 Garrot Henri : Histoire Générale de l’Algérie, Imprimerie P. Crescenzo, Alger 1910.

7 Haedo F. Diego de : Histoire des rois d’Alger, Trad: H.-D. De Grammont, Typographie Adolphe Jourdan Imprimeur-Libraire, Alger, 1881.

8 Hammer J.De: Histoire de l’Empire Ottoman depuis son origine jusqu’à nos jours, Trad: J.J.Hellert, 18 Tomes, Bellizard et C^{ie} Libraires, Paris, 1836.

9 Heinrich Pierre : L’Alliance Franco-Algérienne au XVIe siècle, Imprimerie Vve Mougin-Rusand, Lyon, 1898.

10 Le Comte de Saint-Priest : Mémoires sur l’Ambassade de France en Turquie, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1877.

11 Masson Paul : Histoire des établissements et du commerce français dans l’Afrique barbaresque (1560-1793), librairie Hachette et Cie, Paris, 1903.

12 Masson Paul : Les compagnies du corail, fontemoing éditeur, Paris, 1918.

13 Plantet Eugène : Les correspondances des deys d’Alger avec la cour de France (1579-1833), 2 Tomes, Paris, 1889.

14 Plantet Eugène : Les consuls de France à Alger avant la conquête 1579 -1830, Messagerie Hachette, Paris, 1930.

15 Veinstein Gilles : “Les Préparatifs de la Campagne Navale Franco-Turque en 1552 à Travers les Ordres du Divan Ottomane”, in, R.O.M.M, N° :39, 1985.

16 Watbled E. : “Aperçu sur les premiers consulats français dans le levant”, in, R.A, A. Jourdan Libraire-éditeur, Alger, V16,1872.

أثر السِّياسات الأمريكيّة في منطقة الشَّرق الأوسط: التَّأثير الأمريكيّ على الأوضاع في السُّودان أنموذجا

د. عواطف سيد احمد حمزة*

The Impact of American Policies in the Middle East "The American Influence on the Situation in Sudan as a Model"

Dr. Awatif Sidahmed Hamza

Abstract

The Middle East has emerged in the American strategic and political planning, as the United States began to exercise its sovereignty as a polar country with universal interests, and there was almost unanimity among the American presidents who succeeded in their various policies on the basic interests and the main goals that the American foreign policy and endeavour to protect Vital interests, and it was defined as those interests whose results oblige the United States to prepare to strengthen them unilaterally and by all means, including what sometimes amounts to the implementation of the military option.

The Middle East at that time was one of the most important regions that were considered an arena for international conflict, especially since this region is adjacent to the Soviet Union. It can be said that over the past fifty years, there has been a near-relative consensus among the US State Department staff on the vital interests in the Arab region.

The Middle East and Africa region are going through a very delicate and complex stage, as it is witnessing the implementation of the last stages of strategic

* باحثة في مركز ركائز المعرفة للدراسات والبحوث، حاصلة على الدكتوراه في العلاقات الدولية، السودان.

foreign plans that have been behind most of what is happening in the international arena, including what is happening in Sudan during the past decades, and Sudan with its geographical location as a bridge between the Arab region and the continent of Africa, as well as Its enormous natural resources have found themselves in the midst of a conflict of international interests, and have become the focus of increasing attention from the great powers, so they have had the upper hand in interfering in their policies and internal affairs since long historical periods. Like its peers from other Middle Eastern countries.

The importance of this research paper lies in its handling of the American interventions in the politics of the Middle East and its shedding light on it in general by successive American administrations, as well as focusing on those interventions in the internal Sudanese policies, and reversing the causes and repercussions of these interventions, and then knowing the effects of these interventions and their control over the Sudanese process.

This research also seeks to achieve a number of goals, the most important of which are:

1- Expose the causes and repercussions of the interest of the United States in the Middle East and its impact on the instability of the region.

2- Getting to know the American plan towards the Middle East.

3- Attempting to identify the reasons that prompted America to place Sudan among its interests.

4- Identifying the impact of the American intervention in the politics of Sudan and in its internal affairs since independence until now.

5- Attempting to predict the consequences of these interventions on the Sudanese state and its sovereignty.

مقدمة:

الشَّرق الأوسط مصطلحٌ سياسيّ - إستراتيجي في نشأته، واختيار التَّسمية ذا مغذىً سياسيٍّ لدى العالم العربيّ، فالشَّرق الأوسط منطقةٌ يغلب عليها طابع التَّعدّد والتَّنوُّع وليس الوحدة ، فهي خليطٌ من القوميات والسُّلالات والأديان واللُّغات، وعلى الرُّغم من عدم وجود تعريفٍ متفقٍ عليه لمنطقة الشَّرق الأوسط إلاَّ أنَّ هنالك اتفاقاً بين تلك التَّعريفات بأنَّ المنطقة من مصر إلى الخليج العربيّ، ومن تركيا وإيران إلى المحيط الهندي هي التي تمثِّل دول القلب للشَّرق الأوسط، أما الدّول الأخرى المختَلَف حول اعتبارها ضمن نطاق المنطقة هي التي تعرف بالدّول الأطراف؛ لذلك نجد أنّ هذا المصطلح يضيق ويتَّسع وفقاً للمصالح، فأحياناً يقتصر استخدامه على المشرق العربيّ ومصر والسُّودان وتركيا وإيران، وأحياناً أخرى يتَّسع ليشمل قبرص واليونان وأفغانستان وأجزاءً من القرن الأفريقيّ .

وبالتَّالي تعتبر منطقة الشَّرق الأوسط من أهم المناطق المؤثرة في توازن القوى والمصالح في العالم ، فموقعها الاستراتيجيّ الفريد جعلها محكومةً بقانون التَّداخل والتَّعارض بين الأضداد ، كما أنَّ توسط موقعها بين قارات العالم القديم أوروبا واَسيا وأفريقيا وتماسكها جغرافياً وتحكُّمها في أهم الممرات المائية الدّولية مثل قناة السّويس ومضيق باب المندب ومضيق هرمز ومضيق جبل طارق والبسفور والدردنيل، واحتضانها حوض البحر الأحمر وإشرافها على جنوب وشرق المتوسط والبحر العربيّ، وإطلالها على المحيطين الأطلنطي والهندي قد جعل منها منطقةً ذاتَ أهميةٍ قصوى في العلاقات الدّولية، وذاتَ تأثير كبير في تضارب المصالح العالمية .

لم يكن للولايات المُتَّحِدة الأمريكيّة اهتمامٌ بمنطقة الشَّرق الأوسط حتى نهاية القرن التَّاسع عشر، وأبرز الشّواهد على ذلك هو عدم مشاركة الولايات المُتَّحِدة في النَّشاطات الدِّبلوماسية المتعلقة بحفر قناة السويس ، فضلاً عن عدم مشاركتها في مراسم افتتاح القناة نفسها ، حيث أعلنت الولايات المتحدة بأنَّها ليس لديها اهتمام كبير ومباشر بالقناة ، وذلك التزاماً من الولايات المُتَّحِدة بسياسة العزلة والحياد وفقاً لمبدأ مونورو حيث رفضتْ التَّدخل في صراعات القوى الدّولية في المنطقة.

بعد الحرب العالمية الأوَّلى نتج عنها استنزافٌ كبير لاحتياطي الولايات المتحدة من البترول فبدأ اهتمامها بمنطقة الشَّرق الأوسط يكتسب أبعاداً جديدة ، بخاصةٍ بعد التَّراجع عن النَّزعة المثالية للسِّياسة الخارجية التي بدأها الرَّئيس ويلسون الذي شهد عهده إعادة تشكيل السِّياسة الخارجية الأمريكيّة بإعطاء الغلبة للقيم لا للمصالح؛ وهو التَّراجع الذي ميَّز سياسة الولايات المُتَّحِدة أخيراً بعد أن برز بصورةٍ أكثر التَّيار الذي يدعو للواقعية ولتعظيم المصالح. وقد سعت الولايات المتحدة إلى مشاركة الدّول الأوروبية انتصارها فاستهدفت من خلال دعوتها لتطبيق سياسة الباب المفتوح لتحقيق التَّكافؤ بعد الحرب العلمية الثَّانية[1].

[1] بحوث وأوراق ندوة العلاقات السُّودانية الأمريكيّة، الخرطوم7 -8 يناير 2003 ، مركز دراسات الشَّرق الأوسط وأفريقيا.

برزت منطقة الشَّرق الأوسط في التَّخطيط الاستراتيجيّ والسِّياسيّ الأمريكيّ، حيث شرعت الولايات المُتَّحِدة في ممارسة سيادتها كدولة قطبية ذات مصالح كونية، وكان هناك شبه إجماعٍ بين رؤساء الولايات المتحدة الذَّين تعاقبوا بمختلف سياساتهم على المصالح الأساسية والأهداف الرَّئيسة التي يتعيَّن على السِّياسة الخارجية الأمريكيّة حمايتها والسَّعي لتحقيقها والتِّي سُمِّيت بالمصالح الحيوية، وتم تعريفها بأنَّها تلك المصالح التي تُلزِم نتائجُها الولايات المُتَّحِدة بالاستعداد لتعزيزها بشكلٍ انفراديٍّ وبجميع الوسائل بما فيها ما يرقى أحياناً إلى إعْمال الخيار العسكريّ.

وكانت منطقة الشَّرق الأوسط حينها من أهم المناطق التي عُدَّت ساحةً للصِّراع الدّوليّ بخاصةٍ وأنَّ هذه المنطقة متاخمةٌ للاتحاد السُّوفيتيّ. ويمكن القول أنَّه على مدار الخمسين سنةٍ الأخيرة، كان هناك إجماعٌ شبه نسبيٍّ في صفوف طاقم الخارجية الأمريكيّ على المصالح الحيوية في المنطقة العربيّة[2].

تمر منطقة الشَّرق الأوسط وأفريقيا بمرحلةٍ بالغة الدِّقّة والتَّعقيد حيث أنَّها تشهد تطبيق المراحل الأخيرة للمخططات الأجنبية الإستراتيجيّة التي ظلَّت تقف خلف معظم ما يجري في السَّاحة الدّولية ومنها ما يجري في السُّودان خلال العقود الماضية، والسُّودان بموقعه الجغرافيّ كوْنُه جسراً يربط بين المنطقة العربيّة وقارة أفريقيا فضلاً عن موارده الطَّبيعيّة الهائلة، قد وجد نفسَه في خِضمِّ صراع المصالح الدّولية ، وأصبح محطَّ اهتمامٍ متزايدٍ من القوى العظمى، فكان له القدح المعلى في التَّدخل في سياساته وشؤونه الدّاخلية منذ حقبٍ تاريخيَّةٍ طويلةٍ' فألقت هذه التَّدخلات بظلالها على استراتجياته وخططه كدولةٍ ناميةٍ، وأثَّرت في تنميته مثلُه مثلَ رُصفائه من الدّول الأخرى شرق الأوسطية .

أهمية هذه الورقة البحثية تكمن في تناولها للتَّدخلات الأمريكيّة في سياسات الشَّرق الأوسط وتسليط الضُوء عليها بصورةٍ عامةٍ من قبل الإدارات الأمريكيّة المتعاقبة، وأيضاً التَّركيز على تلك التَّدخلات في السِّياسات السُّودانية الدَّاخلية ، وعكس الأسباب وتداعيات هذه التَّدخلات ومِن ثَمَّ معرفة آثار هذه التَّدخلات على مسيرةِ الدّولة السُّودانيةِ وسيادتِها.

كما يسعى هذا البحث إلى تحقيق عددٍ من الأهداف أهمها :

1- كشف أسباب وتداعيات اهتمام الولايات المُتَّحِدة بالشَّرق الأوسط وتأثير ذلك على عدم استقرار المنطقة.

2- التَّعرُّف على المخطط الأمريكيّ تجاه الشَّرق الأوسط .

3- محاولة التَّعرُّف على الأسباب التي دفعت الولايات المتحدة لوضع السُّودان ضمن اهتماماتها.

4- التَّعرُّف على تأثير التَّدخل الأمريكيّ في سياسات السُّودان وفي شؤونه الدَّاخلية منذ الاستقلال وإلى الآن .

[2] المصدر نفسه.

5- محاولة التَّنبُؤ بمآلات هذه التَّدخلات على الدّولة السُّودانية وسيادتها.

وقد اعتمد الباحث عدّة مناهج : الوصفي، القانوني ،التاريخي ودراسة الحالة.

وتكمن المشكلة التي سوف يتناولها البحث في أنَّ منطقة الشَّرق الأوسط تضُم دولاً تجمعها روابطٌ عميقةٌ منها رابط اللُّغة ، الدِّين والتاريخ المشترك، وهي منطقة ذات أهمية قصوى لما تمتلكه هذه الدّول من كلِّ مقومات النَّهضة والتَّطوُّر ولما تذخر به من موارد طبيعيَّةٍ تجعلها منطقةً آمنةً ومستقرة ولها وضعٌ ومكانةٌ في العالم مع وجود عوامل توحيدها بأكثر ممّا هي عليه مُحدِّدات تفْرقتها مَّما يجعل منها قوةً لا يمكن تجاوزها، لكن تدخلات القوى العظمى المضطردة في سياسات دول هذه المنطقة وتنافسها على مواردها قد جعل منها منطقةً غير مستقرةٍ وجعل مشاكل دولها متجذرة ومتجدّدة والسُّودان جزء أصيل في هذا الاستهداف ، وعليه فإنَّ مشكلة البحث تتلخَّص في التساؤلات الآتية:

إلى أي مدىً أثَّرت التَّدخلات الأمريكيّة في سياسات الشَّرق الأوسط "وفي السُّودان كوْنُه دولةً شرق أوسطية "؟

متى بدأ الاهتمام الأمريكيّ بالشَّرق الأوسط؟

ما الأسباب والتَّداعيات التي جعلت من الحكومات الأمريكيّة المتعاقبة تُكثِّف الاهتمام بالشَّرق الأوسط؟

إلى أيِّ مدىً تدخّلت الولايات المُتَّحِدة الأمريكيّة في شؤون الشَّرق الأوسط؟

ما الأسباب التي جعلت الولايات المُتَّحِدة الأمريكيّة تهتم بالسُّودان؟

ما السِّياسات الأمريكيّة تجاه السُّودان عبر الحِقب المختلفة ؟

تميزت العلاقات السُّودانية الأمريكيّة بالتَّذبذُب وعدم الاستقرار" ثباتٌ ثم جمودٌ ثم تحوُّلٌ في العلاقات إلى عداءٍ " ما الأسباب والتَّداعيات؟

واشتملت الورقة على الفرضيات الآتية:

1- أهمية موقع الشَّرق الأوسط الجغرافية جعلت منه منطقةَ تنافسٍ واهتمامٍ دوليٍّ.

2- امتلاك الشَّرق الأوسط للموارد الطَّبيعيّة والموارد المعدنية وامتلاكه لموارد الطَّاقة عموماً كَوْنُه أكبر منطقة لمخزون النِّفط جعلته محطَّ أنظار الحكومات الأمريكيّة المتعاقبة.

3- بترول الشَّرق الأوسط سببٌ رئيسيٌّ للاهتمام الأمريكيّ بهذه المنطقة عقب الحرب العالمية الأوَّلى.

4- الإنفراد الأمريكيّ بالعالم كقطبٍ أحاديٍّ ألقى بظلاله على مجريات الأحداث في الشَّرق الأوسط.

5- موقع السُّودان الجغرافيّ وربطه بين الشَّرق الأوسط وقارة أفريقيا ذات الموارد الطَّبيعيّة جعل من الاهتمام الأمريكيّ بالسُّودان ذا بعدٍ استراتيجيٍّ للولايات المتَّحدة الأمريكيّة.

6- شهدت العلاقات السُّودانية الأمريكيّة سكوناً وثباتاً إلى أن جاءت ثورة الإنقاذ الوطني ذات الأيديولوجية الإسلاميّة فأثارت مخاوف الإدارة الأمريكيّة تجاه مصالحها في المنطقة.

7- تطلُّع ثورة الإنقاذ الوطني وتوجهاتها للاستفادة من موارد السُّودان واستخراجها للنَّفط واهتمامها بالتَّنميّة والبحث عن الموارد المعدنية أدَّى إلى استعداء القوى العظمى والولايات المتحدة بصورةٍ خاصة ودفعها للسَّعي لإسقاطها بكلِّ الوسائل والخطط.

تتكون محاور الورقة من مقدمةٍ وأربعة محاور وخاتمة.

محاور البحث:

المحور الأوَّل – السِّياسة الأمريكيّة في الشَّرق الأوسط.

المحور الثَّاني- الولايات المتحدة وإستراتيجية الهيمنة والاحتواء "مشروع الشَّرق الأوسط الكبير ".

المحور الثَّالث- الولايات المتحدة والصِّراع العربيّ الإسرائيليّ.

المحور الرَّابع- تأثير السِّياسة الأمريكيّة على الأوضاع في السُّودان منذ الاستقلال وعبر الحقب المختلفة.

المحور الأوَّل : السِّياسات الأمريكيّة في الشَّرق الأوسط

خلفية تاريخية

البداية كانت اتفاقية سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنسا وروسيا 1916م والتي نصّت على تقاسم المنطقة بين القوى الاستعمارية الثَّلاث بدايةً لتفكيك المنطقة على النحو الذي يخدم المصالح الأجنبية ويضع حلولاً لصراعات القوى الأجنبية المتنافسة على حساب شعوب ومجتمعات هذه المنطقة العربيّة والإسلاميّة، وقد كان تقسيم سايكس بيكو هو نواة للدِّول القطرية العلمانية المنسلخة عن هويتها العربيّة الإسلاميّة.

حرِص صانعو اتفاقية سايكس بيكو على أن تكون فلسطين تحت الوصاية البريطانية تمهيداً لسلخها عن عالمها العربيّ وتأسيس إسرائيل فيها ليكون طابوراً متقدماً للحضارة الغربية والاستعمار في المنطقة، وهذا ما حدث بالفعل عام 1948م بعد نيّفٍ وثلاثين عاماً من الاحتلال البريطاني لها.

وجاء قيام إسرائيل ليكون دولةً وظيفيةً تخدم مصالح الاستعمار البريطانيّ والمصالح الأوربية على وجه العموم ثمَّ المصالح الأمريكيّة بعد الحرب العالمية الثَّانية والمتغيرات الدّولية التَّالية لها

الّتي جعلت الولايات المُتَّحِدة هي القوَّة الدّولية العظمى في ظلّ نظامٍ قطبيٍّ ثنائي.

أصبح العالم الثَّالث مجالاً لصراعات هذه القوى لتحقيق مصالحها الإستراتيجيّة، بعد أن أصبحت أوروبا الغربية منطقة نفوذٍ أمريكيّ خالصٍ وأصبحت أوروبا الشَّرقية منطقة نفوذٍ سوفيتيٍّ خالصٍ بعد أن احتلتها قوات الجيش الأحمر السُّوفيتيّ في نهايات الحرب العالمية الثَّانية وحقَّقت النَّصر على ألمانيا النَّازية وتم تقسيم مدينة برلين عاصمة ألمانيا إلى برلين الغربية وتتبع للنفوذ الأمريكيّ وبرلين الشَّرقية لتتبع إلى النفوذ السُّوفيتيّ، وربما كلّ هذه الأمور ارتبطت لاحقاً بتعزيز نفوذ القوى العظمى في منطقة الشَّرق الأوسط التي تمثِّل أهم مخزونٍ نفطيٍّ في العالم (السَّعودية، إيران، العراق) ويمثِّل المخزون النِّفطيّ في الشَّرق الأوسط 60% من مخزون العالم[3].

فبوصول ميخائيل غورباتشوف إلى السُّلطة في الاتحاد السُّوفيتيّ فكَّك غورباتشوف الإتحاد السُّوفيتيّ على أمل أن يعيد بناءه، ولكن لم تنجح حلوله التي جاء بها بل أدَّى ذلك إلى سقوط الأسطورة السُّوفيتيّة وإنفراد الولايات المتحدة كقوة أحادية وحيدة فعادت صيغةُ الاحتوائية تطغى تصاعدياً على طبيعة الأطروحات الفكرية الإستراتيجيّة المتبنَّاة من قبل الإدارة الأمريكيّة[4].

ويلاحظ أنَّ فرانك كارلوتشي الذي كان يشغل منصب وزير الدِّفاع الأمريكيّ في عهد الرَّئيس الأمريكيّ ريغان كان قد ذكر أنَّ السِّياسة الدّولية على الرُّغم من أنَّها تمرُّ بمرحلة تغييرٍ ثوريٍّ إلاَّ أنَّ هنالك عدداً من الحقائق الثَّابتة التي سوف تظلّ تفرض استمرار المصالح الأمريكيّة في المنطقة، وبالتَّالي الاهتمام الأمريكيّ بها وعلى رأس هذه الحقائق العامل الجغرافيّ والاعتبارات الإستراتيجيّة والالتزام بأمن إسرائيل .

وبصفةٍ عامَّة تُجمع التَّصريحات الأمريكيّة الرَّسمية على أنَّ الإتحاد السُّوفيتيّ في هذا الوقت وبكلِّ الظُّروف المحيطة لا يشكِّل خطراً، بل إنَّ مصادر التَّهديد الرَّئيسة تكمن في العراق وإيران وأضيف إليها الإسلام والإرهاب لاحقاً بعد أحداث 11سبتمبر2001م. وفي هذا الصَّدد يؤكِّد وليم بيري وزير الدِّفاع الأسبق أنَّ كلاً من العراق وإيران تمثلان تهديداً لشركاء الولايات المتحدة في المنطقة (السَّعودية - والكويت - ودول الخليج الأخرى) ، ويصفهما بأنَّهما دولتان رديكاليتان متنافستان في كلِّ شيءٍ ولكنهما تتَّفقان في إتباعهما لسياساتٍ تهدِّد المصالح الأمريكيّة، كما أنَّهما تمثلان تهديداً لإسرائيل بامتلاكهما أسلحةً كيمائية وبيولوجية على حدِّ قوله.

في عام 1908م تمَّ اكتشاف بترول إيران بكميات اقتصادية, وواكب ذلك بداية اهتمام الولايات المُتَّحِدة الفعلي بالمصالح الاقتصادية الخارجيةوذلك في عهد الرَّئيس وليم تافت, حيث بعث إلى السَّفير الأمريكيّ بتركيا في 1911م يطالبه بوجوب تركيز اهتمامه على المصالح الحقيقية للولايات المُتَّحِدة في الشَّرق الأوسط.

[3] بحوث وأوراق ندوة العلاقات السُّودانية الأمريكيّة، مصدر سابق.

[4] محمد المصطفي الضو أحمد، السياسة الأمريكيّة في الشَّرق الأوسط بعد الحرب الباردة 1990-2005 , يناير 2011م، الناشر: ركائز المعرفة للدراسات والبحوث.

ايضاً ومن ضمن الإستراتيجية الأمريكية وسعيها المتواصل للسيطرة على الطاقة في الشرق الأوسط ، حصلت شركة أمريكيّة 1930 على امتياز التَّنقيب عن البترول في البحرين, كما حصلت شركة ستاندرد أويل أوف كلفورنيا على امتياز التَّنقيب في السَّعودية والذي أعقبه انضمام مجموعة من الشَّركات العاملة في السَّعودية في شركةٍ ضخمةٍ هي الشَّركة العربيّة الأمريكيّة للبترول, وفي 1943م حصلت الولايات المتحدة على امتياز التَّنقيب في الكويت وفتحت الولايات المتحدة أوَّل سفارة لها في الخليج العربيّ عام 1941م وكانت في الرياض.

في مواجهة عالم منهار بعد الحرب الثَّانية وضعت الولايات المتحدة إستراتيجية لتحل محل القوى الرَّئيسية "فرنسا، بريطانية والمنافسة السُّوفيتيّة "ونتيجة عن التنافس كتلتين وهما الكتلة الشَّرقية والكتلة الغربية ودخلا في حرب باردة من أجل المصالح والنفوذ في مختلف أنحاء العالم.

ولكي تحمي الولايات المتحدة مصالحها الحيوية في المنطقة العربية وضعت الولايات المتحدة مجموعة من الخطوات تتضمن الآتي :

1- ملء الفراغ الذي تركته دول الاستعمار القديم لذلك خطَّطت الولايات المتحدة لإحكام سيطرتها على المنطقة عبر سلسلةٍ من الإجراءات بدأت بمشروع الضَّمان الجماعي العربيّ 1949م ثم أتبعتها بـ:

أ- مشروع قيادة الدِّفاع عن الشَّرق الأوسط.

ب- مشروع حلف بغداد[5].

ج- مشروع ايزنهاور 1957م (أصدر الكونغرس قرار منح رئيس الولايات المُتَّحِدة تقديم المعونة الاقتصادية والعسكرية للشَّرق الأوسط).

د- التَّدخل في النِّزاع العربيّ الإسرائيليّ في جميع مراحله والمحافظة على أمن إسرائيل وتفوُّقها على العرب.

2- أهمية الشَّرق الأوسط، الموقع والثَّروات.

3- انتقال قاعدة النُّفوذ الصُّهيونيّ بعد الحرب العالمية الثَّانية من انجلترا إلى الولايات المتحدة.

4- تأمين حصول الولايات المتحدة والغرب على النِّفط وبسعر معقول.

5- ابعاد الاتحاد السُّوفيتيّ عن منطقة الشَّرق الأوسط.

6- معارضة الولايات المتحدة مشروعاتٍ قوميةً مثل الوحدة العربيّة أو الإسلاميّة[6].

[5] محمد المصطفي الضو أحمد، مصدر سابق، ص 41.

[6] المصدر نفسه، ص ص50-51.

سقطت الإمبراطورية السُّوفيتيّة وبدأ عهدٌ جديدٌ أو ما يسمَّى بنظامٍ عالميٍّ جديدٍ أحادي القطبية بقيادة الولايات المُتَّحِدة التي سارعت لوضع ترتيبات قيادتها الجديدة للعالم، فدفعت بأطرافٍ عربيةٍ في منطقة الخليج العربيّ ذات الأهمية الخاصة في الإستراتيجيّة الأمريكيّة إلى خلق مشكلاتٍ قادت إلى كارثة حرب عاصفة الصَّحراء التي حقَّقت من خلالها الولايات المُتَّحِدة أهدافها ابتداءً من السَّيطرة على منابع النِّفط والتَّحكُّم في تصديره وانهيار أسعاره وممارسة الضُّغوط على الدّول التي بدأت تنافسها اقتصادياً مثل ألمانيا واليابان، ودولاً أخرى تعتمد في جزءٍ كبيرٍ من صناعتها على النِّفط العربيّ، إضافة إلى تحقيق أهداف إسرائيل بتدمير الجيش العراقي والذي يشكِّل مع الجيشين المصري والسُّوريّ نوعاً من التَّوازن في ميزان القوى العسكرية في المنطقة ، وإعلان الرَّئيس الأمريكيّ جورج بوش الأب النِّظام العالميّ الجديد بقيادة الولايات المُتَّحِدة على أنقاض النِّظام العربيّ من مصدر قوَّةٍ وجبروتٍ يمكنه من إعادة تشكيل العالم وتوزيعه إلى مناطق وتكتلاتٍ إقليميةٍ تخدم المصالح الأمريكيّة ومِنْ ثَمَّ بقية القوى العظمى، فاستخدمت الولايات المُتَّحِدة مجموعةً من الوسائل والمشروعات وبكل الطُّرق للسَّيطرة على الشَّرق الأوسط والتَّدخل في سياساته.

المحور الثّاني :الولايات المتحدة وإستراتيجية الهيمنة والاحتواء "مشروع الشّرق الأوسط الكبير "

مشروع الشَّرق الأوسط الكبير ولد في العام 1990م، طرحته الولايات المُتَّحِدة على مجموعة من الدّول الصِّناعية الثمانية الكبرى وهدفُه إعادةُ صياغةِ منطقة الشَّرق الأوسط بطريقةٍ تضمن انسياب مصالح هذه الدّول الصِّناعية[7]. لقد أشار تقرير التَّنميّة الإنسانية للعالم 2002م والصَّادر بتمويل من برنامج الأمم المُتَّحِدة الإنمائي والصُّندوق العربيّ للتَّنميّة الاقتصاديةوالاجتماعية بصورةٍ مباشرةٍ لسلبيات الواقع العربيّ ذات الصِّلة بالتَّنميّة الإنسانية وسجَّل إدانةً بعد أن حدَّد بالأرقام الحالة المتردية للعالم العربيّ في مجال الحرية والدِّيمقراطيَّة ومشاركة النِّساء والتَّعليم إلى ضرورة أن تعمل الدّول العربيّة على تأسيس مجتمعاتها بشروطٍ أساسيةٍ وهي :

1- الاحترام الكامل للحريات الإنسانية.

2- تمكين المرأة بإتاحة الفرصة أمامها كاملةً والمساواة مع الرَّجل.

3- اكتساب المعرفة وتوظيفها في بناء القدرات .

رغم أنَّ الذي ورد في التَّقرير يؤكد على حقائقَ وسلبياتِ ونواقصَ المنطقة العربيّة إلاَّ أنَّ التقرير قد تجاهل الإدانة الواضحة للاحتلال الإسرائيليّ باعتباره المعوِّق الأساسي للتَّنميّة في الوطن العربيّ وكذلك تجاهل التقرير حقيقة تحميل إسرائيل مسؤولية إعاقة التَّنميّة ليس فقط في المناطق المحتلة وإنما في الوطن العربيّ كلِّه لأنَّه أربك الأوَّلويات الوطنية وأعاق التَّنميّة وشوَّه البرنامج الاقتصادي ، لقد تجاهل مشروع الشَّرق الأوسط الكبير هذه الإدانة؛ وفي ردّ فعلٍ غير موضوعية

[7] خالد حسين، العلاقات السُّودانية الأمريكيّة في الفترة من 1989-2010, مركز السُّودان للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة, الخرطوم 2010م, ص10.

وصف إسرائيل بأنَّها الدّولة الدِّيمقراطيَّة الوحيدة في المنطقة استناداً لتقرير فريدوم هاوس. كذلك إنَّ المشروع يهدف إلى إدراج إسرائيل -كسراً لعزلتها- في إطار نسقٍ إقليميٍّ جديدٍ من خلال مشروع الشَّرق الأوسط الكبير الذِّي ضمَّ إلى جانب الدّول العربيّة باكستان وأفغانستان وإيران وتركيا وإسرائيل.

انتهجت الولايات المُتَّحِدة - سياسة وإستراتيجية الهيمنة والاحتواءفي أروقتها والبحث عن عدو بديلٍ والرَّغبة في ملء الفراغ الدّولي الكبير الذي خلَّفه غياب السوفيت، وكانت القوَّة الأكثر اقتداراً وجاهزية هي قوى التَّيار المحافظ الأمريكيّ (العلماني والدِّينيّ) ومناصرو التَّيار الليكودي والتي قفزت إلى السَّطح في انتخابات 2000م، وقوى المحافظين الجدد وهي التي تأسَّس منظورها السِّياسيّ على اعتبار المنطقة العربيّة مجالاً حيوياً مركزياً لخدمة مصالح السِّياسة الأمريكيّة والسَّيطرة على النِّفط وممرات نقله وسياسات تسعيره وتأمين إسرائيل. أيضاً يتطلَّع ذلك اليمين إلى تذويب عناصر القوَّة والحيوية في الثَّقافة العربيّة والإسلاميّة باعتبارها ثقافة ممانعة ومقاومة من حيث الأصل لسياسة الاحتواء والإخضاع والتَّركيع.

بعد سقوط بوش الأب وصعود الديمقراطيين بقيادة بيل كلينتون في الفترة (1992-2000م) تحوَّلت قدرات وأهداف اليمين الدِّينيّ بعد الحرب الباردة نحو مشروعهم المركزي لمدخل الألفية الثَّالثة والذي أخذ عنوان (نحو قرنٍ أمريكيّ جديد) والذي تمَّ أعداده في مراكز ومصانع الأفكار وأجهزة الأعلام وبإسناد من قوى الاحتكار الدّولية في مجال السِّلاح والنِّفط والرأسمال المالي في عهد كلينتون، وكانت العقيدة السِّياسيّة والعسكرية قائمة على الاحتواء والرَّدع[8]، وهي التي حكمت توجهات ومسارات السِّياسيّة الخارجية الأمريكيّة منذ نهاية الحرب الثَّانية وبعد الحرب الكورية سنة 1951م، وهي عقيدة مؤسسة على احتواء الفضاء الشُّيوعيّ وشرق أوروبا ووسط آسيا والتَّهيؤ لاستخدام آليات وقدرات الرَّدع واستمرَّت حتى سقوط الإتحاد السُّوفيتيّ، فقد ظلت هذه العقيدة حاكمةً وموجهةً للأهداف الكلية للسِّياسة الخارجية الأمريكيّة حتى سقوط (إمبراطورية الشَّر) كما يطلق عليها وأيدلوجياتها ومعسكرها بعد انهيار جدار برلين 1989م .

تولى بوش الابن مقاليد الحكم ووجّه سياسته تجاه الشَّرق الأوسط بل تجاه العالم بتبنِّي مكافحة الإرهاب عبر القيام بضرباتٍ استباقية وإجهاضية، فأصبحت الهيمنة الأمريكيّة واقعاً حتمياً يواجه العالم بأجمعه؛ وحفاظاً على الجهود المستمرة وإعطاء ديمومة للتَّحركات الأمريكيّة في هذا المجال نظر مفكروا الولايات المُتَّحِدة لإيجاد عدو جديد ليكون بديلاً للاتحاد السُّوفيتيّ وكان العدو هو الإسلام والحضارة الإسلاميّة وبقي الحال على هذا المنوال حتى جاءت أحداث 11 سبتمبر 2001م حيث أعلن بوش الابن على أثرها الحرب على الإسلام في خطابه الأوَّل بعد الحادثة، وقال إنَّها حربٌ صليبية وبدأت الحرب تحت مسمَّى مكافحة الإرهاب، وأنَّ الأمن الأمريكيّ لم يعد بعد محصوراً بالحدود الجغرافية للولايات المتحدة بل شمل كلَّ المناطق التي توجد فيها مصالح أمريكيّة، أي أغلب مناطق العالم والشَّرق الأوسط بصورةٍ عامة.

[8] خالد حسين، مصدر سابق، 11.

ولكن من غير المعتقد أنَّ السّياسة خصوصاً الخارجية مرتبطة بأشخاص تنتهي مع انتهاء ولايتهم وتبدأ مع بداية آخر. السّياسة لها صنَّاعها وهؤلاء الأشخاص ليسوا سوى مساهمين ومشاركين في صناعتها، وهنا قد يلعب الرَّئيس في المدِّ والجزر- إن جاز التَّعبير- ولكن لا يستطيع التَّغيير.

فبعد مجيء الرَّئيس الأمريكيّ أوباما إلى السُّلطة كانت سياسته مقارنة ببوش الابن أكثر اعتدالاً، حيث اتسمت فترة السَّنوات الأربع من ولاية أوباما بالهدوء والتَّصالح مع العالمين العربيّ والإسلاميّ والذي عكس بوضوح ما يمكن أن نطلق عليه عقيدة أوباما السّياسيّة (Obama Doctrine) التّي تؤكِّد على التَّفاوض والتَّعاون بدلاً عن المواجهة والأحادية في الشُّؤون الدّولية والتي تعد انقلاباً فكرياً على سياسة سلفه جورج بوش الابن الذي يؤمن بالإفراط في تغليب نظرية القوَّة وإستراتيجية «تغيير الأنظمة» في الشؤون الدّولية والعمل الأمريكيّ المنفرد وعدم الاعتماد على الحلفاء أو المنظمات الدّولية.

كانت ولاية أوباما الأولى بمثابة تطبيقٍ حرفيٍّ لهذه العقيدة من خلال إصلاح ما أفسده سلفه جورج بوش، وإعادة ترميم صورة بلاده دولياً في عددٍ من الملفات أبرزها الملف الأفغانيّ والملف العراقيّ والملف النَّوويّ الإيراني الذي انتهجت إدارة أوباما أسلوب الدِّبلوماسية واستخدام الأدوات السِّلمية في التَّعاطي معه.

ركَّزت خطابات الرَّئيس الأَولى عن الشَّرق الأوسط والتي تضمنتها كلمته في القاهرة في العام 2009، على عملية السَّلام العربيّة الإسرائيليّة وأن الوقت ليس متأخراً جداً لإنعاشها [9]، اعتقد الرَّئيس أوباما أنَّ أهم موضوع في المنطقة كان هو الموضوع العربيّ الإسرائيليّ في العام 2009م، لكن هذا الموضوع يتنافس راهناً مع أزماتٍ أخرى مهمة جداً في المنطقة وهي موضوع إيران وسورية ومصر، فضلاً عن ثورات الرَّبيع العربيّ والتي ستهيمن على المحادثات بين الجانبين.

كان خطأ أوباما الأساسي هو إثارة توقعات بدون عقد النِّية على متابعتها. وقد ظنَّ العرب أنَّ الولايات المُتَّحِدة ستدفع فعلاً باتجاه موضوع التَّسوية وتضغط على إسرائيل من أجل القبول بها واعتقدوا أنَّها ضرورية. ومن جهة أخرى ظنَّ الإسرائيليّون أنَّ واشنطن تبالغ في دفعها بالأمور، ولذلك انتهى المطاف بكلا الطَّرفين لأن يصابا بخيبة أمل، لذلك فقد وصفت سياسة أوباما في الشَّرق الأوسط بالمائعة وعدم المستقرة[10].

المحور الثالث: الولايات المتحدة والصِّراع العربيّ الإسرائيليّ

لم يستطع أي رئيس أميركي مقاومة فكرة أن يسجل في التَّاريخ أنَّه قام بتحقيق السَّلام في الأراضي المقدسة، رغم كل التَّحذيرات التي عادةً ما تأتي من خبراء محنكين وأنَّ الفكرة مستحيلة وأنَّ السَّعي وراءها قد يجعل الرَّئيس يفقد أرصدةً سياسيةً أخرى لأسبابٍ معروفة، منها ما هو

[9] خالد حسين، مصدر سابق، ص190.

[10] المصدر نفسه، ص150.

مرتبط بالثَّقافة البروتستانتية الأميركية، ومنها ما هو مرتبطٌ بما هو معروف في الدَّوائر الأميركية بأمن إسرائيل، ومنها ما هو لصيقٌ بالمصالح الأمريكيّة في الشَّرق الأوسط والنِّفط في المقدمة منها وإنَّ المؤشرات التي تبلورت حول النِّظام الإقليمي الشَّرق أوسطي تشير إلى أنَّ الاتجاه حسم لصالح تثبيت نظامٍ أمنيٍّ وسياسيٍّ واقتصاديٍّ جديدٍ في الشَّرق الأوسط يعزِّز السَّيطرة الأمريكيّة، ويضفي على إسرائيل دوراً خاصاً في صياغة مشروعٍ متكاملٍ متعدِّد الجوانب: اقتصادية وتجارية ومالية وبيئية ؛ كما يشمل التَّربية والتَّعليم والأمن العسكري والسُّكان.

ومنذ ذلك الوقت وحتى يومنا هذا تشهد الولايات المُتَّحِدة حالةً قد تصل إلى الإجماع حول كون إسرائيل دولةٌ إستراتيجيةٌ هامة في السِّياسة الأميركية في المنطقة، وعلى الرغم من وجود بعض الأصوات الرافضة لهذا الإجماع إلاَّ أنَّها لا تزال تمثل صوتاً خافتاً في مقابل الطَّرف الآخر الذي لا ينظر فقط إلى أهمية إسرائيل" في المنطقة بل يتجاوز ذلك بوصف تل أبيب كحليف واحد ووحيد لواشنطن في الشَّرق الأوسط.

والجدير بالذكر أنَّ السِّياسة الأوروبية أيضاً تتسم بعدم التَّوازن والميل نحو الجانب الإسرائيليّ. فالبيانات السِّياسيّة الأوروبية تهدف إلى تهدئة العرب مع منح إسرائيل الوقت لإنهاء خططها فيما يخص احتلال الأراضي.

والخلاصة أنّه يمكن القول بأنَّه ليس للولايات المُتَّحِدة محدداتٍ ثابتةٍ في سياستها تجاه الشَّرق الأوسط في فترة ما قبل الحرب العالمية الأوَّلى، حيث تتمثَّل المصالح الأمريكيّة في تلك الفترة في البعثات الأمريكيّة التبشيرية، ثم مصالح ثانوية في فترة ما بين الحربين العالميتين كالحفاظ على الطُّرق والمواصلات التي تربط أفريقيا بآسيا وغيرها من المصالح الثَّانوية، ونسبةً لتطبيق الولايات المتحدة لمبدأ مونور لم يكن لها اهتمامٌ كبيرٌ في شأن الشَّرق الأوسط إلى أن جاءت الحرب العالمية الثَّانية والتي أخرجت الولايات المُتَّحِدة من سياسة العزلة ، وأصبح للولايات المتحدة مصالح أكثر أهمية مما كانت عليه في الفترات السَّابقة، حيث شغلتها هذه المصالح في فترة ما بعد انتهاء الحرب الثَّانية حتى نهاية الحرب الباردة 1989م " بسياسة الاستقطاب " استقطاب دول الجوار للإتحاد السُّوفيتيّ من أجل حصر الخطر الشُّيوعيّ الأحمر حتى لا يغلق الطُّرق العالمية ويحتكر نفط الشَّرق الأوسط.

ما بعد الحرب الباردة أصبحت الولايات المُتَّحِدة القطب الأوحد وهي من أكثر الفترات تدخلاً في السِّياسات الشَّرق أوسطية، وأوكلت لنفسها قيادة العالم، وفي هذه الفترة تمثَّلت محدِّدات السِّياسة الخارجية الأمريكيّة في الحفاظ على إسرائيل وإزالة بقايا الاتحاد السُّوفيتيّ، بالإضافة لذلك إنهاء ظاهرة الخطر الإسلاميّ الأخضر الذي حلَّ محل الخطر السُّوفيتيّ الأحمر على حدِّ التَّعبير الغربيِّ، وفي المطامع البترولية. وفي هذا الصَّدد نجد أنَّ السِّياسة الأمريكيّة ذات صلة بالشَّرق الأوسط تربط بينه وبينها مواقف الحلفاء الإقليميين ومقدار تعاونهم وفق إستراتيجية مشتركة تعرض الأهداف والغايات والتَّهديدات التي تواجه المصالح الأمريكيّة في المنطقة .

المحور الرابع: تأثير السّياسة الأمريكيّة على الأوضاع في السّودان منذ الاستقلال وعبر الحقب المختلفة

مقدمة تاريخية:

المتتبع للعلاقات الأمريكيّة السّودانية منذ الاستغلال يجد أنّها لم تأخذ شكلاً مستقراً فهي تتراوح بين الهدوء والتّوتّر، وترجع بداية الاهتمام الأمريكيّ بالسّودان إلى زيارة الرّئيس الأمريكيّ ثيودور روزفلت للسّودان 1910م, بدأت العلاقات فعلياً عند محاولة الولايات المتحدة تسوية الخلافات المصرية البريطانية بعد قيام ثورة يوليو 1952م وفي إطار استعدادها لوراثة النّفوذ البريطانيّ في المنطقة, ففي عام 1953م طلبت الولايات المُتّحِدة أن تكون عضواً في لجنة دولية للإشراف على الانتخابات في السّودان، ثم جاءت زيارة نائب الرّئيس الأمريكيّ ريتشارد نيكسون للسّودان في نهاية الخمسينيات لقفل الطّريق أمام التّمدد السّوفيتيّ وحركات التّحرر الأفريقيّة ذات النّزعة الاشتراكية حاملاً معه ظاهرياً مشروع ايزنهاور لتقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية للسّودان، حيث بدأت العلاقات السّودانية الأمريكيّة فعلياً في الخمسينيات حيث وقّعت أول اتفاقية للتّعاون في 1958/3/31م وتمّ تجديدها سنة 1973م بما يسمى ببرنامج المعونة الأمريكيّة وقد شمل العون الاقتصاديّ الأمريكي الآتي:

- عون المشروعات التّنموية
- العون الغذائي المتمثل في القمح
- العون السّلعيّ

وتطورت العلاقات بعد مبدأ إيزنهاور وبعد برامج المعونة الأمريكيّة المذكور آنفاً، والتي كان الهدف منها المصالح السّياسيّة. ثم حدثت ضغوط شعبية عطّلت برنامج المعونة، فقد وقع انقلاب الفريق ابراهيم عبود في السودان في 17 نوفمبر 1958م ، ووافقت الحكومة السودانية آنذاك على استمرار ببرنامج المعونة الأمريكيّة من خلال تنفيذ مجموعة من المشاريع، منها مشروع "سكر الجنيد" وطريق "الخرطوم مدني". ثم انتقلت العلاقات بين البلدين إلى الزيارات المتبادلة حيث زار الرّئيس السّوداني عبود الولايات المتحدة سنة 1963م بالإضافة إلى أنّ سكرتير الحزب الشّيوعيّ السّوفيتيّ ليونيد برجنيف زار السّودان في نوفمبر 1959م . وفي هذه الفترة كانت السّياسيّة الخارجية السّودانية مائلة للتّوازن بين الشّرق والغرب، حيث أن محمد خير المحامي وزير الخارجية السّودانية آنذاك سعى للتّوازن بكل ما يملك من إمكانيات، ومع أنه كان مدركاً أنّ قيام علاقات طبيعية مع الولايات المتحدة أمر حيوي بالنسبة للسّودان إلاّ أنّه كان يميل إلى علاقات جيدة مع الاتحاد السّوفيتيّ في إطار مساعيه في تحقيق التّوازن في سياسة السّودان الخارجية.

في العهد الديمقراطي الثّاني بعد ثورة أكتوبر لم تكن علاقات السودان مع السوفيت سيئة ولكنها كانت تميل أكثر إلى الولايات المتحدة، وكان وزير الخارجية السوداني آنذاك محمد أحمد المحجوب أميل إلى العلاقات مع الغرب مع وجود علاقات جيدة مع السوفيت. لكن العلاقات

السُّودانية الأمريكيّة طرأ عليها تدهورٌ كبيرٌ "بل تم قطعها" بسبب العدوان الإسرائيلي على مصر والأردن وسوريا في 5 يونيو 1967م.

في التَّاسع من يونيو 1967م استدعى الوزير المحجوب السفير الأمريكيّ في الخرطوم وأبلغه رؤية السُّودان في أنَّ الدَّعم الأمريكيّ المباشر لإسرائيل عسكرياً وسياسياً هو الذي دفعها للعدوان على الدّول العربيّة وأنَّ السُّودان يحمِّل الولايات المتحدة نتيجة العدوان كاملةً ويرى أنَّه لا جدوى من استمرار العلاقات بين البلدين في ظلِّ الظُّروف الرَّاهنة وأنَّه يبلغ السَّفير الأمريكيّ قطع العلاقات مع الولايات المتحدة 1967م.

استمرت العلاقات الأمريكيّة السُّودانية على حالها من السُّوء والتَّوتُّر حتى وصل الرَّئيس الأسبق المشير جعفر النميري للسُّلطة بانقلابٍ عسكريٍّ مدعومٍ من الحزب الشُّيوعيّ السُّودانيّ، ورغم أنَّ النميري لم يكن شيوعياً إلاَّ أنَّه تأثَّر بالخط اليساريّ والاشتراكيّ نتيجةً للتَّحالف القائم بينه وبين الحزب الشُّيوعيّ، ممّا أسهم في التَّقارب الكبير بين السُّودان والمعسكر الاشتراكيّ وبين قيادة الاتحاد السُّوفيتيّ، الأمر الذي أبقى العلاقات السُّودانية الأمريكيّة على حالها من السُّوء.

في 19 يوليو 1971م قام العسكريون الشُّيوعيّون بانقلابٍ عسكريٍّ وأعلنوا أنَّهم أطاحوا بحكم الرَّئيس النميري, إلاَّ أنَّ الانقلاب لم يستمر سوى ثلاثة أيامٍ وانتهى بعودة النميري للسُّلطة في 22 يوليو 1971م , وكان من نتائج فشل الانقلاب الشُّيوعيّ الطلاق البائن بين النّميري والحزب الشُّيوعيّ السُّودانيّ, وتحوَّل النميري إلى المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة, وكانت بداية العلاقات السُّودانية الأمريكيّة هي اتفاقية أديس أبابا في مارس 1972م بين الشَّمال والجنوب, التي تمَّ فيها منح جنوب السودان الحكم الإقليمي الذَّاتيّ, وكانت تلك هي البداية الحقيقية للعلاقات السُّودانية الأمريكيّة التي ظلَّت وثيقةً حتى قيام انتفاضة أبريل 1985م التي أطاحت بحكم الرَّئيس النميري وإعادة الحكم الحزبي إلى البلاد[11].

وفي عهد الدِّيمقراطيَّة الثَّالثة ظلَّت العلاقات السُّودانية الأمريكيّة لم تبارح مكانها أو في حالة جمود، وتم إيقاف التَّنقيب عن البترول وتقلَّص العون العسكري إلى 26 مليون دولار في 1988م وتقلَّص حجم البعثة الدبلوماسية الأمريكيّة في السُّودان بل بدأت الخارجية الأمريكيّة تنصح رعاياها بعدم السَّفر للسُّودان, وقد كانت حكومة السيد الصادق المهدي تسعى إلى تحسينها حتى يعود الانفتاح على العالم لسوء الوضع الداخلي في السُّودان ولا سيما الأوضاع المتفجرة في الجنوب والدَّعم الكبير الذي يتلقاه التمرد من الدّول الغربية, ولكن العلاقات لم تتقدم بأي حالٍ من الأحوال, ويرى الصادق المهدي حينها التَّصرف الأمريكيّ كردة فعلٍ على استقلال القرار السُّوداني في العلاقة بليبيا وإيران حتى وصول حكم الإنقاذ إلى السُّلطة بانقلابٍ عسكريٍ أبيضاً هذه المرّة بقيادة العميد عمر حسن أحمد البشير في العام 1989م.

[11] خالد حسين، مصدر سابق، ص170.

بعد مجيء حكومة الإنقاذ 1989م وجدت ترحيباً في البداية من الحكومة الأمريكيّة, بل إنَّ بعض رجالات الإدارة الأمريكيّة فكروا في تجميد القانون الأمريكي (513) الذي يمنع التَّعامل مع النُّظم السُّلطوية التي تطيح بالحكومات المنتخبة، وذلك لأداء الحكومة السَّابقة وتمحور سياستها بين محوري(ليبيا - إيران) و (القاهرة - الرياض).

نجد أنَّ العلاقات السُّودانية الأمريكيّة في هذه الفترة ظلَّت على حالها من الجمود ثم تغيَّر الأمر بعد ذلك بسبب المتغيرات الإقليمية والدّولية بانهيار الاتحاد السُّوفيتيّ وأصبحت الولايات المُتَّحِدة الأمريكيّة هي الدّولة العظمى الوحيدة في العالم، كما حدثت مجموعة من الأحداث والسِّياسات جعلتها تركِّز الانتباه للسُّودان ومن ثَمَّ وضعته في سلّم أولويات سياستها الخارجية واشتد عداؤها للسُّودان وتحول ملف السُّودان لدى الإدارة الأمريكيّة من ملفٍ نشطٍ إلى ملفٍ ساخنٍ مفتوحٍ على الدَّوام لأسباب من أهمها:

- التَّوجه الإسلاميّ لنظام الإنقاذ.
- النَّزعة الاستغلالية لحكم الإنقاذ وسعيه إلى علاقات تخدم مصالح السُّودان ولا تتجاهل المصالح الأمريكيّة وهذا الأمر لا تريده الولايات المتحدة.
- انفتاح السُّودان على الصّين وماليزيا وشرق آسيا ثم استغلاله لثرواته النِّفطيّة بدعم صينيّ، تعاظمَ أثره السلبي على العلاقات السُّودانية الأمريكيّة، فردّت عليه الولايات المُتَّحِدة الأمريكيّة بتقديم دعمٍ كبيرٍ لحركة التَّمرد الجنوبي بقيادة المتمرد الرَّاحل جون قرنق.

في يناير 1990م صدر خطاب لمدير بعثة الوكالة الأمريكيّة للتَّنميّة بالخرطوم يوضح فيه تفعيل العمل بالقانون الأمريكي 513 الذي ينص على إيقاف الدعم الاقتصادي للدِّول التي تستبدل النِّظام الديمقراطي بالنِّظام العسكري. نجد أن العلاقات السُّودانية الأمريكيّة في فترة التسعينيات قد اتسمت بالتَّوتُّر والعداء, حيث سعت الولايات المُتَّحِدة لفرض الحصار على السُّودان بعد ما صنفته نظاماً معادياً بعد مجيء حكومة الإنقاذ في يونيو1989م.

منذ 1990م تم توظيف آليات وإستراتيجيات الرَّدع والاحتواء لممارسة أعلى معدلات الضَّغط والابتزاز وأتى ذلك التدبير في منظومة تحالفات منظمة تقودها الولايات المُتَّحِدة ، بريطانيا ، هولندا ، النرويج ، إيطاليا والدّول الأفريقيّة المجاورة والعربيّة، وكان يقود هذه السِّياسات أنذاك المستوى الميداني والدبلوماسي والاستخباراتيّ كلٌّ من مادلين أولبرايت وسوزان رايس مساعدتها للشئون الأفريقية وأنطوني ليك رئيس إدارة الأمن القومي، وقائد الاستخبارات روجر انتر ووزير التَّعاون الدّولي الهولندي يان بروك تساندهم كلٌّ من المنظمات التطوعية والاستخباراتية والتبشيرية.

جاءت فكرة احتواء السُّودان من الخارج وإسقاط الحكم فيه من دول الجوار والمعارضة بالخارج لتحقيق غايات أبرزها:[12]

[12] التقرير السنوي للعام 2005 الذي أصدره مركز دراسات الشَّرق الأوسط وأفريقيا في السُّودان.

1- تصفية النِّظام الإسلاميّ في الخرطوم.

2- فتح الطريق أمام مشروع السُّودان الجديد (تصفية المؤثر العربيّ الإسلاميّ في السُّلطة السِّياسيّة والاقتصادية).

3- السَّيطرة على موارد السُّودان البكر.

4- تأمين الأوضاع على امتداد إقليم القرن الأفريقيّ الكبير (إقليم البحيرات العظمى والقرن الأفريقيّ).

5- اعتبار منطقة القرن الأفريقيّ الكبير إحدى رؤوس الجسر الذي يربط مناطق إنتاج النِّفط في ساحل غرب أفريقيا وخليج غينيا على المحيط الأطلسي والبحر الأحمر والخليج العربيّ وصولاً لبحر العرب فباكستان، وبراً نحو أفغانستان لتستقر المصالح على بحر قزوين في وسط أسيا الذي يوجد به ثاني أكبر احتياط نفطي مؤكد بعد احتياط الخليج، وقد تم رفع هذا المشروع في فبراير سنة 1998م إلى الرَّئيس كلينتون للشروع في إنفاذه كأحد أهداف السِّياسة الأمريكيّة حول العالم بهدف أمركة الدنيا.

أشار مشروع القرن الأمريكيّ للسُّودان بأنَّه دولةٌ عصيَّةٌ ومارقةٌ، لذلك لابدَّ من إحداث التغيير الشَّامل فيه وإبدال الأوضاع فيه على نسقٍ يخدم الطموحات الكونية الاستعلائية والعنصرية لمشروع القرن الأفريقيّ الجديد والقوى المسيحية الصُّهيونِيّة.

التطبيقات العملية للضغوط الأمريكيّة على السودان

- في 18 /1993/8م قامت وزارة الخارجية الأمريكية بإدراج السُّودان في قائمة الدّول التي ترعى الإرهاب.

- فرض حصار اقتصاديٍّ على السُّودان من خلال القوانين الدَّاخلية الأمريكيّة ووضع العراقيل أمام تعاونه مع المؤسسات الاقتصادية الدّولية والإقليمية.

- محاولة إسقاط الحكومة السُّودانية عبر الدّول المجاورة من خلال أربعة محاور (أوغندا، إثيوبيا ، مصر، أريتريا).

- اصدار القرار رقم (1044) من مجلس الأمن الدولي في 1996/1/31م والذي طالب فيه السُّودان تسليم ثلاثة مطلوبين في محاولة اغتيال الرَّئيس المصريّ حسني مبارك.

- دعم المعارضة السُّودانية الممثلة في الحركة الشعبية لتحرير السُّودان والتجمع الوطني الديمقراطي.

- أصدر مجلس الأمن الدولي قرار (1054) في 1996/4/25م , الذي طالب فيه السُّودان بتنفيذ القرار السابق رقم (1044)، بجانب فرض عقوبات دبلوماسية إضافية على

المسئولين السُّودانيين -التزمت بها خمس دول (الولايات المتحدة- بريطانيا- مصر- كندا- النمسا).

- ثم القرار(1070) من مجلس الأمن الخاص بحظر الطيران السُّوداني, واستعرضت مسودته 16-8-1996م والذي تقدمت به مصر وساندتها بتسوانا وغينيا بيساو وصوتت لصالح القرار ثلاثة عشر دولة وامتنعت الصين وروسيا عن التصويت.

- في أكتوبر 1996 صعَّدت الولايات المُتَّحِدة الأمريكيّة عداءها للسُّودان، فأعلنت دعمها للدِّول المجاورة بمبلغ عشرين مليون دولار كمعدات دفاعية، بدعوى أنَّ السُّودان يشكل خطر عليها بدعمه للحركات التمرد بهذه الدّول.

- في 1997/11/4م أصدر الرَّئيس الأمريكيّ كلينتون أمراً تنفيذياً بحظر المعاملات المالية والتِّجارية مع السُّودان.[13]

- بلغ العداء أوجه في 1998/8/20 عندما تم قصف مصنع الشِّفاء لإنتاج الأدوية في مدينة الخرطوم بحريّ، بدعوى انه ينتج مواد كيمياوية محظورة.

- سحب السُّودان الدبلوماسيين السُّودانيين من واشنطن في17-9-1998م احتجاجاً على السُّلوك غير السَّوي للولايات المُتَّحِدة الأمريكيّة.

- خلال عام 1999م أصدر الكونغرس الأمريكي قانون سلام السُّودان، نادى فيه بدعم الحركة الشَّعبية لتحرير السُّودان، وفرض عقوبات اقتصادية على الشَّركات العاملة في البترول في السُّودان .

- في يونيو 2000 بدأ الحوار الأمني الأمريكي مع السُّودان، وعادت معه السَّفارة الأمريكية إلى الخرطوم على مستوى القائم بالأعمال.

- في يناير 2001 جاء الرَّئيس بوش إلى البيت الأبيض وقد رحب السُّودان بهذا التغيير متمنياً أن يحدث ذلك تطوراً في العلاقات بين البلدين.

- في 2001/9/11م وقعت أحداث نيويورك وواشنطن الشهيرة بضرب برجي التِّجارة والبنتاجون بالطائرات المدنية، وقد أدان السُّودان الحادث وعزَّى في ضحاياه .

- حصلت نقطة تحول كبيرة في السِّياسة الأمريكيّة تجاه السُّودان بعد تدمير مصنع الشِّفاء الذَّي كشف عن خطأ استخباراتي أثبتته التَّقارير التي أصدرتها المعامل البريطانية المستقلة التي فحصت التُّربة، وبالتالي تم اهمال العشرات من التَّقارير الاستخباراتية السَّالبة عن السُّودان، فوقَّع الرَّئيس الأمريكيّ على قانون سلام السُّودان 21-10-2002م .

[13] التقرير السنوي للعام 2005، مصدر سابق.

- بعد تولِّي الجمهوريين الحكم في الولايات المتحدة أتيحت الفرصة للحوار الجاد بين الإدارة الأمريكيّة وحكومة الإنقاذ عام2001م, مما صحَّح المفاهيم الخاطئة لدى الإدارة والأجهزة الأمريكيّة وتطوَّرت العلاقات الاستخباراتية بين البلدين, وأصبح السُّودان جزءاً من المنظومة الدّولية لمكافحة الإرهاب, وبالتَّالي تحوَّلت الإدارة الأمريكيّة إلى شريكٍ في حلِّ المشكلة السُّودانية بتعيين دانفورث مبعوثاً خاصاً للسَّلام في السُّودان, حيث قام بزيارة السُّودان في نوفمبر 2001م ويناير 2002 ورفع تقريراً بمهمته، أوصى فيه بأن تتدخل الولايات المُتَّحِدة في عملية السَّلام في السُّودان. وهكذا تغيَّر دور الولايات المُتَّحِدة من إسقاط النِّظام إلى التَّعاون معه في تحقيق السَّلام .وتجدر الإشارة إلى أنَّ التَّحوُّل الكبير في العلاقات بين السُّودان والولايات المتحدة اتسم بسمة رئيسية في تلك المرحلة، وهي إدعاء حرص الولايات المتحدة على تحقيق السَّلام في السُّودان دون التَّطرُّق إلى تطورٍ محدَّد في العلاقات الثنائية بشقيها الاقتصادي والسِّياسيّ.

- في أواخر ديسمبر 2002م رعت الحكومة لقاءً مباشراً بين طرفي النِّزاع في السُّودان (الحكومة والحركة) بغرض تقريب وجهات النَّظر ودفع الطرفين لتجاوز القضايا الخلافية العالقة وصولاً إلى حلٍّ نهائيّ.

- في 2002/11/26م صرح والتر كانشتاينر مساعد وزير الخارجية الأمريكيّ للشئون الأفريقيّة في محاضرة في مؤسسة الثُّراث بأنَّ "إيقاف النِّزاع في السُّودان يرتبط بسياسة الولايات المُتَّحِدة في المنطقة وأفريقيا برمتها، لأنَّ أفريقيا تمثل أهميةً كبرى للولايات المتحدة في المستقبل المتطور وعلى المدى الطويل أيضاً"[14].

- في 2002/11/27م صرح وزير الخارجية السُّوداني في محاضرة بمركز دراسات المستقبل بالخرطوم عن العلاقات السُّودانيّة صرَّح باستعداد الحكومة السُّودانيّة للحوار مع الحكومة بالحوار الأمني ومكافحة الإرهاب بكافة أشكاله، مع طلب الحكومة برفع العقوبات الاقتصادية عن السُّودان ورفع اسمه عن قائمة الدّول الرَّاعية للإرهاب.

- انعكس هذا الجو في استجابة الحكومة لقرار مجلس الأمن الصَّادر في 2002/9/27م والخاص برفع العقوبات الدِّبلوماسية عن السُّودان التي كانت فرضت عليه في عهد الرَّئيس كلنتون في أعقاب محاولة اغتيال الرَّئيس المصري في أديس أبابا.

- تم لقاء بين وزير الخارجية السُّودانيّ ونظيره الأمريكيّ كولن باول في سبتمبر2002 على هامش اجتماعات الجمعية العامة للأمم المُتَّحِدة .

- بالرَّغم من كل ذلك تمت إجازة قانون" سلام السُّودان " في الكونغرس الأمريكيّ بشقيه (الشيوخ والنواب) ووقع عليه الرَّئيس خلال أسبوع فقط في 2002/10/21م.

[14] التقرير السنوي للعام 2005، مصدر سابق.

- تزامن صدور قانون سلام السُّودان مع قرار وزارة الخزانة بتجميد أرصدة 12 شركة ومؤسسة سودانية إستراتيجية، اتضح أنَّه ليست لديها أرصدة بالولايات المُتَّحِدة.

- وزير الخارجية السُّوداني صرَّح لأعضاء المجلس الاستشاري للوزارة في 2002/12/14م بأنَّ العلاقات السُّودانيّة قد انتقلت من مرحلة المواجهة إلى مرحلة الحوار والتَّفاعل والتَّعامل الايجابي.

- شهد العام 2003م مجموعة من الزيارات وتبادلاً للرسائل الرئاسية بين البلدين وتحولاً ايجابياً إلى حدٍّ ما في العلاقات السُّودانية الأمريكيّة، انطلاقاً من المحور الأمني ومن رغبة الولايات المتحدة في معرفة الواقع الحالي بعيداً عن الضَّبابية التي ظلَّت جهاتٌ معادية للسُّودان تمرِّرها للإدارة الأمريكيّة[15].

إنّ عهد إدارة بوش الابن قد شهد تعمق الاهتمام الأمريكيّ بالشأن السُّوداني للخلفية الأيديولوجية لبوش نفسه والذي كان من تيار المحافظين الجدد الذين يؤمنون بالحروب الاستباقية والتَّدخل العسكري لفرض الدِّيمقراطيَّة واحترام حقوق الإنسان ووقف الانتهاكات والفظائع كما يزعمون، وكان هؤلاء المحافظون الجدد من أخلص حلفاء الحركة الشعبية التي قدمت نفسها رغم نشأتها الماركسية كحركة علمانية وديمقراطية وتدافع عن الشعب المسيحي في الجنوب الذي يعاني الاضطهاد على يد النِّظام الأصولي الحاكم في الخرطوم، وكان مراقبون قد توقعوا تدخلاً عسكرياً في السّودان إذا ما احتفظ الحزب الجمهوري بمنصب الرئاسة في الولايات المُتَّحِدة عقب انتهاء دورة بوش الابن والذي شهدت إدارته تدخلين عسكريين في أفغانستان والعراق فضلاً عن توسيع العمليات العسكرية في دول إسلامية عديدة ، وكان السُّودان هو الهدف الثَّاني في تلك النَّزعة التوسعية والعسكرية لدى إدارة بوش إلا أن فوز باراك أوباما قد لجم تلك النَّزعة المتطرفة والتي ساهمت في تراجع مكانة الولايات المُتَّحِدة على الساحة الدّولية وبروز دول مجموعة (بريكس) وهي البرازيل والهند والصين وروسيا وجنوب أفريقيا فضلاً عن دول إقليمية صاعدة مثل أندونيسيا وكوريا الجنوبية وتركيا...الخ، كلها وجدت الفرصة في تورط الولايات المُتَّحِدة في مغامرات وحروب طائشة.

الثبات في السياسات طوال حقب إدارات بوش الأب (1990-1994) وإدارة كلينتون (1994-2000) وإدارة بوش الابن (2000-2008) لم يحدث أيَّ اختراق جدي في علاقات الولايات المُتَّحِدة بالسُّودان بل صحبها تدخل في السِّياسة الدَّاخلية للسُّودان، وتذرعت مختلف الإدارات الأمريكيّة بملفات حقوق الإنسان والحرب الأهلية ومزاعم الإرهاب وشُبهة الأصولية والتَّطرُّف لإبطاء وعرقلة تطبيع العلاقات بين البلدين رغم إبداء الطرف السُّوداني حسن النية والرغبة في ذلك، ولكن كانت الرغبة تواجه بمزيد من الاشتراطات والقرارات والمواقف المتحيّزة.

[15] التقرير السنوي للعام 2005، مصدر سابق.

السِّياسة الأمريكيّة تجاه السُّودان بعد ثورات الربيع العربيّ

فوز باراك أوباما برئاسة الولايات المُتَّحِدة في 2008 استبشرت به خيراً كثير من المنظمات على مستوى العالم والدّول على سواء، فعلى صعيد العالم شهدت المؤسسات والمنظمات والأعراف الدّولية في حقبة إدارة بوش الابن انتكاساتٍ كبرى كادت أن تطيح بمكاسب عالمية للبشرية مثل الأمم المُتَّحِدة والقانون الدّولي على علاتها، بسبب إيمان المحافظين الجدد بأوهام الإمبراطورية الأمريكيّة التي لا تحد ممارساتها أية كوابح.

وفور تسلمه مقاليد السُّلطة في البيت الأبيض وجه باراك أوباما في خطاب التَّنصيب رسائل إلى كل العالم بأن تشهد الولايات المُتَّحِدة في عهده تغييراتٍ جذرية في سياساتها الخارجية، كما وجَّه خطاباً إلى العالم الإسلاميّ من جامعة القاهرة متعهداً ببناء علاقات مع المسلمين قائمةٍ على المنافع والاحترام المتبادل.

واستبشر السُّودانيون كما العالم بالتَّوجُّه الأمريكيّ الجديد لدى إدارة أوباما، وقامت الخارجية الأمريكيّة بتخفيف الحظر الاقتصادي المفروض على السُّودان بالسِّماح جزئياً - بتصدير بعض المعدات الزِّراعية إلى السُّودان، كما زار السُّودان في ديسمبر 2010 تيموثي كارني مسئول ملف الإرهاب في الخارجية الأمريكيّة لبحث إمكانية شطب اسم السُّودان من قائمة الدّول الرَّاعية للإرهاب على أن يحال الأمر إلى الكونغرس الأمريكيّ في غضون ثمانية أشهر لاعتماد القرار والمصادقة النِّهائية عليه, ووضعت شروط أخرى تتعلَّق بإتمام استفتاء جنوب السُّودان الذي جرى في يناير 2011م، والأوضاع في دارفور، رغم إقرار مبعوثي إدارة أوباما بتحسُّن الأوضاع هناك، ثم اشترطت الولايات لاحقاً معالجة الأوضاع في ولايتي النِّيل الأزرق وجنوب كردفان، وهكذا ماطلت الولايات المُتَّحِدة في تطبيع العلاقات مع السُّودان رغم انتعاش الآمال في إدارة أوباما والتي بشَّرت بعهد جديد مع كافة دول العالم[16].

ورغم فوز أوباما بدورة رئاسية ثانية إلاَّ أنَّ الآمال في اعتدال السِّياسة الخارجية تجاه السُّودان بالذَّات تتضاءل، باستمرار لعدة أسباب منها: التَّأثير القوي للُّوبيات ومنظمات الضَّغط المعادية للسُّودان في صنع القرارات المتعلِّقة بالسُّودان، وارتباط مصالح الولايات المُتَّحِدة بالدّول والأقاليم المحيطة بالسُّودان في القرن الأفريقيّ وشرق أفريقيا والبحيرات العظمى وبحيرة تشاد والتي تتطلَّب إبقاء السُّودان في حالة من الاضطراب والعزلة ، وأيضاً شعور الغرب والولايات المُتَّحِدة بالعجز عن احتواء السُّودان وفشل كافة المحاولات السَّابقة لإخضاعه مَّما يولِّد لديهم الرَّغبة في الثَّأر والانتقام، وأيضاً الفشل في إيجاد طبقة سياسية موالية وقوية داخل دولاب الدّولة والمجتمع في السُّودان، إلى جانب محاولات إعطاء ما أمكن من القوَّة والتَّأثير للحلفاء على المستوى الدَّاخلي أو الجوار، وإفقاد السُّودان قدر المستطاع زمام المبادرة، وفي المقابل راهنت الحركة الشَّعبية (قطاع الشمال) وحلفاؤها في واشنطن على إمكانية فوز ميت رومني ليحقق لها هدف الإطاحة بالنِّظام والتَّدخل العسكري في السُّودان، بعد أن هيأت حلفاءها في الميدان بإطلاق مزاعم التَّطهير العرقي والإبادة

[16] حسن على الساعوري، السُّودان بين القوى الدّولية والإقليمية 1989-2018م، ص 46.

وتجويع اللاَّجئين والنَّازحين، ومزاعم انتهاكات حقوق الإنسان والدَّعوات للتَّدخُّل العسكري على غرار ما حدث في ليبيا عندما تدخّل النَّاتو وأطاح بنظام القذافي هناك.

استمرت العقوبات الأمريكيّة على السُّودان والحظر الشَّامل مضروباً عليه الذي نتجت عنه آثار سياسية واقتصادية ودبلوماسية حتى في الأوساط الإقليمية والدّولية، لذلك نشط السُّودان في التَّعاون الأمني مع جهاز المخابرات الأمريكيّة ومع وزارة الخارجية الأمريكيّة حتى يجد الثُّغرة المناسبة لتغيير المواقف الأمريكيّة التي ظلَّت ثابتة عبر ثلاث إدارات (بوش الابن، أوباما ، ترامب) فكانت هنالك عدَّة محاولات للسُّودان آخرها في عهد ترامب.

منذ العام 2015م شهدت العلاقات السُّودانية الأمريكيّة نشاطاً ملحوظاً بمبادرة من السُّودان كان الهدف منها إلغاء الحصار الاقتصادي المفروض عليه والتَّعاون الأمني مع المخابرات الأمريكيّة لمحاربة الإرهاب الدّولي وفتح الباب لحوارٍ سياسيٍّ متنوع ومتعدِّد الأطراف. حوار بين قيادات المجلس الوطني وقيادات الكونغرس الأمريكيّ, وحوار بين وزارتي الخارجية في البلدين, وحوار بين الأحزاب والحزب الحاكم, وأيضاً حوار بين قيادات اتحادات أصحاب العمل والبيوتات التِّجارية بين البلدين. فقضية العقوبات الأمريكيّة على رأس الموضوع الرَّئيسي في الحوارات, وهي القضية الأصل في العلاقات بين البلدين مابين عامي 2015-2018م وأصبحت التَّقارير في تلك الفترة تشير إلى أنَّ السُّودان تعاون لأقصى درجة في مكافحة الإرهاب لم يؤثر على مواقف الرَّئيس أوباما إلاَّ قبل أسبوع من تسليمه السُّلطة لترامب, فأعلن في يناير 2017م رفع العقوبات الاقتصادية والتِّجارية عن السُّودان واستثنى من ذلك المعدات العسكرية والأجهزة المتقدِّمة، وكانت تلك الخطوة مؤقتة بثلاثة شهور حتى يؤكد السُّودان جديته في السَّلام مع الحركات وحقوق الإنسان والحريات [17].

ثم جاء ترامب رئيساً للولايات المتحدة خلفاً لأوباما في يناير 2017م وجدد القرارات المؤقتة بثلاثة شهور أخرى بذات الشُّروط التي جاءت من أوباما, وفي أكتوبر 2017م أعلنت وزارة الخارجية رفع العقوبات الاقتصادية عن السُّودان اعترافاً بالإجراءات الايجابية لحكومة الخرطوم ولكن لم يتم رفع السُّودان من قائمة الدّول الرَّاعية للإرهاب والذي يمنع السُّودان من أي معاملات أو مساعدات أجنبية وشراء السِّلاح وكل ما يتعلَّق به، ومازال السُّودان يحتاج لمجهود لرفع هذه الاتهامات مع المفاوض الأمريكيّ خاصة والسُّودان برهن على مشاركته في دعم السَّعودية في حرب اليمن ضد إرهاب إيران عبر استغلال الشِّيعة في الشَّرق الأوسط ، إلى غير ذلك يحاول السُّودان الاستفادة من المتغيِّرات في البناء الدّولي ألا وهي صعود القوَّة الرُّوسية في السَّاحة الدّولية، وبالتَّالي أصبحت جزءاً من فاعلي السِّياسة الدّولية فلم تعد السِّياسة الدّولية حكراً على الولايات المتحدة[18].

حدثت متغيرات على السَّاحة السُّودانية الدَّاخلية بتغيير نظام الإنقاذ بعد ثلاثين عاماً من حكمه في 2019م, ومجيء حكومة الفترة الانتقالية بعد انتفاضة شعبية بمكونيها المدني والعسكري, فتواصلت الجهود لتحسين العلاقات لرفع اسم السُّودان من قائمة الدّول الرَّاعية

[17] الساعوري، المصدر السابق، ص ص 53-54.

[18] المصدر نفسه، ص 54.

للإرهاب، وفي نهاية فترة الرَّئيس ترامب الأوَّلى وتزامنا مع حملته الانتخابية تم رفع السُّودان من قائمة الإرهاب مقابل التَّطبيع مع إسرائيل، ولكن لم يجنِ السُّودان ثمار ذلك الرفع وتلك البراءة من التُّهمة الأمريكيّة بالإرهاب وذلك لتسارع الأحداث في السُّودان والاضطرابات الداخلية، ويعيش السُّودان حالياً ظروفاً اقتصادية ضاغطة حيث بلغت نسبة التضخم فيه 234% وانهار الجنيه السُّوداني أمام الدّولار.

الخاتمة:

تناولت هذه الورقة البحثية السِّياسة الأمريكيّة في الشَّرق الأوسط ودولة السُّودان أنموذجاً لتلك السِّياسات والتَّدخلات التي أثرت في شؤونه الدَّاخلية ، حيث استطاعت الولايات المُتَّحِدة تحقيق مصالحها عن طريق بسط هيمنتها السِّياسيّة وتدخلاتها في سياسات الشَّرق الأوسط، وتقديم دعمها الاقتصادي وتدبير الانقلابات والانقلابات المضادة التي بدأتها منذ أيام الحرب الباردة وما زالت حريصةً عليها حتى اليوم، وقد كانت المساعدات الاقتصادية في فترة الحرب الباردة أداةً من أدوات تصعيد السِّياسة الخارجية الأمريكيّة، بالإضافة للقدرات العسكرية والخدمة السرية الاستخباراتية، ورغم التَّدهور الاقتصادي الأمريكيّ منذ الحرب الثَّانية حتى اليوم إلاَّ أنَّ الولايات المتحدة ما زالت قطباً دولياً ولاسيَّما بمعايير القوَّة العسكرية، وهذا ما يجعلها أقدر على تحقيق مصالحها عن طريق الدِّبلوماسية النَّاعمة والقوَّة العسكرية الغليظة والمساعدات الاقتصادية المشروطة والعمل السِّري في الشَّرق الأوسط.

فيما يتعلَّق بالسُّودان وبدراسة لمجريات الأحداث التي سردناها والتي حكت عن التَّأثير الأمريكيّ على السُّودان وعن العلاقات بين البلدين، نجد أنَّ هذه العلاقات قد مرَّت بمراحل عديدة منذ نشأة الدّولة السُّودانية بدأت بعلاقات طبيعية بين دولتين، ثم برنامج المعونة الأمريكيّة والذي شمل كل دول العالم آنذاك، ثم تحولت العلاقات إلى عدائية معلنة وهى مرحلة اجتهاد الإدارة لاحتواء وعزل وإسقاط الحكومة السُّودانيّة؛ وهذه الفترة استغرقت جزءاً من فترة الرَّئيس بوش الأب وكامل فترتي الرَّئيس كلنتون وانتهت مع بداية فترة الرَّئيس بوش الابن، ثم مرحلة القبول بالأمر الواقع وهى الفترة الممتدة من بداية فترة الرَّئيس بوش الابن وحتى وقوع أحداث سبتمبر الشهيرة (2001م) وخلال هذه الفترة بدأت الإدارة التعامل مع الحكومة السُّودانيّة كأمر واقع بعد اتضاح فشل سياساتها السابقة معها حسب توصيات الخبراء، مع استمرار الضَّغط عليها قدر الإمكان والاستجابة لضغوط مراكز التَّأثير الأمريكيّ عليه، ثم المرحلة الأخيرة وهى المرحلة التي تحولت فيها الإدارة إلى سياسة التَّعاون مع الحكومة السُّودانية بغرض إحلال السَّلام في السُّودان والتوصل إلى اتفاق يؤدى إلى التخلص من التطرف الحكومي ويؤدى إلى التحول الديمقراطي. فأدى ذلك إلى انفصال جزء مهم من السُّودان وهو جنوبه عن شماله الذي اعتبرته ممثلة الولايات المُتَّحِدة في الأمم المُتَّحِدة انتصاراً للخارجية الأمريكيّة في تأثير واضح ومعلن من الولايات المتحدة، ويعتبر هذا أكبر مؤثر على الإطلاق وهو تدَّخل الولايات المُتَّحِدة الأمريكيّة في شؤون دولة السُّودان وسيادته ببتر جزءٍ أصيل من أراضيه.

التوصيات:

في مواجهة المهددات المصيرية فإن المطلوب الأساس من القوى والتَّيارات الحية في السودان ذات الإيمان العميق بوطنيتها وإسلامها وثقافتها العربيّة والأفريقيّة، أن توحد وتجمع صفوفها وطاقاتها وتحشد قدراتها لمقابلة ذلك التَّيار وتطويق أجندته التخريبية، في طريق بلورة مشروع يتطلع إلى بناء سودان موحد ديمقراطيٍّ عصريٍّ قويٍّ علمياً واقتصادياً وعسكرياً قادرٍ على تأمين وحدته ومبادئه واستقلالية قراراته وإرادته في مطلق الأحوال.

ولكي يحصل ذلك يجب أن نعمل وفق المرتكزات الآتية التي تشكِّل حزام أمان لمستقبل جيد نصبو إليه :

1- تأسيس قاعدة للثَّوابت الوطنية ولإستراتيجية عليا.

2- بناء تحالف وطني راشد في شكل كتلة وطنية لتوحيد الجبهة الداخلية.

3- الثَّوابت الوطنية وتشمل تعزيز قيم الدين والوحدة الوطنية في مواجهة مشاريع التفكيك.

4- تعزيز الدِّيمقراطيَّة والتَّنميّة المستقلة المتوازنة والمستدامة.

5- التكتل الاقتصادي الإقليمي لبناء تكاملات ووحدات اقتصادية إقليمية عربية وأفريقية.

6- تحالف سياسي وطني مؤسس على نمط راشد وجديد مطلوب فيه إبراز التمايز النوعي بعيداً عن التحالفات القديمة.

7- العناية بتأمين وحماية مركز الدّولة من مخططات ومشاريع إشاعة الفتنة والحرب الأهلية.

8- الاهتمام بتطوير قدرات وإمكانيات أجهزة الدِّفاع الوطني والتأمين والرصد الإستخباري وتعزيز إمكانيات الأجهزة والقوات الأمنية .

9- انتهاج سياسة خارجية متوازنة وموزونة لتأمين الدّولة وبناء التكتلات والتكاملات الاقتصادية والإقليمية واستقطاب الاقتصادية الإقليمية واستقطاب الاستثمارات .

السياسات الأمريكية تجاه الاحتلال الإيراني للجزر الإماراتية الثلاث "أبو موسى، طنب الكبرى، طنب الصغرى"

رهام عمرو*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على السياسة الخارجية الأمريكية تجاه احتلال الجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى، طنب الكبرى، طنب الصغرى)، وتصرف الإدارة الأمريكية إزاء هذا الحدث من خلال وثائق وزارة الخارجية الأمريكية. بعد أن أجبر قرار الانسحاب البريطاني من منطقة الخليج العربي الولايات المتحدة على تعزيز وجودها في المنطقة؛ لحماية مصالحها والمصالح الغربية عامة، وكان من نتائج الانسحاب تزايد النفوذ الأمريكي من خلال وكلاء الولايات المتحدة في المنطقة: إيران والسعودية، إضافة إلى تزايد نفوذ إيران في المنطقة التي عمدت إلى إجراءات مثل احتلال الجزر وإلغاء معاهدة 1937 مع العراق . وقبل يوم واحد فقط من قيام بريطانيا بتصفية تعهداتها الأمنية في الخليج؛ أي في 30 تشرين الثاني/نوفمبر 1971 ، سارع الشاه إلى احتلال الجزر العربية : جزيرة أبو موسى التي كانت جزءاً من إمارة الشارقة، التي سمح حكامها لإيران بضمها إليها في مُقابل أن تدفع إيران للشارقة مبلغ دعم سنوي، أما الجزيرتان الأخريان وهما؛ طنب الكبرى وطنب الصغرى اللتان كانتا تابعتين لإمارة رأس الخيمة، فقد عارض حاكمهما احتلال إيران لهما، وكان الشاه يرغب بشدة في هذه الجزر، لأنها كانت سوف تزيد نصيب إيران في حق الاستكشافات البترولية في الجرف القاري، إلى جانب موقعها الاستراتيجي . تقوم هذه الدراسة على فرضية مضمونها أن مطالبات الشاه بالبحرين -أي ما يسبق فترة احتلال الجزر- وسعيه لحل المسألة، لم يكن يوماً حرصاً منه على فرض سيطرته عليها، لكنه استخدمها كوسيلة يتنازل عنها مقابل تحقيق مصلحة أكبر تكمن في الجزر الثلاث؛ أي أن كل هذه المساومات والمطالبات ما هي إلا مناورة حتى يحقق مطالبه بالجزر الأكثر أهمية من البحرين، فيتخلى عن البحرين مقابل الجزر.

الكلمات المفتاحية: أبو موسى، طنب الكبرى، طنب الصغرى، احتلال، جزر عربية، إيران، السياسة الخارجية الأمريكية.

* طالبة دكتوراه في قسم التاريخ في جامعة إسطنبول ميدينيات (الحضارة) Istanbul Medeniyet University ، وباحثة مساعدة في الشبكة العربية للعلوم السياسية (APSN).

US Policies Towards the Iranian occupation of the three Emirati Islands (Abu Musa, Tunb Al-Kubra (Greater Tunb), and Tunb Al-Sughra (Lesser Tunb))

Reham Amro

Abstract

This study aims at shedding light on the US foreign policy towards the Iranian occupation of the three islands (Abu Musa, Lesser and Greater Tunbs), and the reaction of the US administration towards this event. The British decision to withdraw from the Gulf obliged the USA to strengthen its existence in the region to protect its interests and the Western in general. That withdrawal increased the US influence through its allies (agents) in the region: Iran and Saudi Arabia. Furthermore, The Iranian influence in the region increased through occupying the islands and the abolition of the 1937 treaty with Iraq.

And Just a day before Britain cleared its security obligations in the region i.e. on 30 November 1971, Shah rushed to occupy the Arab islands: Abu Musa which was part of Sharjah whose rulers allowed Iran to annex it in return for an annual payment, and Greater and Lesser Tunbs which were affiliated to Ras al-Khaimah whose rulers opposed Iran's occupation despite Shah's strong desire for them in order to increase Iran's share of the oil discoveries in the Continental Shelf, in addition to their strategic position.

This study is based on the assumption that Shah's claims of Bahrain -i.e. before the occupation of these islands- and his quest to solve the issue had never been to take control of it; rather, to use it as a tool for concession in return of getting the three islands. This means that all the bargains and claims were only a maneuver to gain control on the three islands whose importance is more than Bahrain's; and thus, leave Bahrain.

Key words: Abu Musa, Tunb Al-Kubra, Tunb Al-Sughra, occupation, Arab islands, Iran, American foreign policy.

المقدمة:

عندما أعلن البريطانيون نيتهم الانسحاب من الخليج في عام 1968، تكثفت تصريحات إيران الخاصة بحقوقها الإقليمية في الخليج، وطرحت مسألة الجزر من جديد [1]، إذ طالب شاه إيران بإعادة سلطته على جزيرة أبو موسى[2] التي كانت تابعة لإمارة الشارقة وجزيرتي طنب الكبرى[3]وطنب الصغرى [4] اللتين كانتا تابعتين لإمارة رأس الخيمة [5]، وذلك لقاء التغاضي عن مطالبه في البحرين. وكـان الشاه يـرغب بشدة في هـذه الـجـزر؛ لأن امـتـلاكـهـا سوف يـزيد مـن نصيب إيـران في حـق الاستكشافات البترولية في الجرف القاري [6]. وفي 4 كانون الثاني /يناير 1969 أعلن الشاه في نيودلهي أنه مستعد للحصول على هذه الجزر بالقوة إذا لزم الأمر، متذرعاً بأهمية هذه الجزر في الحفاظ على أمن المنطقة، إذ تمثلت مخاوف إيران في كون الشيوخ المحليين في "الخليج الفارسي" لا يمتلكون القوة الكافية للدفاع عن الجزر في مواجهة أي عدوان. وأعرب الشاه أيضًا عن قلق إيران من إمكانية استخدام هذه الجزر -خصوصًا أبو موسى- كقاعدة بحرية تحاصر إيران من قبل "عبد الناصر"، الذي سوف يوجه ضرباته إلى جنوب إيران للضغط على ممرات الشحن عبر مضيق هرمز[7]، وصرح الشاه قائلاً: " إن الجزر ذات أهمية استراتيجية بالنسبة لإيران وإمارات الخليج ولحفظ الأمن في المنطقة، وإذا ما وقعت هذه الجزر بيد قوة أجنبية فإن ذلك يشكل خطراً بالنسبة لنا جميعاً، لذلك ينبغي أن تقع هذه الجزر في يد مضمونة ". واختتم تصريحه بالقول إنه :« إذا فشلت الطرق السلمية في استردادها فإننا سنلجأ إلى استخدام القوة "[8]. وفي حديث أخر له صرّح الشاه أن الجزر إيرانية، وأصر على نشر قواته فيها إذا لم تقبل المشيخات التسوية [9]، وسعى الشاه للحصول على تأييد سوفييتي - على إثر إعلان القرار البريطاني- بالنسبة لادعاءاته، ولكن الحكومة السوفييتية لم تلبث أن أصدرت

---

[1] تعود المطالبة التاريخية بهذه الجزر لأحداث جرت في القرن التاسع عشر، وفيما إذا كان ما يدعى بخط (صاموئيل هينيل Samuel Hennel) الذي قامت بريطانيا برسمه قد وضع هذه الجزر خارج الحدود المتاخمة للساحل العربي من الخليج، فاعتبر الإيرانيون أن هذه الجزر تعود إليهم وأنهم استعادوها - حسب تعبيرهم- واحتلوها -حسب تعبير العرب- في عام 1971 بعد أن ذكرت بعض التقارير أن إيران قامت في وقت سابق من صيف 1964 باحتلال جزيرة أبو موسى, بعد أن رست سفن إيرانية بالقرب من الجزيرة, في حين أنكرت إيران ما ورد في هذه التقارير . للمزيد عن عروبة هذه الجزر والتتبع التاريخي للادعاءات الإيرانية الممتدة من 1750 حتى احتلالهم في عام 1971 , انظر: السوارية , نوفان رجا و الشرعة, إبراهيم فاعور(2005) "عروبة الجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى،وطنب الكبرى، وطنب الصغرى) (1750-1971) دراسة وثائقية" ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32 , العدد 2 ؛ Ali A. El- Hakim(1979) , The Middle Eastern States and The Law of The Sea , Manchester University Press ,Manchester ,. p. 122-124 ؛ القاسمي، خالد بن محمد (1997), الجزر الثلاث بين السيادة العربية والاحتلال الإيراني, الكتب الجامعي الحديث, ط1؛ التدمري, أحمد جلال (2000)، الجزر العربية الثلاث : دراسة وثائقية، مطبعة رأس الخيمة الوطنية ، رأس الخيمة.

[2] تقع على بعد 60 كم عن ساحل إمارة الشارقة و 70 كم عن الساحل الشرقي للخليج ، للمزيد أنظر: القاسمي ، خالد بن محمد ، الجزر الثلاث بين السيادة العربية والاحتلال الإيراني، ص 20؛ التدمري, أحمد جلال, الجزر العربية الثلاث : دراسة وثائقية, ص 68.

[3] تقع على بعد 70 كم عن ساحل إمارة رأس الخيمة و 50 كم عن الساحل الشرقي للخليج, للمزيد أنظر : القاسمي, الجزر الثلاث بين السيادة العربية والاحتلال الإيراني, ص 26 ؛ التدمري, الجزر العربية الثلاث, ص 67 .

[4] تقع على بعد عشرة كيلومترات إلى الغرب من جزيرة طنب الكبرى، للمزيد أنظر: القاسمي، الجزر الثلاث بين السيادة العربية والاحتلال الإيراني، ص 28 ؛ التدمري , الجزر العربية الثلاث, ص 68.

[5] السوارية والشرعة، عروبة الجزر الإماراتية الثلاث ، ص 356

[6] كونيهولم، بروس (1989) سياسة الولايات المتحدة في منطقة الخليج الفارسي، ترجمة: محمد شاكر مشعل، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 45.

[7] Foreign Relations of the United States, 1964–1968, Volume XXII, Iran, Document 285, Washington, May 21, 1968

[8] Encyclopaedia Iranica, Vol. I,Fasc. 4, December 15, 1983, Ab, M,s., pp.345-346
http://www.iranicaonline.org/articles/abu-musa-island-in-the-persian-gulf

[9] Foreign Relations of the United States, 1969–1976 Volume E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969–1972, Document 105, December 10, 1970, 1300Z

بياناً أوضحت فيه أن الاتحاد السوفييتي يشعر بالحرج الشديد من موقف إيران إزاء الخليج[10].

لقد قام الشاه مرارا في فترة الستينات باستخدام الورقة "السوفييتية" أمام الحكومة الأمريكية لتحقيق أهدافه العسكرية -صفقات الأسلحة- ومصالحه في المنطقة؛ وهدد مرارًا باللجوء إلى جانب الاتحاد السوفييتي. وقد أجرى الشاه بالفعل عدّة زيارات إلى الاتحاد السوفييتي وأوروبا الشرقية بين عامي 1965 و 1966, وأجرى مفاوضات حول عدد من الصفقات والمباحثات, وفي شباط/فبراير 1967 عقد الشاه مع الاتحاد السوفييتي صفقة بلغت قيمتها (110) ملايين دولار، تحصل إيران من خلالها على تجهيزات عسكرية سوفييتية مقابل الغاز الطبيعي الإيراني[11].

المطالبات الإقليمية في الخليج: تجاذبات التسوية من البحرين إلى الجزر الثلاث

بدأ المسؤولون الإيرانيون في 3 أيار/مايو 1968 البحث عن حل لتسوية المطالبات الإقليمية المتصارع عليها في الخليج، وكان الشاه قد ألمح في وقت سابق إلى استعداده التخلي عن مطالباته بالبحرين مقابل السيادة على الجزر المتنازع عليها في منطقة الخليج [12]. لكن الذي يتتبع مطالبات الشاه بالبحرين وسعيه لحل المسألة يجد أنه لم يكن يوماً حريصاً على فرض سيطرته عليها، لكنه استخدمها كوسيلة يتنازل عنها لتحقيق مصلحة أكبر تكمن في الجزر الثلاث؛ أي أن كل هذه المساومات والمطالبات ما هي إلا مناورة حتى يحقق مطالبه بالجزر الأكثر أهمية من البحرين، فيتخلى عن البحرين مقابل الجزر. بدأت مناورة الشاه تصبح أوضح عندما غير موقفه مقابل ربط موافقته على الاتحاد بأمرين؛ أولهما: السيطرة على الجزر العربية الثلاث: أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى – ولم يذكر البحرين - ، وثانيهما: الاعتراف بالهيمنة الإيرانية على الخليج([13])، الأمر الذي قبلت به الدول الخليجية بما فيها المملكة العربية السعودية "ضمنياً وعلى مضض" ، كما رحبت به كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا[14].

وربما يكون للأوضاع المتوترة على الحدود اليمنية السعودية أثرها على تصرفات السعودية وسياساتها التي حاولت من خلالها تجنب أي صراع ومواجهة في المنطقة؛ ففي30 كانون الثاني/يناير 1968 ذكرت الوثائق الأمريكية أنه: "على ما يبدو أن السعودية خلصت إلى أن الجمهورية الشعبية في جنوب اليمن هي معادية بشكل نهائي لها، وكذلك تشكل تهديدًا للمصالح السعودية،

---

[10] Laqueur, Walter (1969), The Struggle for The Middle East: The Soviet Union and The Middle East 1958-68, Routledge & Kegan Paul, London, p.36.

[11] فريد هاليداي(1979) , مقدمات الثورة في إيران , ترجمة: مصطفى كركوتي , دار ابن خلدون, بيروت, الطبعة الأولى , ص 129؛ أبو مغلي, محمد وصفي, (1982) العلاقات الإيرانية الأمريكية وأثرها في الخليج العربي 1941-1979, مركز دراسات الخليج العربي, جامعة البصرة , الطبعة الأولى, ص 20.

[12] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 3 May 1968, p.7

[13] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 72, March 11, 1969, p.227;

Sirriyeh,Hussein(1984), U.S. Policy in the Gulf 1968-1977, Aftermath of British Withdrawal, Ithaca Press, London, p.10

[14] إبراهيم ، إبراهيم (1999) أثر النفط على قيام دولة الإمارات. في: التجارب الوحدوية العربية المعاصرة : تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت ص 194.

Kelly, J. B)1980(, Arabia, the Gulf and the West, U.S.A.: Basic Books Inc, p. 89-9.

وأن الجهات الرسمية السعودية تدعي أن اليمن الجنوبي ربما يكون قد أرسل الجنود والمعدات لمساعدة اليمنيين الجمهوريين، وأنه كذلك أثار المعارضة المتزايدة في مسقط وعُمان" [15]. وبالفعل تم تأكيد المخاوف السعودية في بيان صادر عن جبهة التحرير الوطني الاشتراكي في مؤتمرها لعام 1968؛ إذ أيدت الجبهة العالم الاشتراكي ضد الاستعمار الذي تقوده - برأيهم- الولايات المتحدة الأمريكية، وبذلك قررت الجبهة متابعة ما تسميه سياسة ثورية داخلية بإقامة الجمهورية العربية اليمنية، وإنشاء "مجالس شعب" و«حراس للشعب"، وإدخال "الاشتراكية " وسياسة خارجية تدعم الكفاح من أجل التحرر في الخليج وشبه الجزيرة العربية. ومن وجهة النظر الأمريكية، فإن هذه السياسة الخارجية الجديدة تدعو للتدخل النشط في شؤون اليمن الجنوبي من قبل الدول الأخرى في شبه الجزيرة العربية بما في ذلك المؤيدين للملكية[16]. أمر آخر قد يوضح الموقف السعودي، وهو الجزر المتنازع عليها بين السعودية و«إسرائيل"، فالملك فيصل في نظر المحللين الأمريكيين كان يشعر بالحرج من احتلال "إسرائيل" للجزيرتين السعوديتين في مدخل خليج العقبة: تيران وصنافير منذ حرب حزيران/يونيو 1967، على اعتبار أن القوات المصرية كانت تحميهما عند اندلاع القتال، وقد عارضت "إسرائيل" كل مقترحات الانسحاب من هاتين الجزيرتين، لكن السعودية بادرت على عجل بتأجير الجزيرتين لمصر؛ حتى تتجنب أي صراع مباشر مع "إسرائيل"، وكي لا تكون لها حدود مع دولتهم، وحتى لا يطالب السعوديون بتحرير أراضيهم المحتلة في الحاضر أو المستقبل[17]. وهناك وثيقة أمريكية تقول إنّ الملك فيصل تعهد لـ "إسرائيل" أن تظل تيران منزوعة السلاح، وأن لا يمنع "الإسرائيليين" من حرية المرور من خلال المضيق بعد أن أبدى امتعاضه للإدارة الأمريكية، وطالب بانسحاب "إسرائيل" من جزيرة تيران خوفا من الإحراج، وكان الرد الإسرائيلي هو الرفض. لكن الأمر اللافت للنظر في نص الوثيقة هو تقديم الملك فيصل شكوى للولايات المتحدة في شهر نيسان/أبريل 1968 حول تخوفه من إمكانية احتلال "إسرائيل" لجزيرة صنافير، وعندما خاطبت الإدارة الأمريكية تل أبيب في 7 آيار/مايو 1968 تبين أن الجزيرة محتلة منذ حرب 1967 أي منذ 10 أشهر دون أن يعلم فيصل! [18]

وبالعودة لموضوع جزر الخليج العربي؛ أقرت الحكومة البريطانية في الوثائق الأمريكية وخلال مباحثاتها مع نظريتها الأمريكية في 11 أذار/مارس 1969 حول أوضاع الخليج، أن جزر الخليج - صري[19] وطنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى- التي تطالب بها إيران تاريخياً، كانت جزر قراصنة تستخدم من قبل القواسم الذين يسيطرون على رأس الخيمة والشارقة، وتنتمي جميعها إليهم، وأن الإيرانيين لم يكن لهم أي شيء في هذه الجزر حتى تلك اللحظة، ومع ذلك ترى بريطانيا أن الادعاءات الإيرانية بخصوص هذه الجزر صحيح أكثر من ادعاءاتها في البحرين. وأقرت بريطانيا في

---

[15] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 30 January 1968, p. 6

[16] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 13 March 1968, p. 5

[17] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 4 June 1968, No. 0173/68, p. 10

[18] Foreign Relations of the United States, 1964-1968, Volume XX, Arab-Israeli Dispute, 1967-68, United States Government Printing Office, Washington, 2001, Document 182, Washington, May 29, 1968, Israeli Actions and Motives with Respect to Tiran and Senafir .

[19] كانت جزيرة صري تتبع للقواسم في إمارة رأس الخيمة، وتبعد 33 كم عن جزيرة أبو موسى, وفي عام 1887 قامت إيران باحتلالها, للمزيد أنظر : القاسمي, الجزر الثلاث بين السيادة العربية والاحتلال الإيراني ص 43-45.

الجلسة نفسها بأنها لا تستطيع الاعتراف بهذا الأمر للإيرانيين. وتشير الوثائق إلى أن بريطانيا قد حاولت في منتصف عام 1968 عقد صفقة تتضمن تنازل إيران عن مطالبها في البحرين مقابل إعطائها جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى، كجزء من تسوية وسط ما بين العرب وإيران، لكن إيران رفضت[20].

أكد السفير الكويتي بدر بن خالد للحكومة البريطانية أنه إذا تمكنت بريطانيا من الوصول إلى حل مُرضٍ لمسألة البحرين، فإن العرب لن يكونوا مستائين جداً لو ذهبت جزيرة أبو موسى أو حتى جزيرة طنب الكبرى وجزيرة طنب الصغرى لإيران. ورأت بريطانيا " أن أي تحكيم قضائي بشأن هذه الجزر سوف يكون لصالح رأس الخيمة بنسبة (40-60%)، كما سوف تكون الغلبة للشارقة في مسألة جزيرة أبو موسى، وأنها قد تسحب حمايتها عن طنب الكبرى وطنب الصغرى في حال رفضت رأس الخيمة العرض الإيراني، ومع ذلك فهي لا تريد الوصول بهذه الأمور إلى المرحلة القانونية ؛ لأن هذا من شأنه التأثير سلباً على علاقات إيران بالمملكة المتحدة، وهي علاقات تقدرها بريطانيا تقديراً عالياً وتحرص عليها"[21].

وقد أعلمت إيران الحكومة الأمريكية بأنها تعاملت بكثير من اللباقة والمرونة في موقفها إزاء جزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، وأن شيوخ رأس الخيمة والشارقة لا يرون هذه اللباقة والمرونة، وأنهم مستعدون لفعل كل شيء تريده إيران عدا تسليم هذه الجزر لها. ورأت الحكومة الأمريكية أن الموقف الإيراني لاهوادة فيه وأنه استفزازي، وأن مطالبة إيران بالجزر لن تتوقف ([22])، وبعد أن تنازلت إيران عن مطالبها بالبحرين فإنها عازمة ومصرة على الحصول على السيطرة الفعلية على جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى وعلى جزيرة أبو موسى، التي تتحكم في الوصول إلى الخليج [23]، بل إنه أصبح أكثر إلحاحاً بعد شعوره بأنه كان "ذا صدر رحب" في مسألة البحرين عندما تخلى عن مطالباته فيها [24]. لقد كانت المطالبات الإيرانية بالسيادة على الجزر قائمة على عدة نقاط أهمها[25]:

أولاً: أن الجزر كانت سابقاً تتبع إلى إيران، وأنه تم تسليمها إلى الشارقة ورأس الخيمة بعد دخول البريطانيين إلى منطقة الخليج، أي أن تبعية الجزر تاريخياً هي للإمبراطورية الفارسية.

ثانياً: اتخذت الحكومة الإيرانية أمن الخليج وحماية الطرق البحرية فيه ذريعة لفرض السيادة على الجزر.

ثالثاً: أن الحكومة البريطانية كانت قد اعترفت سابقاً بملكية إيران لهذه الجزر.

---

[20] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 72, March 11, 1969, p.229

[21] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 72, March 11, 1969, p.232

[22] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969-1972, Document 51 February 27, 1970.

[23] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 13 May 1970, No.0114/70, p. 4-5

[24] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 98, Washington, May 19, 1971.

[25] Ali A. El- Hakim, The Middle Eastern States and The Law of the Sea, p. 123.

وهكذا في 19 أيار/مايو 1970, أكدت إيران للحكومة البريطانية أن جزيرة أبو موسى ومياهها الإقليمية التي تصل إلى مسافة (12) ميلاً تقع تحت سيادة إيران. هذا الادعاء أعيد تأكيده في رسالتين؛ الأولى بتاريخ 27 أيار/مايو والثانية في 23 حزيران/يونيو 1970، أرسلتا من شركة النفط الوطنية الإيرانية (The National Iranian Oil Company) إلى شركة النفط صاحبة الامتياز في الشارقة (Buttes Gas and Oil Company)، ورد في إحداها ما يلي: "تحتفظ حكومة صاحب الجلالة الإيرانية لنفسها بحق اتخاذ أي إجراء للحفاظ على سيادتها على جزيرة أبو موسى ومياهها الإقليمية". من جانبها أكدت الشارقة أن "القبائل الموجودة على الجزيرة هي فروع من القبائل العربية التي تسكن الشارقة، وأن جزيرة أبو موسى ومنذ أقدم العصور معروفة على أنها جزيرة عربية، ولم تستقر فيها أي قوة أجنبية، وكانت تدار دائما من قبل حكام عرب على طول الساحل العماني". وأكدت الحكومة البريطانية هذا الحق التاريخي للعرب وللشارقة على وجه التحديد في أكثر من مناسبة، وذكرت وجهة نظرها الرسمية من خلال السير وليام لوس (Sir William Luce) ممثل وزير الخارجية البريطاني في منطقة الخليج ، في عبارة: "الحكومة البريطانية لم تستولِ على جزيرة أبو موسى من الإيرانيين، وقد تسلمتها من الشارقة حين دخلت الخليج، والحكومة البريطانية منذ ذلك الحين تعد جزيرة أبو موسى عربية، وبالاعتماد على وثائق قديمة موجودة في حوزة الحكومة البريطانية فإن الجزيرة عربية" [26].

إن عمليات التنقيب عن النفط في المياه الإقليمية المتنازع عليها قبالة سواحل جزيرة أبو موسى قد أثارت إيران، فبدأت بالتحرك في نهاية شهر أيار/مايو 1970 لاتخاذ إجراءات حماية مطالباتها في جزيرة أبو موسى، وأعلنت إيران أنها ستتخذ إجراءات لوقف أي عمليات حفر وتنقيب تبدأ قبل أن يتم التوصل إلى تسوية لأوضاع جزيرة أبو موسى [27].

أكد جوزيف سيسكو في برقية من وزارة الخارجية إلى السفارة الأمريكية في المملكة المتحدة في منتصف عام 1970 أن الإدارة الأمريكية ممتنة للندن التي قررت الضغط على المشيخات للتوصل إلى اتفاق سريع بشأن الجزر؛ خوفاً على المصالح الغربية في المنطقة, التي سوف تتعرض في نهاية العام نفسه -1971- إلى الخطر في حال عدم ضمان استقرار المنطقة وأمنها بعد مغادرة القوات البريطانية الخليج[28].

في 30 تشرين الثاني/نوفمبر 1970، كرر وزير الخارجية الإيراني زاهدي -وبشدة- تصميم حكومته على تأكيد مطالبتها بجزر الخليج : طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، وألقى زاهدي باللوم على المملكة المتحدة لتسببها بهذا الخلاف، وادّعى أن الجزر المتنازع عليها ضرورية لأمن ايران، وألمح إلى أنه بالرغم من أن حكومته تفضل تسوية النزاع عبر المفاوضات، إلا أنها ستتخذ كل التدابير اللازمة لتلبية الاحتياجات الأمنية لإيران في الخليج. واتهم زاهدي الكويتيين بأنهم يشجعون

[26] Ibid, p. 122-124.

[27] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 23 May 1970, No. 0123/70, p.6

[28] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 84, Washington, June 17, 1970, 2341Z.

حكام الخليج على رفض التوصل إلى اتفاق مع إيران بشأن مسألة السيادة على الجزر، وحذر زاهدي من أنه إذا استمرت الكويت في مساعيها فإنه لن يعد هناك إمكانية لتعاون وصداقة من الجانب الإيراني [29].

وخلال اجتماع السفير الأمريكي في إيران ماك آرثر مع الشاه في 9 كانون الأول / ديسمبر 1970، عبر الشاه عن شعوره بخيبة الأمل من عدم تقديم فيصل أي مساعدة على الإطلاق في مسألة الجزر، وقال الشاه إن فيصل اتخذ موقفاً تنصل به من المسؤولية يتمثل في أن "البريطانيين هم من خلقوا مشكلة الخليج عن طريق الاستيلاء على هذه الجزر في فترة الاستعمار، وأنها قامت – دون وجه حق- بتخصيصها للمشيخات، فهم من خلقوا المشكلة والأمر متروك لهم لتسويتها قبل مغادرتهم في العام المقبل"[30]؛ أي في الموعد المقرر في نهاية عام 1971.

رأت الإدارة الأمريكية في بداية عام 1971 أن الشاه يهتم بالجزر بدافع الهيمنة على المنطقة، وأنه من الصعب على الإدارة الامريكية أن تصدق أن الشاه يؤمن حقاً أن الجزر لها أهمية استراتيجية كما يروج، ورأت أيضاً أن الشاه سوف يستولي على الجزر بالقوة، الأمر الذي يرفضه العرب. لكن السير ويليام لوس (Sir William Luce) - الممثل الخاص بوزارة الخارجية البريطانية – شكك في أن تقوم الكيانات العربية بأكثر من الاحتجاج وإثارة الضجة على مثل ذلك الإجراء الإيراني [31].

الجزر الثلاث.. قلقُ السؤال ما بين هبة أراضٍ عربية واحتلالٍ إيرانيّ :

استمرت المملكة المتحدة بالضغط على حكام الشارقة ورأس الخيمة بشكل قوي للتوصل إلى تسوية مع الشاه، لكنهم كانوا يؤمنون بأنهم غير قادرين على إجبار الحكام على التخلي عن الجزر، إذ كان حاكم رأس الخيمة يقول "إنه سوف يكون هدفاً للاغتيال إذا وهب أراضيَ عربية، لذلك يفضل أن يستخدم الشاه القوة، وبذلك يرضخ للظروف القاهرة"[32].

في الوقت نفسه، رأت الإدارة الأمريكية أن إيران أصبحت غير مرنة في مفاوضاتها على الجزر، ورأت أن الموقف الإيراني هذا لا يتفق مع دورها في كونها القوة الأساسية لاستقرار المنطقة، ولذلك وجدت أنه يجب على إيران أن تدعم الاتحاد وأن تعمل على تسوية مطالبها من خلاله عبر الضغط على رأس الخيمة والشارقة عن طريق المساعدات المالية، وأن تدعم إيران إنشاء الاتحاد بشرط استبعاد هاتين المشيختين إلى حين حل مسألة الجزر، وبالفعل لم تنضم رأس الخيمة في البداية، لكن يبدو أنه تم مفاوضة الشارقة ورأس الخيمة حول منعهم من الانضمام إلى الاتحاد ما لم تتم تسوية موضوع الجزر، وهو ما دفع الشارقة إلى الإذعان، فيما رفضت رأس الخيمة، وهو ما حال دون انضمامها إلى الاتحاد المقترح، لكن المحللين الأمريكيين رأوا أنه ليس من الممكن أن تحقق

[29] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 30 November 1970, c 196, p.8-9

[30] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969-1972, Document 105, December 10, 1970, 1300Z

[31] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 93, Washington, January 13, 1971.

[32] Ibid, Document 93, Washington, January 13, 1971.

الولايات المتحدة أو المملكة المتحدة، أو كلتاهما مجتمعتين نجاحا في تحفيز إيران على دعم الاتحاد دون وجود اتفاق بين ايران والمملكة المتحدة يسمح لإيران بالوجود على الجزر قبل انسحاب المملكة المتحدة [33].

تمثل موقف الحكومة الأمريكية من مسألة الجزر في إعلانها بأنها لم ولن تنحاز إلى أي طرف في الإدعاءات المتضاربة، لكنها أكدت أنها تدرك أن بريطانيا وإيران تعملان بجد من أجل إيجاد حل، وتأمل بالتوصل إلى تسوية الخلافات ودياً قبل قيام الاتحاد فعلياً، حتى يصدر الاعتراف الدولي بجميع الإجراءات[34].

كانت المشيختان (رأس الخيمة والشارقة) مترددتين في التخلي عن "أراضٍ عربية"، خصوصاً في وقت بدأت القومية والقوى "الراديكالية " فيه بالنمو في المنطقة، وذلك خوفاً من اتهامهما بالتواطؤ مع الشاه. وأشار حاكما المشيختين أنهما يفضلان أن يتم الاستيلاء على الجزر بالقوة، حتى تسقط عنهم المسؤولية؛ لأن حياتهما سوف تكون ثمن قبولهم للوجود الإيراني على الجزر العربية [35]. ولذلك كان قلق المشيختين من التنازل عن أراضٍ عربية - حتى لا تفقدا مصداقياتهما عند العرب - موجهاً إلى التخطيط للاستيلاء على الجزر عشية الانسحاب، حتى يتوجه العداء إلى المملكة المتحدة وإيران. وفي الوقت نفسه تكون الروابط البريطانية الرسمية مع المنطقة قد انتهت، فلا يكون لبريطانيا بعد ذلك غطاء رسمي للتدخل في مواجهة أي غضب شعبي قد يحدث، ويمكن للعرب حينئذ التوجه للأمم المتحدة لمناقشات سوف تستمر طويلاً [36].

وبعد نزاع طويل الأمد بين إيران والشارقة جرى الإعلان عن "مذكرة تفاهم " في تشرين الثاني/نوفمبر 1971[37]. وقبل هذه المذكرة وضع الشاه شروطه في أيلول /سبتمبر 1971، وأكد أنه في حالة رفض المشيخات لهذه الشروط التي وافقت عليها المملكة المتحدة فإن العلاقات البريطانية الإيرانية سوف تكون على المحك، وسوف تشجب إيران الاتحاد وتحتفظ بحقها في اتخاذ الاجراءات التي تراها مناسبة للحفاظ على المصلحة الوطنية. وتضمنت شروطه ما يلي[38]:

- انسحاب الوجود الرسمي للمشيخات من الجزر بعد (12) شهرًا من مباشرة إيران وجودها على الجزر.

---

[33] Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Volume E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969-1972, Document 118, March 3, 1971, 2303Z, Department of State 036768

[34] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 97, Washington, April 13, 1971, 0030Z

[35] Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Volume E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969-1972, Document 119, Department of State, March 19, 1971, 1532Z; Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 98, Washington, May 19, 1971.

[36] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 98, Washington, May 19, 1971.

[37] Ali A. El- Hakim, The Middle Eastern States and The Law of the Sea, p. 122-124.

[38] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 105, Washington, September 13, 1971, 2106Z, p. 336.

- أن تغض إيران النظر عن مسألة إعلان السيادة لمدة (18) شهرًا بعد مباشرتها الوجود على الجزيرة.

- تدفع إيران مبلغًا سنويًا يقدر بـ(1.5) مليون دولار لكل مشيخة لمدة عشر سنوات، بالإضافة إلى إشراكهما بأي إيرادات نفطية أو معدنية تتحصل عليها إيران من الجزر.

ثم جرى التوصل إلى اتفاق مبدئي في 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1971 طالب الشيخ خالد القاسمي (24 حزيران/يونيو 1965- 24 كانون الثاني/يناير 1972) حاكم الشارقة خلاله بالحصول على اتفاق رسمي مكتوب, لكن الشاه كان يعارض توقيع اتفاقية مع الشارقة, ما دفع السير لوس إلى اقتراح أن يكون الاتفاق على شكل رسائل متبادلة بين إيران والمملكة المتحدة, وتليها رسائل متبادلة بين المملكة المتحدة والشارقة. وقبل الشاه أن تعين الشارقة الشركة التي تنقب عن النفط قبالة سواحل أبو موسى. واتفق الطرفان على تقسيم عائدات النفط مناصفة بواقع (50%) لكل منهما. وعد ماك آرثر السفير الأمريكي في إيران أن قيام الشيخ خالد بالتعاقد مع نورثكت إيلي (Northcutt Ely) - وهو محام أمريكي مثّل الشارقة في النزاع الحدودي البحري وحماية مصالحها فيما يخص امتيازات النفط في أبو موسى - محاولة لجعل الولايات المتحدة تشارك في هذا النزاع، فقد كان إيلي إلى جانب كونه محامياً أمريكياً ممثلاً أيضا لشركة (Buttes Oil Company) التي منحتها الشارقة حقوق امتياز التنقيب عن النفط في المياه الإقليمية لجزيرة أبو موسى. أما عن جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى، فلم توافق رأس الخيمة على التنازل عنهما طوعًا، ورفضت كذلك أخذ أموال إيرانية [39].

طلبت رأس الخيمة الدعم من الولايات المتحدة. فأرسل حاكمها رسالة في 27 تشرين الثاني / نوفمبر يطلب فيها من الولايات المتحدة إعادة النظر في طلبها الذي قدمته في وقت سابق بالاعتراف والدعم، على ضوء القرار الذي اتخذته المملكة المتحدة بإنهاء المعاهدة مع رأس الخيمة في الأول من كانون الأول/ديسمبر. وكان الرد من قبل جوزيف سيسكو بأن الولايات المتحدة ترى أن من مصلحة دول الخليج أن تصبح مستقلة هذا العام، لتصبح أكثر فاعلية وتحقق الأمن والرخاء. ودعت الولايات المتحدة رأس الخيمة إلى إعادة النظر في احتماليات انضمامها إلى دول الخليج الأخرى في اتحادهم. وأكد سيسكو لحاكم رأس الخيمة أن موقف الولايات المتحدة هو الحرص على أمن رأس الخيمة ورفاهها [40].

تم الإعلان عن تسوية مطالبة إيران بجزيرة أبو موسى من خلال اتفاق مع حاكم الشارقة الشيخ خالد بن محمد القاسمي في 29 تشرين الثاني /نوفمبر 1971؛ أي قبل (24) ساعة من إنزال القوات الإيرانية على جزيرة أبو موسى في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر [41]، إلا أنه لم يتم التوصل إلى اتفاقية مع

[39] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 107, Tehran, November 15, 1971, 0803Z, p. 340

[40] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document109, Washington, November 27, 1971, 2111Z.

[41] Sirriyeh, Hussein, U.S. Policy in The Gulf 1968-1977, p.11

ABU MUSA ISLAND, HL Deb 29 November 1971 vol 326 c4
http://hansard.millbanksystems.com/lords/1971/nov/29/abu-musa-island#S5LV0326P0_19711129_HOL_25,

رأس الخيمة بخصوص الوضع القانوني لطنب الكبرى وطنب الصغرى. ومنذ نهاية عام 1968 وإيران تتفاوض مع رأس الخيمة على طنب الكبرى وطنب الصغرى، إلا أن حاكم رأس الخيمة استمر في رفض تمركز قوات إيرانية على جزيرتي طنب الكبرى وطنب الصغرى مقابل مساعدات مالية [42].

وتضمنت الاتفاقية المعقودة بين الشارقة وإيران مقدمة وسبعة بنود، أكدت المقدمة أنّ الطرفين لم يتخليا عن المطالبة بجزيرة أبو موسى. ولم تعترف كل منهما بمطالب الأخرى، وشملت البنود ما يأتي [43]:

أولاً : إنزال القوات الإيرانية على جزيرة أبو موسى، وتسيطر على مناطق محددة ومتفقاً عليها بشكل مسبق بحسب الخريطة المرفقة بالاتفاق.

ثانياً : يكون لإيران الصلاحية المطلقة في المناطق التي تشغلها القوات الإيرانية، وسوف يرفرف عليها العلم الإيراني.

ثالثاً : تحتفظ الشارقة بالصلاحية المطلقة في سائر المناطق الأخرى من الجزيرة. وسوف يبقى علم الشارقة يرفرف على مخفر شرطة الشارقة ، كما سيرفع العلم الإيراني على التجمعات العسكرية الإيرانية.

رابعاً : تعترف إيران والشارقة بأن حدود المياه الإقليمية تصل إلى مدى(12) ميلاً بحرياً.

خامساً : تباشر شركتا (Buttes Gas) و (Oil Company) استغلال الثروات البترولية في جزيرة أبو موسى وفي مياهها الإقليمية بموجب نص الاتفاقية، على أن تدفع كل شركة بدورها نصف العائدات البترولية للشارقة والنصف الآخر لإيران.

سادساً : يجب أن يكون للمواطنين في إيران والشارقة الحقوق نفسها؛ فيما يتعلق بالصيد في مياه جزيرة أبو موسى الإقليمية.

سابعاً : سوف يتم التوقيع على اتفاقية مساعدة مالية سنوية بين إيران والشارقة تقدر بمليونين ونصف المليون جينه استرليني؛ أي ما يساوي تقريبا أربعة ملايين دولار لمدة (9) سنوات قابلة للتجديد. وتتوقف هذه المساعدة في حال ارتفاع عائدات الشارقة من النفط إلى ما يزيد عن ثلاثة ملايين جنيه إسترليني أي ما يساوي تقريبا ثمانية ملايين دولار .

رأى المحللون الأمريكيون أن إيران وافقت على هذا الاتفاق، وهي تعتبر الاحتلال المشترك لجزيرة أبو موسى – كترتيب مؤقت - أمراً مرحلياً للضغط من أجل سيادة تامة [44].

وبعد توقيع الاتفاقية بين شيخ الشارقة والشاه بفترة بسيطة قتل شيخ الشارقة في انقلاب قام به ابن عمه، ويقال إن السبب هو توقيعه للاتفاقية [45].

---

[42] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 72, March 11, 1969, p.228

[43] السوارية والشرعة، عروبة الجزر الإماراتية الثلاث ، ص 357 ؛ رمضاني ر. ك. (1984), الخليج العربي ومضيق هرمز, ترجمة: عبد الصاحب الشيخ, منشورات مركز دراسات الخليج العربي, جامعة البصرة, الجمهورية العراقية, ص 124.

Abu Musa Encyclopaedia Iranica, Vol. I, Fasc. 4, December 15, 1983, pp.345-346

http://www.iranicaonline.org/articles/abu-musa-island-in-the-persian-gulf

[44] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 1 December 1971, No. 0287/71, p.8-9

[45] رمضاني، الخليج العربي ومضيق هرمز، ص 125.

قبل يوم واحد فقط من قيام بريطانيا بتصفية تعهداتها الأمنية في الخليج، وكان ذلك في صباح 30 تشرين الثاني/نوفمبر 1971، سارع الشاه إلى احتلال الجزر العربية الثلاث الواقعة في مدخل الخليج، وهي: جزيرة أبو موسى التي كانت جزءاً من إمارة الشارقة، حيث لم يمانع حكامها الانضمام لإيران في مُقابل أن تدفع إيران للشارقة مبلغ دعم سنوي. أما الجزيرتان الأخريان وهما: طنب الكبرى وطنب الصغرى، اللتان كانتا تابعتين لإمارة رأس الخيمة فقد عارض حاكمها احتلال إيران لهما [46].

تم إنزال القوات الإيرانية على جزيرة أبو موسى وفقاً للتفاوض البريطاني والتنسيق بين إيران وحاكم الشارقة. وقد رحب مسؤولون من الشارقة بالقوات الإيرانية التي احتلت الجهة المحددة لها سلفاً من الجزيرة وفقا للاتفاق المبرم، وتركت الجزء الآخر تحت إدارة الشارقة المدنية. أما عن إنزال القوات في طنب الكبرى وطنب الصغرى، فكان بموافقةٍ بريطانية، وقد كان - ضمنياً- جزءاً من تسوية أبو موسى، لكن حاكم رأس الخيمة أصر على موقفه الرافض، فيما استمرت محاولات بريطانيا دَفعَهُ للتنازل عن جزر طنب لإيران مقابل الحصول على مساعدات مالية منها، وتم إعلامه بإنزال القوات الإيرانية على الجزر، إلا أنه فشل في تفادي وقوع مناوشات من قبل (6) رجال شرطة على طنب الكبرى قاموا بفتح النار على القوات الإيرانية المكونة من (30) جندياً, ما أدى إلى مقتل (3) إيرانيين و(4) أشخاص من رأس الخيمة، فقامت رأس الخيمة بتوجيه احتجاج شديد اللهجة لبريطانيا مؤكدة على مطالبتها المستمرة بجزيرتي طنب الكبرى والصغرى، وأن تبعيتهما تعود لرأس الخيمة [47].

ذكر بروس ر. كوينهولم صاحب كتاب سياسة الولايات المتحدة في منطقة الخليج الفارسي أن "هناك معاهدة وقعت بين بريطانيا وإيران، جاء فيها أن بريطانيا لن تعارض إيران في احتلال جزيرة أبو موسى وجزيرتي طنب الكبرى والصغرى، على أن لا تحاول إيران احتلال تلك الجزر إلا في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1971" ، وهو تاريخ إنهاء المعاهدة البريطانية مع الساحل المتصالح، حين يكون الالتزام البريطاني قد انتهى، وهو الأمر الذي عده شبيهاً بالوعد الذي أعطته بريطانيا إلى اليهود، وأدى إلى احتلال فلسطين عام 1948[48].

وهكذا احتلت القوات الإيرانية جزيرة أبو موسى وجزيرتي طنب الكبرى والصغرى، أما انسحاب بريطانيا وإنهاء علاقاتها مع الساحل المتصالح، فكان في الأول من كانون الأول/ديسمبر من العام نفسه، بينما أعلن عن قيام دول الإمارات المتحدة في اليوم الثاني 2 كانون الأول/ديسمبر 1971، أي أن الاحتلال الإيراني للجزر جرى قبل الانسحاب البريطاني [49]، حيث أنّ مسؤولية حماية الجزر لم تزل حينها على عاتق بريطانيا وفقاً للمعاهدات المعقودة بين بريطانيا ومشيخات الخليج.

---

[46] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 30 November 1971, No. 0286/71, p.3; Magnus, Ralph (Summer 1980), The Carter Doctrine, New Directions on a Familiar Stage, p.10; Kelly, Arabia, The Gulf and The West, p. 95-103; Sirriyeh, Hussein U.S. Policy in The Gulf 1968-1977, p.11

[47] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 110, Washington, December 1, 1971.

[48] كونيهولم، بروس ، سياسة الولايات المتحدة في منطقة الخليج الفارسي ، ص 46

[49] السوارية والشرعة، عروبة الجزر الإماراتية الثلاث ، ص 357.

المواقف الإقليمية تجاه احتلال الجزر الثلاث:

ولم يكن لدى اتحاد الإمارات العربية الذي كان مقرراً له أن يبدأ في كانون الأول / ديسمبر 1971 أي التزام لمساندة رأس الخيمة بالنسبة لجزيرتي طنب؛ لأن رأس الخيمة لم تكن جزءاً من الاتحاد. وكما هو معروف فإن إيران قد احتلت الجزر في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر1971، بينما كانت الحماية البريطانية ما تزال سارية، ولكن لم يكن لها أي تأثير في ذلك الصدد.

وكان العراق أول دولة تتحرك بإعلانها في نفس يوم احتلال إيران للجزر عبر قطع العلاقات الدبلوماسية مع لندن وطهران. ولم تفرق العراق بين إنزال القوات على أبو موسى والإنزال على طنب الكبرى وطنب الصغرى، واصفة العمل الإيراني بأنه " انتهاك صارخ للسيادة العربية"، و«تهديد خطير لأمن وسلامة المنطقة والملاحة الدولية"، في وقت كانت معظم الدول العربية الأخرى مشغولة بقضايا تخصها [50]، ودعا العراق إلى عقد مؤتمر قمة عربي لدراسة إمكانية رفع القضية إلى مجلس الأمن في الأمم المتحدة [51]، فطالبت أربع دول عربية فقط بعقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن الدولي للنظر في قضية احتلال الجزر، إلا أن مصر لم تشجع هذه الخطوة، لأنها رأت أن ذلك من شأنه أن يضعف المناقشات الحالية للقضايا العربية الأكثر إلحاحاً والمطروحة في الجمعية العامة بين العرب و«إسرائيل" [52].

وتوترت العلاقات العراقية الإيرانية بشكل أكبر بعد طرد ما يقارب (60000) إيراني من العراق، كرد فعل على احتلال إيران للجزر الثلاث، فازدادت حدة التوتر بين طهران وبغداد [53].

اعتبرت الولايات المتحدة موقف العراق من التوجهات الإيرانية حتى قبل الاحتلال الإيراني للجزر محاولة لاستغلال مخاوف دول الخليج الصغيرة. كما حاول العراق سراً إقناع مشيخات الشارقة ورأس الخيمة بعدم التخلي عن مطالبهم - قبل الاحتلال- . وسبب تحركات العراق هذه في المنطقة يكمن في عدائها لإيران، إضافة إلى رفعها راية العروبة والقومية والدفاع عن الطابع العربي للخليج. وقد أدت محاولات العراق لعب دور رئيسي في المنطقة إلى جعلها منافسة للسعودية، ولذلك كانت السعودية مستعدة للتعاون مع إيران للحفاظ على الخليج بعيداً عن "تطرف" العراق [54].

أما الكويت فقد دعا بعض أعضاء مجلس الأمة فيها إلى قطع العلاقات مع الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وإيران[55]، لكن الوفد الكويتي الموجود في نيويورك في ذلك الوقت أوعز بتعليمات مفادها إبقاء التصرفات عقلانية؛ لأنهم على علم بأن مصر ليست حريصة على متابعة القضية، سواء في الأمم المتحدة أو حتى في جامعة الدول العربية [56]، لذلك لم يرد الكويتيون تحمل المشكلة وحدهم في وقت ابتعدت فيه الدول العربية عن التصعيد في هذه الأزمة.

---

[50] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 1 December 1971, No. 0287/71, p.8-9

[51] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 110, Washington, December 1, 1971.

[52] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 4 December 1971, No. 0290/71, p.12

[53] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 6 January 1972, No. 0005/72, p.7

[54] Foreign Relations of the United States, 1969-1976, Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 76, Washington, December 31, 1969

[55] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 1 December 1971, No. 0287/71, p.8-9

[56] Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV, Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970, Document 110, Washington, December 1, 1971.

إضافة إلى العراق لم تتحرك أي دولة عربية رداً على احتلال جزر الخليج باستثناء ليبيا، التي قامت بتأميم شركة البترول البريطانية، ففي 7 كانون الأول / ديسمبر 1971 قررت الحكومة الليبية سحب الأصول الخاصة بها من بنوك المملكة المتحدة, التي تقدر بما يتجاوز (400 - 500) مليون دولار؛ رداً على ما أطلقت عليه " التواطؤ البريطاني في احتلال إيران للجزر الثلاث في الخليج"، علماً بأن (8%) من إنتاج النفط الليبي يعود لشركة البترول البريطانية (BP British Petroleum) الذي يشكل ما نسبته (5%) من إنتاج الشركة في جميع أنحاء العالم [57]. وعلى المستوى الشعبي فقد ركزت الصحافة الليبية والمظاهرات الشعبية أمام السفارة البريطانية على "التواطؤ" البريطاني الإيراني، واجتمع (2000) شخص وطالبوا بتأميم شركة البترول البريطانية (BP)، وصعدت ليبيا الموقف بتأميم شركة النفط البريطانية في 9 كانون الأول/ديسمبر 1971[58].

أما عن إيران، فبعد أن حققت ما أرادت بدأت تعيد تقييم موقفها تجاه الأوضاع في الشرق الأوسط، وتتحرك باتجاه موقف مؤيد للعرب، عبر إصدار وزارة خارجيتها بياناً في 6 أذار/مارس 1971 يشجع توفير ظروف مواتية لاستعادة السلام في الشرق الأوسط، بعد استجابة الحكومة المصرية الإيجابية لهذا التوجه. وأضاف البيان أن الحكومة الإيرانية سوف تدين "إسرائيل" إذا لم تتقبل التوجهات الجديدة. موقف إيران هذا فسره المحللون الأمريكيون بأن طهران تؤيد دائماً قرارات مجلس الأمن الدولي فيما يتعلق بشؤون الشرق الأوسط ، حتى تلك السلبية بالنسبة لـ«إسرائيل"، وكانت- في الوقت ذاته- محتفظة بعلاقات وثيقة مع تل أبيب؛ حتى تزعج العالم العربي. أما هذا البيان الذي أصدرته وزارة خارجيتها فيعد أقوى موقف عدائي تتخذه إيران ضد "إسرائيل" حتى ذلك الوقت. ولذلك اعتبر المحللون السياسيون الأمريكيون أن هذا البيان هو تحرك إيراني لتحسين صورة إيران أمام العرب، ولتشغلهم عن احتلالها جزر الخليج: أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى[59].

[57] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 8 December 1971, No. 0293/71, p.7

[58] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 11 December 1971, p.7

[59] Department of State, Central Intelligence Bulletin, 6 March 1971, c 196, p.9.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق :

الوثائق الأجنبية المنشورة (الأمريكية)

- Foreign Relations of the United States, 1964-1968, Volume XXII, Iran, Document 285, Washington, May 21, 1968
- Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume E-4, Documents on Iran and Iraq, 1969-1972,

  Document 105, December 10, 1970, 1300Z

  Document 51 February 27, 1970

  Document 118, March 3, 1971, 2303Z, Department of State 036768

  Document 119, Department of State, March 19, 1971, 1532Z
- Foreign Relations of the United States, 1969-1976 Volume XXIV Middle East Region and Arabian Peninsula, 1969-1972; Jordan, September 1970,

  Document72, March 11, 1969, p.227-32

  Document 76, Washington, December 31, 1969

  Document 84, Washington, June 17, 1970, 2341Z

  Document 93, Washington, January 13, 1971

  Document 97, Washington, April 13, 1971, 0030Z

  Document 98, Washington, May 19, 1971.

  Document 105, Washington, September 13, 1971, 2106Z, p. 336.

  Document 107, Tehran, November 15, 1971, 0803Z, p. 340

  Document109, Washington, November 27, 1971, 2111Z.

  Document 110, Washington, December 1, 1971.
- Foreign Relations of the United States, 1964-1968, Volume XX, Arab-Israeli Dispute, 1967-68, United States Government Printing Office, Washington, 2001, Document 182, Washington, May 29, 1968, Israeli Actions and Motives with Respect to Tiran and Senafir.
- **Department of State, Central Intelligence Bulletin**
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 3 May 1968, p.7
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 30 January 1968
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 13 March 1968, p. 5
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 4 June 1968, No. 0173/68, p. 10

- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 1 December 1971, No. 0287/71, p.8-9
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 30 November 1971, No. 0286/71, p.3
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 13 May 1970, No.0114/70, p. 4-5
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 23 May 1970, No. 0123/70, p.6
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 30 November 1970, c 196, p.8-9
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 4 December 1971, No. 0290/71, p.12
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 6 January 1972, No. 0005/72, p.7
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 8 December 1971, No. 0293/71, p.7
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 11 December 1971, p.7
- Department of State, Central Intelligence Bulletin, 6 March 1971, c 196, p.9.

الوثائق الأجنبية المنشورة (البريطانية)

ABU MUSA ISLAND , HL Deb 29 November 1971 vol 326 c4

http://hansard.millbanksystems.com/lords/1971/nov/29/abu-musa-island#S5LV0326P0_19711129_HOL_25,

ثانيًا: المراجع:

- إبراهيم، إبراهيم (1999) **أثر النفط على قيام دولة الإمارات. في: التجارب الوحدوية العربية المعاصرة : تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة** ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- التدمري، أحمد جلال (2000)، **الجزر العربية الثلاث : دراسة وثائقية، مطبعة رأس الخيمة الوطنية** ، رأس الخيمة.
- رمضاني ر. ك. (1984)، **الخليج العربي ومضيق هرمز،** ترجمة: عبد الصاحب الشيخ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، الجمهورية العراقية.
- السوارية ، نوفان رجا و الشرعة، إبراهيم فاعور(2005) "**عروبة الجزر الإماراتية الثلاث (أبو موسى،وطنب الكبرى، وطنب الصغرى) (1750-1971) دراسة وثائقية"** ، مجلة دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32, العدد 2.

- فريد هاليداي(1979) ، **مقدمات الثورة في إيران ،** ترجمة: مصطفى كركوتي ، دار ابن خلدون، بيروت، الطبعة الأولى
- القاسمي، خالد بن محمد (1997)، **الجزر الثلاث بين السيادة العربية والاحتلال الإيراني،** الكتب الجامعي الحديث، ط1
- كونيهولم، بروس (1989) **سياسة الولايات المتحدة في منطقة الخليج الفارسي،** ترجمة: محمد شاكر مشعل، دار النهضة العربية، القاهرة
- أبو مغلي، محمد وصفي، (1982) **العلاقات الإيرانية الأمريكية وأثرها في الخليج العربي 1941-1979،** مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة ، الطبعة الأولى

- Ali A. El- Hakim, The Middle Eastern States and The Law of the Sea, Manchester University Press, Manchester, 1979
- Encyclopaedia Iranica, Vol. I, Fasc. 4, December 15, 1983, Abu Musa, pp.345-346 http://www.iranicaonline.org/articles/abu-musa-island-in-the-persian-gulf
- Kelly, J. B)1980(, Arabia, the Gulf and the West, U.S.A.: Basic Books Inc,
- Laqueur, Walter)1969(, The Struggle For The Middle East:The Soviet Union and The Middle East 1958-68, Routledge & Kegan Paul , London,
- Magnus, Ralph)Summer 1980(, The Carter Doctrine, New Directions on a Familiar Stage.
- Sirriyeh,Hussein)1984(, U.S. Policy in the Gulf 1968-1977, Aftermath of British Withdrawal, Ithaca Press, London.

أهم العوامل المؤثرة في ديناميكات/ محركات العلاقات الإيرانية الأمريكية، وآثارها على الفاعلين في المنطقة

محمد نذير سالم*

الملخص

تأثرت العلاقات الأمريكية الإيرانية بعوامل متنوعة وعديدة، يمكن تصنيفها بشكل أساسي إلى عوامل متعلقة بالسياسة الخارجية لكل من البلدين، وعوامل متعلقة بالديناميكيات الداخلية في كلا الدولتين أيضاً. فيما يتعلق بالعوامل المرتبطة بالسياسة الخارجية يمكن ملاحظة تأثر العلاقة بعوامل كطبيعة النظام /النسق الدولي، والمصالح الجيواستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة، وما يترتب على ذلك من التزامات، إضافة إلى التغييرات الخاصة في سياسة الولايات المتحدة بعد أحداث 11 أيلول، وما تبعها من "حرب على الارهاب". أما فيما يتعلق بالديناميكات الداخلية للبلدين، فيمكن ملاحظة تأثيرات اختلاف مقاربات السياسة الخارجية بين الديمقراطيين والجمهوريين في الولايات المتحدة، والإصلاحيين والمحافظين في إيران، إضافة إلى الاختلاف في طبيعة النظام الإيراني التي أثرت بشكل عميق بعد قيام الثورة. كما أثر تموج العلاقات الإيرانية الأمريكية على باقي الفاعلين في المنطقة عموماً، وغالباً ما ترافق أي تحسن في العلاقات الإيرانية الأمريكية بتأثير سلبي على العلاقات الأمريكية مع كل من السعودية و«إسرائيل".

الكلمات المفتاحية: العلاقات الأمريكية الإيرانية، التنافس الإيراني الإسرائيلي، تصدير الثورة الإيرانية، الحرب على الإرهاب، الحرب الباردة، الولايات المتحدة في الشرق الاوسط.

* باحث في مركز الحوار السوري.

The most important factors affecting the dynamics/drivers of Iranian-American relations, and its effects on actors in the region

Mohamed Nazir Salem

Abstract

The American-Iranian relations have been affected by a variety of factors, which can be categorized mainly into factors related to the foreign policy of both countries, and factors related to the internal dynamics in both countries as well. With regard to factors related to foreign policy, it can be noted that the relationship was affected by factors such as the nature of the international order, the geostrategic interests of the United States in the region and their consequent commitments, in addition to the special changes in the policy of the United States after the events of September 11, and the subsequent "war on terrorism". As for the internal dynamics of the both countries, the effects of the different approaches to foreign policy can be observed between Democrats and Republicans in the United States, and reformists and conservatives in Iran, in addition to the difference in the nature of the Iranian regime that has profoundly affected the aftermath of the revolution.The fluctuation of Iranian-American relations also affected the rest of the actors in the region in general, and any improvement in Iranian-American relations is often accompanied by a negative impact on US relations with both Saudi Arabia and "Israel".

Key words: US . Iranian relations, The Iranian Israeli rivalry, Exporting Iran's revolution, War on terror, Cold war, US in Middle East.

مقدمة:

مثّلت العلاقات الأمريكية الإيرانية مجالاً واسعاً لدراسة الباحثين، باعتبار تأثير تلك العلاقات على عموم الشرق الأوسط والفاعلين فيه، حيث كانت إيران في عهد الشاه حليفاً مهماً للولايات المتحدة والمعسكر الغربي عموماً مقابل الاتحاد السوفييتي، ولعبت الرغبة الأمريكية في استمرار بقاء إيران حائط صد أمام السوفييت دوراً في ترجيح كفة الثورة الإيرانية والخميني، لتبدأ بعد ذلك فترات من التوتر المتقلب، والتعاون في بعض الملفات كأفغانستان والعراق، وما تلا ذلك من التوقيع على الاتفاق النووي الإيراني ثم الانسحاب منه، وما يلوح من بوادر عودة إليه حالياً وسط توترات ومناوشات مع"إسرائيل" (أهم حلفاء الولايات المتحدة في الشرق الأوسط)، ووسط الحديث عن توقيع اتفاق تعاون إيراني . صيني طويل الأمد، لتبرز الأسئلة التي تثيرها العلاقات الأمريكية الإيرانية المعقدة، وأهمها:

ما أهم محركات العلاقات الإيرانية الأمريكية؟

كانت عوامل الحرب الباردة وطبيعة النظام الدولي ثنائي القطبية أحد العوامل المؤثرة في تمتين العلاقات مع الشاه، ثم في تيسير وصول الخميني للسلطة بعد القناعة بعدم مقدرة الشاه بالبقاء في السلطة بما يحفظ المصالح الأمريكية، وهو ما تكرر كأحد دوافع الولايات المتحدة لتوقيع الاتفاق النووي.

في الوقت ذاته لا يمكن إغفال وجود عوامل أخرى كثيرة مؤثرة، كالعوامل الداخلية في البلدين، مثل التغيرات في طبيعة السلطة/الإدارة الحاكمة في كلا البلدين، إضافة إلى العوامل الموضوعية التي اجتاحت المنطقة، كأحداث 11 أيلول للعام 2001 وما تلاها من غزو أمريكي لأفغانستان والعراق، وثورات الربيع العربي وصعود وأفول تنظيم داعش.

ما أهم تأثيرات التغيرات في العلاقات الإيرانية الأمريكية على بقية الفاعلين؟

أدى التوافق الأمريكي الإيراني في العراق وأفغانستان، ثم عقد الاتفاق النووي إلى دعم الأنشطة الإيرانية في نفوذها في العراق واليمن وسوريا ولبنان وغيرها من خلال دعم المليشيات الطائفية التابعة لها، ثم أدت التوترات التي نتجت عن الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي إلى دفع إيران للتصعيد المحسوب في المنطقة ضد الولايات المتحدة ومصالحها بهدف إعادتها إلى الإتفاق النووي، وفيما بدا أن إبرام الاتفاق النووي والانسحاب منه قد أثر في سلوك عدد من الفاعلين كالسعودية و«إسرائيل".

المبحث الأول- العوامل المؤثرة في العلاقات الايرانية الأمريكية:

تتنوع العوامل المؤثرة في العلاقات الإيرانية الأمريكية لدرجة تجعل من الصعب على الباحثين حصرها بشكل شامل، لكن يمكن من خلال التأمل في تاريخ العلاقات بين الطرفين والمنعطفات

الهامة فيها، إضافة إلى الاستفادة من النظريات في العلاقات الدولية محاولة تصنيف أهم العوامل المؤثرة في العلاقات بينهما إلى قسمين أساسيين، وهما:

أولاً- العوامل المتعلقة بالسياسة الخارجية لكلا الدولتين، وطبيعة النظام الدولي.

ثانياً- العوامل المتعلقة بالديناميكيات الداخلية في البلدين.

أولاً- العوامل المتعلقة بالسياسة الخارجية لكلا الدولتين، وطبيعة النظام الدولي:

يمكن أن نلاحظ تأثير عدد من العوامل المتعلقة بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة، كطبيعة النظام /النسق الدولي، والمصالح الجيواستراتيجية للولايات المتحدة في المنطقة، وما يترتب على ذلك من التزامات، إضافة إلى التغييرات الخاصة في سياسة الولايات المتحدة بعد أحداث 11 أيلول، وما تبعها من "حرب على الارهاب".

طبيعة النظام /النسق الدولي:

تلعب طبيعة النظام الدولي من كونه أحادي القطبية أو ثنائي القطبية دوراً هاماً في سلوك الفاعلين الدوليين عموماً، وهو ما تعتمد عليه النظرية الواقعية البنيوية في تفسير سلوك الدول، إذ تعتبر أن سلوك الدول يتأثر بشكل أساسي ببنية النظام الدولي[1].

بإسقاط هذا البعد على حالة العلاقة الأمريكية الإيرانية، نجد أنها تأثرت بهذا العامل بشكل ملحوظ، خاصة من طرف الولايات المتحدة باعتبارها زعيمة أحد القطبين أثناء الحرب الباردة، ثم المتربعة على عرش العالم أحادي القطبية لاحقاً.

فبعد خروج الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة كمنتصرَين قويين من الحرب العالمية الثانية؛ كان المسرح الإيراني أحد أوائل الاحتكاكات بين المعسكرين الشرقي والغربي، فقد رفض السوفييت الانسحاب من إيران بحسب الاتفاق الذي تم مع الحكومة الإيرانية في العام 1942م, والذي نص على انسحاب قوات الحلفاء من إيران بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية, بل قام السوفييت بالمساهمة في تأسيس جمهوريتَين في منطقة نفوذهم العسكري داخل إيران, كانت أولاهما جمهورية أذربيجان, والثانية جمهورية مهاباد في المنطقة الكردية من إيران, الأمر الذي دفع إيران لطلب دعم بريطاني وأميركي في مواجهتها مع السوفييت, وبعد ضغوط أمريكية وبريطانية وإصرار إيراني تمخضت التطورات عن إعلان الاتحاد السوفياتي استعداده للانسحاب مقابل حصوله على امتيازات نفطية في إيران, ووافق الإيرانيون على إعطاء السوفييت الامتيازات النفطية, وانسحب السوفييت بالفعل في العام 1946م؛ ولكن الامتيازات لم تجد طريقها للتنفيذ بسبب رفض المجلس

[1] تركز النظرية الواقعية البنيوية في العلاقات الدولية على تأثير النسق الدولي (أحادي أو ثنائي أو تعددي القطبية) على سلوك الدول في علاقاتها الدولية. ينظر: جون ميرشايمر، الواقعية البنيوية.

النيابي الإيراني لها، لتقوم القوات الإيرانية باقتحام جمهورية أذربيجان وجمهورية مهاباد الوليدتَين، الأمر الذي ما كان ليتم لولا الدعم الأمريكي البريطاني في وجه السوفييت، وبالتالي أصبحت إيران منطقة نفوذ أمريكية بريطانية[2].

لاحقاً، كان لدعم الولايات المتحدة وبريطانيا الانقلاب ضد حكومة (محمد مصدق) الإيرانية المنتخبة في العام 1953م الأثرُ الأهم في تثبيت حكم الشاه وعودته إلى إيران بعد فراره، وتعزيز تموضع إيران في المعسكر الغربي[3].

طبيعة النظام الدولي ثنائي القطبية هذا، أو ما يسمى بمناخ الحرب الباردة كان على الأغلب أحد أهم العوامل التي دعت إدارة كارتر الديمقراطية الأمريكية لتفضيل التوافق مع الخميني لتجنب الفوضى أو وقوع إيران في براثن الشيوعية بعد تصاعد الاحتجاجات ضد الشاه وسلطته[4].

لاحقاً، كان تربُّع الولايات المتحدة على عرش الأحادية القطبية بعد خروجها من غمار الحرب الباردة أحد المؤثرات المهمة التي نقلت العلاقة الإيرانية مع الولايات المتحدة إلى مستوى جديد من التوتر وتناقض المصالح؛ فطهران التي لم تعد تعتبر روسيا تهديداً لحدودها الشمالية كما في السابق، شعرت في المقابل فعليّاً بالخطر الأمريكي، ولاسيما بعد أن أسهمت حرب الخليج الثانية في تعزيز النفوذ الأمريكي في الخليج العربي، وهو ما دفعها نحو تعزيز علاقاتها بموسكو في تناسبٍ طرديٍّ كلما ازداد التوتر بينها وبين واشنطن[5]، في المقابل، لم تعد مبررات التخوف الأمريكية من ارتماء إيران في المعسكر الآخر موجودة بطبيعة الحال بعد انهيار الاتحاد السوفييتي.

دفعت المكانة القيادية العالمية التي حصلت عليها الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الباردة إلى اعتمادها دوراً منفرداً في إدارة شؤون الخليج واستبعاد كل من إيران والعراق عن أي ترتيبات سياسية وأمنية[6]، وكان هذا واضحاً من خلال تبنّي إدارة كلينتون سياسة "الاحتواء المزدوج" لكل من العراق وإيران، عبر فرض العقوبات الاقتصادية والعزلة السياسية عليهما.

وفي متابعة لذات الديناميكية، تجادل إدارة بايدن اليوم بأنَّ الانسحاب من الاتفاق النووي الإيراني واتباع سياسة "الضغط الأقصى" قد دفع إيران نحو تحسين علاقاتها مع كل من الصين وروسيا في عالم بدأ يتجه إلى التعددية القطبية، لا سيما بعد قيام إيران بالتوقيع على اتفاقية تعاون استراتيجي شامل لمدة 25 عاماً مع الصين[7]، في ظروف ازدادت فيها التوترات بين الصين والولايات المتحدة في ظل سعي الصين مزاحمة الولايات المتحدة على السيادة العالمية.

---

[2] يُنظر: نجدت عقراوي، تجارب الحكم الكردية ... رؤية نقدية، الجزيرة نت، 2006/05/21.

[3] كان الانقلاب قد تم تدبيره ضد محمد مصدق بسبب تأميمه القطاع النفطي والشك في تقربه من الشيوعيين، يُنظر تقرير لصحيفة (BBC) العربية: وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تعترف رسمياً بدورها في انقلاب إيران عام 1953, 2013/08/20.

[4] ينظر التقرير التحليلي: كواليس دعم الولايات المتحدة للخميني، مركز الحوار السوري، 2020/11/04: ص13.

[5] يُنظر: العلاقات الإيرانية-الروسية: شراكة حذرة تميز حلف الضرورة، مركز الجزيرة للدراسات.

[6] Harry L. Myers, THE US POLICY OF DUAL CONTAINMENT TOWARD IRAN AND IRAQ IN THEORY AND PRACTICE, 20.,1997.

[7] ينظر: هدى شاكر معروف، الاتفاقية الصينية ـ الإيرانية.. تحالف للتغيير وتقوية النفوذ والمكانة، مؤسسة ترينذز للبحوث والاستشارات الجديد.

مصالح والتزامات الولايات المتحدة:

أسهمت حاجة الولايات المتحدة والدول الغربية عموماً إلى النفط وأهميته لديها في صياغة التزام الولايات المتحدة بأمن الطاقة وتدفقها من منطقة الخليج، خاصة في ثمانينيات القرن الماضي وقبل اكتشاف النفط الصخري في الولايات المتحدة (والذي أدى لاحقاً إلى نقاشات حول اضمحلال أهمية الشرق الأوسط حالياً)، حتى أن الرئيس الأمريكي كارتر ربط في تصريح بين تهديد منابع النفط والأمن القومي الأمريكي حيث صرح: "إن تهديد منابع النفط يعني مباشرة تهديد الأمن القومي الأمريكي، وإننا على استعداد لندفع الدم مقابل ضمان استمرار تدفق النفط"، يقودنا هذا إلى عامل مهم مؤثر في العلاقة الأمريكية الإيرانية، فقد كانت إيران من أكبر منتجي النفط، وأثناء الحرب العربية الإسرائيلية في العام 1973، ارتفعت أسعار النفط بسبب إيقاف تصدير النفط للدول الداعمة ل«إسرائيل"، مما حدا بالإدارة الأمريكية للطلب من الشاه خفض أسعار النفط، لكنه رفض ذلك، مما أدى إلى اتفاق الولايات المتحدة لاحقاً مع السعودية على إغراق السوق العالمية بالنفط (بعد انتهاء إيقاف تصدير العرب للنفط في أثناء الحرب)، الأمر الذي أدى لاحقاً إلى تعزيز العوامل الاقتصادية التي أدت – مع غيرها من العوامل - إلى الثورة الإيرانية، والتي أثرت بشكل كبير كما هو معلوم على مسار العلاقة بين الدولتين[8].

حاجة الولايات المتحدة للنفط والتزامها بأمن الخليج وتوازن القوى فيه أسهم لاحقاً في دخول الولايات المتحدة حرب الخليج الثانية لاستعادة الكويت من النظام العراقي، الأمر الذي قوّض سياسات الانفتاح الإيرانية على العالم الخارجي وعلى جوارها من الدول الخليجية التي تبنّتها حكومة (رفسنجاني)[9]، وذلك في إطار جهودها في تغيير السياسة التي حكمت إيران طوال فترة الحرب الإيرانية العراقية، عبر إحداث تغييرات في الخطاب والسلوك السياسي الإيراني[10]؛ في محاولة إيرانية لبناء تركيبة أمنية تشاركيّة في الخليج العربي تمكّنها من جعل دول "مجلس التعاون الخليجي" أقل اعتماداً على الولايات المتحدة الأمريكية بهدف قيام إيران بملئ الفراغ لتصبح هي اليد العليا في الخليج، لكنّ تعزيز الوجود العسكري الأمريكي في منطقة الخليج _ الذي أسهم غزو العراق للكويت في شرعنته وتثبيت أركانه_ قد أدى عملياً إلى تقويض تلك المساعي الإيرانية، فمثّل الوجود الأمريكي حاجزاً أمام رغبتها في التمدد والتوسع في منطقة الخليج، وهو ما أثر سلباً على العلاقات الإيرانية الأمريكية، وتبنت الإدارة الأمريكية سياسة الاحتواء المزدوج لكل من إيران والعراق.

ومما هو معروف ومسلم به التزام الولايات المتحدة بأمن وتفوق "إسرائيل" في المنطقة، وقد أدّت هزيمة العراق في حرب الخليج الثانية إلى إضعاف التهديد العراقي المشترك الذي دفع إيران

[8] وهو ما أشارت له دراسة للباحث أندريه سكوت كوبر بعنوان"صفقة النفط السرية التي أدت إلى غرق الشاه"، و يذكر الباحث فيها أهمية دراسة الأسباب الحقيقية التي أدت لاندلاع الثورة الإيرانية وسقوط حكم الشاه؛ فيرى أنه إلى جانب العوامل السياسية والدينية والثقافية كانت ثمّة عوامل اقتصادية أدت أيضاً إلى اندلاع الثورة وإضعاف حكم الشاه، ينظر: The Secret Oil Deal That Helped Sink the Shah of Iran - the middle east journal, 2008.

[9] Haleh Esfandiari and Shaul Bakhash, The Long Career of Ali Akbar Hashemi Rafsanjani, January 10, 2017.

[10] ينظر فصل "التحول من الخطاب الإيديولوجي إلى الخطاب الواقعي"؛ فقد أشرنا إلى التحول الذي طرأ على الخطاب السياسي الإيراني مع رحيل الخميني وقدوم "هاشمي رفسنجاني" إلى سدة الحكم في إيران. يُنظر: التقرير التحليلي "تصدير الثورة والتحولات في السياسة الإيرانية"، مركز الحوار السوري: ص15.

و«إسرائيل" سابقاً للتوافق على مصالح مشتركة بينهما[11]، وسرعان ما وجدت إيران و«إسرائيل" نفسيهما على طرفين متقابلين؛ كلٌّ منهما يسعى لأن يكون صاحب اليد العليا في المنطقة، وأدت هزيمة العراق (العدو التقليدي لكل من إيران و«إسرائيل") إلى تحويل إيران بالتالي إلى تهديد محتمل ل«إسرائيل"، وهو ما أثر عملياً بشكل سلبي على العلاقة بين إيران والولايات المتحدة، باعتبار حرص الولايات المتحدة على تفوق "إسرائيل" وأمنها، وتأثير اللوبي الإسرائيلي في واشنطن، ما أسهم في ترسيخ سياسة الولايات المتحدة في احتواء إيران إلى جانب العراق (الاحتواء المزدوج)، وهو ما أدى إلى استبعاد إيران وعزلها عن عملية السلام العربية الإسرائيلية بعد حرب الخليج الثانية، الأمر الذي دفع إيران إلى محاولة التشويش على السياسات الأمريكية من خلال زيادة دعم "حزب الله" والحركات الفلسطينية المعارضة لنهج منظمة التحرير في دخول المفاوضات مع "إسرائيل"[12]. وفيما يتعلق بالملف الأهم العالق بين الولايات المتحدة وإيران (الملف النووي)، عملت "إسرائيل" على جعل البرنامج النووي الإيراني مصدر قلقٍ دولي، ومارست مختلف الضغوطات على الإدارة الأمريكية لحملها على التحرك نحو زيادة العقوبات الاقتصادية على إيران[13]، والتحرك عسكرياً لضرب المنشآت النووية الإيرانية14، مع التهديد المستمر باستخدام القوة العسكرية، والذهاب منفردة لضرب المنشآت والمواقع النووية الإيرانية[15] إذا ما فشلت الجهود الدبلوماسية والعقوبات الاقتصادية في ردع إيران عن المضي قدماً في برنامجها النووي[16]، بهدف منع الولايات المتحدة من تقديم تنازلات لإيران ولمشروعها النووي.

عواقب أحداث 11 أيلول والحرب على الإرهاب:

مثّلت أحداث 11 أيلول عام 2001م تحدياً كبيراً للولايات المتحدة وأمنها القومي[17]، وشكّلت نقطة تحوُّل مهم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية؛ التي اعتمدت في سياساتها السابقة على استراتيجية "الردع والاحتواء" لخصومها، كالعراق وإيران، لتتحول إلى استراتيجية "الهجوم الوقائي" لحماية مصالحها الاستراتيجية الكبرى[18]؛ والذي جاء مع إعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش عام 2001م "الحرب على الإرهاب"، وما تبعه من غزو أمريكي لأفغانستان والعراق،

[11] كان التعاون موجوداً في زمن الشاه بشكل متسارع، ثم تم استئنافه بشكل سري أثناء الحرب العراقية الإيرانية، ينظر التقرير التحليلي: تموج العلاقات وسط أحداث إقليمية ودولية كبرى، مركز الحوار السوري، 2021/03/22: ص7.

[12] ينظر التقرير التحليلي: تموج العلاقات وسط أحداث إقليمية ودولية كبرى، مركز الحوار السوري: ص9.

[13] ينظر كتاب: حلف المصالح المشتركة - التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، مترجماً، القسم الأول - حقبة الحرب الباردة، تأليف "تريتا بارزي"، أستاذ العلاقات الدولية الأمريكي من أصل إيراني، 2006: ص134.

[14] حيث تناقلت وسائل إعلام أنَّ الرئيس جورج بوش الابن رفض طلباً إسرائيلياً في العام 2009م بقصف المنشآت النووية الإيرانية بصواريخ مخترقة للتحصينات. ينظر الخبر على الرابط أدناه: David E.Sanger, U.S. Rejected Aid for Israeli Raid on Iranian Nuclear Site, the New York Times, 2009.

[15] ورد في تقرير المخابرات الإسرائيلية السنوي في العام 2007م بأنَّ"إسرائيل" ستضطر إلى الاعتماد فقط على قدراتها العسكرية عندما تصل الخطط النووية الإيرانية مرحلة النضج". ينظر: محمود محارب، المشروع النووي الإيراني والموقف الإسرائيلي، مركز الجزيرة للدراسات، 2008م.

[16] Herb Kienon, Israel may 'go it alone' against Iran, the Jerusalem post, 24.08.2006.

[17] مروة محمد عبد الحميد عبد المجيد، التغير والاستمرار في إستراتيجية الأمن القومي الأمريكية بعد أحداث 11 سبتمبر، المركز الديمقراطي العربي، 2016.

[18] أصدر البيت الأبيض في العام 2002م وثيقة بعنوان "استراتيجية الأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية، وقد أكدت تبنّيها استراتيجية "الضربات الوقائية" أو التحرك الاستباقي، وأعطت لنفسها الحق بالتصرف في إطار "الشرعية الدولية" أو بشكل منفرد؛ ورأت بأنه من الإمكان إنجاز أي مهمة عبر العمل الانفرادي دون الحاجة إلى الرجوع لحلفاء الولايات المتحدة، وهو ما بات يُعرف لاحقاً بـ "مبدأ بوش". يُنظر: George W. Bush, The National Security Strategy of the United States of America The Whitehouse, Washington, May 2010 pp14.

والذي أثر بشكل مباشر على العلاقات الإيرانية الأمريكية. فقد وجدت الإدارة الأمريكية نفسها بحاجة إلى التنسيق مع الإيرانيين، وبدأت جولات التعاون بين البلدين مع عقد وزارة الخارجية ومجلس الأمن القومي الأمريكيين الاجتماعات مع الدبلوماسيين الإيرانيين في جنيف للحوار ومناقشة تفاصيل التعاون في أفغانستان[19]، وقد لعبت إيران دوراً مهماً في تحقيق تقدم عسكري أمريكي سريع في أفغانستان ضد طالبان عسكرياً، ثم لعب الفريق الإيراني دوراً محورياً في المساعدة في تأسيس أول حكومة أفغانية بعد طالبان في مؤتمر بون عام 2002م[20].

وقد وجدت إيران في التحرك العسكري الأمريكي في أفغانستان فرصة سانحة تساعدها على التخلص من نظام طالبان على حدودها الشرقية، إضافة إلى كونه فرصة لتقليل التوترات وتجنب عاصفة الغضب الأمريكي بعد عملية 11 أيلول. كما أن مشاركة إيران أعطتها فرصة لتوسيع نفوذها في أفغانستان، والتقليل من قدرة الولايات المتحدة على الانفراد في الساحة الأفغانية وإنشاء قواعد عسكرية على حدودها الشرقية تكون قادرة على تهديد النظام الإيراني في طهران[21]، وهو ما أكده لاحقاً دعم إيران لطالبان بهدف زعزعة الأمن واستنزاف القوات الأمريكية[22].

ويمكن الاستنتاج بأن التخبط الأمريكي في العراق وأفغانستان، قد أثّر فعلياً على استراتيجية "الهجوم الوقائي" واستخدام القوة الصلبة لحماية المصالح الاستراتيجية الأمريكية[23]؛ التي تبنّتها إدارة جورج بوش الأمريكية عقب أحداث 11 سبتمبر في العام 2001م، ولا سيما في طبيعة تعاملها مع إيران، لتتحول من الحديث عن تغيير النظام الإيراني عسكرياً[24] إلى تبني سياسة جديدة تعتمد على التغيير "الناعم" للنظام، وذلك عبر الانخراط في استراتيجية دبلوماسية للتأثير على النظام الإيراني، من خلال دعم مؤسسات المجتمع المدني الإيراني ومشاريع حقوق الإنسان داخل إيران[25]، والعمل على عزل إيران إقليمياً عبر زيادة العقوبات عليها، والعمل على منع نقل التكنولوجيا النووية إلى إيران.

---

[19] يُنظر: حلف المصالح المشتركة، مرجع سابق: ص116.

[20] المرجع السابق: ص116. ويُنظر أيضاً: Jim Dobbins, Engaging Iran," The Iran Primer, United States Institute of Peace, October 22, 2013.

[21] يُنظر: روسيا وإيران تتقاربان مع "طالبان": الخلفيات والتداعيات، مركز الجزيرة للدراسات، 2017.

[22] وهو ما تحدثت عنه عدة تقارير عربية وأجنبية، وأشار إليه أيضاً تقرير للبنتاغون عام 2014؛ يُنظر: British special forces seize Iranian rockets in Afghanistan, 2011.

[23] George W. Bush, The National Security Strategy of the United States of America The Whitehouse, Washington, May 2010 pp14.

[24] وهو ما يمكن تتبعه في كتابات وتصريحات المسؤولين الحكومين في إدارة جورج بوش الابن الأمريكية، ولا سيما في صفوف المحافظين الجدد، فعلى سبيل المثال، كتب ويليام كريستول، وهو قيادي بارز ضمن صفوف المحافظين الجديد، في مجلة " Washington Examiner" :"كان تحرير العراق المعركة الأولى الكبرى لمستقبل الشرق الأوسط، والمعركة الكبرى التالية ستكون من أجل إيران، حيث نخوض معركة حياة أو موت معها على مستقبل العراق". ينظر: بارزي، مرجع سابق: ص127. وانظر: William Kristol, The End of the Beginning, Washington Examiner, 12/05/2003. And, Andrew I. Killgore, Neocons Plot Regime Change in Iran, Washington Report on Middle East Affairs, 2003.

[25] في العام 2006م تلقت الإدارة الأمريكية 66 مليون دولار لبرامج "التوعية" المحلية داخل إيران، كما طلبت الإدارة في عام 2007م 75 مليون دولار أخرى لتحقيق نفس الهدف، ينظر: Kamrava, The United States and Iran: A Dangerous but Contained Rivalry, and Professor John Dumbrell, The Bush administration US public diplomacy and Iran, Durham University, June 2007:P. 8.

تصدير الثورة والاعتماد على المليشيات، ودعم التنظيمات المتطرفة:

بالنسبة لإيران، فقد حدثت تغيرات مهمة في السياسة الخارجية بعد نجاح الثورة الإيرانية، وعلى الرغم من أن الشاه امتلك طموحات توسعية، وكانت لديه ميول نحو التمايز والاستقلالية في سياسته (وهو ما برز في رفضه تخفيض أسعار النفط كمثال)، إلا أن هذا الأمر ازداد بشكل مضطرد بعد قيام الثورة الإيرانية، إضافة إلى تغيرات أساسية تمثلت بمحاولة "تصدير الثورة" والاعتماد على المليشيات.

شكَّل مفهوم "تصدير الثورة" رؤية القيادة الإيرانية الجديدة للتمدد إقليمياً ومحاولة مدّ نفوذها إلى الجوار العربي خاصة؛ حيث بقيت الأهداف الاستراتيجية الإيرانية الكبرى متشابهة إلى حدٍّ بعيد رغم التغيير الذي طال النظام[26]؛ وتتمثّل في محاولة النهوض بإيران كقوة إقليمية لا يمكن تجاوزها في المنطقة [27].

وبينما بدا واضحاً سعي الشاه للحصول على التفوق الإقليمي الإيراني وفرض هيمنته على الخليج العربي، من خلال الاعتماد المباشر على الدعم العسكري والاقتصادي الأمريكي، ومحاولة التودد والتقارب مع المحيط العربي؛ فإن إيران في ظل الخميني سعت للوصول إلى قيادة العالم الإسلامي من خلال تبنّيها نموذجها الخاص عبر "ولاية الفقيه"[28]، معتمدةً منهج ما يُسمى بـ«تصدير الثورة"، والذي أضاف بعداً عقائدياً لتكوين الجيش الإيراني، حيث لا تلتزم القوات المسلّحة بأعباء الدفاع فقط، بل تحمل أيضاً رسالتها التي حددها المُشرّع وهي "بسط حاكمية القانون الإلهي في العالم"[29]، الأمر الذي أسس لنمو الأذرع والمليشيات غير الرسمية التابعة لإيران، وبرز هذا التحول بشكل واضح مبكراً خلال حادثة اقتحام السفارة الأمريكية، وتعرض القوات الأمريكية والفرنسية لهجمات انتحارية عام 1983م في بيروت خلّفت مئات القتلى والجرحى الأمريكيين والفرنسيين[30]، وسرعان ما توجّهت أصابع الاتهام لـ«حزب الله" اللبناني، كما قام الحزب باحتجاز رهائن أمريكيين وفّروا ورقةً تفاوضيّةً لإيران مع الولايات المتحدة، أسهمت في دفع الولايات المتحدة لاحقاً لعقد صفقة أسلحة مع إيران و«إسرائيل"، عُرفت بصفقة إيران ـ كونترا[31].

يضاف إلى رعاية إيران للمليشيات الشيعية الموالية لها، الاستثمار الإيراني في تبادل المصالح مع تنظيم "القاعدة" والجماعات المتطرفة الأخرى، عبر إيواء قيادات التنظيم وعوائلهم في إيران للإقامة فيها بعد الغزو الأمريكي على أفغانستان، واستخدامهم ضد مصالح الولايات المتحدة في

[26] أشار تقرير نشره مركز الجزيرة للدراسات، حول الانجذاب الجيواستراتيجي الايراني تاريخياً للأقاليم المحيطة، إلى أنَّ إقليم الهلال الخصيب (العراق وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن) قد شكل مركز جذب تاريخي لإيران. بغض النظر عن مَن كان يتولى السلطة فيها. الأمر الذي يبدو أنه قد قرأه الإسرائيليون، وعلموا أن نزاعاً عراقياً إيرانياً قادماً لا محالة. يُنظر: وليد عبد الحي، بنية القوة الإيرانية وآفاقها، 2013.

[27] يرى بعض الباحثين بأن نظرية الواقعية الجديدة (Neo-realism) قادرة على تفسير السلوك السياسي لإيران في محيطها الإقليم، والتي تعتبر أن السياسة الخارجية للدول في النظام العالمي الحديث تتصف بالاستمرارية، وما يحدث من ثورات أو انقلابات في الأنظمة إنما يؤثر وفق النظرية الواقعية الجديدة في الدوافع والتصورات، لا في المسارات. يُنظر: نبيل برغال، الواقعية الإيرانية والاتفاق النووي بحث في الدوافع والمسارات، رؤية التركية، 2015. وعن أصول النظرة الواقعية بنوعيها التقليدي والجديد يُنظر: Waltz, Kenneth., 1988. "The Origins of War in Neorealist Theory", Journal of Interdisciplinary History. 18 (4).

[28] نظرية ولاية الفقيه وتداعياتها في الفكر السياسي الإيراني المعاصر، الجزيرة.

[29] مقولات في الاستراتيجية الوطنية (شرح نظرية أم القرى الشيعية)، ص103 ـ 114.

[30] See Beirut Marine Barracks Bombing Fast Facts,1/311/2019, CNN.

[31] See A Brief History of Israeli-Iranian Cooperation and Confrontation 8.

أفغانستان والمنطقة[32]، والذي أثّر سلباً على العلاقات الأمريكية الإيرانية، على سبيل المثال، أدت الهجمات التي تعرضت لها العاصمة السعودية الرياض، والتي تسببت بمقتل العشرات بينهم عدد من الرعايا الأمريكيين والغربيين، إلى إيقاف المحادثات الأمريكية الإيرانية التي كانت وقتها عبر قناة جنيف بعد توجيه أصابع الاتهام إلى تنظيم "القاعدة" الموجود في إيران[33].

ثانياً: العوامل المتعلقة بالديناميكيات الداخلية في البلدين:

هناك عدد من العوامل المتعلقة بالتغيرات الداخلية المؤثرة في العلاقات بين الدولتين، بالنسبة للولايات المتحدة، تختلف المقاربات في التعامل مع إيران بين الإدارات الديمقراطية والجمهورية، بل تختلف حتى بحسب العوامل الشخصية للرؤساء الأمريكان، كذلك الحال عند الحديث عن اختلاف المحافظين والاصلاحيين في إيران في مقارباتهم للتعامل مع السياسة الأمريكية والغرب عموماً، على الرغم من الهامش المحدود نسبياً لتغير السياسات في إيران باختلاف الحكومات نظراً لوجود سلطة عليا مسيطرة متمثلة بمرشد الثورة.

ويمكن القول هنا بأنَّ وصول "الإصلاحيين" إلى السلطة في إيران، وتبدّلات الداخل الأمريكي المتمثلة بتسلم الديمقراطيين رئاسة البيت الأبيض في الولايات المتحدة كان عاملاً مهماً في كسر الجليد بين البلدين بعد مرحلة جورج بوش الابن ونجاد، حيث تعدُّ المحادثة الهاتفية التي جرت بين الرئيسين باراك أوباما وحسن روحاني في نيويورك، بعد انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني عام 2013م أحد أبرز الدلائل على استعداد الطرفين تحسين العلاقة بينهما كونه أول اتصال مباشر بين الولايات المتحدة وإيران بعد أكثر من ثلاثين عاماً[34].

اختلاف مقاربات السياسة الخارجية تجاه إيران بتغير الإدارة الأمريكية:

اختلفت عموماً الإدارات الديمقراطية عن الجمهورية في مقارباتها تجاه إيران، حيث كانت الإدارات الديمقراطية عموماً أكثر ميلاً إلى التعامل التفاوضي والحلول الوسط مع إيران، ويمكن أن يلحظ هذا خاصة مع بداية أفول عهد الشاه، فقبيل الثورة الإيرانية، تم انتخاب مرشح الحزب الديمقراطي (جيمي كارتر) رئيساً للولايات المتحدة في العام 1977م، وكان خطابه مشبعاً بالحديث عن الحريات وحقوق الشعوب المضطهدة، الأمر الذي لم يكن في صالح الشاه المستبد الذي كان يفضل قدوم الجمهوريين للحكم، وكانت تقارير ذكرت دعم الشاه المالي للمرشح الجمهوري المنافس "جيرالد فورد"[35]، وصل الأمر ذروته بتولي أوباما الذي أكد عزمه الوقوف ضد حصول إيران

---

[32] استفادت إيران من خلال استثمارها في دعم "تنظيم القاعدة" من عدة جهات؛ فالقاعدة كسرت نبرة خطابها الهجومي التحريضي ضد إيران، ثم ضغطت إيران على مَن صاروا عندها فكسبت تعميماً من القاعدة لكافة عناصرها بعدم استهداف إيران ومصالحها داخل إيران وخارجها. تُنظر دراسة سابقة أعدها مركز الحوار السوري حول العلاقة غير المعلنة بين إيران وتنظيمات الغلاة المتطرفين تحت عنوان: "استثمار إيران في جماعات الغلوّ والتطرّف"، 2021/01/21. ويُنظر: the United States Department of Defense, Progress Toward Security and Stability in Afghanistan. P98. October, 2014.

[33] Justine Blau, Iran A Safe Haven For Al Qaeda? CBS News, 2003.

[34] ينظر: أول اتصال بين رئيسين أميركي وإيراني منذ 1979, الجزيرة, 2013/09/27م.

[35] كان معروفاً أن الحزب الجمهوري أكثر تأييداً للشاه وسياساته، وربما زاد من عداوة كارتر للشاه ما سمعه عن إنفاق السفارة الإيرانية بأمر من الشاه ملايين الدولارات على دعم مرشح الحزب الجمهوري المنافس لكارتر. وقد اعتبر الباحث الايراني موسى الموسوي أن انصياع الشاه للنصائح الأمريكية كان أحد أهم أخطائه القاتلة التي تسببت في انهيار حكمه. يُنظر: موسى الموسوي، الثورة البائسة، ص14.

على سلاح نووي[36]، مبتعداً عن الأساليب الأحادية والمقاطعة والتهديدات العسكرية التي تميزت بها سياسة إدارة جورج بوش الجمهورية في طبيعة تعاملها مع إيران ومشروعها النووي[37]، محاولاً رسم مسار جديد قائم على الدبلوماسية والحوار ، كبديل عن الخيار العسكري لإقناع إيران بالتخلي عن برنامجها النووي.

تأثير اللوبيات:

رصدت دراسات عديدة تنامي دور اللوبي الإيراني في واشنطن، وقد أشارت دراسة بعنوان "دور جماعات الضغط الإيرانية في صنع القرار الأمريكي تجاه إيران" إلى أن اللوبي الإيراني كان أكثر حضوراً وقدرةً على التأثير في الإدارات الديمقراطية دون الجمهورية، وأن فترة الرئيس أوباما -خلافاً للإدارات الأمريكية الأخرى - كانت مسرحاً متسعاً لنشاط الأمريكيين الإيرانيين؛ فهي من أكثر الإدارات الأمريكية استيعاباً لعناصر أمريكية من أصل إيراني بين طواقمها[38].

ومن الأسماء التي لمعت كمرجع لفهم السياسات والعلاقات الأمريكية الإيرانية الإسرائيلية في الأوساط الأمريكية الباحث تريتا بارسي (فارسي)، وهو مؤسس ورئيس المجلس الوطني الايراني الأمريكي " NIAC"، وهو مؤلف كتاب "التحالف الغادر: المعاملات السرية لإسرائيل وإيران والولايات المتحدة"[39]، والذي ركز فيه على تقاطعات المصالح بين إيران وإسرائيل وأمريكا، محاولاً بشكل غير مباشر تسويق النظام الإيراني كنظام عقلاني يتصرف بعقلية الدولة المندفعة وفق مصالحها (بما يتفق مع المدرسة الواقعية[40] في العلاقات الدولية) فقط، مقللاً من دور العوامل التاريخية والثقافية والأيديولوجية في توجيه سلوك النظام الإيراني (والتي تؤكد على أهميتها النظرية البنائية[41] في العلاقات الدولية، والتي تبدو ضرورية لفهم حالة النظام الإيراني)، وقد كشفت بعض التحقيقات ارتباط بارسي بجواد ظريف وزير الخارجية الإيراني الحالي، ومساعدته على إقامة علاقات مع سياسيين أمريكيين مناهضين للرئيس الأمريكي الجمهوري جورج بوش[42]، كما تحدثت تقارير عن زيارة بارسي إلى البيت الأبيض في عهد أوباما 33 مرة مع زملاء آخرين له، وكان لهم دور كقناة خلفية في التوطئة للاتفاق النووي الإيراني[43]، ويعتبر "بارسي" الشخصية الأكثر صراحة في واشنطن

[36] ينظر: أوباما يتعهد بمنع إيران من امتلاك النووي، الجزيرة، 2013/03/14.

[37] Claudia Castiglioni, OBAMA'S POLICY TOWARD IRAN: COMPARING FIRST AND SECOND TERM, Ispointline, Analysis No. 220, December 2013: P 2.

[38] دراسة: كيف يؤثر اللوبي الإيراني في قرارات واشنطن؟ - عربي 21.

[39] تريتا بارزي، حلف المصالح المشتركة - التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة

Treacherous Alliance: The Secret Dealings of Israel, Iran, and the United States - amazon.

[40] تعتبر الواقعية من أهم المدارس في العلاقات الدولية، وتنضوي تحتها العديد من النظريات، وهي تنظر إلى عوامل القوة والمصلحة كأساس محرك لسلوك الدول. يُنظر على سبيل المثال: الواقعية في العلاقات الدولية - الباحثون السوريون.

[41] تركز النظرية البنائية على كيفية نشوء الأفكار والهويات والكيفية التي تتفاعل بها مع بعضها لتؤثر في سلوك الدول، وهي لا تهمل عوامل القوة والمصلحة في ذات الوقت (القوة والمصلحة أساس المدرسة الواقعية)، وهنا لابد من التنويه أن النظرية البنائية مختلفة عن النظرية الواقعية البنيوية المشار إليها في هامش سابق. ينظر حول البنائية: النظرية البنائية في العلاقات الدولية - الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية والاستراتيجية.

[42] يمكن الاطلاع على تفاصيل أكثر حول دور المجلس الأمريكي الإيراني وبارسي في تلك الاتصالات وأدوار أخرى لهم في تقرير" كيف استخدم بارسي والمجلس الايراني الأمريكي البيت الأبيض لصالح المصالح الايرانية، على الرابط أدناه: How Trita Parsi and NIAC Used the White House to Advance Iran's Agenda

[43] قائد اللوبي الإيراني في أمريكا يقابل الرئيس أوباما 33 مرة ، إيران بلا أقنعة.

التي تدعو للمشاركة والركون إلى التفاهم مع النظام في طهران، كما يدعو صانعي السياسة الغربية والأمريكية تحديداً إلى استيعاب نظام الملالي في طهران، أو ما يُطلق عليه "الانخراط الحكيم"، بدلاً من مواجهته في قضايا مثل البرنامج النووي وتهمة دعم المجموعات الإرهابية وملفات حقوق الإنسان[44].

اختلاف طبيعة النظام:

اختلفت العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران اختلافاً جذرياً بعد حدوث التغير في النظام من خلال إسقاط الشاه واستلام الخميني و«رجال الدين" للسلطة في إيران، في بدايات استلام الخميني للحكم بقيت الاتفاقيات والمعاهدات والعلاقات الإيرانية الأمريكية كسابق عهدها في زمن الشاه، وهو ما فسر بقاء آلاف الدبلوماسيين والمستشارين والموظفين الأمريكيين على رأس عملهم في الأراضي الإيرانية بعد سقوط الشاه[45]، لكن سرعان ما تحولت العلاقة بين الطرفين إلى علاقة عدائية حين اضطرت إدارة كارتر الأمريكية لقطع كافة العلاقات الدبلوماسية مع طهران؛ وذلك بعد اقتحام مجموعة من الطلاب الإيرانيين السفارة الأمريكية عام 1979م واحتجاز 52 عنصراً من موظفي ودبلوماسيي البعثة الأميركية لمدة 444 يوماً، وتحولها لاحقاً إلى محنة دولية عُرفت فيما بعد بـ "أزمة الرهائن". وقد أيّد الخميني عملية الاحتجاز مطالباً بإعادة الشاه لمحاكمته في إيران، واسترداد جميع الأموال التي أودعها الشاه في البنوك الأمريكية، والإفراج عن الأرصدة الإيرانية المجمّدة في البنوك الأمريكية، وعلى الرغم من وفاة الشاه في تموز من العام 1980م فقد استمر احتجاز الرهائن بعد وفاته لأشهر, إلى أن تم التوقيع على اتفاقية الجزائر في العام 1981م، والإفراج رسمياً عن الرهائن في اليوم التالي.

مثّلت حادثة احتجاز الرهائن الدبلوماسيين نقطة فارقة في تاريخ العلاقات الإيرانية ـ الأمريكية؛ فقد تحوّلت العلاقة بين البلدَين من علاقة ودّية إلى علاقة عدائية تشوبها الاتهامات المتبادلة[46]، أدت عملياً إلى قطع الإدارة الأمريكية لكافة الروابط الدبلوماسية مع طهران، ما تسبب تدريجيّاً بعزلتها في المجتمع الدولي، إضافة إلى تجميد أرصدة إيران البالغة 9 بلايين دولار في البنوك الأمريكية، ووقف مبيعات الأسلحة وقطع الغيار الأمريكية إلى إيران[47].

اختلاف مقاربات السياسة الخارجية بين الإصلاحيين والمحافظين:

يمكن ملاحظة اختلاف مقاربات السياسة الخارجية بين الإصلاحيين والمحافظين في إيران على الرغم من محدودية الهوامش المتاحة للعمل التي تبقيها سلطة المرشد الأعلى.

---

[44] محمد بن صقر السلمي ، تريتا بارسي وتهمة "العمالة المزدوجة"؟ ، المجلة.

[45] ينظر: موسى الموسوي، مرجع سابق، ص103.

[46] بدأ الخميني يستخدم تعابير لها أبعاد دينية في وصف الولايات المتحدة والغرب؛ واصفاً تلك الحكومات بالحكومات "الشيطانية" الكاذبة والمستبدة، ويلاحظ أن التعابير التي كان يطلقها الخميني عند حديثه عن الولايات المتحدة كانت تحتوي بُعدَين أحدهما ديني والآخر وطني، كما كانت تعبوية مليئة بالتحقير للخصم. مثل: "الموت لأمريكا" و«أمريكا الشيطان الأكبر"، وفي المقابل ردّت الولايات المتحدة في العديد من المناسبات بوصفها إيران بـ "محور الشر". تنظر الورقة البحثية: فاطمة الصمادي،العلاقات الأمريكية الإيرانية، قطيعة لا تمنعها الصفقات، منتدى العلاقات العربية والدولية، ص5.

[47] ينظر: موسى الموسوي، مرجع سبق ذكره، ص108.

تبنى التيار الإصلاحي مع قدومه في عهد الرئيس (محمد خاتمي) الواقعية في السياسة الخارجية، وخصوصاً مع الغرب، وظهر ذلك من خلال محاولات إرسال الرسائل الإيجابية الإيرانية؛ التي هدفت لإثبات رغبة طهران في التواصل مع الولايات المتحدة ومع المجتمع الدولي، من خلال توضيح موقفها في العديد من القضايا كالإرهاب والملف النووي والسلام الإقليمي[48]، ومنها ما صدر عن الرئيس محمد خاتمي في مقابلة أجرتها معه شبكة (CNN) عام 1998م, وعبّر فيها عن أسفه حيال الاستيلاء على السفارة الأمريكية في طهران عام 1979م، مبدياً إعجابه بـ "الشعب الأمريكي وحضارته"[49].

وقد قُوبلت الإشارات والمحاولات الإيرانية بإيماءات مماثلة من قبل إدارة كلينتون، ولكنْ دون حدوث تغير في استمرار الحصار الاقتصادي والعزلة الإيرانية، ويعود ذلك في الغالب إلى استمرار التحركات الإيرانية العدائية، والتناقض بين تصريحاتها المعلنة وسياستها الفعلية؛ ففي الوقت الذي تبنّت فيه إيران سياسة الانفتاح وتحسين العلاقات مع العالم الخارجي تم اتهامها بالوقوف خلف العديد من عمليات الاغتيال لشخصيات سياسية إيرانية معارضة، والتي كان من أبرزها حادثة اغتيال رئيس وزراء إيران الأسبق (شهبور بختيار) في باريس في العام 1991م[50]، لاسيما وأن أحداث السفارة الأمريكية وما اعتبرته الولايات المتحدة اخلافاً بالوعود التي قطعها الخميني في التعامل مع الولايات المتحدة بعد عقده صفقة صعوده السلطة كانت ما زالت حديثة في الذاكرة السياسية.

على العكس من ذلك، مثّل وصول الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد إلى سدة الحكم في إيران بداية مرحلة جديدة في تاريخ العلاقة مع الولايات المتحدة و«إسرائيل"، وكان هنالك توافق بين خطاب نجاد وتوجهات الحرس الثوري فيما يتعلق بـ«التمسك بقيم ومبادئ الثورة الإسلامية"، والعداء للغرب، و«مواجهة قوى الاستكبار"، وعدّ التقارب مع الولايات المتحدة خروجاً عن مبادئ "الثورة الإسلامية"، ونقد محاولات البعض فتح باب الحوار معها[51]، قد أفرز حركية وتفاعلات أدت إلى لجوء إيران إلى سياسة أكثر تصعيدية[52]، تتسم بـ«التحدي والمناكفة" مع التخلي عن سياسة الانفتاح على الغرب وخطاب"حوار الحضارات"؛ الذي تبنّاه التيار "الإصلاحي" بقيادة محمد خاتمي.

---

[48] Douglas jehl, IRANIAN PRESIDENT CALLS FOR OPENING DIALOGUE WITH U.S. the New York times, 15.12.1997.

[49] يشير "تريتا بارزي" إلى أنَّ خاتمي نأى بنفسه عن إحراق العلم الأميركي في التجمعات والتظاهرات التي ينظمها المحتجون في طهران، حلف المصالح المشتركة، مرجع سابق: ص105. ويُنظر أدناه: نص مقابلة قناة CNN مع الرئيس الإيراني محمد خاتمي: Transcript of interview with Iranian President Mohammad Khatami, CNN, 7.1.1998.

[50] يجادل (تريتا بارزي) "أنَّ إيران لم تثبت حسن نواياها بالشكل الفعلي؛ فقد جاءت حادثة اغتيال (شهبور بختيار) التي أفيد أنها كانت من تدبير عملاء إيرانيين في الوقت الذي كانت إيران تسعى إلى تحسين علاقاتها مع واشنطن، وهو ما أظهر سلوكًا إيرانيًا متناقضًا رفع التكلفة السياسية في الانفتاح عليه". حلف المصالح المشتركة، مرجع سابق: ص79.

[51] من الواضح أن مهاجمة الأصوليين للتيارات التي تدعو إلى فتح حوار مع الولايات المتحدة يدخل نوعاً ما ضمن حسابات محلية داخلية وإقليمية توسعية إيرانية، حيث إن الخطاب العدائي ضد الغرب قد كان في شكل من أشكاله موجهاً لأنصار التيار الأصولي ومؤيديه، وموجّه أيضاً في شكل من أشكاله للجماهير العربية والإسلامية بما يخدم الدعاية الإيرانية؛ "معاداة الاستكبار"، وهو ما يثبته عدم إغلاق القنوات الخلفية بين البلدين حتى بعد وصول نجاد إلى الحكم في إيران، كما يعد خطابه الشهير الموجه للشعب الأمريكي؛ والذي لاقى هجوماً لاذعاً من بعض المحسوبين على الأصوليين، اندفاعاً من نجاد نحو الولايات المتحدة ورسالة إيجابية توحي بمحاولته فتح باب التفاوض والحوار معها. ينظر: فاطمة الصمادي، التيارات السياسية في إيران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012م: ص329.

[52] ويعد اختيار نجاد أحد قادة الحرس الثوري، أحمد وحيدي، الملاحق من الشرطة الدولية "الانتربول"، ليكون وزيراً للدفاع، وما رافق ذلك من احتلال شخصيات قيادية من الحرس الثوري مناصب مهمة في مؤسسات الدولة وفي مجلس الشورى، ودخول العديد منهم ساحة العمل السياسي والاقتصادي، أبرز الإشارات التي تدل على السياسة الخارجية الإيرانية المتشددة تجاه الغرب والمنطقة. ينظر: ضياء قدور، تصدر الحرس الثوري الإيراني الواجهتين السياسية والاقتصادية في إيران، Mena Research Center، 17/11/2018م، والصمادي، مرجع سابق: ص281. وانظر الرابط أدناه: INTERPOL, General Assembly upholds Executive Committee decision on AMIA Red Notice dispute, 07 November 2007.

المبحث الثاني: تأثير العلاقة بين الدولتين على بعض الفاعلين في المنطقة:

يمكن التأكيد على أن العلاقة بين الولايات المتحدة وإيران بمدها وجزرها تؤثر بشكل واضح على مختلف الفاعلين في الشرق الأوسط، ك«إسرائيل"، والسعودية، وعموم دول الخليج، إضافة إلى تركيا، وازداد هذا التأثير مع تحول الملف النووي الإيراني إلى ملف يؤرق دول المنطقة، وسنقتصر على سرد بعض التأثير للعلاقة بين الدولتين على كل من "إسرائيل" والسعودية.

تأثير العلاقات الامريكية الايرانية على "إسرائيل":

كان لتموضع إيران في المعسكر الغربي وعلاقتها الجيدة مع الولايات المتحدة أثناء الحرب الباردة في فترة حكم الشاه أثر إيجابي على علاقة إيران مع "إسرائيل"، خاصة مع حاجة "إسرائيل" لعلاقات وشرعية وسط عزلتها في المنطقة، في تطبيق للمبدأ المحيطي[53]، ووجود عدو مشترك للطرفين ممثلاً بالعراق، وكان الشاه بحاجة إلى تقوية أوراقه لدى واشنطن، وكان من بين ذلك تحسين علاقاته مع "إسرائيل" والاستفادة من مكانتها ومكانة اللوبي الإسرائيلي في واشنطن، إضافة إلى طموحات الشاه لتوسيع النفوذ الإيراني من خلال محاولة الوساطة بين العرب و«إسرائيل".

مع صعود الثورة الإيرانية مترافقة مع اتخاذها شعارات براقة، وتحويل القنصلية الإسرائيلية إلى قنصلية فلسطين، انقطعت العلاقة الإيرانية الإسرائيلية، ومع اندلاع الحرب الإيرانية العراقية وسط تدهور العلاقات الإيرانية الأمريكية بعد أحداث السفارة، وجدت إيران نفسها متجهة للاستفادة من إرث العلاقة الإيرانية مع "إسرائيل"، بمعنى آخر، أثّر تراجع العلاقة الأمريكية الإيرانية إيجاباً على العلاقة الإيرانية الإسرائيلية، حتى أن "إسرائيل" دخلت وسيطة بين الولايات المتحدة وإيران في صفقات الأسلحة[54]، وفي عمليات تحرير الرهائن الأمريكيين المختطفين في لبنان من قبل "حزب الله"، كانت "إسرائيل" مدفوعة بالمبدأ المحيطي، واعتبارها لإيران الموازن الاستراتيجي للعراق العدو المشترك للطرفين، لكن، ومع زوال العراق كتهديد مشترك لكل من إيران و«إسرائيل"، بدأت "إسرائيل" برؤية إيران كمنافس وتهديد لها، وأسهم هذا بدوره في صياغة الرؤية الأمريكية لإيران، والتي اندفعت في تطبيق الاحتواء المزدوج في عهد كلينتون على كل من العراق وإيران، مدفوعة بفائض قوتها كزعيم أوحد لعالم أحادي القطبية، وهو ما تلاقى مع الرؤية الإسرائيلية أيضاً.

---

[53] المبدأ المحيطي، والذي يُعبّر عنه أيضاً بمقولة "أعداء أعدائي هم أصدقائي"، والذي طوره رئيس الوزراء الإسرائيلي بن غوريون في الخمسينيات، كان يركز على فرضية أن على "إسرائيل" إقامة علاقات وثيقة مع دول المنطقة غير العربية لحماية نفسها من جيرانها العرب المعادين لها، وكانت إيران توصف ك "جوهرة تاج التحالف مع المحيط"، الجدير بالذكر، أن الشاه كان قد وصف تقاربه مع "إسرائيل" بذات المقولة "عدو عدو صديقي". للإطلاع أكثر يمكن الرجوع إلى الرابط أدناه: A Brief History of Israeli-Iranian Cooperation and Confrontation.

[54] فعلى سبيل المثال، استطاعت الدبلوماسية "الإسرائيلية" النجاح في التوصل لعقد صفقة سرية بين الولايات المتحدة وإيران في العام 1985م؛ تقضي بشراء إيران أسلحة من الولايات المتحدة مقابل إطلاق سراح الرهائن الغربيين في لبنان؛ وعرفت لاحقاً باسم صفقة إيران ـ كونترا أو إيران غيت، حيث تمت الصفقة رغم قوانين الكونغرس الذي كان يحظر حينها بيع الأسلحة لإيران، إضافة إلى أنها شكلت خرقاً لعقوبات الأمم المتحدة على بيع الأسلحة لإيران. ينظر على سبيل المثال: إيران غيت.. المصالح فوق المبادئ، مركز الجزيرة للدراسات، 2016/02/1.

لعل التأثير الأبرز الذي طفا على السطح، هو تأثير تحسن العلاقات الأمريكية الإيرانية من بوابة الاتفاق النووي الذي وقعته إدارة اوباما، وسبب هذا التحسن النسبي قلقاً كبيراً ل«إسرائيل"، خاصة في ظل حكومتها اليمينية التي تميل إلى الحلول العسكرية، مما أدى إلى بعض البرود في العلاقات الإسرائيلية الأمريكية، على العكس من ذلك، كان لانسحاب إدارة ترامب من الاتفاق النووي الإيراني وممارسته للضغط الأقصى على إيران صدى إيجابياً لدى "تل أبيب"، ليعود القلق الإسرائيلي مرة أخرى مع عودة إدارة بايدن الديمقراطية لمناقشة العودة للاتفاق النووي مع إيران، وهو ما يبدو أنه أبرز تأثير لتعقيد العلاقة الإيرانية الأمريكية على "إسرائيل"، فأي اقتراب من التوافق الإيراني الأمريكي يؤدي إلى ابتعاد بذات القدر عن الانسجام الأمريكي الإسرائيلي، ويزيد من احتدام النقاش في الأوساط الفكرية والسياسية في "إسرائيل" حول الطريقة المثلى للتعامل مع الإدارة الأمريكية، حيث تصاعدت الانتقادات التي تدعو إلى عدم تكرار الأخطاء الإسرائيلية السابقة في الانتقاد العلني لخيارات اوباما في الذهاب باتجاه الاتفاق النووي، وضرورة التوافق الصامت مع إدارة بايدن والحوار معها بهدف تجنب تدهور العلاقات الإسرائيلية الأمريكية[55].

تأثير العلاقات الامريكية الإيرانية على السعودية:

ذكرنا في فقرة مصالح الولايات المتحدة أعلاه كيف أسهمت السعودية بشكل غير مباشر في تسارع سقوط شاه إيران، وذلك عندما استجابت السعودية للرغبات الأمريكية في تخفيض أسعار النفط بعد رفض الشاه للأمر، مما يعني أن بعض التوتر الذي شاب العلاقات الأمريكية الإيرانية في عهد الشاه قد انعكس إيجاباً على العلاقات السعودية الأمريكية، حيث ازدادت الحاجة الأمريكية للسعودية خاصة فيما يتعلق بالنفط، ويمكن أن نعمم هذه الحالة على واقع العلاقات بين الأطراف الثلاثة، فغالباً ما يكون التوتر في العلاقات الإيرانية الأمريكية فرصة لتحسين العلاقات السعودية الأمريكية، والعكس بالعكس فتدخل العلاقات السعودية الأمريكية في مرحلة من البرود عندما تبدأ العلاقات الأمريكية الإيرانية بالتحسن، وبشكل مشابه للحالة مع "إسرائيل"، وهو ما تمت ملاحظته بعد إنجاز إدارة اوباما للاتفاق النووي الإيراني، حيث اعتبر السعوديون بأن الاتفاق لن ينجح في منع إيران من امتلاك قنبلة نووية، بل سيؤدي إلى ما هو أسوأ مما حدث في حالة كوريا الشمالية[56]، مع ذلك، يبدو أن السعودية بدأت تنحو بذات النحو الذي بدأت به إدارة بايدن من ناحية تقليل التوتر مع إيران، خاصة مع شعور السعودية بخيبة أمل من ردات الفعل الأمريكية على مهاجمة منشآتها النفطية، والتي تركت الرياض أمام خيارات محدودة جداً في التعامل مع الخطر الأمني الإيراني وأذرعه[57].

[55] ينظر: محمود جرابعة و ليهي بن شطريت، مواجهة إيران عسكريًا: تحولات الجيش والسياسة في إسرائيل، مركز الجزيرة للدراسات، 2021/06/01م.

[56] ينظر التقرير: ما مستقبل العلاقات السعودية الأمريكية بعد توقيع الاتفاق الإيران؟، France 24، 16/06/2015م.

[57] ينظر: المباحثات السعودية - الإيرانية: دوافعها وفرص نجاحه، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021/05/04م.

الخاتمة:

تأثرت العلاقات الأمريكية الإيرانية في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بعوامل متنوعة وعديدة، يمكن تصنيفها بشكل أساسي إلى عوامل متعلقة بالسياسة الخارجية لكل من البلدين والتحولات الداخلية فيها، وعوامل متعلقة بالديناميكيات الداخلية في كلا الدولتين، فيما يتعلق بالعوامل المرتبطة بالسياسة الخارجية، يلاحظ أنه بالنسبة للولايات المتحدة، أسهمت طبيعة النظام الدولي أحادي أو ثنائي القطبية في التأثير في السلوك الأمريكي تجاه إيران، كما تفاعل تأثير العامل السابق مع مصالح والتزامات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، والمتمثل أساساً بالحاجة للنفط وتأمينه وما يستلزمه ذلك من الحفاظ على أمن المنطقة، إضافة إلى الالتزام بأمن وتفوق "إسرائيل"، كما تفاعل التحول في سياسات الولايات المتحدة نحو سياسة القطب الواحد مع عواقب أحداث 11 أيلول، والتي أدت إلى تحول في السياسة الأمريكية نحو "الهجمات الوقائية"، وما قاد إليه ذلك من احتلال لأفغانستان والعراق، مما أثر في إيجاد نوع من التعاون بين الولايات المتحدة وإيران كان يمكن أن يتطور لولا عدد من العوائق، أبرزها استمرار اعتماد إيران في سياستها الخارجية على رعاية وتبني أذرعها من المليشيات وتأمين المأوى للجماعات المتطرفة الأخرى كتنظيم القاعدة، السياسات التي شكلت تهديداً للمصالح الأمريكية.

أما فيما يتعلق بالديناميكات الداخلية للبلدين، فيمكن ملاحظة تأثيرات اختلاف مقاربات السياسة الخارجية بين الديمقراطيين والجمهوريين في الولايات المتحدة، والاصلاحيين والمحافظين في إيران، إضافة إلى الاختلاف في طبيعة النظام الإيراني التي أثرت بشكل عميق بعد قيام الثورة، وتتفاعل العوامل السابقة مع عامل اللوبي الإيراني ونشاطه في الولايات المتحدة، والذي يزداد في ظل الإدارات الديمقراطية.

المراجع:

بارزي تريتا، حلف المصالح المشتركة - التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة، مترجماً، 2006م.

كواليس دعم الولايات المتحدة للخميني، مركز الحوار السوري، 2020/11/04م.

الموسوي موسى، كتاب: الثورة البائسة.

تصدير الثورة والتحولات في السياسة الإيرانية، مركز الحوار السوري.

الصمادي فاطمة، العلاقات الأمريكية الإيرانية، قطيعة لا تمنعها الصفقات، منتدى العلاقات العربية والدولية.

تموج العلاقات وسط أحداث إقليمية ودولية كبرى، مركز الحوار السوري، 2021/03/22م.

كتاب: العرب وإيران: مراجعة في التاريخ والسياسة، مجموعة من الباحثين، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012م.

برغال نبيل، الواقعية الإيرانية والاتفاق النووي بحث في الدوافع والمسارات، رؤية التركية، 2015م.

الصمادي فاطمة، التيارات السياسية في إيران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012م.

استثمار إيران في جماعات الغلوّ والتطرّف، مركز الحوار السوري، 2021/01/21.

دراسة: كيف يؤثر اللوبي الإيراني في قرارات واشنطن؟، عربي 21.

لاريجاني جواد، مقولات في الاستراتيجية الوطنية (شرح نظرية أم القرى الشيعية)، 2020/20/30م.

References in English:

W. Bush George, The National Security Strategy of the United States of America, the Whitehouse, Washington, May 2010.

Cooper Andrew, The Secret Oil Deal That Helped Sink the Shah of Iran - the middle east journal, 2008.

the United States Department of Defense, Progress Toward Security and Stability in Afghanistan. October, 2014.

Castiglioni Claudia, OBAMA'S POLICY TOWARD IRAN: COMPARING FIRST AND SECOND TERM, Ispointline, Analysis No. 220, December 2013.

Kaye Dalia, Nader Alireza and Roshan Parisa, a Brief History of Israeli-Iranian Cooperation and Confrontation, RAND Corporation.

Newmann Bill, a Brief Introduction to Theories on International Relations and Foreign Policy.

العلاقات التركية-الصينية في عهد حزب العدالة والتنمية 2002-2020: دراسة في البعد السياسي والدبلوماسي

د.لقمان عمر محمود النعيمي*

الملخص

على الرغم من كونهما بعيدتان عن بعضها البعض، مكانيا وسياسيا، فإن العلاقات الثنائية بين تركيا والصين شهدتا تطورات كبيرة خلال العقد الأول من القرن العشرين، وتحديداً منذ مجيء حكومة حزب العدالة والتنمية في تركيا عام 2002. وكانت هناك العديد من العوامل التي تشجع تطور هذه العلاقات الثنائية باتجاه "الشراكة الاستراتيجية" منها المصالح السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية والثقافية المشتركة, ورغبة الجانبين في تطوير هذه العلاقات استنادا الى تلك المصالح المشتركة, فضلا عن كون الصين قوة عالمية متنامية على الصعد كافة وكون تركيا قوة إقليمية مهمة في منطقة الشرق الأوسط ودورها الإقليمي المتصاعد لاسيما في عهد حكومة حزب العدالة والتنمية, وتعدد الملفات والقضايا المشتركة في هذه المنطقة الحيوية, كل هذه العوامل ساعدت الجانبين في تطوير علاقاتهما الثنائية لاسيما في جانبها السياسي والدبلوماسي إلى مستوى متقدمة خاصة بعد عقد اتفاقية "الشراكة المعززة" عام 2010.

الكلمات المفتاحية: تركيا؛ الصين؛ العلاقات التركية-الصينية؛ الشراكة طريق الحرير.

* أستاذ مساعد، حاصل على الدكتوراه في التاريخ الحديث (تاريخ تركيا المعاصر) من كلية الآداب بجامعة الموصل، يعمل حالياً مديرا لمركز الدراسات الإقليمية بجامعة الموصل، العراق.

Turkish-Chinese Relations in the Era of the Justice and Development Party 2002-2020

A Study in The Political and Diplomatic Dimensions

Assistant Prof. Dr. Luqman O. Mahmood Aluaimy

Abstract

Despite being far from each other, spatially and politically, the bilateral relations between Turkey and China witnessed major developments during the first decade of the twentieth century, specifically since the advent of the Justice and Development Party (AKP) government in Turkey in 2002. There were many factors that encourage the development of these relations. Bilateralism towards a "strategic partnership", including common political, economic, security, military and cultural interests, and the desire of the two sides to develop these relations based on those common interests, in addition to the fact that China is a growing global power at all levels since Turkey is an important regional power in the Middle East region and its escalating regional role, especially In the era of the Justice and Development Party government, and the multiplicity of files and common issues in this vital region, all these factors helped the two sides to develop their bilateral relations, especially on the political and diplomatic side, to an advanced level, especially after the "enhanced partnership" agreement was concluded in 2010.

Key words: Turkey; China; Turkish-Chinese relations; Silk road.

المقدمة

تمتلك كل من تركيا بوصفها دولة اقليمية كبيرة والصين بوصفها دولة عظمى المقومات الرئيسة لإقامة علاقات ثنائية متميزة في المجالات كافة ترقى إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية. لقد انتهج حزب العدالة والتنمية منذ مجيئه إلى السلطة عام 2002 سياسة تعدد المحاور, والانفتاح على جميع القوى العظمى في اقامة علاقات قوية معها, واضعاً مصالح تركيا العليا كأولوية في استراتيجيته تجاه إقامة هذه العلاقات. وكان الهدف الاستراتيجي لها هو إقامة "شراكات متعددة" مع الدول العظمى بغض النظر مدى التناقضات والخلافات السياسية العالمية الموجودة بينها. وعلى الرغم من أن تركيا كانت وما زالت حليفاً موثوقاً وأمينا للغرب والولايات المتحدة, إلا أن حكومة حزب العدالة والتنمية بزعامة رجب طيب أردوغان رأت أنها غير معنية بسياسة المحاور التي انتهت بانتهاء الحرب الباردة, وان خياراتها الاستراتيجية في إقامة علاقاتها الاقليمية والدولية ينبغي أن تستند على تحقيق مصالحها العليا فقط دون التأثر بسياسات طرف تجاه طرف أخر. من هذا المنطلق, بدأت مرحلة جديدة من العلاقات الثنائية بين تركيا والصين منذ مجيء حكومة حزب العدالة والتنمية عام 2002 متجاوزة كل الخلافات والمعوقات التي قد تحول دون تطوير هذه العلاقات.

من جانبها برزت الصين لاسيما منذ مطلع القرن الواحد والعشرين بوصفها قوة اقتصادية عالمية هائلة أكثر من كونها قوة سياسية وعسكرية في العالم، ولاعباً رئيساً في السياسة العالمية، ولهذا السبب في عالم الاعتماد المتبادل المعولم اليوم، فإن الانخراط بشكل أكثر فاعلية وبناءة مع الصين ليس خيارًا لتركيا، بل هو عنصر حيوي ولا غنى عنه في رؤيتها العالمية. لذا توجب أن يكون لتركيا، من وجهة النظر التركية، سياسة خارجية جيدة التنظيم ومتوازنة وفعالة ومستدامة تجاه الصين.

مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث حول ماهية وكيفية التحول المثير الذي جرى في العلاقات التركية-الصينية خلال المدة موضوع البحث لاسيما في بعدها السياسي والدبلوماسي وتنطلق من الأسئلة الأتية: كيف تمكن البلدان من تعزيز علاقاتهما السياسية على الرغم من وجود العديد من العوامل المعرقلة لتطور هذه العلاقات؟ وما هي العوامل التي ساهمت في هذا التحول؟ وما هي طموحات تركيا والصين لأنفسهما في السياق الإقليمي والدولي؟ وكيف يمكن الاتساق والاتفاق بين هذين الطموحين؟

فرضية البحث

تنطلق فرضية البحث من حقيقة كون العلاقات التركية-الصينية حملت معها الكثير من المتناقضات التي طالما ساهمت في تعثرها تاريخيا بسبب حقيقة أن كلا البلدين كانا على طرفي نقيض في

الحرب الباردة، وتركيا عضو رئيسٌ في حلف الناتو، كما أنها تعقدت بسبب قضية الأويغور التي طال أمدها، إذ تتمتع تركيا بروابط ثقافية ولغوية وثيقة مع الأقلية العرقية الرئيسة في تشينجيانغ. ومع ذلك، فمنذ أواخر التسعينيات، تغلب كلا البلدين على هذه القضايا، ورفعا علاقتهما إلى مستوى أكثر أهمية حتى أنهما أصبحا شريكين استراتيجيين في عام 2010.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على التطورات التي حصلت في العلاقات التركية-الصينية في بعدها السياسي والدبلوماسي خلال المدة 2002-2020، والتي شهدت تحولات كبيرة وتقاربا ملحوظا في العلاقات الثنائية مدفوعة برغبة غير مسبوقة من القيادات السياسية في كلا البلدين في تعزيز وتطوير هذه العلاقات إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية، وقد انعكس هذا التقارب السياسي على تعزيز الجوانب الأخرى للعلاقات لاسيما الاقتصادية والعسكرية استنادا إلى المصالح المتعددة والمشتركة بينهما.

منهجية البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي الوصفي لمتابعة التطور التاريخي للعلاقات حتى الوقت الحاضر، فضلا عن المنهج التحليلي الذي استكشف طبيعة التحولات التي طرأت على هذه العلاقات، وعوامل تطورها.

هيكلية البحث

تكونت هيكلية البحث من مدخل وثمانية محاور مع خاتمة واستنتاجات وكما يأتي:

أولا. مدخل: نظرة تاريخية في العلاقات التركية الصينية حتى عام 2002؟

ثانيا. حزب العدالة والتنمية وبداية مرحلة جديدة في العلاقات التركية-الصينية

ثالثا. عام 2010 وبداية شراكة استراتيجية جديدة بين تركيا والصين.

رابعا. الزيارات الدبلوماسية المتبادلة ودورها في تعزيز العلاقات الثنائية.

خامسا. تحول تركيا إلى النظام الرئاسي وتعزيز العلاقات التركية-الصينية.

سادسا. طريق الحرير الجديد ودوره في العلاقات التركية-الصينية.

سابعا. دور العلاقات بين تركيا والصين في تعزيز الاستقرار العالمي.

ثامنا. تطور العلاقات الثنائية عام 2020 والتعاون لمواجهة فايروس كورونا

خاتمة واستنتاجات

اولا: مدخل: نظرة تاريخية في العلاقات التركية-الصينية حتى عام 2002

من أجل فهم أفضل للعلاقات بين تركيا والصين لابد من تسليط الضوء على الجذور التاريخية للعلاقات بين الدولتين. ابتداءً يمكن القول إن جذور هذه العلاقات تمتد إلى العهد العثماني وتحديدا النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ونظراً لبعد المسافة في الامبراطورية الصينية والدولة العثمانية فلم يكن هناك اتصال مباشر بين الطرفين قبل هذا التاريخ. ومع ذلك، إذا عدنا قبل انتقال الأتراك إلى الأناضول فمن الجدير بالذكر القول بأن الأتراك والصينيين كانوا جيران في الصين نفسها؛ ففي ذلك الوقت، كان يُطلق على الأتراك الموجودين في الصين اسم (突厥 Tujue)، أو (جوكتورك Göktürk). وكان لهذا الإرث البالغ من العمر ألفي عام تأثيره الخاص على لقاءات كلا الشعبين، إذ تركت الجذور التركية من عصر جوكتورك أقارب لتركيا في الصين وحولها، أي القبائل التركية الأخرى بما في ذلك الأويغور. وسمح طريق الحرير الشهير لكلا الشعبين بتطوير علاقات تجارية غير مباشرة في الغالب، حيث كانت الدولتان العثمانية والصينية تقعان على طرفي هذا الطريق التجاري القديم. ومع ذلك، وحتى نهاية العهد العثماني، لم تكن لكلا الطرفين علاقات مباشرة فقد تعاملتا مع بعضهما البعض عبر سفاراتهما في أوروبا[1].

بعد الحرب العالمية الأولى ، بذلت كل من تركيا والصين جهودًا لإقامة علاقات ثنائية، وتم توقيع معاهدة صداقة وتجارة في عام 1934. وأرسلت الصين لاحقًا سفيراً إلى أنقرة في عام 1935, وذهب سفير تركيا إلى الصين في عام 1940. إلا أنه في عام 1949 بعد قيام جمهورية الصين الشعبية انتقلت سفارة تركيا إلى تايوان وانقطعت العلاقات بين تركيا والصين, كما لعبت الحرب الكورية عام 1952 دوراً سلبياً مهماً في العلاقات بين البلدين, وقاتلت تركيا إلى جانب كوريا الجنوبية, وبالتالي أصبحت تركيا والصين ضد بعضهما البعض خلال هذه الحرب. وظلت العلاقات مجمدة حتى الانقسام الصيني-السوفياتي في الستينيات, واعترفت تركيا, إلى جانب الدول الغربية الأخرى, بجمهورية الصين الشعبية في عام 1971[2].

تغير مسار العلاقات الرسمية بين تركيا والصين (جمهورية الصين الشعبية) عندما قررت الولايات المتحدة تعديل سياستها تجاه نظام ماو الشيوعي. ونتيجة لذلك، أقامت تركيا في عام 1971 علاقات دبلوماسية رسمية مع جمهورية الصين الشعبية على مستوى السفراء وقطعت علاقاتها مع تايوان. يجب الإشارة هنا إلى أن الحكومة التركية التي اعترفت بجمهورية الصين الشعبية على أنها "صين واحدة" كانت نتيجة تدخل المؤسسة العسكرية التركية في السياسة الداخلية عام 1971. هذه النقطة مهمة بشكل خاص لفهم تطور هذه العلاقة الثنائية منذ ذلك الحين، حيث لعب الجيش التركي دائمًا دورًا مهمًا في علاقات بلادهم مع الصين، ودفع بانتظام من أجل شراكة أوثق[3].

---

1 Mehmet Söylemez, "Turkey and China: An Account of a Bilateral Relations Evolution", ASIA Center, December 2017, p.1: https://centreasia.eu/en/turkey-and-china-an-account-of-a-bilateral-relations-evolution/

2 Giray Fidan, "Sino-Turkish Relations: An Overview", Middle East Institute, Oct 4, 2013: Sino-Turkish Relations: An Overview | Middle East Institute (mei.edu)

3 Söylemez, "Turkey and China…", Op. cit., p.2.

في الثمانينيات، بدأت العلاقات بين البلدين مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان التفاعل على مستوى عالٍ. وبعد وفاة ماو Mao، دفعت التطورات الاقتصادية في الصين في عهد دنغ شياوبينغ Deng Xiaoping تركيا إلى الانخراط مع الصين فيما يتعلق بالتجارة والاستثمار[4]. وشرعت تركيا، التي تم تهميشها من قبل المجموعة الاقتصادية الأوروبية (EEC) بعد انقلاب عام 1980، في السعي لتحقيق توازنات جديدة على صعيد السياسة الخارجية والدفع باتجاه بناء علاقات جيدة مع الصين من قبل المؤسسة العسكرية التركية لاسيما أنها عدت الصين أحد الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة والتي انفتحت على الاقتصاد الرأسمالي، مركزًا سياسيًا جديدًا للتوازن بالنسبة لتركيا[5].

في أوائل الثمانينيات قام الرئيس التركي (كنعان إيفرين Kenan Evren) بمبادرة آسيوية تضمنت مجموعة زيارات إلى الصين وكوريا الجنوبية وإندونيسيا وبنغلاديش وباكستان في كانون الأول / ديسمبر 1982. وكان لكل زيارة من الزيارات المذكورة أعلاه لها أهمية كبيرة لاسيما الزيارة إلى الصين وشنغهاي التي تعد علامة فارقة في تاريخ العلاقات الثنائية لكونها أول زيارة رفيعة المستوى بين البلدين. وتجدر الإشارة إلى أن هدف زيارة إيفرين كان تحسين العلاقات الاقتصادية لتركيا مع الدول غير الغربية ، لأن الانقلاب عزل تركيا عن الغرب قال إيفرين وهو يفكر في سوق الصين الضخم، "ماذا لو تمكنا من بيع برتقالة لكل صيني؟" ولخص السؤال هدف تركيا في ذلك الوقت[6].

بعد زيارة إيفرين قام وزير الثقافة الصيني (تشو موزهي Zhu Muzhi) بزيارة إلى تركيا في نيسان/ أبريل 1983، أعقبتها زيارة رسمية مهمة لوزير الخارجية الصيني (وو تشو تشيانغ Wu Chuochiang) إلى تركيا في تشرين الأول/ أكتوبر 1983. ثم قام الرئيس الصيني (لي شيانيان Li Xiannian) بزيارة تركيا في آذار/ مارس 1984. وخلال زيارة الرئيس لي، أشادت الصين بالموقف التركي المستقر في الحرب الإيرانية العراقية، وأكدت على ضرورة حل قضية قبرص من خلال المحادثات الدولية. ونتيجة المحادثات توصلت تركيا والصين إلى اتفاق حول تبني موقف مشترك في المنصة الدولية. وأعقبت زيارة الرئيس لي زيارة وزير الخارجية وحيد خليفة أوغلو Vahit Halefoğlu إلى الصين في تشرين الأول/ أكتوبر 1984[7].

وردا على هذه الزيارات الصينية لتركيا، قام رئيس الوزراء تركيا (تورغوت أوزال Turgut Özal) بزيارة رسمية إلى جمهورية الصين الشعبية في تموز/ يوليو 1985. في المقابل شجعت الحكومة الصينية تركيا على الاستثمار في منطقة تشينجيانغ أويغور المتمتعة بالحكم الذاتي في الثمانينيات. في هذا السياق قام رئيس حكومة تشينجيانغ , إسماعيل أمات, بزيارة مدن مختلفة في تركيا مع لجنة في تموز/ يوليو 1985. وقام رئيس مجلس الدولة الصيني (زهاو زيانغ Zhao Ziyang) بزيارة إلى تركيا

[4] Sedat Kilic, Turkey and Stability in East Asia, Thesis of Master of Arts in Security Studies, Naval Postgraduate School, Monterey, California, December 2016, p.13.

[5] Söylemez, "Turkey and China…", Op. cit., p.2.

[6] Fidan, "Sino-Turkish Relations…", Op. cit.

[7] Selçuk ÇOLAKOĞLU, "Turkey-China Relations: Rising Partnership", Ortadogu Analiz, Nisan 2013, Cilt: 5, Sayi: 51, p.33. oanaliznisanderfilmder.pdf (orsam.org.tr)

في تموز/يوليو 1986. كما جرت زيارات رفيعة المستوى سابقة، عقدت خلال قمة على مستوى رئاسة الوزراء بين البلدين محادثات حول تحسين العلاقات السياسية وخاصة الاقتصادية الجانبين. وقد صرح نائب وزير الخارجية الصيني تشي هواي يوانCi Huai Yuan ، في مقابلة أجريت في تشرين الأول/ أكتوبر 1987، أنه من الضروري حل مشاكل بحر إيجة وقبرص والأقلية التركية في بلغاريا من خلال القنوات الدبلوماسية[8].

هذه البيئة الإيجابية لم تدم حتى التسعينيات إذ أدت مخاوف بكين بشأن سياسة أنقرة فيما يتعلق بمجتمع الأويغور التركي / المسلم في منطقة تشينجيانغ الأويغورية ذاتية الحكم في الصين، والتي تفاقمت في النهاية بسبب اتصالات السياسيين الأتراك مع قادة المعارضة الأويغور، إلى تدهور العلاقات التركية-الصينية. لكن مع قرب نهاية التسعينيات، اتخذت السياسة الخارجية التركية منعطفًا آخر، ووضعت أنقرة استراتيجية للعمل بتنسيق أكبر مع روسيا والصين في منطقة آسيا الوسطى، بدلاً من محاولة فرض نفوذها بنفسها. في هذه المدة، أوقفت تركيا دعمها لحركات الأويغور واختارت دعم مجتمع الأويغور اقتصاديًا وثقافيًا بينما رفضت في الوقت نفسه أية محاولة من شأنها أن تعرض وحدة أراضي الصين للخطر[9].

ثانيا. تطور العلاقات السياسية والدبلوماسية بين تركيا والصين

لم يمثل عام 2000 بداية الألفية الجديدة فحسب , بل شهد أيضًا حقبة جديدة في تاريخ العلاقات الصينية-التركية. بعبارة أخرى , كان عام 2000 هو العام الذي أعلنت فيه تركيا والصين التقارب الثنائي بينهما. في بداية ذلك العام ، وبالصدفة في عيد القديس فالنتين ، وقع وزير الداخلية التركي سعد الدين طنتان Tantan Sadettin على اتفاقية التعاون لمكافحة الجرائم العابرة للحدود مع نظيره الصيني في بكين. وفقاً لهذه الاتفاقية فإن الصين لن تدعم حزب الله الإسلامي وحزب العمال الكردستاني في تركيا، وأن الأخيرة لن تدعم حركات تركستان الشرقية المؤيدة للاستقلال. كما اتفق الطرفان على مراجعة السياسة المتبعة بشأن قضية الأويغور، واستعدادهما لوضع الخطط لتعزيز مستوى علاقاتهما مع الآخر[10].

بدعوة من الرئيس التركي سليمان ديميريل Süleyman Demirel ، إلى نظيره الصيني جيانغ زيمين Jiang Zemin ، قام الأخير بزيارة تركيا في المدة من 18 إلى 21 نيسان / أبريل 2000. وخلال الزيارة ، أجرى الرئيس جيانغ زيمين محادثات مع الرئيس سليمان ديميريل واجتمع مع رئيس الجمعية الوطنية التركية الكبرى يلدريم أكبولوت Yıldırım Akbulut ورئيس الوزراء بولنت أجيفيت .Bülent Ecevit وفي جو ودي وبناء ، أجرى الجانبان تبادلا مكثفا ومتعمقا لوجهات النظر

[8] Ibid, p.34.

[9] ALTAY ATLI, TURKEY'S FOREIGN POLICY TOWARDS CHINA: Analysis and Recommendations for Improvement", GLOBAL RELATIONS FORUM, POLICY PAPER SERIES No.3, Asian Studies Center, Boğaziçi University, June 2016: Altay_atli_birlestirilme.indd (gif.org.tr)

[10] Mehmet Söylemez, Turkey-China Relations in The 21st Century: From Enhanced t Strategic Partnership", HKBU Institutional Repository, Hong Kong Baptist University, January 2017, pp.249-250: https://repository.hkbu.edu.hk/etd_oa/362/

حول زيادة تطوير العلاقات الثنائية والقضايا الدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك وتوصلا إلى توافق واسع، ووقعا بيانًا مشتركًا وصفا فيه العلاقات بأنها "شراكة معززة". بالإضافة إلى هذا البيان المشترك ، وقع الجانبان على المحضر المتفق عليه للدورة الثالثة عشرة للجنة الاقتصادية والتجارية التركية الصينية المشتركة والبروتوكول الإطاري للتعاون الاقتصادي والتكنولوجي في قطاع الطاقة بين جمهورية تركيا وجمهورية الصين الشعبية. أعرب رئيسا الدولتين عن ارتياحهما للتقدم الملحوظ الذي تم إحرازه في العلاقات الودية والتعاون بين تركيا والصين منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية قبل 29 عامًا ، وأكدا أن هذا يتوافق مع الرغبة المشتركة للجانبين ويخدم المصالح الأساسية لكل من البلدين والشعبين. كما اعربا عن تصميمهما على توسيع وتعميق الصداقة والتعاون متبادل المنفعة بين البلدين بشكل مستمر وقرروا اقامة شراكة معززة تقوم على الاحترام المتبادل والثقة والمنفعة والمساواة والتنمية المشتركة. كما أكد الجانبان أن ترميم طريق الحرير القديم ، الذي لعب دورًا مهمًا في تعزيز الصداقة بين الشعبين والتبادلات بين حضارات شرق وغرب آسيا ، سيسهل العلاقات الودية[11].

في عام 2002 أيضًا ، دخلت السياسة التركية حقبة جديدة. حقق حزب العدالة والتنمية (AKP) فوزًا انتخابيًا كبيرًا وبدأ في قيادة السياسة التركية مع أردوغان كرئيس للوزراء. بشكل عام ، منذ ذلك الحين ، دعا حزب العدالة والتنمية الذي يتزعمه أردوغان إلى سياسة خارجية متعددة الاتجاهات. يتضمن هذا المشروع علاقات أفضل مع الشرق الأوسط وأفريقيا وروسيا والصين. ومع ذلك ، وفي سنوات حكمه الأولى، إلى حد كبير ، لم يغير حزب العدالة والتنمية سياسة تركيا تجاه الصين[12].

في 15 كانون الثاني/يناير 2003، استقبل هو جينتاو Hu Jintao، الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ونائب الرئيس الصيني رئيس حزب العدالة والتنمية الحاكم في تركيا رجب طيب أردوغان في بكين. رحب هو جينتاو ترحيبا حارا بالرئيس أردوغان في زيارته الأولى للصين، وقال إن العلاقات بين الصين وتركيا ترجع إلى العصور القديمة. وبدأ الشعبان في إجراء تبادلات تجارية وثقافية من خلال "طريق الحرير" القديم. منذ أكثر من 2000 عام نمت العلاقات الثنائية بقوة بعد أن أقام البلدان العلاقات الدبلوماسية قبل أكثر من ثلاثة عقود. وفي السنوات الأخيرة على وجه الخصوص، كان هناك تبادل متكرر للزيارات رفيعة المستوى. ووقع الجانبان على عدة وثائق توجه العلاقات الثنائية بما في ذلك بياناً مشتركاً حول ضرورة إقامة شراكة أوثق في القرن الجديد، كما توسع التعاون في المجال الاقتصادي والتجاري تدريجياً، وأصبح التعاون في المجالات الأخرى مثمراً أكثر. وقال هو: "إن الصين تقدر تحرك الحكومة التركية الجديدة لإدراج تنمية العلاقات مع الصين في سياستها الحكومية، ويولي الحزب الشيوعي الصيني والحكومة الصينية اهتماما كبيرا لعلاقاتها مع تركيا ويأملان في تعزيز تبادلاتها وتعاونها مع تركيا في مجموعة متنوعة من المجالات وعلى مستويات

[11] "Joint Communique Between The Republic Of Turkey And The People´s Republic Of China.", Ministry of Foreign Affairs, Republic of Turkey, April 19, 2000:

Joint Communique Between The Republic Of Turkey And The People´s Republic Of China April 19, 2000, Ankara / Rep. of Turkey Ministry of Foreign Affairs (mfa.gov.tr)

[12] Söylemez, "Turkey and China…", Op. cit., p.2.

مختلفة على أساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمي، وذلك لكتابة فصل جديد من العلاقات الودية الثنائية في القرن الجديد". كما تبادل الجانبان الآراء حول قضية مكافحة الإرهاب، وقال هو: "إن الصين وتركيا تشتركان في اهتمامات مشتركة في مكافحة الإرهاب، وحماية السيادة الوطنية وسلامة الأراضي، والحفاظ على الوحدة بين المجموعات العرقية المختلفة". وقال: "إنه من أجل تعزيز التعاون في هذا الصدد يخدم المصالح الأساسية لكلا الشعبين، ويساعد في الحفاظ على السلام والاستقرار في المنطقة والعالم بأسره"[13]

من جهته شكر أردوغان لقاء الأمين العام هو جينتاو واتفق مع تقييم هو للعلاقات الثنائية. وأكد مجددا أن تركيا ستتمسك بسياسة الصين الواحدة، وتحترم سيادة الصين وسلامة أراضيها، وتعارض الإرهاب بأي شكل من الأشكال. وأكد أن تركيا تقدر علاقاتها مع الصين وتعتقد أن التعاون الثنائي في جميع المجالات سيسجل تقدما أكبر. وقال أردوغان: "إن التعاون التجاري والاقتصادي بين تركيا والصين نما بسرعة، ولا ينبغي للجانبين الاكتفاء به"، معرباً عن أمله في ألا تضيع الإدارات المعنية في البلدين أي وقت لتنفيذ التوافق الذي تم التوصل إليه بالفعل، وتعزيز التعاون في بناء البنية التحتية والثقافة والسياحة. كما أعرب عن أمله في أن تساعد زيارته الحالية للصين في تعزيز التبادلات الودية بين الحزبين الحاكمين في تركيا والصين[14].

وفي 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2003، بعث الرئيس هو جينتاو برسالة إلى الرئيس التركي (أحمد نجدت سيزر Ahmet Necdet Sezer) بشأن التفجيرات التي وقعت في اسطنبول التركية، والتي تسببت في خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات. وأدان هو بشدة الهجمات الإرهابية، وعبر عن تعازيه الحارة لأسر القتلى وخالص التعازي للمصابين. وأكد هو أن الصين تعارض بشدة الإرهاب بكافة أنواعه وتدعم الحكومة التركية في الحرب ضد الإرهاب، وقال هو "إن الصين مستعدة لتعزيز التعاون مع المجتمع الدولي بما في ذلك تركيا من أجل الحفاظ على السلام والاستقرار في المنطقة والعالم"[15].

خلال عام 2004 أولت الصين اهتماماً كبيراً بعلاقاتها مع تركيا، وسعت لتطويرها في المجالات كافة، وانعكس ذلك من خلال زيارة المسؤولين الصينيين لأنقرة. لقد رأت بكين أن مجيء حزب العدالة والتنمية في تركيا وانتهاجه سياسة الانفتاح تجاه تطوير وتنمية العلاقات مع الصين فرصة حقيقية للارتقاء بهذه العلاقات إلى مستويات أعلى. في هذا السياق، قام عضو اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ونائب رئيس مجلس الدولة هوانغ جو Huang Ju بزيارة رسمية لتركيا في 18 تشرين الثاني/ نوفمبر 2004 والتقى برئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان. وقال هوانغ جو: "إن زيارة سعادتكم الناجحة للصين العام الماضي تعزز بقوة

[13] "Hu Jintao Met With Chairman Recep Tayyip Erdogan of the Turkish Justice and Development Party", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, January 15, 2003: https://www.mfa.gov.cn/ce/ceee//eng/dtxw/t111301.htm

[14] Ibid.

[15] "President Hu Jintao Sends a Message to Turkish President Ahmet Necdet Sezer over the Bombings in Turkey's Istanbul", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, November 21, 2003: https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjb_663304.htm

تنمية التعاون الودي بين البلدين. ونقدر التزام الحكومة التركية بسياسة صين واحدة، ودعم قضية إعادة توحيد الصين، والتفاهم والدعم لقضية الصين الصالحة في الحفاظ على السيادة الوطنية وسلامة الأراضي". وقال جو: "إن تعزيز العلاقات التعاونية الودية بين الصين وتركيا يخدم المصالح الأساسية للبلدين وهي مفيدة للسلام والتنمية في العالم، حيث أن كلا البلدين لهما تأثير كبير في المجتمع الدولي. يجب الحفاظ على المشاورات والحوار وتعزيز التنسيق في الشؤون الثنائية والدولية وتوسيع العلاقات الاقتصادية والتجارية والتعاون في عقود المشاريع والاستثمار، وتعزيز التبادلات في قطاعات تشمل السياحة والإعلام والثقافة والتعليم وتعزيز الصداقة بين الشعبين"[16]

من جهته قال أردوغان: "إن تركيا والصين أجرتا تبادلات وثيقة في جميع المجالات، مما سهل تنمية بعضهما البعض. وتولي تركيا اهتمامًا كبيرًا للعلاقات مع الصين، وتأمل أن يحافظ البلدان على زخم تبادل الزيارات رفيعة المستوى وتعزيز التعاون في مجال النقل والطاقة، والبحث والتطوير في مجال التكنولوجيا الفائقة، والسياحة، ويتوقع أن تستثمر الشركات الصينية في تركيا وتشارك في التنمية التركية"، وأكد أردوغان أن تركيا "ستواصل اتباع سياسة صين واحدة بثبات"[17].

وفي خطوة مقابلة قام نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية التركي الأسبق (عبدالله غل Abdullah Gul) بزيارة رسمية إلى الصين في 1 شباط/ فبراير 2005، التقى في البداية عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ونائب رئيس مجلس الدولة هوانغ جو تباحثا حول العلاقات الثنائية بين البلدين وسبل تعزيز التعاون بين الصين وتركيا مع التطلعات المشتركة والمصالح الأساسية من كلا الشعبين، حيث أعرب جو أن الصين تود العمل مع تركيا للارتقاء بعلاقات التعاون الودية بين الصين وتركيا إلى آفاق جديدة[18].

ثم التقى غل في اليوم التالي 2 شباط / فبراير 2005 بوزير الخارجية الصيني لي تشاو تشينغ Li Zhaoxing، حيث تبادل الجانبان وجهات النظر بشكل معمق حول العلاقات الصينية-التركية والقضايا الدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك. وقال لي تشاو تشينغ إنه "على مدى 34 عاما منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين وتركيا، تطورت العلاقات الثنائية بشكل مطرد. والصين مستعدة لتوسيع التبادلات والتعاون مع تركيا في جميع المجالات على أساس الثقة المتبادلة والمساواة والمنفعة المتبادلة". وأشار غل إلى أن "تركيا والصين تتمتعان بصداقة تقليدية عميقة وأن تقوية المشاورات والتعاون يصب في مصلحة البلدين، وأكد مجددا أن تركيا تتمسك بقوة بسياسة صين واحدة"[19].

---

[16] "Huang Ju Meets with Turkish Prime Minister Erdogan", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, November 18, 2004: https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjb_663304/zzjg_663340/xybfs_663590/gjlb_663594/2898_663796/2900_663800/t171153.shtml

[17] Ibid.

[18] "Vice Premier Huang Ju Meets with Turkish Deputy Prime Minister and Foreign Minister", Embassy of The People's Republic of China in The Kingdom of Lesotho, February 1, 2005: https://www.fmprc.gov.cn/ce/ceee/eng/dtxw/t182386.htm

[19] "Foreign Minister Li Zhaoxing Holds Talks with Turkish Deputy Prime Minister and Foreign Minister", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, February 2, 2005: https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjb_663304/zzjg_663340/xybfs_663590/gjlb_663594/2898_663796/2900_663800/200502/t20050202_535900.html

ونتيجة لذلك شهدت العلاقات بين تركيا والصين تنسيقاً عالي المستوى في المواقف المشتركة تجاه القضايا الإقليمية والدولية. في 3 نيسان/ أبريل 2007، التقى مساعد وزير الخارجية الصيني تسوي تيانكاي Cui Tiankai مع المدير العام للشؤون السياسية متعددة الأطراف بوزارة الشؤون الخارجية التركية حسن جوغوس Hasan Gogus، الموجود في الصين لإجراء مشاورات بين البلدين حول شؤون الأمم المتحدة. وقال تسوي إنه مع تزايد التهديدات العالمية والتحديات والبؤر الإقليمية الساخنة، تواجه الأمم المتحدة أيضًا الإصلاح والمهام الرئيسة الأخرى. والصين مستعدة لمواصلة المشاورات والتعاون الوثيقين مع تركيا، التي تلعب دورًا مهمًا وفريدًا في المنطقة والشؤون الدولية. وقال جوغوس إن البلدين أجريا اتصالات وتنسيقًا سليمين بشأن شؤون الأمم المتحدة، مضيفًا أن تركيا تأمل في دفع التعاون الثنائي في المنطقة إلى مرحلة جديدة من خلال تعزيز المشاورات الدورية[20].

كما شهدت العلاقات الثنائية بين تركيا والصين خلال عامي 2009 و2010 تطورا نوعيا في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية. وحرص المسؤولون في البلدين على تطوير هذه العلاقات بما يخدم المصالح المشتركة بينهما. في هذا السياق قال الرئيس التركي عبد الله غل في 23 حزيران/ يونيو 2009 في مقابلة في أنقرة مع وكالة أنباء ((شينخوا)) قبيل زيارته للصين إنه يريد أن تعزز بلاده تعاونها مع الصين على جميع المستويات ، واصفا البلدين بـ "الشركاء الطبيعيين". وقال غل إن تركيا والصين في وضع جيد للتغلب على التحديات الجديدة والسعي لتحقيق رخاء أكبر من خلال التعاون. وصرح أنه بفضل هويتهما الثقافية الفريدة، يمكن للصين وتركيا معالجة التهديدات بشكل أفضل للتطلعات المشتركة مثل الأمن والوئام والازدهار. وقال جول إن البلدين لديهما إمكانات للتعاون في حل القضايا الدولية والإقليمية مثل القضية النووية في شبه الجزيرة الكورية والمشاكل في الشرق الأوسط والقوقاز وأفريقيا. وقال غل إن "التعاون بين تركيا والصين مهم ليس فقط لبلدينا ولكن أيضا للمجتمع الدولي"[21].

في 25 حزيران/ يونيو 2009 قام الرئيس التركي عبدالله غل بزيارة رسمية إلى الصين بدعوة من الرئيس الصيني هو جينتاو استمرت ستة أيام. وتعد هذه الزيارة من أهم الزيارات الرسمية التي وضعت أسس الشراكة الاستراتيجية بين البلدين حيث طرح الرئيس غل اقتراحا تضمن خمس نقاط لتعزيز العلاقات التركية-الصينية. الاقتراح الأول هو أنه يتعين على الحكومتين تعزيز الاتصال والتنسيق ودعم بعضهما البعض في القضايا المهمة المتعلقة بمصالحهما الجوهرية ، ويجب على المجالس التشريعية والأحزاب مواصلة إجراء التبادلات متعددة المستويات. وشملت النقاط الأربع الأخرى توسيع التعاون التجاري والاقتصادي الثنائي ، وتعزيز التعاون لمكافحة الإرهاب والانفصالية والتطرف والجرائم العابرة للحدود ، وتكثيف التبادلات والتعاون في مجالات الثقافة والتعليم والسياحة والإعلام والصحة العامة ، والحفاظ على التعددية فضلا عن تطوير التعاون الثنائي لتعزيز

[20] "China and Turkey Hold Consultation on UN Affairs", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, April 3, 2007: https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjb_663304/zzjg_663340/xybfs_663590/gjlb_663594/2898_663796/2900_663800/t308912.shtml

[21] "Turkey eyes all-level cooperation with China", Xinhua News Agency, June 24, 2009: Turkey eyes all-level cooperation with China — china.org.cn

الانسجام العالمي. وقال غل إن تركيا مستعدة لتقوية العلاقات السياسية مع الصين وتعزيز التعاون المتعلق بالتمويل والسياحة والثقافة وبناء البنية التحتية والعلوم والتكنولوجيا. كما شهد الرئيسان توقيع سبع وثائق ثنائية حول التعاون في مجالات الشؤون الخارجية والطاقة والتراث الثقافي والإعلام والتجارة[22].

وفي خطوة أخرى لتعزيز العلاقات الثنائية والتعاون المتبادل اوفد رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان وزير الدولة التركي ظافر كاجلايان Zafer Caglayan إلى العاصمة بكين في 30 آب/أغسطس 2009 للقاء المسؤولين الصينيين وتم التباحث حول عدد من القضايا ذات الاهتمام المشترك. وقال وزير الخارجية الصيني يانغ جيتشي Yang Jiechi "إن الصين مستعدة لتقوية العلاقات الثنائية على أساس القواعد المعترف بها عالميا للعلاقات الدولية". وقال يانغ ان الصين تعتقد دائما "ان حماية التنمية الشاملة للعلاقات الثنائية يمكن ان تخدم المصالح الجوهرية للشعبين". وقال إن "تركيا ستسعى لتطوير علاقة قوية مع الصين من خلال تعميق التعاون الثنائي". وقال كاجلايان إن نجاح زيارة الرئيس التركي عبد الله غل للصين في حزيران/ يونيو كان له تأثير عميق على العلاقات الثنائية[23].

ثالثا: عام 2010 وبداية شراكة استراتيجية جديدة بين تركيا والصين

في عام 2010 شهدت العلاقات الثنائية تطوراً كبيرا في المجالات السياسية والاقتصادية نتيجة للزيارات الدبلوماسية المتبادلة بين مسؤولي البلدين. الزيارة المهمة الأولى كانت لوزير الخارجية الصيني يانغ جيتشي Yang Jiechi في 28 كانون الثاني / يناير 2010 للعاصمة أنقرة ولقائه مع رئيس الوزراء التركي آنذاك رجب طيب أردوغان، وقال يانغ "إن الصين تقدر بشدة علاقتها مع تركيا وستواصل التعامل معها من منظور استراتيجي وطويل الأجل". من جهته قال أردوغان إن "الحكومة التركية لديها نفس الإرادة السياسية لتوطيد العلاقات مع الصين" ، مشيرًا إلى أن "تركيا تلتزم بسياسة صين واحدة وتعترف بأن حكومة جمهورية الصين الشعبية هي الحكومة الشرعية الوحيدة التي تمثل الصين بأكملها". وقال رئيس الوزراء إنه يتعين على البلدين الاستفادة بشكل كامل من إمكانات التعاون في التجارة والاستثمار وبناء البنية التحتية والتصدي بشكل مشترك لتأثير الأزمة المالية العالمية. وأعرب يانغ عن تقدير الصين لموقف تركيا الداعم لسياسة صين واحدة واحترام سيادة الصين ووحدة أراضيها[24].

وفي 8 تشرين الأول/ أكتوبر من العام نفسه قام رئيس الوزراء الصيني (وين جياباو Wen Jiabao) بزيارة رسمية إلى أنقرة استمرت ثلاثة أيام التقى فيها بالرئيس التركي عبد الله غل ورئيس الوزراء التركي آنذاك رجب طيب أردوغان. وأثناء لقائه مع الرئيس غل نقل له تحيات الرئيس هو

[22] "Turkish president concludes China visit", Embassy of The People's Republic of China in The Republic of Turkey, 29/6/2009: Turkish president concludes China visit (china-embassy.org)

[23] "China, Turkey to link up in terrorism fight", Xinhua News Agency, August 31, 2009: China, Turkey to link up in terrorism fight — china.org.cn

[24] "China, Turkey eye stronger political, economic ties", Xinhua, January 28, 2010: China, Turkey eye stronger political, economic ties - China.org.cn

جينتاو .Hu Jintao وقال وين إن الشعب الصيني يحمل دائما مشاعر ودية تجاه الشعب التركي. ودعا إلى أعادة ربط طريق الحرير القديم بين الجانبين منذ أكثر من 1000 عام، والتعاون الجيد في الشؤون الإقليمية والدولية وتأسيس علاقة تعاون استراتيجية بين الجانبين بما يخدم المصالح الأساسية للبلدين والشعب. كما قال وين إن الصين مستعدة للعمل مع تركيا بشأن تنفيذ التوافق والاتفاقيات الهامة بين الجانبين. وصلت إلى فتح فصل جديد في العلاقات الثنائية[25].

من جهته طلب الرئيس التركي غل من وين نقل تحياته وأطيب تمنياته إلى الرئيس هو جينتاو ، وقال: "إن زيارة وين الناجحة لتركيا سترتقي بالعلاقات الثنائية إلى مستوى جديد بالتأكيد". وأكد التزام تركيا بسياسة صين واحدة. وقال الرئيس التركي إنه رأى "إمكانات كبيرة في التعاون الاقتصادي والتجاري الثنائي ، وأن الشركات الصينية مرحب بها للمشاركة في التنمية الاقتصادية التركية من أجل المنفعة المتبادلة". وقال غل إن "التفاهم المتبادل بين الشعبين مهم للغاية"، وأعرب عن أمله في أن يحتفل البلدان بالذكرى الأربعين لإقامة علاقات دبلوماسية العام المقبل مع مزيد من التوسع في التبادلات الثقافية الثنائية والتعاون السياحي[26].

كما التقى وين خلال هذه الزيارة نظيره التركي رجب طيب أردوغان، وأعلن الزعيمان أن الصين وتركيا أقامتا شراكة استراتيجية ووقعت ما لا يقل عن ثماني اتفاقيات إطارية[27] وفي تعليقه على هذه الزيارة قال السفير الصيني لدى تركيا جونغ شياو شنغ Gong Xiaosheng إن زيارة رئيس الوزراء وين لتركيا ستعزز العلاقات بين البلدين إلى مستوى جديد. وقال جونغ في مؤتمر صحفي في أنقرة "نتوقع أن تشهد العلاقات الصينية التركية تطورًا جديدًا وأفضل ، وأن تحقق قفزة إلى الأمام بعد زيارة وين لتركيا، وأعتقد أن البلدين يعرفان المزيد ويعملان مع بعضهما البعض. ستكون هناك آفاق كبيرة لتعاوننا"[28].

وقع وين ونظيره أردوغان ثماني اتفاقيات، وأعلنا تفعيل الشراكة الاستراتيجية التركية-الصينية. وشملت الاتفاقيات مجالات التعاون الاقتصادي والتجاري، والبنية التحتية، والتعاون الاستشاري التكنولوجي في المرحلة الثالثة، والتبادلات الثقافية، والتعاون في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والتعاون البحري، والتعاون في مجال السكك الحديدية[29].

لقد اندرجت الاتفاقيات الثنائية أعلاه مع تركيا وفقاً للنظرية الصينية ضمن ما يسمى بـ(الشراكة الاستراتيجية الشاملة Comprehensive Strategic Partnership) التي تعني أنها شراكة تتجاوز الاختلافات في الأيديولوجيا والنظام الاجتماعي ولا تخضع لتأثيرات الأحداث الفردية التي تحدث من

---

[25] "Wen Jiabao Meets with Turkish President Gul", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, 8/10/2010: Wen Jiabao Meets with Turkish President Gul (fmprc.gov.cn)

[26] Ibid.

[27] Söylemez, "Turkey and China…", Op. cit., p.4.

[28] "Wen meets Turkish PM Erdogan", China. org, October 8, 2010: http://www.china.org.cn/world/2010-10/08/content_21078982.htm

[29] "Wen Jiabao Attends Signing Ceremony of Eight Cooperation Documents", Embassy of the People's of Republic of China in India, October 8, 2020: https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/topics_665678/wenjiabaozonglifangwenouyasiguo_665782/t759899.shtml

وقت لآخر، وأن التعاون يجب أن يكون على قدم المساواة، متبادل المنفعة ومربحاً للطرفين، وأن يقوم على أساس الاحترام والثقة المتبادلة، والسعي لتوسيع المصالح المتقاربة والبحث عن أرضية مشتركة حول القضايا الرئيسة مع ترك الخلافات حول القضايا الثانوية جانباً. وتعني "الاستراتيجية" أن التعاون يجب أن يكون طويل الأجل ومستقرًا، ويؤثر في الصورة الأكبر للعلاقات بين الطرفين. أما "الشاملة" فتعني أن التعاون يجب أن يكون شاملاً ومتعدد الأبعاد ومتعدد المستويات ويغطي المجالات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والسياسية والثقافية، ويحتوي على المستويين الثنائي والمتعدد الأطراف، ويتم إجراؤه من قبل الحكومتين والمجموعات غير الحكومية[30].

ومع ذلك، فإن الاتفاقيات الثنائية اعلاه تبدو وكأنها ذات أهمية استثنائية بالنسبة للجانبين، ولكن ما مدى أهميتها بالنسبة للعلاقات التركية-الصينية؟ يعرف مراقبو الصين جيدًا أن الصين كانت تنظم عددًا من الاتفاقيات الاستراتيجية الثنائية مع مختلف البلدان، خاصة منذ بداية القرن الحادي والعشرين، من بين دوافع أخرى، يتمثل أحد الدوافع المهمة وراء هذه الاتفاقيات في خلق شعور بالثقة المتبادلة مع كل دولة من أجل القضاء على تصور تصاعد "تهديد الصين". بعبارة أخرى، إذا كان "التهديد الصيني" سمًا صنعه الآخرون، فإن "الشراكة الاستراتيجية" ستكون الترياق الذي تصنعه الصين[31].

في المقابل تعد اتفاقية الشراكة الاستراتيجية مهمة أيضاً لتركيا لأسباب مختلفة، معظمها يشكل "الحوار الاستراتيجي" بين تركيا والصين. الاستثناء من القاعدة يتعلق بتاريخ العلاقات التركية-الصينية، تمثل اتفاقية "الشراكة المعززة" بداية تطور العلاقات في التاريخ التركي والصيني. لذلك، فإن الدخول في شراكة استراتيجية بعد علاقة غير مستقرة أمر مهم. السبب الثاني هو عدد الاتفاقيات اللاحقة التي سهّلت الشراكة بين الدول، والتعاون الذي طورته في المجالات الاقتصادية المختلفة، من برامج الفضاء إلى تعاون السوق المفتوح. أما السبب الثالث فيكمن في الموقف السياسي الخاص لتركيا بوصفها حليفاً للولايات المتحدة، ومرشحاً لعضوية الاتحاد الأوروبي، وعضواً في الناتو. ومع ذلك، فإن هذا مهم فقط بالنسبة لاتفاقيات الصين مع الدول الأوروبية الأخرى مثل المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا والدنمارك، حيث تتمتع بعضوية كاملة في الاتحاد الأوروبي وبعضها يكثف اتفاقيات الشراكة الاستراتيجية مع الصين. ومن ثم فإن الأمور الأكثر واقعية، مثل عضوية منظمة شنغهاي للتعاون، قد تثبت فقط الخصوصية الحقيقية لعلاقة تركيا بالصين. سبب آخر يتعلق بصياغة الاتفاق؛ فتركيا تعد من بين ثلاثة دول فقط (مصر، انغولا، تركيا) التي يتم فيها ذكر سياسة "الصين الواحدة" بالنسبة للصين وتايوان. فضلاً عن ذلك، توضح الاتفاقية التركية الصينية احترام الأمم المتحدة أو إصلاحها أو التعاون معها[32]ويمكن اعتبار ذلك بمثابة تحرك مباشر قامت به تركيا فيما يتعلق بقضية تشينجيانغ، وأن تركيا تستفيد من عضوية الصين في مجلس الأمن[33].

---

[30] Feng Zhongping and Huang Jing, "China's Strategic Partnership Diplomacy: Engaging with a Changing World", FRIDE, ESPO Working Paper, The Global Partnerships Grid Series, June 2014: https://papers.ssrn.com/sol3/papers.cfm?abstract_id=2459948

[31] Söylemez, Turkey-China Relations in The 21st Century…", Op. cit., p.254.

[32] Zhongping and Jing, "China's Strategic Partnership Diplomacy..", Op. cit., p.9.

[33] Söylemez, Turkey-China Relations in The 21st Century…", Op. cit., p.256-257.

إن ما يجعل الشراكة الاستراتيجية التركية الصينية أكثر أهمية هو وضعها لمستوى من الخطاب في بعد آخر. مثل هذه التحركات المفاجئة مثل عرض منظمة شنغهاي للتعاون ومشروع الصواريخ الصيني أصبحت ممكنة فقط من خلال اتفاقية الشراكة الاستراتيجية. لذلك، باستثناء الأسباب المذكورة أعلاه، فإن أهم ميزة لـ "الشراكة الاستراتيجية" لتركيا والصين هي أنها تضع لهجة جديدة تمامًا في علاقتهما. يمكن اعتبار أنها أعطت نفوذًا لتركيا لتعزيز علاقاتها مع الصين، كما تفعل الصين بالفعل مع الدول المختلفة. بعبارة أخرى، هذه النغمة الجديدة أكثر أهمية لتركيا من الصين. كما أن هناك انتكاسات ونقاط ضعف في التنظيم الدبلوماسي من الجانب التركي. في هذا السياق يقول دبلوماسي تركي كان يعمل في الصين: "لا توجد موارد بشرية كافية للترويج لتركيا في الصين". ويؤكد دبلوماسي آخر هذه النقطة ويدعي أن هناك عددًا قليلاً فقط من الدبلوماسيين الأتراك الذين يمكنهم التحدث بالصينية في وزارة الخارجية لم يتم تجنيدهم إلا في السنوات القليلة الماضية. ويقول دبلوماسي يعمل في الوزارة في أنقرة: "التنظيم المتعلق بشرق وجنوب شرق آسيا ضعيف نوعًا ما في مقر الوزارة"[34].

رابعا: دور الزيارات الدبلوماسية المتبادلة في تعزيز العلاقات الثنائية

في 1 نيسان/ أبريل 2011، ترأس نائب وزير الخارجية (تشانغ تشيجون Zhang Zhijun) ووكيل وزارة الخارجية التركية (فريدون سينيرلي أوغلو Feridun Sinirlioglu) الاجتماع الأول لمجموعة العمل المشتركة لوزارتي الخارجية في أنقرة. والتقى تشانغ أيضًا بنائب رئيس الوزراء التركي (جميل جيجيك Cemil Çiçek) ووزير الخارجية آنذاك (أحمد داود أوغلو Ahmet Davutoglu)، وتبادل الجانبان الآراء بشكل معمق حول العلاقات الصينية التركية والقضايا الدولية والإقليمية ذات الاهتمام المشترك. وقد اشاد تشانغ بالعلاقات الثنائية، قائلاً انه منذ اقامة العلاقات الدبلوماسية قبل 40 عاما، ازدادت الثقة السياسية بين البلدين، وتم تعزيز التعاون البراغماتى وتوثيق التبادلات الانسانية. وحافظ الجانبان على تعاون سليم فى المنطقة. والشؤون الدولية. خلال زيارة رئيس مجلس الدولة(وين جياباو Wen Jiabao) لتركيا العام الماضي، أعلن الجانبان إقامة علاقة تعاون استراتيجية، وفتح صفحة جديدة للعلاقات الثنائية. وأعربت تشانغ عن أمله في أن يستفيد الجانبان من الإمكانات الهائلة في العلاقات، وتعزيز العلاقات السياسية، وتكثيف الاتصالات على جميع المستويات، وإجراء تعاون اقتصادي وتجاري متبادل المنفعة، وحث الجانبين على دعم بعضهما البعض والقيام بدور إيجابي وبناء في القضايا الإقليمية والدولية[35].

وفي المقابل قام نائب الرئيس الصيني (تشي جين بينغ Xi Jinping) بزيارة رسمية إلى أنقرة في 21 شباط/ فبراير 2012 التقى خلالها برئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان في إسطنبول، وقال إنه: "منذ إقامة العلاقات الدبلوماسية قبل 41 عامًا, خاصة منذ بداية القرن الجديد, حققت

[34] Ibid, pp. 258-259.

[35] "China, Turkey Hold the First Meeting of the Joint Working Group of the Two Foreign Ministries", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, April 4, 2011: https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjb_663304/zzjg_663340/xybfs_663590/gjlb_663594/2898_663796/2900_663800/201104/t20110406_536001.html

العلاقات الودية والتعاونية الثنائية في مختلف المجالات تقدمًا كبيرًا، إذ أقام البلدان علاقات تعاون استراتيجية منذ توقيع اتفاقية الشراكة الاستراتيجية عام 2010، مما يشير إلى أن العلاقات الثنائية دخلت مرحلة جديدة من التنمية الشاملة". وتتميز العلاقات الصينية التركية الحالية بالثقة السياسية المتبادلة، والتعاون الاقتصادي متبادل المنفعة، والتبادل الثقافي، والدعم المتبادل على الصعد المتعددة. وأكد بينغ على أن الجانب الصيني يولي أهمية كبيرة لتعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري مع تركيا، والذي يتوافق مع المصالح الأساسية لكلا الجانبين ويؤدي أيضًا إلى الاستفادة من الإمكانات الهائلة للتعاون. وطرح تشي جين بينغ أربعة مقترحات بشأن تعزيز التعاون العملي بين البلدين:[36]

أولاً، إفساح المجال كاملاً لمزايا كل منهما والدفع من أجل التنمية المتوازنة والصحية للتجارة الثنائية. يولي الجانب الصيني أهمية كبيرة للعجز التجاري لتركيا وسيواصل اتخاذ تدابير شاملة لخفض الخلل التجاري تدريجياً بين البلدين. أن تركيا ستزيد من الجهود للترويج لمنتجاتها في الصين.

ثانيًا، توسيع قنوات التمويل وتعزيز الاستثمار الصيني في تشييد البنية التحتية في تركيا. وأعرب تشي عن أمله في أن تستفيد المؤسسات المالية والشركات في البلدين من الظروف المواتية الحالية وتسعى جاهدة لإنهاء المفاوضات في مشروع أو اثنين من المشاريع الكبرى المؤثرة وذات العوائد الاقتصادية الجيدة.

ثالثًا، تعميق التعاون المالي الثنائي وقال تشي في هذا السياق "يجب أن نوقع اتفاقًا بشأن تسوية العملة المحلية في وقت مبكر وتحقيق تسوية بالعملة المحلية في التجارة الثنائية لدعم وتسهيل - حجم التجارة والاستثمار بين البلدين ".

رابعًا، تعزيز التعاون في مجال التكنولوجيا الفائقة في مجالات مثل الطاقة النووية والفضاء وإنشاء نقاط نمو جديدة للتعاون العملي الثنائي. ويمكن للجانبين تعزيز التعاون في مجالات الحفاظ على الطاقة، وخفض الانبعاثات، والاقتصاد الأخضر، والمواد الجديدة لتحقيق التنمية المستدامة لاقتصاداتهم.

وشدد تشي على أن قضية "تركستان الشرقية" تتعلق بالأمن القومي والاستقرار الاجتماعي للصين، فضلا عن مصالحها الجوهرية. كما أكد رئيس الوزراء أردوغان أن تركيا تلتزم بسياسة (صين واحدة) وتحترم استقلال الصين وسيادتها وسلامة أراضيها. كما شدد رئيس الوزراء في مناسبات عديدة على أن منطقة تشينجيانغ الأويغورية ذاتية الحكم جزء لا يتجزأ من الأراضي الصينية، وأن تركيا تعارض بشدة أي شخص على أراضيها يقوم بأي نشاط يضر بسيادة الصين ووحدة أراضيها، وأضاف تشي أن "الصين تقدر ذلك...وهي تأمل في أن تواصل تركيا اتخاذ تدابير فعالة لمعارضة ومنع الأنشطة الانفصالية المناهضة للصين من قبل قوات تركستان الشرقية على أراضيها من أجل ضمان

[36] "Xi Jinping Meets with Turkish Prime Minister Erdogan", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, February 22, 2012: https://www.mfa.gov.cn/ce/ceus//eng/zgyw/t907807.htm

[37] "Xi Jinping Meets with Turkish Prime Minister Erdogan", Ibid.

النمو الصحي والمطرد للعلاقات الصينية-التركية". من جهته قال أردوغان إن زيارة نائب الرئيس تشي إلى تركيا لها أهمية كبيرة في تعزيز العلاقات التركية-الصينية وتعميق التعاون الاستراتيجي الثنائي، واتفق تمامًا مع مقترحات تشي بشأن تطوير التعاون العملي الاقتصادي والتجاري. وتأمل تركيا في زيادة تعزيز التعاون الثنائي في التجارة، والتمويل، والطاقة، والفضاء، والطيران، والسكك الحديدية عالية السرعة، والطرق السريعة، والمشاريع الكبيرة المتعاقد عليها، فضلاً عن السياحة. يجب على رواد الأعمال في كلا البلدين اغتنام الفرصة لتطوير الأعمال. وتأمل تركيا في تعزيز التواصل والتنسيق مع الصين على الصعيدين الإقليمي والدولي بما في ذلك الوضع في غرب آسيا وشمال إفريقيا[37].

في 1 تموز/ يوليو 2013، التقى وزير الخارجية (وانغ يي Wang Yi) بوزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو في بندر سيري بيغاوان، بروناي. وقال وانغ يي: "إن الصين تقدر دعم تركيا في القضايا المتعلقة بالمصالح الجوهرية الرئيسة للصين، وترغب في تعزيز التبادلات الثنائية والتعاون، فضلا عن الاتصال والتنسيق بشأن القضايا الدولية والإقليمية الرئيسة لتعميق التعاون الاستراتيجي الصيني التركي" وأضاف: "إن الهجمات الإرهابية العنيفة التي وقعت مؤخرًا في منطقة تشينجيانغ الأويغورية ذاتية الحكم في الصين قد تم تنفيذها عمداً من قبل بعض المجرمين المرتبطين بشكل وثيق بالقوات الإرهابية الخارجية مما تسبب في إلحاق أضرار جسيمة بالناس من جميع المجموعات العرقية المحلية" واكد على أن "الحكومة الصينية ستكافح بحزم، وتلتزم بالقانون، جميع الجرائم الإرهابية العنيفة بأي شكل من الأشكال، ونحن قادرون تمامًا على حماية وحدتنا الوطنية وتأمين التضامن العرقي والاستقرار الاجتماعي في تشينجيانغ". من جهته قال داود أوغلو: "إن كل من تركيا والصين دولتان من بلدان الأسواق الناشئة، ويرغب الجانب التركي في تعزيز التعاون الاستراتيجي مع الصين على المستوى الثنائي والإقليمي والدولي. وتعارض تركيا الإرهاب بجميع أشكاله. ونأمل أن تحمي الصين السلام والاستقرار في منطقة تشينجيانغ الأويغورية ذاتية الحكم"[38].

خامسا: تحول تركيا إلى النظام الرئاسي وتأثيره في العلاقات التركية-الصينية

توجهت تركيا لقطع أول خطوة أساسية بالتحول من النظام البرلماني إلى النظام الرئاسي بتقديم حزب العدالة والتنمية مقترحاً لتطبيق أنموذج النظام الرئاسي في تركيا إلى لجنة المصالحة الدستورية في المجلس الوطني التركي الكبير عام 2013, وتكثفت الجهود بخصوص ذلك من قبل المسؤولين الاتراك وعلى رأسهم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بعد انتخابه عام 2014 ليتحول النظام السياسي التركي بالتصويت الشعبي من نظام برلماني إلى نظام شبه رئاسي، مبرراً تأييده إقرار النظام الرئاسي أنه سيقلل من الخلافات التي يشهدها البرلمان التركي، وزوال جميع العقبات، وانتهاء تعدد مراكز القرار ما سيجعل تركيا تشهد قفزات نوعية وتطوراً سريعاً في أعلى مستويات الحضارة المعاصرة[39].

[38] "Foreign Minister Wang Yi Meets with Foreign Minister Ahmet Davutoglu of Turkey", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, July 1, 2013: https://www.mfa.gov.cn/ce/cese//eng/xwdt/t1064280.htm

[39] أحمد مشعان النجم، "النظام الرئاسي في تركيا بين الواقع والتحديات: رؤية مستقبلية"، مجلة العلوم السياسية، العدد 59, 2020, ص 381: https://doi.org/10.30907/jj.v0i59.467

وبعد انتخاب رجب طيب أردوغان رئيسا لتركيا عام 2014 شهدت العلاقات بين تركيا والصين نقلة نوعية أخرى، تعززت عبر الزيارات الرسمية المتبادلة لمسؤولي البلدين. وقد بعث الرئيس (تشي جين بينغ Xi Jinping) في 12 آب/ أغسطس من العام نفسه برسالة تهنئة بانتخاب رجب طيب أردوغان كرئيس للجمهورية التركية. وقال جين بينغ في رسالته إنه "منذ أن أقامت الصين وتركيا العلاقات الدبلوماسية قبل 43 عامًا, حققت العلاقات الثنائية تطورًا جوهريًا, ولا سيما منذ إقامة علاقات التعاون الاستراتيجي بين الصين وتركيا في عام 2010، شهد البلدان تحسنًا مستمرًا في الثقة السياسية المتبادلة والنتائج المثمرة في التعاون العملي والإنجازات الغنية والملونة في التبادلات الشعبية والثقافية". وقال بينغ: "إنني أولي أهمية كبيرة لتنمية العلاقات بين الصين وتركيا، وأنا على استعداد لتوحيد الجهود معكم لتعزيز الصداقة التقليدية بين شعبي البلدين لتعميق التعاون متبادل المنفعة في جميع المجالات، وتعزيز علاقات التعاون الاستراتيجي بين الصين وتركيا من أجل التنمية المستمرة، بما يعود بالنفع على البلدين والشعبين[40].

وفي 29 تموز/ يوليو 2015، قام الرئيس رجب طيب أردوغان، بزيارة إلى بكين بناء على دعوة رسمية من الرئيس تشي جين بينغ Xi Jinping رئيس جمهورية الصين الشعبية. وتم عقد اجتماع موسع مع الرئيس الصيني، كما التقى رئيس اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب الصيني (زيانغ دي جيانغ Zhang Dejiang) بالرئيس التركي رجب طيب أردوغان[41]. وقال دي جيانغ إن "الصين تقدر صداقتها التقليدية مع تركيا. وخلال زيارة الرئيس أردوغان إلى الصين، وضعتم مع الرئيس تشي جين بينغ خططًا استراتيجية لتنمية العلاقات الثنائية في المرحلة المقبلة، والتي ستوجه بالتأكيد الصين نحو تطوير التعاون الاستراتيجي مع تركيا لمستوى أعلى". واكد دي جيانغ على أنه يتوجب على المجلس الوطني الشعبي)NPC(National People's Congress الصيني والمجلس الوطني التركي الكبير Turkish Grand National Assembly دائمًا بمبدأ "احترام سيادة كل منهما الآخر وسلامته الإقليمية ورعاية المصالح الأساسية والشواغل الرئيسية لبعضهما البعض، وإجراء حوارات واتصالات وتعاون متعددة الطبقات ومتعددة القنوات لتعزيز التفاهم المتبادل، وتقوية الثقة السياسية المتبادلة، وتوطيد الدعم العام والأساس القانوني للتعاون الودي، وخلق بيئة اجتماعية تتميز بالتبادلات الودية، وذلك لضخ المزيد الطاقة الإيجابية في الصداقة التقليدية الثنائية". وقال رجب طيب أردوغان إن "تركيا والصين تتمتعان باتصالات وثيقة في مختلف المجالات ونتائج مثمرة للتعاون، وتركيا على استعداد لتعزيز التبادلات والتعاون بين المجالس التشريعية في البلدين"[42].

[40] "Xi Jinping Sends Congratulatory Message for Recep Tayyip Erdogan's Election as Turkish President", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, August 8, 2014: https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjdt_665385/wshd_665389/t1183007.shtml

[41] "President Erdoğan Visits Monument to the People's Heroes in China", Presidency of The Republic of Turkey, July 29, 2015: https://www.tccb.gov.tr/en/news/542/33992/cumhurbaskani-erdogan-cin-halk-kahramanlari-anitini-ziyaret-etti

[42] "Zhang Dejiang Meets with President Recep Tayyip Erdoğan of Turkey", Ministry of Commerce of the People's Republic of China, July 29, 2015: http://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/wjb_663304/zzjg_663340/xybfs_663590/xwlb_663592/t1286468.shtml

وفي 3 أيلول/ سبتمبر 2016 قام الرئيس رجب طيب أردوغان بزيارة رسمية للصين والتقى بالرئيس الصيني تشي جين بينغ في مدينة هانغتشو Hangzhou الصينية قبل قمة مجموعة العشرين. وعقب المحادثات ترأس الزعيمان اجتماعا بين وفديهما بحضور الرئيس أردوغان والرئيس تشي جين بينغ، وتم توقيع 3 اتفاقيات بين تركيا والصين في مجالات الطاقة والأمن النووي وشهادة الصحة الزراعية. وأعرب الرئيس أردوغان عن سعادته بتركيز القمة على المرأة والشمولية والتجارة والاستثمار والابتكار، وقال: "بينما أؤمن بأن القضايا طويلة الأجل مثل اللاجئين ومكافحة الإرهاب يجب أن تظل على جدول أعمال مجموعة العشرين، أود أيضًا للتعبير عن حساسيتنا للتحدث عن رغبتنا في مواصلة تعزيز العلاقات النامية بين تركيا وجمهورية الصين الشعبية خلال محادثاتنا اليوم"[43].

من جهته أعرب الرئيس تشي جين بينغ عن سعادته بلقاء الرئيس أردوغان في قمة هانغتشو بعد قمة أنطاليا لمجموعة العشرين الناجحة للغاية التي استضافتها تركيا العام الماضي وقال إنه متفائل بشأن مستقبل العلاقات بين البلدين. وأكد الرئيس تشي جين بينغ إدانتهم لمحاولة الانقلاب في 15 تموز/ يوليو 2015 في تركيا, وأعرب عن دعم الصين لتركيا في حربها ضد منظمة فتح الله غولن الإرهابية. وذكر أن جمهورية الصين الشعبية وقفت إلى جانب تركيا في الحرب ضد منظمة غولن الإرهابية. وأكد الزعيمان على أهمية التعاون والتنسيق في مكافحة الإرهاب الذي يمثل مشكلة عالمية. واتفق الزعيمان على تسريع جهود مجلس التعاون الحكومي الدولي المنشأ على مستوى نواب رئيس الوزراء من أجل تحسين العلاقات الثنائية. كما قرر الرئيس أردوغان والرئيس تشي جين بينغ مواصلة تحسين العلاقات في مجالات التجارة الثنائية والنقل والطاقة والسياحة, وتوصلوا إلى اتفاق للعمل معًا لتحقيق أجندة مجموعة العشرين. وعقب الاجتماعات التي عُقدت في بيت ضيافة في ولاية شيهو, حضر الرئيسان حفل توقيع 3 اتفاقيات بين تركيا والصين في مجالات الطاقة والأمن النووي وشهادة الصحة الزراعية[44].

سادسا: طريق الحرير الجديد ودوره في تعزيز العلاقات التركية-الصينية

في خطوة أخرى لتعزيز الشراكة الاستراتيجية وتوثيق التعاون بين تركيا والصين تم العمل على إنشاء طريق الحرير الحديث، وفي هذا السياق قام الرئيس رجب طيب أردوغان بزيارة إلى الصين في 14-15 أيار/ مايو 2017 لحضور منتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي ولقاء الرئيس الصيني تشي جين بينغ. وفي حديثه للصحافة في مطار أنقرة إيسنبوغا Ankara Esenboğa Airport قبل مغادرته إلى الصين، لفت الرئيس أردوغان الانتباه إلى الدور الذي لعبته تركيا كجسر جغرافي وثقافي بين آسيا وأوروبا عبر التاريخ، وقال: "على الصعيدين الجيوستراتيجي ومن ناحية مبادرة الحزام والطريق فإن تركيا شريك لا غنى عنه للبلدان التي تولي أهمية لشبكات النقل والربط". وتأكيدًا على

[43] "President Erdoğan Meets with President Xi Jinping of the People's Republic of China", Presidency of The Republic of Turkey, September 3, 2016: https://www.tccb.gov.tr/en/news/542/51210/president-erdogan-meets-with-president-xi-jinping-of-the-peoples-republic-of-china

[44] "President Erdoğan Meets with President Xi Jinping…", Ibid.

أهمية مشروع الحزام والطريق، الذي بدأه الرئيس الصيني شي جين بينغ والمعروف أيضًا باسم "طريق الحرير الحديث"، أشار الرئيس أردوغان إلى أن الهدف من المشروع التاريخي هو إنشاء شبكة واسعة من البنية التحتية والنقل والاستثمار والطاقة والتجارة التي تربط آسيا وأوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا. وصرح الرئيس أردوغان أن طريق الحرير الحديث بطول 109 آلاف كيلومتر يغطي أكثر من 50 دولة في شرق ووسط وغرب آسيا وكذلك في وسط وجنوب وغرب أوروبا, وتبلغ مساحتها حوالي 40 مليون متر مربع. كيلومترات, 4 مليارات نسمة و 26٪ من الأرض. وشدد الرئيس على أن مشروعًا بهذا الحجم يتطلب تعاونًا وليس منافسة، وأن تركيا تقدم له دعمًا قويًا[45].

وقال الرئيس أردوغان، مستشهداً بخط سكة حديد مرمرة وجسر يافوز سلطان سليم وجناق قلعة ونفق أوراسيا ومطار إسطنبول الثالث بوصفها الروابط التكميلية للمرحلة الأولى من مشروع طريق الحرير الحديث: "نهدف أيضًا إلى تنفيذ مشروع" الممر المركزي العابر لبحر قزوين، والتي من المقرر أن تكون بمثابة ممر إضافي بين الصين وأوروبا. مع افتتاح مشروع ممر باكو - تبيليسي - كارس المركزي في منتصف عام 2017، نكون قد أكملنا مرحلة مهمة من الممر المركزي". قال الرئيس أردوغان: "ستسلط هذه الزيارة الضوء على موقع تركيا الاستراتيجي في مبادرة" الحزام والطريق "والدور الذي لعبته تركيا كجسر جغرافي وثقافي بين آسيا وأوروبا عبر التاريخ"، وتابع: "سيتم الاعتراف بها مرة أخرى بهذه المناسبة أن تركيا هي نقطة التقاء حقيقية. على الصعيدين الجغرافي والاستراتيجي ومن حيث مبادرة الحزام والطريق، تعد تركيا شريكًا لا غنى عنه للدول التي تولي أهمية لشبكات النقل والربط. سأؤكد بالطبع على هذه الجوانب خلال محادثاتي" مع المسؤولين في الصين[46].

في 12 أيار/ مايو 2017 زار الرئيس رجب طيب أردوغان العاصمة الصينية بكين لحضور منتدى الحزام والطريق للتعاون الدولي والتقى بالرئيس الصيني شي جين بينغ. ورافق الرئيس أردوغان نائب رئيس الوزراء توغرول توركيش Tuğrul Türkeş، ووزير العدل بكير بوزداغ Bekir Bozdağ، ووزير الخارجية مولود تشاووش أوغلو Mevlüt Çavuşoğlu، ووزير الاقتصاد نهاد زيبكجي Nihat Zeybekci، ووزير الطاقة والموارد الطبيعية بيرات البيرق Berat Albayrak، ووزير الدولة. النقل والشؤون البحرية والاتصالات أحمد أرسلان . Ahmet Arslan وبعد مراسم الترحيب، ترأس الرئيسان اجتماعاً بين الوفود، وتم توقيع الاتفاقيات الثنائية بعد اجتماع الرئيسين شملت تسليم المجرمين والنقل البري الدولي وإنشاء مراكز ثقافية بين الوفود. وحضر حفل التوقيع وزير الخارجية مولود تشاووش أوغلو ووزير العدل بكير بوزداغ ووزير النقل والشؤون البحرية والاتصالات أحمد أرسلان[47].

وفي مناسبة افتتاح خط سكة حديد باكو - تبيليسي - قارس في باكو، أذربيجان قال الرئيس أردوغان: "إن هذا الخط سيفيد منطقتنا ليس فقط من الناحية الاقتصادية وإنما سيحقق المشروع

[45] "President Erdoğan Goes to China", Presidency of The Republic of Turkey, May 12, 2017: https://www.tccb.gov.tr/en/news/542/75165/president-erdogan-goes-to-china

[46] "President Erdoğan Goes to China", Ibid.

[47] Ibid.

السلام والأمن والاستقرار سياسياً، والازدهار الاجتماعي، فضلاً عن المساهمة في التنمية الإنسانية لدولنا من خلال نقل المعلومات إلى جانب الشحن والأشخاص". وأضاف "من خلال هذا الحفل، نضع في الخدمة أحد روابط مشروع طريق الحرير الجديد، الذي بدأ بهدف ربط آسيا وأوروبا وأفريقيا." وسلط الرئيس أردوغان الضوء على ذلك قائلاً: "لقد انتهينا الآن من أهم مرحلة من مشروع الممر الأوسط مع انطلاق أول قطار في رحلته كجزء من مشروع سكة حديد باكو - تبليسي - قارص. وبذلك نعلن إنشاء خط سكة حديد غير منقطع من لندن إلى الصين ". وتابع الرئيس أردوغان: "نحن نعيش في جغرافيا استراتيجية للغاية تقع في قلب العالم، وتتمتع منطقتنا بإمكانات مذهلة في مجالات النقل والتجارة والسياحة والطاقة وما إلى ذلك. وبصفتنا تركيا، فإننا نعمل على تحقيق هذه الإمكانات من خلال استثماراتنا على مدار الخمسة عشر عامًا الماضية. لدينا حتى الآن العديد من المشاريع ذات الطبيعة المكملة لمشروع سكة حديد باكو - تبليسي - قارص في الخدمة. ومن بين هذه المشاريع مشروع مرمرة، خطوط السكك الحديدية عالية السرعة، تجديد خطوط السكك الحديدية الحالية، الجسر الثالث في اسطنبول الذي به خط سكة حديد، وما شابه. لقد عززنا فعالية وجاذبية سكة حديد باكو-تبليسي- قارص من خلال هذه الاستثمارات التي قمنا بها"[48].

سابعا: دور العلاقات بين تركيا والصين في تعزيز الاستقرار العالمي

لا شك ان تطور العلاقات التركية-الصينية سيسهم بشكل فاعل في تعزيز الاستقرار الإقليمي والعالمي، نظراً لامتلاك الدولتين مكانتهما المتميزة إقليميا ودوليا، وأن تنسيق وتناغم مواقف الطرفين تجاه قضايا إقليمية ودولية مهمة سينعكس إيجابا في تعزيز الاستقرار عالميا. من هذا المنطلق قام الرئيس أردوغان بزيارة رسمية إلى الصين في 2 تموز/ يوليو 2019، حيث عقد الرئيس أردوغان والرئيس تشي اجتماعًا مشتركًا، وشكر أردوغان نظيره الصيني تشي جين بينغ والشعب الصيني على حسن الضيافة والوفد المرافق له. وأشار الرئيس أردوغان إلى أنه كثيرًا ما اجتمع مع الرئيس الصيني شي لإجراء مشاورات في السنوات الأخيرة، وأكد أنهما اتفقا على تعزيز العلاقات بين تركيا والصين في جميع المجالات من منظور استراتيجي وطويل الأجل. وقال أردوغان: "أعتقد أن هناك إمكانات كبيرة لتعزيز التعاون بين تركيا والصين، المبني على الحضارات القديمة المرتبطة بطريق الحرير والتي لها علاقات تعود إلى آلاف السنين". وقال: "إن سياسة صين واحدة ذات أهمية استراتيجية لتركيا". كما أشار الرئيس أردوغان إلى أن زيارته للصين تأتي في عصر التحديات المتزايدة للسلام والاستقرار العالميين، وقال: "إن تعزيز العلاقات التركية الصينية سيسهم بشكل كبير في الاستقرار الإقليمي والعالمي". ورافق الرئيس أردوغان وزير الخارجية مولود تشاووش أوغلو، وزير الطاقة والموارد الطبيعية فاتح دونمز Fatih Dönmez، وزير الخزانة والمالية بيرات البيرق Berat Albayrak، وزير الدفاع الوطني خلوصي أكار Hulusi Akar، ووزير الصناعة والتكنولوجيا مصطفى فارانك Mustafa Varank، وزير التجارة روحار بيكان Ruhsar Pekcan، وزير النقل والبنية التحتية محمد جاهد تورهان Mehmet Cahit Turhan [49]

[48] Ibid.

[49] "President Erdoğan meets with President Xi of China", Presidency of The Republic of Turkey, July 2, 2019: https://www.tccb.gov.tr/en/news/542/106911/president-erdogan-meets-with-president-xi-of-china

ثامنا: تطور العلاقات الثنائية عام 2020 والتعاون لمواجهة فايروس كورونا

منذ نشوء وباء فايروس كورونا في تشرين الأول/ أكتوبر 2019 في مدينة ووهان الصينية ثم انتشاره في كافة دول العالم لاحقاً, شكل تهديداً عالمياً كبيراً, وعطل مصالح الدول والشعوب, وسبب توتراً كبيراً في العلاقات الدولية. وعلى صعيد العلاقات الثنائية بين تركيا والصين شكل الفايروس خلال عام 2020 مناسبة للتعاون الثنائي وتطوير العلاقات بين البلدين. في هذا السياق قام وزير الخارجية الصيني وانغ يي Wang Yi بزيارة رسمية لأنقرة في 15 شباط/ فبراير 2020 بناء على طلب نظيره التركي مولود جاويش أوغلو على هامش مؤتمر ميونخ للأمن السادس والخمسين المنعقد في أنقرة. وأعرب وانغ يي عن تقدير الجانب الصيني لما أعرب عنه الرئيس رجب طيب أردوغان والسيد وزير الخارجية مرارًا وتكرارًا عن دعم الصين لمكافحة الوباء. وقال: "إن فيروس كورونا الجديد هو العدو المشترك للبشرية ويحتاج المجتمع الدولي إلى التكاتف للتعامل معه. وقد بذلت الصين جهودا شاقة لمكافحة الوباء، وحققت أعمال الوقاية والسيطرة نتائج إيجابية. أعتقد أن الصين ستصبح أقوى بعد الوباء". وقال وانغ يي إن الصين وتركيا، بوصفهما اقتصادين صاعدين مهمين، يجب أن يقوما بتعزيز التنسيق الاستراتيجي، وتعزيز الثقة المتبادلة، وتوسيع التفاهم والدعم المتبادلين بشأن القضايا التي تنطوي على المصالح الجوهرية والشواغل الرئيسة لبعضهما البعض، وحماية سيادة كل منهما والآخر المشترك. مصالح البلدان النامية"[50].

من جهته أشار مولود جاويش أوغلو إلى أنه "يسعدني أن أسمع أن وضع الوباء قد استقر في الصين، وهو خبر سار للصين وبقية العالم. يدعم الجانب التركي بقوة الجانب الصيني في المعركة ضد الوباء، ويعتقد أن الصين قادرة تمامًا على تحقيق النصر في أسرع وقت ممكن. قدم الجانب التركي بعض المساعدات المادية للجانب الصيني وهو على استعداد لتقديم المزيد من المساعدة وفقًا لاحتياجات الجانب الصيني. يأمل الجانب التركي في تعزيز التبادلات رفيعة المستوى مع الجانب الصيني، وتعميق التعاون في مختلف المجالات، ومواصلة الالتزام بالتوافق الذي توصل إليه رئيسا البلدين". وأضاف "يلتزم الجانب التركي بمواصلة تعزيز الثقة المتبادلة مع الجانب الصيني. دعمًا للتنمية المستقرة لمنطقة تشينجيانغ الأويغورية ذاتية الحكم الصينية والتدابير التي اتخذها الجانب الصيني لمكافحة الإرهاب والقضاء على التطرف، سيحافظ الجانب التركي على موقف عادل وموضوعي في هذا الصدد ولن يتم استخدامه كأداة لدول معينة تعارض أو تقمع الصين"[51].

وفي 15 كانون الأول/ ديسمبر 2020 قال وزير الخارجية الصيني وانغ يي إن "على الصين وتركيا الاحتفال رسميا بمرور 50 عاما على العلاقات الدبلوماسية بينهما، وتعميق الثقة السياسية المتبادلة والتعاون، ودفع العلاقات إلى مستوى أعلى". صرح وانغ بذلك في محادثة هاتفية مع نظيره التركي مولود جاويش اوغلو. وخلال المكالمة، هنأ تشاويش أوغلو الصين على احتواء وباء COVID-19 بنجاح، وأشاد بإنجازات البلاد في أبحاث اللقاحات وتطويرها. وقال أوغلو: "إن تركيا، التي أعلنت عن

[50] "Wang Yi Meets with Turkish Foreign Minister Mevlut Cavusoglu", The Ministry of Foreign Affairs of the people's Republic of China, February 2, 2020: https://www.fmprc.gov.cn/mfa_eng/

[51] Ibid.

شراء عاجل للقاحات COVID-19 الصينية، تعتقد أن اللقاحات الصينية آمنة وفعالة، ومستعدة لتعزيز التعاون مع الصين في هذا الصدد". وقال وزير الخارجية التركي إن الجانب التركي "يأمل في اغتنام الذكرى الخمسين لتأسيس العلاقات الدبلوماسية بين تركيا والصين العام المقبل كفرصة لزيادة تعميق التعاون مع الصين وتحسين العلاقات الثنائية". من جانبه، قال وانغ إنه منذ بداية عام 2020، عملت الصين وتركيا عن كثب في توفير الإمدادات الطبية، وتبادل الخبرات في مكافحة الفيروس، وفي المرحلة الثالثة من التجارب السريرية للقاح COVID-19". وقال إنه "بالنظر إلى انتشار الموجة الثانية من الوباء على مستوى العالم، فإن الصين مستعدة للوقوف بحزم مع الشعب التركي حتى تهزم تركيا الوباء"[52].

وأعلن وانغ يي عن وصول العاملين الطبيين إلى أنقرة لإجراء اختبارات COVID-19، وقال: "إن قرار تركيا شراء لقاح صيني يعكس ثقتها في الصين، وإن الصين مستعدة لمساعدة تركيا كلما لزم الأمر" مشيراً إلى إن "الثقة السياسية المتبادلة هي أساس علاقة التعاون الاستراتيجي بين البلدين". وأضاف أن "قادة البلدين تبادلا وجهات النظر حول هذا الموضوع مرات عدة واتفقا على التفاهم المتبادل والدعم المتبادل فيما يتعلق بالمصالح الجوهرية لكل منهما والأمور ذات الاهتمام الرئيس". وقال وانغ إن "الصين وتركيا لديهما اهتمام مشترك في مكافحة الإرهاب والحفاظ على الأمن والاستقرار الوطنيين"، مضيفا أنه يتعين على الجانبين معارضة "المعايير المزدوجة" الصارخة عندما يتعلق الأمر بمكافحة الإرهاب. وقال تشاويش أوغلو إن تركيا هي أيضًا ضحية للإرهاب وتعارض أي شكل من أشكال الإرهاب وتسييس قضايا مكافحة الإرهاب وستلتزم بصرامة بقرارات مجلس الأمن الدولي التي تحدد المنظمات الإرهابية الدولية ذات الصلة. وقال وزير الخارجية التركي إن الجانب التركي لن يسمح لأي شخص بتقويض سيادة الصين ووحدة أراضيها[53].

خاتمة واستنتاجات

تناول البحث التطورات المعاصرة في العلاقات التركية-الصينية في عهد حزب العدالة والتنمية في تركيا خلال المدة 2002 -2020, وركز على البعد السياسي والدبلوماسي وتبادل الزيارات بين مسؤولي البلدين الذي كان لديهما الرغبة في تطوير هذه العلاقات الى مستوى الشراكة الاستراتيجية منذ عام 2010 عندما تمت عقد عدد من الاتفاقيات الثنائية التي مثلت أساسا لتطور هذه العلاقات فيما بعد. ويمكن الإشارة إلى أبرز الاستنتاجات كما يأتي:

1. تاريخيا شهدت العلاقات التركية-الصينية تعثراتٍ نتيجة عدد من العوامل أهمها أن كلا البلدين كانا على طرفي نقيض في الحرب الباردة, إذ كانت تركيا عضو رئيس في الناتو, كما أنها تعقدت بسبب قضية مسلمي الأويغور التي طال أمدها, حيث تتمتع تركيا بروابط ثقافية ولغوية

[52] "China, Turkey to deepen cooperation, strengthen relations", Xinhua.net, December 18, 2020: http://www.xinhuanet.com/english/2020-12/15/c_139591471.htm

[53] Ibid.

وثيقة مع الأقلية العرقية الرئيسة في تشينجيانغ. ومع ذلك، فمنذ أواخر التسعينيات، تغلب كلا البلدين على هذه القضايا، ورفعا علاقتهما إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية في عام 2010.

2. خلال مدة حكومة حزب العدالة والتنمية الأولى والثانية (2002-2020) دخلت السياسة الخارجية التركية حقبة جديدة من التحول من سياسة المحور الواحد (التحالف مع الغرب) إلى سياسة تعدد المحاور بسبب رغبة حكومة أردوغان في انتهاج سياسة الانفتاح إقليميا ودوليا وإقامة علاقات واسعة مع الدول الإقليمية والقوى العالمية مثل روسيا والصين التي كانت خلال فترة الحرب الباردة متنافرة إلى حد بعيد مع تركيا بسبب تحالفاتها الغربية، مع اتباع سياسة تصفير المشاكل مع دول الجوار لاقامة شبكة من العلاقات التي تخدم المصالح الاستراتيجية التركية.

3. جاء الانفتاح السياسي والدبلوماسي التركي تجاه الصين للتأكيد على أن الصين بالنسبة لتركيا ليست شريكاً استراتيجيا يحل محل الغرب، وإنما يمثل حجر بناء لوجود تركيا الإقليمي والعالمي، وانطلاقا من هذا التصور تزداد أهمية العلاقات التركية-الصينية يوما بعد يوم مع تحسن سياسة تركيا تجاه الصين بما يخدم مصلحتها الوطنية بأفضل طريقة ممكنة.

4. لقد عكست الزيارات المتبادلة والمكثفة بين مسؤولي البلدين رغبة كبيرة في تعزيز وتطوير العلاقات الثنائية بينهما، إذ أسهمت في نمو هذه العلاقات بسرعة كبيرة في السنوات الأخيرة، فالعلاقات التركية-الصينية لا تهم البلدين فحسب، بل اكتسبت بعدًا عالميًا أيضًا؛ إذ تمكنت أنقرة وبكين من تطوير سياسة مشتركة ومناسبة للتغلب على القضايا القائمة والمعرقلة للعلاقات بطريقة إيجابية، لذلك تمكن الطرفان من تحقيق أفضل أداء ممكن للعلاقات التركية الصينية وصولا إلى مستوى "الشراكة الاستراتيجية".

5. يمثل مشروع طريق الحرير الجديد، أو مشروع "حزام واحد، طريق واحد" كما يطلق عليه رسميًا في الصين، الذي بدأت فيه الحكومة الصينية في عام 2013، مرحلة جديدة في تطور العلاقات التركية-الصينية إلى مستويات متقدمة جدا من الشراكة الاستراتيجية بين البلدين، فهو أكثر من مجرد خطوط سكك حديدية تربط الصين بأوروبا، إنه مشروع كبير من التواصل السياسي والاقتصادي الهائل ليس بين بكين وأنقرة فحسب بل بين آسيا واوروبا عبر تركيا، إذ سيعمل البلدان معًا لتحسين تجارتهما، والقيام باستثمارات مشتركة، وتعزيز التواصل الثقافي بينهما. يبدأ المشروع من الصين، ويمر عبر تشينجيانغ وآسيا الوسطى والقوقاز وتركيا والبلقان، وينتهي في وسط أوروبا، مما يزيد من التواصل والتعاون بين الدول على الطريق. لذلك يتوجب أن تشارك تركيا بنشاط في هذا المشروع وان تولي له اهتماما بالغا، لانه سيستخدم كقناة لنقل السلع والأفكار والأشخاص بينها وبين الصين على وجه الخصوص.

الصراع الأمريكي الإيراني في العراق: دراسة في الابعاد الاستراتيجية والتصورات المستقبلية

أ.د عبدالخالق شامل محمد العيادة*

الملخص

تحاول الدراسة البحث في طبيعة الصراع الأمريكي الايراني في العراق بعد 2003، وذلك من خلال بيان الأهمية الاستراتيجية للعراق في المدركات الأمريكية والإيرانية، مع بيان دوافع وابعاد هذا الصراع، والتعرض الى طبيعة السلوك السياسي والأداء الاستراتيجي للإدارات الأمريكية المتعاقبة حيال تزايد النفوذ الايراني في العراق، فضلاً عن بيان التصورات المستقبلية وتداعيات هذا الصراع على العراق وموقف الحكومة العراقية منه.

The American-Iranian Conflict In Iraq A Study In Strategic Dimensions And Future Perceptions

Prof. Dr. Abdulkhaliq Shamil Mohammad Al-Ayada

Abstract

The study attempts to research the nature of the American-Iranian conflict in Iraq after the 2003, by clarifying the strategic importance of Iraq in the American and Iranian perceptions, with an explanation of the motives and dimensions of this conflict, and exposure to the nature of political behavior and the strategic performance of the successive American administrations regarding the increasing Iranian influence in Iraq. As well as a statement of future scenarios and the repercussions of this conflict on Iraq and the position of the Iraqi government towards it.

* استاذ دكتور ، حاصل على شهادة الدكتوراه بالعلاقات الدولية والاستراتيجية، استاذ دكتور في كلية القانون والعلوم السياسية بجامعة كركوك، العراق.

المقدمة:

أضحى العراق خلال العقدين الماضيين ساحة للتنافس والصراع بين قوى دولية وأخرى إقليمية، لما يتمتع به من المزايا الجيو سياسية والحضارية ولأهميته الجيو ستراتيجية التي، ضاعفت من مكانته وأهميته الدولية، في مدركات هذه القوى التي تحاول لعب دور في معادلة التوازن الإقليمية والدولية وبما يحقق لها مصالحها والتي بالتأكيد ستكون على حساب مصالح بلدنا العزيز العراق.

لاشك أن فشل المشروع الأمريكي في العراق بعد احتلاله في آذار 2003, وما تبعه من تدهور في الأوضاع الأمنية وعدم الاستقرار السياسي, بسبب حل مؤسساته السياسية والعسكرية والأمنية, وما رافقه بإعلان إدارة الرئيس الأمريكي باراك أوباما الانسحاب التدريجي للقوات الأمريكية منه نهاية العام 2011, معللة ذلك بتراجع الأهمية الاستراتيجية للمنطقة بصورة عامة مقارنة بمناطق أخرى في آسيا, الأمر الذي أحدث فراغاً سياسياً وأمنياً, لم تتمكن المؤسسات العراقية الجديدة ملأه لحداثة نشأتها, ومع انطلاق الاحتجاجات الشعبية المطالبة بالإصلاح والتغيير في عدد من الدول العربية نهاية العام 2011م, التي أدت الى الإطاحة بعدد من النظم السياسية ومهدت الطريق لتنامي دور الجماعات المسلحة والتنظيمات الارهابية وفرض سيطرتها على مناطق واسعة في العراق وسوريا وعدد من الدول العربية منتصف العام 2014، فسح المجال أمام دول إقليمية، ولاسيما إيران لملىء هذا الفراغ ولعب دور رئيس في المعادلة السياسية، بحيث أضحت قوة فاعلة ومؤثرة في مجريات الأحداث في العراق وسوريا ولبنان والبحرين واليمن، وأضحت هذه الدول، ولاسيما العراق ساحة للصراع وتصفية الحسابات بين إيران والولايات المتحدة.

أهمية الدراسة: تكمن الأهمية في أن طبيعةالتحولات والأحداث التي شهدتها المنطقة باتت تشكل هاجس قلق للإدارة الأمريكية حيال مصالحها ومصالح اصدقائها، الأمر الذي فرض عليها إعادة حساباتها وبناء استراتيجيات جديدة لاحتواء ايران في العراق والحد من دورها كقوة إقليمية، ولقطع الطريق أمام توجهات القوى الاسيوية الصاعدة حيال المنطقة وخاصة الصين، الأمر الذي دفع الرئيس دونالد ترامب الى الغاء الاتفاق النووي مع ايران وفرض عقوبات اقتصادية شديدة عليها وعلى وكلائها في المنطقة فضلاً عن تنفيذ ضربات صاروخية لمقراتها في العراق وسوريا والتي تكللت بعملية اغتيال قائد الحرس الثوري الجنرال قاسم سليماني ومرافقيه في العراق في كانون الثاني 2020.

مع وصول إدارة الرئيس جو بايدن الى سدة الرئاسة في الولايات المتحدة الامريكية طرأ تحول على مستوى التخطيط السياسي والأداء الاستراتيجي الأمريكي حيال ايران، إذ تفكر الإدارة الجديدة اعادة التفاوض من خلال طرح مقترحات جديدة حيال الاتفاق النووي الايراني، في الوقت الذي شكلت اتفاقية التعاون الاستراتيجي بين ايران والصين في اذار 2021 عامل قلق اضافي لهذه الادارة الامريكية الجديدة.

إشكالية الدراسة: تنطلق مشكلة الدراسة من إن المصالح الأمريكية في العراق، فرضت على الإدارة الأمريكية اعادة التفكير في سلوكها السياسي وأدائها الاستراتيجي للتحكم في التفاعلات

السياسية في الساحة العراقية، إلا انه ثمة تحديات تواجهها تكمن في تزايد النفوذ الايراني في العراق، ومن هذه الاشكالية تثار الأسئلة البحثية الآتية:

- ما هي الأهمية الاستراتيجية للعراق في مدركات القوى الدولية والإقليمية ؟.
- ماهي ابعاد الصراع الامريكي الايراني في العراق؟.
- ماهي طبيعة الأداء الاستراتيجي الامريكي تجاه تصاعد النفوذ الايراني في العراق والمنطقة؟.
- ما هو مستقبل الصراع الأمريكي الإيراني في العراق ؟.
- ماهي تداعيات الصراع الامريكي الايراني على العراق؟.

فرضية الدراسة: تنطلق الدراسة من فرضية علمية مفادها: إن للعراق أهمية استراتيجية كبيرة في مدركات القوى الدولية والاقليمية التي تحاول السيطرة عليها وضمان مصالحها فيه على حساب مصلحة العراق وشعبه، الأمر الذي اضحى ساحة للصراع والاقتتال بين هذه القوى، في الوقت الذي يفتقر صانع القرار العراقي الى الارادة السياسية للنأي بالعراق وشعبه عن دائرة الصراع .

منهجية الدراسة: طبقاً لمقتضيات الدراسة تم الاعتماد على المنهج التحليلي لفهم وتحليل طبيعة الاحداث الجارية على الساحة العراقية، وكذلك تم استخدام المنهج المقارن للمقاربة بين الادارات الامريكية للرؤساء الثلاثة أوباما وترامب وبايدن في آلية التعامل مع التهديدات ومجريات الاحداث، كما دعت الحاجة الى اعتماد المنهج الاستشرافي الذي يسهم في بناء المشاهد المرجحة لمستقبل الأداء الاستراتيجي الأمريكي حيال النفوذ الايراني في العراق والمنطقة .

هيكلية الدراسة: سيتم تناول الموضوع من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: أهمية العراق في مدركات القوى الدولية والإقليمية.

المطلب الثاني: ابعاد الصراع الامريكي الايراني في العراق.

المطلب الثالث: السلوك الاستراتيجي الأمريكي تجاه تزايد النفوذ الايراني في العراق والمنطقة.

المطلب الرابع: مستقبل الصراع الأمريكي الايراني في العراق.

المطلب الخامس :تداعيات الصراع الامريكي الايراني على العراق.

المطلب الأول: أهمية العراق في مدركات القوى الدولية والإقليمية.

يمكن دراسة أهمية العراق في المدركات الاستراتيجية للقوى الدولية والإقليميةمن خلال الآتي:

الفرع الأول: الأهمية الجيوسياسية.

يمتاز العراق بموقع جيوسياسي ذو أهمية فائقة، في جنوب غرب آسيا، ويشكل جزءاً من الجسر العربي، الذي يربط بين الخليج العربي إلى المحيط الهندي، وجنوب شرق آسيا فالبحر المتوسط، ثم إلى العالم الإفريقي- الأوروبي والأمريكي، كما يُعد العراق من المعابر البرية الهامة

التي تربط شبه القارة الهندية بمنطقة البحر المتوسط، عن طريق خراسان عبر ممراتها خيبر وبولان وغيرها، فضلاً عن امتلاكه قاعدة جيولوجية متنوعة مما يترتب عليها تنوع في الثروات المعدنية، التي تشكل عاملاً أساسياً في خلق قاعدة صناعية لتنمية الاقتصاد الوطني[1]، هذا الموقع الاستراتيجي للعراق، تاريخياً مثَّل صمام الأمان للمنطقة العربية برمتها، بحيث إن القوى الخارجية لم تكن لتتمكن من اختراق المجال العربي من الخليج شرقاً حتى المحيط الأطلسي عند بلاد المغرب غرباً، إلا إذا تمكنت أولاً من الإمساك بالمدخل الشرقي لهذه المنطقة أي العراق تحديداً [2].

ولوقوع العراق ضمن نقاط التمركز الحيوية التي تمر بها طرق الملاحة الجوية العالمية الرئيسة، حيث يربط آسيا وأوروبا عبر بغداد- بيروت، وعلى هذا الأساس قامت الدول الاستعمارية بإنشاء قواعد عسكرية جوية لها في العراق مثل الحبانية، الشعيبة وغيرها، فضلاً عن الوجود العسكري البحري الأمريكي في منطقة الخليج العربي الذي كان بمثابة جزء متقدم من القيادة الجوية الاستراتيجية الأمريكية [3].

وبسبب أهمية العراق وموقعه الاستراتيجي، فإنه دخل ضمن استراتيجية القوتين، وقد اعتبرته أمريكا والدول الغربية بأنه جزء من الحزام الشمالي من صفوف الشرق الأوسط القريبة من الحدود السوفيتية، حيث يشكل حاجزاً ضد أي زحف سوفيتي تجاه المنطقة، والواقع أن العراق يمثل قلب القوس الممتد من وسط شبه جزيرة الأناضول حتى بحر العرب جنوب شبه الجزيرة العربية، وهذا القوس الذي تستند إليه الاستراتيجية الكونية الأمريكية لتربط بين الدفاع الأطلنطي ووجودها في القرن الإفريقي، من المواقع الأساسية في الإدراك الأمريكي الكلي للدفاع عن العالم الحر[4].

ومن وجهة النظر الأمريكية للعراق، فإنه عند حدوده الشمالية تنتهي الحافات الأمريكية لحلف الناتو الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية، وعند حافات حدوده الجنوبية يتلامس الوجود العسكري الأمريكي البري والبحري المتواجد في الخليج العربي، في حين يبقى العراق عقدة خالية من وجود تحالف استراتيجي مع الولايات المتحدة، وعقبة في اكتمال التواصل بين الشمال والجنوب[5]، إذ أن أغلب دول المنطقة تربطها علاقات دفاع وأمن مشتركة وتحالف مع الولايات المتحدة، لذا فالعراق يمثل قلب المنطقة النابض في تقرير الاستراتيجيات الكونية، مما يتوجب تحت أي ظرف من الظروف أن تكون هذه المنطقة من الحصة الأمريكية الخالصة، مما يستدعي أن يكون الوجود الأمريكي فيه مرئياً وواضحاً.

---

[1] حامد ربيع، العراق ولعبة الأمم، منشورات الجمعية العراقية للعلوم السياسية، بغداد(كانون الثاني1987), ص34.

[2] محمد مراد، السياسة الأمريكية تجاه الوطن العربي، بين الثابت الاستراتيجي والمتغير الظرفي، ط1(بيروت: دار المناهل اللبناني,2009), ص321.

[3] لونستين، حلف شمال الأطلنطي والدفاع عن الغرب، ترجمة: طلعت حسين، ج1,(القاهرة: بدون سنة طبع), ص27.

[4] حامد ربيع، المصدر السابق ، ص ص 40-43.

[5] حميد السعدون، العراق قراءة جديدة في الجيوبولتكس، أوراق دولية، العدد (130), مركز الدراسات الدولية, جامعة بغداد, (كانون الثاني 2004), ص14.

أما بالنسبة لإيران، فيحتل العراق أهمية كبيرة في المدرك الاستراتيجي الإيراني بحكم موقعه الجغرافي وما يمتلكه من ثروات وما يحيط به من متغيرات، ولأهمية العراق كعنصر مهم في معادلة التوازن للقوى الإقليمية، تسعى ايران للاشتراك في أية ترتيبات أمنية إقليمية مستقبلية، إذ يمثل العراق نقطة ارتكاز في المشروع الإقليمي الإيراني للهيمنة على المنطقة، كما يُعد العراق في الإدراك الإيراني جزءاً من الموروث التاريخي والحضاري للإمبراطورية الفارسية وتطمح إيران لإعادة أمجاده.

لقد ازدادت أهمية العراق في المدرك الاستراتيجي الإيراني بعد التحولات التي شهدها العام 2003، لان في حقيقة أن ايران لا ترغب بظهور عراق قوي حليف لقوى دولية واقليمية معادية لها، لأن ذلك يمثل تهديداً لأمنها القومي[6]، لذا سعت الى تبني خيارات ووسائل متعددة لتحقيق ذلك الهدف، فتدخلت في العراق بحجة مساندته بغية قيام دولة اسلامية فيه على غرار منهجها.

كما حرصت إيران على توطيد علاقاتها مع المراجع الدينية الشيعية العراقية،في هذه المرحلة، لرغبة إيران في أن لا تقوم دولة علمانية في العراق، تدخر لها قدراً كافياً من العداء لمنهجها الديني ونظامها السياسي أولاً، وليس لديها الرغبة في عودة الاقتتال مجدداً، في ضوء ما توفره الفرصة المتاحة لإمكانية نجاح المشروع الأمريكي في العراق ثانياً[7].

لذلك ما أن أعلنت الإدارة الأمريكية عزمها بتغيير النظام السياسي في العراق، بدأت إيران تخطط لمشروعها في حالة حدوث هذا الفراغ، فقد أمر المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في آب 2002م، بتشكيل لجنة خاصة بالعراق ؛ لتضع استراتيجية لتحقيق المصالح الإيرانية في العراق، بعد تغيير نظامه السياسي، وحددت هذه اللجنة ثلاثة أهداف رئيسة تتمثل في منع الولايات المتحدة من الانتصار في العراق بما يقوض أمن إيران، وترسيخ نفوذها في العراق الجديد، ومنع ظهور عراق قوي[8].

إن طابع المنافسة الإقليمية بين العراق وايران عبر التاريخ، رسخ في ادراك صانع القرار الإيراني قناعة مفادها: : إن أية مكاسب اقليمية يحصل عليها العراق، لابد ستكون على حساب المصالح والطموحات الإيرانية في منطقة الخليج العرابي وقد صرح بذلك وزير الخارجية الايراني الاسبق كمال خرازي بقوله: " إن أي تغيير في الوضع الجيو سياسي في المنطقة سيُعد من وجهة نظر طهران ذا نتائج خطيرة على أمنها القومي "[9].

---

[6] للاستفاضة ينظر: كريسز جروب، حجم النفوذ الإيراني في العراق، سياسة إيران في مرحلة ما بعد سقوط بغداد، ترجمات، العدد (6), المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية, السنة 1, 2005, ص ص 12-18.

[7] حسين حافظ وهيب، السياسة الخارجية الإيرانية بين البراغماتية والمبدئية في الموقف من العراق، أوراق دولية، العدد (134), مركز الدراسات الدولية, بغداد,(أيار 2006), ص16.

[8] انظر: مصطفى العاني، سياسة التدخل الإيراني في العراق، نشرة الأمن والإرهاب، العدد (3), (تموز 2006), ص4.

[9] نقلاً عن جورج فرديمان، مستقبل العراق : البحث عن توازن تجاه ايران، مجلة المستقبل العربي، العدد (304), مركز الوحدة العربية, بيروت, (2005), ص84 .

الفرع الثاني: الأهمية الجيو اقتصادية.

لا تقتصر أهمية العراق على ما يتمتع به من مقومات المكانة الجيوسياسية، بل لما يتمتع به أيضاً من أهمية جيو اقتصادية، وتجارية كإحدى دول منطقة الخليج العربي، الذي تحاول الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية من إحكام السيطرة على هذه المنطقة.

والعراق من بين البلدان التي قد مَنَّ الله سبحانه وتعالى عليه، بثروات طبيعية متنوعة، من النفط والغاز وكذلك الكبريت، والفوسفات، وسائر الثروات الطبيعية الأخرى، التي تفتقر إليها أغلب شعوب وبلدان العالم، ففي حقل النفط تحتل المملكة العربية السعودية المرتب الاولى و يقدر احتياطها النفطي ب(262,7) مليار برميل, وبنسبة (24,8%) من الاحتياطي العالمي, ويحتل العراق المرتبة الثانية, إذ يقدر إحتياطه النفطي ب(115) مليار برميل بنسبة (10,7%) من الاحتياط العالمي [10].

أما في حقل الانتاج فتحتل السعودية المرتبة الثانية عالمياً بعد الولايات المتحدة في انتاج النفط، ويقدر انتاجها ب(12,42) مليون برميل يومياً, لتشكل مانسبته (12,7%) من انتاج العالم الكلي للنفط حسب احصائيات 2017, ومن المتوقع أن يصل الانتاج العالمي للنفط الى(107) مليون برميل يومياً سنة.2050م[11] ، بينما جاءت ايران بالمرتبة السادسة بنسبةانتاج (4,76%), وجاء العراق بالمرتبة السابعة بنسبة (4,55%)، من الانتاج الكلي للنفط في العالم[12]، وتلته الإمارات بالمرتبة الثامنة بنسبة (3,80%), أي ما يقارب (3,720) مليون برميل يومياً[13].

أما في حقل الغاز الطبيعي، فيقدر احتياطي العراق بحدود (110) تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي, كاحتياطي مؤكد, فضلاً عن (150) تريليون قدم مكعب كاحتياطي محتمل, وتشكل نسبة) 70%(من هذه الكمية ما يسمى بـ الغاز المصاحب, وهو غاز طبيعي منتج بالاشتراك مع النفط, وتوزع النسبة المتبقية على أساس 20)%(غاز مشارك و10)%(غاز منزلي, ويهدف العراق إلى إنتاج حوالي (4,2) تريليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً، وبما أن غالبية إنتاج الغاز الطبيعي مرتبط أساساً بإنتاج النفط، فإن العمل على زيادة إنتاج النفط في البلاد سيؤثر مباشرة على قطاع الغاز[14].

وفي حقل الفوسفات، والكبريت، إذ يقدر احتياطي العراق من الفوسفات بنحو (430) مليون طن واعتماداً على هذه الرواسب، فقد أقامت حكومة العراق مشروع (مجمع عكاشات للأسمدة الفوسفاتية)، عند مدينة (القائم) في محافظة الأنبار غربي العراق، ويعد هذا المجمع من المشاريع الاستراتيجية المهمة[15].

---

[10] نقلاً عن: مايكل كلير، الحروب على الموارد، الجغرافية الجديدة للنزاعات العالمية، ترجمة: عدنان حسن،(بيروت: دار الكتاب العربي، 2012), ص54

[11] The World's Top Oil Producers of 2019, see: https://www.investopedia.com/investing/worlds-top-oil-producers/(2/11/2019

[12] Major oil-producing countries, see: https://www.britannica.com/science/petroleum/Major-oil-producing-countries(20/10/2019)

[13] Greatest Oil Reserves by Country, see: https://www.infoplease.com/math-science/earth-environment/greatest-oil-reserves-by-country.(1/11/2019)

[14] نقلاً عن: سيف نصرت توفيق، الحرب الأمريكية على العراق الدوافع الاستراتيجية والأبعاد الاقتصادية،ط1(بيروت: دار روافد, 2014), ص152.

[15] نقلاً عن: خليل العناني، دور النفط في الأزمة العراقية- الأمريكية، مجلة السياسة الدولية، العدد (151), الأهرام , القاهرة, (كانون الثاني 2003), ص37.

كما تشير الدراسات الى أن ثمة اكتشافات جديدة أظهرت أن العراق يعوم على بحيرات من النفط ترفع حجم الاحتياطي منه إلى حوالي (400) مليار برميل أي ما يوازي أكثر من (35%) من إجمالي الاحتياطي العالمي[16].

وبناءً على ذلك عُدَّ العراق بمثابة الجائزة الكبرى للاستراتيجية الأمريكية وخاصة فيما يتعلق بالاستثمار والاستخراج كون كلف استخراج النفط العراقي تُعد أرخص الكلف عالمياً، وهذا يؤكد بأن احتلال العراق جاء ضمن السياق العام للمشروع الأمريكي للهيمنة على العالم والتحكم بموارده النفطية، وهو ما عبر عنه المستشار الألماني الأسبق(غيرهارد شرودر) وشاطره الرأي كل الأوربيين، من أن الهدف الأمريكي في العراق هو إدارة الطاقة على امتداد العالم[17]، وقد أكد ذلك تصريح نائب وزير الدفاع الأمريكي الاسبق (بول وولفوتير)، عندما أشار إلى أن: "السبب الأساس في غزو العراق، في حين تم التعامل مع كوريا الشمالية دبلوماسياً، هو: أن العراق يسبح على بحر من النفط"[18]، بمعنى؛ إن السيطرة على العراق سيوفر للولايات المتحدة سيطرة استراتيجية على النفط، وهو المورد الفائق الأهمية بالنسبة إلى اقتصاديات منافسيها في روسيا والصين وأوروبا واليابان وبقية القوى الصاعدة.

كما يشكل العراق بما يمتلكه من احتياطي نفطي كبير أحد المنافسين الرئيسيين لِإيران في العالم عموماً والشرق الأوسط خصوصاً، ولذا ترى ايران إن اشغال العراق بحروب طويلة وعدم استقرار أوضاعه الداخلية سيساهم في تصدير نفطها بكميات كبيرة وبالأسعار التي تريدها كبديل عن النفط العراق[19]، فضلاً عن ذلك يُعد العراق في الوقت الحاضر سوقاً مهماًللمنتجات الايرانية، وكذلك لتأمين استثماراتها بهدف معالجة المشاكل الاقتصادية الصعبة التي تعاني منها، ولاسيما بعد العقوبات الأمريكية والغربية التي صدرت بحقها.

ومن الناحية الأمنية ، تعارض ايران أي مشروع لتقسيم العراق، بل وتسعى للحفاظ على تماسك وحدته الداخلية، لان ذلك يشكل هاجس قلق حيال أمنها القومي، على اعتبار أن ثمة تشابه في التركيبة الاجتماعية للبلدين من ناحية وجود الاقليات المتعدد دينياً واثنياً وقومياً، وان اي انفصال لأقلية ما عن العراق ستنعكس تداعياته على الداخل الإيراني.

---

[16] محمد مراد، مصدر سبق ذكره، ص323.

[17] نقلاً عن: ناجي محمد عبد الله، مكانة اسرائيل الإقليمية وأحداث 11أيلول 2001: دراسة في الامكانيات والفرص, اطروحة دكتوراه , كلية العلوم السياسية, جامعة النهرين, 2008,ص 231.

[18] للمزيد من التفاصيل ينظر: عبد الحي يحيى زلوم، حروب البترول الصليبية والقرن الأمريكي الجديد، (الاردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2005), ص32.

[19] علي الغالب، أهمية العراق في الاستراتيجية الإيرانية، متاح على شبكة المعلومات العالمية ينظر الرابط:
https://www.google.com/search?q=%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%82+%D9%81%D9%8A+%D8%A7%D9%84&source=hp&ei=sUi2YMqGEIymUMuBlfAN&iflsig=AINFCbYAAAAAYLZWwbefvKocGxZ6doV.

المطلب الثاني: دوافع وابعاد الصراع الأمريكي الإيراني في العراق.

من البديهي أن المصالح الحيوية للدول هي التي تحدد طبيعة الاستراتيجية والآليات المتبعة لتحقيق الأهداف المرسومة[20]، والتي قد تودي الى التصارع والاقتتال بينها، وفي معرض دراستنا للصراع الأمريكي الإيراني في العراق، و هنا بالإمكان الاشارة الى أبرز الدوافع والابعاد لهذا الصراع وكالآتي:

أولاً.البرنامج النووي الإيراني وتزايد النفوذ الإيراني العراق:

مثَّل البرنامج النووي الايراني عبر اربعة عقود من الزمن أحد أبرز اسباب التوتر والصراع في العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية وايران، لما يشكله من مخاطر تهدد المصِالح الحيوية الامريكية ولحلفائها في المنطقة، وقد عملت الادارات الأمريكية المتعاقبة على تبني استراتيجيات وأدوات متعددة للتعامل مع هذا الملف الشائك، ومنعاً للتكرار سنعمد الى تناول هذا الموضوع في المطلب الثالث من البحث.

ثانياً: محاربة الجماعات المسلحة والتنظيمات الارهابية: شهدت المنطقة العربية نهاية العام 2011 انطلاق الاحتجاجات الشعبية المطالبة بالإصلاح والتغيير, إذ قادت الى انهيار بعض الانظمة الشمولية العربية , تزامن ذلك مع الانسحاب الأمريكي من العراق في 30 تشرين الاول من العام نفسه, مما أحدث حالة من الفراغ الأمني وعدم الاستقرار السياسي, سيطرت على إثر ذلك جماعات متطرفة في حزيران 2014 على مفاصل مهمة وأراضي واسعة في سوريا والعراق وكميات كبيرة من الأسلحة ، مما جعل قدراتها تفوق قدرات دولة منفردة، فضلاً عن تلقيها الدعم من أطراف اقليمية ودولية، بعد أن أعلنت عن قيام مايسمى ب(الدولة الاسلامية في العراق وبلاد الشام - داعش)، وأضحت فواعل دولية مؤثرة ، الأمر الذي فرض على إدارة الرئيس باراك أوباما إعادة الإهتمام بالعراق، والاعلان عن تشكيل تحالف دولي في 23 أيلول 2014 بقيادة الولايات المتحدة ضم 79 دولة لمحاربة التنظيم ومكافحة الارهاب، مما أتاح للولايات المتحدة الأمريكيةشرعية العودة الى العراق[21]، وبطلب من الحكومة العراقية، بموجب اتفاقية الاطار الاستراتيجي لعلاقات الصداقة والتعاون بين العراق والولايات المتحدة الامريكية التي عقدت في 17 تشرين الثاني 2008، إذ نصت الفقرة الأولى من المادة الرابعة من الاتفاقية على: " أنه يحق للحكومة العراقية أن تطلب المساعدة المؤقتة من قوات الولايات المتحدة لمساندتها في جهودها من أجل الحفاظ على الأمن والاستقرار في العراق، بما في ذلك التعاون في القيام بعمليات ضد تنظيم القاعدة والجماعات الإرهابية الأخرى والجماعات الخارجة عن القانون وبقايا النظام السابق" [22].

---

[20] إن من أبرز محركات السياسة الأمريكية تجاه الدول هي تحقيق المصالح والاهداف، وللمزيد من التفاصيل حول ذلك ينظر: كرار أنور البديري، دروب القوة العظمى والاستراتيجيات الكبرى للولايات المتحدةالأمريكية،ط1(بيروت: الرافدين للطباعة والنشر, 2018),ص259-263.

[21] للمزيد من التفاصيل ينظر: دلال محمد السيد، مستقبل الترتيبات الأمنية في الشرق الأوسط ، ملحق تحولات استراتيجية، السياسة الدولية ، العدد203, القاهرة,(كانون الاول 2016), ص19-20.

[22] القواعد الامريكية في العراق... تساؤلات بين النفوذ والسيادة، الخليج أولاين،(2019/12/12) متاح على الرابط : https:// alkhaleejonline.net

ومن ناحية أخرى، ونتيجة لتعرض القواعد الامريكية في العراق الى الهجمات الصاروخية من قبل بعض الجماعات المسلحة الأمر الذي دفع بالولايات المتحدة الامريكية الى وضع تلك الجماعات ضمن قوائم الارهاب والعمل على توجيه ضربات جوية لمقرات تابعة لها داخل العراق وفي سوريا، هذا وقد ازدادت وتيرة هذه الهجمات عقب عملية الاغتيال التي نفذتها الولايات المتحدة لشخصيات مهمة في الحرس الثوري الايراني والحشد الشعبي في كانون الثاني 2020، قرب مطار بغداد الدولي والتي أودت بحياة قائد فيلق القدس قاسم سليماني ومسؤول رفيع في الحشد الشعبي ابو مهدي المهندس، الأمر الذي زاد من حدة التوتر بين الولايات المتحدة وايران وقامت ايران على أثر ذلك بتوجيه ضربة صاروخية للقواعد الامريكية في اربيل وعين الاسد، لامتصاص غضب الشارع الايراني وحفظ ماء وجهها.

إن تكرار الضربات الصاروخية المتبادلة بين القوات الامريكية وبعض الفصائل المسلحة يزيد من حدة التوتر ويفاقم من ظاهرة الصراع بين أمريكا وايران على اعتبار ان هذه الفصائل تعمل بتوجيه من ايران.

ثالثاً: ضمان المصالح الحيوية الامريكية في العراق ومنها صفقات عقود إعادة الاعمار.

لاشك أن الدمار الكبير الذي حصل للبنية التحتية للعديد من المؤسسات والمشاريع الرسمية والخاصة في المدن العراقية المحررة عامة ومحافظتي الانبار والموصل على وجه الخصوص، جراء العمليات العسكرية التي قادها التحالف الدولي، بدأت مرحلة جديدة تنذر بسيطرة كاملة لشركات الاستثمار الامريكية والغربية على النفط العراقي عن طريق استحواذها على صفقات عقود اعادة الاعمار، ضمن اطار(النفط مقابل الاعمار).

أن المساعي الأمريكية للاستحواذ على مشاريع تطوير الطاقة في العراق ماهي إلا محاولة للعودة التدريجية لإعادة احتلال للعراق ولكن بصيغ جديدة وآليات عمل جديدة، ممثلةً بالألية الناعمة لشركات الاستثمار والحماية الأمريكية، فقد اشار وزير الطاقة الأمريكي (ريك بيري) خلال المؤتمر الذي عقدة في فندق بابل بالعاصمة بغداد في كانون الاول 2018, وبمشاركة أكثر من 50 شركة أمريكية في قطاع النفط والأمن بقوله: " إننا سعداء بالعمل معاً، إن الولايات المتحدة يمكنها تطوير صناعة النفط والغاز والمياه والكهرباء في العراق، وأن الوقت قد حان لكي ينهي العراق اعتماده على دول أقل جدارة بالثقة تسعى الى الهيمنة والسيطرة "[23]. في اشارة هنا الى ايران هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى، إن عمل شركات الاعمار الأمريكية والغربية عامة، يتطلب توفير الحماية لها، والتي قطعاً ستتولى القوات الأمريكية في العراق تنفيذ هذه المهمة، الأمر الذي يتطلب مزيداً من القوات وشركات الحماية، وبهذا سيكون ثمة مسوغ شرعي للإبقاء على القواعد الأمريكية في

[23] أمريكا تحث شركاتها على مزيد من الاستثمارات بالعراق لإنهاء وجود إيران، متاح على الرابط: (2019/12/25)
https://www.al_ain.com/article/us-energy-secretary.bag.

العراق لأطول وقت ممكن، وهذ ما يفسر عمليات التهيئة واعادة التأهيل للقواعد العسكرية الأمريكية مثل قاعدة عين الأسد والحبانية ومشروع انشاء قواعد القائم 1,القائم 2 غرب الأنبار, والقيارة 1, القيارة 2جنوب الموصل، فضلاً عن توسيع القواعد العسكرية الأمريكية الأخرى في العراق[24]، ولكي تحصل صفقات اعادة الاعمار على المقبولية سيتم منح عدد من الشركات العربية (السعودية والاردنية والاماراتية) والعراقية بعض المشاريع الصغيرة والمتوسطة، علماً أنه لم يلاحظ لحد الآن أية مشاريع تم إعادة اعمارها خارج القواعد الأمريكية في عموم العراق.

رابعاً: التواجد الروسي المباشر في المنطقة.

إن عودة روسيا الاتحادية كفاعل دولي مؤثر في التفاعلات السياسية الدولية ، إذ نجحت روسيا في تعزيز تواجدها في المنطقة في أيلول 2015، أثر تدخلها العسكري في سوريا، بعد طلب الحكومة السورية منها ، بهدف المحافظة على بقاء النظام السوري، والقضاء على تنظيم داعش من خلال توجيه الضربات الجوية لمواقع التنظيم هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى ؛ أتاحت هذه الفرصة لروسيا ليس فقط التدخل عسكرياً في سوريا، بما يحمله ذلك من تحدٍ غير مسبوق للسياسة الأمريكية في المنطقة، بل وايضاً قيادة العملية السياسية والنجاح في جمع الأضداد (السعودية وايران) حول مائدة واحدة في مؤتمر فيينا في تشرين الثاني2015 [25].

إذ تمثل ايران اليوم شريكاً استراتيجياً لروسيا تقدم دعما لهاً في الشرق الأوسط، فيما تقدم ايران لروسيا الدعم في القوقاز واسيا الوسطى، وقد تكللت هذه الشراكة بصفقة منظومة الصواريخ S-300SM الروسية، فقد صرح بذلك مدير مركز الدراسات العسكرية والأمنية(مايكل آيزنشتات) قائلاً: " بعد أن أعلنت واشنطن عن الاتفاق النووي الإطاري مع ايران في نيسان 2015، أصدر مكتب الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مرسوماً رفع بموجبه الحظر المفروض على نقل صواريخ (S-300SM) وقد تم تسليم المنظومة الى ايران مطلع العام 2016، كما تم عقد صفقة لتسليم ايران مقاتلات من طراز SU30SM،إذ تعد من افضل المقاتلات في العالم في الوقت الحاضر[26].

كما أن روسيا الاتحادية لم تكتفِ بذلك ، بل بدأت تحاول التدخل في إدارة شؤون المنطقة من خلال إعادة ترتيب علاقاتها الاستراتيجية مع حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة مثل العراق ومصر وتركيا، وبهدف كسب حلفاء جدد لها في المنطقة ، وكذلك تحقيق منافع اقتصادية من خلال مبيعات الاسلحة لهذه الدول لدعم الاستقرار الداخلي الروسي[27].

---

[24] هاشم الهبيشان، بعد نهاية داعش ... ما هو مشروع أمريكا الجديد في العراق. متاح على الرابط: (2019/12/25)
https://www.raialyoum.com/index.php/%D8%A8%D8%B9%D8%AF-

[25] للمزيد من التفاصيل ينظر:Henry A. Kissinger, Path out of the Middle East Collapse, the wall street Journal,16 October 2015.

[26] للمزيد من التفاصيل حول صفقة منظومة الصواريخs300sm، وصفقة طائرات s30sm، ينظر: مايكل آيزنشتات، صواريخ أس 300 الروسية الى ايران تكرار أم عامل تغير اللعبة، شبكة المعلومات العالمية متاح على الرابط:
https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/swarykh-300-alrwsyt-aly-ayran-tkrarun-am-amlun-yghywr-allbt

[27] للمزيد من التفاصيل حول الرؤية الاستراتيجية الروسية للشرق الأوسط ينظر: عمار بهاء الدين، مستقبل التنافس الروسي الأمريكي في الشرق الأوسط، دراسة في الابعاد الاقتصادية والسياسية،ط1(بيروت:دارالسنهوري, 2016),ص84-96.

خامساً: التوجهات الصينية حيال المنطقة:

شهدت نهاية العام 2013، إعلان الرئيس الصيني(شي جين بينغ) خلال زيارته الى كازخستان (مبادرة الحزام والطريقBelt and Road initiative)والتي أطلق عليها وقتئذ بمبادرة البناء المشترك للحزام الاقتصادي لطريقي الحرير البري والبحري للقرن الحادي والعشرين وعرفت ب(حزام واحد وطريق واحد).

تهدف الصين من خلال مبادرة الحزام والطريق الى ربط العالم من خلال توسيع التجارة الدولية والاستثمارات في البنى التحتية وانشاء شبكة من الطرق السريعة والموانئ وسكك الحديد عبر دول عديدة في اسيا وافريقيا وأوروبا،ويمتد طريق الحرير البحري من السواحل الصينية عبر سنغافورة والهند باتجاه البحر المتوسط علماً أن هذا المشروع سيحقق فوائد اقتصادية واستراتيجية للصين على حساب الولايات المتحدة[28]، ان الصين ستكسب من مشروعها علاقات دبلوماسية من شأنها اضعاف الوجود العسكري الأمريكي في منطقة المحيط الهادي والهندي، ويمنحها أفضلية تنافسية على حساب الولايات المتحدة في اسواق ناشئة مهمة.

ومن الجدير بالذكر أن غالبية احتياجات الصين من النفط تأتي عن طريق المحيط الهندي والهادي عبر مضيق ملقة عند جزيرة سومطرة الاندونيسية الى اليابان وكوريا ومنها الى الصين، ونتيجة للطوق البري والبحري الذي تفرضه الولايات المتحدة عليها من خلال تواجدها العسكري في افغانستان وانتشارها البحري في المحيط الهادي والهندي، لذا تحاول الصين من خلال مبادرتها أن تتفادى طريق مضيق ملقة وكسر الطوق الأمريكي وايجاد بديل أو طريق أخر لتجارتها الدولية، من خلال النفاذ الى منطقة الشرق الأوسط، عن طريق باكستان - ايران - العراق ومن ثم الى الخليج العربي ومنها الى أفريقيا وأوربا[29].

بمعنى، أن ايران والعراق سيكونا ممران للتجارة الصينية إذ يمثلان قلب طريق الحرير ، لذا وقفت الصين الى جانب ايران في مشروعها النووي وكذلك في موضوع العقوبات الاقتصادية الاخيرة المفروضة أمريكياً على ايران ، وكان أخرها اتفاقية الشراكة الاستراتيجية التي عقدتها مع طهران في 27 أذار 2021 بهدف توسيع النفوذ السياسي والاقتصادي الصيني في الشرق الأوسط ضمن مبادرة الحزام والطريق للوصول الى الأسواق الأوربية, وقد شملت الاتفاقية على ان تقدم الصين استثمارات وخدمات اقتصادية وأمنية بقيمة (400) مليار دولار الى ايران على مدى (25) عاماً مقابل إمدادات ثابتة من النفط الايراني للاقتصاد الصيني[30].

---

[28] للمزيد من التفاصيل حول مبادرة الحزام والطريق ينظر: مظهر محمد صالح، اتفاقية التعاون بين العراق والصين، متاح على الرابط: https: // Iraqi economists. Net.(2019/12/21)

[29] شهد العقد الأول من القرن الواحد والعشرين زيادة في التوجهات الاستراتيجية الصينية نحومنطقة الشرق الأوسط ولاسيما في مبادرتها الحزام والطريق، واضحت فاعل دولياً موثراً في التوازنات العالمية للاستفاضة ينظر: محمد ميسر المشهداني، مستقبل التوازنات الجيوستراتيجية العالمية، ط1(عمان: الاكاديميون للنشر والتوزيع,2017),ص 528-530.

[30] للمزيد من التفاصيل حول اتفاقية الشراكة الاستراتيجية الصينية الايرانية ينظر: تقرير المعهد الدولي للدراسات الايرانية ، اتفاقية الشراكة الصينية الايرانية: التحديات والأفاق، شبكة المعلومات العالمية متاح على الرابط: https://rasanah- iiis.org

كما سعت الصين إلى كسب ود العراق من خلال دعوته لعقد اتفاقية التعاون ضمن برنامج النفط مقابل الاعمار والتي تم التوقيع عليها من قبل رئيس الوزراء العراقي عادل عبد المهدي في 23أيلول 2019, إذ يُعد العراق أحد أهم مُصَّدري النفط الى الصين بواقع (750 – مليون) برميل يومياً, وحجم ميزان التبادل التجاري بحدود (30) مليار دولار سنوياً كسلع مستوردة من الصين[31]، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة على قطع مشروع طريق الحزام الحرير من خلال اعادة الانتشار في العراق واحتواء ايران والضغط عليها للعودة الى طاولة المفاوضات حول برنامجها النووي.

المطلب الثالث: السلوك الاستراتيجي الأمريكي تجاه تزايد النفوذ الايراني في العراق .

ولغرض تسليط الضوء على الاستراتيجية الأمريكية حيال ايران سنعمد الى تناول ذلك من خلال الآتي :

أولاً: مرحلة إدارة الرئيس باراك أوباما: سعت ادارة الرئيس أوباما الى إيجاد تفاهمات مع ايران حول برنامجها النووي وتكللت بتوقيع الاتفاق النووي عام 2015، لغرض التخفيف من حدة التوترات في منطقة الشرق الأوسط بصورة عامة، وفي العراق وسوريا ولبنان واليمن بصورة خاصة، وذلك من خلال الاعتدال والانفتاح ودمج الأعداء في النظام الدولي مثل إيران وكوريا الشمالية، لأن ذلك سيحولها الى دول طبيعية ومعتدلة[32]، وقد تعهد الرئيس أوباما بالتواصل السياسي مع الأعداء وليس مع الأصدقاء فقط عندما قال: " لن التقي أصدقاءنا فقط، بل وأعداءنا أيضاً، لأن الابتعاد عن الإتصال المباشر مع الأعداء – استراتيجية عزل الأعداء وعدم التحاور معهم- قد تسببت بضرر جسيم على مصالح الولايات المتحدةفي منطقة الشرق الأوسط وانتقصت من سمعتها عالمياً[33].

وخلال جلسة الكونغرس الأمريكي في 2007، التي ناقشت تقرير قائد القوات الأمريكية في العراق (الجنرال ديفيد بترايوس) والسفير الأمريكي في العراق (رايان كروكر)، حول الأوضاع في العراق وامكانيةتخفيض القوات الامريكية، قال الرئيس أوباما : " لا أعتقد أننا سنكون قادرين على جعل الوضع مستقر في العراق دون محاورة ايران "[34]، ذلك أن عملية التفاهم ورفع العقوبات عن إيران ستؤدي الى دخول الاستثمارات الأمريكية في مجال البترول الإيراني، وزيادة انتاج ايران من هذه السلعة سيؤدي الى انخفاض سعر النفط في الأسواق العالمية، وهذا يصب في مصلحة الدول الحليفة للولايات المتحدة، ويضر بمصلحة الدول غير الصديقة التي تعتمد على النفط كمصدر اساسي لدخلها مثل روسيا والصين وفنزويلا، كما أن زيادة انتاج إيران من الغاز الطبيعي سوف يفتح أمامها فرصة تصديره الى دول الاتحاد الأوروبي، وبالتالي يقلل من اعتمادها على واردات الغاز من روسيا وهي مصلحة أمريكية أيضاً[35].

---

[31] مظهر محمد صالح ، المصدر السابق .

[32] محمد كمال، مبدأ أوباما وسياسته الشرق أوسطية، السياسة الدولية، العدد 201, القاهرة,(تموز 2015), ص71.

[33] عبدالخالق شامل محمد، السياسة الخارجية الامريكية في الشرق الأوسط : التحولات الجديدة في ظل إدارتي الرئيس بوش الأبن وباراك أوباما، مجلة تكريت للعلوم السياسية، المجلد 1, العدد1,(كانون الأول 2014), ص210.

[34] نقلاً عن : عبد الناصر المهداوي، الوجود الأمريكي وأثره على العملية السياسية الهشة في العراق، متاح على الرابط: (2019/11/7) https://www. newiraqcenter.com/archives/4943.

[35] محمد كمال، مصدر السابق، ص73.

بعبارة أخرى، إن إدارة الرئيس أوباما تؤمن بضرورة إقامة نظام توازن قوى اقليمية في منطقة الشرق الأوسط، وخاصة في منطقة الخليج العربي، وهذا يساعد الولايات المتحدة على تخفيض وجودها في المنطقة، وفي الوقت نفسه الحفاظ على الاستقرار، ويقوم هذا النظام على إيران من جهة، والسعودية ويضاف لها تركيا ومصر من جهة أخرى، بحيث لاتتمكن دولة اقليمية واحدة من الهيمنة على منطقة الخليج العربي، وبذلك يقترب مبدأ الرئيس أوباما هنا من مبدأ الرئيس نكسون، الأمر الذي يتطلب انفتاح الولايات المتحدة على إيران والسماح لها بلعب دور أساسي في العراق وسوريا.

ثانياً: مرحلة إدارة الرئيس دونالد ترامب: مع وصول الرئيس دونالد ترامب الى سدة الرئاسة في الولايات المتحدة أبدى امتعاضه من استراتيجية الرئيس أوباما بأنها أسوء محطات الوهن والضعف الأمريكي، وقد حدد مجموعة من الأولويات للعودة الى التدخل بشكل أكبر لتعزيز النفوذ الأمريكي والإيمان بالاستثنائية الأمريكية تحت شعار(أمريكا أولاًAmerica First)، مؤكداً على تعزيز القدرات الأمريكية في جميع المجالات وجعلها في خدمة المصالح القومية الأمريكية [36].

وفي كانون الاول 2017، صدرت الوثيقة الاستراتيجية للأمن القومي الأمريكي، وقد أولت فيها إدارة الرئيس ترامب اهتماماً كبيراً لمنطقة قلب الشرق الأوسط وهي كل من العراق وايران وسوريا والخليج العربي لما تمثله من أهمية استراتيجية للمصالح الحيوية الأمريكية خاصة والغربية عامة، دعا فيها الرئيس ترامب شركاء الولايات المتحدة للعمل معاً لتحقيق ذلك بقوله: " إن قوة أمريكا لاتكمن في المصالح الحيوية الخاصة بالشعب الأمريكي فحسب، بل أيضاً في مصالح أولئك في جميع انحاء العالم الذين يريدون أن يكونوا شركاء الولايات المتحدة سعياً لتحقيق مصالح وقيم وتطلعات مشتركة "[37].

بيد أن التهديدات الايرانية للمصالح الأمريكية أحدثت تغيراً في أولويات السياسة الخارجية الأمريكية، إذ وصف الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في استراتيجية الأمن القومي الأمريكة حيال الشرق الأوسط، التي ركزت على الإرهاب الجهادي والتأثير الإيراني بإن " إيران الدولة الرائدة في العالم في رعاية الإرهاب " [38]، وأن سياسات النظام الإيراني باتت تؤثر وبشكل مستمر عن طريق أذرعها ووكلائها على الاستقرار، وتهدد المصالح الحيوية للولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة ، لذلك ضمَّنت ادارة الرئيس ترامب استراتيجيتها الجديدة في جانب كبير منها حيال ايران وكالآتي [39]:

---

[36] استراتيجية الأمن القومي لإدارة ترامب ، هل تحمل جديداً، المركز العربي للابحاث(2017/12/27)، متاح على الرابط: :sptth.72/21/7102/dlrowbara/moc.nodorla.www//

[37] James F, Jeffrey. Trump National Security Strategy: Return to the Nineteenth century? The Washington in statute for near Baste Policy, Policy Watch 2904, (December,2017), pp. 1-2(pdf).

[38] أحمد أويصال، استراتيجية ترامب للأمن القومي في الشرق الأوسط، مركز دراسات الشرق الأوسطORSAM ، أوراق استراتيجية، العدد14, ص4.

[39] للمزيد من التفاصيل حول استراتيجية الأمن القومي ينظر:, National Security Strategy of the united states of American, White House, Washington decmber-2017. P V.

متاح على الرابط: https://ge.usembassy.gov/2017-national-security-strategy-united-states-america-president/

أ . الغاء الاتفاق النووي الايراني وفرض عقوبات اقتصادية على ايران.

ب . اعادة تنشيط التحالفات الامريكية التقليدية والشراكات الاقليمية كمصدر مضاد الى النفوذ الايراني واستعادة أكبر لاستقرار توازن القوى في المنطقة.

ت . فرض عقوبات على الحرس الثوري وقياداته وحشد المجتمع الدولي لإدانة انتهاكات حقوق الانسان التي يقوم بهاوادخاله ضمن قائمة الجماعات الارهابية.

ث . فرض عقوبات على الدول والشركات التي تتعامل مع ايران ولا تلتزم بالعقوبات المفروضة.

ج . فرض عقوبات اقتصادية على أذرع ايران ووكلائها في المنطقة.

ح . دعم المعارضة الايرانية في الداخل والخارج.

خ . تقديم الدعم الكامل (لإسرائيل) واعتبارها دولة توازن في منطقة الشرق الأوسط .

وبالفعل بدأ الرئيس ترامب بإصدر حزمة من العقوبات ضد إيران بتاريخ 7 أب 2018 وهو قرار تفعيل العقوبات المجمدة ضد إيران بموجب الاتفاق النووي الإيراني, ودخلت حيز التنفيذ اعتباراً من 2أيار 2019, كما دعا الى التقليص والحد من العلاقات مع إيران مع ضرورة عزل إيران إقليمياً ودولياً, كما طالب من الدول بعدم التعامل مع ايران أو شراء نفطها وخاصة الصين, الأمر الذي أدى الى إنخفاض شراء النفط الإيراني من (35%) الى(40%)، مما دفع الرئيس الإيراني حسن روحاني الى التوجه الى الهند لإيجاد حل لتصدير النفط[40] .

إن المقاربة في الأداء الاستراتيجي للإدارة الأمريكية في عهدي الرئيس أوباما وترامب[41]، تكمن في أن الاستراتيجية الأمريكية في عهد الرئيس باراك أوباما قائمة على التفاهمات والتسويات مع ايران بصدد برنامجها النووي ونفوذها في العراق ولذلك أعطت إدارةالرئيس أوباما خلال مدة حكمها الضوء الأخضر والصفة الشرعية للهيمنة الإيرانية على العراق وفقاً لما يخدم المصلحة الأمريكية، أما الاستراتيجية الامريكية في عهد الرئيس دونالد ترامب فأن آلية التعامل مع ايران تختلف تماماً عن سلفة، إذ تم اعتماد استراتيجية المواجهة والضغط والتصعيد وتمثل ذلك في الانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي وفرض العقوبات الاقتصادية، نهجاً متواصلاً للحد من نفوذ ايران في المنطقة.

ثالثاً: مرحلة إدارة الرئيس جوزيف روبينيت بايدن: مع وصول الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن الى سدة الحكم في 20 كانون الثاني 2021، تصاعدت وتيرة الهجمات ضد المصالح الأمريكية في الشرق الاوسط، وخاصة في العراق، إذ شهدت القواعد الأمريكية في بغداد واربيل وبلد(محافظة صلاح الدين)، خلال المدة بين شباط ونيسان من العام نفسة موجة من الهجمات الصاروخية من قبل الفصائل المسلحة، وفي نفس الوقت تبنت القوات الامريكية توجيه ضربات جوية لمقرات

[40] مهدي مطر نبأ، خطوات ترامب للتعامل مع إيران، مختارات ايرانية، العدد 203, (اذار 2018), ص76.

[41] للمزيد من التفاصيل ينظر: ابراهيم بعزيز وأخرون، الشرق الأوسط في ظل أجندات السياسة الخارجية الأمريكية: دراسة تحليلية للفترة الانتقالية بين حكم أوباما وترامب،(برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية، 2017), ص411-432.

تابعة للفصائل المسلحة المدعومة من قبل ايران داخل الاراضي العراقية وعلى الحدود السورية، إلا أن ذلك لم يوثر في قناعات الرئيس بايدن في النهج الذي سيتبعه للتعامل مع ايران.

الحقيقة أن إدارة الرئيس بايدن تتبنى استراتيجية جديدة تمزج مابين المثالية والواقعية وهي ما أطلق عليها ب«الواقعية التقدمية" وهي من نتاج أفكار (روبرت رايت) والقائمة على التوفيق بين الأهداف الانسانية للمثاليين والمنطق القوي للواقعيين، ومن المتوقع ان الإدارة الامريكية للرئيس بايدن ستتبنى سياسة أكثر برغماتية تجاه ايران وبرنامجها النووي، بهدف التخفيف من حدة التوترات بين البلدين، وهي أقرب ما يكون لسياسة الرئيس أوباما منه الى سياسة الرئيس ترامب، لذا عليه أن يتعامل مع الواقع كما هو وليس كما تريده أمريكا، ومحاولة جذب الخصوم بطريقة الترغيب والاقناع والاغراء، لا بطريقة التهديد وسياسة العصا الغليظة، وهذا ما اعلن عنه الرئيس بايدن في مؤتمر ميونخ للأمن المنعقد في شباط 2021، بأن الولايات المتحدة مستعدة لإعادة الانخراط في المفاوضات مع مجلس الأمن الدولي بشأن برنامج ايران النووي، وأضاف الرئيس بايدن أن علينا أن نتعامل مع انشطة ايران المزعزعة للاستقرار في الشرق الأوسط وسنعمل مع شركائنا الأوربيين وغيرهم، لحلحلة هذا الموضوع مع ضرورة التركيز على الآتي:

أ . توسعة الاتفاق النووي ليشمل الصواريخ الإيرانية .

ب . أن يكون الاتفاق طويل الأمد.

بمعنى أخر، إن الادارة الجديدة للرئيس بايدن تدعو الى اتباع الوسائل الدبلوماسية في الشؤون الدولية، والدعوة الى شراكة دولية في علاج القضايا والمشاكل التي يواجهها المجتمع الدولي، وهذا خلاف النهج المتبع في الإدارة السابقة والقائم على التحرك الأحادي الجانب من قبل الولايات المتحدة الأمريكية في مواجهة القضايا الدولية.

المطلب الرابع: مستقبل الصراع الأمريكي الإيراني في العراق

عندما سُئل البرت أنشتاين لماذا يبدي إهتماماً بالمستقبل ، قال " ببساطة، لاننا ذاهبون إلى هناك"[42]، والحال كذلك بصدد مستقبل السلوك الاستراتيجي الأمريكي حيال نفوذ إيران ووكلائها في العراق والمنطقة، وقبل الولوج في رسم أو تحديد المشاهد المستقبلية لطبيعة ومستقبل الصراع الأمريكي الإيراني في العراق، لابد لنا أن نتعرف على العوامل والمتغيرات المؤثرة في رسم المشاهد المستقبلية للصراع، ومن هذه العوامل الآتي:

أ . إن الولايات المتحدة الأمريكية تُعد العراق ومنطقة الخليج العربي هي مناطق نفوذ أمريكية بحتة، لا تقبل أن ينازعها طرف آخر في ذلك دولياً كان أو إقليمياً، وأن أي حدث من هذا القبيل يمثل تهديداً للأمن القومي والمصالح الأمريكية يستوجب انهائه بكافة الوسائل بما فيها القوة العسكرية .

[42] وليد عبدالحي، مناهج الدراسات المستقبلية وتطبيقاتها في العالم العربي(أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2007), ص7.

ب . إن ايران مستمرة وجادة في سعيها لبسط نفوذها في العراق والمنطقة، وبناء امكانياتها وخاصة العسكرية منها.

ت . قوة وتأثير أذرع ايران ووكلائها في المنطقة ، ومدى تأثيرها على المصالح الأمريكية.

ث . مدى قوة وصمود الداخل الإيراني أمام العقوبات الأمريكية المفروضة على النظام وخاصةالاقتصادية منها.

ج . قوة التحالف الغربي - امريكا والدول الاوربية- في الضغط على روسيا للتخلي عن دعم ايران والنظام السوري .

ح . مدى قدرة الدول الأوربية بالضغط على ايران لإقناعها بالعودة الى الجلوس على طاولة المفاوضات بشأن برنامجها النووي.

خ . حجم الضمانات والمكافئات التي ستحصل عليها ايران نظير موافقتها على التغييرات في الاتفاق.

د . مدى قوة وصمود النظام السياسي العراقي أمام هذه التحديات كساحة للصراع، وما هي الأدوات التي يمتلكها صانع القرار في العراق للتعاطي مع التحولات الجديدة على أرض الواقع لحماية الأمن القومي والمصالح العراقية وضمان الخروج الآمن من الأزمة .

حجم الضمانات والمكافئات التي ستحصل عليها ايران نظير موافقتها على التغييرات في الاتفاق.

مدى قوة وصمود النظام السياسي العراقي أمام هذه التحديات كساحة للصراع، وما هي الأدوات التي يمتلكها صانع القرار في العراق للتعاطي مع التحولات الجديدة على أرض الواقع لحماية الأمن القومي والمصالح العراقية وضمان الخروج الآمن من الأزمة .

ولغرض استشراف التصورات المستقبلية لطبيعة السلوك السياسي والأداء الاستراتيجي الأمريكي حيال النفوذ الإيراني في العراق والمنطقة، سيتم بيان ذلك من خلال المشاهد الآتية:

أولاً. مشهد الاستمرار (الاستمرارية والتغيير).

وصف المشهد: تقوم الولايات المتحدة بالانغماس في الشأن العراقي، واستمرار التصعيد على أن لا يصل مستوى التصعيد الى المواجهة المباشرة (الحرب) والعمل على انهاء النفوذ الإيراني في العراق من خلال القيام بالتفكيك التدريجي لأذرع ايران في العراق، وفرض السيطرة ودعم استقرار العراق السياسي والأمني والاقتصادي لأن ذلك يصب في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية.

تتأسس فروض هذا المشهد، إنه على الرغم من المساعدات التي قدمتها ايران للولايات المتحدة الأمريكية في عملية احتلال العراق 2003, إلا أنها أدركت بأنها الجهة المقصودة بعد العراق, لانها تمثل جزء من محور الشر, إذ نجحت ايران أن تبعد شبح الحرب الأمريكية عنها, من

خلال تأسيس منظومة أمنية دفاعية معقدة والمتمثلة بالجماعات المسلحة المرتبطة بها عقائدياً في العراق وسوريا وحزب الله في لبنان والحوثين في اليمن وحماس في غزة، وتتلقى دعماً مادياً ومعنوياً منها،وأضحت فواعل مؤثرة وخاصة بعد انسحاب القوات الأمريكية من العراق في 2011، وهي بمثابة خطوط الصد الأولى تقاتل بالنيابة عن ايران .

مثَّلت أحداث حزيران 2014 فرصة عظيمة للولايات المتحدة للعودة الى العراق ، إذ استغلت قضية مكافحة الإرهاب والحرب على داعش، بعد أن تقدمت الحكومة العراقية بطلب رسمي للولايات المتحدة لتقديم المساعدة في مجال الدعم الجوي للقطعات العراقية وتبادل المعلومات وتدريب القوات الأمنية العراقية.

ومع تصاعد حدة التهديدات بين الولايات المتحدة وايران ولغرض أن تخرج الأخيرة من ضغط العقوبات الاقتصادية وحالة التدهور الاقتصادي الذي تشهده، اتبعت اسلوباً جديداً في إدارة الأزمة مع الولايات المتحدة بالاعتماد على وكلائها في المنطقة باستفزاز القوات الأمريكية عن طريق توجيه ضربات صاروخية على المصالح والقواعد الأمريكية في البصرة وبغداد والانبار وكركوك، الأمر الذي دفع إدارة الرئيس ترامب الى الرد بتوجية ضربات صاروخية بواسطة طائرات مسيرة امريكية و(الاسرائيلية) على مواقع عسكرية في العراق وسوريا، بدعوى أن هذه المواقع تحتوي على اسلحة وصواريخ ايرانية، فضلاً عن المستشارين وكان آخرها في مطار بغداد والتي ادت الى مقتل الجنرال قاسم سليماني قائد فيلق القدس الايراني وأبو مهدي المهندس نائب رئيس هيئة الحشد الشعبي .

وتناغماً مع ذلك، ومع تفشي ظاهرة الفساد السياسي والاقتصادي وتدهور الوضع الأمني والاجتماعي في العراق، بدأت الولايات المتحدة الأمريكي تتبنى سلوكاً استراتيجياً قوامه التدخل في الشؤون السياسية والاقتصادية والأمنية العراقية، وهو ما تكلل في ارسال لجنة مكافحة الفساد الأمريكية للتحقيق في قضايا الفساد مع مسؤولين كبار في الحكومة العراقية[43]، بسبب هدر المال العام وتحويله الى الحسابات الشخصية للمسؤولين خارج العراق .

كما أنه من بين أحد أبرز مقومات هذا المشهد هو تفكيك النفوذ الاقتصادي الإيراني في العراق، إذ عملت العقوبات الاقتصادية الأمريكية المفروضة على ايران والدول والشركات التي تتعامل معها دور كبير في تفكيك هيمنة ايران على الاقتصاد العراقي، وتبلور ذلك في القرارات التي أصدرتها الخزينة الأمريكية بالحجز على أموال شخصيات سياسية ودينية عراقية متهمة بالفساد ودعم الإرهاب، لاسيما تلك التي لها ارتباطات مع ايران، بالاعتماد على قانون (غالوبال ماغنيتسكي) لعام 2016[44]، كما طالبت الولايات المتحدة الدول الغربية والعربية بالدخول والاستثمار في العراق وعدم ترك العراق سوقاً للاقتصاد الايراني[45].

[43] عامر هاشم عواد و بيداء محمود أحمد، السلوك السياسي الأمريكي حيال العراق مابعد داعش: العودة نحو التغيير: متاح على الرابط (2019/11/2)

https://www.annabaa.org/arabic/studies/14015.

[44] (قانون)غالوبال ماغنيتسكي(قانون يسمح لحكومة الولايات المتحدة بمعاقبة المسؤولين الحكوميين الأجانب المتورطين في جرائم الفساد وانتهاك حقوق الانسان في أي مكان في العالم، للمزيد من التفاصيل حول القانون ينظر: https://kitabat.com/2019/11/17/قانون-ماغنيتسكي-سلاح-ملاحقة-الفاسدين/

[45] محمود عثمان، مصدر سبق ذكره.

وفي ذات السياق وكمرتكز قيّمي لهذا المشهد ، عملت الولايات المتحدة على دق اسفين ما بين الشعب العراقي والتيارات السياسية والاحزاب الدينية الحاكمة القريبة من ايران والمتهمة بقضايا فساد وجرائم قتل، حتى بات أمر وجودها في السلطة غير مرغوباً فيه ومن جميع أطياف الشعب العراقي وبمختلف انتماءاتهم ، وتكلل ذلك بالتظاهرات الشعبية الحاشدة في جميع انحاء العراق مطلع تشرين الأول 2019 والتي تطالب برحيل كافة الطبقة السياسية والأحزاب الدينية الفاسدة ومنعها من المشاركة مرة أخرى واجراء انتخابات مبكرة.

وتأسيساً على ما سبق، فإنه مهما تصاعدت حدة التهديدات بين الطرفين، فلن تصل الى حالة المواجهة المباشرة (الحرب)، لأن صانع القرار الايراني يدرك تماماً أن موقف ايران في خوض حرب مباشرة ضد القوات الأمريكية بهذا الحجم والتقنية هو ضعيف جداً وفرص الانتصار فيها معدومة.

بمعنى؛ عدم توافر عامل الرغبة بالحرب والسعي لها ليس لدى ايران فحسب، بل للولايات المتحدة ايضاً، وهو ما صرح به وزير الخارجية الأمريكي (مايك بومبيو) بالقول: " إن الولايات المتحدة من حيث المبدأ لاتسعى لخوض حرب مع ايران" [46]، وايران من جانبها أيضاً، أعربت عن عدم رغبتها في الحرب، وجاء ذلك على لسان المرشد الأعلى الايراني علي خامنئي عندما قال : " إن ايران لاتسعى للحرب وامريكا كذلك أيضاً، لانها لن تكون في صالحهما"[47]، وهذا بدا واضحاً إذ لم تكن قوة رد الفعل الإيراني بمستوى قوة الفعل الأمريكي، الذي طال (الجنرال قاسم سليماني) الشخصية الايرانية المحورية في الشرق الأوسط في 3 كانون الثاني 2020، وإنما اكتفت باطلاق عدة صواريخ بالستية على قواعد أمريكية في الأنبار وأربيل لم تحدث أضراراً كبيرة، بل كانت الغاية منها حفظ ماء الوجه وتهدئة الشارع الإيراني.

كما أن الحرب اذا ما حصلت سوف تقود الى حالة من الفوضى في المنطقة وانهيار الاستقرار السياسي والأمني الهش في العراق، الذي تحاول الولايات المتحدة المحافظة عليه، وستعرّض القوات والمصالح الأمريكية في العراق للخطر، لانه سيكون ساحة للصراع بين الطرفين، وهذا سيؤثر بشكل كبير على المشاريع الامريكية المرسومة للمنطقة، ولاسيما مشروع القرن ويعطي ارجحية للمشاريع السلمية والناعمة التي تحاول دول أخرى ادخالها للمنطقة مثل الصين، وهذا مالا ترغبه الولايات المتحدة الأمريكية وتحذر منه،فضلاً عن ذلك إن البيئة الدولية غير مهيئة لتقبل فكرة حرب مباشرة جديدة تحدث في المنطقة، الأمر الذي سيقود الى الإضرار بالسلم والأمن الدوليين ويؤثر على المصالح الدولية.

وبالنتيجة النهائية؛ ستعمل الولايات المتحدة على الاستمرار في التصعيد والضغط عن طريق العقوبات الاقتصادية، سيكون عاملاً مهماً الى جانب عوامل أخرى في إنهاء أو تقليص التواجد الايراني في العراق ومناطق أخرى في الشرق الأوسط.

---

[46] نقلاً عن : كريم اسعد ، المصدر السابق.

[47] المصدر نفسه.

ثانياً. مشهد التراجع (الحرب المباشرة)

وصف المشهد: تتصاعد حدة التهديدات بين الولايات المتحدة وايران مما يؤدي الى قيام حرب إقليمية كبيرة في المنطقة، أطرافها الولايات المتحدة الأمريكية و(اسرائيل) وبدعم عدد من الدول العربية اقتصادياً من جهة، وايران وأذرعها في العراق ولبنان وسوريا واليمن من جهة أخرى، وتكون ساحتها العراق ومنطقة الخليج العربي.

تتأسس فروض هذا المشهد على عدة معطيات أو مقومات أبرزها الطروحات الفكرية التي ادلى بها وزير الخارجية الأمريكية الاسبق (هنري كيسنجر) في لقاء مع جريدة (ويلي سكيب) في شباط 2015، حول طبيعة الصراع الأمريكي الايراني في الشرق الأوسط فأجاب قائلاً: " إن الحرب العالمية الثالثة باتت على الأبواب وايران ستكون هي ضربة البداية في تلك الحرب " [48]، واستأنف كيسنجر حديثه بالقول: " لقد أبلغنا الجيش الأمريكي أننا مضطرون لاحتلال سبع دول في الشرق الأوسط نظرًا لأهميتها الإستراتيجية لنا، خصوصا أنها تحتوي على البترول وموارد اقتصادية أخرى ولم يبق إلا خطوة واحدة، وهي ضرب إيران " [49]، و« إن أميركا وإسرائيل قد جهزتا نعشاً لروسيا وإيران، وستكون إيران هي المسمار الأخير في هذا النعش" [50].

كذلك الدراسة الأمريكية الحديثة التي قدمها الباحث (برادلي بومانBradley Bowman) بعنوان (بعد العراق: مستقبل التواجد العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط :After Iraq Future U.S.Military Posture in the Middle East)، تشير الدراسة الى أن ايران هي التهديد الأكبر في المنطقة الذي يقوض الجهود الدولية والأمريكية بشكل خاص في حظر انتشار الاسلحة النووية، لاحتمال استخدامها ضد المصالح الأمريكية أو ضد (اسرائيل) من خلال تزويدها الى الجماعات المسلحة في الدول الأخرى مثل حزب الله اللبناني، كما أن هذه الاسلحة تشجع ايران على تبني سياسة خارجية تتصف بالعنف، وتدفع دول المنطقة الى الدخول في سباق اقليمي نحو التسلح النووي[51].

كما يقوم مشهد الحرب المباشرة على معطى التحركات الفعلية للقطعات الامريكية سواء تلك التي تم سحبها من سوريا في 20 كانون الاول 2018, بهدف تقوية القواعد العسكرية في العراق, أو التي ارسلتها الولايات المتحدة في شهر آيار 2019 الى المنطقة، مثل حاملة الطائرات (أبراهام لنكولن) وطائرات قاذفة، ومنظومة صواريخ دفاع جوي من نوع باتريوت وحاملة الطائرات (يو إس إس أرلينغتون) التي تحمل على متنها مركبات برمائية وطائرات مقاتلةامن طراز F-15 وF-35، والقاذفات الاستراتيجية من طراز(B52) في قاعدة العديد القطرية [52]، بالإضافة الى القوات

[48] حامد شهاب، كيسنجر: الحرب العالمية الثالثة قادمة.. وإيران ستكون ضربة البداية، متاح على الرابط: (2020/1/1)
https://middle-east-online.com/%D9%83%D9%8A%D8%B3%D9%86%D8%AC%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%B1%A9

[49] ساعود جمال ساعود، هنري كيسنجر ومخاوفه حول فترة ما بعد الحدث الإيراني، متاح على الرابط: (2019/11/12)
https://www.raialyoum.com/index.php/%D9%87%D9%86%D8%B1%D9%8A- %D9%83%D9%8A%D8%B3%D9%86%D8%AC%D8%AD/

[50] المصدر نفسه .

[51] نقلاً عن: عزالدين بن حسين القوطالي، مستقبل وجود امريكا العسكري في المنطقة، متاح على الرابط(2020/1/5)
https://www.airss forum.com/show thread. Php.2t = 2017.

[52] كريم أسعد، حرب الخليج الثالثة: مراحل تعقد الصراع الأمريكي الإيراني، متاح على الرابط (2019/12/5)
https://www.ida2at.com/third-gulf-war-stages-american-iranian-conflict

الأمريكية المتواجدة في القواعد العسكرية في الخليج العربي، إذ يتواجد الاسطول الخامس الأمريكي في البحرين، ومقر الجيش الأمريكي الثالث في الكويت ويتألف من 16 الف جندي, و5 الاف جندي أمريكي في قاعدة الظفرة الإماراتية، والقوات الخاصة الأمريكية في اليمن، فضلاً عن وصول المستشفى الحربي (Mercy Class)الذي يضم (1000) سرير الى الخليج العربي [53].

الحقيقة؛ إن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك من مقومات القوة الصلبة والناعمة ما يؤهلها للتأثر وفرض الهيمنة العالمية لتحقيق الأهداف والمصالح الحيوية الأمريكية في العالم، ولاسيما منطقة الشرق الأوسط[54].

ويرى محللون استراتيجيون أن استقدام قوات أمريكية بهذا المستوى دليل على سعي الرئيس ترامب لخوض حرب مباشرة مع ايران، إذ يرى الرئيس ترامب أن المواجهة العسكرية مع ايران اصبحت حاجة ملحة لاعادة ترتيب الشرق الأوسط حسب رؤية صفقة القرن وخاصة موضوع الصراع العربي الاسرائيلي[55]، وأولى خطوات هذه الحرب بدأت بالانسحاب الأمريكي من الاتفاق النووي في 8 آيار 2018, وكذلك فرض العقوبات الاقتصادية على ايران والدول التي تستورد منها النفط وهو بمثابة اعلان الحرب الاقتصادية, فضلاً عن ادراج الحرس الثوري الايراني ضمن قائمة المنظمات الإرهابية وهذا يوفر للولايات المتحدة مسوغ للحرب ضد الارهاب, ولعل عملية اغتيال (قاسم سليماني) قائد فيلق القدس ومن معه من كبار قيادات الحرس الثوري الايراني والحشد الشعبي قرب مطار بغدادصباح يوم الجمعة 3 كانون الثاني 2020، كادت ان تكون الشرارة لحرب مباشرة بين الطرفين.

ربما تتطور الأحداث إلى حرب شاملة، نتيجة تدخل القوى الكبرى ولاسيما روسيا الاتحادية لتعرّض مصالحها الحيوية للخطر، إذ تُعد ايران الحليف الاستراتيجي لها في المنطقة، وهي لاترغب بخسارته لصالح الولايات المتحدة كما حصل مع العراق وليبيا، لذلك فهي تعترض على التعامل الأمريكي بالقوة مع ايران، وتُعد ذلك جزء من استراتيجية الهيمنة على مصادر انتاج الطاقة وعصب الاقتصاد العالمي بصورة منفردة[56]، وكذلك ترى الصين أن التصعيد الأمريكي هدفه السيطرة على أهم مصادر الصين للطاقة وهي ايران، كما أنها محاولة أمريكية لقطع الطريق أمام المبادرة الصينية (الحزام والطريق)، لان أيران ستمثل محطة خطوط سكك الحديد الصينية في المبادرة.

ثالثاً: مشهد الضغط والانفراج باتجاه التفاوض

وصف المشهد:يزداد الضغط الأمريكي والتصعيد التدريجي على ايران، ، وخاصة في الجانب الاقتصادي، ويتناغم مع ذلك الضغوط الداخلية، أذ تتصاعد موجة الاحتجاجات الشعبية المطالبة

[53] محمود عثمان، انعكاسات الصراع الامريكي الايراني على مستقبل الشرق الأوسط، متاح على الرابط: (2020/1/8)
https://www.aa.com.tr/ar/.1484221/انعكاسات-الصراع-تحليلية/أخبار/

[54] ينظر: علي زياد عبدالله العلي، مؤشرات القوة والتأثير في الاستراتيجية الأمريكي،ط1(بيروت: دار السنهوري,2016), ص129وما بعدها, كذلك, حسام مطر, الهيمنة الساحرة, اختيارات القوة الناعمة الأمريكية في الشرق الأوسط, (بيروت: دار باحث للدراسات الفلسطينية الاستراتيجية, 2018), ص 114- 119.

[55] زيد عبد الوهاب، مستقبل التواجد الأمريكي في العراق، متاح على الرابط (2019/10/11)
https://www.newiraqcenter.com/archives/4943

[56] للاستفاضة حول الاستراتيجية الامريكية في ادارة الازمات الدولية في القرن الحادي والعشرين ينظر: محمد حسين المومني، السياسة الأمريكية في إدارة الأزمات الدولية، (عمان: الاكاديميون للنشر والتوزيع،2017), 163 – 170.

بالاصلاح في الداخل الايراني، بهدف دفع ايران للجلوس على طاولة المفاوضات وبمساعدة أطراف دولية واقليمية.

تاريخياً، وهو أحد الفروض التي يتأسس عليها مشهد التصعيد من أجل التفاوض، أنه هناك شبه تحالف استراتيجي يربط ايران بالولايات المتحدة الامريكية، لاعتبارات مصلحية تخدم الطرفين ، وإن ايران لها دور وظيفي بالغ الأهمية في الاستراتيجية الأمريكية، وقد وظف هذا الدور في مرحلة الشاه، إذ مثلت ايران جدار الصد بوجه الاطماع السوفيتية في الخليج العربي، كما لعبت دور في الحرب على افغانستان والعراق، بالاضافة الى أن ايران عدت بمثابة نقطة ارتكاز في المنطقة ضمن استراتيجية الرئيس نكسون ومن ثمَّ الرئيس أوباما والتي عرفت بسياسة شد الأطراف الأمريكية في الشرق الأوسط كأداة تخويفية وعامل ضغط على الدول العربية وخاصة الخليجية منها لكي تبقى دائما بحاجة الى الحماية الامريكية.

إلا أنه بعد التحولات التي شهدتها المنطقة بعد 2003، وانعكاس تداعياتها على معادلة التوازن الاقليمية بغياب أطراف اقليمية فاعلة مثل العراق، بدأت ايران تخرج عن الدور الوظيفي المرسوم لها، وتنافس الولايات المتحدة على المصالح في المنطقة ، ولاسيما بعد تطور علاقاتها مع روسيا الاتحادية التي اضحت بعد تواجدها المباشر في سوريا قوة مؤثرة في السياسة الدولية، وباتت ايران الحليف الاستراتيجي لروسيا، التي بدأت بتزويدها بالتقنيات المتطورة في مجال التسليح والتكنولوجيا النووية، فضلاً عن علاقة ايران الاقتصادية مع الصين، والاخطر من ذلك هو تطوير ايران لقدراتها العسكرية التقليدية والغير تقليدية (البرنامج النووي)، وبدأت تنافس على الزعامة الاقليمية، الامر الذي احدث قلقاً لدى الولايات المتحدة، الامر الذي تطلب اعادة ايران الى دورها الوظيفي المحدد لها في اطار الاستراتيجية الأمريكية .

تحاول إدارة الرئيس دونالد ترامب من خلال العقوبات الاقتصادية وهذه الحشود العسكرية الكبيرة التي تم استقدامها الى المنطقة، اتباع استراتيجية (الضغط القصوى)، التي تقوم على مبدأ الضغط والتهديد والتصعيد الى مستوى عالٍ، بهدف دفع ايران للجلوس على طاولة المفاوضات وفقاً للشروط الأمريكية، وقد شكلت مجموعة عمل في آب 2018، أطلق عليها (مجموعة العمل الإيرانية) برئاسة (براين هوك) مدير التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية لتنفيذ هذه الاستراتيجية [57]، وقدد حدد الرئيس ترامب هدفاً محدداً لإقناع إيران بالتقدم للمفاوضات دون شروط مسبقة، مع التأكيد مجددا أنه لا يريد تغيير النظام في إيران وهو مستعد لمساعدة النظام الحالي على تحسين الاقتصاد وحالة مواطني البلاد إذا وافقوا على اتفاق جديد يضمن عدم امتلاك إيران لأسلحة نووية فقط.[58]

وتناغماً مع ذلك، تعمل أطراف دولية عديدة مثل فرنسا (مبادرة الرئيس أيمانويل ماكرون التي شملت محادثات الرئيس الفرنسي مع الرئيس ترامب واتصالات هاتفية مطولة مع الرئيس الإيراني

[57] محمود عثمان ، مصدر سبق ذكره.

[58] ملامح سيناريوهات الصراع الامريكي الايراني، المصدر السابق.

حسن روحاني، وإرسال مستشاره السياسي إلى طهران في محاولة لدراسة إمكانية فتح مفاوضات بين الولايات المتحدة وإيران) وكذلك محاولات رئيس وزراء اليابان(شينزو آبي)، وجهود بريطانيا لعبت دوراً كبيراً في التخفيف من حدة التهديدات وخفض التصعيد والعمل لاقناع الطرفين بالذهاب الى الطرق الدبلوماسية والجلوس للتفاوض لحل الأزمة بما يخدم مصلحة جميع الأطراف[59].

كما أنه هناك رغبة لدى الولايات المتحدة تهدف من خلالها الى اعادة النظر ومراجعة الاتفاق النووي من جديد، اذا هي عملية تكتيك امريكي في استراتيجيتها الجديدة من اجل اعادة ترتيب الأوضاع في الشرق الاوسط بما يخدم مصالحها ومصالح حلفائها التقليديين والتحكم والهيمنة الجديدة والضغط على ايران لاجبارها على التفاوض من جديد لفرض شروط مضافة تزيد من القيود على سلوك السياسي الخارجي الايراني حيال قضايا الشرق الأوسط، ولاسيما تسوية الصراع العربي-(الاسرائيلي)، من خلال مايعرف بصفقة القرن، والخشية من استمرار امتداد نفوذها وتوسعه في العمق الاستراتيجي لمنطقة الشرق الاوسط عن طريق وكلائها في المنطقة، مما يزيد من المخاطر حيال أمن اسرائيل، لاسيما وان الاخيرة باتت جزءاً من معادلة الحرب التي تشنها في المنطقة (الهجمات المتكررة على سوريا والعراق)[60].

كما أن الاعتماد على الموقف الروسي غير الواضح حيال حليفها الاستراتيجي ايران يوحي بوجود اتفاق روسي امريكي بهذا الصدد، وجاء تأكيد ذلك من خلال تصريح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في 15 آيار 2019 عندما قال: "كان الأحرى بإيران أن لا تنسحب من الاتفاق النووي ، ونحن غير قادرين على إنقاذ الجميع " [61]، وهذه رسالة واضحة بالاستعداد لمقايضة طهران إذا لزم الأمر، مما دفع بصانع القرار الايراني الى التفكير باعتماد السلوك الديبلوماسي العقلاني إدارة الأزمة مع الولايات المتحدةالأمريكية، التي على الرغم من استعداداتها الكبيرة للحرب، لكنها ترى إن منطقة الشرق الأوسط لا تتحمل قيام حرب اقليمية شاملة، لان ذلك سيعرض المصالح الحيوية الأمريكية للخطر .

وهذا ما اعلنه الرئيس الأمريكي جوزيف بايدن حال وصوله سدة الرئاسة بأن إدارته تؤيد اعادة الحياة للاتفاق النووي بين ايران والدول الأوربية (1+5) بهدف التوصل الى حل يخدم جميع الاطراف ويخفف من حدة التوترات في منطقة الشرق الأوسط، ويضمن حماية المصالح الأمريكية وحليفاتها، من خلال الضغط على ايران للجلوس الى طاولة المفاوضات والموافقة على الشروط الأمريكية الجديدة.

[59] للمزيد من التفاصيل حول المبادرات الدولية لإنهاء الأزمة ينظر : تقرير" ملامح سيناريوهات الصراع الامريكي الايراني" ، معهد دراسات الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب، متاح على الرابط:

https://www.alestiklal.net/ar/view/1919/dep-news-1564232750

[60] سعد السعيدي و أحمد عدنان كاظم، السلوك الاستراتيجي الأمريكي وديناميكيات تغيير معادلة التحكم في مستقبل الشرق الأوسط. مجلة قضايا سياسية، كلية العلوم السياسية جامعة النهرين، العدد 59,(تشرين الاول , تشرين الثاني , كانون الأول 2019), ص 139 - 146.

[61] محمود عثمان، مصدر سبق ذكره.

إن حالة التصعيد والتهديدات التي يشهدها الصراع الدائر بين الولايات المتحدة الأمريكية وايران سيأخذ أشكالاً متعددة من المشاهد والتي تتراوح بين مشهد الاستمرار والتغيير ومشهد التراجع والحرب ومشهد ثالث يقوم على الضغط والانفراج نحو التفاوض، وإن المشهد المرجح لحالة الصراع بين الطرفين هو المشهد الثالث وهو مشهد الضغط والانفراج نحو التفاوض لكونه أكثر المشاهد يخدم مصالح الطرفين ويدرئ المخاطر التي قد تنجم عن تصاعد حدة التوترات.

المطلب الخامس: تداعيات الصراع الامريكي الايراني على العراق

وبعد الانتهاء من صياغة المشاهد المستقبلية للصراع الأمريكي الإيراني في العراق، وهنا ربما يتبادر الى الذهن، إن لم نقل الواقع يفرض التساؤل الآتي هو: إلى أين نحن ذاهبون كعراقيين ؟ وما المطلوب من الحكومة العراقية عمله لكي تتجنب تداعيات الصراع الأمريكي الإيراني على العراق بعد أن أصبح ساحة للتنافس والتصارع بين القوى الإقليمية والدولية ؟، وما هي التداعيات التي سيتعرض لها العراق جراء ذلك؟.

لاشك؛ إن العراق واقع تحت تأثير الصراع الدائر بين الولايات المتحدة وايران وبدرجة كبيرة جداً، بل إن بعض أدوات الصراع هي جزء من العراق، والأكثر من ذلك أن العراق وهو ساحة الصراع الرئيسة التي تدار بها اللعبة، بل هو حلقة الوصل مع بقية ساحات الصراع الأخرى في المنطقة التي يتواجد فيها نفوذ إيرانيً وتشهد حالات مماثلة من الصراع، وقطعاً ستنعكس عليه نتائج وتداعيات هذا الصراع بأي شكل من الأشكال، لذلك يحاول كلا الطرفين الأمريكي والإيراني سحب العراق الى جانبه وضمن دائرة نفوذه.

إذا على صانع القرار في العراق ان يدرك حجم المخاطر التي تحيط بمستقبل العراق جراء هذا الصراع، وعليه أن يضع المصالح القومية والأمن القومي العراقي نصب عينيه أولاً وقبل كل شيء، وبغض النظر عن مصالح أطراف الصراع، وأن يتم التعامل مع الأحداث بطريقة برغماتية تخدم مصالح العراق، و الرفض القاطع بان يكون العراق ساحة لتصفية الحسابات والخلافات الدولية والاقليمية، لان ذلك يُعد انتقاصاً للسيادة الوطنية وتدخلاً في الشؤون الداخلية للبلد.

تحاول الحكومة العراقية جاهدة الوقوف على الحياد بين أطراف الصراع، إلا أن صعوبة الحياد العراقي في الصراع الأميركي-الإيراني تكمن في محاولة بغداد ترضية طرفي النزاع، وهو سلوك قد تبدو فيه مكتسبات مرحلية محدودة لكن ضررها بالغ الخطورة والتدمير حيث ستتلاشى السيادة العراقية الرسمية (الدولة) ليحل بدلًا عنها ولاءات فرعية لهذا الطرف أو ذاك في مرحلة الصراع وسرعان ما تتحول إلى انتقام كامل في حالة غلبة أحد الأطراف، وهذا سيعرض الامن القومي العراقي للخطر وينذر بعواقب وخيمة تضر بمستقبل العراق كبلد موحد، لاسيما وأن هناك مشاريع لتقسيمه معدة مسبقاً وتم طرحها في مراحل زمنية سابقة وجوبهت بالرفض.

للأسف، إن الواقع السياسي العراقي، غير متماسك، بسبب الأسس التي أُنشئ عليها والمتمثلة بالمحاصصة والطائفية، ويجد العراقيون أنفسهم اليوم بلا قيادة فعلية قادرة على رسم

ملامح طريق يحفظ للعراق سيادته ويعزز من فرص الالتفاف حول هوية وطنية واحدة، وبدل ذلك فإن الطبقة السياسية بشكل عام تعلن انقسامها بشكل واضح إلى صف إيران أو أميركا رغم جلوسهم جميعًا تحت قبة برلمان واحدة، والأدهى من موضوع الانقسامات ذاتها هو أن أغلبية الأطراف السياسية في العراق تعمل وفق مصالح هاتين القوتين المركزيتين دون أن يكون هناك حسابات تتعلق بإخراج العراق من وضعه السياسي والأمني والاقتصادي الحالي[62].

وهذا بدا واضحاً من خلال التصريحات المتناقضة لشخصيات سياسية مسؤولة التي سبقت الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء العراقي الى الولايات المتحدة ولقائه بالرئيس الأمريكي جو بايدن والمسؤولين الأمريكان، إذ أكد الكاظمي في تصريح له على حاجة العراق للدعم اللوجستي والتدريب الذي تقدمه القوات الأمريكية، وفي الاتجاه المعاكس جاء تصريح وزير الخارجية فؤاد حسين ليؤكد الحاجة الملحة للتواجد الأمريكي في العراق، وأما التصريح الثالث فكان لمستشار الامن القومي العراقي قاسم الأعرجي الذي قال فيه أن الحاجة الى المعسكر الأمريكي غير موضوعية وليست ملحة خلال هذه المرحلة.

هذا التخبط والتناقض في المواقف يعطي انطباعاً بغياب الرؤية الواضحة والموحدة لدى القيادة السياسية في العراق حيال موقف العراق من الصراع الأمريكي الإيراني فيه، وهذا ينذر بتداعيات خطيرة على الداخل السياسي والاقتصادي والأمني العراقي، إذا لم تتمكن القيادة العراقية من اتخاذ موقف حازم وموحد حيال هذا الصراع.

الخاتمة

من خلال ما تقدم ذكره في مفاصل الدراسة توصلنا الى خلاصة مفادها: لقد أثبتت الدراسة صحة الفرضية التي انطلقت منها، وهي أن العراق يبقى ذو أهمية استراتيجية كبيرة في الادراك الاستراتيجي للقوى الدولية والاقليمية، وأن هذه القوى تتعامل مع العراق من زاوية محددات أمنها القومي، لتحقيق مصالحها الحيوية في العراق والمنطقة،وعلى الرغم من التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة في أماكن أخرى من العالم، إلا أنه يلاحظ أن الأهمية التي يشكلها العراق بالنسبة للولايات المتحدة تدفعها بعدم إدارة ظهرها له، وتركه لإيران القوة الأكثر تأثير وفاعلية فيه، بل ستعمل وبأدوات عدة على تحجيم دور ايران في العراق والمنطقة وبمساعدة الدول الأوربية والعربية وخاصة الخليجية منها ولو بالدعم الاقتصادي، وهنا من الممكن أن نضع جملة من الاستنتاجات التي توصل لها الباحث وكالآتي:

إن للولايات المتحدة الامريكية وايران مصالح ومشارع حيوية في المنطقة، وكلاهما يسعى لتحقيقها، مع فارق المقاربة في قوة وقدرة ومستوى التأثير بين الطرفين، وإن الصراع بينهما ليس صراعاً تحكمه المصالح الأمريكية الايرانية الضيقة في منطقة الشرق الأوسط فحسب، بقدر ما هو

[62] فارس خطاب، الصراع الأمريكي الإيراني واثاره على الوضع السياسي في العراق، منشور على شبكة المعلومات العالمية ومتاح على الرابط: https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2019/09/190926105511437.html

صراع ذو أبعاد دولية يؤثر في مصالح الدول الكبرى مثل روسيا والصين وكذلك أوروبا في المنطقة، بل هو جزء من الصراع لفرض الهيمنة الأمريكية على النظام العالمي.

أن ثمة دوافع وابعاد للصراع الامريكي الايراني في العراق والتي تزيد من حدة الصراع ومنها البرنامج النووي الايراني وتزايد نفوذ ايران في العراق والتحالف الروسي الايراني الذي نتج عنه زيادة التعاون العسكري والأمني بينهما، فضلاً عن الشراكة الاستراتيجية الصينية مع ايران وتوجه الصين حيال المنطقةوغيرها.

إن الادارات الامريكية المتعاقبة اعتمدت استراتيجيات وأدوات متعددة للتعامل مع الملف النووي الايراني وهذه الادوات تراوحت بين الصلبة والخشنة واللينة بغية التوصل الى سبيل لعلاج هذه المسألة.

إن حالة التصعيد والتهديدات التي يشهدها الصراع الدائر بين الولايات المتحدة الأمريكية وايران سيأخذ أشكالا متعددة من المشاهد والتي تتراوح بين مشهد الاستمرار والتغيير ومشهد التراجع والحرب ومشهد ثالث يقوم على الضغط والانفراج نحو التفاوض.

عجز صانع القرار العراقي من الوقوف على الحياد التام بين طرفي الصراع والعمل على ابعاد العراق كلياً عن دائرة الصراع، الامر الذي انعكست تداعيات هذا الصراع على سيادة وهيبة الدولة العراقية فضلاً عن عدم الاستقرار السياسي والامن والتدهور الاقتصادي وتردي الجانب الخدمي في كافة المجالات والصحية والثقافية والاجتماعية وغيرها.

إن المخطط المرسوم للمنطقة خطير وكبير يقوم على إعادة هيكلة وترتيب الأوضاع في الشرق الأوسط بما يخدم المصالح الدولية والاقليمية وقطعاً سيكون على حساب مصلحة العراق وشعبه، إلا أن الأمل بالله تعالى كبير بأن يحبط نواياهم الخبيثة ومخططاتهم الدنيئة، ومن ثم بقوة وعزيمةالعراقيين الشرفاء الوطنيون بمختلف فئاتهم وانتماءاتهم ووحدة صفهم، أولئك الذين يجعلون من الوطن قلبهم النباض ومصلحته قبل كل شيء.

الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية في ظل مجتمع مأزوم: دراسة انثروبولوجية للمجتمع العراقي بعد 2003

د. حارث علي العبيدي*

الملخص

إن الانسان بوصفه مُخترع الثقافة وبانِ المجتمع ومُبتكر الحضارة وصانع المدنيّة، لا يمكن له ان يواجه التحديات المختلفة والمتنوعة التي تصاحب المراحل التاريخية والحضارية، الا بمنظومة قيمية ذات مصفوفة من المفهومات التي تحمل دلالات ومعانٍ ورمزيات متعددة الأبعاد. وهذه تأخذ صفة الخصوصية الثقافية التي تكون نتاج تفاعل وتراكم عوامل تاريخية ذات أبعاد بيئية واقتصادية وسياسية ودينية واجتماعية. وهذه الخصوصية الثقافية بمعناها المحلي، تشكل حزمة الثقافات الفرعية التي تصب في روافدها في بودقة الثقافة الوطنية، التي تقوم على تشكل الهوية الوطنية النابعة من تفاعل الهويات المحلية المُنصهرة تحت مظلة مفهوم ثقافة المواطنة. بوصفها الآصرة والرابط الذي يجمع أفراد المجتمع بمختلف مرجعياتهم وأطيافهم العرقية والدينية واللغوية والقومية، والتي ترسم الهوية الوطنية (الأم).

لعل الخصوصية الثقافية في المجتمع، يمكن ان تلعب دورا مهما في حمل ونشر وتعزيز القيم والمُثل العُليا والمبادئ السامية، وتنمية روح المواطنة أمام مختلف التحديات.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الثقافة، المجتمع، الأزمة

* أستاذ الانثروبولوجيا المساعد، دكتوراه من جامعة الموصل. يعمل حالياً استاذ في قسم علم الاجتماع بكلية الآداب في جامعة الموصل، العراق.

National identity and cultural privacy in a crisis society An anthropological study of Iraqi society after 2003

Dr. Harith Ali Al-Obaidi

Abstract

Human as the inventor of culture, the builder of society, the innovator of civilization and the maker of civilization, cannot face the various and varied challenges that accompany the historical and civilizational stages, except with a value system with a matrix of concepts that carry multidimensional connotations, meanings and symbols. This takes the character of a cultural specificity that is the result of the interaction and accumulation of historical factors with environmental, economic, political, religious, and social dimensions. This cultural specificity, in its local sense, constitutes a package of sub-cultures that flow into its tributaries, in the puddle of national culture, which is based on the formation of the national identity stemming from the interaction of local identities fused under the umbrella of the concept of citizenship culture. As the bond and link that unites the members of society with their various references and their ethnic, religious, linguistic and national spectra, which draws the national identity (the mother). Perhaps cultural privacy in society can play an important role in carrying, spreading and strengthening values, ideals and lofty principles, and developing the spirit of citizenship in the face of various challenges.

Key words: identity, culture, society, crisis

المقدمة

تتصف الثقافة بأنها الكل المركب من القيم والعادات والتقاليد والأفكار واللغة والأدوات والفنون وكل ما يكتسبه الفرد بوصفه عضو في مجتمع معين، كنتاج لتفاعل عوامل مختلفة ومتنوعة منها، تاريخية وبيئية ودينية واقتصادية وسياسية واجتماعية. وعليه سيختلف نمط الثقافة باختلاف هذه العوامل والظروف من مجتمع إلى آخر. وتتفرع الثقافة العامة إلى ثقافات فرعية ومحلية متعددة داخل المجتمع الواحد، لها سماتها وخصائصها ضمن الاطار الثقافي العام للمجتمع والتي تشكل الهوية الوطنية. والتي تستمد ديمومتها وقوتها من خلال اهم الأواصر الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التي تربطها والتي تتجلى بالمواطنة عبر التاريخ الحضاري. ان هذه الثقافات الفرعية تواجه تحديات قد تهددها في اتجاهين، **الاول** يتعلق بكينونتها وخصوصيتها ووجودها، واما الثاني فيمس علاقتها ونسيجها وارتباطها بالمكونات الثقافية الاخرى التي تشكل الثقافة الأم. وبنظرة متفحصة الى واقع الثقافات المحلية في مجتمعنا العربي سنرى ملامح القلق على مستقبل وجودها وخصوصيتها وسماتها من القيم والعادات والتقاليد واللغة والمعتقد. بسبب الحروب والصراعات التي شكلت تهديدا لها مما جعلها تتخذ مواقف جديدة غامضة منها التقوقع نحو الذات والاتجاه الى الداخل، او الهروب الى الامام بالتضامن الدفاعي بقصد الحد والتخفيف من الضغوطات الداخلية التي تتجلى بالفتن الطائفية والصراعات المذهبية، او الخارجية القادمة والحاملة لمشاريع التقسيم والتجزئة وتمزيق النسيج الاجتماعي واعادة رسم الخارطة الاجتماعية والثقافية والسياسية. هذه الدراسة تهدف إلى الوقوف على الواقع الثقافي العراقي لا سيما في ظل العواصف الأمنية والحملات العسكرية التي ضربت مفاصل المجتمع وأركانه، والتي قد تهدد وحدته، ومعرفة مدى تأثيرها وانعكاسها الآني والمستقبلي على العلاقة بين الثقافات الفرعية. وتضمن البحث ثلاثة مباحث مع مقدمة وخاتمة.

المبحث الأول / الإطار المنهجي للبحث

أولا : تحديد مشكلة البحث

لكل مجتمع نظام اجتماعي ونمط ثقافي يحدد صورة الحياة اليومية ويرسم الخارطة الاجتماعية فيه. الثقافة تتضمن كل ما يكتسبه الفرد من عناصر ثقافية مادية كانت أم معنوية بوصفه عضو في مجتمع معين، تكون محصلة تراكم وتفاعل عوامل يمكن أن تشكل الاطار الثقافي العام، الذي يتفرع إلى ثقافات محلية فرعية قد تلتقي بعدد من السمات والخصائص، لتشكل نسيجا اجتماعيا للمجتمع. لان الثقافات الفرعية يمكن أن تختلف في الخصوصيات وتتشابه في العموميات. وعموما فإن الثقافة التي تضم كل ما صنعه الإنسان أينما وجد، وترتبط بحاجاته ارتباطاً وثيقاً، وهذه الحاجات رغم تنوعها واختلافها وتعددها تخضع لظاهرة التغير الذي يعد قانون الوجود. والناتج بفعل عدد من العوامل الداخلية والخارجية التي تجعل المجتمع يتثاقف ويتلاقح مع المجتمعات الأخرى، فيصدر ويقتبس ويقترض أنماطا وعناصر ثقافية مادية ومعنوية، مما يؤثر نسبيا في المنظومة القيمية للثقافة ومعاييرها، كالتسامح والتعايش ورفض الإقصاء والتهميش وقبول

واحترام الآخر وحريته في الدين والمعتقد واللغة والقومية، فضلا عن الولاء والانتماء للوطن والأمة تحت مظلة المواطنة لتحقيق أهداف الفرد والمجتمع.

إن هذا الواقع الاجتماعي والثقافي ساد مجتمعنا العراقي تاريخيا وحضاريا، إلا انه اليوم أمام تحديات عدة، سيما وان مجتمعنا يشهد تحولات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية سريعة، بفعل الاحداث المتسارعة بعد أن كان مغلقا معزولا قبل عام 2003. وما تبعه من تحديات داخلية وإقليمية هددت وحدته، وخارجية تهدف إلى إذابة وتلاشي الثقافات الفرعية المحلية بقيمها الاجتماعية ودينية وأخلاقية. وتأسيسا على ذلك تتمحور مشكلة البحث في التساؤلات: ما طبيعة ونمط ثقافتنا العراقية؟ ما التعددية الثقافية والتنوع الثقافي في مجالهما الاجتماعي والثقافي؟ ما تأثير ذلك على واقعه الاجتماعي والثقافي؟ ما علاقة التعدد والتنوع الثقافي بمفهوم المواطنة؟ ما الأبعاد والانعكاسات لهذه العلاقة على الحياة الاجتماعية اليومية؟

ثانيا : أهمية البحث

إن أهمية البحث تتجلى في الإضافة العلمية التي قد يقدمها البحث في مجال الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية اللاحقة التي تهتم بالتعددية الثقافية والتنوع الثقافي في ظل مفهوم المواطنة. وكذلك مدى توظيف نتائج البحث في مجال التنمية السياسية والاجتماعية والثقافية.

ثالثا : أهداف البحث

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع العراقي وعلى أنماط ثقافته العامة وثقافاته الفرعية، ومعرفة التغيرات التي طرأت على خارطته الاجتماعية والثقافية. فضلا عن توضيح نمط علاقة هذه التغيرات مع مفهوم المواطنة والهوية بمضامينهما وأبعادهما.

رابعا : منهج البحث

اعتمد الباحث على منهج الفهم الذاتي في الرؤية والتحليل، وكذلك منطلقات الاتجاه السوسيوانثروبولوجي كمدخل نظري للدراسة من خلال المزاوجة بين علمي الاجتماع والأنثروبولوجيا.

خامسا : تحديد المفاهيم العلمية

سيحددها الباحث في ثنايا المباحث بحسب موضعها لاحقا.

المبحث الثاني / المواطنة والثقافة

تمهيد

إن الثقافة في أي مجتمع وشعب تشكل نمط الحياة الاجتماعية اليومية في واقعه، ومن سماتها الاستمرار والانتقال والتغير. وفي عمومها تحتوي ثلاث فئات، الأولى تسمى بالعناصر العامة، وتشمل الأفكار والعادات والاستجابات العاطفية المشروطة التي يشترك فيها جميع الأعضاء البالغين العاقلين في المجتمع، وتسمى الثانية بالعناصر التخصصية ويشترك فيها أعضاء جماعات معينة من

الأفراد التي تحظى باعتراف المجتمع، في حين تسمى الثالثة بالعناصر البديلة، وتشمل أفكار وعادات خاصة[1]. ومع توحد محتوى الثقافة فإنها تتصف بالتنوع والتعددية بحسب طبيعة الشعوب والمجتمعات، واختلف العلماء في تحديد ماهية التنوع والتعدد. فمنهم اعتمد معايير معينة، وآخر أكد على أن التنوع يقوم على الاختلافات بين السلالات البشرية لاختلاف عقليات الشعوب، ومنهم من عارض هذا وأكد على اختلاف البيئات منطلقا من وحدة العقل البشري، في حين أكد آخرون على العوامل التاريخية برفض عاملي البيئة والعنصر البشري[2]. إذن إن المعايير التي وضعها العلماء لفحص مضمون الثقافة تتحدد في البيئة والعنصر البشري والتاريخ، وان المسألة نسبية في تأثير هذه العوامل على تشكيل الثقافة وسماتها.

الحياة الاجتماعية Social life

إن تفاعل الأفراد والجماعات في إطار المؤسسات المجتمعية المختلفة والمتنوعة والمتعددة تتجلى بشكل نشاطات اقتصادية وسياسية ودينية وتربوية واجتماعية، وهذه المناشط ترسم صورة معينة ومحددة لنمط الحياة الاجتماعية داخل المجتمع، بوصفها أسلوب الحياة وطرائق المعيشة وأنماط السلوك والعلاقات الاجتماعية التي يكونها الأفراد داخل المجتمع، سواء كان المجتمع مجتمعا محليا أو مجتمعا كبيرا، يمكن أن تعد على أنها ألوان الحياة الاجتماعية الداخلية للمجتمع، وهذه الألوان تمنح المجتمع سمات متميزة تجعله يختلف عن بقية المجتمعات الأخرى[3]. وعلى هذا، فهي بما تتضمنه من لغة وأفكار وسلوك وقيم وأنماط الشخصية سترسم صورة المجتمع وتحدد الإطار العام لخارطته الاجتماعية. وهذه الألوان تمنح المجتمع سمات متميزة تجعله يختلف عن بقية المجتمعات الأخرى[4]. وكذلك ستشكل بنية المجتمع وثقافته العامة والفرعية، والتي تتجلى منها الهوية التاريخية والحضارية، وبالتالي فان أي تغيير يصيب أي جزء أو مفصل سيؤدي إلى تشويه هوية المجتمع وإضعاف النسيج الثقافي بين مكوناته.

المواطنة Citizenship

إن المواطنة هي صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته داخل مجتمعه، ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التنشئة بأنماطها الاجتماعية والسياسية والوطنية، وتتميز بنوع خاص من الولاء وخدمة الوطن في أوقات السلم والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين عن طريق العمل المؤسساتي والفردي الرسمي في تحقيق الأهداف المجتمعية. وكذلك هي علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة متضمنة مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات وتفرض عليه حقوقاً سياسية، مثل حقوق الانتخاب وتولي المناصب العامة. أي بعضوية كاملة في دولة. وان ثقافة المواطنة لا تُورث بل تُكْتَسَبْ عبر قنوات عدة، منها داخلية من خلال التنشئة السياسية، وأخرى خارجية قادمة بالمثاقفة. ويعتقد علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا والاقتصاد أن الثقافة المادية

[1] رالف لنتون، دراسة الإنسان، ترجمة عبد الملك الناشف، منشورات المطبعة العصرية، بيروت ، لبنان، 1967, 360-362.

[2] مدكور، إبراهيم، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1975, ص 188.

[3] الحسن، إحسان محمد، موسوعة علم الاجتماع، الدار العربية للموسوعات، لبنان، 1999, ص 260.

[4] سعيد، علي احمد، أدونيس، صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت، ص 260 .

والحضارية والاقتصادية أكثر ذيوعا وانتشارا من الثقافة اللامادية أو الثقافة المرتكزة على الإيديولوجية العقائدية[5]. وان الأفراد اقل مقاومة للتغير في العناصر المادية للثقافة وأكثر قبولا لها وإقبالا عليها، على عكس العناصر المعنوية، إذ أن من الملاحظ والثابت أنهم يقاومون هذا التغير ويعارضونه معارضة شديدة[6]. لان الناس عموما يفضلون التمسك بالتراث وعدم تغييره بالواقع الجديد إلا اذا ثبت فائدته. والأدوات المادية عموماً أسرع في انتشارها من الأفكار التي يتطلب انتشارها تغيرات أقوى في طراز القيم الموجودة في المجتمع المستعير[7].

الثقافة culture

اهتم العلماء والباحثين في العلوم الإنسانية في مصطلح الثقافة، ولم يألوا جهدا في ذلك لأهميتها ودورها في الحياة الإنسانية. واخذ كل منهم اتجاه معين في تعريفها وتوضيح سماتها بحسب الاهتمام والتخصص العلمي وموضعها فيه. وعلى العموم هناك اتجاهين نظرا إلى تعريف الثقافة، الأول وجد أن الثقافة تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والإيديولوجيات وكافة الإنتاج العقلي، أما الاتجاه الثاني فيرى أن الثقافة تشير إلى النمط الكلي لحياة شعب من الشعوب، ويدخل في نطاق هذه الحياة العلاقات الشخصية بين الأفراد[8]. وكذلك الثقافة تستخدم للإشارة إلى الجمع الكلي للاتفاقات التي يشترك فيها أعضاء مجتمع معين، وتتضمن هذه كل وجهات النظر المشتركة التي تحدد ما هو حقيقي وما هو جيد، وما هي أنواع السلوك التي يمكن للناس توقعها من احدهم الآخر[9]. ونظرا لدور الثقافة في حياة الإنسان اليومية فقد كانت محور المهتمين. وعرفها العديد منهم، فالعالم تايلور عرف الثقافة أو الحضارة بإطارها الاثنوجرافي الواسع، وهي "الكل المعقد الذي يجمع المعرفة والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعادات وأية قدرات سلوكية اكتسبها المجتمع البشري"[10]. أما العالم بواز Boas فعرفها على أنها "تضم كل مظاهر العادات الاجتماعية في جماعة ما، وكل ردود أفعال الفرد المتأثرة بعادات المجموعة التي يعيش فيها، وكل منتجات الأنشطة الإنسانية التي تتحدد بتلك العادات"[11]. ويمكن أن تشكل الثقافة " الوعاء الذي يضم الآثار الفنية والبضائع والوسائل التقنية والأفكار والسلوكيات والقيم"[12]. وتعني كذلك مجموعاً (من العناصر)، له علاقة بطرائق التفكير والشعور والسلوك، وهذه الطرائق صيغت في قواعد واضحة نوعا ما والتي- كون جمع من الأشخاص قد اكتسبها وتعلمها وشارك فيها- تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن معاً من اجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة[13]. وتشمل مجموعة من الممارسات والتصورات المرتبطة بهويات شتى، ثقافات المهن، ثقافات الاثنيات،

[5] الخشاب، احمد، دراسات انثروبولوجية، دار المعارف، مصر، 1971, ص74-75.

[6] الساعاتي، سامية، الثقافة والشخصية، مركز الكتب الثقافية، مصر، 1983, ط2, ص83.

[7] كلاكهون، كلايد، الإنسان في المرآة، ترجمة شاكر مصطفى سليم، مؤسسة فرانكلين، بغداد- نيويورك، 1949, ص104.

[8] حجازي، سمير سعيد، معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظرية الثقافة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2006, ص183.

[9] عبد الحسين، لاهاي، مصطلحات ونصوص سوسيولوجية باللغتين العربية والإنكليزية، جامعة بغداد، ص107.

[10] Alvin L. Bertrand. Basic Sociology, Louisiana State University, Appleton-century-crofts, New York, 1973, p.89.

[11] Boas. F, "Anthropology" Encyclopedia of social sciences. Vol, 2, New York, 1930, p.73:110.

[12] Encyclopedia of social sciences the Macmillan. New York, 1962. p.621.

[13] روشيه، غي، مدخل إلى علم الاجتماع العام، تعريب مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، بيروت، 1983, ص137.

الثقافات الخاصة بكل فئة من فئات العمر، الثقافات المحلية، الخ[14]. أما مفهوم الثقافة الفرعية فيشير إلى الأنماط الثقافية التي تميز شريحة ما من سكان المجتمع[15]. ويمكننا أن نعرف الثقافة على أنها مجموعة العناصر الثقافية المادية والمعنوية التي يكتسبها الفرد خلال حياته بوصفه عضوا في مجتمع معين، بغض النظر عن نمط وطبيعة المجتمع الذي يعيش فيه، بدائيا كان أم معاصرا.

سمات وخصائص الثقافة

رغم أن الثقافات تتباين بصورة عظيمة، فأن لدى جميعها مقومات مشتركة تتضمن **الاعتقادات** وهي أفكار حول ما يعتقد أنه حقيقي، و**الرموز** التي تتمحور حول أي شيء يحمل معنى محدد يتم التعرف عليه من قبل الناس الذين يشتركون بثقافة، و**اللغة** التي تشكل نسقا للرموز التي تسمح للناس بالاتصال لاحدهم بالآخر، و**القيم** التي تعد مقاييس محددة ثقافيا لما هو مرغوب به، الخير والجمال والتي تعمل كخطوط واسعة للهداية والإرشاد للكائنات الاجتماعية، والقيم من وجهة نظر الثقافة هي عبارات حول ما يجب أن يكون، فضلا عن **المعايير** بوصفها ضوابط وتوقعات يوجّه المجتمع من خلالها سلوك أعضائه، بمثل ما يتعلم الناس المعايير الثقافية، فإنهم يكتسبون القدرة على تقييم سلوكياتنا[16]. فالثقافة وجدت مع وجود الإنسان مؤسس المجتمع، فلا ثقافة بدون مجتمع، ولا مجتمع بلا ثقافة بوصفها أسلوب حياة أفراد المجتمع ومجمل تراثه الاجتماعي المكتسب عبر الأجيال، على اختلاف طبيعته وأنماطه، سواء أكان بدائيا أم متقدما، ريفيا أم بدويا أم حضريا، ومن هنا تختلف وتتنوع سمات وخصائص الثقافة. فهي **إنسانية اجتماعية**، الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، أي انه لا يستطيع العيش بمفرده، وإشباع حاجاته المتنوعة والمختلفة. وعليه إن الثقافة اجتماعية بطبيعتها بمعنى أن الأفراد الذين يعيشون في جماعات أو مجتمعات منظمة لابد أن يشتركوا في ثقافة معينة وهي التي تجعلهم يميلون إلى أداء الأفعال بالطريقة نفسها تقريبا[17]. وهي كذلك أفكار يخترعها العقل البشري وينفذها الإنسان بأعضائه ويغيرها من الأدوات والآلات التي يصنعها، ولا خلاف على أن العقل (القدرة على التفكير والاختراع) هو قدرة خاصة بالإنسان وحده[18]. وهي **مكتسبة** لان الثقافة موروثة اجتماعيا عبر الأجيال من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وإخضاع الفرد لسلسلة من التفاعلات الاجتماعية في إطار البيئتين الاجتماعية والإيكولوجية. فتنتقل من جيل إلى جيل في شكل عادات وتقاليد ونظم وأفكار ومعارف يتوارثها الخلف عن السلف عن طريق الوسائل المادية والرموز اللغوية، كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي إلى آخر[19]. وإن الثقافة دائما **إشباعية** وقد تعد مجزية، وهذه نتيجة مستخلصة من المبدأ السيكولوجي الحديث بشأن المنبه والاستجابة، فالثقافة تتكون من عادات، ولقد اثبت علم النفس أن العادات لا تدوم ولا تترسخ إلا بقدر ما تجد

[14] مجموعة مؤلفين، المطول في علم الاجتماع ، إشراف ريمون بودون، ترجمة د. وجيه سعد، ج2, الهيئة السورية العامة للكتاب, وزارة الثقافة, سوريا, 2007, ص 254.

[15] عبد الحسين، لاهاي، المصدر السابق، ص109.

[16] ينظر عبد الحسين، لاهاي، المصدر السابق، ص108-109.

[17] حجازي، سمير سعيد، المصدر السابق، ص182.

[18] الخطيب، محمد، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار علاء الدين، دمشق، 2005, ص22.

[19] حجازي، سمير سعيد، المصدر السابق، ص182.

إشباعا[20]. والثقافة **تكيفية توافقية** أي تتكيف عن طريق الاستعارة والتنظيم وذلك بالنسبة للبيئة الاجتماعية للشعوب المجاورة وتتكيف تبعا للتغيرات التي تطرأ على مظاهر المتطلبات البيولوجية والسيكولوجية للفرد[21]. وتتوافق مع البيئة الجغرافية والاجتماعية والبيولوجية والسيكولوجية، فكلما تغيرت ظروف الحياة عجزت الأشكال التقليدية عن توفير القدر اللازم من الإشباع، ومن ثم فهي تنكمش، وكلما طهرت حاجات جديدة وأصبحت موضع اقتناع، استخدمت توافقات ثقافية لإشباعها[22]. والثقافة متغيرة خاضعة لقانون **التغير** الذي تخضع له جميع مظاهر الكون[23]. والثقافة **كلٌّ أو نسيج متداخل** أي لا تتكون من مجموعة من الأعمال والأفكار المنعزلة عن بعضها وإنما تتكون من كل متداخل العناصر والقطاعات[24]. وهذه القطاعات مختلفة ومتنوعة لكنها تأخذ شكل الاختلاف الذي يؤدي إلى التكامل. فكل قطاع له وظيفة تختلف عن وظيفة القطاع الآخر، لكنها تكمل دورها في عملية إشباع الحاجات الإنسانية، فلا يمكن الاستغناء عن احدها، بل وجودها شرط لوجود الآخر.

الهوية

تعد الهوية من أكثر القضايا حساسية في نشأة المجتمعات واستمرارها، بل هي من أكثر المفاهيم حضورا في حقول العلوم الإنسانية، إذ هي حاضرة في تخصصات الأنتروبولوجيا والسوسيولوجيا وعلوم السياسة وغيرها. وتبدو كلمة الهوية لغويا كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه ياء النسبة لتدل الكلمة على ماهية الشخص أو الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه ومميزاته التي يعرف بها. وجاء في التعريفات للجرجاني أن الهوية هي "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"[25]. والهوية من الناحية الفلسفية "تعبر عن ضرورة منطقية بعينها فهي تؤكد أن الموجود هو ذاته دوما لا به ما ليس منه فهو عين ذاته كما تقول مقولة الهوية، فالشخص هو مهما اعتراه من تغييرات"[26]. والهوية من منظور علم النفس " أن يكون الشيء لنفس الشيء أو مثيله من كل الوجوه الاستمرار والثبات وعدم التغير"[27]. أما اصطلاحا "فهوية الإنسان أو الثقافة أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها، ولما كان في كل شيء من الأشياء - إنسانا أو ثقافة أو حضارة - الثوابت والمتغيرات فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها دون أن تخلي مكانتها لنقيضها"[28]. وعليه إذن فالهوية هي الخصوصية والاستمرار والتفرد "فما يميز هوية كل منا كونها فريدة غير قابلة للاستبدال وغير متشابهة مع غيرها"[29]. ويذكر محمد عمارة أن الهوية جماع ثلاثة عناصر: العقيدة التي توفر رؤية للوجود واللسان الذي يجري التعبير به والتراث الثقافي الطويل المدى[30]. وإذن فالدين هو وجه من وجوه الهوية بل إن هذه الهوية الدينية هي

[20] الخطيب، محمد، المصدر السابق، ص28.

[21] حجازي، سمير سعيد، المصدر السابق، ص182.

[22] جابر، سامية محمد، علم الإنسان، دار العلوم العربية، بيروت، 1990, ص29.

[23] حجازي، سمير سعيد، المصدر السابق، ص182.

[24] المصدر نفسه، ص24.

[25] علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، د.ت، ص216.

[26] محمود سمير المنير، العولمة وعالم بلا هوية، دار الكلمة للنشر، مصر، 2000, ص146

[27] صموئيل هينتنجتون، صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، ط2, 1999, ص146.

[28] محمد عمارة، مخاطر، العولمة على الهوية الثقافية، نهضة مصر، 1991, ص6.

[29] أمين معلوف، الهويات القاتلة، ترجمة نهلة بيضون، دار الفرابي، لبنان، 2004, ص32.

الأبرز وهي السمة الجوهرية لثقافة أية أمة. لكن هذه الهوية تصدعت وبدأت تتهاوى جراء تأثير عولمة الاتصال التي زعزعت الثوابت العقدية والأنماط السلوكية والأعراف والتقاليد.

التعددية الثقافية cultural pluralism

إن مفهوم التعددية الثقافية يطلق على بعض المجتمعات التي تتعايش فيها ثقافتان أو أكثر، فتتسم لذلك بعدة ثقافات أو بتعددية ثقافية[31] وهي لا تكتفي بالتشديد على التسامح فحسب، بل تذهب ابعد من ذلك فتدعو لتعلم احترام حقوق الآخر ومنها حق المغايرة والاختلاف[32] ويؤكد عالم الأنثروبولوجيا **ترنيس ترنر** على أن التعددية الثقافية على خلاف الانثروبولوجيا هي بصفة أساس حركة تدعو إلى التغيير[33] وقد يتجه المفهوم من التعددية الثقافية إلى التعددية الحضارية لأنها تقوم على أكثر من عامل كاللغة أو العرق، فيكون التنافر الثقافي قائم على اللغة أو العرق إذا ما علمنا أن اللغة ليست مجرد أداة للتعبير والاتصال فحسب ، بل وعاءً ضخماً للمعارف والتصورات للكون والعالم، تتناسق فيما بينها بمنطق واحد محدد، مثل المجتمع السويسري القائم على ثلاث ثقافات تفصلها اللغات الألمانية والفرنسية والايطالية، أما العرق فمثال ذلك مجتمع جنوب أفريقيا يتكون من ثقافة البيض الآتية من الغرب هي غير ثقافة السود ذات الجذور الزنجية والآتية من عمق التجربة الأفريقية[34].

إن كثير من العلماء ينظر إلى التعددية بوصفها فرصة سانحة، ومع ذلك فان التعددية الثقافية قد تمثل تحديا أكثر تدميرا نظرا إلى أنها ترجمة لبعض الأفكار الأساس حول الثقافة من تلك التي قد يؤديها الانثروبولوجيون لكن بطريقة تركز على الفروق الفردية ومن ثم فإنها تثير مشكلات مقلقة حول الدلائل الضمنية لنظرائهم، مع الاعتراف بان التعددية الثقافية ليس حركة اجتماعية مترابطة[35]. فالتعددية الثقافية القائمة على الاختلاف ذات نظرة تتجه نحو الداخل وتأخذ المصلحة الذاتية بعين الاعتبار ومشحونة بالفخر بأهمية ثقافة بعينها وادعائها بالتفوق، في حين أن التعددية الثقافية النقدية تتجه إلى الخارج وهي منظمة لتحدي التحيز الثقافي للطبقة الاجتماعية السائدة وترمي إلى الكشف عن موطن الضعف في الخطاب السائد[36] يتبين من هذا إن التعددية الثقافية تؤكد على الثقافات المتعددة بين المجتمعات أو داخل المجتمع الواحد. وهذه المجموعة من الثقافات تختلف من حيث السمات الخاصة والعامة.

---

[30] المصدر نفسه، ص46.

[31] معتوق، فريدريك، معجم العلوم الاجتماعية. دار أكاديميا، بيروت، لبنان، 1998, ص118.

[32] بركات، حليم، المجتمع العربي في القرن العشرين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001, ص60.

[33] كوبر، ادم، الثقافة في المنظور الأنثروبولوجي، ترجمة تراجي فتحي، عالم المعرفة، الكويت، 2008, ص247.

[34] ينظر فريدريك معتوق، المصدر السابق، ص 118.

[35] ادم كوبر ، المصدر السابق، ص 251.

[36] المصدر نفسه، ص 252.

التنوع الثقافي cultural determinism

إن موضوع التنوع الثقافي من بين الموضوعات التي حظيت باهتمام علماء الانثروبولوجيا خاصة فيما يتعلق بمدى هذا التنوع وارتباطه والعوامل المؤدية إليه، وهناك نظريات تفسر هذه الظاهرة بالاعتماد على المنظور التاريخي وأخرى تميل إلى دراستها من وجهة النظر البنائية الوظيفية، فيما نجد نظريات أخرى حتمية تعتمد على عامل وحيد وتتحدد هذه الحتمية صورا متعددة منها، الحتمية الجغرافية والاقتصادية وكذلك يهتم علماء الانثروبولوجيا بتصنيف الثقافات إلى نماذج مختلفة يمكن معها الإحاطة بالتنوع الثقافي الملاحظ في مجتمعاتها الإنسانية[37] إن التنوع الثقافي cultural determinism ، يشير إلى الاختلافات الثقافية العميقة بين شعوب العالم المختلفة، أي الاختلافات بين النظم الاجتماعية والعادات والتقاليد التي تسود الشعوب، أو الاختلافات الثقافية في الشعب الواحد من عصر إلى آخر[38] فيمكن أن يكون مصدر غنى بالنسبة للبشرية جمعاء، كما يؤكد بعض علماء الاجتماع بان المجتمعات الأكثر تنوعا هي الأكثر تقدما، لان التنوع الثقافي ذي غنى ثقافي وحضاري واقتصادي واتصالي، لأنه ناتج عن تجاور ثقافات وتداخلها بفعل إرادة وفعل الإنسان[39] إن أهمية التنوع الثقافي تنبع من تبادل الخبرات والمسالك الاجتماعية والثقافية التي تلعب دورا مؤثرا في تقدم وتطور المجتمعات من خلال تجاوز مراحل زمنية تمر بها نحو التقدم الحضاري عبر عمليات التثاقف acculturation والتلاقح الفكري والصهر الثقافي والتمثيل الاجتماعيsocial assimilation في المجتمع الواحد لإنتاج نمط ثقافتها العامة وطرزها المميزة لها.

مقاربة بين التعددية والتنوع الثقافي

إن التعددية هي الحالة أو الوضعية حيث تتجاور قسرا ثقافتان أو ثلاث أو أكثر فيكون بينهم عنصر ثقافي أساسي متنافر (كاللغة أو الدين)، أما التنوع فهو تباين في التلاوين الثقافية في بلد واحد أو بقعة جغرافية واحدة ولكن دون أن يقوم عنصر تناقض بين هذه الثقافات[40]

فالتنوع يقوم ضمن إطار الوحدة وهو ضروري ومفيد جدا لتقوم كل الأطراف المشاركة فيه، اما التعددية فهي لا تقوم على الوحدة بل على التناقض وتعمل عادة على تعميق الخلافات بين الثقافات، في حين نشهد في نموذج التنوع الثقافي تعميقا لنقاط الاتقاء[41] إذن التنوع مجال لإغناء تجربة الوحدة إذا ما عرفنا كيف نوفق بين مفهومي التعدد والوحدة في مناخ من الاحترام المتبادل والحرص على الاشتراك inclusion بدلا من الإقصاء[42] exclusionوهذه العملية تقوم بين الشعوب أو داخل المجتمع الواحد من خلال عملية التثاقف، والتي تفرز مجموع الظواهر الناتجة من

[37] غيث، محمد عاطف، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1979, ص 109.

[38] مدكور، إبراهيم، المصدر السابق ، ص 188.

[39] ينظر معتوق، فريدريك، المصدر السابق، ص 116.

[40] المصدر نفسه ، ص 118.

[41] المصدر نفسه ، ص 119.

[42] بركات، حليم، المصدر السابق، ص 60.

تماس موصول ومباشر بين مجموعات أفراد ذوي ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغيرات في النماذج patterns الثقافية الأولى الخاصة بإحدى المجموعتين أو كليهما[43] ونستدل من هذا أن العلماء انقسموا في آرائهم في ما يتعلق بالتنوع والتعددية الثقافية من أنهما وسيلة توحيد أم تفريق وتفكيك.

المبحث الثالث / واقع التعددية والتنوع الثقافي العراقي

تمهيد

إن المجتمع العراقي بمكوناته الاجتماعية وثقافاته الفرعية القادمة من عمقه الحضاري في سومر وبابل وآشور، والذي يمتد إلى الألف الرابع قبل الميلاد، من تفاعل سماتها وخصائصها عبر عملية الاحتكاك والتثاقف والتي شكلت حضارة وادي الرافدين بجانبيها المادي والمعنوي وما قدمته من انجازات للبشرية، كالقراءة والكتابة والقانون وحقوق الإنسان. إن هذه الحضارة بتاريخها وايكولوجيتها وثقافتها هي **واحدة** لا متعددة، أخذت مركز الريادة بين نظيراتها من الحضارات الإنسانية الأم، لكنها **بألوان** متنوعة وفقا لمراحلها التاريخية، لتنتج ثقافة مشتركة بلون المجتمع العراقي، وان حيازة ثقافة مشتركة هي التي تعطي مجتمعا ما " **روحه الجماعية التعاونية** "، وهي التي تمكن أعضاء ذلك المجتمع من العيش والعمل بأقل ما يمكن من الفوضى والتدخل في شؤون بعضهم البعض[44]. أي **بالتعايش** coexistence بين الثقافات المكونة للمجتمع مع بعضها البعض ، وقد يتجه هذا التعايش نحو **الانصهار** fusion بين **الطوائف** بحيث يؤثر بعضها في البعض الآخر ويفقد كل منها خصائصه ، أو نحو **الاندماج** integration بحيث يزول بعضها ويذوب في البعض الآخر[45].

الواقع الاجتماعي والثقافي في العراق

إن السؤال المطروح والذي يتعلق بطبيعة ثقافة المجتمع العراقي، هل انه متعدد ام متنوع ثقافيا؟ مما لا شك فيه وبالاستناد على النظام الاجتماعي للمجتمع العراقي ونمط ثقافته العامة وسمات وخصائص ثقافاته الفرعية فانه يتجه نحو التنوع الثقافي أكثر من التعددية الثقافية، ولأسباب عديدة منها، إن ثقافاته الفرعية التي تشكل نسيجه الاجتماعي متشابكة ومتداخلة مع بعضها البعض بخيوط ممتدة بأواصر **الدم أو المصاهرة والنسب، والقومية واللغة والدين**. فالمختلف في **القومية** يلتقي **بالدين**، ومثال ذلك (**العرب - التركمان - الكرد**)، والذي يختلف في الدين يلتقي **بالقومية**، مثل (**المسلم - المسيحي**)، والذي يختلف في **المذهب** يلتقي بالعشيرة من خلال **المصاهرة والنسب**، مثل (**السنة - الشيعة**). فلا وجود لعوامل فصل بين شرائح المجتمع **كاللغة** مثلا، نجدها تتوزع مفرداتها بين الثقافات الفرعية (**الكرد - التركمان**)، وكذلك **العرق** فانه قد ضعف من خلال الانتقال و**الزواج** بين فئات المجتمع، وهكذا فلا يوجد عامل يجعل من الثقافة

[43] كوش، دنيس، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 2007, ص 93.

[44] لنتون، رالف، المصدر السابق ، ص 359. .

[45] بدوي، احمد زكي، معجم العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، لبنان، 1982, ص 68.

العراقي متعددة على أكثر من ثقافة تختلف عن بعضها البعض الآخر، بل أن التنوع داخل الثقافة الواحدة هم السائد. ولهذا فشلت كل مشاريع الاحتلال بإثارة فتنة الحرب الأهلية بين مكونات المجتمع، لأنه لا يمكن أن تحدث داخل الأسرة الواحدة أو العشيرة الواحدة.

وهكذا فان كثير من الروابط جعلت من المجتمع العراقي سبيكة صلدة نتجت من **صهر اجتماعي** social assimilation **وصهر ثقافي** cultural assimilation للعديد من التنوعات الثقافية عبر تاريخ حضارة وادي الرافدين، مهد الحضارات الإنسانية في **سومر وأكد وبابل وآشور**، كما أنصفها الكثير من المؤرخين وعلماء الآثار الغربيين قبل الشرقيين، وأبرزهم العالم الإنكليزي **كريمر Krimmer** في كتابه (هنا بدأ التاريخ - سومر)، حينما اكد بشواهد وأدلة مادية دامغة على فضل الحضارة العراقية على الإنسانية جمعاء بوصفها أم الحضارات في العلم وحقوق الإنسان والقانون والطب والأدب والتسامح والتعايش بين أفراده ومكوناته. وان أطياف المجتمع العراقي صهرت بفعل عدة عوامل تاريخية وبيئية واقتصادية ودينية واجتماعية وثقافية، فلا يمكن تفتيتها وإرجاعها إلى عناصرها الأولية المكونة له، لأنها ستفقد سماتها وخصائصها التي تشكل **الهوية الاجتماعية والثقافية والحضارية** لأفراد المجتمع العراقي بين الأمم والشعوب. إن بعض الأصوات التي تطلق هنا وهناك تنادي بوصف المجتمع العراقي على انه تعددي لا يصيب الحقيقة، لانها قد تبغي من ذلك تقسيمه وتجزئته وتفتيته لإضعافه، حتى وان غلفه بمفاهيم وأطر براقة في ظاهرها، مستوردة بمضمونها، ودخيلة بقيمها ومبادئها، لأهداف فئوية ومناطقية وجهوية خاصة وضيقة.

فهل يصح أن يفتت الواحد إلى متعدد ثم يعاد تركيبه وتوحيده وتجميعه، فهو كالذي يريد كسر الزجاج، ثم إصلاحه ولصقه بعناصر معنوية ومفاهيم كمصطلحات الفيدرالية والاتحادية، لتعطي صورة مشوهة هجينة غريبة ، بدل صورته وهويته التي تتسم بالأصالة والعمق الحضاري والتي تحتل مكانتها في ريادة الحضارات الأم. وان ثقافاته الفرعية بألوانها تشكل أجزاء جسده المادي والمعنوي في طرازه العمراني وبيئته وقيمه وعاداته وتقاليده وعرفه.

في ظل التنوع والتعددية الثقافية في المجتمع الغربي مع الاختلافات الكثيرة في اللغة والدين والقومية والتاريخ والبيئة، نرى أوربا قد توحدت والشعب الأمريكي بتنوعه وتعدديته الثقافية، يحتفظ بثقافة تجمعهم دون فوضى ولا تفقدهم شخصيتهم وتقربهم، تاركة حق الاستمتاع بهذا الاختلاف وفي الوقت ذاته الانطواء تحت لواء شعب من الشعوب في ثقافة تحتوي الجميع وتستوعبهم تحت ظل **المواطنة** لا القومية والمذهبية، فهي دولة الدول تجد فيها جميع اللغات الأصلية في العالم، ويقول الرئيس الأمريكي روزفلت " نحن هنا كلنا مهاجرون"[46] وفيها أكثر من (250) مذهب واتجاه ديني يتبع بعضها ملايين وبعضها عشرات ويعتمد بعضها على التأمل وبعضها الآخر على الصخب والصراخ[47] وبوجود تناقضات في المفاهيم إلا إن الحياة تسير وفق نظام اجتماعي ونمط ثقافي يجمع الجميع . ألا يفترض بنا إن ننظر إلى هذه التجارب الغربية على أنها تجارب تستحق

[46] سمث، براد فورد، المصدر السابق، ص25-33.

[47] المصدر نفسه، ص134.

الإفادة من ايجابياتها التي تتفق وقيمنا الأخلاقية والاجتماعية والثقافية ومعرفة سلبياتها لتجنبها والابتعاد عنها وتركها وتحصين مجتمعنا منها لتحقيق التنمية الاجتماعية والثقافية للمجتمع. فالمجتمع الغربي يتسم في عمومه بأنه متطور ومتقدم ماديا وتقنيا، متخلف ومفكك اجتماعيا.

ثقافة المواطنة..رؤية استشرافية

وعلى الرغم من هذه التحديات فهناك بالمقابل مظاهر مشرقة في ظل عولمة الاتصال قد تم توظيفها في التثقيف لمفهوم المواطنة، منها التعرف على الثقافات الإنسانية وتجاربها الديمقراطية القائمة على المساواة والتعددية والمشاركة السياسية، واقتباس قيم التسامح والتعايش وقبول الآخر والانفتاح الثقافي، وتوظيف المعرفة والعلم في الحياة الاجتماعية، من خلال المثاقفة مع الثقافات المحيطة والبعيدة. عبر متابعة المحاضرات والحوارات والندوات والأفلام الوثائقية العلمية مما يزيد من رصيدنا المعرفي في فهم وفقه العقيدة والشريعة التي تؤكد على احترام الأديان وعدم امتهان كرامتهم، بوصفهم شركاء بالوطن. كذلك اقتباس الأفراد لأنماط ثقافية في المواطنة فكرا وممارسة، من تجارب المجتمعات والشعوب الأخرى كثقافة **اللّا عنف** التي أرساها **المهاتما غاندي**، لمواجهة الاحتلال البريطاني وتأسيس الدولة الهندية الحديثة القائمة على قيم التسامح وحرية المعتقد ونبذ التطرف والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع الهندي. وكذلك تجربة الزعيم الأفريقي **نيلسون مانديلا** في التسامح العرقي وبناء دولة جنوب أفريقيا على أساس التعددية وحرية المشاركة السياسية. ومن ثم تلقينها للأجيال اللاحقة في المحافل الاجتماعية والأدبية والملتقيات الثقافية بدلا من التحاقد والتناحر والتنازع، وتكون المثاقفة على أساس فهم السلوك الإنساني للثقافات الأخرى في اطار مركبهم الثقافي وليس بمنظارنا نحن بتحليلنا وتحريمنا وأوامرنا ونواهينا. لان هذا سيزيد التباعد بيننا وبين الآخر، لتتحول المثاقفة إلى قطيعة، والتواصل والتقارب والمحبة إلى صراع اجتماعي وثقافي، له تداعيات في كل المستويات، وهو ما ترفضه النواميس والأعراف السماوية والأرضية. فعلينا التركيز على القواسم الإنسانية المشتركة والابتعاد عن المختلفات الثقافية وعدم التركيز عليها لحساسيتها في تأجيج الصراعات. وتوظيف التواصل في مجالات العمل والعلم والأخلاق وتعزيز وتدعيم قيمنا الاجتماعية والأخلاقية من خلال الانفتاح السياسي، وعرض سلبيات وإيجابيات العناصر الثقافية الوافدة إلى المجتمع ونترك حرية الاختيار للأبناء مع المتابعة والتوجيه إلى المكاسب الجمة عند صواب الاختيار وحسن الاستخدام والتوظيف، وهو ما سيشكل درعا واقيا وحصنا حصينا للنفس والروح والوجدان، سيخلق الاطمئنان على ثقافة الشباب وعلى مستقبلهم أبنائهم، لأننا غرسنا لَبَنات الثقة بالنفس والراحة والاستقرار المعنوي. من خلال يقظة فكرية مستديمة تحافظ على التواصل المستمر مع الشريك بالوطن. مما سيجعلهم يشعرون بذاتهم وكينونتهم واستقلاليتهم. وبالتالي تمتين الأواصر والروابط المجتمعية والحد من الانحراف عن المسار الوطني، لان التنشئة الاجتماعية والسياسية السوية هي التي تخلق الأمن الاجتماعي والسياسي للفرد والأسرة والمجتمع.

إن مواجهة الواقع المجتمعي بدء من التدهور الأمني وانعكاساته على الفقر والفاقة والبطالة والأمية والجهل، نرى الأم الأرملة العاملة تنجب الطبيب والمهندس والمعلم ورجل الدين وغيرهم. وكذلك الأب الكادح في عمله ووظيفته يحاول ان يضمن مستقبل أبنائه المجهول في مجتمع الحروب

والحصارات. متسلحين في ذلك كله **بثقافة انتماء وولاء للوطن لا للقومية ولا للحزب ولا للطائفة**. والاعتراف بوجود ثقافات مختلفة، واحترام حق الغير وحريته. والاعتراف بوجود ديانات مختلفة، وفهم وتفعيل أيديولوجيات سياسية مختلفة، والفعالية الاجتماعية والمشاركة في نشر السلام وإدارة الصراعات بطريقة اللا عنف. ومن الطبيعي حين يضعف النظام السياسي ويتلكأ في وظيفته بأن يكون حاضنة للتنوع، فسيكون أقرب للتسبب بإستنبات وخلق بذور العنف والتطرف والشقاق. وهذا قد يكون نتاج تراكم لإرهاصات وظروف سياسية واجتماعية وثقافية، والتي بدورها يمكن أن تؤدي لإشكالية التثقيف المناطقي والفئوي والمذهبي المتقادم الذي ساد الحياة العربية عموما والعراقية خصوصا، وهذا سيختزل الدولة بشعار يُعتمد كمرتكز للتفوق العرقي وكآلية للتسلط والاستبداد والتهميش والتفرد، وإقصاء واستبعاد الشرائح الأخرى. وهذه الثقافة ستعجز في التعبير عن تنوع الأمة وإجماعها السياسي, والتي قد تصل إلى تهديد الاستقرار والسلم الأهلي للعديد من ثقافاته المحلية، ومرشحة لتطورات قد تصيب وتزج المجتمع في أتون نزاعات طائفية، تستنزف قواه وتضعفه. والتي تتجلى مثلا في شريحة الشباب بوصفها اهم الطاقات الكامنة للقيادة والتقدم، من خلال دورها في تنمية وتعزيز قيم التواد والتواصل والتراحم والتسامح والتعايش للوصول إلى روح المواطنة بوصفها الوعاء الذي يحتوي الثقافات الفرعية المتنوعة المكونة للمجتمع. واختزال الهوة وتختزل المسافات ما بين جميع الأطراف والأطياف والمكونات الأصيلة التي تشكل الفسيفساء الوطني العراقي.

النتائج

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج ، أهمها:

1/ أن التنوع الثقافي يقوم ضمن إطار الوحدة فيما لو تم التركيز على المشتَرَكات. في حين ان التعددية الثقافيةّ تقوم على التناقض وتعمق الخلافات بين الثقافات الفرعية عندما تقوم على تعميق المختلفات بين أفرادها.

2/ إن المجتمع العراقي متنوع ثقافيا لا متعدد، بدء من ثقافته العامة التي تشكل شخصيته الوطنية وثقافاته الفرعية.

3/ إن تأثير التغيير السياسي على النظام الاجتماعي للمجتمع العراقي انعكس نسبيا على ثقافاته الفرعية والحياة الاجتماعية اليومية في مناطق متعددة، مما يجعلها تواجه تحديات داخلية وخارجية لها تداعيات خطيرة على مركبها القيمي وتنظيمها الاجتماعي.

4/ إن شرائح المجتمع تأثرت فكريا وإيديولوجيا بالعناصر الثقافية الوافدة من الخارج، مما خلق نمطا من التغريب الثقافي والاغتراب الذهني والنفسي والاجتماعي والسياسي.

5/ إن ثقافة المواطنة ضبابية الملامح ضعيفة مرتبكة وغير واضحة والسمات، بسبب الوهن والتسلط والتهافت السياسي الذي خلق نوعا من اللا مبالاة فيما يتعلق بالهوية وبالانتماء للوطن لشعورهم بالظلم الاجتماعي والاقتصادي والإقصاء والتهميش السياسي.

التوصيات

1/ التأكيد على أهمية التراث الحضاري بوصفه مشروعا صالحا لغرس مفهوم المواطنة، لما يتضمنه من قيم ومبادئ روحية ووجدانية وأخلاقية سامية، وجعلها أساس عمليات التربية والتنشئة الاجتماعية واعتمادها ركيزة مهمة ضمن المناهج التربوية في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية لتعزيز الهوية الوطنية العراقية.

2/ عقد الندوات والمؤتمرات التي تؤكد على عمق حضارة وادي الرافدين التي تتجسد في وحدة وتوحد المجتمع العراقي.

3/ إجراء الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية التي توضح سمات وخصائص ثقافة المجتمع العراقي العامة وثقافاته الفرعية، لتبيان ما فيها من تفرد وتميز وخصائص ومشتركات.

4/ الاستفادة من نتائج الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية وتوظيفها في مشاريع التنمية البشرية الاجتماعية والسياسية والثقافية.

5/ حشد إمكانيات منظمات المجتمع المدني ذات التوجهات المستقلة البعيدة عن السياسة والنابعة من داخل المجتمع العراقي في تثقيف الناس باتجاه التمسك بأصالة ووحدة المجتمع العراقي.

6/ توظيف الإعلام من خلال الحلقات النقاشية والحوارية وتعزيز الحملات التثقيفية، لما له من دور مهم في التأثير على الأحداث والمواقف التي تساهم في إحداث التغيير المجتمعي المنشود، من خلال توعية الأفراد بحسن اختيار وانتقاء البرامج البنّاءة والاستفادة منها والابتعاد عن البرامج التي تحمل الأفكار الهدّامة التي تتقاطع مع المنظومة القيمية ومعاييرها الأخلاقية والاجتماعية.

7/ حشد الجهود المجتمعية في كل مؤسسات الدولة ومنظماتها وتوظيفها في بناء الإنسان دينيا وأخلاقيا ومعرفيا وفكريا، لما للمرحلة المعاصرة من أهمية تتجلى بالغزو الثقافي والفكري المُمَنْهج.

8/ التعامل مع تيارات التغيير الاجتماعي والثقافي الخارجية ومواجهتها بالتمسك بالثوابت الوطنية، لمواكبة مسار التطور العلمي والحضاري بين المجتمعات الإنسانية.

المصادر والمراجع

(1) أمين معلوف, الهويات القاتلة, ترجمة نهلة بيضون, دار الفرابي, لبنان, 2004.

(2) بركات, حليم, المجتمع العربي في القرن العشرين, مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت, 2001.

(3) بدوي, احمد زكي, معجم العلوم الاجتماعية , مكتبة لبنان , لبنان , 1982.

(4) حجازي، سمير سعيد، معجم مصطلحات العلوم الإنسانية ونظرية الثقافة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 2006.

(5) الحسن, إحسان محمد, موسوعة علم الاجتماع, الدار العربية للموسوعات, لبنان, 1999.

(6) الخشاب, احمد, دراسات انثروبولوجية, دار المعارف, مصر, 1971.

(7) الخطيب, محمد, الأنثروبولوجيا الثقافية, دار علاء الدين, دمشق, 2005.

(8) روشيه, غي, مدخل إلى علم الاجتماع العام, تعريب مصطفى دندشلي, المؤسسة العربية للدراسة والنشر, بيروت, 1983.

(9) الساعاتي, سامية, الثقافة والشخصية, مركز الكتب الثقافية, ط2, مصر, 1983.

(10) الساعاتي, سامية, علم الإنسان, دار العلوم العربية, بيروت, 1990.

(11) سعيد، علي احمد، أدونيس، صدمة الحداثة، دار العودة، بيروت.

(12) سمث، براد فورد، الإنسان الأمريكي، ترجمة تماضر توفيق، دار البلاغ، بيروت، د.ت.

(13) صموئيل هينتنجتون، صدام الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، ط2, 1999.

(14) عبد الحسين، لاهاي، مصطلحات ونصوص سوسيولوجية باللغتين العربية والإنكليزية، جامعة بغداد، 2008.

(15) علي بن محمد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، د.ت.

(16) غيث, محمد عاطف, قاموس علم الاجتماع, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر, 1979.

(17) فوكوياما، فرانسس، التصدع العظيم، ترجمة عزة حسين كبة، بيت الحكمة، بغداد، 2004.

(18) كوبر, ادم, الثقافة في المنظور الأنثروبولوجي, ترجمة تراجي فتحي, عالم المعرفة, الكويت, 2008.

(19) كلاكهون, كلايد, الإنسان في المرآة, ترجمة شاكر مصطفى سليم, مؤسسة فرانكلين, بغداد-نيويورك, 1949.

(20) كوش, دنيس, مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية, ترجمة منير السعيداني, مركز دراسات الوحدة العربية, لبنان, 2007.

(21) لنتون, رالف, دراسة الإنسان, ترجمة عبد الملك الناشف, منشورات المطبعة العصرية, بيروت, لبنان, 1967.

(22) مجموعة مؤلفين, المطول في علم الاجتماع , إشراف ريمون بودون, ترجمة د. وجيه سعد, ج2, الهيئة السورية العامة للكتاب, وزارة الثقافة, سوريا, 2007.

(23) محمد عمارة, مخاطر العولمة على الهوية الثقافية, نهضة مصر, 1991.

(24) محمود سمير المنير, العولمة وعالم بلا هوية, دار الكلمة للنشر, مصر, 2000.

(25) معتوق, فريدريك, معجم العلوم الاجتماعية, دار أكاديميا, بيروت, لبنان, 1998.

(26) مدكور, إبراهيم, معجم العلوم الاجتماعية, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر, 1975.

(27) Alvin L. Bertrand. Basic Sociology, Louisiana State University, Appleton-century-crofts, New York, 1973.

(28) Boas. F, "Anthropology" Encyclopedia of social sciences. Vol, 2, New York, 1930.

(29) Encyclopedia of social sciences the Macmillan. New York, 1962.

إشكالية العلاقات بين الصين والدول العربية الأفريقية: الفرص والتحديات

د. جواد الرباع*

الملخص

تسلّط هذه الدراسة الضوء على إستراتيجية الصين الرامية إلى تعزيز وجودها في المنطقة العربية من القارة الأفريقية الغنية بالثروات الطبيعية والديمغرافية؛ إذ تعد هذه المنطقة مصدراً مهماً لتأمين احتياجات الصين، المتمثلة بمصادر الطاقة والموارد الطبيعية، وضمان تطور اقتصادها. خصوصا بعد صعود الصين بوصفها قوة اقتصادية عالمية، إذ أصبح للصين وجود اقتصادي مؤثر في كل أنحاء العالم: إفريقيا، أمريكا اللاتينية، ومنطقة الشرق الأوسط التي تربطها بها مصالح وأهداف إستراتيجية. كما أن الوجود الصيني في المنطقة المغاربية لا يخلو من مخاطر ومحاذير، ليست في مصلحة الاقتصاديات الوطنية المغاربية.

تحاول هذه الدراسة تقييم الآثار والتأثيرات التي يمكن أن تتركها إستراتيجية الوجود الصيني في المنطقة العربية من القارة الأفريقية، كما تحاول إلقاء نظرة مستقبلية على أهم الفرص والتحديات والسيناريوهات المستقبلية في إطار هذه الإستراتيجية.

كلمات مفتاحية: الإشكاليات، الإستراتيجية الصينية، الفرص، التحديات.

* دكتواره في العلوم السياسية من جامعة القاضي عياض مراكش، يعمل حاليا أستاذ مؤهل (مشارك). رئيس فريق البحث حول السياسات والمعايير في مختبر الدراسات والأبحاث في العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية بجامعة ابن زهر أكادير في المغرب.

The problem of relations between China and the Arab-African countries : opportunities and challenges

Dr. Jawad Al Rabaa

Abstract

This study highlights China's strategy to strengthen its presence in the Arab region of the African continent، which is rich in natural and demographic resources. This region is an important source for securing China's needs، represented by energy and natural resources، and ensuring the development of its economy. Especially after the rise of China as a global economic power، as China has an influential economic presence in all parts of the world: Africa، Latin America، and the Middle East، which it has strategic interests and goals. Also، the Chinese presence in the Maghreb is not without risks and caveats، which are not in the interest of the Maghreb national economies.

This study attempts to assess the effects and effects that the strategy of the Chinese presence may have in the Arab region of the African continent. It also attempts to take a future look at the most important opportunities، challenges and future scenarios within the framework of this strategy.

Key words: problems، Chinese strategy، opportunities، challenges.

المقدمة: الإشكاليات، والفرضيات، والأسئلة البحثية

أفرزت الحرب الباردة تحولات جديدة في النظام الدولي، وتحولًا كبيرًا في مسار العلاقات الدولية، تمثل بقيام نظام دولي جديد بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والتي كرست هيمنتها على العالم. ومع بروز تيار التنافس الأمريكي، وتصاعد أهمية العامل الاقتصادي في قياس قوة فواعل النظام الدولي وانتشار موجة التكتلات الاقتصادية، برزت فواعل أخرى تملك مقومات وإمكانيات اقتصادية كبيرة تمكنها من احتلال مكانة دولية مرموقة. هنا برز الاتحاد الأوروبي كمنافس جديد وجاد للولايات المتحدة الأمريكية على مستوى النظام الدولي، كما بدأت حدة التنافس الأوروبي الأمريكي وتغير توافق المصالح والرؤى تتخلل هذا النظام الدولي رغم الصيرورة التاريخية والثقافية والاقتصادية التي ربطت أطرافه الجديدة. لم يبق المغرب العربي محمية أوروبية لزمن طويل، فقد صار النفوذ الأوروبي في المنطقة المغاربية مهددًا بتزايد النشاطات والمشاريع الأمريكية فيها، فأصبح المغرب العربي أحد الأقاليم التي تشهد تنافسا أوروبيا-أمريكيا على ثرواتها وأسواقها خاصة بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر التي تلتها تحولات جديدة؛ من أهمها التهديدات الأمنية كالإرهاب والهجرة غير الشرعية، ما جعلها -أي المنطقة المغاربية- في دائرة اهتمام الدول الكبرى، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية بما تمثله المنطقة من موقع إستراتيجي. أصبح هذا واضحا من خلال المشاريع والمبادرات الأمنية التي أصبحت تطرحها كل من أوروبا وأمريكا، فأرادت أمريكا أن تقيم قواعد عسكرية لقواتها في هذه المنطقة بحجة مكافحة الإرهاب، كما وضعت أوروبا قوانين صارمة من أجل مكافحة الهجرة غير الشرعية؛ فأوروبا تعتبر منطقة المغرب العربي مجالها الحيوي بحكم القرب الجغرافي والروابط التاريخية الاستعمارية، وبالتالي تعمل على احتواء المنطقة عبر الشراكة الأورومتوسطية بينما تشكل المنطقة المغاربية في نظر الولايات المتحدة الأمريكية فراغا إستراتيجيا لا بد من ملئه، وذلك في إطار تأمين المصالح الأمريكية، وفي إطار عملية الهيمنة والزعامة المطلقة على العالم[1].

لقد شهد القرن الحادي والعشرون تحولات اقتصادية وتكنولوجية، كان لها الأثر الكبير في بروز دول جديدة بثقلها الاقتصادي على المسرح الدولي، وبذلك بدأت تتغير موازين القوى الدولية، وبدأ الحديث عن بروز عالم متعدد الأقطاب خاصة بعد العودة التدريجية لروسيا، وظهور الصين كقوة اقتصادية منافسة للولايات المتحدة الأمريكية. وقد تعاظمت مخاوف أمريكا من الصعود الصيني بعدما أصبحت الصين دولة حديثة وأكثر انفتاحا، سياسيا واقتصاديا، أكثر من أي وقت مضى على عكس فترة السبعينات[2].

إن لبروز الصين كقوة اقتصادية صاعدة بعد نهاية الحرب الباردة، وبحثها عن الاستمرارية في تبوؤ المراكز الأولى اقتصادياً، وتحقيق الأهداف المسطرة،أدى إلى تواجدها في مناطق العالم كافة:

[1] عبد الجبار مدقدم، التنافس الأورو-أمريكي على المنطقة المغاربية وأثره على التعاون المغاربي (رسالة ماجستير، جامعة الجلفة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، 2018) ص 1.

[2] دانييل بورشتاين وأرنيه دي كيزا، التنين الأكبر: الصين في القرن الواحد والعشرين، ترجمة شوقي جلال، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001)، ص 4.

إفريقيا، أمريكا اللاتينية، منطقة الشرق الأوسط، التي تربطها بها مصالح حيوية، على رأسها تأمين الطاقة ومصالح إستراتيجية أخرى. وتعرف السياسة الصينية بعدم التدخل في شؤون الدول، والعمل على تبادل المصالح والمنافع بشكل متكافئ مع شركائها، وهي التي تتميز بالطابع البراغماتي. فعند اندلاع ثورات "الربيع العربي" كان للصين موقف متحفظ في البداية، لكنها تعاونت بعدها مع الحكومات الجديدة في مصر وتونس بشكل عادي، إلا أنها استخدمت حق الفيتو في القضية السورية؛ بهدف كسب حلفاء لها في المنطقة) روسيا وإيران(تثبيتاً لدورها في الشرق الأوسط أمام منافسها الأول، الولايات المتحدة. واقتضت مصلحتها في ليبيا ترقب ما يصدر من طرفي الصراع، ومحاولة المراهنة على الاحتفاظ بالطرف الرابح. وعموما لم تؤثر الثورات العربية بعمق في التوجه الإستراتيجي للصين في منطقة الشرق الأوسط نظراً إلى أن براغميتها العالية تسمح لها بالتواجد في المكان الصحيح الذي تمليه عليها مصلحتها مهما كانت النتائج[3].

تماشى الصعود الصيني مع اهتمامه الكبير والمتزايد بالشركاء الاقتصاديين، من خلال سعي الصين لتوسيع قاعدة استثماراتها وتجارتها في الخارج، كما أصبح لها دور مهم في السياسات العالمية باعتبارها مسؤولية دولية، وذلك من خلال التزامها في بالحد من الفقر وتعزيز النمو العالمي عبر الاستثمار في مجال التنمية في إفريقيا وأماكن أخرى[4].

بناءً على هذه الأسس ازداد ونما اهتمام الصين بإفريقيا كشريك اقتصادي أساسي على وجه العموم، وبالمنطقة المغاربية على وجه الخصوص، إذ انطلقت بكين نحو هذه المنطقة بقوة، خاصة بعد انطلاق وبعث منتدى التعاون الإفريقي الصيني عام 2000، وما عرفته السنوات العشرة اللاحقة من ارتفاع حجم التبادل التجاري بين الصين ودول المنطقة، إضافة إلى ارتفاع حجم الاستثمارات الصينية في المنطقة، خاصة ما يتعلق بالموارد الطبيعية والخدمات والبنية التحتية[5].

إن الصين البراغماتية تسعى لتحقيق جملة من الأهداف التي أوجدتها التطورات الداخلية والدولية لفترة ما بعد الحرب الباردة، وهي أهداف لا تتحقق إلا بضرورة تغيير نمط التفكير الصيني ونماذجه السلوكية، بالانفتاح النشيط على مختلف مناطق العالم، بما فيها المنطقة المغاربية، بكل ما تقدمه هذه المنطقة من منافع اقتصادية وسياسية لبكين التي لا زالت تذكر الدول المغاربية بذلك الانتماء المشترك للعالم الثالث، مغتنمة صعودها الاقتصادي والسياسي الذي تصفه بالصعود السلمي. من جهتها تسعى الدول المغاربية إلى الاستفادة من كل الفرص التي تقدمها الصين، ولا سيما الاقتصادية منها، في زمن توسع فيه مفهوم الأمن وتعددت مضامينه، وأصبح للاقتصاد دور مهم في التفاعلات السياسية على الساحتين الوطنية والإقليمية.

[3] فريدة العلمي، "البراغماتية: السياسة الصينية في الشرق الأوسط بعد الثورات العربية"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، العدد التاسع، المجلد الثاني (2018), ص 1199.

[4] Jenny Clegg, China's Global Strategy: Towards a Multipolar World, (London and New York: Pluto Press, 2009), p 224.

[5] حسين قوادرة، "الإستراتيجية الاقتصادية الصينية في المنطقة المغاربية: الفرص والمحاذير بالنسبة لدول المنطقة"، مجلة اقتصاديات المال والأعمال، JFBE، العدد الأول، مارس (2017), ص65.

على مدى الـ60 سنة المنصرمة، حقق التعاون الودي الصيني العربي قفزة تاريخية اتساعا وعمقا، وأصبح نموذجا يحتذى به في تعاون الجنوب - الجنوب، واكتسب خبرة وتجارب ناجحة، إذ التزم الجانبان بالاحترام المتبادل والتعامل على قدم المساواة، وظلا أخوين وصديقين وشريكين مهما كانت تقلبات الأوضاع على الساحة الدولية، وتمسكا بالمنفعة المتبادلة والكسب المشترك والتنمية المشتركة، وظلا يسعيان إلى المصلحة المشتركة والتنمية المستدامة مهما كانت التغيرات التي مرت بها الأوضاع الداخلية؛ ويعملان على تعزيز الحوار والتواصل والتبادل الحضاري، وظلا يحترمان النظم السياسية والطرق التنموية لدى الجانب الآخر مهما كانت الاختلافات من الزاوية الأيديولوجية[6].

أسباب اختيار الموضوع:

ثمة بواعث ومبررات علمية تدفع للخوض والتنقيب في هذا الموضوع، منها محاولة تدعيم إطار المرجعي الكفيل برصد محددات السياسة الخارجية الصينية بعد الحرب الباردة، ومدى الاستمرارية والتغير في هذه السياسة، وبسبب ندرة الأبحاث والدراسات السابقة[7] التي تناولت الموضوع ذاته، ومن الزاوية نفسها.

كما تبرز الأهمية العلمية لهذا الموضوع، في تناول لواحد من أهم الاهتمامات البحثية في الدراسات الأكاديمية المعاصرة، إذ أصبحت الصين بفضل التنامي المستمر لمكانتها على الساحة الدولية، من السمات الرئيسية المميزة لفترة ما بعد الحرب الباردة، محل اهتمام مختلف مؤسسات الفكر والمعاهد الأكاديمية المتخصصة عبر أنحاء العالم[8].

تتلخص أسباب اختيار الموضوع في اهتمامنا بدراسة العلاقات الصينية-الإفريقية العربية، قصدَ بناء رؤية علمية قادرة على الإلمام بالموضوع وإثراء التخصص، وباعتبار أن علاقات الصين موجهة نحو إفريقيا والمنطقة المغاربية، وهي المنطقة التي ننتمي إليها، وهذا لإضافة معرفة تخدم الباحثين والدارسين في هذا المجال.

---

[6] "وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية"، بكين، كانون الثاني/ يناير 2016, ص 3, تاريخ التصفح: 10-09-2019، متاحة على الموقع الإلكتروني: http://www.fmprc.gov.cn/fra/wjdt/gb/W020160115345916404312.pdf

[7] ونذكر على سبيل المثال:

- Judith van de Looy, Africa and China: A Strategic Partnership?, ASC Working Paper Series, Issue 67, (Leiden : African Studies Centre, 2006).

- السيد أمين شلبي، "دور إفريقيا في صعود الصين"، مجلة السياسة الدولية، ع 181 , يوليو(2010) .

- مدحت أيوب، "استعادة التوازن: الثورات العربية وإعادة تعريف نمط الصعود الصيني" ، ملحق السياسة الدولية، (تحولات إستراتيجية)، العدد 190, أكتوبر (2012).

- أيان تايلر، دبلوماسية الصين النفطية في أفريقيا، سلسلة دراسات عالمية، العدد 63, (أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, 2007).

- تسانغ باو تسنغ، "خمسون عامًا من الصداقة بين الصين وأفريقيا"، الصين اليوم، العدد 3)آذار/ مارس 2004).

- توفيق عبد الصادق، "مرتكزات السياسة الخارجية للصين في إفريقيا"، سياسات عربية، العدد 5)تشرين الثاني/ نوفمبر 2013)

[8] محمد اليوسيفي، السياسة الخارجية الصينية بين فرض الاستمرارية ومحدداتها، في: مجموعة باحثين، السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط بعد الربيع العربي، الطبعة الأولى (برلين: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، 2018)، ص9.

فالإشكالية التي تعالجها هذه الدراسة تتمحور حول الإستراتيجية الصينية في المنطقة الإفريقية -العربية في محاولة لتقديم إطار تحليلي للعلاقات الصينية- الإفريقية العربية، لتعميق وفهم طبيعة توجهات الصين نحو القارة الإفريقية والمنطقة المغاربية، لأن الصين تسعى لامتلاك قوتها وتعزيزها؛ للبروز في الساحة العالمية.

وهذا ما دفعنا إلى طرح الإشكالية التالية: هل الإستراتيجية الصينية تجاه المنطقة الإفريقية-العربية توفر فرصا تنموية أم هي وسيلة من وسائل الهيمنة والسيطرة الاقتصادية بالمنطقة؟

وعليه، وانطلاقا مما سبق تسعى هذه الورقة البحثية للإجابة عن الإشكالية الفرعية التالية:

ما هي طبيعة العلاقات الصينية-الإفريقية المغاربية ؟

ما هي خلفيات وبواعث إستراتيجية التوجه الصيني نحو إفريقيا والوطن العربي؟

من أجل معالجة هذه الإشكالية المطروحة سوف نستعين بالتساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي سياقات العلاقات الاقتصادية الصينية نحو المنطقة العربية من القارة الإفريقية؟
- كيف ينظر الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة للنفوذ الصيني في شمال إفريقيا؟ وما أدوات مواجهة هذا النفوذ؟
- ما هي أهداف الإستراتيجية الاقتصادية الصينية في المنطقة المغاربية؟
- ما هي مختلف الفرص والمخاطر والسيناريوهات المستقبلية المفترضة على التواجد الصيني في المنطقة المغاربية؟

ولمعالجة الإشكالية البحثية المطروحة أعلاه سنختبر الفرضيات التالية:

- إن التوجه الصيني نحو القارة الإفريقية جاء في سياق يرتبط بمنظومة الأهداف والمصالح التي تسعى الإستراتيجية الصينية لتحقيقها لمجابهة منافسة القوى العالمية.
- يعد المتغير الاقتصادي أهم عامل يواجه السياسة الصينية في إفريقيا، حيث أضحت بديلا استثماريا وتجاريا للقارة[9].

أهمية الدراسة:

تهدف دراسة هذا الموضوع إلى:

*محاولة تفسير سياقات العلاقات الاقتصادية الصينية-الإفريقية العربية وفهمها.

* التعرف على الأهمية الجغرافية والاقتصادية التي تحظى بها إفريقيا.

[9] جهيدة زرقة، كريمة زوابلية خيرة، محددات السياسة الخارجية الصينية تجاه إفريقيا بين فترة 2000-2017 (رسالة ماجستير في العلوم السياسية, جامعة زيان بن عاشور بالجلفة, 2018), ص 10.

* التعرف على حقيقة النمو الصيني والدور الذي تؤديه في الساحة الدولية وفي القارة الإفريقية.

* محاولة إبراز أهداف ومصالح التحديات التي تواجه العلاقات الصينية- الإفريقية العربية وأهم السيناريوهات المستقبلية.

*تحول العلاقات الصينية-الإفريقية العربية إلى علاقات مؤسساتية منظمة مبنية على توجهات وإستراتيجيات.

وأمام طبيعة هذا الموضوع وتعقيداته، سوف نعتمد على مجموعة من المناهج المختلفة:

- **منهج تحليل النظم،** حيث لا يمكن الاستغناء عن هذا المنهج بصدد تفسير أي ظاهرة كبرى في حقل العلاقات الدولية، وذلك انطلاقا من حاجتنا لمعرفة مدخلات السياسة الخارجية الصينية، ومخرجاتها بعد فترة الحرب الباردة، ولتحليل النظام الدولي، وكشف التفاعلات الدولية، وسوف يساعدنا هذا المنهج في قراءة التحول المستقبلي في بنية النظام الدولي بوجود قوة نامية بحجم الصين.

- **المنهج الوصفي،** كما يظهر من خلال قراءة ووصف عناصر القوة الاقتصادية والعسكرية الصينية المتنامية، وانعكاسها على سياسة الصين الخارجية.

- **المنهج المقارن،** من خلال رصد أوجه التشابه والتداخل بين سياسات القوى العظمى في القارة، عبر تقييم السياسة الصينية في المنطقة الإفريقية المغاربية[10].

- **المنهج التاريخي،** تم اعتماده، بالإشارة إلى فترات معينة من تاريخ الصين وعلاقتها بقوى إقليمية وعالمية مختلفة. واعتمادا على التكامل المنهجي المتبع في البحث، وبغرض التوصل إلى تحقيق أهدافه[11].

تسعى هذه الدراسة إلى البحث في أبعاد إستراتيجية الوجود الصيني في القارة الإفريقية ومظاهرها وأهدافها، واستحضار مختلف الفرص والمخاطر على التواجد الصيني في المنطقة المغاربية، وسيناريوهاتها المستقبلية.

وسنعالج هذه الإشكاليات والقضايا وفق المحاور الآتية:

أولاً- السياقات العامة للعلاقات الصينية - الإفريقية العربية

ثانياً- التنافس الصيني- الأوروبي-الأمريكي في الشرق الأوسط

ثالثاً- الصين والدول المغاربية: طبيعة الأدوار والسيناريوهات المستقبلية.

[10] المصدر نفسه، ص 11.

[11] محمد اليوسيفي، المصدر السابق، ص9.

أولاً- السياقات العامة للعلاقات الصينية - الإفريقية العربية

أفرز التحول في النظام الدولي، بعد نهاية الحرب الباردة، بروز أهمية العامل الاقتصادي في العلاقات الدولية. وأدى هذا الأخير إلى بروز قوى اقتصادية، أصبح لها وزن كبير في الساحة الدولية، ومن أهمها الصين. فبعد النمو الاقتصادي الذي وصلت له استيقظت لديها طموحات للنفوذ العالمي. ومن أبرز توجهاتها الإستراتيجية في العقد الأخير كانت نحو إفريقيا[12].

ولقد ارتبط صراع المصالح في إفريقيا بالتنافس الأمريكي- الفرنسي بشكل أساسي، غير أن السنوات الأخيرة شهدت دخول الصين كلاعب جديد وقوي، وأصبحت المنافس والشريك لكل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا على إفريقيا، وذلك لما تتمتع به الصين من قوة اقتصادية هائلة جعلتها تؤدي هذا الدور بفاعلية واقتدار.

إن استياء الأفارقة من سياسة وصراع الأمريكيين والفرنسيين، ساعد في وجود الصين بقوة في الفضاء الإفريقي، بخاصة عندما وجدوا فيها ما يلبي طموحاتهم الذاتية، مثل: عدم التدخل في الشؤون الداخلية، وعدم ربط الاستثمارات بالشروط المسبقة، وعدم بث أي أيديولوجيات فكرية أو ثقافية تمحو الطابع الإفريقي، مثل الأمركة والفرنسة.

وبذلك أصبحت الصين الحليف المقبول لدى الأفارقة، حيث فتحوا لها الباب الإفريقي على مصراعيه، وذلك لاعتبارات كثيرة، منها: أنها عضو دائم في مجلس الأمن الدولي، وأنها تتمتع بإمكانيات اقتصادية كبيرة يمكن أن تساعد دول القارة، علاوة على أنها تمتلك التكنولوجيا الحديثة التي من خلالها يمكن المساهمة في بناء القدرات الإفريقية، وبذلك وجدت الصين ضالتها في إفريقيا من خلال الاستثمارات في مجالات النفط والتجارة[13].

ويمكن النظر إلى سياسة الصين الأفريقية بوصفها جزءًا من إستراتيجية أوسع تهدف إلى تطويق القوى الغربية، بخاصة الولايات المتحدة الأميركية، وتجاوزها أو إضعافها. وهي إستراتيجية تصفها بكين بأنّها معقدة. وهو ما يتطلب فكّ الرموز والمصطلحات غير المواتية للمصالح الصينية. فالحوار بين بلدان الجنوب الذي تنادي به جمهورية الصين الشعبية يشير إلى العالم الثالث، المصطلح الذي كان سائدًا في ستينيات القرن الماضي، وهو حوار أكثر فاعلية يعتمد على النخب الأفريقية من خلال الرهان على هذا العامل، يمكن للصين القوة الصاعدة أن تحافظ على وضعها بوصفها المتحدث باسم البلدان النامية. إلا أنّ الفعاليات العالمية الأخرى في إطار منظمة التجارة العالمية، تُظهر. بخلاف ذلك مصالح متباينة على نطاق واسع. وفي هذا المجال، فإنّ السياسة الأفريقية تتميز بضرورة تأكيد مبدأ احترام مصالح البلدان الأفريقية في مقاومة نموذج الاستعمار التقليدي. وقد أكّد "الكتاب الأبيض" الصيني حول سياسة الصين الأفريقية الذي نُشر للمرة الأولى في العاصمة الصينية في كانون الثاني/ يناير

[12] قط سمير، الإستراتيجية الاقتصادية الصينية في إفريقيا: فترة ما بعد الحرب الباردة- قطاع النفط أنموذجا -، (رسالة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة محمد خيضر - بسكرة، 2007-2008)، ص1.

[13] شفيعة حداد، الحضور الصيني في إفريقيا وحتمية الصراع مع الولايات المتحدة: التنافس في السودان نموذجا، مجلة دفاتر السياسة والقانون، العدد العاشر (كانون الثاني/ يناير 2014)، ص14.

2006 على أنّ الصين تعمل على إقامة نوع جديد من الشراكة الإستراتيجية وتطويرها، وهي الشراكة التي تتسم بالمساواة والثقة المتبادلة في مجال السياسة والتعاون، اعتمادًا على عقلية الربح المتبادل على المستوى الاقتصادي، ويشمل هذا الموقف المبادئ العامة للتعايش السلمي الذي تؤكّده بكين، وهو يعني بالنسبة إليها تطوير التبادل بكلّ أشكاله ومضاعفة الزيارات ذات المستوى الرفيع التي تؤكد أهمية أفريقيا، وزيادة المساعدات المقدمة إليها من دون شروط سياسية، مما يساعد في حثّ المجتمع الدولي على زيادة دعمه لدور أفريقيا على الساحة الدولية والدفاع عنه فالحكومات والأنظمة الأفريقية تفضّل نموذج المساعدات المالية والدبلوماسية الصينية؛ لأنّه يعفيها من ثلاث قضايا جوهرية تتمثل القضية الأولى بأنّ تلك المساعدات غير مشروطة سياسيًا. وتكمن القضية الثانية في أنّها لا ترتبط بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأفريقية. وتتمثل القضية الثالثة بعدم مساءلة الحكومات الأفريقية عن طريقة صرف هذه المساعدات المالية أو توظيفه[14].

أصبح منتدى التعاون الصيني - الإفريقي الذي تأسس في عام 2000 نظاما فعّالا للحوار الجماعي والتعاون المتعدد الأطراف بين الصين وإفريقيا، وشكّل إطارا ومنبرا هاما لشراكتهما الجديدة والمستقرّة والمتكافئة والمتبادلة المنفعة على المدى الطويل.

وتولي الصين اهتماما بالدور الايجابي الذي يلعبه منتدى التعاون الصيني - الإفريقي في تعزيز الحوار السياسي والتعاون الواقعي بين الصين وإفريقيا، وستطبّق مع الدول الإفريقية بجدّية بيان منتدى التعاون الصيني والإفريقي ببكين ومنهاج تعاون الصين وإفريقيا في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وخطّة عمل أديس أبابا – للتعاون الصيني - الإفريقي (2004-2006) وإجراءات المتابعة لها، وتواصل طرح إجراءات جديدة في إطار المنتدى لتعزيز الثقة السياسية المتبادلة والتعاون الواقعي بصورة شاملة، بهدف إكمال أنظمة المنتدى باستمرار وإيجاد أفضل الطرق والوسائل لتعزيز التعاون بين المنتدى و«خطة الشراكة الجديدة للتنمية في إفريقيا"[15].

يعبر التطور المتزايد في العلاقات الصينية- الإفريقية عن التوجهات الجديدة في السياسة الخارجية الصينية، وتصاعد دور نفوذ الصين كقوة عالمية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وإنفراد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم في ظل سياسة الهيمنة والقطب الواحد. اتجهت الصين إلى سياسة التوسع والعمل على التوازن الإستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية، والبحث عن حلفاء لها لإثبات وجودها ونفوذها، ووجدتهم عبر القارة الإفريقية من خلال شركاتها التي ترعاها الدولة، وتديرها مؤسسات هدفها تأمين مصادر النفط. واستطاعت الصين خلال سنوات قليلة أن تصبح الشريك الذي يلي الولايات المتحدة وفرنسا في القارة الأفريقية، حيث تضاعفت التجارة بين الصين وإفريقيا إلى أضعاف منذ بداية هذا العقد، فقد ارتفعت بنسبة 36 % في عام 2005 , ووصلت إلى 39.7 مليار دولار, بناء على الإحصائيات الصينية الرسمية, بالإضافة إلى توقيع عدد كبير من الصفقات والعقود التجارية, بلغت قيمتها حوالي 2 مليار دولار[16].

[14] حكمات العبد الرحمن: إستراتيجية الوجود الصيني في أفريقيا، مجلة سياسات عربية التي تصدر عن المركز العربي للأبحاث وتحليل السياسات، قطر، العدد 22 أيلول/ سبتمبر 2016, ص76

[15] وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية"، المصدر السابق.

[16] شفيعة حداد، المصدرر السابق، ص 16.

ويمكن الإشارة إلى أنّ عام 2006 يُعدّ أحد أهم التواريخ في تاريخ العلاقات الصينية الأفريقية؛ ففي الثاني عشر من كانون الثاني/ يناير 2006، قام وزير الخارجية الصيني لي **زهاوسينغ** بجولة مكوكية في عدد من البلدان الأفريقية)منها ليبيا، ومالي، والسنغال، ونيجيريا، على سبيل المثال(، بحيث أخذت تلك العلاقات تتطور في خط تصاعدي واضح وقوي.

وقد أدرك القادة الصينيون أهمية تطوير علاقات التعاون والصداقة مع دول القارة وتعزيزها بوصفها تمثّل جزءًا مهمً من سياسة الصين الخارجية. ففي تعليقه على أهمية الأحداث التي شهدها عام2006 ، وتأثيرها في العلاقات الصينية الأفريقية، يُقدّم "**جيانغ شون ليان**" مخططًا لتلك الأحداث: هذا العام يتزامن مع المناسبة الرمزية لليوبيل الذهبي لتأسيس العلاقات بين الصين ومصر)تأسست في عام (1956 ، وهي العلاقة التي فتحت أبواب القارة الأفريقية أمام الصين. وطرحت الصين في هذا العام أيضًا وثيقة "سياسة الصين نحو أفريقيا" التي ضمّنتها إقامة العلاقات بين الطرفين على أساس الشراكة الإستراتيجية، وهو أيضًا عام منتدى التعاون الصيني الأفريقي في العاصمة بكين الذي يُعرف أيضًا بمنتدى بكين فقد تمّ افتتاحه في عام 2000 ، ومثّل نموذجًا للحوار المتعدد الأطراف[17].

والتزمت الصين بمضاعفة مساعدتها المقدمة للدول الإفريقية خلال عام 2006 إلى الضعف بحلول عام 2009، وكانت نصف الصادرات إلى القارة الإفريقية من الآلات والمعدات والإلكترونيات، ومنتجات ذات تقنية عالية، إضافة إلى تحول عشرات الآلاف من الصينيين إلى إفريقيا ساهموا في بناء المنشآت الرياضية ومقر الوزارات وخطوط السكك الحديدية، تمثَّل أحد أهم أهداف إستراتيجية الصين الأفريقية بتشكيل أغلبية مناصرة للصين في هيئة الأمم المتحدة، بهدف سدّ الطريق أمام القرارات المناهضة للصين التي يقدّمها الغرب، وبخاصة تلك القرارات التي تخص مجال حقوق الإنسان. وقد عملت الصين على استغلال بعض القضايا الأفريقية لتعزيز وجودها على المسرح الدولي، واستغلت الفراغ الدولي الذي بدأت تعيشه القارة الأفريقية بعد تراجع النفوذ الفرنسي من جهة، وانهيار القطبية الثنائية من جهة ثانية، لتطرح نفسها بديلاً عن الغرب بوصفها قوة يمكن لها أن تكون حامية للدول الأفريقية، وهي في الوقت عينه لا تتدخل في القضايا التي لها علاقة بالديمقراطية. إلا أنّ تلك السياسة ليست من دون مقابل؛ فالصين كانت تطلب دعم الأفارقة لسياستها الخارجية، ولمطالبها في تحديد المناطق الاقتصادية البحرية في بحر الصين الجنوبي.

ويبقى البعد الأممي العامل الأكثر جوهرية وحيوية في علاقات الصين الأفريقية. إذ لا يتعلق الأمر فقط بعدد الأفارقة في المنظمة، بل بالفاعلية التي تتمتع بها الدول الأفريقية. فمع بداية القرن الحالي، مثّلت قضية التصويت على قضايا حقوق الإنسان في الهيئة الدولية، بخاصة القرارات التي كانت تُقدّمها القوى الغربية ضد الصين، أهم القضايا التي تشغل بال الإدارة الصينية. ولم تقتصر الفاعلية الأممية لأفريقيا على هذا الموضوع فقط، بل ظهرت حقائق جديدة أكدت أهمية التصويت

[17] حكمات العبد الرحمن: المصدر السابق، ص 73-74

الأفريقي، كقضية إصلاح الأمم المتحدة، وإمكانية دخول اليابان إلى مجلس الأمن الدولي. وبذلك تكون القارة الأفريقية قد شهدت معركة دبلوماسية حقيقية بين بكين وطوكيو[18].

ثانياً- التنافس الصيني- الأوروبي- الأمريكي في الشرق الأوسط

ومن ملامح التغير في حركة العلاقات الدولية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة أن القوة الدولية المهمة والمؤثرة لم تعد قاصرة على الغرب الأمريكي والأوروبي، بل اتسع ليشمل قوى آسيا (الصين واليابان والهند) وروسيا الاتحادية، وأمريكا اللاتينية (البرازيل)، وأفريقيا (جنوب أفريقيا). ونتيجة لذلك، ولتنوع الأطراف الدولية المؤثرة، سواء كانت تلك الأطراف دولاً سبق ذكرها في السطور أعلاه، أو التكتلات والتجمعات والمنظمات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، فقد تعددت القضايا العالمية التي تشكل أجندة النظام العالمي، ولم تعد فقط عسكرية أو إستراتيجية، بل ضمت قضايا عالمية إنسانية وسياسية واقتصادية. وكذلك اتسع نطاق حركة العلاقات الدولية، ولم يعد قاصرًا على أوروبا، التي كانت مركز حركة العلاقات الدولية لثلاثة قرون من الزمن، بل ولم يعد ممكنا الآن تجاهل أي منطقة جغرافية بزعم أنها صغيرة أو بعيدة أو ضعيفة. ورغم أن ذلك التحول يمثل تحديًا أمام النظام الدولي الجديد، لأن أجندته أصبحت أثقل وزنًا وأوسع نطاقًا، وقد لا يكون، أيضًا، من السهل دمج القوى الدولية الجديدة العديدة باهتماماتها وانشغالاتها ومصالحها المتعددة أو المتنوعة، مما يجعل النظام الدولي الجديد أكثر تعقدًا وأكثر تركيبية، وبالتالي ربما يكون التعامل معه، على الأقل من الناحية النظرية، أكثر صعوبة مما كان عليه الوضع في المرحلة السابقة.[19]

التغييرات التي طرأت على الساحة الدولية خلال الفترة ما بين نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين أظهرت وجود خلل في التوازنات بين القوى الدولية ، حيث نتج عن ذلك تفكك الاتحاد السوفيتي، وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالهيمنة على العالم، ومع ذلك يوجد هناك بعض القوى التي تحاول أن تفرض نفسها على الساحة الدولية ، سواء كان بشكل مستتر أو معلن، ومن الأمثلة على ذلك الصين ، التي جذبت الكثير من الأنظار حولها بعدما حققت تقدماً كبيراً في مجالات عديدة.

وبناء على ذلك ، تسعى السياسة الخارجية الصينية إلى صيانة السلام العالمي، وتعزيز التنمية المشتركة، وتدعو الصين إلى بناء عالم متناغم يسوده السلام الدائم، والرخاء المشترك، كما تعمل مع الدول الأخرى على تحقيق ذلك باعتباره هدفاً طويل المدى، ومهمة ملحة في آن واحد.

ويرتبط دور الصين في بنية النظام الاقتصادي والسياسي العالمي بتوسيع إطار مصالحها الإستراتيجية، وبخبرتها التاريخية، وثقافتها، ورؤيتها للتطورات الجارية في مناطق العالم وتحديدا **منطقة الشرق الأوسط**، حيث تتحدد توجهات سياسية الصين الخارجية من خلال تدافع مصالحها

[18] المصدر نفسه، ص 75.

[19] إسلام عيادي: السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط بعد الربيع العربي، إصدارات المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا: برلين، الطبعة الأولى 2018,ص05.

في ثلاثة فضاءات: الأمن، والتجارة، وما تحرزه من اعتماد متبادل، أو ما تحصل عليه من افرازات التفاعلات القائمة في النظام الدولي على المستوى الجماعي[20].

فمنذ بدايات القرن الحادي والعشرين ،ازدادت اهتمامات الصين بالمنطقة العربية لاعتبارات المصالح والنفوذ، في ظل تزايد الأهمية الجيوإستراتيجية للمنطقة، وعليه؛ عملت بكين على زيادة علاقاتها بدول المنطقة، لاسيما في المجال الاقتصادي والحصول على إمدادات البترول. فقد أدى ارتفاع معدل النمو الاقتصادي للصين إلى زيادة كبيرة في الطلب على الطاقة، وخاصة النفط ، ففي عام2003 , كان النفط المستورد يغطي أكثر من 36 % من احتياجات الصين , وارتفع إلى % 40 في عام 2004 , مما اضطر الصين إلى أن تستورد نحو 3ملايين برميل من النفط يومياً.[21]

فمنذ سنة1979 ، وعندما أطلق الرئيس الصيني"**دينغ كسياوبينغ**" سياسة "الإصلاح والانفتاح" تحول النهج السياسي الصيني في الشرق الأوسط من الموقف الإيديولوجي الجامد إلى خيار النمو الاقتصادي بينما تراجع التفكير الإيديولوجي . وباعتباره أكبر منتج للنفط في العالم ، تزايدت أهمية الشرق الأوسط بالنسبة للنمو الاقتصادي الصيني وأصبح ضرورياً للصين لكي تؤسس وتؤمَن علاقات جيدة مع كل دول الشرق الأوسط ، بما فيها إسرائيل ، والدول العربية والدول المسلمة سواء شيعية أو سنية . ويمكن أن تفسر المبادرات الدبلوماسية الصينية ومصالحها المتزايدة في الشرق الأوسط باحتياجاتها الطاقوية المزدهرة ، والصين هي دولة معروفة بالاقتصاد الأسرع نمواً والذي جعلها أكبر منتج ومستهلك للطاقة في العالم[22].

يمتد اتصال الصين بالقارة الإفريقية إلى عدة قرون، فهناك مواقع أثرية على الساحل الشرقي لإفريقيا يعود تاريخها إلى 1270-960 م، وكذلك الرحلات التي قام بها الأدميرال "**تشنغ هو**" في إطار الاستكشافات الشهيرة من قبل الصينيين المسلمين للساحل الشرقي الإفريقي، وتطورت خلالها التجارة مع السكان المحليين.[23]

وبالنسبة للمغرب العربي يعود اتصال المنطقة بالصين إلى رحلات المغربي **"ابن بطوطة"** إلى الصين في القرن السادس عشر ميلادي، لكن على الصعيد الدبلوماسي الرسمي فان العلاقات الدبلوماسية بين الصين والدول المغاربية تأسست بعد الحرب العالمية الثانية وما رافقها من صعود حركات التحرر في العالم الثالث عموما وفي المغرب العربي على وجه الخصوص، فعرفت الصين بمساندتها حركات التحرر في شمال إفريقيا وفق مبدأ "**حق الشعوب في تقرير مصيرها**"، وقد تأكد هذا الموقف المساند من طرف الصين في مؤتمر **"باندونغ"** لدول عدم الانحياز سنة 1955 , والذي أبدت فيه الصين تأييدا لشعوب المغرب العربي من أجل الاستقلال الوطني وحمايته. والدول المغاربية من ناحية أخرى كانت من بين الدول التي اعتَّرفت بجمهورية الصين الشعبية حيث أقامت معها علاقات

[20] المصدر نفسه، ص 07.

[21] فريدة العلمي، المصدر السابق، ص 1204.

[22] Wang Jin , Selective Engagement : China's Middle East Policy After the Arab Spring, Strategic Assessment /volume 19/no.02/July 2016,p 105

[23] وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية"، المصدر السابق.

دبلوماسية منذ 1958 بالنسبة **للمغرب والجزائر**، وفي عام 1964 بالنسبة **لتونس** أما **ليبيا** فقد تأخرت عن إقامة علاقات دبلوماسية مع الصين إلى سنة 1978 وذلك بسبب قضية اعتًرافها بتايوان[24].

وكان تأسيس الصين الجديدة واستقلالات الدول العربية قد بشر بعهد جديد للتبادل الودي الصيني العربي، فتمت إقامة العلاقات الدبلوماسية بين الصين وجميع الدول العربية البالغ عددها **22 دولة** خلال الفترة ما بين عامي 1956 و1990، وكانت الصين تدعم بحزم الحركات التحررية الوطنية العربية، وتدعم بحزم نضال الدول العربية في سبيل الدفاع عن السيادة الوطنية والوحدة الترابية واستعادة وصيانة الحقوق والمصالح القومية والتصدي للتدخل والاعتداء الخارجيين، وتدعم بحزم القضايا العربية في تطوير الاقتصاد القومي وبناء الوطن. وفي المقابل، قدمت الدول العربية دعما قويا للصين في استعادة مقعدها الشرعي في الأمم المتحدة وفي قضية تايوان وغيرها[25].

في عام 2004, تأسس منتدى التعاون الصيني العربي الذي صار إطارا للتعاون الجماعي يشمل مجالات عديدة وتنبثق عنه أكثر من10 آليات. وفي عام 2010، تمت إقامة علاقات التعاون الاستراتيجي القائمة على التعاون الشامل والتنمية المشتركة بين الصين والدول العربية، الأمر الذي أدخل التعاون الجماعي الصيني العربي إلى مرحلة جديدة من التطور والتقدم النوعي على نحو شامل. وعلى هذا الأساس، أوضح الرئيس الصيني **شي جينبينغ** المجالات والاتجاهات ذات الأولوية للتعاون الجماعي الصيني العربي في الخطاب المهم الذي ألقاه خلال افتتاح الاجتماع الوزاري السادس لمنتدى التعاون الصيني العربي في عام 2014، الأمر الذي حدد دليل عمل لتطوير العلاقات الصينية العربية وبناء المنتدى[26].

تُعدّ القارة الإفريقية سوق المستقبل، وقد سبق أن ترك الأمريكيون الأسواق الإفريقية لزمن طويل للمنافسين القادمين من أوروبا وآسيا. أما الصين فقد اتبعت سياسة تقوم على مبدأ الصداقة والمساواة مع الدول الإفريقية لخدمة أهدافها الاقتصادية حتى أصبحت الشريك الأكبر للقارة. وهناك قلق أمريكي من ظهور دور سياسي/عسكري صيني يعوق أدوار الجيش الأمريكي في القارة السوداء بسبب مشاركة الجيش الشعبي الصيني في عمليات حفظ السلام في القارة الإفريقية. وقد بات واضحًا أن الولايات المتحدة تسعى من خلال المنتديات الاقتصادية المشتركة مع الدولة الإفريقية القائمة إلى استحداث آليات لكي تلحق بالقوى الصناعية الأخرى التي ضاعفت حجم تجارتها واستثماراتها في القارة الإفريقية، وعلى رأسها الصين. وتعتقد الولايات المتحدة أن تشجيع القطاع الخاص الأمريكي للاستثمار في إفريقيا يحفز الصين على الالتزام بقيم الشفافية والحكم الرشيد في إفريقيا، وخدمة العلاقات الاقتصادية المشتركة بين الولايات المتحدة والصين في القارة.[27]

---

[24] حسين قوادرة : المصدر السابق، ص66.

[25] وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية"، المصدر السابق.

[26] المرجع نفسه، ص 02.

[27] التنافس الصيني الأمريكي على إفريقيا، رؤية تركية، دورية محكمة في الشئون التركية والدولية، تاريخ التصفح: 20-09-2019، متاحة على الموقع الالكتروني: https://rouyaturkiyyah.com/research-articles-and-commentaries/95

يَتّهم بعض الدول الصين بأنها تمارس نوعًا من "الاستعمار الجديد" للقارة الإفريقية، مما استدعى رئيس مجلس الدولة الصيني أن يقول نافيًا الاتهام الموجه للعلاقة الصينية الإفريقية: إن ذلك "لا يخصّ الصين إطلاقًا، وابتداء من حرب الأفيون عام 1840, عانت الصين الحكم الاستعماري لمدة (110) سنوات؛ لذلك تعرف الأمة الصينية جيدًا العذاب الذي يسببه الحكم الاستعماري للشعوب، كما تعرف جيدًا ضرورة النضال ضد الاستعمار، وهذا هو السبب الرئيس الذي دفعنا لتأييد التحرر الوطني الإفريقي ونهضة إفريقية منذ مدة طويلة"، أما بخصوص رغبتها في النفط الإفريقي والسوق الإفريقية، فقد أعلنت بكين بصراحة على لسان (**تشانغ يو تشينغ**) نائب مدير مكتب الطاقة باللجنة الوطنية للتنمية والإصلاح، قبيل عقد منتدى التعاون الصيني- الإفريقي الأول أنه: "إذا لم يُسمح لنا بالذهاب هنا أو هناك، فأين يتعين علينا أن نذهب؟"[28].

الولايات المتحدة كانت تنظر للصعود الصيني على كونه عائقا في مواجهة الرغبة الأمريكية في الهيمنة على الشؤون العالمية، خاصة في سياق اختلاف رؤية كل منهما لطبيعة النظام الدولي،إذ ترفض الصين فكره الهيمنة الأمريكية على شؤون العالم،كما ترفض فكره الزعامة الدولية، وتؤكد بدلا منها على أن أي نظام عالمي لابد أن يقوم على مبدأ أن كل الدول صغيرة أو كبيرة يجب أن تتساوى في العلاقات الدولية، مع التركيز على رفض فكرة التدخل في الشؤون الداخلية للدول، وضرورة احترام قرارات الأمم المتحدة والتأكيد على أن النظام متعدد الأقطاب هو النظام الأمثل لتحقيق التنمية السياسية والاقتصادية وبذلك تختلف رؤية كل منهما لطبيعة النظام الدولي. ومن ثم تحاول الولايات المتحدة الأمريكية عرقلة الصعود الصيني وتحجيم الدور الصيني العالمي، من خلال فرض العقوبات والضغط على الصين في قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، وكذلك العمل على دعم التحالف الامريكى مع القوى الأخرى في آسيا ومحاولة بسط النفوذ الأمريكي في المجال الحيوي للتحرك الصيني. كان ذلك هو التصور الأمريكي للصعود الصيني خلال الثمان السنوات التي انقضت تحت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش وفريق المحافظين الجدد وهيمنة أمريكية أحادية لم يشهدها النظام الدولي من قبل[29].

بل يرى الكثيرون في إفريقيا وخصوصًا جنوب صحرائها -بعد سلسلة أحداث- أن نظرة المؤسسات الصينية تجاه إفريقيا لم تخلُ من العنصرية، والكبريائية التي يشكون منها في علاقاتهم مع الغرب؛ رغم "الصداقة العميقة"، والتعاون الاستثماري بين الصين وإفريقيا.

ومن جانب آخر، أعرب مسئولون أمريكيون عن مخاوفهم بشأن ارتفاع الديون التي تتكبدها بعض الدول الإفريقية مع قبولها المتزايد للقروض الصينية. ووفقًا لبعض التقديرات الأمريكية، فإن دولة جيبوتي تدين بأكثر من 1.2 مليار دولار إلى الصين.

---

[28] المصدر نفسه.

[29] إيمان عبدا لله عبدالخالق إبراهيم: " اثر العلاقات الصينية - الأمريكية على النظام الدولي"، المركز الديمقراطي العربي، تاريخ التصفح: 20-09-2019، متاحة على الموقع الالكتروني: https://democraticac.de/?p=34551

غير أن الحقيقة هنا أن الصين -على عكس الولايات المتحدة- تظهر دائمًا في القارة مع دفتر شيكات سخي. وهي الدولة الوحيدة الراغبة في تحمُّل المخاطر بالاستثمار في الدول التي يتجنبها المستثمرون من الغرب[30].

وتشير العديد من الدراسات الأكاديمية العالمية، إلى أن النهوض والتطور في الاقتصاد الصيني سيمكنه من التفوق على الاقتصاد الأمريكي في عام 2040, وبما أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة القوية, التي لها القوة الاقتصادية والعسكرية التي تمكنها من لعب الدور الرئيسي إقليمياً في منطقة جنوب آسيا, وضع هذا الصين في خيارات وفرص جديدة, وتحالفات واتفاقيات تجارية واقتصادية, من أجل ضبط تلك القوة والهيمنة الأمريكية خاصة بعد أحداث 11 أيلول/ سبتمبر 2000. وهذه التداعيات جعلت أولوية اهتمام السياسة الخارجية الصينية تتجه إلى منطقة جنوب آسيا.

ولقد شعرت الصين بالقلق في عام 1983، من جراء التغيُّر الإستراتيجي الأمريكي في آسيا، والذي أخذ في التفاهم والتقارب مع اليابان، التي تعتبرها الصين شريكها التجاري ومصدرها الرئيسي في المساعدة على تطوير التنمية الاقتصادية في الصين.

حيث إن اليابان تعتبر الشريك التجاري الأكبر حجماً للصين منذ منتصف الستينيات، وشكلت حوالي 20% من عموم التجارة الصينية, ونشطت العلاقات التجارية بين الدولتين في السبعينيات ومطلع الثمانينات لتصل إلى 8 مليار دولار في سنة 1982.

و تسعى الولايات المتحدة لتقويض التعاون الصيني الياباني، من أجل إضعاف هاتين القوتين الاقتصاديتين الكبيرتين، وترك الساحة الدولية للشركات الأمريكية، بما في ذلك الساحة الإفريقية[31].

ثالثاً- الصين والدول المغاربية: طبيعة الأدوار والسيناريوهات المستقبلية

أدت التحولات السياسية والاقتصادية والأمنية التي شهدتها السياحة العالمية في نهاية القرن العشرين إلى اختلال في التوازنات بين القوى الدولية/العالمية، والى زوال وانهيار قطب الاتحاد السيوفياتي، وبقاء قطب الولايات المتحدة الأمريكية وانفراده بالهيمنة. لكن مع ذلك برزت بعض القوى الدولية التي تعمل على فرض إستراتيجيتها على الساحة الدولية سواء كان ذلك بشكل خفي أو معلن وهذه القوى هي: الصين التي اتبعت سياسية خارجية ترتكز بالأساس على المحدد الاقتصادي، كمحرك جديد للسياسات الخارجية لغالبية دول العالم.

أثار هذا التحول في السياسية الخارجية الصينية بعيد انتهاء الحرب الباردة اهتمام العديد من الباحثين والدارسين، للبحث عن محركات هذا التحول، وكشف محدداته، وكذلك كشْف الغاية التي

[30] إفريقيا.. بين النفوذ "الصيني والروسي" والقلق الأمريكي" المركز المصري للدراسات، تاريخ التصفح: 20-09-2019، متاحة على الموقع الالكتروني: http://markazmasry.com/news/130003/4-11-2018/%D8%A3%D9%81

[31] شفيعة حداد، المصدر السابق.

تهدف لها الصين بسياستها الخارجية الجديدة وبسعيها للريادة، ومنافسَتها ومزاحمتها لأهم اللاعبين الدوليين في مجموعة من المناطق الجيوستراتيجية بالعالم.[32]

إن اندلاع الثورات العربية في منطقة الشرق الأوسط والتي أسقطت أنظمة استبدادية ظلت لعقود طويلة، أعاد تشكيل الأدوار الإقليمية في المنطقة، وأبان عن مرحلة جديدة من العلاقات الدولية في المنطقة ، وقد واجهت الصين هذا الوضع الجديد بتطوير دبلوماسيتها إزاء التغيرات الراهنة في منطقة الشرق الأوسط، ومحاولة أقلمتها مع الوضع الجديد بالتركيز على المستقبل، وأخذ زمام المبادرة لخلق بيئة مواتية لتعزيز النفوذ السياسي للصين في منطقة الشرق الأوسط.

وقد قدمت التطورات الأخيرة في منطقة الشرق الأوسط تحديات وفرصًا بالنسبة لسياسة الصين. سواء على أساس مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى أو على أساس المصالح الوطنية، فلن يكون من المعقول بالنسبة للصين البقاء بعيدة عن شؤون دول الشرق الأوسط. وتشير الأدلة إلى أنه رغم وجود تحديات ومخاطر تتعرض لها السياسة الخارجية الصينية على المدى القصير، إلا أنه هناك فوائد اقتصادية ومزايا إستراتيجية على المدى الطويل.

ولقد ظلت السياسة الخارجية الصينية في الشرق الأوسط مدفوعة في المقام الأول بالبحث عن الأمن في مجال الطاقة والرغبة في زيادة أسواقها وفرص الاستثمار التي تلقاها في الخارج. إن جوهر السياسة الصينية هو الحفاظ على بيئة دولية مستقرة لتسهيل استمرار الإصلاح والتنمية في الوطن. بالتالي، السياسة الصينية في منطقة الشرق الأوسط تسعى إلى دفع العلاقات الاقتصادية في مجال الطاقة، وبالتالي فإنها تؤيد التعامل مع النزاعات مثل أحداث الربيع العربي في مناخ من التعاون والتفاوض وإدارة الصراع[33].

يعتبر العالم العربي شريكا مهما للصين التي تسلك بخطوات ثابتة طريق التنمية السلمية في مساعيها لتعزيز التضامن والتعاون مع الدول النامية وإقامة علاقة دولية من نوع جديد تتمحور على التعاون والمصالح المشتركة. وينظر الجانب الصيني دائما إلى العلاقات الصينية العربية من الزاوية الإستراتيجية، ويلتزم بتوطيد وتعميق الصداقة التقليدية بين الصين والدول العربية كسياسته الخارجية الطويلة الأمد. ستلتزم الصين بالفهم الصحيح للمسؤولية الأخلاقية والمصلحة للربط الوثيق بين الجهود الهادفة إلى تعزيز السلام والاستقرار والتنمية في الدول العربية والجهود الرامية إلى تحقيق تنمية أفضل في الصين، وذلك من أجل الكسب المشترك والتنمية المشتركة من خلال التعاون وبالتالي استشراف آفاق أكثر إشراقا لعلاقات التعاون الاستراتيجي بين الصين والدول العربية.

تلتزم الصين بتطوير علاقاتها مع الدول العربية على أساس المبادئ الخمسة المتمثلة في الاحترام المتبادل للسيادة ووحدة الأراضي، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية، والمساواة

[32] علي نافعة: السياسة الخارجية الصينية تجاه المغرب العربي: المغرب نموذجا، جامعة ابن زهر اكادير، المغرب، اصدرات المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، برلين، الطبعة الأولى، 2018, ص288.

[33] فريدة العلمي، المصدر السابق، ص 1210.

والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمي. وتقف إلى جانب عملية السلام في الشرق الأوسط وتدعم إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ذات السيادة الكاملة على حدود عام 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، وتدعم الجهود المبذولة من جامعة الدول العربية ودولها الأعضاء في هذا السبيل. تتمسك بحل القضايا الساخنة في المنطقة بطرق سياسية وتدعم إقامة منطقة خالية من الأسلحة النووية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل في الشرق الأوسط، كما تؤيد الجهود الحثيثة التي تبذلها الدول العربية من أجل تعزيز التضامن ووضع حد لانتشار الأفكار المتطرفة ومكافحة الإرهاب وغيرها. وتحترم الصين خيار شعوب الدول العربية، وتدعم جهود الدول العربية في استكشاف الطرق التنموية التي تتناسب مع خصوصياتها الوطنية بإرادتها المستقلة، مع الأمل في زيادة تبادل الخبرة مع الدول العربية بشأن حكم وإدارة البلاد[34].

يحرص الجانب الصيني على تعزيز التشاور والتنسيق مع الجانب العربي للعمل سويا على صيانة المقاصد والمبادئ لـ«**ميثاق الأمم المتحدة**"، مع تطبيق أجندة الأمم المتحدة للتنمية المستدامة 2030 ، بما يحافظ على العدل والعدالة في المجتمع الدولي ويدفع بالنظام الدولي نحو اتجاه أكثر عدلا وإنصافا، واحترام المصالح الحيوية والهموم الكبرى للجانب الآخر في إصلاح الأمم المتحدة وتغير المناخ والأمن الغذائي وأمن الطاقة وغيرها من القضايا الدولية الهامة، ودعم المطالب المشروعة والمواقف الصائبة للجانب الآخر، والعمل بحزم على حماية المصلحة المشتركة للدول النامية الغفيرة[35].

وباعتبار الصين تقع بالقرب بما يسمى العالم الثالث، هذا جعل سياستها الخارجية تتأثر بهذا العامل، فطالما اعتبرت الصين نفسها من دول الجنوب رغم المستويات الكبرى التي حققتها على مستوى التنمية والنمو الاقتصادي، وهذا يظهر كيف يؤثر العامل الجيوبوليتيكي على السياسة الخارجية الصينية، كذلك من بين مقومات قوة الدولة، والتي تؤثر في السياسة الخارجية الصينية، نجد الموارد والثروات الطبيعية، فالسياسة الخارجية للدول ترسم من خلال إدراك مقومات الدولة الحقيقية أو الفعلية، فتضخيم مؤهلات الدولة قد تكون له نتائج كارثية وسلبية بالنسبة لسياستها الخارجية.

ونظرا لمعدلات النمو الكبيرة التي حققتها الصين، ونظرا أيضا لطموحها الكبير في الوصول إلى الوضع المهيمن والوصول إلى مكانة مرموقة في النظام الدولي، كانت مطالبها من الثروات الطبيعية، لسد حاجتها من المواد الأولية والطبيعية، كبيرة جدا، خاصة الطاقة المتمثلة في الغاز والنفط على وجه التحديد، لتصبح بذلك من أكبر الدول المستوردة للطاقة من الخارج، والسبب وراء ذلك نموها المتسارع والذي يوصف بأضخم الأرقام. إن هذا الوضع يؤثر على سياسة الصين الخارجية، وهو الأمر الذي يدفع بها إلى بذل جهد كبير في إقامة علاقات طيبة مع الدول المصدرة للطاقة كدول المغرب العربي[36].

[34] وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية"، المصدر السابق.

[35] المصدر نفسه، ص 08.

[36] محمد قروش: طبيعة النظام السياسي وأثره في توجيه السلوك الخارجي للدولة: السياسة الصينية اتجاه دول المغرب العربي نموذجا، مجلة القانون الدستوري والمؤسسات السياسية، المجلد03 العدد 03, ص 17.

وبصفة عامة، ورغم أن الصين لها مساحة شاسعة وتنوع في الموارد الطبيعية، إلا أنها تعتمد على الخارج في التزود بمصادر قوتها والمتمثلة في الطاقة، التي من بين مصادرها دول المغرب العربي. وبالتالي فإن أثر المحدد الجغرافي في السياسة الخارجية للصين مهم جداً، إلا أن هذا التأثير يقل عند الحديث عن دول المغرب العربي، والذي يظهر أن المحدد الاقتصادي أخذ الحظ الوافر من بين المحددات التي تدفع الصين إلى التوجه إلى منطقة المغرب العربي[37].

تتحكم مجموعة من الرهانات في السياسة الخارجية الصينية تجاه المنطقة المغاربية، بل وتجاه جميع دول العالم التي كانت لا تربطها بالصين أية علاقة خلال فترة الحرب الباردة، سواء على المستوى الاقتصادي أو الدبلوماسي أو غيره، حيث كان المحدد أنذاك هو المرجعية الشيوعية كمحرك إيديولوجي، وأهم الرهانات المتحكمة في أجندة السياسة الخارجية الصينية تجاه المغرب هو الرهان الاقتصادي/التجاري، الذي يستهدف ضمان الأمن الاقتصادي والتجاري والطاقي للصين على المدى الطويل. ولا شك أن ولوج إفريقيا إلى حلبة الصراع في السياحة الدولية، كان له الأثر الجلي في تحول السياسة الخارجيةالصينية ورسمها لخريطة العالم من جديد، متجاوزة المرجعية الشيوعية للدولة، ويبرز المحدد الاقتصادي، كمحدد يرتكز على الفلسفة العقلانية البراغماتية التي تحكم سياستها الخارجية.[38]

ويحتل الشرق الأوسط أهمية بالغة في أجندات الصين الخارجية بالخريطة العالمية، سياسياً وأمنياً وإقتصادياً، وبالتالي فإن المنطقة المغاربية عموماً والمغرب على الخصوص، ظل دائما من اهتمامات الصين، كمسرح يتفاعل فيه الفاعل الصيني مع باقي الفاعلين الدوليين الأخيرين، خصوصاً الفاعل الأوروبي، وتحديداً فرنسا، الشريك التاريخي للمغرب في مختلف المجالات)السياسية والاقتصادية والأمنية والثقافية،..الخ.(وتضع الصين مجموعة من الاستراتيجيات لفرض وجودها الاستراتيجي في المنطقة المغاربية، وأهم هذه الإستراتيجية، المبادلات التجارية والاستثمارات[39].

الخاتمة والاستنتاجات

مما لا شك فيه أنّ العلاقات بين الصين والمنطقة الإفريقية العربية تطورت تطورًا ملحوظًا وعميقًا خلال أكثر من نصف قرن، لتصبح خلال تلك الفترة شراكة إستراتيجية تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية واقتصادية وتنموية.

فالمحدد والعامل الأكثر تأثيرا في تحديد السياسة الصينية في المنطقة الإفريقية العربية هو **العامل الاقتصادي** الذي تركز عليه الصين في تعاملها مع القارة الإفريقية ودول المغرب العربي تحديداً، الذي أضحى يشكل أهمية كبرى للصين، الأمر الذي يحتم عليها أن تعزز من علاقاتها مع الدول المغاربية، التي تعتبر الصين خيار استراتيجي خصوصا أمام الشروط التي تفرضها الدول العظمى الكبرى برهانات أيدلوجية وسلطوية.

[37] ضياء مجدي الموسوي: "ثورة أسعار النفط 2004)الجزائر ديوان المطبوعات- الجامعية، 2005) ص 34-35.

[38] علي نافعة، المصدر السابق، ص296.

[39] المصدر نفسه، ص 302.

ومن خلال قراءتنا لجوانب المشكلة البحثية، خلصنا في هذه الدراسة إلى بعض **الاستنتاجات والمقترحات** تتلخص في الآتي:

- تهدف الصين في علاقتها مع المنطقة الإفريقية العربية إلى أن تكون هذه المنطقة المجال الذي يمكّنها من تحقيق سياستها الإستراتيجية على المستوى العالمي.
- حضور الصين في الفضاء الإفريقي - العربي، قد حرك الرغبة الأمريكية التنافسية وزاد من إيقاع روح التنافس الشرس نحو مواجهة القطب الصيني، لأن دخول الصين في إفريقيا والمنطقة المغاربية يضاعف من قوتها الاقتصادية وأن ذلك سيؤثر سلبا على الحضور الأمريكي.
- تصطدم الإستراتيجية الصينية الإفريقية العربية بطبيعة الدولة الريعية والسلطوية في المنطقة المغاربية والإفريقية.
- توجد مخاطر ومحاذير من التدخل الصيني في الشؤون الداخلية للمنطقة المغاربية والإفريقية.
- إن ضعف الأداء في الاقتصاد الأمريكي، سيضعف المكانة العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، مما سيمنح الصين فرصة للتقدم على الولايات المتحدة، وتحقيق انتشار أوسع في إفريقيا والمنطقة المغاربية ودعم نفوذها الاقتصادي والسياسي.
- ضرورة التأسيس إلى نظام سياسي واقتصادي دولي جديد عادل ومعقول، حيث يجيب أن تحترم فيه سيادة الدول الداخلية والخارجية.
- ينبغي إجراء إصلاحات "داخلية" وتحسين نظم الإدارة العامة في البلدان الأفريقية العربية.
- ينبغي إتباع سياسات إستراتيجية من اجل توحيد الجهود من اجل العمل التشاركي المغاربي في تعاملها مع القوة الصينية.
- ينبغي إشراك مؤسسات المجتمع البحثي /الأكاديمي في تقييم وتقويم عملية الشراكة الصينية المغاربية.

وخلاصة القول، فلا سبيل لمواجهة سياسات الهيمنة والسيطرة من قبل القوى العظمى، إلا عبر نهضة المنطقة الإفريقية والعربية، وبالاعتماد على السياسات والاستراتيجيات الداخلية التي تدعم وتؤهل مؤسسات الاتحاد الإفريقي والعربي لكي تلعب دوراً استراتيجياً على مستوى النظام الدولي الراهن.

* دكتواره في العلوم السياسية من جامعة القاضي عياض مراكش، يعمل حاليا أستاذ مؤهل (مشارك). رئيس فريق البحث حول السياسات والمعايير في مختبر الدراسات والأبحاث في العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية بجامعة ابن زهر أكادير في المغرب.

الصراع العراقي منذ العام 2006: دراسة في ضوء منهج تحليل الصراعات متعدد الجوانب

د. فراس كوركيس عزيز*
لينا عماد محسن**

الملخص

بعد الاحتلال الامريكي للعراق في عام 2003 بدأت مرحلة جديدة في تأريخ العراق تميزت ببروز العديد من الاشكاليات التي رافقت العملية السياسية في العراق منذ 2003 ومازالت مستمرة, تمثلت هذه الاشكاليات بضعف المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والامنية, فضلا عن اعادة بروز الخلافات المذهبية و السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت دوماً سبب رئيس في نشوء الصراعات واستمراريتها من جهة, وفي اختلاف أدوات تلك الصراعات من وقت للآخر من جهة ثانية. كان للعنف القائم منذ عام 2006 دوراً رئيساً في استمرار مشهد الصراعات و تطورها داخل العراق وفي اغلب محافظاته ومدنه.

ولمحاولة فهم اسباب استمرارية الصراعات في العراق ينبغي تحليل الصراعات بحسب المدة الزمنية ووضع (مؤشرات) نستطيع من خلالها قياس تحسن او سوء الأوضاع داخل العراق خلال الفترات من (2006-2011) و من (2012-2017), و من (2017-2021), وسيتم أعتماد أحد أهم المناهج العملية في تحليل الصراعات (أنموذج متعدد الجوانب) او ما يسمى بـ CR SIPPAPIO يتم من خلاله التدرج في الأسباب التي كانت بمثابة منشطات للصراع العراقي خلال الفترات الزمنية المحددة ، منها ضعف رأس المال الأجتماعي، و التنافس السياسي المحتدم بين الجهات السياسية الفاعلة داخل العراق، كذلك التدخلات الدولية والأقليمية والتي أختلفت أدواتها من وقت للآخر، بالاضافة الى عدة اسباب مختلفة التي كانت دوماً تهيئ ارضية خصبة اما لأستمرار الصراع، او لبداية صراع من نوع جديد.

الكلمات المفتاحية : الصراع، ديناميكيات الصراع، الاقتتال الداخلي، الفصائل المسلحة.

* مدرس دكتور، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، يعمل حاليا استاذ جامعي في كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد، العراق.
** باحثة في الشؤون السياسية، طالبة ماجستير في كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد، العراق.

The Iraqi Conflict Since 2006: A Study According To The Multi-Pronged Conflict Analysis Approach

Dr.Firas Gorgees Azeez

Lina Emad Mohsen

Abstract

After the US occupation of Iraq in 2003, a new phase began in the history of Iraq, characterized by the emergence of many problems that accompanied the political process in Iraq since 2003 and are continuing. These problems were represented by the weakness of the political, social, economic and security institutions, as well as the re-emergence of sectarian, political, economic and social differences Which has always been a major cause in the emergence and continuity of conflicts on the one hand, and in the different tools of those conflicts from time to time on the other hand. The violence that has existed since 2006 has played a major role in the continuation of the scene of conflicts and their development inside Iraq and most of its provinces and cities.

In order to try to understand the reasons for the continuity of the conflicts in Iraq, the conflicts should be analyzed according to the time period and developed (indicators) through which we can measure the improvement or worsen of the situation inside Iraq during the periods (2006-2011), (2012-2017), and (2017-2021). One of the most important practical approaches to conflict analysis (a multi-sided model) or the so-called CR SIPPAPIO will be adopted through which the causes that were stimulants for the Iraqi conflict during the specified time periods will be graded, including the weakness of social capital, and the fierce political competition between the parties The active political inside Iraq, as well as the international and regional intervention, whose tools have varied from time to time, in addition to several different reasons that have always prepared a fertile ground either for the continuation of the conflict or for the beginning of a new type of conflict.

مقدمة

بعد سقوط النظام السياسي في العراق عام 2003، اصبح لدى العراقيين آمال كبيرة في إحداث تغيير جوهري في حياتهم بعد ثلاثة عقود ونصف من الاستبداد، الا ان السنوات التي تلت ذلك اثبتت العكس، اذ اصبح العراقيين يعيشون في ظل ظروف واوضاع سياسية وامنية واقتصادية واجتماعية ونفسية صعبة جدا.

فقد اتسم النظام السياسي في العراق بعد عام 2003 بعدم الاستقرار مدفوعًا بمجموعة متنوعة من العوامل, بما في ذلك على سبيل المثال لا الحصر التوترات العرقية والطائفية , وسياسات القوات المحتلة, وتدخلات دول الجوار , والتحديات الأمنية التي خلقتها الجماعات الإرهابية والجماعات والفصائل والمليشيات المسلحة, وبقايا النظام السابق, بالإضافة إلى ذلك سيطر على المشهد السياسي منذ عام 2003 تشكيل حكومات عراقية توافقية من خلال ائتلافات ضعيفة ومنقسمة غير قادرة على تنفيذ الإصلاحات الهيكلية التي تشتد الحاجة إليها, هذا الامر الذي فاقم من اشكالية الحكم بسبب التوافقية والطائفية السياسية التي سارت عليها العملية السياسية في العراق, فضلا عن الافتقار إلى المؤسسات, اذ تم بناء مؤسسات الحكومة العراقية لخدمة نظام مختلف كليًا عن النظام الدستوري الفيدرالي الديمقراطي الذي كان من المفترض أن يتم إنشاؤه بعد كتابة الدستور العراقي عام 2005, اذ استمرت العملية السياسية قائمة على اساس المحاصصة والتوزيع الاسترضائي للسلطات, الامر الذي ادى الى ابعاد وتغييب النخب والكفاءات العراقية عن المشاركة في بناء وادارة الدولة العراقية وهيمنة الشخصيات الحزبية على مجمل العملية السياسية في العراق الذين تم اختيارهم على أساس الولاء الحزبي ومناهضة النظام السابق, وقد ادى ذلك الى تفاقم مشاكل الفساد والمحسوبية , واستمرت البيروقراطية وسلاسل القيادة-الهرمية- الفضفاضة في إعاقة تنفيذ العديد من القوانين واللوائح والقرارات الرئيسية, كل هذه الامور ادت الى تدهور الاوضاع الامنية وتصاعد عمليات العنف والارهاب, وبروز العديد من التنظيمات الارهابية والفصائل المسلحة التي كانت واحدة من اهم اسباب تصاعد واستمرار الصراع والعنف في العراق, كما لعب سقوط الموصل والعديد من المدن والبلدات والقرى العراقية الأخرى خلال صيف 2014 بيد تنظيم داعش الارهابي، وكان لتوسعه واحتلاله ثلثي الاراضي العراقية دورًا مهمًا في تغيير المعادلات السياسية المهيمنة في البلاد، اذ مثلت داعش تهديداً وجودياً للعراق يختلف نوعياً عن الجماعات الإرهابية السابقة مثل تنظيم القاعدة، كما كان الرد على هذا التهديد غير المسبوق بنفس القدر على الجبهتين الأمنية والسياسية، فقد كانت المرة الاولى التي تتدخل فيها المرجعية الشيعية العليا في النجف منذ ما يقرب من قرن بإصدار فتوى من اجل (الجهاد) وهي (فتوى الجهاد الكفائي).

كما اسهم ظهور هذا التنظيم الارهابي في تدهور للعملية السياسية وكان من نتائجه تراجع الثقة في الحكومة من قبل عدد من شرائح المجتمع العراقي بدأ هذا التراجع بعد عام 2014- وازداد بعد العام 2017- بعد اعلان النصر على تنظيم داعش الارهابي, وصل مستوى الإحباط بين العراقيين إلى نقطة الغليان في أواخر عام 2019 , مما أدى إلى اندلاع احتجاجات شعبية حاشدة في بغداد والعديد من مدن جنوب العراق في أكتوبر2019, في حين كانت الاحتجاجات سمة متكررة خلال

الاعوام التي سبقت في العراق منذ عام 2015 , الا ان احتجاجات أكتوبر 2019 كانت مختلفة اختلافًا جوهريًا من حيث مدى المشاركة وانتشارها الجغرافي ، فضلاً عن عدد الجرحى والقتلى الذين سقطوا خلال مشاركتهم فيها.

والرغم من مرور اكثر من 17 عام على تغيير النظام السياسي في العراق، الا انه أمتاز بوجود صراعات مستمرة على مدار السنوات السابقة، منها ما هو مرتبط بالاحتلال الامريكي للعراق، ومنها ما هو ارهابي استهدف البنى التحتية و البشرية، ومنها ما هو ترجمة لتنافس الاحزاب السياسية فيما بينها من اجل الحصول على السلطة ، وأخيرًا بدأ صراع آخر جديد لمحاربة الفساد لكونه يشكل خطراً على حياتهم ووجودهم.

أهمية البحث:- في ظل تطور اختصاص ادارة الصراعات، ووجود نظريات عدة لتفسير الصراع على اساس علمي، والوقوف على الأسباب التي أدت لتفاقم صراع ما- بالأخص الصراعات الداخلية او الأهلية- نرى ان تحليل الصراع في العراق بحاجة الى منحه أهمية عميقة، والى تتبع منشطات الفوضى وتفاقم الأزمات، للوصول الى الحلول المبتكرة التي تتناسب مع الأوضاع الحالية بالأخص تلك المرتبطة بالسخط المجتمعي ازاء -السياسة- الذي بأمكانه ان يؤثر على مجمل العملية الديمقراطية في العراق ويفسح المجال امام الفوضى من جهة، و العودة للحكم الشمولي من جهة اخرى.

اشكالية البحث:- تنطلق اشكالية البحث من تساؤل رئيس واحد وهو (كيف تطور الصراع في العراق من صراع خارجي الى صراع أهلي وصولاً الى كونه صراعًا بين جهة حاكمة وأخرى محكومة) تتفرع منه عدة اسئلة فرعية :-

- ماهي فواعل الصراع في العراق منذ العام 2006؟
- كيف أثر انتشار السلاح في العراق بعد العام 2003 الى بداية صراع عميق داخل العراق؟
- ماهو سيناريو الصراع الحالي في العراق الذي تقوده جماعات مسلحة مؤطرة بقانون من جهة، ومجتمع رافضًا للفساد من جهة اخرى؟

فرضية البحث:- على الرغم من مرور اكثر من 17 عام على التغيير السياسي الذي طال نظام الحكم في العراق, الا ان الادارات المتعاقبة و 4 دورات انتخابية لم تكن كافية ليشهد البلاد استقرارًا نسبيًا، بل شهدت تفاقماً لصراعات جذرية تحولت فيها بعد الى صراع ارادات كان للارهاب، وللدعم الخارجي، وللتنافس السياسي دورًا في استمراريته.

منهجية البحث:- من اجل التحقق من اشكالية البحث وفرضيته تم استخدم عدة مناهج منها منهج التحليل النظمي، والتأريخي، والاستقرائي.

المطلب الاول- مفهوم الصراع

يعد مفهوم الصراع من المفاهيم التي خضعت لتطور مستمر، ولتغييرات كبيرة ابتداء من كونه ظاهرة بشرية بديهية، انتهاءاً الى كونه علماً يخضع لقواعد محددة وشروطاً من الواجب توفرها

لكي يكون الخلاف بين طرفين يسمى (صراعًا)، وتمنحنا كلمة صراع معانٍ عدة اذ انها تعني في حياة الانسان اليومية السلوك او التصرف ودائمًا للصراع هنالك (قضية) هي موضع الخلاف بين الأطراف تتمثل بمواقف متناقضة يتخذها اطراف الصراع من بعضهم، ويمكننا فهم الصراع بأنه خلاف حاد بين (طرفين أو اكثر) على موارد معينة ولندرة تلك الموارد لا يمكن ان تلبي حاجة كل الأطراف لذا ينشئ الصراع وهذا ما يُسمى (التناقض)، ولكي يكون الصراع موجوداً تتواجد معه (تحركات) من قبل الأطراف، وان لم توجد فيسمى حينئذاً بالصراع الكامن، ويوجد الصراع ما ان يوجد طرف آخر، اذ ان في المجتمع الدولي تستعد الدول دوماً للدفاع عن نفسها ضد الأخطار المحتملة اي انها في حالة صراع حتمي مع بعضها، ويمكن استنتاج ان الصراع يتكون من ثلاثة عناصر رئيسة وهي (التحرك،الخلافات، والمحركون) ، ومن خلال هذا يمكننا استنتاج ان الصراع يعني "وضع إجتماعي يكافح فيه ما لا يقل عن اثنين من "المحركون" او "الأطراف" للحصول على مجموعة متوفرة من الموارد المحدودة في اللحظة نفسها، في فترة زمنية معينة"[1] .

ولفهم ظاهرة الصراع الدولي يتوجب علينا التوجه الى المصطلحات التي تتقاطع مع الصراع وهي:

1 التوتر: يشير الى حالة عداء وتخوف وشكوك وتصور بتباين المصالح، او ربما بالسيطرة ومحاولة الانتقام غير انه يبقى في هذا الأطار دون ان يتعداه الى فعل ملموس،و في المرحلة التي تسبق النزاع يظهر تعارض صريح وواضح من قبل اطراف النزاع لغرض التأثير على بعضهم[2].

2 التنافس: يعني التنافس وجود طرفين او أكثر يسعون لذات الهدف او لذات المسألة في ذات الوقت دون إدراكهم لذلك على عكس الصراع والذي يكون ثمة وعي بالتنافس، وقد يكون التنافس أحد جذور الصراعات، كأن يكون التنافس على بسط النفوذ في رقعة جغرافية بين دولتين سببًا لنشوب نزاعات بينهم في وقت لاحق مثل التنافس الامريكي-الصيني في منطقة الشرق الأوسط[3].

3 الأزمة: يرى مايكل لاند ان الأزمة عبارة عن " تفجيرات قصيرة تتميز بكثرة وكثافة الاحداث فيها"، ونصل من هذا التعريف الى ان الازمة تتسم بعنصر المفاجأة، كما ان مداها الزمني يعتبر قصيرًا مقارنة مع الصراع[4].

4 الحرب: يعرف روسو الحرب بأنها "عبارة عن صراع مسلح يقع بين الدول يهدف فرض السياسة باستخدام وسائل تم تنظيمها بموجب القوانين الدولية"[5].

تعطي الحرب ايضًا معنى الصراع المسلح المنظم بين دولتين او أكثر في إطار القوانين والأعراف الدولية ويكون هدف هذا الصراع-المسلح-هو تحقيق المصالح الوطنية لأطرافه [6].

[1] بيتر فالنستين، مدخل الى فهم تسوية الصراعات الحرب والسلام والنظام العالمي، المركز العلمي للدراسات السياسية،الاردن، 2006, ص 31-32.

[2] محمد احمد عبد الغفار،2003, فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية,دار هومة,الجزائر,ص237.

[3] عبد القادر محمد فهمي، مدخل الى دراسة الاستراتيجية، دار مجدلاوي للنشر، الاردن،2006, ص122.

[4] محمد احمد عبد الغفار،مرجع سابق،ص237.

[5] حسين قادري، النزاعات الدولية دراسة وتحليل،باتنة منشورة خير جليس، 2007,ص20.

[6] حسين بوقارة، تحليل النزاعات الدولية،دار هومة، الجزائر،2008,ص6.

بعد ان تتبعنا مفهوم الصراع، يجب ان نلفت النظر الى ان المفاهيم المقاربة قد تكون احدى مراحل الصراع، اذ قد تبدأ الصراعات بحالة توتر[7]، وقد يتحول توتر ان لم يتم الوصول فيه الى تسوية مناسبة الى أزمة بين الدول، مثل "أزمة الخليج" بين قطر ودول مجلس التعاون الخليجي- والتي هي جزءً منه- على أثر زيادة التوترات بين إيران وحلفائها من جهة، والولايات المتحدة من جهة اخرى في حزيران 2017.واذا لم يتوصل أطراف الأزمة الى حل قد يقترب الصراع من "الحرب"، والتي تعد اعلى مراحل الصراع وأشدها[8].

المطلب الثاني- تحليل مسببات الصراع في العراق منذ العام 2006 بحسب أنموذج تحليل الصراعات متعدد الجوانب

تتعدد مسببات الصراع في اي مجتمع، وذلك بحسب طبيعة المجتمع، وطبيعة النظام السياسي، فضلا عن ثقافة افراد المجتمع وبنيته وتركيبته من حيث كونه مجتمعاً متجانساً او متعدد، اضافة الى عوامل اخرى، لذلك سندرس في هذا المطلب مسببات الصراع الداخلي في العراق.

اولاً: شرح انموذج متعدد الجوانب لتحليل الصراع العراقي بعد العام 2006

من المعروف ان ظواهر مثل العنف والصراع هي ظواهر معقدة، وكانت بحاجة الى وضع أطر منهجية لفهمها وتحليلها، لذلك وجدت عشرات النماذج التي تهدف الى تحليل الصراعات سواءً تحليل جذور ومسببات الصراع، او التدرج في فهم الصراعات وصولاً الى الحلول التي يُقترح انها قد تكون ناجعة في بعض مراحله، او حتى تلك النماذج التي تحاول قياس شدة الصراع او عدد مرات التدخل من قبل-طرف ثالث او وسيط-بين اطراف الصراع، و أحد هذه النماذج هو (أنموذج متعدد الجوانب) الذي طرحه الدكتور عمر عبد الله ، ميزة هذهَ الاداة انها تقوم بتحليل الصراعات "طويلة الأمد" بشكل مفصل، آخذة بنظر الاعتبار جميع العوامل التي ساهمت في استمراريته، فكما هو معروف انه ليس للصراعات أسباب موحدة او ظاهرية، يمثل انموذج متعدد الجوانب بأنه يتناول السياق الذي حدث فيه الصراع، اي الظروف المحيطة التي بدأ الصراع فيها يبدو واضحًا، اضافة الى العلاقة بين اطراف الصراع، شكلها في الماضي، وكيف بدأت الأمور تأخذ منحى تصارعي بينهم ، كما يتناول في هذا الجزء من التحليل التصريحات المتبادلة او "الحملات" التي شُنت ضد بعضهم خلال فترة التصعيد، كما يتم الأخذ بطبيعة الجغرافية التي يعيش فيها اطراف الصراع، والأعراق المتواجدة في اراضيهم، الدين المَتبع و المذهب الذي يؤمنون به، اذ تحفز هذه العوامل وبصورة حادة اطراف النزاع على تبادل العداء فيما بينهم بالأخص اذا كان هنالك اختلاف ديني او مذهبي، كما ان للروابط التأريخية بينهم سبباً للصراع، وعليه يتم طرح تساؤل الاتي (هل كانت هنالك خلافات بين اطراف الصراع في الماضي؟)، يمنح الجواب على هذا السؤال صورة قد تدفع المحللين الى العودة للوراء لتفهم طبيعة العلاقة الحالية و سبب التوتر الموجود بينهم ،كما ان لـ قوة أطراف

[7] سامر الياس، ،روسيا-اوروبا:كرة ثلج الخلافات تكبر،تقرير منشور على موقع صحيفة العربي الجديد، 20 ابريل 2021، متاح على الرابط : https://www.alaraby.co.uk/politics

[8] احمد عبد الأمير الأنباري، ،الازمة الخليجية-القطرية وتأثيرها في وحدة مجلس التعاون لدول الخليج العربية،العراق، 2019,ص8.

الصراع أثراً على ديناميكيته، وما هي مصادر قوتهم؟ هل هي قوة مادية، السيطرة على الاقتصاد ورؤوس الاموال في الدولة؟، ام هي قوة بشرية مستمدة من عدد الاتباع او المؤمنين او المنضوين تحت راية معينة؟، كما يصنف انموذج تحليل متعدد الجوانب مصادر الصراع، وعناصر الصراعات والتي بدورها تنقسم الى عدة اقسام مثل (الحاجة للأمن و الحاجة للخدمات الصحية و الحاجة للتعليم و العمل)، وهي حاجات ضرورية تكون سببًا رئيس للصراعات ان لم تُلبى كلها او بعضٍ منها، كما ان للهوية و عملية فصل الذات عن الآخر الذي يتشارك معنا في ذات المجتمع (انا) ضد (هو)، او (نحن) ضد (هم) قد تكون سببًا رئيس في احتدام الصراعات طويلة الأمد-وتكون الهوية ايضاً سبباً في جعل الصراع ديناميكي لأنها تغذي شعور الرفض لدى افراد المجتمع اتجاه بعضهم،كما ان لخطاب الكراهية، والأعلام، و والوساطات الدولية أثراً على الصراع الموجود، وينتهي الانموذج بدراسة الجوانب النفسية للصراع، و يأخذ بنظر الأعتبار النتائج الأخيرة التي توصل اليها الصراع في حال انتهاؤه[9].

بعد ان تتبعنا شرحًا موجزًا لأنموذج تحليل الصراع المُتبع، يتحتم علينا طرح سؤال، لماذا تم اختيار أنموذج متعدد الجوانب لتحليل الصراع العراقي المحتدم منذ العام 2006-2020؟

للأجابة على هذا السؤال نعاود التذكير بأن الصراع العراقي منذ العام 2006 قد مر بمراحل عديدة وشائكة اذ ابتدأ خارجيًا منذ دخول القوات الاحتلال الامريكية العراق عام 2003، و انتهى بكونه صراعًا داخليًا كان للدين و للثقافة و لطبيعة المجتمع ولعوامل اخرى داخلية و خارجية دوراً في تأجيجه وزيادة وتيرته، لذا فأن محاولة لتحليل الصراع وتتبع مراحله، نرى أن أنموذج تحليل الصراعات متعدد الجوانب سيساعدنا في فهم الانقسامات السوسيولوجية في قاع المجتمع العراقي التي ادت الى نشوب الحرب الأهلية والتي كانت هنالك بيئة مواتية لها بعد سقوط النظام العراقي السابق ومجيئ المعارضة العراقية الى الحكم، ومن اجل فهم هذه البيئة نحن بحاجة الى تناول المسببات المباشرة وغير المباشرة للصراع العراقي وهذه المرونة في التحليل يوفرها انموذج التحليل متعدد الجوانب لأنه يتناول اكثر من سبع عشر معطى ومدى تأثيره على مجرى الصراع.

ثانيا: تحليل الصراع العراقي منذ العام 2006-2020 بحسب أنموذج تحليل الصراعات

ان عملية تحليل الصراع هي عملية مستمرة، وبحاجة الى تحديث مستمر من قبل المحللين، لذلك سيتم تحليل أنموذج الصراع العراقي الداخلي القائم منذ العام2006 على المستوى "الوطني"، وهو تحليل كلي مقتضب يهدف الى الوقوف على مسببات الصراع و منشطاته، وسيتم التعامل مع مصطلحات مثل "(سنة) و(شيعة) و (اكراد)،و (جماعات مسلحة) بوصفها مصطلحات أداتية ضمن السياق التصارعي الذي كان يشهده العراق، كما سيتم التطرق الى الديناميكيات التي ساهمت في تنشيط الصراعات منذ العام 2006 بحسب أنموذج تحليل الصراعات متعدد الجوانب[10]

[9] Amr Abdalla، Marie Sender، ،C.R. SIPPABIO a model for conflict analysis، 2019،Pp.18-Pp.156،Available PDF on https://inpeaceamr.com/wp-content/uploads/2020/06/Abdalla-C-R-SIPPABIO-February-2020.pdf.

[10] Amr Abdalla، Marie Sender ،op cit ،P156.

1 تنامي الجماعات المسلحة: توجد عدة جماعات مسلحة داخل العراق التي تشكلت لغرض مقاومة الأحتلال الأمريكي بعد العام 2003 في بادئ الامر, وكان جزءً منها كان ذو طابع بعثي-تابع لحزب البعث المنحل- و الجزء الآخر ذو طابع ديني-مذهبي- والجزء الثالث كان ذا طابع عشائري, و مما ساعد على انتشارهم هو خطوة الحاكم المدني بول بريمر بحل الجيش العراقي السابق اضافة الى انتشار سوق الأسلحة في العراق اواخر عام 2005 وبداية عام 2006, عندما بدأت بوادر اقتتال طائفي في الكثير من المدن العراقية, حيث ازداد الطلب على الاسلحة لغرض الحماية الشخصية, والملاحظ أن الطلب على هذه الأسلحة تراجع عام 2008[11]، اضافة الى ما ذكر أن احد اهم اسباب زيادة تسليح المجتمع العراقي وظهور الجماعات المسلحة التي تحارب بعضها، هو أن الكثير من أفراد الشرطة والجيش قد باعوا أسلحتهم إلى أشخاص تخصصوا في جمع هذه الأسلحة وتقديمها إلى التجار الكبار، واعترف وزير الداخلية عام 2008 باختفاء أكثر من 190 ألف قطعة سلاح قال إنها تعتبر بحكم المفقودة[12].

كما اصبحت ماكينة الصراع الداخلي العراقي تعمل وفقاً لخطوط وتقسيمات محددة بعد العام 2003 ففي الجنوب توجد عدة فصائل مسلحة، وفي اقليم كوردستان ايضا هناك عدة فصائل مسلحة كردية. وفي محافظات الوسط توجد العديد من الجماعات والفصائل السنية، والتي تتميز بالكثرة المتعددة، والارتباط بالعشائر، لذلك تتوزع هذه الجماعات المسلحة جغرافياً في وسط العراق تبعاً للتوزيع العشائري.

2 ديناميكيات الصراع الداخلي العراقي:

أهمها السلطة اذ تحاول الأطراف العراقية السيطرة على مقاليد السلطة في العراق وتنقسم في هذا الصراع إلى ثلاثة محاور وهي[13] :-

- محور رافض للوجود الأمريكي: ويتمثل في الجماعات الإسلامية السنية وبعض الفصائل المسلحة الشيعية بعد عام 2003, والجماعات المسلحة الشيعية بعد العام 2019، الناشطة في وسط العراق بشكل رئيسي.

[11] علاء يوسف، ازدهار تجارة الاسلحة في العراق، مقالة منشورة على موقع الجزيرة في تأريخ16\12\2009، متاح على الرابط: https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2009/12/16.

[12] رياض هاني البهار،الجيوش العشائرية في العراق وخطرها على الامن الوطني، مقالة منشورة على موقع شفق نيوز، 2020، متاح على الرابط https://shafaq.com

[13] رانج علاء الدين، الطائفية والحوكمة ومستقبل العراق،دراسة تحليلية ، مركز بروكنجز الدوحة، 2018, ص(5-11)، متاح على الرابط: - sptth://www.brookings.edu/wp-content/uploads/2018/11/Ranj-Alaaldin_Sectarianism-governance-and-Iraqs-future_Arabic.pdf

- محور مؤيد للوجود الأمريكي: ويتمثل في الجماعات المسلحة الكردية الموجودة في شمال العراق وحكومة اقليم كوردستان، إضافة إلى الجماعات العراقية الداعمة للحكومة العراقية التي جاءت بعد عام 2006, ثم ومنذ العام 2018، كانت هنالك قوى شيعية مدنية-ونشطاء-ومنظمات مجتمع مدني قد اخذت دورًا اكبرًا في التأثير على صنع القرار العراقي واصبحت هي الاخرى مؤيدة للوجود الأمريكي بالضد من النفوذ الايراني ، اضافة الى المتضررين من التواجد الشيعي-الحشد الشعبي- في المدن ذات الغالبية السنية المحررة من تنظيم داعش الارهابي .

- محور يقف في الوسط: ويتمثل في بعض الأحزاب والمنظمات والجماعات التي تجمع على نحو مرن بين التعامل مع الوجود الأمريكي كأمر واقع، وفي الوقت نفسه تعارض هذا الوجود، وترى بأن تبنّي هذه الاستراتيجية يتيح لها كسب الوقت من أجل تجميع قواها والاستفادة من هامش المناورة المتاح أمامها من أجل الحصول على المزيد من المزايا النسبية، ومن أمثلة هذه الجماعات: الفصائل الخاصة بالأقليات العراقية الصغيرة، وبعض القوى والاحزاب الشيعية، والأحزاب الصغيرة المدنية، والحزب الشيوعي العراقي.[14]

3 بؤر الصراع العراقي الداخلي:

أدت عملية الاستقطاب الناتجة عن الصراعات العراقية البينية ومنذ العام 2006 إلى نشوء استقطابات نظامية هيكلية في خارطة العراق، وحالياً تزايدت بؤر التوتر الموجودة والتي يتمثل أبرزها في المناطق الآتية[15]:-

- العاصمة بغداد : مدينة بغداد باعتبارها عاصمة للعراق، تجمع مختلف الفئات والجماعات السكانية العراقية، وذلك على النحو الذي أصبحت فيه أحياء المدينة تضم خليطاً غير متجانس من السكان، ومنذ 2006 وبسبب التوترات الطائفية والبينية بين الشيعة والسنة، وشيعة الجنوب وشيعة الوسط آنذاك، وأكراد الشمال، انتقلت عدوى هذه التوترات إلى أحياء العاصمة بغداد، وأصبحت كل مجموعة تحاول القضاء على السكان الآخرين من الأحياء التي تعيش فيها، وذلك على النحو الذي أدى إلى العديد من عمليات التطهير العرقي داخل هذه الأحياء.

- مدينة كركوك: تتميز هذه المحافظة بأنها من المناطق -المتنازع عليها- وتتميز بالتنوع السكاني، على خلاف بقية مدن شمال العراق الأخرى التي تقطنها أغلبية كردية مثل محافظة دهوك، فقد نشطت الجماعات المسلحة الكردية في القيام عنف وترهيب في مدينة كركوك، وأيضاً في مدينة الموصل وذلك حتى تكون جميع مدن شمال العراق مناطق كردية خالصة.

[14] المصدر نفسه، ص 8.

[15] اسعد سليمان، العراق: جذور الصراعات الداخلية، المعهد المصري للدراسات، 2017, ص(32-53).

- مناطق التماس بين وسط العراق وشماله: تتميز هذه المناطق بالتداخل الواضح بين السكان العرب من السُنة والأكراد، ويحاول الأكراد من خلال عدة وسائل واليات وسياسات الى ضم هذه المناطق الى خارطة إقليم كردستان، ولكي يتسنى لهم ذلك حاولت الفصائل الكردية منذ العام 2007 بالقيام بعملية طرد العرب السنة من هذه المناطق ودفعهم جنوباً باتجاه العاصمة بغداد[16].

- مناطق التماس بين وسط العراق ومحافظات الجنوب: وتتميز هذه المناطق بالتداخل الطائفي بين العرب السنة والعرب الشيعة، وعلى خلفية إرث التوترات الدامية التي خلفتها الصراعات بين نظام صدام وشيعة الجنوب قبل العام 2003, وتنظيم القاعدة و الجماعات المسلحة الشيعية و القوات الرسمية العراقية بعد العام 2006, وبين تنظيم داعش و القوات العراقية والحشد الشعبي بعد العام 2014، فقد أصبحت هذه المناطق تعاني من الاحتقان والتوتر بسبب الخلافات السياسية والثارات بين قبائل وعشائر المنطقة، كذلك أصبحت النخب السياسية السنية والشيعية والكردية تحاول العمل على ضم هذه المناطق إلى مجالها الإقليمي[17].

4 السياق والعلاقة (العرق، المذهب، الدين، الجغرافية، المستوى الثقافي، الأحزاب السياسية، القوة):

- الجانب الديني من الصراع في العراق: منذ بداية النزاع في العراق تم وصف ذلك الاقتتال والصراع الداخلي الطائفي بكونه امتداداً للصراع الشيعي/السنّي الذي يعود للقرن السابع الميلادي بشأن الخلافة السياسية للإسلام ، اذ هيمن السنّة على مؤسسة الخلافة واقصوا الشيعة أو الخط العلوي من السلطة والثروة، فضلاً عن ذلك أن الأيديولوجية السنّية التي ترى ان التشيع عبارة عن افكار غريبة دخيلة على الإسلام كان ذلك حتى ظهور الدولة القومية في العراق، مما جعل الشيعة يشكلون الطبقات الدنيا في المجتمع العراقي، إذ إن اصل النزاع الشيعي/ السنّي في العصر الكلاسيكي الإسلامي، لم يكن يتعلق بالمسائل العقائدية، أو المسائل المتعلقة بالعبادات فقط، بل يتعلق أصلاً بالسياسية والتي يتولاها (الأمير، الإمام)، فالأدبيات الشيعية، ترى أن الإمامة والسلطة تنحصر في خط عصبوي وجرى اقصاؤه من توريث الخلافة من قبل الجماعات المؤسسة في حين تؤكد السردية السنيّة على شرعية الخلافة، عبر هذا العمل نرى أن الخلاف كان صراع سياسياً وجرى التعبير عنه في اطار لغة دينية ومذهبية، وقد اعيد ظهور تلك المشكلات مع التغيرات الجيوسياسية التي حدثت في إيران العام 1979, وصعود تيار فكر (الخمينية) من الإسلام السياسي الشيعي وكانت الحرب العراقية - الإيرانية أحد تجلياتها أو الجزء الحيوي في تحجيم المد الإيراني وامتدادته في العوالم الشيعية المنتشرة في العراق, والبحرين,

[16] اسعد البصري ،مصير الاكراد ليس على حساب سنة العراق،مقالة منشورة في صحيفة العرب في الاحد 17\9\2017، متاح على الموقع الالكتروني /https://alarab.co.uk

[17] حمد جاسم محمد، الصراعات على الحدود الادارية في محافظات العراق بعد هزيمة داعش،مقالة منشورة في مركز الفرات للدراسات في تأريخ 26\10\2016، متاح على الموقع الالكتروني http://fcdrs.com/polotics/563

[18] حارث حسن، الازمة الطائفية في العراق أرث من الاقصاء،مركز مالكوم كير-كارنيغي الشرق الاوسط،دراسة منشورة في تأريخ 13\ابريل\2014 ، متاحة على الرابط https://carnegie-mec.org/2014/04/23/ar-pub-55405

والسعودية، والكويت، ثم الانفتاح الشيعي الكبير والوصول الى السلطة في العراق بعد الاحتلال الأميركي للعراق عام 2003[18]، وبفعل ديناميكيات النظام الديمقراطي، لعب التكوين الديمغرافي وصراع الهويات ادواراً معيارية في انبعاث الصراع السياسي بين الشيعة والسنّة وعلى الرغم من مشاركة سنَّة العراق في العملية السياسية، فقد كان لديهم أحساس بالخسارة ، فهم بناة الدولة القومية وعسكرها، وأبناء السلطة العميقة منذ العصور الوسطى، حيث كانوا يملكون المفاصل الدقيقة فيها، أما الهوامش فكانت حصة الشيعة والكرد ويعاملون كمواطنين احتياط، محكومين بسلسلة قانونية واجرائية تحد من صعودهم في هرم السلطة[19].

مع سقوط نظام البعث العراقي عام 2003, أظهر السنّة فقدان الرشد السياسي في اعادة التموضع داخل العملية السياسية في العراق, فقد شهدت البلاد منذ تلك اللحظة موجات مستمرة من العنف, والعمليات الانتحارية وتفجير السيارات والقتل ذي الخلفيات الطائفية وخاصة ضد التجمعات الشيعية ومن ثم ظهرت التنظيمات الارهابية مثل تنظيم القاعدة, ودولة العراق الاسلامية, ودولة العراق والشام الأسلامية (داعش) حتى إعلان دولة الخلافة الإسلامية, والتي مارست الإبادة ضد المختلفين مذهبيا ودينياً , إذن يعد (النزاع الديني) أحد التأسيسات الأيديولوجية للحرب الأهلية الطائفية بين الجماعات المسلحة الشيعية والجماعات المسلحة السنّية بتنوعاتها في العراق, ولكن يبقى هذا النزاع محكوماً بنظام القوة وتوزيع ممتلكات السلطة السياسية, والثروات والهيمنة على الرأسمال الرمزي للدولة وانتاج المعنى, فالغزو والاحتلال الأميركي للعراق في 2003 حطم النظام القديم للعقد الاجتماعي بين المجتمعات العراقية، فضلاً عن ذلك أوجد نظاماً عقدياً جديدا[20].

- القوة والأحزاب السياسية والجماعات المسلحة وأنفاذ القانون:

تعد مشكلة تواجد السلاح خارج سيطرة الدولة من اهم الاشكاليات والتحديات التي توجه الدولة العراقية، وهي في الوقت نفسه واحدة من اهم اسباب قيام واستمرار الصراع في العراق، الا ان هذا التحدي والاشكالية هي قديمة الا ان تأثيراتها ما زالت مستمرة، ففي خلال الحرب العراقية الإيرانية ، وزع حزب البعث الأسلحة والذخيرة على الجماعات المسلحة المدعومة من الدولة مثل الجيش الشعبي العراقي، وخلال الحرب بين عامي 1991 و 2003 ضد التحالف الذي قادته الولايات المتحدة الامريكية, قام النظام بتسليح فصائل او ميليشيات مسلحة مثل فدائيي صدام, وجيش القدس, وكان الغرض منها تأمين النظام السابق وحمايته, الا انه بعد التغيير السياسي في العراق سرعان ما تحولوا إلى تهديد موجه ضد الجيش العراقي الحكومي الذي تشكل بعد عام 2003.

وبعد عام 2003 ومع صدور دستور جديد للبلاد عام 2005 نصت المادة 9 منه على ان مثل هذه القوات غير قانونية، اذ نصت على "حظر تشكيل ميليشيات عسكرية خارج إطار القوات

[19] ولي نصر،2007,صحوت الشيعة-الصراعات داخل الاسلام وكيف سترسم مستقبل الشرق الاوسط,دار الكتب العربية,بيروت,ص72-75

[20] المصدر نفسه.

[21] مايكل نايتس،2016,مستقبل القوات المسلحة العراقية,مركز البيان للدراسات والتخطيط,بغداد,ص17-18-19.

المسلحة" ردت الفصائل المسلحة على هذا الحظر بعدة طرق، فقد عملت بعض الفصائل والقوى المسلحة على ادخال قوات الأمن العراقية بشكل جماعي في عملية تعرف (بالدمج)[21]. وبالمثل عمل الاكراد على تشكيل أكثر من عشرين لواءً من البيشمركة في الشمال الكردي والتي أصبحت "ألوية حرس إقليمي" بموجب المادة 121 من الدستور، في حين أن بعض ألوية الجيش المتمركزة في الشمال كانت اغلبها من وحدات البيشمركة[22]. الا ان الجماعات المسلحة الأخرى بقيت بشكل واضح خارج الإطار المركزي، من بين البيشمركة، ظلت وحدتان مستقلتان بأعداد متساوية تقريبًا لألوية حرس إقليم كردستان المعترف بها رسميًا: ياكري 70, وهي وحدة تابعة للاتحاد الوطني الكردستاني, وياكراي 80، تابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني، واحتفظت القوات بدبابات ومدفعية وأسلحة ثقيلة أخرى لم يعلن عنها للدولة العراقية[23]. ومن بين القوى الشيعية الاخرى، حافظ أتباع السيد مقتدى الصدر على جماعات مسلحة كبيرة، وهي جيش المهدي، التي شنت عدة هجمات في عدة محافظات منذ عام 2004 على القوات المحتلة, فضلا عن قيامها ببعض العمليات العسكرية في فترة الاقتتال الطائفي الذي شهده العراق منذ عام 2005 وحتى عام 2008، وانقسمت في النهاية إلى فروع تدعمها إيران، أما الجماعات السنية المتمردة، فقد عمل البعض منهم بشكل أساسي كأجنحة مسلحة للفصائل القبلية وعناصر النظام السابق التي عملت خارج العملية السياسية.

الا انه خلال المدة من عام 2007 الى عام 2009، بدأ الجيش العراقي بحملات امنية كبيرة ضد بعض الجماعات والفصائل المسلحة، مثل عملية صولة الفرسان في البصرة[24] ، وفي الوقت نفسه بدأت الحكومة العراقية باقناع بعض الفصائل السنية المسلحة للانضمام إلى ما سمي بال(صحوة)، وتشكيلهم إلى وحدات مثل وحدة ابناء العراق.

ومع ذلك، سرعان ما فقدت الحكومة سيطرتها على الفصائل او الجماعات المسلحة مرة أخرى، كما تم تسريح أبناء العراق وتم التخلي عنهم إلى حد كبير ، فقط ليتم انتزاعهم من قبل الدولة الإسلامية بعد عام 2011. وفي الوقت نفسه أدى اندلاع الحرب في سوريا والضعف المتزامن لقوات الأمن العراقية من خلال التسييس والفساد إلى اعتماد بغداد على الجماعات والفصائل المسلحة الموازية. اذ تطور نشاط الجماعات المسلحة في العراق وتزايد نفوذها داخل المدن العراقية لاسيما بعد دخول البعض الى العملية السياسية، ومن ثم امتلاكهم وكلاء على هيئة نواب مُنتخبون في البرلمان العراقي، ووزراء، والدرجات الخاصة التي تتوزع في مجمل مؤسسات الدولة العامة.

وما ينبغي ذكره هنا ان هناك عدة احزاب سياسية رسمية مشاركة في الحكومات العراقية منذ العام 2008 والتي تمتلك في الوقت ذاته جناحاً مسلحاً, وهذا الامر يعد انتهاكًا للدستور العراقي

[22] الدستور العراقي الدائم 2005.

[23] Omar Al-Nidawi، Michael Knight ،Militias in Iraq's security Forces : Historical Context and U.S. Options، the Washington institute for near east policy ،Feb 22,2018، available online on https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/militias-iraqs-security-forces-historical-context-and-us-options

[24] صولة الفرسان في البصرة: مقتل 120 مسلحاً وجرح 450,2008، صحيفة الاتحاد، متاح على الموقع https://www.alittihad.ae/article/14475/2008/.

الدائم 2005 والذي ينص في المادة (9) منه الفقرة الأولى " لا يجوز للقوات المسلحة العراقية وأفرادها، وبضمنهم العسكريون العاملون في وزارة الدفاع أو أية دوائر أو منظمات تابعة لها، الترشيح في انتخاباتٍ لإشغال مراكز سياسية، ولا يجوز لهم القيام بحملات انتخابية لصالح مرشحين فيها، ولا المشاركة في غير ذلك من الأعمال التي تمنعها أنظمة وزارة الدفاع، ويشمل عدم الجواز هذا أنشطة أولئك الأفراد المذكورين آنفاً التي يقومون بها بصفتهم الشخصية أو الوظيفية، دون أن يشمل ذلك حقهم بالتصويت في الانتخابات." كما انه وبموجب قانون الاحزاب الذي أقر رسمياً في 27 /آب 2015، فإنه يحظر امتلاك الحزب لجناح عسكريّ أو أي تشكيل مسلح أو الارتباط بأي نوع من الفصائل المسلحة. وتشترط المادة الثامنة من الفصل الثالث من قانون الأحزاب السياسية، وهو الفصل المُتعلّق بأحكام تأسيس الحزب السياسي، اشترط بأن لا يكون الحزب او التنظيم السياسي ذا طابع عسكري، والا يمتلك اياً من التنظيمات العسكرية أو شبه العسكرية، كما لا يجوز الارتباط بأي قوة مسلحة، وبالاستناد إلى هذه المادة وغيرها من مواد نصّ عليها القانون، تصبح كثير من الأحزاب الحالية في البرلمان وداخل العملية السياسية مخالفة ولا يحق لها المشاركة بالانتخابات[25].

تقليديا، يُنظر إلى الأحزاب السياسية والجماعات المسلحة على أنهما نقيضان متعارضان في ادبيات السياسة فالجماعات المسلحة تعرقل وتعيق بل وتمنع أحياناً اخرى سير العملية السياسية الديمقراطية، في حين أن الأحزاب السياسية هي اللاعب الرئيسي في الأنظمة الديمقراطية وسيادة القانون، ومع ذلك، فإن مثل هذا الإطار الثنائي (السياسي – العسكري) معقد للغاية، حيث يفشل في تقدير أوجه التشابه بين هذين النوعين من التنظيمات، وكذلك يفشل في تفسير وجود عدد من التنظيمات (السياسية – العسكرية) المختلطة.

الا انه في السنوات القليلة الماضية أنشأت عدة جماعات مسلحة أحزابا سياسية تابعة لها من أجل المنافسة في الانتخابات والفوز بالمناصب العليا، كما تزايد تأثير التنظيمات السياسية المسلحة المختلطة، وأصبح لها جماهير وناخبون، ومؤيدون، وهو ما يبرزه عدة احداث وقعا معا بعد مجيء تنظيم داعش الارهابي واحتلاله ثلثي اراضي العراق عام 2014.

ومن أهم الأحزاب او التنظيمات السياسية الكبرى التي تمتلك أذرعًا مسلحة وتشارك في ذات الوقت في العملية السياسية العراقية فهي[26]:

التيار الصدري: ويمتلك جناحً مسلح بأسم "جيش المهدي"، انبثق منه "عصائب أهل الحق" وهي جماعة مسلحة عقائدية، يمتلك التيار الصدري 54 مقعداً في البرلمان العراقي الحالي بعد الانتخابات النيابية عام 2018، اضافة الى وزراء وعشرات الدرجات الخاصة في المؤسسات الحكومية الرسمية.

ائتلاف الفتح: ويضم العديد من الجماعات المسلحة، يمتلك ما يقارب الـ47 مقعداً في

[25] عادل النواب، العراق:احزاب مسلحة تتحايل على القانون للمشاركة في الانتخابات، تقرير منشور على موقع صحيفة العربي الجديد، 2021 ،متاح على الرابط : https://www.alaraby.co.uk/politics

[26] نتائج الانتخابات البرلمانية العراقية 2018 بحسب المفوضية العليا المستقلة للأنتخابات

البرلمان العراقي بعد الانتخابات النيابية عام 2018، بالاضافة الى وزراء و درجات خاصة على خطى التيار الصدري .

الحزب الديمقراطي الكوردستاني: والذي حصد 26 مقعداً في الانتخابات البرلمانية العراقية 2018 و هو الحزب الحاكم لأقليم كوردستان, يمتلك موالاة كاملة من قبل البيشمركة-اربيل, القوات النظامية والتي هي بنظر الباحثين لا تزال ميليشيا, والتي تمسك ارض اقليم كوردستان, كما ان للأتحاد الوطني الكوردستاني والذي يمتلك 15 مقعداً في البرلمان العراقي جناح من البيشمركة-السليمانية.

اما الأحزاب السنية الكبرى، فلا تمتلك-ظاهريًا-أذرعة مسلحة او جماعات مسلحة تابعة لها، الا انها تمتلك ارتباطاً كبيراً بالعشائر السنية التي تمتاز بتسليحها المستمر طوال السنوات التي تلت الاحتلال الامريكي للعراق ، اذ تم تسليح جماعات "الصحوة" للوقوف بوجه تنامي تنظيم القاعدة في غرب العراق، والتي تتكون بدورها من عناصر عشائرية ، ومن ثم تم تسليح العشائر السنية مرة من قبل الجيش الأمريكي بعد تشكيل تحالف دولي لتدريب الجيش العراقي والجماعات المسلحة من الحشد الشعبي والحشد العشائري السني ضد تنظيم داعش، ثمة علاقة أكيدة و مترابطة بين الاحزاب السنية الكبرى او التحالفات القديمة والجديدة، وبين العشائر المسلحة.

5 (البطالة ، المستوى الثقافي، تركة النظام السابق، البيروقراطية كمحرك رئيس للصراع القائم) :

- العامل الاقتصادي كمحرك للصراع في العراق:

في ادبيات السياسة، ولاسيما المرتبطة بأسباب الصراع الجذرية، تم طرح أربعة فرضيات اقتصادية لشرح الصراعات داخل الدول ، بناءً على العوامل المتعلقة بدوافع المجموعة ، والدوافع الخاصة ، وفشل العقد الاجتماعي ، والتدهور البيئي، سنحاول اختزال هذه الفرضيات، ومن ثم تحديد اي نوع من الفرضيات هذه يمكن ان تطلق على الصراع العراقي من المنظور الاقتصادي :

عدم المساواة الجماعية: نظرًا لأن الحروب داخل الدول تتكون أساسًا من جماعات تتقاتل فيما بينها، فإن دوافع المجموعة من الاستياء والطموحات غير الملباة توفر دافعًا للصراع، و يمكن تقسيم المجموعات على أسس ثقافية أو دينية ، حسب الجغرافيا أو الطبقة التي ينتمون اليها، ولكي تصبح الاختلافات الجماعية جديرة بالتقاتل من أجلها، يجب ان يكون هناك اختلافات مهمة أخرى بين المجموعات المتناحرة ، لا سيما في توزيع وممارسة السلطة السياسية والاقتصادية ، اذ من المرجح أن تسعى المجموعات المحرومة نسبيًا (أو يقنعها قادتها بالسعي) إلى انتزاع الإنصاف، و عندما لا يكون الإنصاف السياسي ممكنًا ، فقد يلجأون إلى الحرب، ان الاستياء المستوحى من الاختلافات الجماعية ، والذي يطلق عليه "عدم المساواة الأفقية "، هو سبب رئيسي للصراعات

[27] Keen D.، The benefits of famine: a political economy of famine relief in southwestern Sudan 1883-1989. London School of Economics & Political Science، London، UK، 2008، p113.

الداخلية ، وهذه الاختلافات الجماعية لها أبعاد عديدة اقتصادية وسياسية واجتماعية وقد تكون المجموعات ذات الامتيازات النسبية أيضًا مدفوعة للقتال لحماية امتيازاتها من الهجوم من الجماعات المحرومة نسبيًا[27].

وفيما يخص المعطى في الصراع العراقي يمكن اسقاط هذه الفرضية عليه، من خلال معرفة ما حدث ومنذ بداية الاقتتال الطائفي في العراق ان بعض الزعامات-السياسية والدينية والعشائرية- كانت تؤجج الصراع بين افراد المجتمع الذين يخضعون لسلطتها او نفوذها لتحقيق مكاسب جماعية، كأن يتم اقناع اولئك الذين ينتهجون المذهب الشيعي بأن "الحكومة الجعفرية" او الحكومة الشيعية هي الأحق لكونها تمثل اكثرية السكان ولكونها جاهدت لتحقيق مكاسب سياسية منذ تأسيس الدولة العراقية ولم يحدث ان مُنحت فرصة الحكم الا بعد العام 2003, كما يتم اقناع الأكراد بأن الاستقلال حقًا تأريخياً لهم, وان البقاء في العراق يشكل خطرًا دائمًا يلاحقهم نظرًا للاعتداءات المستمرة التي بدأها النظام العراقي السابق منذ الثمانينيات ,اخيرًا يحفز بعض زعماء السُنة, الصراع المذهبي بين السنة والشيعة من خلال دفع افرادهم الى الانضمام الى تنظيمات بدأت كمقاومة ضد الاحتلال الامريكي بعد عام 2003, ثم تحولت الى خلايات نائمة تنتمي وتتهم انها تنتمي الى تنظيم القاعدة , ومن ثم الى تنظيم داعش الارهابي, لذلك نرى ان عدم المساواة الاجتماعية التي تشعر بها المجموعات, بالتهميش السني, او بالاضطهاد التاريخي الشيعي, او بالتردد والخوف الكردي, كان ولا يزال أحد اهم محركات الصراع في العراق واصبح ذلك ظاهريًا بعد العام 2006.

فرضية الدافع الفردي[28]: تمنح الصراعات فوائد للأفراد بشكل خاص بالإضافة إلى المكاسب التي يمكن أن تحفز الناس على القتال كمجموعات، ان الشباب غير المتعلمين او العاطلين عن العمل ، على وجه الخصوص ، قد يحصلون على "فرصة عمل" كجنود في الميليشيات او الجماعات المسلحة خارج اطار القانون ، وتولد الصراعات أيضًا فرصًا للنهب والاستفادة من النقص ومن المساعدات الدولية وتجارة الأسلحة والقيام بالإتجار غير المشروع والاتجار بالمخدرات والبشر والأخشاب والسلع الأخرى، وحيثما تكون الفرص البديلة قليلة ، بسبب الدخل المنخفض والعمالة غير الكفوءة ، و زيادة إمكانيات تحقيق الإثراء بالصراعات، فمن المرجح أن تكون تواتر الصراعات الداخلية ومدتها أكبر، تستند "فرضية الجشع" هذه إلى اقتصاديات الاختيار العقلاني.

وفي المجتمع العراقي نلاحظ تحقق هذه الفرضية من خلال توفر اوضاع مجتمعية معينة مثل انتشار البطالة، ومحدودية التعليم، بيئة خصبة لصحة فرضية ان يكون دافع الأفراد الشخصي سببًا لصراعاتهم، في بلد كالعراق، نسبة الفقر فيه تجاوزت الـ31%, و نسبة البطالة تقترب من الـ40% من مجمل القوى العاملة[29]، كما دفعت الصراعات السياسية و المذهبية الأفراد الى الأنخراط ضمن احد محاور الصراع لتحقيق الاستفادة الشخصية، و للحصول على اوضاع معيشية افضل، بالأخص اذا

[28] Cohen A.، Two-dimensional man: an essay on the anthropology of power and symbolism in complex society. Berkeley: University of California Press، London، 1974، P68.

[29] الجهاز المركزي للأحصاء،وزارة التخطيط العراقية.

وجدت للجماعات المتصارعة فيما بينها مشاريع ومصادر مالية غير شرعية يمنحها استمرار العنف ديمومة البقاء، كما ان لأبتزاز المستثمرين، وتعطيل المشاريع يعد وجهًا واضحًا للرغبة باستمرارية الفوضى وعدم المحاسبة لأنها تضمن واردات دائمة للأحزاب السياسية و الجماعات المسلحة التي تقود الفوضى فيما بينها.

فرضية فشل العقد الاجتماعي[30]: تنبع هذه الفرضية من وجهة النظر القائلة بأن الاستقرار الاجتماعي يقوم على عقد اجتماعي افتراضي بين الشعب والحكومة، يقبل الناس سلطة الحكومة طالما أن الحكومة تقدم الخدمات وتوفر ظروفًا اقتصادية معقولة (التوظيف والدخل)، لكن مع الركود الاقتصادي أو التدهور الاقتصادي وتدهور الخدمات التي تقدمها الدولة، ينهار العقد الاجتماعي وينتج العنف، ومن ثم، فمن المتوقع أن تؤدي مستويات الفقر المرتفعة والمتصاعدة إلى جانب انخفاض خدمات الدولة إلى نشوب الصراع.

ان فرضية فشل العقد الأجتماعي في العراق تتجسد من خلال عدم انفاذ القانون، الافلات من العقاب، تعد هذه الفرضية حقيقية، اذا أخذ بنظر الاعتبار ان المشاكل التي يعاني منها العراق تتمحور حول-تنفيذ-عدم تنفيذ-توظيف القانون لأغراض عديدة ليس من ضمنها تحقيق العدالة، وقد واجهة الحكومات العراقية المتعاقبة عقبة اساسية تحول بينها وبين القدرة على حل الازمات التي تواجه العراق، وهي عدم القدرة على انفاذ القانون وتطبيقه بشكل حازم، ففي ظل الفوضى التي تشهدها الساحة العراقية تبرز مشكلة ضعف آليات الحكومة لضبط الاوضاع والسيطرة عليها مقابل هيمنة واضحة لمافيات الفساد والجماعات الخارجة عن القانون على مؤسسات الدولة الاقتصادية وحتى الامنية منها، ولا يخفى وجود صراع ما بين الحكومة بمؤسساتها المنضبطة وبين أطراف اخرى متمردة عليها تعمل بأجندات خاصة قسم منها خارجية، ولا شك ان فقدان قدرة الحكومة على اخضاع الجميع للقانون له تداعيات خطيرة على حماية الامن الوطني العراقي الذي أصبح مهددا من جهات وجماعات مسلحة ولكنها لا تلتزم لأوامرها مما يزيد احتمالية الصدام والمواجهة بين مؤسسات أمنية وطنية رسمية واخرى غير رسمية، خصوصا في ظل استمرار تنفيذ هجمات صاروخية على بعثات دبلوماسية داخل العراق مما وضع الحكومة العراقية في موقف حرج اظهر ضعفها امام تنظيمات عسكرية لا تأتمر بأوامرها رغم ان القانون الموجود يعاود أمرتها لسلطة القائد العام للقوات المسلحة.

أما فيما يخص الجانب الاقتصادي فاستمرار هدر الاموال العامة في مشاريع وهمية، واخرى غير كاملة، ومشاريع ليست خدمية وتجميلية لبنى تحتية منهارة، وشيوع الفساد المالي والاداري وسيطرة جهات معروفة على المنافذ الحدودية ومزاد بيع العملة، قد حرم الحكومة من موارد مالية كبيرة قد تساهم في التخفيف من الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها العراق.

نظرية التدهور البيئي[31]: تشير هذه النظرية إلى ان التدهور البيئي او التلوث البيئي يمكن اعتباره

[30] 10. Collier P، Hoeffler A. Greed and grievance in civil war. Washington DC: World Bank; 2000. p. 42.

[31] Homer-Dixon T.،1994، Environmental scarcities and violent conflict: evidence from cases. Int Secur. Pp5-40.

كمصدر للفقر وسبب للصراع على سبيل المثال، قد تؤدي الزيادة السكانية المتزايدة وانخفاض الإنتاجية الزراعية إلى نشوب نزاعات على الأراضي تتعارض هذه النظرية مع النظريات التي ترى بأن النزاع حول مصادر المياه هو الذي يدفع السكان للصراعات رغم صوابه، لكن مجمل العوامل البيئية منها الاراضي الصالحة للزراعة والمدن المأهولة بالسكان قد تكون سببًا للصراعات.

ان فرضية البيئة وطبيعة المناخ، الثروات الطبيعية التي توفرها ارض العراق تعد كأحد أسباب وأهداف اهداف الانخراط في الصراعات اذا كانت البيئة الطبيعية تعني الانهار والمناخ والبحيرات و الاراضي و الثروات الطبيعية الموجود في ارض ما، وقد افترضت هذه النظرية ان يتصارع الناس لأجل الحفاظ على ما لديهم من موارد، او لأجل الحصول على موارد، او اوعزت ان يكون أحد أهم اسباب الصراع هو التلوث البيئي الناتج عن الحوادث الطبيعية، او عن الحروب و الكوارث وعدم الاهتمام بالوضع البيئي السائد، ففي العراق، تعتبر محافظة البصرة المثال الأوضح للمتابع لأسقاط هذه الفرضية على الصراع العراقي، ففي عام 2019، خرج آلاف الناس للمطالبة بتوفير المياه الصالحة للشرب، والطاقة الكهربائية، كما تعاني البصرة من بيئة ملوثة بالكامل.

ان هذه المشاكل البيئية الرئيسية-وليست الوحيدة-التي تخص محافظة البصرة، والأهمال البيئي المصاحب لتردي الاوضاع الخدمية فيها، وما ينبغي ذكره هنا ان محافظة البصرة تعد اغنى محافظة عراقية، اذ يصل مجموع الحقول النفطية في المدينة إلى 15 حقلًا نفطيًّا, 10 منها منتجة وقيد العمل, أما الخمسة الأخرى فما زالت تنتظر الاستثمار والتطوير, يقدر مجموع الاحتياطي النفطي في البصرة ب65 مليار برميل, بنسبة تقترب من 60% من الاحتياطي النفطي العراقي[32]، الا انه بسبب الظروف والاوضاع المختلفة والتي ذكرناها باختصار بقيت البصرة مسرحًا لصراع الأحزاب السياسية و أذرعها المسلحة، اضافة الى التدخلات الخارجية و السيطرة التامة على نفوذ شركات النفط الموجودة، وميناء الفاو الكبير، وعائدات الجمارك ، و توظيف حدودها و موقعها الحيوي للتهريب و أدخال الاسلحة و المواد الممنوعة من والى الاراضي العراقية

اما فيما يخص قطاع الخدمات في العراق، فقد كان من ابرز أسباب نشوب الصراعات بعد العام 2010, حين أصبح للصراع العراقي أطرافاً جديدة تتمثل ب(أفراد المجتمع المدنيين) من جهة, و (السياسيين والأحزاب السياسية, اضافة الى المستفيدين من خلالهم)من جهة أخرى, فمنذ العام 2003 تخلت الحكومات العراقية المتعاقبة عن مسؤولياتها الإعمارية والتنموية لبناء العراق اقتصادياً, وعجزت عن توفير الأمن الاجتماعي والأمان والسلم الأهلي للمواطنين, اذ أضحت السلطات الرسمية العراقية تركز على جني الضرائب المفروضة على وسائل النقل وتحصيل الأتاوات من صغار التجار واقتطاعات متعددة من رواتب الموظفين لإدامة واستمرارية الحروب ضد ما يسمى بالإرهاب, دون وجود اية زيادة في مستوى دخل الفرد والذي بلغ متوسطه دون الخمس ملايين- سنوياً- علماً ان متوسط الدخل هذا لا يحصل عليه جميع المواطنين لأنه يشمل الموظفين العموميين حصراً, في حين أضحى رؤساء الكتل ووكلاؤهم فوق القانون لا سيما قوانين فرض

[32] عبد الستار عبد الجبار موسى،2010, دراسة تحليلية لواقع القطاع النفطي في العراق وافاقه المستقبلية,مجلة الادارة والاقتصاد , العدد الخامس والثمانون 2010,ص303.

الضرائب، في المقابل رفعت الدولة يدها وتخلت عن مسؤولياتها من صيانة البنى التحتية في سائر البلاد وما سببته وتسببه من كوارث بيئية وطبيعية، في حين انفقت المليارات لتحسين هذه المشاريع الحيوية على شركات وهمية لتذهب الأموال في نهاية المطاف الى مصادر مجهولة. ومع أن المظاهرات التي تطالب بالاصلاحات الخدمية انطلقت في العراق على نطاق واسع منذ عام 2009 لكنها سرعان ما انحسرت في بغداد والمحافظات الوسطى والجنوبية ذات الغالبية الشيعية لتتجدد أواخر عام 2012 وطوال عام 2013 في المحافظات الغربية ذات الغالبية السنية والذين كانوا ينظمون مظاهرات حاشدة في مناطق مختلفة من العراق على مدى أشهر احتجاجا على ما وصفوه بتهميش الحكومة التي يسيطر عليها الشيعة لهم , واقتحمت الحكومة السابقة برئاسة نوري المالكي خيم الاعتصامات وأضرمت فيها النيران , كان ذلك قبل دخول تنظيم داعش الارهابي الى تلك المناطق التي كانت مهيأة لأي قوة تعدها بتغيير الواقع الخدمي التي عانت منه, وعليه تجدد الصدام بين طرفي الصراع من المدنيين المطالبين بالخدمات والرعاية الصحية وتوفير الكهرباء في مدن وسط وجنوب العراق منذ العام 2015,فيما تواصل التصعيد في مظاهرات تشرين الاول من العام 2019 التي انطلقت في بغداد وامتدت لتشمل باقي محافظات الوسط والجنوب للمطالبة ليس في الخدمات فحسب, بل بإسقاط النظام السياسي العراقي الحالي و تغيير الاحزاب السياسية والزعامات السياسية والحزبية التي شاركت في حكم العراق من بعد العام 2003, الا ان الحكومة العراقية تعاملت مع المتظاهرين باستخدام القوة وعلى اثرها قتل ما يقارب ال 700 شخص وجرح المئات ، فضلا عن حوادث الاغتيالات والخطف بحق الناشطين والصحفيين اللذين أيدوا المظاهرات و مطالبها، في حين تم اعتبار هذه المظاهرات من قبل طرف آخر بانها ضد حكم الاشخاص "الشيعة" وانها موجهة لتخريب مدن الوسط والجنوب، ولا تزال المطالب الخدمية محرك رئيس في الصراع الجديد الذي بدا من العام 2019، بين الحكومة العراقية من جهة، وبين المدنيين اللذين يطالبون بعيش كريم وفق حكومة مُنتخبة بصورة نزيهة .

1 (ثقافة الخضوع، تركة النظام السابق، انعدام الخدمات،التهميش الخدمي على اساس الهوية):

عانى المجتمع العراقي من هيمنة ثقافة الخضوع بين افراده نتيجة سياسات الانظمة الدكتاتورية التي حكمته قبل 2003، وكان من الطبيعي ان تستمر اثار هذه الثقافة حتى الان ، لذلك يقع على عاتق المجتمع، مسؤولية كبرى في الحد او استمرارية الصراعات بينهم، والمجتمع العراقي يتحمل جزءًا كبيراً من الصراعات، سواءً من الأسباب المرتبطة بمستواه الثقافي و طريقة التعاطي مع الاحداث التي يعيشها، او من خلال تأييده-او رفضه- للسياسات التي تدفع الصراع بأتجاهات أكثر عنفًا بالأخص في السنوات التي تلت الاقتتال الداخلي ، وبروز قوى سياسية مؤيدة للتأجيج الطائفي كان لجماهيرها من المجتمع الثقل الأكبر في ميزان القوة لديها.

وهنا يبرز تساؤل رئيس: أين نجد ثقافة المجتمع العراقي بعد العام 2003؟

بعد انتقال العراق من النظام الدكتاتوري الى النظام الديمقراطي اصبحت هنالك ازدواجية في تحديد نوع الثقافة التي ينتهجها المجتمع ولذلك اصبح الفرد العراقي اسيراً بين قوة التقاليد

العشائرية (الثقافة الرعوية) في تحديد انتمائه السياسية وبين التأثر في سلوك الاتجاه السياسي الاقوى والاكثر توظيفاً للغة العنف(ثقافة الخضوع)،حيث يميل الفرد إلى الجهه السياسية التي تمتلك اكثر قوه في التصعيد، وبين عدم معرفته لذاته في ظل ثقافه المشاركة، وعدم درايته بأدواره المسؤول عنها كونه ناخبًا،مرشحًا، ومؤيداً او معارضاً، ان هذه الثقافات المزدوجة والتراكمية جعلت من بنية النظام السياسي تتميز بأزدواجية ثلاثية في نفس الوقت، لكسب الأفراد والتلاعب في مشاعرهم، اذ نجد تاره تأخذ القوى السياسية اتجاه الأسلوب العشائري القبلي، وتارة تأخذ اتجاه النبرات الاكثر تصعيداً، وفي اتجاه آخر تسير وفق المفاهيم والمصطلحات الديمقراطية التشاركية. وعليه أنتجت تلك الفوضوية العديد من الثقافات الفرعية، وبذلك تم غياب تحديد الهدف أو الاتجاه الذي يسير عليه النظام السياسي والمجتمع.

2 التدخل الأقليمي في الصراع العراقي (الدور السلبي للاعبين الاقليميين في العراق):

موقف الدول العربية من الحرب الأمريكية على العراق2003:

لم تتمكن دول الجوار للعراق من توحيد سياساتها تجاه الأزمة العراقية التي قادت إلى الحرب عام 2003, ومن ثم إلى احتلال العراق, اذ انقسمت على نفسها, وتراوحت مواقفها من التأييد المطلق للحرب الامريكية (الكويت وقطر), وإلى المعارضة العلنية والرفض الصريح والتنديد الواضح لهذه الحرب (سوريا), مرورا بمواقف أخرى متباينة تعكس مواقف بدت مرتبكة ومتناقضة (مصر والسعودية) فالكويت, قد بدت تلك المواقف منها والتي بالضد من العراق متناغمة إلى دوافع وأسباب جدا مختلفة, فقد كان موقفها محكوما بهاجس التخلص من نظام سبق له ان اعتدى عليها في حرب الخليج الثانية 1991/1990, معتبرة أن أي حل آخر حتى لو كان تدمير العراق أو تفتيته أو احتلاله على نحو دائم, يمثل خيارا أفضل من بقاء نظام صدام. اما قطر, فقد حاولت توظيف الأزمة لتعظيم دورها في المنطقة على حساب الدور السعودي, مدفوعة بذلك الى خلافات تاريخية عميقة الجذور بينهما, وذلك بالمزايدة على دورها التقليدي كحليف رئيسي أضعفته أحداث 11 سبتمبر 2001، أما مواقف المملكة العربية السعودية ومصر فقد اتسم بالغموض والتردد في الاستجابة لضغوط متناقضة من جانب تيارات شعبية قوية داخلها، كانت رافضة للسياسة الأميركية من ناحية، ونخبة حاكمة ترتبط مصالحها بالولايات المتحدة من ناحية أخرى، ولا جدال في أن تباين هذه المواقف سهل من مهمة الغزو والاحتلال الأميركي للعراق[33].

- موقف دول الجوار الاقليمي من الحرب الأمريكية على العراق2003:

اما بالنسبةِ لدول الجوار الاقليمي غير العربية -إيران وتركيا- فقد كان موقفهما محايد ازاء الحرب الامريكية على العراق، فقد كانت الحرب بمثابة فرصة لإيران تمكنها من لعب دور اقليمي أكبر في المنطقة نظرًا للامتداد المذهبي لغالبية سكان العراق من المذهب الشيعي-التوظيف المذهبي للسياسة الايرانية الخارجية، وتواجد حلفائها من السياسيين العراقيين والذين كانوا يعيشون في إيران كمعارضة لنظام صدام حسين.

[33] ظلال جواد كاظم،احمد مرزوق عبد عون،الحدود السياسية لبعض دول الجوار واثرها في نمو ظاهرة الارهاب بعد العام 2003,مجلة البحوث الجغرافية,العدد 27,ص301-310.

اما تركيا ففي العام 2003 أيقن العديد من الأتراك أن السياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة تمثل تهديدًا لبلادهم, ولم تتحسن الأمور بعد انتخاب حزب العدالة والتنمية عام 2002, وقد أدى انتخاب حزب العدالة والتنمية إلى زيادة حدة التوتر فورًا في العلاقات مع أمريكا, لا سيما بعد قرار البرلمان بعدم إرسال أية قوات تركية إلى العراق مما أدى إلى المزيد من التدهور في العلاقات التركية الأمريكية. ولقد كان 70% من أعضاء البرلمان ينتمون لحزب العدالة والتنمية الذي لم يؤيد الحرب ضد العراق[34] .

- الدور السعودي(الخليجي)- الايراني في العراق منذ العام 2006[35]:

عندما قام نظام صدام حسين بغزو الكويت تقارب الطرفان-السعودية و ايران- ضد العراق بعد حرب الخليج الثانية، وبعد حرب الخليج الثالثة اصبح العراق حليفا لايران ضد دول مجلس التعاون، وحين بدأت الحرب ضد تنظيم الدولة الاسلامية (داعش) بعد سقوط مدينة الموصل انضم العراق للتحالف الدولي ضد داعش فتقاربت دول مجلس التعاون مع العراق مرة اخرى، ولانتجاوز الواقع حين نقول ان التحالف الدولي الثالث ضد تنظيم داعش الارهابي هو حرب خليجية رابعة تستهدف نفوذ ايران في العراق، وليس داعش فقط، رغم ان نتائج تلك الحرب قد جعلت النفوذ الايراني تمتد أذرعه لسوريا، و مدن غرب العراق ذات الاغلبية السُنية، على الرغم من انها بدأت بتحالف جوي من ستين دولة، فقد التحق بها تحالف اسلامي عسكري من اربعين دولة اعلن عنه ولي العهد السعودي نهاية 2015، ثم التحلق بالتحالف الدولي تمركز عسكري امريكي بري متتابع في العراق وفي سوريا.

هنالك محورين هامين فيما يخص الدور الايراني -السعودي في العراق، اذ على الرغم من انهما يتقاطعنا في محاور كثيرة، لكنها يلتقيان من خلال:

كِلا الطرفين مارسا دورًا كبيرًا في تأجيج العنف بين أطراف الصراع العراقية اذ تبنت ايران الدفاع و الأحتماء وحماية حلفائها من الشيعة، و تسليحهم، ودفعهم لأعلان العداء صوب الجانب الاخر من المجتمع المتمثل بالسُنة، اذ كانت ردود بعض الجماعات المسلحة الشيعية على الهجمات الارهابية-والمتهمة بأن السعودية تدعمها- بأن تقوم بأعمال اجرامية وقتل واختطاف المواطنين على اساس الهوية، في حين مارست السعودية دورًا اكبر ويرى البعض بأن بداية العنف كان مصدره الجماعات التكفيرية التي تدفع بعض القوى السنية لقتل الافراد الشيعة وتفجير مراقدهم، والاعتداء على المناطق ذات الاغلبية الشيعية بأرسال سيارات مفخخة و عبوات ناسفة أنتحاريين [36]، " اذ شهدت الاعوام 2003-2013 أن حوالي 120 ألف مدني قتلوا خلال أعمال العنف

[34] هنري ج. باركي، تركيا والعراق اخطار و امكانات الجوار ،تقرير خاص رقم 141,معهد السلام الامريكي, 2005,ص(11-17).

[35] مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، "دول الطوق الجديدة" الخلاف السعودي الإيراني والمواجهة المؤجلة، 2016,ص8-9 متاح على الموقع https://www.omrandirasat.org/

[36] صلاح حسن الشمري، 2014,الاستراتيجية الامريكية حيال العراق قراءة في ملامح التغير,منشورات ضفاف , لبنان,ص397.

والتي مصدرها (الارهاب) المتواصلة في العراق، فيما بلغ مجموع من قتلوا ومن ضمنهم المقاتلين والعسكريين نحو 170 ألف شخص"[37].

للدولتين أثر كبيرً في تعطيل الاقتصاد العراقي، اذ وعلى الرغم ان الصبغة المذهبية واضحة في الصراع بينهما داخل الساحة العراقية، الا اننا يجب ان لا نتجاهل ان كلتا الدولتين مصدرتان للنفط، وللغاز، وان اي استقرار داخل العراق سيؤثر على انتاجهم و سهولة تصريفه، اضافة الى كون العراق سوقًا للبضائع الايرانية، إذ أنه خلال اول تسعة اشهر من العام 2020 وهو العام الذي يمتاز بالكساد بسبب جائحة الكورونا 19, كانت قيمة الصادرات الايرانية للعراق بحوالي 5.7 مليار دولار ، وهو رقم كبير اذا ما قورن بطبيعة البضائع المصدرة والتي يمكن تصنيعها داخل العراق ان كانت الظروف السياسية و الاقتصادية تهيئ ذلك[38].

ثالثا: نتيجة الصراع الداخلي في العراق حسب انموذج المعتدد الجوانب :

ابتدأ الصراع العراقي بعد العام 2003 بكونه صراعًا خارجي المصدر، اذ تحالفت الولايات المتحدة مع المملكة المتحدة رافضة قرار مجلس الأمن بعدم شرعية الحرب ضد العراق، وانه ليس ثمة أسبابًا "حقيقية" تشرعن الحرب ، ومن ثم تحول الصراع الى صراع بين جماعات مسلحة متمثلة بالمقاومة ضد المحتل -كما كانت تسمى- اذ نشطت جماعات شيعية وسنية اشهرت المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي، ثم ما لبث ان تحولت هذه الجماعات الى خصوم بعد اشتعال الاقتتال الطائفي في العراق عام 2006, لتستمر هذه الجماعات بأستهداف بعضها مجتمعياً-القتل على الهوية-التفجيرات الانتحارية من قبل السلفيين وتنظيم القاعدة-استهداف قياديين سياسيين لدى الطرفين, ومقرات أحزاب, وقتل مرشحين للانتخابات وشخصيات مجتمعية معروفة, ان الاقتتال الطائفي الاهلي لم يكن بين الجماعات المسلحة التي تنتمي لكلا طرفي الصراع فحسب, بل ايضا تحملت الحكومات المتعاقبة بعد عام 2003 مسؤولية كبيرة بسبب سياسات الاقصاء التي مورست لاسيما في الفترة من 2006 الى 2010 اتجاه السُنة في العراق, الامر الذي انتهى بهذه السياسة الطائفية الى مجيئ تنظيم داعش الارهابي عام 2014 واحتلاله ثلثي اراضي العراق.

ان مجيئ تنظيم داعش هو نتيجة لكل التركة الطائفية التي عُززت سياسيًا من قبل الزعماء السياسيين السنة والشيعة والكورد على حدٍ سواء، ووصولاً لذلك، ثمة ارقام تحدد التكلفة الباهظة لتلك السياسة، فقد كانت نتيجة استمرار الحرب منذ العام 2014 ولغاية 2017-رغم ان التنظيم لا يزال يمتلك بيئة ثقافية و دينية مواتية في المناطق المحررة- اذ الحقت السياسة الطائفية خسائر كبيرة بعد مجيئ تنظيم داعش لا سيما في المناطق التي سيطر عليها التنظيم وهي (محافظات نينوى والأنبار وصلاح الدين وأجزاء من كركوك وديالى وبابل وبغداد), في حين أن الخسائر الحكومية وحدها من مبان وخزائن البنك المركزي والأسلحة التي تركتها القوات العراقية في تلك المحافظات تقدر بـ 36 مليار دولار, أما ما يتعلق بأعداد المنازل المهدمة فيعتقد أن الحرب تسببت بتدمير ما يقرب من 250 ألف منزل يمتلكه مواطنين مدنيين, بما يعادل 7.5 مليارات دولار, اذا اعتبرنا

[37] عثمان المختار، 16 عامً على غزو العراق عداد ضحايا لا يتوقف,مقالة منشورة على موقع صحيفة العربي الجديد في تأريخ 9\ابريل\ 2019. متاح على الموقع :https://www.alaraby.co.uk/

[38] صلاح حسن الشمري، مصدر سبق ذكره، ص400.

أن أقل تكلفة لإعادة الإعمار تقدر بـ 30 ألف دولار للمنزل الواحد, في حين أشارت تقارير حكومية إلى أن أعداد المنازل المدمرة لم تتجاوز 150 ألفا,اما قطاع الكهرباء وحده تقدر الخسائر فيه في المناطق التي سيطر عليها التنظيم كانت باهظة للغاية, وأنها تقدر بـ 12 مليار دولار[39].

النتيجة المكلفة النهائية ان عدد الوحدات الاقتصادية الحكومية المتضررة من الحرب تقدر بـ 8457 وحدة, لتشمل مختلف القطاعات الاقتصادية الحكومية في قطاعات النفط والكهرباء والتعليم والصحة والنقل والمستشفيات وغيرها.كشف تقرير آخر صادر عن مجموعة البنك الدولي ووزارة التخطيط العراقية في 2018 أن تكلفة إعادة الإعمار في جميع المدن التي شهدتها الحرب تفوق الـ 88 مليار دولار, وأن إعادة إعمار قطاع الإسكان الخاص بحاجة إلى 17.2 مليار دولار, وبالرغم مرور اربع سنوات لإعلان النصر على التنظيم إلا أن آثار التدمير لازالت واضحة في الموصل , اما فيما يخص التكلفة البشرية, فأن حصيلة القتلى لعامي 2014 و2015, وبين أن أعداد القتلى في المناطق التي سيطر عليها التنظيم بلغت نحو 18 ألفا و802, إضافة إلى 37 ألف جريح, فضلا عن 3.2 ملايين نازح وذلك قبل أن تبدأ معركة الموصل في أكتوبر/تشرين الأول 2016[40].

نظراً للتكلفة البشرية والمادية التي كانت نتيجة للصراع المحموم(السياسي-المذهبي-المجتمعي) في العراق تحول الصراع في العراق الى مستوى جديد يقترب من التجربة الأفغانية-رغم الاختلافات الجذرية بين المجتمعين- ويمكن أجمال المستوى الجديد الذي ابتدأ منذ العام 2019 من الصراع العراقي:

بعدما كانت الحكومة العراقية والمدنيين طرفاً من صراع قائم بينهم وبين الإرهاب، اصبحت الحكومة العراقية-في عهد عادل عبد المهدي- خصمًا رئيسًا للمدنيين، اذ ابتدأت الاحتجاجات في تشرين الثاني 2019، وأتهم تحقيق بريطاني بأن القوات العراقية وليست-اطراف ثالثة او الجماعات المسلحة هي التي اعتدت على المتظاهرين، اذ كشف التحقيق ان بعض عناصر امنية غير منضبطة هي من قامت بالاعتداء على المتظاهرين الذين اعتدوا بدورهم على القوات الامنية وحاولوا تجاوز الحواجز المرصوفة على جوانب جسر(السنك-الجمهورية-الشهداء) في وسط بغداد اضافة الى الضحايا الذين قتلوا في محافظتي البصرة والناصرية، نلاحظ ان الحكومة العراقية في الوقت الحاضر اصبحت خصمًا للمدنيين، وأن الاعتداء المستمر على مقرات بعض الأحزاب، واعضاء منتمين لجهات سياسية مشاركة في الحكومة ونواب، يؤكد هذا الاعتقاد[41].

بعد الانتصار الذي حُقق على تنظيم داعش الارهابي، و قلة الهجمات الارهابية بشكل ملحوظ بعد العام 2018 بالاخص[42]، قام النشطاء والمدنيون بحملات وجهود توعوية التي تقودها منظمات

[39] علي رضا نادر، الدور الذي تضطلع به ايران في العراق هل من مجال تعاون بين الولايات المتحدة و ايران، مؤسسة راند، ص6-7-8.

[40] ضحايا العراق البشرية ضد تنظيم داعش، مقالة منشورة على موقع يورنيوز في تأريخ 24\9\2018، متاحة على الموقع مونيكا بنا، 2018، https://arabic.euronews.com/2018/07/26/iraq-s-human-victims-in-the-war-against-the-organization-dahesh-

[41] Iraq troops used excessive force against protesters، official inquiry finds، bbc، 22\oct\2019، available in https://www.bbc.com/news/world-middle-east-50138127

[42] بيانات مفتوحة بخصوص اعداد القتلى من المدنيين العراقيين متاح على الرابط https://www.statista.com/statistics/269729/documented-civilian-deaths-in-iraq-war-since-2003/

المجتمع المدني، وركزت هذه الجهود على ايصال فكرة ان ليس الارهاب فحسب هو من يشكل خطراً على اوضاعهم المعيشية في العراق، بل ان (الفساد) المتجذر في مفاصل الدولة العراقية هو سبب اهم من الارهاب نفسه، اذ حل العراق المرتبة (13) عربيًا و (162) عالميً بحسب مؤشر الفساد العالمي لعام 2020 الصادر من قبل منظمة الشفافية الدولية[43]. فقد تحولت الاحزاب السياسية الكبرى -والتي تمتلك هيئات اقتصادية خاصة بها تقوم بأدارة المشاريع و أخذ نسب من أرباحها الى (شركات) ربحية وهو العدو الاخطر لهم ، خاصة وأن للأحزاب ذاتها وكلاء في المؤسسات المسؤولة عن تنفيذ المشاريع التي تُخصص لها موازنات كل عام، وعن المنافذ الحدودية، و المؤسسات الرسمية المسؤولة عن جني العائدات، بالرغم من أنه توجد في العراق جهات عديدة معنية في ديباجة تشكيلها بمكافحة الفساد وملاحقته مثل هيئة النزاهة، ديوان الرقابة المالية، ولجنة النزاهة في مجلس النواب العراقي، إلا أن كل هذه الجهات، مضافا إليها القضاء العراقي وخطب ممثلي المرجعيات، لم تعلن أو تقدم أي شخص أو طرف للشعب العراقي أنه فاسد، باستثناء حالاتٍ نادرة تم الإعلان عنها فقط، من دون تطبيق الأحكام الخاصة بها، على الرغم من هزالتها ثم تم تذويبها ونسيان ملفاتها بعد أيام، والأدلة على ذلك عديدة.

وبسبب سوء الاوضاع المعيشية في بلد تصل نسبة البطالة فيه إلى أكثر من 40%, ومعدّلات الفقر إلى أكثر من 50%[44]، فإن الشباب الذي يشكلون اكثر من 60% من المجتمع معرضين الى الانخراط في صفوف الجماعات المسلحة خارج اطار الدولة أكثر بـ 5 مرات بعد تفشي جائحة كورونا -وهي احدى الاوضاع الطارئة التي يمكن ان يتعرض لها العراق في اي وقت آخر- ,واذا اخذنا بنظر الاعتبار ولادة اكثر من 9 فصائل مسلحة جديدة خلال العام 2020 فقط[45]، وبنفس العام بات هنالك اكثر من مليوني عائلة تحتوي من (4-6) أفراد قد اصبحت تحت خط الفقر, ويزداد عدد هذه الفئة من الشباب-الأكثر عرضة للانخراط في الجماعات المسلحة- في محافظات الجنوب ذات الغالبية الشيعية والتي تنشط فيها الجماعات المسلحة الشيعية, وما ينبغي ذكره هنا ان ليس الولاء فحسب من يدفع الشاب الى الانخراط في صفوفها, انما هناك اسباب اقتصادية بحتة تتعلق بالظروف والاوضاع المعيشية اذ تتراوح رواتب الشهرية للمنخرطين فيها بين400-700$[46]. اضافة الى اكتسابهم السلطة التي يمكن اعتبارها -حماية- لحاملها، والتي قد تستغل في جني ارباح اضافية من خلال الأعمال الاخرى التي يقوم بها العناصر المسلحة مثل توفير غطاء حماية لكبار التجار او المستثمرين، حل المشاكل الشخصية، الوقوف احيان كثيرة في وجه بعض العشائر والتي تمثل وجهًا اخر للجماعات المسلحة المؤطرة بالعادات الاجتماعية والقبلية التي تسود في محافظات الجنوب والغرب.

[43] لمعلومات أكثر حول تصنيف منظمة الشفافية الدولية #https://www.transparency.org/en/cpi/2020/index/syr

[44] الجهاز المركزي للأحصاء، وزارة التخطيط العراقية.

[45] زيد سالم، ولادة 9 مليشيات في العراق خلال 10 أشهر: محاولات لإشاعة الفوضى, مقالة منشورة في صحيفة العربي الجديد في 4 \ اكتوبر\2020 متاحة على الموقع : https://www.alaraby.co.uk/politics

[46] مقابلة اجراها أحد الباحثين مع أحد القياديين في الحشد الشعبي.

بالرغم من الصراع لم ينته بصورة نهائية منذ العام 2003 الا ان حدته انخفضت، فمن خلال تتبعنا لمراحل تطوره من كونه صراعاً بين ارادة دول ذات سيادة، تطور الامر ليصبح صراعًا بين جماعات مسلحة و قوات احتلال، ومن بعدها أصبح الصراع بين الارهاب و الحكومة العراقية، ثم انتهى المطاف الى صراعًا بين أفراد المجتمع من المدنيين والشباب العاطلين عن العمل والأفراد الذين يعانون من عدم توفير الخدمات مثل الكهرباء والمياه الصالحة للشرب و الخدمات الصحية و التعليم ، و بين طرف اخر متمثلاً بالحكومة العراقية الرسمية، الأحزاب الكبرى المشاركة في الحكم، الجماعات المسلحة خارج اطار الدولة، المستفيدين من الأحزاب ووكلائهم من القطاعين العام والخاص.

المطلب الثالث- ديناميكيات الصراع بين (المجتمع ـ الجماعات المسلحة ـ السياسيين) بعد العام 2019

اولا: الديناميكية المرتبطة بالجماعات المسلحة:- تعنى وجود جماعات مسلحة ذات انتمائات فرعية-مذهبية-دينية-سياسية، تسيطر على أكبر مفاصل الدولة ، اضافة الى قوتها التجهيزية والعددية التي تجعل من امكانية المواجهة معها امرًا صعبًا ، اضافة الى امتلاك تلك الجماعات أذرع سياسية ، وان افرادها هم في الغالب مواطنين لديهم عقيدة دينية يستندون عليها، ستبقى هذه الديناميكية مؤثرة طالما ان قيادات تلك الجماعات، والمجتمع المدني، ووسائل الاعلام، تقوم بالترويج المستمر للمواجهة بين الطرفين، ثمة خطر يلوح بالأفق ان تم تسليح الأفراد المدنيين الذين لم ينتموا لأي فصيل مسلح ذو طابع ديني، قد يتحول الأمر الى اقتتال داخلي جديد أطرافه جماعات مسلحة ذات خبرة قيادية نظراً لخوضها الحرب ضد تنظيم داعش الارهابي، والقوات المسلحة العراقية الرسمية التي لا تستطيع التزام الحياد نظرًا لشمل الجماعات المسلحة قانونًا تنضوي تحته، والطرف الاخر يتمثل بمدنيين مسلحين من قبل أطراف خارجية[47].

ثانيا: الديناميكية المرتبطة بسوء الاوضاع المعيشية و ضعف تقديم الخدمات:-ترتبط هذه الديناميكية بالفوضى السياسية بدءًا من الانتخابات التي فقدت شفافيتها و الثقة بنتائجها، وصولاً لأختيار الحكومة والوزراء الذي يتم بطريقة المحاصصة وعدم الاخذ بجودة الاداء الحكومي كمعيار لتقييم المسؤولين لعملهم طالما أن قطاع الخدمات الرئيسية لم يتم تطويره ، ستبقى هذه ورقة ضغط من طرفي الصراع (من قبل السياسيين كوعود انتخابية و اصلاحية)- و(من قبل المواطنين اتجاه الحكومات المحلية والمركزية كمطالب رئيسية لقيام التظاهرات والاحتجاجات والمطالبة بأقالة المسؤولين او اعفائهم).

وتظهر دراسات الرأي العام العراقي بوضوح تزايد خيبة الأمل من النظام السياسي العراقي بمرور الوقت فقد أظهرت هذه الاستطلاعات كيف أصبح العراقيون محبطين للغاية بشأن ما فعله

[47] Saif Hameed and Aref Mohammed، "Iraqi Cleric Sadr Asks Followers to Stop Attacks on Rivals' Offices،" Reuters، June 11، 2016، 10 http://www.reuters.com/article/us-iraq-sadr-idUSKCN0YX0DX.

للمزيد من المعلومات عن العداوة بين منظمة بدر والتيار الصدري، راجع

International Crisis Group، "Iraq's Civil War، The Sadrists and the Surge"، February 7، 2008،

نظامهم السياسي لهم. وتعد هذه المؤشرات هامة جدا على المشاعر العامة تجاه السياسة؛ سواء كان المواطن يعتقد أن البلاد تسير في الاتجاه الصحيح أم لا ففي المدة 2005-2006, اعتقد 62٪ من العراقيين أن بلدهم يسير في الاتجاه الصحيح. بحلول نهاية عام 2019, اعتقد 19٪ فقط من العراقيين أن بلادهم تسير في الاتجاه الصحيح. والأهم من ذلك أن 15٪ فقط من الشيعة يعتقدون أن البلاد تسير في الاتجاه الصحيح[48]. هذا مهم لأن السكان الشيعة هم الأكثر أهمية لدعم النظام والذي يتآكل بشكل واضح، وهذا يدل بأن هناك اتجاه تنازلي واضح في التفاؤل بين العراقيين حول اتجاه البلاد في المستقبل. وبالمثل، فإن الثقة بين العراقيين بأن الحكومة يمكن أن تحسن الوضع في البلاد آخذة في الانخفاض، ففي عام 2012, اعتقد 59٪ من الشيعة في البلاد أن بإمكان الحكومة تحسين الوضع. الا ان هذه النسبة انخفظت الى 35٪ من الشيعة يؤمنون بذلك, كما ان الأكراد أكثر تشاؤماً , حيث يعتقد 17٪ فقط أن الحكومة تستطيع تحسين الوضع في البلاد, من ناحية أخرى , فإن السنة الذين تحرروا من تنظيم داعش الارهابي هم أكثر العراقيين تفاؤلاً بشأن الحكومة ففي عام 2017 , اعتقد 70٪ من العرب السنة أن بإمكان الحكومة تحسين الوضع في البلاد الا ان هذه النسبة انخفظت الى 50٪ فقط من العرب السنة يعتقدون أن بإمكان الحكومة تحسين الوضع في البلاد, هذا الانخفاض مقلق بالاخص في المنطقة التي لا يزال تنظيم داعش موجودًا فيها, ويعتقد معظم المحللين أن تفاؤل العرب السنة سيستمر في التلاشي مع استمرار ضعف إعادة إعمار مناطقهم, و بشكل عام , هنالك القليل من الثقة بين العراقيين بأن حكومتهم قادرة على تحسين حياتهم. وبصورة عامة فان الثقة في جميع المؤسسات السياسية في العراق آخذة في التدهور , وبخصوص المؤسسات الدينية في عام 2004 بلغت نسبة ثقة العراقيين بالمؤسسة الدينية 80 , بينما في الاستطلاعات الأخيرة انخفض مستوى الثقة إلى أقل من 40٪.

وفيما يخص المؤشرات الرئيسية للتركيبة السكانية العراقية والمؤشرات السياسية، فليس من المستغرب أن يشعر العراقيون بخيبة أمل كبيرة من السياسة في بلدهم. فعندما كان العراق تحت حكم نظام ديكتاتوري في عهد صدام حسين، إلا أنه كان يتمتع بنظام تعليمي ناجح نسبيًا، لا سيما بالمقارنة مع الدول العربية الأخرى. الا انه في عام 2000, وفقا للبنك الدولي أعرب 74٪ من البالغين العراقيين يعرفون القراءة والكتابة في عام 2018, انخفضت هذه النسبة إلى 50٪ من السكان البالغين وهذا مؤشر على انخفاض كبير في معرفة القراءة والكتابة.

ثالثا: ديناميكية توظيف الاعلام في نشر خطاب الكراهية:

منذ عام 2003, نشرت الأحزاب السياسية والجماعات المسلحة خطابًا إثنيًا طائفيًا كبيرًا غرضه تأجيج الانقسام بين المجتمع في نشرات الأخبار ووسائل التواصل الاجتماعي, وقد استغلت تنظيم الارهابية والجماعات المتشددة والنخبة السياسية هذا الانقسام مثل تنظيم القاعدة, كما استخدم تنظيم داعش الارهابي أيضًا وسائل التواصل الاجتماعي للإعلان عن ان الآخرين مرتدين من خلال

[48] منقذ داغر،2020,الانتخابات العراقية المبكرة قد لا تغير قواعد اللعبة,مقالة منشورة على موقع الحرة في تأريخ 20\اكتوبر\2020 متاح على الموقع https://www.alhurra.com/different-angle/iraqi-early-elections-may-not-be-a-game-changer اخر زيارة تمت في 10\7\2021 11:22.

استخدامهم للغة تكفيرية، وإدامة الانقسامات العرقية والطائفية، وتجنيد المقاتلين. ومنذ أن حرر العراق أراضيه من سيطرة داعش استخدمت الجماعات المسلحة الخارجة من الحرب- وسائل التواصل الاجتماعي سلاحًا لاستهدافات مختلطة، اذ استخدم المتظاهرين منذ العام 2019-2021 و الاحزاب السياسية وأتباعهم على حدٍ سواء منصات مواقع التواصل الاجتماعي للتخوين، والتحريض، ولتعزيز الانقسام داخل المجتمع العراقي، اذ اصبحت هنالك كلمات متداولة كان من شانها تعريض حياة الآخرين للخطر، بالاخص تلك المصطلحات، والاغاني والصور التي كانت تمس عقيدة بعض الجماعات داخل العراق، او تمس جهات جماعات تتهم بانها مدفوعة من قبل جهات خارجية، اذ اصبح هنالك (الجوكر الامريكي-ابناء السفارات)، وهي التصنيفات التي تتهم النشطاء والاعلاميين المؤيدين للتظاهرات التي يرى جزء من المجتمع انها مدفوعة وذات اغراض فوضوية، و هنالك (التبعية،الذيل) وهي مصطلحات تطلق على الافراد الذين يدافعون عن الحشد الشعبي، او عن قادة الحشد الشعبي الذين اغتيلوا في حادثة المطار، او عن الأفراد الذين يعارضون استراتيجيات التظاهر التي اتبعت منذ عامين ، نلاحظ انه ثمة عشرات الكثير من المنشورات في مواقع التواصل الاجتماعي التي تبث اسماء و بيانات تعرض حياة بعض الافراد للخطر، و هنالك حملات تسقيطية على مواقع مثل (تويتر) و (فيسبوك) تستهدف فئات محددة من المجتمع، او اتباع احد الزعماء السياسيين او الدينيين، كان من شأنه زيادة حدة خطاب الكراهية وحوّل منصات المواطنين الى منصات تهديد وتصفية حسابات للدفاع عن مبادئهم او معتقداتهم، أخيرًا ، ثمة احزاب سياسية و شخصيات تمتلك قنوات تلفزيونية تمارس انتقائية في اختيار الحدث الذي تود تسليط الضوء عليه[49].

رابعا: ديناميكية تحول الاحتجاجات العفوية الى اوراق ضغط بين الاحزاب:

بعد النجاح-النسبي- الذي حققته الاحتجاجات في العراق منذ اكتوبر 2019 من خلال دفع رئيس الوزراء الأسبق عادل عبد المهدي الى تقديم استقالته و اقامة حكومة تسيير اعمال تولاها مصطفى الكاظمي مع كابينة وزارية جديدة، يُرى ان "الحركات الاحتجاجية" باستراتيجية و تخطيطها قد وظفت من قبل الجهات السياسة كورقة ضغط لتحقيق مكاسب على حساب بعضها البعض، وتجيير المطالب الخدمية التي نادى بها المتظاهرون لصالحها، شهد العام 2020, وبداية العام 2021 عدة تظاهرات بشكل شبه يومي، في محافظات النجف وبابل والديوانية والمثنى، التي تشهد في أحيان كثيرة وقوع إصابات في صفوف المتظاهرين، بسبب مواجهة قوات الأمن لهم واستخدام الرصاص وقنابل الغاز لتفريقهم، فضلا عن إغلاق الطرق، اتهمت تلك التظاهرات انها بقيادة أحزاب كبيرة، تحاول تحريك المحتجين وقيادتهم لأقالة أشخاص تابعين لأحزاب اخرى منافسة، او بغية ايصال مرشحهم لمنصب معين ، ابتدأ التشكيك بسلمية وأحقية المطالب التي يطالب بها المتظاهرون منذ ان اتهم الشباب المحتجون في ساحة التحرير انهم مدفوعون من قبل

[49] Joe shea،ruba alhassani،Hate Speech، Social Media and Political Violence in Iraq: Virtual Civil Society and Upheaval، Article published in 11\2\2021 on the tahrir instute for middle east policy، available on https://timep.org/commentary/analysis/hate-speech-social-media-and-political-violence-in-iraq-virtual-civil-society-and-upheaval/

اطراف داخلية هدفها اشاعة الفوضى، و من قبل اطراف خارجية ، تم السير على ذات النهج، من خلال خلق تظاهرات من قبل اتباع بعض الاحزاب السياسية، او التعدي على مقار حزبية لمنافسين بغية الضغط عليهم او تغيير موقفهم، تحولت اذن التظاهرات من فعل عفوي يهدف لإنتزاع الحقوق، الى حركات سياسية تمارسها الأحزاب داخل العراق لتحقيق مكاسب نسبية فيما بينها[50] .

المطلب الرابع- مستقبل الصراع الداخلي في العراق

ان مستقبل الصراع الداخلي في العراق يتجسد في ثلاثة مشاهد رئيسة وهي:

أولاً: مشهد استمرار الصراع

ويعني استمرار الصراع في العراق كما هو عليه بين جميع أطراف هذا الصراع وان كان بدرجات متفاوته في حدته وانتشاره وتعدد اطرافه، ويتعزز هذا المشهد من خلال وجود عدة معطيات تسهم أطراف الصراع على استمرارها وتنشيطها بين فترة واخرى اهمها:

- استمرار اضعاف النسيج الاجتماعي العراقي، من خلال اضعاف راس المال الاجتماعي الذي يقوم على ركيزتين اساسية وهي الثقة المجتمعية ومجتمع مدني فاعل ومؤثر.

- تزايد قوة وفاعلية القوى والفصائل المسلحة في المجتمع العراقي، وهيمنتها على الساحة السياسية والاقتصادية والاجتماعية العراقية.

- استمرار الفساد بجميع مستوياته، الامر الذي يترتب عنه ظواهر اجتماعية-اقتصادية، والتي تؤدي بالنتيجة الى هيمنة الجماعات الحاكمة على السلطة في العراق.

- استمرار تدخل القوى الاقليمية والدولية في الشأن العراقي واستمرارها لفرض اجندتها بصورة فاعلة وبمختلف الاساليب، وهذا الامر سيؤدي الى بقاء العراق ساحة للصراع وتصفية الحسابات للقوى الاقليمية والدولية المتصارعة.

ثانياً: مشهد تصاعد حدة الصراع

ان هذا المشهد يعني تصاعد حدة الصراع في العراق من خلال استمرار وظهور اليات وديناميكيات جديدة للصراع الداخلي في العراق وهو لا سامح الله في حالة حدوثه سوف يؤدي الى الاقتراب من الانموذج الافغاني. والتساؤل الذي يطرح هنا ما الذي يجعل العراق قريبًا من التجربة الأفغانية؟

لقد كان للحرب الامريكية في كل من أفغانستان 2000 والعراق 2003عواقب وخيمة على البلدين , اذ ُدمرت بنيتها التحتية واقتصاده , وتراجعت الاستثمارات الأجنبية في كلا البلدين , تاركة

[50] John F Burns، "Precarious Cease-Fire in Amara Holds،" New York Times، October 22، 2006، http://www.nytimes.com/2006/10/22/ 22 world/middleeast/iraq.html; "Hizb-Allah al-Iraqi yaqtahim mqraan lil-majlis al'aelaa fi albasra" [Iraqi Hizbollah Breaks into Supreme Council in al-Basra]، al-Arabiya، May 11، 2015، http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/iraq/2015/05/11.html.

الاقتصاد ضعيفًا للغاية وغير قادر على دعم نفسه ، لقد تم تدمير معظم المصانع التي تديرها الحكومة ، مما جعل العديد من العمال عاطلين عن العمل فضلا عن تم تدمير البنية التحتية للكهرباء والمياه والاتصالات بسبب الحرب والقتال الدائم ، كما عانى كلا البلدين من أزمة إنسانية اذ قُتل الكثير من المدنيين خلال النزاع ونزوح المزيد منهم داخل البلدان وخارجها ، وهناك ما يقارب الـ 1.3 مليون حالة وفاة , 500000 منهم من المدنيين في العراق منذ بداية الحرب في عام 2003 , وهناك ما يقرب من 4.5 مليون شخص نزحوا , وقتل نحو 30 ألف مدني في الصراعات في أفغانستان ونزح 250 ألفا[51]،اضافة الى نقاط الالتقاء هذه، وعلى الرغم من الاختلاف الجذري بين المجتمع العراقي والمجتمع الافغاني، الا ان في كلا البلدين بعض الجماعات المسلحة ينتمي اليها افراداً من المجتمع، يُعتبرون قوة موازية للجيش الرسمي لبلدانهم ، وهي أكثر تجهيز وتدريب وعدد يتلقون دعماً من دول مجاورة لهم، اضافة الى احاطتهم بجوار أقليمي يوظف الفوضى لتحقيق المزيد من المكاسب النسبية بعد تولي الرئيس الامريكي جون بايدن الرئاسة الأمريكية 2021 بدأ ملف السياسة الخارجية الامريكية بتصفية الحرب في افغانستان التي استمرت عشرون عام تقريبًا اذ تم في نيسان من العام 2021 بأنسحاب اكثر من 2500 جندي أمريكي و ما يقارب 16 الف متعاقد مدني-لحمايتهم من التصفية الجسدية بعد خروج الوقات الامريكية[52]، ليبدأ بعدها المد الطالباني-سيطرة الجماعات المسلحة المتشددة-على باقي الاراضي الافغانية واخضاع سكانها تحت سيطرتهم، هذا الامر يقترب من الوضع العراقي اذ اخذنا بنظر الاعتبار وجود جماعات مسلحة منقسمة فيما بينها[53].

واذا أخذ بنظر الاعتبار انه ثمة جماعات مسلحة تمثل معظم مكونات المجتمع العراقي، والجماعات المسلحة التي تأسست لظروف استثنائية قد بات من الصعب السيطرة على نفوذها وتغلغلها في المجتمع وفي سير الحياة اليومية داخل المدن، فأنه ينبغي اما دمجهم مع القوات العسكرية الرسمية وهذا سيكرر سيناريو بعد العام 2003 حيث احتوى الجيش العراقي الجديد و الاستخبارات ما سمي بال«دمج" [54] ، والتي سمحت ادخال عناصر من حزب البعث المنحل الى صفوف الجيش العراقي مما شكل ثغرة في اساس تشكيله، او ان يتم تجريدهم من التسليح، وهذا السيناريو يضع امامنا سيناريو افغاسنتان، اذ ان محاولات تجريد الجماعات المسلحة من سلطتها وقوتها يعني اعلان المواجهة المباشرة بينها وبين الجيش الرسمي للدولة، وهو ما حصل في عهد رئيس الوزراء السابق نوري المالكي في عام 2008 من خلال قيامه بما يسمى (صولة الفرسان) ،لكنها سرعان ما انتهت دون نتائج حقيقية ،على الرغم من الدعم الامريكي المقدم لحكومة المالكي آنذاك.

[51] عثمان المختار، مصدر سبق ذكره.

[52] علي رضا نادر واخرون ،النفوذ الايراني في افغانستان الاثار المترتبة على انسحاب الولايات المتحدة ، مؤسسة راند، 2014, ص30-35.

[53] عبد الله الجبور، ،الحشد الشعبي في العراق بين التوازنات الاقليمية والمتغيرات المحلية، مؤسسة فردريش ايبريت، عمان، 2021 ,ص21-23.

[54] امر سلطة الائتلاف المؤقتة رقم 91 لسنة 2004.

ثالثا: مشهد تخفيف حدة الصراع أو انهائه

وهذا المشهد اي انهاء الصراع او تخفيفه يتطلب توافر عدة اليات وديناميكيات فضلا عن تحقيق عدة من المتطلبات أهمها:

- يجب ان تتظافر الجهود الحكومية والمجتمعية من أجل ايجاد نظام سياسي وحكومات قادرة على ادارة التنوع المجتمعي السليم والصحيح وبشكل يؤدي الى -تخفيف حدة الصراع- في العراق.
- ينبغي ان تعمل الحكومة العراقية على استيعاب حركات التظاهر والاحتجاجات التي يشهدها العراق بين فترة واخرى من خلال تحقيق المطالب المشروعة والقابلة للتحقيق للمتظاهرين وعدم التعامل معهم بأساليب العنف والقمع التي كانت سببا لبدأ الصراع بين الحكومة والمتظاهرين.
- ضرورة حصر السلاح بيد الدولة من اجل اضعاف وانهاء قوة وهيمنة الفصائل المسلحة، فضلا عن زيادة وتعزيز قدرات وامكانيات القوات المسلحة العراقية الرسمية وبالشكل الذي يؤدي الى التقليل من شدة وقوة الصراع لحين انهائه.
- ينبغي العمل على ان لا يكون العراق ساحة لتصفية الحسابات والصراعات بين القوى الدولية والاقليمية من جهة وبينها وبين الفصائل والقوى المسلحة الداخلية في العراق.
- ينبغي ان تعمل الحكومة العراقية الى معالجة التصورات بعض الجماعات السنية بشأن التهميش والحرمان اذا ارادت ان تقلص وتنهي الصراع في العراق.
- اعلاء الهوية الوطنية العراقية الجامعة مع الاعتراف بالهويات الثانوية لمكونات المجتمع العراقي، الامر الذي يؤدي الى الابتعاد عن ثقافة الاحتماء وترسيخ مبدا المواطنة.
- ينبغي على الحكومة العراقية ادارة الاقتصاد العراقي بصورة صحيحة وتنويع موارده وبالشكل الذي يؤدي بالنتيجة الى التقليل من عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية والبطالة والفقر بين افراد المجتمع العراقي ،والذي يعد احد اهم ديناميكيات استمرار الصراع في العراق.
- تعزيز الرقابة بكافة انواعها على منظمات المجتمع المدني ووسائل الاعلام بسبب ارتباط بعضها بأجندات وتوجهات سياسية ادت دورا كبيرا في تأجيج واستمرار الصراع في العراق.
- ينبغي تعزيز راس المال الاجتماعي في العراق من اجل تعزيز الثقة المجتمعية بين مكونات المجتمع العراقي وايجاد شبكات وروابط و اواصر مجتمعية قوية وفاعلة قادرة على مواجهة الصراعات في حال استمرارها وحدوثها مستقبلا.
- ضرورة تطبيق اليات العدالة الانتقالية بعدها واحدة من اهم اليات وسياسات بناء السلام وانهاء الصراع في مجتمعات ما بعد النزاع
- ضرورة عمل الحكومات العراقية على تلبية الحاجات الاساسية للعراقيين من اجل تحقيق

ترسيخ شرعيتها من خلال صناعة القبول القائمة على رضا افراد المجتمع على سياسات واجراءات الحكومة، مع ضرورة العمل على اعادة بناء المناطق التي دمرها تنظيم داعش الارهابي.

- العمل على ايجاد الاليات والحلول المناسبة من اجل تقليص عمليات الفساد في العراق ، لكون الفساد -والمستفيدين منه- يعد احد اهم ديناميكيات تأجيج الصراع واستمراره لا سيما ان العديد من عمليات الفساد تذهب لدعم العلمليات الارهابية ودعم الفصائل المسلحة خارج اطار القانون.
- ان عملية تقليل الصراع وانهائه يتطلب وجود طرف ثالث يكون محايدا مثلا الامم المتحدة وأجهزتها، بالاضافة الى المنظمات الدولية الاخرى لا سيما ان هذه المنظمات لم يكن دورها مقبولا وايجابيا لانهاء حالة الصراع في العراق طوال السنوات الماضية.
- على الحكومة العراقية اتباع سياسة خارجية تقوم على مبدا الحياد وليس على مبدا التحالفات من اجل الابتعاد عن الصراعات الدولية والاقليمية وان لايكون العراق ساحة لتصفية.
- ضرورة الارتكاز على الاسس القانونية والدستورية لادارة الدولة العراقية والعملية السياسية، فضلا عن ضرورة انهاء الخلافات بين المركز والاقليم من اجل ايجاد مشتركات صحيحة وسليمة لادارة العلاقة بينهما وبالشكل الذي يؤدي الى انهاء الصراع القومي والعرقي بين العرب والاكراد وبقية مكونات المجتمع العراقي.
- على الاحزاب السياسية العراقية التي تمتلك فصائل مسلحة تقليل التماس المباشر مع المدنيين-او الذين لا ينتمون الى الحزب او الجهة السياسية- والعمل على تكاتف الرؤى والاكتفاء بالمكاسب الحالية نظرًا للظرف الطارئ التي يمر بها البلاد، وان المناكفات السياسية بينهم وبين منافسيهم قد كانت دائمًا سببًا لصراع جديد يضر بالنظام الديمقراطي قبل كل شيء.

الخاتمة

مما لا شك فيه ان العراق في أزمة كبيرة، والمخرج غير واضح، ان النظام السياسي العراقي القائم على المحاصصة، والتوافقية، والمجاملات على أساس ابداء الولاء و التبعية السياسية، قد جعلت منه نظامًا هشًا تهمين عليه نخبة باحثة عن الربح، ونفوذ اجنبي ضخم، تقوده الولايات المتحدة وقوى دولية واقليمية، وسط مجتمع رافض للتدخل الاجنبي وللسلطة السياسية الحالية، إن الوضع الراهن غير قابل للتخمين، لأن العراق الآن في حالة شلل سياسي كامل ، تقوده حكومة تصريف الأعمال والتي لم يعد يقبلها الشارع العراقي وهي ملزمة دستوريا بالانتهاء، فضلا عن فوضى السلاح المنتشر في العراق، و الفساد المستشري في مؤسسات الدولة، الامر الذي جعل السياسيين عاجزين عن وضع حلول مرضية ازاء هذه المشاكل بالأخذ بنظر الاعتبار حفاظهم على مكاسبهم وسلطتهم و مصادر أموالهم، اذ يعلم السياسيون-الزعماء الكبار الذين يديرون اللعبة السياسية في العراق- ان سقوط احدهم يعني سقوط الاخر بعده، لذلك من المؤكد ان الجميع-

المشاركون في الحكم بعد العام 2003- لا يسعون الى محاسبة الفاسدين السابقين, او الى فتح ملفات قد اغلقت مثل دخول السيارات المفخخة, الانتحاريين, تفجير مرقد الامامين العسكريين, ملف الموصل, سبايكر, المظاهرات التي انطلقت منذ العام 2019 ولم تنته لغاية الان، ان هذه الملفات، وغيرها، لا يسعى من هم في السلطة الان الى حلها، لأنها ببساطة ستقودهم جميعًا الى المحاسبة ، فالجميع متورط، اذن امامنا عدالة انتقالية من شأنها ان -ترغم- اطراف النزاع الى تجاوز تلك المراحل، وضرورة البدء من جديد، لكي لا يكون هنالك ضحايا جدد، فالجهات السياسية خاصةً المسلحة، ستسعى دوماً الى احداث الفوضى ما ان يتم المساس بمكاسبها و مكانتها.

ان السيناريو الأكثر احتمالا هو أن يخضع العراق لتغيير سياسي تدريجي نحو نظام سياسي أكثر كفاءة واستجابة ، ومن غير المرجح حدوث تغيير مفاجئ وكاسح في ظل توزيع السلطة السياسية الحالية في البلاد. كما هناك احتمال ضعيف أن تنفصل قوات الأمن العراقية عن النخب السياسية وتنحاز إلى جانب المدنيين.

السيناريو الحالي في العراق مناسب للفصائل المسلحة من جهة وللتنظيمات الارهابية من جهة اخرى، والدول المجاورة التي تحفز الفوضى المستمرة في العراق، وان سيناريو افغانستان، المواجهة بين الجماعات المسلحة والجيش، والمدنيين محتملاً أكثر من اي وقت مضى.

قائمة المصادر:

المصادر باللغة العربية:

- فالنستين بيتر،مدخل الى فهم تسوية الصراعات الحرب والسلام والنظام العالمي، المركز العلمي للدراسات السياسية،الاردن،2006.
- عبد الغفار،احمد محمد، فض النزاعات في الفكر والممارسة الغربية،دار هومة،الجزائر، 2003.
- فهمي،عبد القادر محمد، مدخل الى دراسة الاستراتيجية، ، دار مجدلاوي للنشر،الاردن، 2006.
- قادري، حسين، النزاعات الدولية دراسة وتحليل،باتنة منشورة خير جليس، 2007.
- بوقارة، حسين، تحليل النزاعات الدولية،دار هومة، الجزائر، 2008.
- الياس، سامر، روسيا-اوروبا:كرة ثلج الخلافات تكبر، تقرير منشور على موقع صحيفة العربي الجديد، 20 ابريل 2021، متاح على الرابط : https://www.alaraby.co.uk/politics
- الانباري،احمد عبد الأمير، ،الازمة الخليجية-القطرية وتأثيرها في وحدة مجلس التعاون لدول الخليج العربية،العراق، 2019.
- يوسف،علاء،ازدهار تجارة الاسلحة في العراق، مقالة منشورة على موقع الجزيرة في

تأريخ 16\12\2009، متاح على الرابط:
https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews

- البهار، رياض هاني،26\9\2020 ،الجيوش العشائرية في العراق وخطرها على الامن الوطني، مقالة منشورة على موقع شفق نيوز متاح على الرابط :
https://shafaq.com/ar/.
- علاء الدين، رانج،الطائفية والحوكمة ومستقبل العراق،دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز الدوحة، 2018، دراسة متاحة على الرابط-https://www.brookings.edu/wp content/uploads/2018/11/Sectarianism-governance-and-Iraqs-future_Arabi c.pdf
- سليمان، اسعد، العراق:جذور الصراعات الداخلية،المعهد المصري للدراسات، 2017.
- البصري، اسعد،مصير الاكراد ليس على حساب سنة العراق،مقالة منشورة في صحيفة العرب في الاحد 17\9\2017، متاح على الموقع الالكتروني https://alarab.co.uk
- محمد، حمد جاسم، الصراعات على الحدود الادارية في محافظات العراق بعد هزيمة داعش،مقالة منشورة في مركز الفرات للدراسات في تأريخ 26\10\2016، متاح على الموقع الالكتروني http://fcdrs.com/polotics/563
- حسن، حارث، الازمة الطائفية في العراق أرث من الاقصاء،مركز مالكوم كير-كارنيغي الشرق الاوسط،دراسة منشورة في تأريخ 13\ابريل\2014 ، متاحة على الرابط
https://carnegie-mec.org/2014/04/23/ar-pub-55405
- النواب، عادل، العراق: احزاب مسلحة تتحايل على القانون للمشاركة في الانتخابات، تقرير منشور على موقع صحيفة العربي الجديد،متاح على الرابط
https://www.alaraby.co.uk/politics
- خطبة الجمعة لممثل المرجعية الدينية العليا في كربلاء المقدسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي في (14/ شعبان /1435ه) الموافق (2014/6/13م)

متاحة على الرابط /https://www.sistani.org/arabic/archive/24918

- نتائج الانتخابات البرلمانية العراقية 2018 بحسب المفوضية العليا المستقلة للأنتخابات.
- قانون هيئة الحشد الشعبي رقم (40) لسنة 2016 المنشور في جريدة الوقائع العراقية4429.
- بيانات البنك الدولي لعام 2020.
- مظاهرات في العراق ودعوة لمكافحة الفساد،بي بي سي عربية، 11\مارس\2011، متاح على الموقع
https://www.bbc.com/arabic/multimedia/2011/03/110311_iraq_protests

- متظاهرون من الأنبار يقطعون طريقا غرب بغداد احتجاجا على "نهج حكومة المالكي الطائفي"، موقع فرانس 24,23\12\2012، متاح على الرابط : https://www.france24.com/ar.
- باركي، هنري ج.، تركيا والعراق اخطار وامكانات الجوار، تقرير خاص رقم 141, معهد السلام الامريكي,2005.
- مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، دول الطوق الجديدة" الخلاف السعودي الإيراني والمواجهة المؤجلة،2016، متاح على الرابط: https://www.omrandirasat.org
- المختار، عثمان، 16 عامً على غزو العراق عداد ضحايا لا يتوقف,مقالة منشورة على موقع صحيفة العربي الجديد في تأريخ 9\ابريل\ 2019. متاح على الرابط: https://www.alaraby.co.uk.
- بيانات مفتوحة بخصوص اعداد القتلى من المدنيين العراقيين متاح على الرابط : https://www.statista.com/statistics/269729/documented-civilian-deaths-in iraq-war-since-2003/
- الجهاز المركزي للأحصاء، وزارة التخطيط العراقية.

زيد سالم، ولادة 9 مليشيات في العراق خلال 10 أشهر: محاولات لإشاعة الفوضى, مقالة منشورة في صحيفة العربي الجديد في 4\اكتوبر\2020 /https://www.alaraby.co.uk/politics

المصادر الأجنبية:

- Amr Abdalla ، Marie Sender،2019،C.R. SIPPABIO a model for conflict analysis،Pp.18-Pp.156،Available PDF on https://inpeaceamr.com/wp-content/uploads/2020/06/Abdalla-C-R-SIPPABIO-February-2020.pdf ،
- Joe shea،ruba alhassani،Hate Speech، Social Media and Political Violence in Iraq: Virtual Civil Society and Upheaval، Article published in 11\2\2021 on the tahrir instute for middle east policy، available on https://timep.org/commentary/analysis/hate-speech-social-media-and-political-violence-in-iraq-virtual-civil-society-and-upheaval/
- Iraq troops used excessive force against protesters، official inquiry finds،bbc،22\oct\2019، available in https://www.bbc.com/news/world-middle-east-50138127
- Homer-Dixon T., 1994, Environmental scarcities and violent conflict: evidence from cases. Int Secur. Pp5-40.

- G Almond, G. Bingham Powel،1966، Comparative politics, a development approach، Boston، Little Brown.
- Keen D.،2008, The benefits of famine: a political economy of famine relief in southwestern Sudan 1883-1989. London School of Economics & Political Science, London، UK.
- Cohen A.،1974, Two-dimensional man: an essay on the anthropology of power and symbolism in complex society. Berkeley: University of California Press, London.
- Collier P، Hoeffler A. Greed and grievance in civil war. Washington DC: World Bank; 2000.
- Omar Al-Nidawi, Michael Knights،2018،Militias in Iraq's security Forces : Historical Context and U.S. Options، the Washington institute for near east policy, Feb 22, 2018, available online on https://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/militias-iraqs-security-forces-historical-context-and-us-options
- John F Burns, "Precarious Cease-Fire in Amara Holds،" New York Times، October 22، 2006، http://www.nytimes.com/2006/10/22/ 22 world/middleeast/iraq.html; "Hizb-Allah al-Iraqi yaqtahim mqraan lil-majlis al'aelaa fi albasra" [Iraqi Hizbollah Breaks into Supreme Council in al-Basra]، al-Arabiya، May 11, 2015, http://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/iraq/2015/05/11.html.

  Saif Hameed and Aref Mohammed، "Iraqi Cleric Sadr Asks Followers to Stop Attacks on Rivals' Offices،" Reuters، June 11، 2016، 10 http://www.reuters.com/article/us-iraq-sadr-idUSKCN0YX0DX.

  International Crisis Group، "Iraq's Civil War، The Sadrists and the Surge،" February 7، 2008,

الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط: قضايا مختارة

رشا سهيل محمد زيدان*

الملخص

ركز البحث على أهمية منطقة الشرق الاوسط في المدرك الاستراتيجي الروسي من خلال دراسة حالة الحرب على سوريا منذ العام 2011 وتوجهات الاستراتيجية الروسية وركائزها ودوافعها تجاهه, وسعيها لاستعادة مكانتها كقوة عظمى قبل انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991, كل ذلك يدل على مدى توسع رؤية ومدارك الاستراتيجية الروسية لدى أذهان صانعي القرار السياسي الخارجي, ومن هذا المنطلق سعت لتنشيط أدائها وسلوكها الاستراتيجي في النظام الدولي الاحادي القطبية والعودة اليه عبر بوابة الشرق الاوسط كونه أحد المنطلقات الاستراتيجية الرئيسة لاسيما بعد عام 2011، الذي يمثل مرحلة هامة ونقطة انعطاف وتحول في توجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة، بعد حركات التغيير العربي التي أظهرت مدى أهمية المنطقة بالنسبة لروسيا فيما يتعلق بالامن الطاقوي وضمان الوصول لامدادات الطاقة واستقرار أسعار النفط الذي يؤثر بشكل كبير على اسواق الطاقة بالنسبة لها، فضلا عن تأثير ازماتها على استراتيجية الامن القومي الروسي.

وسيجيب البحث عن التساؤل الرئيس الاتي: هل بإمكان الاستراتيجية الروسية من النجاح في تحقيق أهدافها الإستراتيجية في ظل التواجد الامريكي في المنطقة، وكيف ستساهم إستراتيجية روسيا الاتحادية بزيادة نفوذها في منطقة الشرق الاوسط بعد عام 2011، والى اين سوف تصل تلك الاستراتيجية باهدافها على كافة المستويات في ظل التنافس الاقليمي والدولي للهيمنة على منطقة الشرق الاوسط.

واستندنا في بحثنا على الفرضية التالية (أن استعادة روسيا لمكانتها ونفوذها في منطقة الشرق الاوسط يزداد بإزدياد فعالية إستراتيجيتها تجاه المنطقة وتنشيط أدائها الاستراتيجي في القضايا والأزمات التي تشهدها المنطقة، فكلما تعاظمت المصالح الروسية في منطقة الشرق الاوسط كلما تزايد دعم سياستها لقضايا هذه المنطقة).

الكلمات المفتاحية: الشرق الاوسط، الاستراتيجية الروسية، قضية أمن الطاقة، الحرب في سوريا، المدرك الاستراتيجي الروسي.

* مدرس مساعد بكلية العلوم السياسية في جامعة الموصل/ العراق، حاصلة على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية وحالياً طالبة دكتوراه في قسم السياسة الدولية بكلية العلوم السياسية في جامعة النهرين.

The Russian strategy towards the Middle East region Selected issues

Rasha Suhail Mohammed Zidan

Abstract

The research focused on the importance of the Middle East region in the Russian strategic perception through studying the state of the war on Syria since 2011 and the orientations, pillars and motives of the Russian strategy towards it, and Russia's quest to restore its position as a superpower before the collapse of the Soviet Union since 1991, all of which indicates the extent of the expansion of the vision The Russian strategy is in the minds of foreign political decision makers, and from this standpoint, it sought to restore its position and revitalize its performance and strategic behavior in the unipolar international system and return to it through the gateway to the Middle East, being one of the main strategic premises, especially after 2011. Russian Foreign Ministry towards the region, After the Arab change movements, which showed how important the region is to Russia in terms of energy security, ensuring access to energy supplies, and stabilizing oil prices, which greatly affects the stability of the energy market for it.

The research will answer the following main question: Can the Russian strategy succeed in achieving its strategic goals in light of the US presence in the region, and how will the Russian Federation strategy contribute to increasing its influence in the Middle East after 2011, and where will this strategy reach its goals at all levels in the Middle East? The regional and international competition for hegemony in the Middle East remained. We based our research on the following hypothesis (that Russia's restoration of its position and influence in the Middle East region increases with the increase in the effectiveness of its strategy towards the region and the revitalization of its strategic performance in the issues and crises witnessed by the region.

Keywords: (Middle East, Russian strategy, energy security issue, war in Syria, Russian strategic perception)

المقدمة

إنطلاقاً من القراءات والدراسات السياسية والاستراتيجية عن التوجهات الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط، وما أفرزته من أحداث وتفاعلات وسلوكيات في البيئة الاقليمية والدولية، أحتلت منطقة الشرق الاوسط أهمية كبيرة بالنسبة للقوى الكبرى او العظمى من الناحية الجيوبوليتيكية _ الجيوسياسية والاقتصادية والاستراتيجية، أثرت بشكل كبير على معادلات التوازن الجيو_ ستراتيجي والجيوسياسي بين القوى الكبرى المتنافسة الاقليمية والدولية، ففي البداية لم تكن قادرة على التاثير في التفاعلات الدولية ومنافسة الولايات المتحدة الامريكية في مجمل التفاعلات الناشئة بالنظام الدولي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق عام 1991, الى ان بدأت مظاهر التعافي تظهر في النواحي الاقتصادية والعسكرية لروسيا, نتيجة مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية, ولاسيما أن مظاهر التغيير في الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط بدأت منذ الولاية الثانية للرئيس الروسي فلاديمير بوتين في عام 2012، اذ عملت روسيا على تعزيز قوتها الشاملة واستعادة مكانتها العالمية في النظام الدولي وحماية مصالحها الاستراتيجية في العديد من المناطق خاصة منطقة الشرق الاوسط وحماية امنها الاقليمي في ظل البيئة غير المستقرة التي تعيشها منطقة الشرق الاوسط ولاسيما مايسمى بحركات التغيير العربي.

هدف البحث: يهدف البحث الى معرفة ماياتي:

1_ الملامح الرئيسة للاستراتيجية الروسية في نهجها الجديد لاسيما بعد عام 2012

2_ إدراك طبيعة المصالح الروسية في منطقة الشرق الاوسط

3_معرفة مدى ثبات أو تغير المصالح في ظل الازمات التي تشهدها المنطقة .

4_ التعرف على حدود الدور الروسي في منطقة الشرق الاوسط عامة وسوريا خاصة في ظل التواجد الامريكي المنافس لروسيا.

مشكلة البحث: ان مكانة الشرق الاوسط تلاشت من دائرة الاهتمام الاستراتيجي الروسي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1991, وتلاشى معه الحضور الروسي بالمنطقة, غير ان التغيير الذي طرأ على توجهات الاستراتيجية الروسية البراغماتية ادى الى تزايد الاهتمام الروسي بالمنطقة في ظل حركات التغيير العربي عام 2011، فإن تراجع الدور الروسي لايعني بالضرورة تراجع الاهتمام بقدر ما يعني أن روسيا كانت تعيش أزمات وتحديات داخلية وخارجية على اثر الانهيار، وعليه

تطرح مشكلة البحث مجموعة من التساؤلات اهمها:

(ما المكانة التي تحتلها منطقة الشرق الاوسط في المدرك الاستراتيجي الروسي بصورة عامة وسوريا تحديداً في ظل الازمات والتحديات).

ويتفرع عن المشكلة البحثية مجموعة من الاسئلة الفرعية:

1- ماهي المصالح الروسية في الشرق الاوسط ؟

2- ماهي أهمية منطقة الشرق الاوسط في المدرك الاستراتيجي الروسي؟

3- لماذا تسعى روسيا لاستعادة دورها في منطقة الشرق الاوسط وتحديداً منذ العام 2011 ؟

4- ماهي دوافع روسيا من التدخل في الحرب السورية عام 2011 ؟

5- ماذا يعني أمن الطاقة في المدرك الروسي؟ وكيف يمكن تحقيقه ؟

فرضية البحث: من خلال مشكلة البحث المطروحة تم وضع الفرضية الاتية :أن استعادة روسيا لمكانتها ونفوذها في منطقة الشرق الاوسط ازدادت بشكل كبير في عام 2011, وتمثل ذلك بإزدياد فعالية إستراتيجيتها تجاه الازمات الدولية المتمثلة بالحرب السورية عام 2011 وتنشيط أدائها الاستراتيجي تجاهها، فكلما تعاظمت المصالح الروسية في منطقة الشرق الاوسط كلما تزايد دعم سياستها لقضايا وازمات المنطقة.

أهمية البحث: تأتي الاهمية من المكانة التي تتمتع بها منطقة الشرق الاوسط كؤنها من المناطق الاستراتيجية البالغة الاهمية، سواء من الناحية الاقتصادية والموقع الجغرافي وحجم الموراد الطبيعية والامكانيات النفطية التي تمتلكها، كما إنها من أهم المناطق تنوعاً وسرعة في التغيير، فشهدت العديد من التفاعلات والصراعات الاقليمية والدولية، ولأهميتها هذه تبلورت حولها السياسات والاستراتيجيات للغرب والشرق معاً.

منهجية البحث: أما عن أهم المناهج المعتمدة في بحثنا، سيتم اعتماد مجموعة من مناهج البحث العلمي حسب حاجتنا اليها ومنها:_

منهج دراسة الحالة: هو منهج يستخدم في تطبيقه على حالة الحرب في سوريا وطبيعة وركائز الادراك الاستراتيجي الروسي للمصالح الناتجة عن التدخل في الحرب في سوريا في ظل التواجد الامريكي في المنطقة.

المنهج الوصفي التحليلي: يقوم على اساس تحليل الظواهر الطبيعية والاجتماعية من خلال التحليل والنقد البناء من أجل الوصول الى النتائج المرجوة التي تقوم على الركائز المادية والمعنوية، وسيتم الاعتماد على هذا المنهج العلمي لتحليل طبيعة الاستراتيجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط وأبعادها في المدرك الروسي. من خلال قراءة شاملة وواسعة لطبيعة الاستراتيجية الروسية وتطلعات صانع القرار السياسي الخارجي لابرز ركائز الاستراتيجية الروسية ومحاولة فهم عوامل تكوينها ومخرجاتها واسباب الاهتمام الروسي بالمنطقة وبالذات بعد عام 2011.

حدود البحث المكانية: تتحدد بمنطقة الشرق الاوسط التي تعد منطقة نفوذ هامة تتنافس عليها جميع القوى الكبرى لاحتوائها على مصادر الطاقة، كما انها تمثل في الوقت ذاته سوقاً عالمية كبيراً.

حدود البحث الزمانية: تبدأ وتتحدد بعام 2011 من خلال تحليل ودراسة توجهات إستراتيجيتها تجاهها بعد وصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للسلطة, وهي الفترة التي بدأ فيها النفوذ الروسي يظهر بشكل واضح وجلي في الشرق الأوسط خاصة في الحرب السورية عام 2011، وطرحه لاستراتيجية استعادة المكانة والدور العالمي، وحل الازمات والتحديات الداخلية التي كانت تعاني منها بهدف التوجه الخارجي لاستعادة دورها، وطرحه لمنهج التكافل الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الامريكية.

الادبيات السابقة

تنقسم الادبيات التي تناولت موضوع البحث حيز الدراسة الى عدة اقسام اهمها:

1 محمد رياض، الجغرافية السياسية والجيوبوليتيكا مع دراسة تطبيقية على الشرق الاوسط، بلا ط،(بيروت،دار النهضة العربية،1979).

2 محمد جاسم حسين الخفاجي، الهيمنة على الطاقة: رؤية في الادوار والاستراتيجيات، بلاج، بلا ط،(الاردن، دار امجد للنشروالتوزيع، 2018).

3 مذكرات ميخائيل جورباتشوف، روسيا الجديدة،ترجمة فائز الصياغ،ط1(الرياض,مكتبة العبيكان,2017).

هيكلية البحث: انطلاقا بما جاء في الأهمية والمشكلة البحثية وللتحقق من الفرضية، سيتم تحليل موضوع بحثنا بالاعتماد على الهيكلية البحثية التي توزعت على ثلاثة مطالب رئيسة، فضلاً عن، المقدمة والخاتمة والاستنتاجات وقائمة المصادر وكالاتي:_

المطلب الاول : الاهمية الجيوبوليتيكية _ الجيو سياسية لمنطقة الشرق الاوسط

المطلب الثاني: الاستراتيجية الروسية تجاه قضايا منطقة الشرق الاوسط

اولاً: قضية أمن الطاقة في المدرك الاستراتيجي الروسي

ثانياً: الاستراتيجية الروسية تجاه الحرب السورية منذ العام 2011

المطلب الاول: الاهمية الجيوبوليتيكية ـ الجيو سياسية لمنطقة الشرق الاوسط

تتمتع منطقة الشرق الاوسط بأهمية جيوبوليتيكية كبيرة مقارنة ببقية مناطق العالم، وأزدادت اهميتها باحتكار القوى الكبرى لهذه المنطقة وتنافسها عليها، ويقول احد رواد الجيوبوليتيك

(هاوسهوفر) أن نفوذ الدول المتصارعة على السلطة العالمية، تنتهي الى مناطق هامة، وهي مناطق الاحتكار الحقيقي بين نفوذ القوى الكبرى، وفي مثل هذه المناطق تبدأ المعارك السياسية والعسكرية بين تلك القوى وهذا ماينطبق على منطقة الشرق الاوسط التي تعد دائرة النفوذ الامريكي والروسي[1].

وتعتبر منطقة الشرق الاوسط من أكثر اقاليم العالم حساسية في متغيراته سواءً تعلق الامر بصعود وهبوط القوى العظمى أو بالأهمية الإقتصادية حيث اكتسبت المنطقة اهمية بالغة من منظور المصالح الحيوية للقوى الكبرى أو العظمى ولامتلاكها الكثير من الموارد الاقتصادية والطاقة المتمثلة بالنفط والغاز الطبيعي[2].

كما تتميز منطقة الشرق الاوسط بمجموعة من الخصائص الجيو ستراتيجية ذات الاهمية البالغة سواءً في حركة المواصلات العالمية او من حيث الاهمية الجغرافية حيث تتوسط منطقة الشرق الاوسط القارات الثلاث اوروبا واسيا وافريقيا كما تمثل نقطة وصل بينها براً و بحراً و جواً فهي تحتضن مياه كل من البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر وبحر قزوين وبحر العرب والخليج العربي و المحيط الهندي كذلك سيطرتها على ممرات الملاحة الدولية[3].

وتتمتع من الناحية الجغرافية بموقع استراتيجي هام بين الشرق والغرب، وتعد من أهم المنافذ البحرية الرابطة بين القارات الثلاث اوروبا واسيا وافريقيا فضلاً عما توفره مياه المنطقة وسواحلها ومياهها الصالحة للملاحة طول العام من مزايا استراتيجية، كما تربط سواحل دول الشرق الاوسط بالطرق البرية للمنطقة مما يسهل عملية التجارة العالمية عبر الملاحة الدولية [4].

وتمثل منطقة الشرق الاوسط مساراً بحرياً رئيساً للتجارة الدولية، ومورد طاقة من النفط والغاز الطبيعي، فضلاً عن ذلك، تقع عند تقاطع أوروبا وأفريقيا جنوب الصحراء واسيا الوسطى وجنوب اسيا، وعليه فإن اقامة روسيا لعلاقات طيبة مع دول المنطقة سيعزز من مكانتها وينشط استراتيجيتها في ظل تذبذب علاقات دول المنطقة مع الولايات المتحدة الامريكية [5].

كما تمتاز بمناخها المعتدل الذي أضفى عليها صلاحية اجوائها للطيران ومياهها للملاحة طول اوقات العام، وإمكانية مد شبكة النقل والطرق البرية المؤدية لها، وتمتاز باتساع رقعتها وتنوع مواردها ونباتاتها مما يعطيها مزايا اقتصادية وإستراتيجية _ أمنية في الوقت ذاته.

---

[1] محمد رياض، الجغرافية السياسية والجيوبوليتيكا مع دراسة تطبيقية على الشرق الاوسط، بلا ط، (بيروت، دار النهضة العربية، 1979)،ص 102.

[2] علي فايز يوسف الدلابيح ، توازن القوى و اثره في الشرق الاوسط بعد الاحتلال الامريكي للعراق 2003_2011 ، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب و العلوم ،جامعة الشرق الاوسط، 2011) ص 18

[3] جمال خالد القاضي (وآخرون) ، الثقل الآسيوي في السياسة الدولية (محددات القوة الآسيوية)، ط 1،(برلين : المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ,2018) ص 31.

[4] رانيا حسناوي، منى رزق الله ،السياسة الامنية التركية تجاه منطقة الشرق الاوسط في فترة حكم حزب العدالة و التنمية (20152003)، رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة العربي التبسي, 2016/2015)ص ص 40 _ 41.

[5] The Middle East And North Africa, Japan s Foreign Policy That Takes A Panoramic Perspective Of The World MapDiplomatic Bleu Book, Chapter 2,Section 6,p127.
للمزيد ينظر : بن علية خالدو دبي علاء الدين، تطور ظاهرة الارهاب في الشرق الاوسط و تداعيتها على امن الدول داعش إنموذجاً،(رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة زيان عاشور_الجلفة، 2017/2016)،ص 53.

لذلك باتت منطقة الشرق الاوسط تشكل مصدرا لتهديد الامن القومي الروسي، لذلك استوجب الإهتمام الروسي بمنطقة الشرق الأوسط من منطق الإستجابة للموقع الجيو سياسي، الذي يفرض عليها الإهتمام بالإعتبارات الإقليمية المحيطة والعالمية القريبة منها كمصدر تهديد لامنها القومي، ولإقامة علاقات اقتصادية ذات فائدة للصالح الوطني، أو كمجال للحركة والنفوذ الإقليمي والدولي, وهو ما يتطلب مزيداً من الإهتمام بالمنطقة، لاسيما أن روسيا تعمل لأجل استعادة مكانتها كقوة عظمى على الساحة الدولية، وهو ما يُحتم عليها إعادة رسم مصالحها في هذه المنطقة الحيوية، وفقاً للتطورات والمستجدات التي تشهدها المنطقة[6].

وتتمثل الاهمية الامنية في اتساع منطقة الشرق الاوسط مما يمكن من انتشار القواعد العسكرية لإحباط اي محاولة عدوانية فضلاً عن، تنوع الظروف المختلفة لتدريب القوات على القتال في جميع الميادين الحربية كذلك توفر القوى البشرية التي من الممكن إستخدامها في العمليات العسكرية كما توفر عوامل الانتاج اللازمة لصناعة الاسلحةالذخائر[7].

تتميز منطقة الشرق الاوسط بالعديد من الخصائص الجيوبوليتيكية أهمها:

1_ أن منطقة الشرق الاوسط تحتوي على العديد من الانهار الهامة مثل نهر الفرات ونهر النيل ونهر الاردن، فضلاً عن، الممرات المائية التي أغلبها صالحة للملاحة البحرية، التي تتحكم في خطوط الملاحة مثل قناة السويس ومضيق البوسفور ومضيق هرمز وباب المندب [8].

2_ تتميز بالاتساع والعمق الاستراتيجي مما يتيح لنشر القواعد العسكرية في أوقات الحروب وامتصاص الضربات العسكرية غير التقليدية [9].

3_ تتنوع المصادر الطبيعية والموارد المعدنية ومصادر الطاقةوالمناخ والتضاريس.

ان الخصائص الجيوبوليتيكية جعلتها نقطة تماس إستراتيجي ومحط تنافس كبير ومعقد بين القوتين[10] لتمتعها باهمية استراتيجيةبوصفها مركز محوري، وتقع فيها الكثير من الممرات المائية الهامة والتي تتمثل بمضيق هرمز، باب المندب، قناة السويس، فضلاً عن، المضائق التركية، والتي زادت أهميتها بفعل التنافس بين القوى الدولية عبر التاريخ[11].

ولم تكن من الصدفة ان تصبح منطقة الشرق الاوسط مركزاً لحالة الاستقطاب الدولي والاقليمي تجاه الازمات التي تمر بالمنطقة منذ عقود طويلة والمنطقة بمضمونها التقليدي او

---

[6] صابر رمضان، "قراءة في مستقبل النظام الدولي : الولايات المتحدة والقوى الصاعدة : نزاع أم شراكة؟"، دنيا الوطن، 2015/10/20، مقال متاح على الرابط التالي.

https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2015/10/20/

[7] اماني عبدالكريم علي سليمان ، اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط على هيكل النظام الدولي 20162011 , المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية و الاقتصادية و الاستراتيجية. على الرابطالمتاح بتاريخ 2021/3/1. https:democratic.acde

[8] ممدوح محمود، مصطفى منصور، الصراع الامريكي السوفياتي في الشرق الاوسط، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995)،ص55.

للمزيد ينظر : سمير امين واخرون، العولمة والنظام الدولي الجديد، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)،ص15.

[9] المصدر السابق، ص 55. للمزيد ينظر : سمير امين واخرون، العولمة والنظام الدولي الجديد، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)،ص15.

[10] سمير امين واخرون، العولمة والنظام الدولي الجديد، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2004)،ص15.

[11] فراس محمد، التوازنات الاستراتيجية الجديدة في ضوء بيئة امنية متغيرة، بلاط، (عمان، دار الاكاديميون للنشر والتوزيع، 2015)،ص 36.

المفهوم الكبير هي بؤرة للصراع الإقليمي والدولي وإن هذه المنطقة هي عامل اساسي في استراتيجيات الدول الكبرى في الصراع بينها[12].

اما على المستوى الجيوسياسي فان تردي أوضاع الدول العربية في الشرق الأوسط، بسبب الحروب أو الثورات الداخلية ضد الانظمة السياسية، مما أدى الى تزايد الاهتمام بمنطقة الخليج لأسباب جيو اقتصادية تتمثل في أن الخليج مصدراً للطاقة للنمو الاقتصادي العالمي، فإذا ما تعرضت منطقة الخليج إلى تذبذبات وعدم استقرار فإن تذبذباتها تؤثر على اسواق النفط العالمية، فضلاً عن ذلك، فإن هناك سبباً جيوسياسياً للاهتمام المتزايد بمنطقة الخليج والمتمثل بالتنافس العالمي بين المثلث الامريكي الروسي الصيني، فالنفوذ الأمريكي في منطقة الخليج يعني أنها تستطيع التأثير على أهم مصادر الطاقة العالمية وتهدد مصالح القوى العالمية الكبرى [13].

من هذا المنطلق عملت روسيا الى خلق موانع جيوسياسية في مناطق جغرافية مختلفة لموازنة الضغوط الامريكية على روسيا في جوارها الجغرافي المباشر وايجاد موطئ قدم لها في دائرة الصراعات بالمناطق الجغرافية المحيطة بها، لاسيما تلك التي تشكل اولوية لحماية امنها القومي واستقرار بيئتها الاقليمية، فشكل ذلك تحديا للنظام الدولي الاحادي القطبية من خلال التدخل العسكري الروسي المباشر في كل من جورجيا في عام 2008 واوكرانيا في عام 2014 وسوريا في عام 2016 [14].

فهناك شكلاً من اشكال التواصل الذي تعنيه مجموعة من العوامل المؤثرة في الحراك السياسي الروسي عبر التاريخ، إن ما يحتويه الشرق الأوسط من عناصر تعتبر مصدر جذب للإهتمامات السياسية لروسيا، سيما وأن شمالها متجمد معظم أيام السنة ويفتقد للحركة ومشرقها بعيد، وغربها كان على الدوام مصدر للهموم و القلق والتهديد[15].

فمنذ الحرب الباردة شهدت منطقة الشرق الاوسط تنافس وصراع نتيجة سياسية الاستقطاب التي انتهجتها القوتين، وسعي كل منهما لبسط نفوذه وتحقيق مصالحهُ، ومع انهيار الاتحاد السوفيتي عام 1990، لم تزل الصراعات في المنطقة، وانما انبثقت معطيات وعوامل جديدة، وازداد الخلاف بين القوتين لعدم رغبة روسيا بسيطرة الولايات المتحدة الامريكية على النظام الدولي والانفراد به، واصبح الشرق الاوسط مركزاً للتجاذبات كونه نقطة استراتيجية هامة بالنسبة للقوتين[16].

---

[12] حاكم خليد ، صراع القوى الكبرى في منطقة الشرق الاوسط من 20152001 (رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة مولاي طاهر سعيدة , 2015/2014) ص 31 .

[13] البدر الشاطري، الشرق الاوسط البعد الجيوسياسي،7/مايوم/2018،مقال متاح على الرابط التالي https://www.albayan.ae

[14] سيرغي لافروف، روسيا الاوراسية: زمن الرئيس فلاديمير بوتين،ترجمة وسيم خليل قلعجية،ط1،(بيروت,الدار العربية للعلوم ناشرون,2016), ص 333.

[15] محمد رياض، مصدر سبق ذكره، صص 250_251.

[16] عبد الرزاق بو زيدي،التنافس الامريكي الروسي في منطقة الشرق الاوسط:دراسة حالة الازمة السورية 2014/2010, (رسالة ماجستير, غير منشورة,كلية الحقوق والعلوم السياسية,جامعة محمد خيضر/بسكرة,2015/2014), ص53.

ان روسيا تنظر إلى المنطقة من خلال مجموعة من المحاور الجيوبوليتيكية ذات نطاقات وامتدادات استراتيجية فمثلاً تنظر لمحور روسيا _ ايران، هدفاً جيوبوليتيكيا لها، فهي أكبر دولة في العالم مساحة وتفتقر الى منافذ بحرية على المياه الدافئة طوال العام، لذلك فإن التمدد والتوسع للوصول الى الخليج العربي لايزال يمثلا هدفاً جيوبوليتيكيا تسعى لتحقيقه، كما ان ايران تمثل حليف استراتيجي لروسيا تسمح لها بالوصول الى منطقة الخليج العربي سياسياً[17].

كما تعتبر المنطقة الواقعة جنوب القوقاز وفي اتجاه الخليج العربي هي الاطماع الشرعية لها، وان ايران هي قناة السويس الروسية التي تتمكن من خلالها الوصول الى مياه الخليج العربي[18].

وانطلاقاً مما تقدم يمكن تحديد ثلاث ركائز رئيسة تتمثل بمايأتي:

ـ جيو سياسياً

وتتمثل هذا الركيزة ببناء علاقات استراتيجية مع كل من ايران وسوريا، وتحسين علاقاتها مع كل من السعودية وتركيا والكيان الصهيوني لزعزعة المكانة الامريكية وتقليص نفوذها واحتوائه.

ـ اقتصادياً

تعتبر منطقة الشرق الاوسط من بين اهم المناطق الاقتصادية، اذ تزخر بموارد الطاقة الاستراتيجية، كما أن النزاعات وسباق التسلح في المنطقة التي تعيش الكثير من الازمات والتحديات تدفع بالمركبات العسكرية لكسب المزيد من المزايا، حيث تجعل دول المنطقة من اهم مستوردي الاسلحة.

ـأمنياً

تعتبر منطقة الشرق الاوسط امتداداً لدوائر الامن القومي الروسي، اذ تعد بمثابة الحديقة الخلفية للامن القومي الروسي[19].

يتضح مما تقدمأنها تنطلق من رؤيتها للاهمية الجيوبوليتيكية _ الجيو سياسيةلمنطقة الشرق الأوسط، بإعتبارها تحتل مكان الصدارة في سلم الاهتمامات العالمية، وأنه لا يمكن لأي نظام عالمي أن يتشكل بعيدا عن تلك المنطقة الاستراتيجية لما تمثله من قلب العالم، وفيها يتقرر مركز توازن القوى.

المطلب الثاني: الاستراتيجية الروسية تجاه قضايا منطقة الشرق الاوسط

يعد امن الطاقة احد اهم القضايا التي تتنافس وتتصارع عليها القوى العظمى او الكبرى من اجل السيطرة على المناطق الاستراتيجية لضمان امن الطاقة وديمومته، وتعد منطقة الشرق الاوسط واحدة من اهم مناطق الانتاج في العالم، واضحت احد اولويات الاجندة الامنية للقوى

---

[17] المصدر السابق، ،ص 54.

[18] عبد الجليل عبد الواحد عمران، استراتيجية التوازن في منطقة الشرق الاوسط،مجلة كلية المامون الجامعة،بلا مجلد،العدد17,(بغداد,كلية المامون الجامعة,2011),ص 8.

[19] محمد بهلول،استراتيجية روسيا في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا بعد عام 2010,مجلة العلوم القانونية والسياسية, المجلد 10,العدد 1,(الجزائر,المدرسة العليا للعلوم السياسية,ابريل 2019),ص 377.

المتنافسة عليها، لاسيما وان المنطقة تعيش حالة من عدم التوازن الامني في بيئتها الامنية فاصبح التنافس الدولي والاقليمي مسالة رهان استراتيجي لخلق التوازن.

اولاً: قضية امن الطاقة في المدرك الاستراتيجي الروسي

على الرغم من تفكك الاتحاد السوفيتي السابق عام 1991 وانتهائه كقوة عظمى, الا ان بقايا استراتيجيته لعبت دوراً هاما وفعالاً على خارطة الصراع الدولي في منطقة الشرق الاوسط منذ العام 2011، وان نتائجها لا زالت تتفاعل في الاحداث والازمات الدولية التي تعيشها المنطقة، فروسيا تسعى لاعادة احياء دورها العالمي والاضطلاع بدور يمكنها من استعادة مكانتها العالمية، وتعد منطقة الشرق الاوسط الدائرة الاكثر أهمية بالنسبة لها [20].

ان منطقة الشرق الاوسط والخليج العربي لم تغب ابداً عن الفكر الاستراتيجي الروسي، ادراكاً باهميتها، والتي تعززت بشكل واضح وكبير في زمن الرئيس الامريكي فلاديمير بوتين، والتي بدات تاخذ مجالات اوسع واشل من قبل، وتمثلت بزيارة الرئيس الروسي للمملكة العربية السعودية في العام 2007، وزيارته للامارات وقطر، يعود هذا لإدراكها باهمية المنطقة في استراتيجيتها ودوافعها تجاه المنطقة انطلاقاً من مجموعة من الاهداف والمصالح المحددة لسلوكها الاستراتيجي وكالاتي:_

1_ادراك روسيا لاهمية الدول الخليجية اقتصادياً، كونها تمثل مخزوناً هائلاً للطاقة والثروات الطبيعية ووجود عدد من الشركات النفطية ببعض دول المنظومة الخليجية، مثل الامارات، ومد خطوط الغاز الطبيعي، وزيادة التبادل التجاري بين دول المنظومة الخليجية وروسيا من جهة اخرى، كما تعد اسواقاً لتوريد الاسلحة الروسية كؤنها من المناطق الساخنة التي أظهرت حاجتها للاسلحة الروسية التي بدات تتدفق الى دول تلك المنظومة في الاونة الاخيرة[21].

2_ انشاء مؤسسة لوسكار المشتركة بين لوك اويل الروسية وشركة النفط الوطنية السعودية ارامكو في العام 2004 لاستكشاف واستثمار الغاز في صحراء الربع الخالي لمدة 40 عاماً.

3_ عقدت روسيا اتفاقاً بين شركة النفط الروسية لوك اويل ومصر لانتاج النفط الي يصل الى 10% من الانتاج المصري من النفط.

4_انشاء مصفى لتكرير النفط في سوريا واخر لتحويل النفط .

5_كما قامت روسيا بشطب ديون العراق والتي تقدر بـ 93% ومن ثم الاتفاق مع الحكومة العراقية بعودة الشركات النفطية الروسية الى العراق, وقد حصلت شركة نفط غاز بروم على عقد استخراج النفط من حقل بدرة العراقي في محافظة واسط الذي ينتج 170 الف برميل يومياً ولمدة سبع سنوات ابتداءاً من العام 2013[22].

---

[20] عبد الجليل عبد الواحد عمران، مصدر سبق ذكره، ص8.

[21] محمد وائل القيسي،مستقبل المنظومة الخليجية في ظل تحديات عالم استراتيجي متغير،في علي بشار اغوان (واخرون) محرراً، مطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى:تأملات في المسرح الجيو سياسي العالمي الجديد،ط1,(عمان,دار الاكاديميون للنشر والتوزيع,2019), ص553. للمزيد ينظر كذلك: علي رسول المسعودي،اليابان :اليقظة الاستراتيجية والتحولات الدولية، في علي بشار اغوان (واخرون) محرراً، مطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى:تأملات في المسرح الجيو سياسي العالمي الجديد،ط1,(عمان,دار الاكاديميون للنشر والتوزيع,2019), ص 427.

[22] نجاة مدوخ، مصدر سبق ذكره، ص ص 138_139.

6_كما تمكنت شركة غاز بروم من توقيع اتفاق مع اسرائيل في العام 2013, منحها حق الدخول الحصري الى سوق تقدر بنحو 3 ملايين طن من الغاز المسال سنويا لمدة عشرين عاماً، وهو ماعد تحولا جيوسياسياً وطاقوياً لصالح روسيا في المنطقة[23].

بعد مابينا الاهمية الجيوبوليتيكية لمنطقة الشرق الاوسط، فهناك اهمية اقتصادية توازي او ربما تفوق الاهمية الجيوبوليتيكية التي تكلمنا عنها، وترتبط بعدة عناصر أو مقومات تمتلكها والتي تعطيها ميزة نسبية في التفاعلات الاقليمية والدولية، اهمها الموارد الهيدروكاربونية، والموارد الطبيعية، والموارد المائية، والممرات الملاحية، والموارد البشرية، والحضارة والتاريخ .. الخ. كل تلك المقومات لها ابعاد وتاثير في المدرك الاستراتيجي الروسي تجاه المنطقة، التي تتميز بالعديد من المعطيات السياسية والاقتصادية والعسكرية _ الامنية والثقافية، إن روسيا كدولة منتجة للطاقة ترى في دول الشرق الاوسط الغنية بالنفط والغاز الطبيعي كشركاء ومنافسين في الوقت ذاته، وتشترك معهم مصلحة الحفاظ على اسعار النفطفي مستويات مرتفعة وتأمل تنظيم المنافسة في سوق الغاز كما ان الشركات الروسية لها مصالح في مجال النفط ومشاريع الغاز في دول مثل العراق وايران والسعوديةودول اخرى[24].

ترتكز الاهداف الروسية في المنطقة على منع الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوروبي من إتصال أوروبا بأنابيب الشرق مما يخلق حالة من التنافس في سوق الطاقة الأوروبية مما يقلل من اسعار ايرادات روسيا وبالتالي تقليل جيوسياسية الغاز والنفط وبالتالي الاعتماد الاوروبي عليها في امن الطاقة [25].

إن المصالح الاقتصادية الروسية كبيرة وهامة تتعلق بقطاع الاعمال في قطاع الطاقة في المنطقة لايمكن ايجازها وحصرها، التي تتراوح مابين الطاقة النووية الى النفط والغاز الطبيعي، من خلال شركاتها التي تملكها والتي تتمثل بشركة غاز بروم((Gazprom)) و روزوا توم ((Rosatom ، والتي تحتفظ بمصالح في قطاع الطاقة، وتشمل اسواق استهلاك رئيسة وحقول النفط والغاز الطبيعي، فضلا عن، زبائن للبنية التحتية من الطاقة النووية مثل ايران والعراق وتركيا، ودول شرق المتوسط، لذلك نجد ان شركة روزاتوم زادت نشاطها في المنطقة خلال السنوات الاخيرة، فتمكنت من بناء مفاعلات في ايران ومصر والاردن وتركيا، كما فتحت لها مكتباً اقليميا في الامارات من أجل زيادة القدرات النووية لكل من الامارات العربية المتحدة والسعودية، نتيجة لرغبتها بتحقيق المكاسب في اسواق الطاقة في منطقة الشرق الاوسط، لاسيما بعد فرض العقوبات الغربية عليها وتقلب اسعار اسواق الطاقة العالمية[26].

---

[23] محمد ابو سريع علي، صراع الطاقة واعادة تشكيل التحالفات العالمية،مجلة السياسة الدولية،المجلد 53, العدد 213,(القاهرة,مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام, يوليو 2018), ص 29.للمزيد ينظر: كاظم هاشم نعمة, روسيا والشرق الاوسط بعد الحرب الباردة فرص وتحديات,ط1,(قطر,المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات,2016), ص 148.

[24] نجاة مدوخ ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة (دراسة حالة سوريا 2010 / 2014),(رسالة ماجستير غير منشورة , في كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة محمد خضير, بسكرة , 2014 /2015) ص 102 .

[25] اماني عبدالكريم علي سليمان،اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط على هيكل النظام الدولي 20162011 , المركز الديمقراطي العربي للدرأسات السياسية و الاقتصادية و الاستراتيجية. على الرابطالمتاح بتاريخ 2021/5/29. https:democratic.acde

[26] جيمس سلادن واخرون، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط،مركز السياسات العامة في الشرق الاوسط التابع لمؤسسة راند الامريكية،(قطر، 2017),ص 7 .https://www.rand.org

كما ان استراتيجية الامن القومي الروسية لعام 2015 تسعى لزيادة امن الطاقة، لذلك فان مقاربة روسيا الاقليمية تسلط اهتمامها على الطاقة والتعاون الدفاعي والانشطة التجارية والاستثمارية[27].

ان اهمية المنطقة في الاستراتيجية الروسية متأتية من نسبة الاحتياطي النفطي المؤكد الذي يقدر باكثر من 60% من احتياطي النفط العالمي الثابت, في حين يقدر الاحتياطي الروسي نحو 14% من الاحتياطي العالمي, اذ يبلغ احتياطي منطقة الخليج العربي (740) مليار برميل, تشكل ثلثي الاحتياطيات العالمية, اي مايقارب65% من احتياطات النفط الخام العالمي, في حين تقدر احتياطات بحر قزوين بين (15_31) مليار برميل, وتقدر كلفة انتاج البرميل الواحد من (5_ 6) دولار, وقد يؤدي تكاليف النقل بالانابيب ورسوم العبور الى اضافة (3_ 5) دولار للبرميل الواحد[28].

وان روسيا تسعى من خلال مقاربتها البراغماتية النفعية مع دول الخليج العربي الى زيادة اسعار النفط العالمي من اجل تغطية نفقات الدولة، فقامت روسيا بتنسيق الجهود مع منظمة البلدان المصدرة للبترول من اجل تحديد مستويات الانتاج واجراءات الاسعار[29].

ويتصدر التعاون والتنسيق في مجال الطاقة سلم اولويات السياسة الروسية في المنطقة العربية وحوله تدور الدبلوماسية الروسية والتقارب الروسي مع الدول العربية لا سيماً دول الخليج العربي وتأتي بعد ذلك اوجه التعاون الاخرى سواءً في المجال التقني أو الاقتصادي أو الاستراتيجي العسكري[30].

يعتبر منطقة الشرق الاوسط منطقة نفوذ ذات اهمية كبيرة بالنسبة لروسيا في ظل الصراعات والتنافسات الحادة بين القوى الكبرى في المنطقة، ومن الملاحظ ان المصالح الروسية ازدادت بشكل كبير وملحوظ بعد اوضاع التغيير العربي بسبب الاهمية الاستراتيجية للمنطقة والاضطرابات المتزايدة التي تشهدها المنطقة تؤثر بشكل مباشر على روسيا بسبب التقارب الجغرافي، وفي الوقت ذاته زادت روسيا من انشطتها الدبلوماسية وادائها الاستراتيجي في قضايا المنطقة لاستعادة مكانتها في النظام الدولي، فاستغلت روسيا الازمات وانسحاب الولايات المتحدة الامريكية من العراق عام 2011 لاحياء دورها[31].

لذلك نجد ان امن الطاقة ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالازمات والتوترات التي نشبت في منطقة الشرق الاوسط، والتي ادت الى حدوث عرقلة في وصول الامدادات الى المراكز الصناعية الكبرى، مما شكل

---

[27] بيكا واسر، حدود الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط، مركز السياسات العامة في الشرق الاوسط التابع لمؤسسة راند الامريكية،(قطر،تشرين الثاني 2019),ص3.https://www.rand.org

[28] سليم كاطع علي، محددات السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط بعد عام 2001,مجلة دراسات دولية, بلا مجلد, العدد 71,(بغداد,مركز الدراسات الأستراتيجية والدولية, 2017),ص 103.

[29] جيمس سلادن واخرون، مصدر سبق ذكره ، ص 7.

[30] نورهان الشيخ،روسيا والتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي،في احمد سعيد نوفل (وآخرون)،محرراً، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية،ط1 ,(الدوحة: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات, 2014), ص303.

[31] اماني عبد الكريم علي سليمان،أثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط على هيكل النظام الدولي 2016/2011,المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية الاقتصادية والسياسية, 25 يوليو 2016، بحث متاح على الرابط التالي . https:democratic.acde

https://webcache.googleusercontent.com/

تحدياً كبيراً للاستقرار العالمي، مما زاد من احتمالات التنافس الحاد بين القوى العظمى للهيمنة على عملية امتلاك الطاقة وتوزيعها، مما ادى الى تصعيد التوتر في منطقة الخليج العربي وبحر قزوين[32].

يتضح مما تقدم ان روسيا تتعامل مع الشرق الاوسط كبوابة اقتصادية في تصريف منتجاتها وتطوير اقتصادها بعد انهيار النهج الاشتراكي والتحديات الداخلية التي عاشتها ولاتزال تعيش البعض منها والتحول نحو الرأسمالية كون دول الشرق الاوسط صاحبة تجربة في النظام الرأسمالي، كذلك في ميدان الطاقة من اجل أن يكون لها دور في التحكم في اسعار النفط والغاز الطبيعي وما له من دور في بناء مكانتها الاستراتيجية والعسكرية.

ثانياً: الاستراتيجية الروسية تجاه الحرب السورية منذ العام 2011

بعد ان تمكنت روسيا من التخلص من التحديات الداخلية التي خلفها انهيار الاتحاد السوفيتي 1991 اتجهت نحو مواجهة التحديات الخارجية، فما ان حدثت الحرب السورية فكان لروسيا استراتيجيتها تجاه الحرب شأن القوى الدولية التي لها مصالحها في سوريا، فكانت لروسيا مصالح تتطلب منها الحفاظ عليها وإلا سوف تفقدها باستيلاء الولايات المتحدة الامريكية عليها، فاستثمرتها للعودة الى المنطقة واعادة تفعيل دورها، ان الاستراتيجية التي تتبناها روسيا تجاه الشرق الأوسط تحركها مبادئ وأولويات سياسات خارجية عديدة، واتضحت الأهداف والمعالم المستقبلية للسياسة الروسية الراهنة، مع الإعلان عن خطة إستراتيجية في عام 2008 عرفت بخطة بوتين، والتي تهدف إلى إخراج روسيا من تحت ركام البيروسترويكا، وما أعقبها من حالة الضعف والترهل الذي اصاب جمهورياتها، لتلعب دورا إقليمياً ودولياً فاعلاً يتناسب مع حجمها وإمكانياتها[33].

وتنطلق السياسة الروسية الجديدة من رؤيتها لأهمية القيمة الجغرافية _ الجيوستراتيجية، وتبقى سوريا محوراً رئيساً ضمن مناطق النفوذ التي تحتضنها البيئة الاستراتيجية الروسية، لاحتلالها مكانة الصدارة في الاهتمامات العالمية من جهة، وفي الوقت ذاته فأنه لا يمكن لأي نظام عالمي أن يتشكل بعيداً عن تلك المنطقة الإستراتيجية الحيوية، فيها يتقرر مراكز التوازنات والقوى، ولكونها تمثل منصة ارتكاز سياسية لأي دور محتمل لأي قوة أمريكية كانت أم روسية أم أوروبية من جهة اخرى[34].

وتعتقد روسيا أن إمكاناتها وإرثها السياسي وتوجهاتها الحالية تؤهلها لحجز مكانة بارزة في خارطة تشكيل العالم الجديد، فشكل التدخل الروسي منعطفاً هاماً في التغيير الذي طرا على الاستراتيجية الروسية وتحولها من التاكيد على الايديولوجية الى استراتيجية براغماتية _ نفعية ، تجعلنا نتحدث عن بيروسترويكا بوتين، أو روسيا الجديدة، بعد أن أدركت حجم خسائرها الناجمة

[32] طارق محمد ذنون، الامن الدولي في القرن الواحد والعشرون:ماهيته،مقترباته الفكرية العالمية، تحدياته غير التقليدية، وافاقه المستقبلية،ط1,(عمان,دار الاكاديميون للنشر والتوزيع,2019), ص ص 269_ 270.

[33] عبد الغني سلامة، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط،مجلة الحوار المتمدن، العدد2011/4/3335,13،مقال متاح على الرابط التالي https://www.ahewar.org

[34] محمد وائل القيسي ,اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط بعد عام 2011 على مكانة روسيا الاتحادية ودورها في النظام العالمي, مجلة دراسات اقليمية,المجلد (13), العدد (42),(الموصل :مركز الدراسات الاقليمية في جامعة الموصل ,2019)، ص136.

عن تراجع دورها في المنطقة، وشروعها بالبحث عن مصالحها ومكانتها التي فقدتها، لاسيماً بالشرق الأوسط، وقبل الدخول إلى اليه، كان عليها الولوج عبر سوريا التي تمثل البوابة الشمالية للشرق العربي، والتي تمثل احدى دعائم الامن فيه، وعبر تركيا التي تعد الجسر الواصل بين الشرق والغرب، وعبر إيران البوابة الشرقية للمنطقة العربية، وتجسدها ثلاث دوائر جغرافية متجاورة، تزداد أهميتها مع التواجد الأمريكي في مركزها والتي تتمثل بـ (العراق وأفغانستان) دون أن نغفل وجود إسرائيل، وفي هذا الصدد تنطلق روسيا في توجهاتها السياسية في المنطقة من معايير ومحددات معينة، لذلك احتلت الحرب السورية اهمية قصوى نظراً لانعكاساتها الواسعة على مجمل المعطيات والتفاعلات في المنطقة، اذ باتت تشكل نقطة تحول في توازنات واستراتيجيات القوى الاقليمية والدولية في المنطقة، من خلال التغييرات التي طرت على سلوكيات القوى العالمية الكبرى او العظمى، فضلاً عن، حدوث تغير في خطاباتها وادائها مواقفها[35].

ان التغيير الذي شهده الفكر الاستراتيجي الروسي لاسيما فيما يتعلق بتراجع مكانة الايديولوجية وتعاظم منهج البراغماتية، انعكس على الاداء الاستراتيجي الوظيفي الروسي تجاه العالم العربي، فهي لم تلجا الى اطلاق الاحكام المتسرعة حول طبيعة القوى المحركة للتغيير الا بعد اكتشاف دلالاتها العامة والفحص الشامل لمدى قدرتها على احداث التغيير من ناحية، ومن ناحية اخرى مدى قدرة الانظمة السياسية القائمة على احتوائها وانكفائها وتفككها واندثارها[36].

ان الرؤية الاستراتيجية الروسية للازمات والتداعيات المحتملة التغيير السياسي اتسمت باستراتيجية بعيدة الامد، وتتمثل في انها، اذ اختارت ان تقف في موقف معارض وسريع ضد الانظمة الحاكمة ودعم حركات التحرر وقوى التغيير فان ذلك سوف يؤدى الى نتائج وخيمة لاسيما اذ ماتمكنت تلك الانظمة الساسية من السيطرة على تلك الحركات واحتوائها، مما يؤدي ذلك الى اعادة نظر تلك الانظمة الحاكمة بعلاقاتها مع الدول المؤيدة والمعارضة وفقا لمواقفها من تلك الاحداث[37].

ان التغييرات الدراماتيكية السريعة لحركات التغيير العربي عام 2011، قادت الى تخوف روسيا من أن تؤدي موجة الثورات الشعبية ألى تغييرات عميقة يمكن أن تؤثر على مصالحها الحيوية في المنطقة وامنها القومي، كما أن روسيا لديها تخوف أمني والمتمثل بانتشار الأرهاب الدولي الى روسيا والدول المجاورة لها مما يؤثر ذلك على استقرار اوضاعها الداخلية [38].

إن اهداف روسيا المتمثلة بالرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) يمكن وصفها بالاهداف المرنة والتكتيكية في ذات الوقت حيث تسعى لتحقيق رؤية إستراتيجية، ولذلك فهي تتغير وتتسع وفقاً للتطورات الأمنية والسياسية بالمنطقة [39].

---

[35] عبد الغني سلامة، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط،مجلة الحوار المتمدن، العدد 2011/4/3335,13،مقال متاح على الرابط التالي https://www.ahewar.org

[36] محمد السيد سليم،تحليل السياسة الخارجية،ط1,(القاهرة,مطبعة النهضة المصرية,1998),ص 238.

[37] طارق محمد ذنون،الوجيز في ماوراء التغيير السياسي في العالم العربي،ط1,(عمان, دار الاكاديميون للنشر والتوزيع,2018), ص 128.

[38] جيمس سلادن واخرون، مصدر سبق ذكره ، ص ص 3_4.

[39] أحمد محمود عيسى (وآخرون)، تداعيات التدخل الدولي في إقليم الشرق الأوسط على ظاهرة الإرهاب (سوريا، العراق، ليبيا، اليمن) أنموذج، ط1,(برلين :المركز الديمقراطي العربي, 2020) ص127.

كما ان روسيا ترى أن التغيير السياسي الذي شهده العالم العربي سيؤدي الى بلورة متغيرات إقليمية جديدة، واعادة تعريف الخصوم والمنافسين والحلفاء، مما يمكن ان يؤدي الى تغيير تتابعي ومترابط وجذري في حركة المستقبلات التفاعلية لتلك القوى الاقليمية والدولية، وبالتالي تغيير في مصالح روسيا من حيث الربح والخسارة، بالمحصلة فان روسيا تعمل تغذية وتوظيف التغيير السياسي في العالم العربي بالشكل الذي يخدم ويحقق مصالحها، لذلك اتخذت موقفاً حازماً فيما يتعلق بسوريا لمجموعة من الاسباب والاهداف أهمها[40].

وعليه فإن هناك مجموعة من الأهداف والدوافع والاسباب وراء التدخل الروسي في الحرب السورية ومن بينها الاتي :

1_ الأهداف الجيو ستراتيجية :يحظى موقع سوريا الجيوستراتيجي بأهمية كبيرة، لا سيماً فيما يتعلق بمسألة عبور أنابيب الطاقة لنقل الغاز الطبيعي القطري الذي يحتل المرتبة الثالثة عالمياً بعد روسيا وإيران ويفسر أن مصالحها في سوريا تتمثل في الهيمنة على كل الصادرات الطاقوية وتحديداً الغاز الطبيعي المسال إما بصفة شريك في خطوط الإمداد أو في مناطق العبور او المستثمر في الإنتاج [41]. فضلا عن ذلك، ان موقعها يشكل فضاءً حيوياً لروسيا للوصول الى البحر المتوسط ومياهه الدافئة [42]. وتعتبر مفتاح آسيا من خلال الخط الأمريكي الذي سيمتد من قطر عبر سوريا لكي يصل إلى أوروبا وبذلك يكمن سبب الخلاف والتدخلات الدولية في سوريا ومنطقة الشرق الأوسط بشكل عام[44].

2_ الأهداف الاقتصادية : المتمثلة بالعلاقات الإقتصادية بين البلدين التي اتسمت بالركود بعد عام 1991 لكن سرعان ما استعادة حيويتها بعد التخلص من الازمات الداخلية السياسية والاقتصادية التي كانت تعاني منها سوريا إذ قررت روسيا إعفاء 85٪ من الديون المترتبة لها على سورياالبالغة عشرة مليارات يورو عام 2015([44]). فضلاً عن، مبيعات السلاح الروسية بين سوريا وروسيا تعتبر ركيزة اساسية بين البلدين فقد بلغت مشتريات السلاح من روسيا ما يقارب مليار ومائة مليون دولار وفقاً لإحصائيات 2010, كما توجد عقود مبرمة بين سوريا وشركات صناعة الأسلحة الروسية حيث تعتبر شريكا أساسياً لروسيا في مجال استيراد السلاح, ففي عام 2011 بلغت وارداتها من السلاح حوالي 15 ٪ فضلاً عن توقع روسيا لارتفاع قيمة العقود الجديدة مع سوريا بنسبة تفوق ما خسرته من توقف عقودها مع ليبيا بعد الثورة وبالتالي إذا سقط النظام فذلك يشكل خسارة فادحة بالنسبة لها[45]. اذ تحتل سوريا المركز الرابع في استيراد السلاح الروسي[46].

---

[40] نورهان الشيخ، مصالح ثابتة ومعطيات جديدة:السياسة الروسية تجاه المنطقة بعد الثورات العربية،مجلة السياسة الدولية، العدد186,(القاهرة,مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية,2011),ص 114.

[41] أنمار علي إبراهيم الزهيري،تحصين الذات :تكامل الأداء الإستراتيجي الروسي « دراسة في دوائر التوجه الجيوسياسي» لمرحلة الرئيس بوتين، مجلة العلوم السياسية، (بغداد :كلية الإسراء الجامعة، 2019) ص421.

[42] محمد وائل القيسي، اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط بعد عام 2011 على مكانة روسيا الاتحادية ودورها في النظام العالمي, مصدر سبق ذكره, ص 137.

[43] عبد الرزاق بوزيدي، التنافس الجيوبوليتيكي والطاقوي بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في منطقة الشرق الأوسط (2010 / 2016), مجلة العلوم القانونية والسياسية,العدد (15),(الجزائر :جامعة محمد خضير/ بسكرة, 2017),ص 273.

[44] زايد هادية و دبي كاتية ، مصدر سبق ذكره،ص ص 125_126.

[45] اماني عبدالكريم علي سليمان، اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط على هيكل النظام الدولي 20162011 , المركز الديمقراطي العربي للدرآسات السياسية و الاقتصادية و الاستراتيجية. على الرابطالمتاح بتاريخ 2021/5/29. https:democratic.acde

في حين إن الولايات المتحدة الامريكية تراجعت نسبة مبيعاتها بنسبة3٪ عـام 2015 وبالمقابل ارتفعت نسبةروسيا بـ 3.6 ٪ وارتفعت كذلك النسبة الإجمالية من التصدير الإجمالي في العالم إلى 23 ٪ عام 2017 مقارنة ب 22٪ عام 2013 وذلك بحسب تقرير صادر عن معهد أبحاث استوكهولم العالمي للسلام[47].

3_ الاهداف والقواعد العسكرية_ الامنية : تأتي أهمية القاعدة العسكرية الروسية في ميناء طرطوس في مقدمة اهدافها في سوريا لخدمة قوتها البحرية التي تؤدي مهمات عسكرية في البحر المتوسط وخليج عدن وتتيح لها التزود بما تحتاج إليه من الوقود والمؤن وصيانة معداتها العسكرية [48].

كما يعد مطار حميميم قاعدة عسكرية روسية ويبعد حوالي (22) كم2 جنوب مدينة اللاذقية السورية الساحلية فضلاً عن، إنه يمثل إحدى الخطوات المهمة في الدعم اللوجستي العسكري _ الأمني للنظام السوري حيث أرسلت روسيا قوات عسكرية ومعدات إلى هذا المطار لمساعدة النظام السوري[49].

حيث جاء التدخل العسكري الروسي في اطار خطة عسكرية مدروسة في إطار مكافحة الإرهاب الدولي والقضاء على بؤر التوتر وتجفيف منابعه لتحقيق أهداف محددة بعد القناعة بعدم فاعلية التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية في محاربة تنظيم (داعش الارهابي) وتراجع دور النظام وفقدانه مناطق واسعة من سيطرته، كذلك ضمان التواجد العسكري الروسي في البحر المتوسط لتعزيز موقفها الاستراتيجي مع الغرب وإنجاز حملتها في مطاردة المقاتلين من الشيشان والقوقاز قبل عودتهم إلى روسيا يعتبر هدف مركزي لها[50].

4_ ان روسيا تسعى ومنذ عقود على عدم السماح للاتحاد الاوروبي بالوصول الى الغاز القطري والوقوق بوجه سياساته لتنويع مصادر تمويله سواء كان من اسيا الوسطى والقوقاز ام من الشرق الاوسط، من اجل التحكم في مستوى العرض والطلب العالمي على الغاز من خلال منع وصول المستهلكين الى مصادر بديلة [51].

---

[46] محمد وائل القيسي، اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط بعد عام 2011 على مكانة روسيا الاتحادية ودورها في النظام العالمي, مصدر سبق ذكره, ص 136.

[47] محمد بهلول، حكيم غريب، مصدر سبق ذكره،ص176 .

[48] نورهان الشيخ، روسيا والتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي،في احمد سعيد نوفل (وآخرون)،محرراً، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، مصدر سابق، ص304 .

[49] احمد محمود عبدالمجيد ، مكانة سوريا في المدرك الاستراتيجي الروسي بعد عام 2000 , مجلة قضايا سياسية,(بغداد : جامعة النهرين و2019), ص 50.

[50] كمال عبدالله حسن، أهمية الأزمة السورية في الاستراتيجية الروسية بعد العام 2011 , مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية,المجلد (9), العدد(32),(السليمانية :جامعة السليمانية, 2020) ص261 .

[51] احمد عبد الغني عليوي، رهانات امن الطاقة في منطقة الشرق الاوسط:دراسة جيوستراتيجية،(رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية القانون و العلوم السياسية ، الجامعة العراقية،2020), ص 76.

فكانت الرغبة الروسية في العودة اليه وتقوية دورها كقوة في البيئة الدولية وإثبات دورها الفاعل في القضايا الاقليمية والدولية الهامة فوجدت في الحرب السورية فرصة سانحة لتحقيق أهداف استراتيجيتها[52].

ان الدوافع الروسية للتدخل في سوريا مثلت نقطة تحول بارزة ذات اهمية في مسار العلاقات الروسية مع النظم العربية، حيث اعتبرت هذه الخطوة بداية لصعود الدور الروسي وهذا التحرك لم يكن ولن يكون مجرد تحريك إنساني لمساعدة الشعب السوري بل يحمل طابعا براغماتياً بالنسبة لروسيا من جوانب متعددة [53].

ان مستوى الايغال في الشؤون الدولية يرتبط بصورة مباشرة بالبنية الفكرية للدولة، مما ينعكس ذلك على ادائها الاستراتيجي وسلوكها في ضوء ذلك، لذلك فان صعود وهبوط القوى الدولية الكبرى او العظمى شئ طبيعي ويمثل علامة من علامات العمليات التاريخية، وهذا ماينطبق على روسيا تماماً [54].

وفي الوقت ذاته، نجد ان تجربتها في الازمة الليبية وموافقتها على قرار الامم المتحدة رقم 1973 والذي سمح لقوات حلف الناتو بالتدخل في ليبيا واسقاط نظام معمر القدافي احد حلفاء موسكو كان احد الاخطاء التي تحاول روسيا عدم تكرارها، وان سقوط نظام بشار الاسد سوف يمثل بمثابة تضييق الخناق على شريكها في المنطقة والمتمثل بايران، وبذلك ستخسر نفوذاً هاماً وشريك استراتيجي بالمنطقة[55].

ان الولايات المتحدة الامريكية تعد سوريا جزءً حيويا من استراتيجية محاصرة روسيا من جهة الجنوب الغربي والعمل على منعها من الوصول الى المياه الدافئة، لذلك سعت الاخيرة الى محاولة الاستحواذ على سوريا لخلق منها دفاعات متقدمة للامن القومي، كؤنها تمثل دولة ارتكاز على حد تعبير البروفيسور الامريكي جون كيندي في احدى مقالاته عن طبيعة الاستراتيجية الامريكية الى جانب جورجيا والقوقاز، فاهميتها بالنسبة للقوتين جعلت منها منطقة تصادم جيوستراتيجي[56].

فهي اتخذت من سوريا مجالاً للتغلغل في منطقة المتوسط وذلك من خلال دفاعها عن النظام السوري داخلياً وخارجياً، كذلك استخدام الفيتو في نقض قرارات مجلس الأمن لمنع الدول الكبرى من التدخل في سوريا، مما فتح محورا جديداً أمام روسيا في لعب الدور الذي تطمح إليه عالميا واستعادة مكانتها في الخريطة السياسية العالمية[57].

---

[52] اماني عبدالكريم علي سليمان، اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط على هيكل النظام الدولي 20162011 , المركز الديمقراطي العربي للدراسات السياسية و الاقتصادية و الاستراتيجية. على الرابطالمتاح بتاريخ https:democratic.acde2021/5/29

[53] جعودي كاتية،عزوق سليمة،الاستراتيجية الروسية الجديدة في الشرق الاوسط _ دراسة حالة سوريا،(رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة مولود معمري ، 20172016 (، ص 78.

[54] عاطف معتمد عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي:ازمة الفترة الانتقالية، بلا ط،(بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009)،ص 117.

[55] محمد وائل القيسي، اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط بعد عام 2011 على مكانة روسيا الاتحادية ودورها في النظام العالمي, مصدر سبق ذكره, ص 137.

[56] مجموعة مؤلفين،التوازنات والتفاعلات الجيوستراتيجية والثورات العربية،(قطر،سلسلة تحليل سياسات،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، 2012)،ص13.

[57] زايد هادية و دبي كاتية، مصدر سبق ذكره، ص139 .

اما فيما يتعلق بادوار القوى الاقليمية والدولية ، فهناك العديد من المواقف التي تباينت تبعاً لحجم مصالح تلك القوى في سوريا، فالنسبة للصين وايران وسوريا شكلوا تحالفاً لدعم نظام بشار الاسد هذا من جهة، ونجد السعودية وتركيا وقطر ودول الخليج العربي والولايات المتحدة الامريكية والاتحاد الاوروبي والدول الغربية يدعمون المعارضة السورية ولكن بنسب متفاوتة لكل منهم[58].

قامت روسيا بتشكيل تحالف استخباراتي رباعي مكون من روسيا وايران وسوريا والعراق لمواجهة مايسمى بتنظيم داعش الارهابي، واصبحت روسيا الفاعل الرئيس في الصراع الدولي، واكدت روسيا في الاجتماعات التي عقدت في جنيف والتي كانت طرفاً فاعلاً ومؤثراً فيها بانه لاحل سياسي في سوريا الابعد القضاء على تنظيم داعش الارهابي، فضلا عن، تزايد دور ايران وحزب الله في دعم نظام بشار الاسد في سوريا[59].

ان طبيعة الدور العسكري _ الامني للقضاء على تنظيم داعش الارهابي في اطار التحالف الروسي _الايراني _ العراقي _ السوري شهد تنسيق روسي في ظل غياب التحرك العسكري الامريكي، فضلاً عن ذلك، ان الضربات الروسية الصاروخية التي كانت تشنها روسيا في مركز التنسيق في بغداد، كانت بمثابة رسالة موجهة للغرب اكثر منها الى سورية[60].

فمن وجهة النظر الروسية فإن سقوط النظام بسوريا يعني لها فقدان حليف استراتيجي وهذا يعني خسارة منطقة الشرق الأوسط برمتها فضلاً عن، إن النفوذ الأمريكي سيكون دون منافس أو مراقب، ويكون من الصعب على إيران الصمود بوجه النفوذ الغربي، وبما أن إيران وسوريا يمثلان امتداد جيوبوليتيكي للحدود الروسية، فإن سقوطه يعني أن جبهة المواجهة مع الغرب سوف تقترب من الحدود الروسية في القوقاز وآسيا الوسطى وهذا بحد ذاته تطويقاً لروسيا من قبل الولايات المتحدة الامريكية ونشر الفوضى في محيطها الاقليمي [61].

يتضح مما سبق ان روسيا ومنذ زمن بعيد تحاول دائماً الحفاظ على منطقة نفوذ لها في الشرق الاوسط ادراكاً منها باهمية المنطقة ومكانتها في السياسة الدولية، كذلك ما حدث في المنطقة من تطورات، فالحرب السورية ادت الى اعادة رسم ملامح الاستراتيجية الروسية بشكل مباشر بدعمها للنظام السوري سياسيا واقتصاديا وعسكريا، كان له مبرراته الموضوعية بالنسبة لروسيا بالدرجة الاولى.

---

[58] محمد مجدان، سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر، العدد 48،(بيروت،المجلة العربية للعلوم السياسية،مركز دراسات الوحدة العربية،2016)،ص23.للمزيد ينظر محمد وائل القيسي، الاداء الاستراتيجي الامريكي بعد العام2008:ادارة باراك اوباما انموذجاً،(الرياض،العبيكان،2016)، ص 150.

[59] سيرغي لافروف، مصدر سبق ذكره، ص 339.

[60] المصدر السابق، ص 339.

[61] نجاة مدوخ، مصدر سبق ذكره، ص 172.

الخاتمة

احتلت منطقة الشرق الاوسط اهمية متزايدة في المدرك الاستراتيجي الروسي، لاسيما بعد عام 2011 والتي شكلت نقطة انعطاف وتحول هامة, ولعل تلك الاهمية متاتية من الموقع الجيو سياسي الذي تتمتع به منطقة الشرق الاوسط, ونظراً لاهميتها باتت تتحكم بمجمل التفاعلات الاقليمية والدولية للقوى العالمية الكبرى او العظمى, فضلاً عن ذلك, امكانياتها الاقتصادية _ الطاقوية, لاسيما النفط والغاز الطبيعي, مماجعلها ساحة تتنافس فيها القوى الاقليمية والعالمية, الذي ادى الى حدوث تغييرات جيوبوليتيكية للمنطقة, كل تلك التغييرات كانت بمثابة المحفزات بالنسبة لروسيا للاستفادة من مجمل تلك التغييرات والتفاعلات وتغذيتها وتوظيفها لخدمة استراتيجيتها الجديدة لاستعادة مكانتها ودورها العالمي, وشكلت الحرب السورية عام2011 المنطلق والبوابة بالنسبة بروسيا لاعادة ترتيب استراتيجيتها تجاه قضايا المنطقة، لذلك سعت لجعلها نقطة الارتكاز المحورية في استراتيجيتها الجديدة التي تهدف الى التاثير على مجمل معطيات التفاعلات السياسية والاقتصادية والامنية للقوى الاخرى، فضلاً عن، استغلاله الانقسام الداخلي والإقليمي والدولي بشأن مصير سوريا، وبالنتيجة فإنها في كل مساعيها هذه تهدف الى مواجهة دور الولايات المتحدة الامريكية وللتقليل من الهيمنة الغربية على النظام الدولي لان سوريا تمثل ساحة للتنافس على النفوذ بين القوتين، لما لها من أهمية حيوية لكل منهما، ويشير التدخل الروسي في سوريا إلى الاهمية الكبيرة التي تمثلها لروسيا، وهذا يعني منافسة النفوذ الأمريكي في المنطقة وفي نفس الوقت يخدم هدف روسيا في استعادة مكانتها الدولية.

الاستنتاجات

1 - نظراً لأهمية الشرق الأوسط لجميع القوى الدولية والاقليمية فكان من المنطقي أن تكون لروسيا اهتماما بهذا الإقليم الحيوي حيث هناك قاعدة في التنظير الاستراتيجي تقول القاعدة "بأنه على وفق الإدراك يأتي الفعل".

2 - تحاول روسيا السيطرة على مصادر الطاقة بحيث لا يجري أي اتفاق أو مشروع طاقوي في الشرق الاوسط إلا عن طريقها او يكون لها دورا فيه أو التعامل معها.

3 - تستخدم روسيا جميع الادوات سواء كانت سياسية ناعمة أو عسكرية صلبة للدفاع عن مصالحها وحماية أمنها القومي .

4 - تصاعد موقف روسيا في مواجهة النفوذ الأمريكي على المستويين الإقليمي والدولي، والسعي لاقامة نظام دولي متعدد الاقطاب تكون روسيا احدى اقطابه.

5 - استغلت الحرب السورية لاستعادة دورها ومكانتها في الشرق الأوسط كشريك لا يمكن تجاهله وانتزاع حقوقه.

6 - إن التنافس الروسي _ الأمريكي في الشرق الأوسط عموماً وسوريا خصوصاً منذ العام 2011 هو جزء من استراتيجيةكل من روسيا والولايات المتحدة الامريكية لتوسيع نفوذهما في المنطقة وتعزيزه بما يمكن كل منهما أن يكون له دور فاعل ومؤثر في قضايا المنطقة ومنها سوريا.

7- إن التدخل العسكري الروسي في سوريا يشير الى عزم روسيا لاحتفاظ بالحليف السوري وعدم التخلي عنه مهما كان الثمن حيث إن سوريا هي موطئ قدم هام لروسيا في منطقة الشرق الأوسط والمياه الدافئة.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: الكتب العربية والمترجمة

1 أحمد محمود عيسى (وآخرون)، تداعيات التدخل الدولي في إقليم الشرق الأوسط على ظاهرة الإرهاب (سوريا، العراق، ليبيا، اليمن أنموذج)، ط1,(برلين :المركز الديمقراطي العربي, 2020).

2 جمال خالد القاضي (وآخرون) ، الثقل الآسيوي في السياسة الدولية (محددات القوة الآسيوية)،ط 1,(برلين : المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية ,2018).

3 سمير امين واخرون، العولمة والنظام الدولي الجديد،(بيروت،مركز دراسات الوحدة العربية،2004).

4 سيرغي لافروف، روسيا الاوراسية: زمن الرئيس فلاديمير بوتين،ترجمة وسيم خليل قلعجية،ط1,(بيروت,الدار العربية للعلوم ناشرون,2016).

5 طارق محمد ذنون، الامن الدولي في القرن الواحد والعشرون:ماهيته،مقترباته الفكرية العالمية، تحدياته غير التقليدية، وافاقة المستقبلية،ط1,(عمان,دار الاكاديميون للنشر والتوزيع,2019).

6 طارق محمد ذنون،الوجيز في ماوراء التغيير السياسي في العالم العربي،ط1,(عمان, دار الاكاديميون للنشر والتوزيع,2018).

7 علي رسول المسعودي،اليابان :اليقظة الاستراتيجية والتحولات الدولية، في علي بشار اغوان (واخرون) محرراً، مطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى:تأملات في المسرح الجيو سياسي العالمي الجديد،ط1,(عمان,دار الاكاديميون للنشر والتوزيع,2019).

8 فراس محمد، التوازنات الاستراتيجية الجديدة في ضوء بيئة امنية متغيرة،بلاط،(عمان،دار الاكاديميون للنشر والتوزيع،2015).

9 مجموعة مؤلفين،التوازنات والتفاعلات الجيوستراتيجية والثورات العربية،(قطر،سلسلة تحليل سياسات،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،2012).

10 محمد السيد سليم،تحليل السياسة الخارجية،ط1,(القاهرة,مطبعة النهضة المصرية,1998).

11 محمد رياض، الجغرافية السياسية والجيوبوليتيكا مع دراسة تطبيقية على الشرق الاوسط،بلا ط،(بيروت،دار النهضة العربية،1979).

12 محمد وائل القيسي، الاداء الاستراتيجي الامريكي بعد العام 2008:ادارة باراك اوباما انموذجاً,(الرياض,العبيكان,2016).عاطف معتمد عبد الحميد،استعادة روسيا مكانة القطب الدولي:ازمة الفترة الانتقالية،بلا ط،(بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون،2009).

13 محمد وائل القيسي، مستقبل المنظومة الخليجية في ظل تحديات عالم استراتيجي متغير، في علي بشار اغوان (واخرون) محرراً، مطارحات النظام الدولي والقوى الكبرى:تأملات في المسرح الجيو سياسي العالمي الجديد، ط1,(عمان,دار الاكاديميون للنشر والتوزيع,2019).

14 ممدوح محمود، مصطفى منصور، الصراع الامريكي السوفياتي في الشرق الاوسط، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 1995).

15 نورهان الشيخ، روسيا والتغيرات الجيوستراتيجية في الوطن العربي، في احمد سعيد نوفل (وآخرون)، محرراً، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، ط1 ,(الدوحة: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات, 2014).

ثانياً:البحوث والدوريات والمجلات العلمية

1 احمد محمود عبدالمجيد , مكانة سوريا في المدرك الاستراتيجي الروسي بعد عام 2000 , مجلة قضايا سياسية,(بغداد, جامعة النهرين و2019).

2 أنمار علي إبراهيم الزهيري، تحصين الذات :تكامل الأداء الإستراتيجي الروسي « دراسة في دوائر التوجه الجيوسياسي» لمرحلة الرئيس بوتين، مجلة العلوم السياسية، (بغداد :كلية الإسراء الجامعة، 2019).

3 سليم كاطع علي، محددات السياسة الخارجية الامريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط بعد عام 2001,مجلة دراسات دولية, بلا مجلد, العدد 71,(بغداد,مركز الدراسات الأستراتيجية والدولية, 2017).

4 عبد الجليل عبد الواحد عمران، استراتيجية التوازن في منطقة الشرق الاوسط، مجلة كلية المامون الجامعة، بلا مجلد، العدد17,(بغداد,كلية المامون الجامعة,2011).

5 عبد الرزاق بوزيدي، التنافس الجيوبوليتيكي والطاقوي بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا في منطقة الشرق الأوسط 2010-2016, مجلة العلوم القانونية والسياسية,العدد (15),(الجزائر :جامعة محمد خضير/ بسكرة, 2017).

6 كمال عبدالله حسن، أهمية الأزمة السورية في الاستراتيجية الروسية بعد العام 2011 , مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية,المجلد9, العدد(32),(السليمانية :جامعة السليمانية, 2020).

7 محمد بهلول، استراتيجية روسيا في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا بعد عام 2010,مجلة العلوم القانونية والسياسية, المجلد 10,العدد 1,(الجزائر,المدرسة العليا للعلوم السياسية,ابريل 2019).

8 محمد مجدان، سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر، العدد 48,(بيروت,المجلة العربية للعلوم السياسية,مركز دراسات الوحدة العربية,2016).

9 محمد وائل القيسي ,اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط بعد عام 2011 على مكانة روسيا الاتحادية ودورها في النظام العالمي, مجلة دراسات اقليمية,المجلد (13), العدد (42),(الموصل :مركز الدراسات الاقليمية في جامعة الموصل ,2019).

10 نورهان الشيخ، مصالح ثابتة ومعطيات جديدة:السياسة الروسية تجاه المنطقة بعد

الثورات العربية،مجلة السياسة الدولية، العدد186,(القاهرة,مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية,2011).

ثالثاً: الرسائل العلمية

1 (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الحقوق و العلوم السياسية ، جامعة مولود معمري، 20172016).

2 احمد عبد الغني عليوي، رهانات امن الطاقة في منطقة الشرق الاوسط:دراسة جيوستراتيجية،(رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية القانون و العلوم السياسية ، الجامعة العراقية،2020).

3 بن علية خالد ، دبي علاء الدين ، تطور ظاهرة الارهاب في الشرق الاوسط و تداعيتها على امن الدول داعش إنموذجاً،(رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الحقوق و العلوم السياسية، جامعة زيان عاشور _ الجلفة ،2017/2016) .

4 جعودي كاتية،عزوق سليمة،الاستراتيجية الروسية الجديدة في الشرق الاوسط _ دراسة حالة سوريا،

5 حاكم خليد ، صراع القوى الكبرى في منطقة الشرق الاوسط من 20152001 (رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة مولاي طاهر سعيدة , 2015/2014).

6 رانيا حسناوي،منى رزق الله ،السياسة الامنية التركية تجاه منطقة الشرق الاوسط في فترة حكم حزب العدالة والتنمية (20152003), رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الحقوق والعلوم السياسية,جامعة العربي التبسي, 2016/2015).

7 زايد هادية و دبي كاتية، الاستراتيجية الامنية الروسية تجاه الشرق الاوسط دراسة حالة سوريا 20162011, (رسالة ماجستير غير منشورة , كلية الحقوق و العلوم السياسية , جامعة مولود معمري , 20172016).

8 عبد الرزاق بو زيدي،التنافس الامريكي الروسي في منطقة الشرق الاوسط:دراسة حالة الازمـــة السورية 2014/2010,(رسالة ماجستير,غير منشورة,كلية الحقوق والعلوم السياسية,جامعة محمد خيضر/بسكرة,2015/2014).

9 نجاة مدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة(دراسة حالة سوريا 2010 / 2014),(رسالة ماجستير غير منشورة ,في كلية الحقوق والعلوم السياسية, جامعة محمد خضير, بسكرة, 2014 / 2015).

رابعاً: شبكة المعلومات الدولية الانترنيت

1. اماني عبدالكريم علي سليمان،اثر التدخل الروسي في الشرق الاوسط على هيكل النظام الـدولي 20162011,المـركـز الديـمـقـراطي العـربي لـلـدراسات السيـاسيـة والاقـتصاديـة والاستراتيجية, على الرابطالمتاح بتاريخ 2021/3/1. https:democratic.acde

2. البدر الشاطري، الشرق الاوسط البعد الجيوسياسي،7/مايوم/2018،مقال متاح على الرابط التالي
https://www.albayan.ae

3. بيكا واسر، حدود الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط، مركز السياسات العامة في الشرق الاوسط التابع لمؤسسة راند الامريكية،(قطر، تشرين الثاني 2019).https://www.rand.org

4. جيمس سلادن واخرون، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط، مركز السياسات العامة في الشرق الاوسط التابع لمؤسسة راند الامريكية،(قطر،2017)
https://www.rand.org.

5. صابر رمضان، «قراءة في مستقبل النظام الدولي: الولايات المتحدة والقوى الصاعدة: نزاع أم شراكة؟"

دنيا الوطن، 2015/10/20، مقال متاح على الرابط التالي.

https://pulpit.alwatanvoice.com

6. عبد الغني سلامة، الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط،مجلة الحوار المتمدن، العدد 2011/4/3335,13،مقال متاح على الرابط التالي.
https://www.ahewar.org

الاستراتيجية الروسية تجاه الشرق الاوسط وابعادها الاستراتيجية والاقتصادية

أ.د.حارث قحطان عبدالله*
حنين ابراهيم عبدالله**

الملخص

مرت الاستراتيجية الروسية بمرحلة التحولات منذ تفكك الاتحاد السوفياتي السابق وليومنا هذا، ,واصبحت بؤرة اهتمامات تلك الاستراتيجية تتحول تبعاً لمحتوى المصالح في العالم ، ونتيجة هذه التحولات اصبحت تنظر الاستراتيجية الروسية الى منطقة الشرق الأوسط ولاسيما المنطقة العربية بأنها منطقة مهمة للمصالح الاستراتيجية الروسية الكونية،ومنطقة مهمة في عملية انبعاث روسيا الاتحادية كقوى عظمى في النظام الدولي وقوى مؤثرة في التحولات الجيوسياسية العالمية ، وكان تدخل روسيا في الصراع الدائر في سوريا نقطة انطلاق لهذا التحول الجيوستراتيجية حيث بدء هذا الاهتمام في تصور وفهم ان على القوة الجيوبولتيكية الروسية والهيمنة الاوراسية في التعاون مع الخارج القريب أو التأثير فيه لاجل زيادة قدرتها الاستراتيجية وتأثيرها الدولي، ومن هذا الفهم بدأت روسيا تدخل في المنطقة بشكل واضح وعلني ومعتبرة ان الدفاع عن المصالح الروسية تبدأ من منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية.

* أستاذ دكتور في كلية العلوم السياسية بجامعة تكريت، العراق.
** مدرس مساعد في كلية الآداب بجامعة تكريت، العراق.

The Russian Strategy Towards The Middle East And Its Strategic And Economic Dimensions

Dr. Harith Qahtan Abdullah

Ms. Haneen Ibrahim Abdullah

Abstract

The Russian strategy has gone through a phase of transformations since the dissolution of the former Soviet Union and to this day, and the focus of the interests of that strategy has shifted according to the content of interests in the world. In the process of the resurgence of the Russian Federation as a superpower in the international system and an influential force in global geopolitical transformations. As if Russia's intervention in the conflict in Syria was a starting point for this geostrategic shift, this interest began in the perception and understanding that Russia's geopolitical power and Eurasian hegemony must cooperate with or influence the near abroad in order to increase its strategic capacity and international influence, and from this understanding Russia began to intervene in the region Clearly, publicly and considering that the defense of Russian interests starts from the Middle East and the Arab region.

اشكالية الدراسة:

تنطلق اشكالية الدراسة من عدة تساؤلات ومنها

1- كيف بدات تلك التحولات في الاستراتيجية الروسية.

2- أهمية منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية للاستراتيجية الروسية.

3- هل لهذا التحول أهمية في تغيير موازين القوى في النظام الدولي.

فرضية البحث:

تنطلق فرضية البحث من مقولة الاهمية المتبادلة لكل من روسيا الاتحادية والشرق الاوسط في تغيير موازين القوى في النظام الدولي.

المقدمة :

من الصحيح ان الدراسات السابقة بشأن روسيا في الشرق الأوسط مستفيضة، إلا إن التحليلات الحديثة ركزت على سوريا لأسباب مفهومة، فمنحت اهتماماً أقل لعلاقات موسكو ببلدان أخرى في المنطقة . في أواخر عام 2016 ، ترك هذا النقص في التركيز على النشاط الروسي في الشرق الأوسط الأوسع المهم المتعلق باستراتيجية موسكو الإقليمية ونواياها على المدى الأبعد غير معالج تقريباً، يسعى هذا المنظور التحليلي إلى التعرف على العناصر المهمة من المصالح الروسية في الشرق الأوسط في ما يتجاوز سوريا ، من اجل تحديد طبيعة الانخراط الروسي في المنطقة.

المحور الاول : التحولات الاستراتيجية الروسية

ظهرت مقاربة روسية جديدة للشرق الأوسط، منذ منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، تركز على المكاسب الاقتصادية المعاملاتية والارتباطات الجيوسياسية غير الايديولوجية مع مجموعة كبيرة من الشركاء. ويبدو أن روسيا في كل مكان في المنطقة، في شمال إفريقيا والشام والخليج.

إن المقاربة التي تتبناها روسيا للشرق الاوسط تحركها مبادئ وأولويات سياسات خارجية عديدة يمكن معرفة البعض منها عن طريق العقيدة الروسية والبيانات الحكومية. يعتبر الشرق الاوسط سمة من مفهوم السياسات الخارجية للاتحاد الروسي، وتنص النماذج المتكررة لمفهوم سياسات الاتحاد الروسي على اعتبار توسيع نطاق العلاقات الثنائية مع دول الشرق الاوسط هدفاً، كما تم تسليط الضوء خصيصاً على كل من إيران وسوريا باعتبارهما أولويات بالمنطقة. وعلى نطاق أوسع، فإن استراتيجية الامن القومي الروسية لعام 2015 تسعى لزيادة أمن الطاقة، وتشير العقيدة العسكرية الروسية ، إلى الرغبة في توسيع التعاون "العسكري السياسي" و«العسكري الفني" مع الدول الاجنبية كما فعلت لعديد من السنوات. ويمكن ملاحظة كلتا الاولويتين في مقاربة روسيا

الاقليمية التي تسلط الضوء على الطاقة والتعاون الدفاعي والانشطة التجارية والاستثمارية[1]. يمكن القول ان هناك عدة متغيرات ومحددات دفعت روسيا الى التوجه في استراتيجيتها الى الشرق الاوسط ومنها:

1- المتغير الاقليمي:

لقد جاء تجاهل الغرب للمطالب الأمنية الروسية في القارة الأوربية والمضي في ضم دول شرق ووسط أوربا إلى حلف الأطلسي دافعا قويا لتوجه موسكو الى لشرق الآسيوي لتعويض انحسارها الأمني على الساحة الأوربية وازدياد إدراكها لأهمية المصالح المشتركة التي يمكن أن تتحقق مع الدول الآسيوية، ومن هنا جاء التقارب الروسي مع الدول المهمة في آسيا ومنها الصين واليابان والهند وغيرها، وبالاضافة الى شرق اسيا كان التوجه الروسي الى الشرق الاوسط والبحث عن مناطق استراتيجية توازن الخلل الاستراتيجي لها في منطقة وشرق ووسط اوروبا.

2- المتغير الدولي:

تشهد البيئة العالمية تناقضات عديدة بين قواها الفاعلة، فتلك القوى تتنافس فيما بينها وتتصارع لأجل تبوء مرتبة أفضل في سلم القطبية الدولية، ويساعدها في ذلك أن هيكل القوة وطبيعتها الدولية ذاتها في تحول، فالوضع الذي تعانيه الولايات المتحدة في الاحتفاظ بموقعها الدولي أصبح حرجا من حيث بروز القوى الدولية االاخرى إلى مراتب منافسة لها على الصعيد الاقتصادي والتكنولوجي وحتى العسكري. في المقابل تجاوزت طبيعة القوة الدولية الجديدة للقيد العسكري، وأصبح بإمكان أي قوة اقتصادية، تقنية، ثقافية، دون استبعاد أهمية القوة العسكرية، أن تؤثر في مجالات دولية واسعة، وهذا قد ثمن موقع كل من الصين والهند والمانيا و اليابان في النظام الدولي، في حين أن الاختلال في القوة الاقتصادية الامريكية صار يعطي للولايات المتحدة مرتبة دولية غير متساوية مع إمكاناتها العسكرية [2]. لقد عكس السعي الامريكي لتطويق التحرك الروسي في إقليمها المجاور واقع الرغبة الروسية في العودة إلى الساحة الدولية كدولة عظمى، حيث لم تثني الجهود الغربية من عزيمة القادة السياسيين الروس من تطوير علاقاتهم الاقتصادية و الامنية مع دول العالم، حيث كانت بدايات هذه التحركات بإنشاء منظمة شنغهاي بمشاركة الصين إضافة إلى دول من آسيا[3].

كما أنها أصبحت تدرك أهمية العنصر الطاقوي بالنسبة لاقتصادها ومكانته في الاقتصاد العالمي لذا فقد عملت جاهدة على زيادة استثماراتها الخارجية في هذا المجال والعمل على تخطي كل منافسيها خاصة بعد إعلان الولايات المتحدة أنه بحلول 2020 ستصبح دولة مصدرة للنفط, حيث أنه حاليا تعد الدول الأوربية أكبر مستهلك للغاز الروسي, تليها الصين و بذلك تهيمن روسيا على 67 % من إنتاج الغاز في العالم[4] .

---

[1] بيكا واسر ، حدود الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط (واشنطن: مؤسسة راند، 2019)ص3.

[2] خضر عباس عطوان ، سياسة روسيا العربية والاستقرار في النظام الدولي، مجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 20 (بيروت:2008),ص48.

[3] المصدر نفسع ،ص49.

[4] نجاة مدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2015,ص75.

3- التقارب الجيوبولتيكي

بالاضافة الى المتغيرين الاقليمي والدولي ياتي المحدد الجيوبولتيكي من الاهمية، لقد كان للجغرافيا متطلبات فرضتها على روسيا فيما يتعلق بالاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط وذلك لكونها أي روسيا تشغل الحيز الأكبر من الكتلة الأورو- آسيوية الملاصقة للشرق الأوسط، لذلك كان طبيعيا أن تضع الشرق الأوسط في بؤرة سياستها الخارجية منذ زمن بعيد وذلك من أجل السيطرة على القوقاز والبحر الأسود ورغبة في الوصول من خلاله إلى المياه الدافئة، إذ يمكن القول أن الشرق الأوسط يمثل حزاما غير محكم الأطراف يحيط بجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز اللتين تعتبرهما روسيا مجالاً حيوياً لها وتسخر كل إمكانياتها لمنع أي تعدي يهدد تلك المناطق[5].

يرى دوغين أن أساس البنية الجيوبوليتكية لهذه الأمبراطورية يجب أن يدخل مبدأ أساسي وهو العدو المشترك. إن رفض الأطلسية و نبذ السيطرة الأستراتيجية للولايات المتحدة والتخلي عن أولوية القيم اللبرالية الأقتصادية تلك هي القاعدة العامة والحافز المشترك اللذان يفتحان الطريق للحلف السياسي و الأستراتيجي ويقيمان حجر الأساس في بنيان الإمبراطورية القادمة. أهم ما يميز الأفكار الجيوبوليتيكية الجديدة لروسيا هي اختيار العالم الاسلامي على أنها الحليف الإستراتيجي الأهم لروسيا، هذا الحلف الروسي الإسلامي المقترح يهدف إلى الحد من التغلغل الغربي في العالم الإسلامي عامة والوطن العربي خاصة [6] ، بالإضافة الى اهمية الجيوبولتيكية لايران وتركيا تأتي المنطقة العربية لاهميتها الجيوبولتيكية ، وتحديدا الشرق أوسطي منه البعد الجيوبوليتيكي مع البعد الديني، وتعتبر محاولات الروس للوصول إلى البحر الأبيض المتوسط سعيا يهدف للمشاركة في إدارة شؤون المناطق الطرفية لأوراسيا. يرى الروس أن المنطقة العربية منطقة مجاورة تقع على أطراف أوراسيا وهي مع (أوروبا السلافية البلقان)، منطقتان مهمتان لروسيا ولهما أولوية في السياسة الخارجية لموسكو منذ القدم، وقد ساهمت مجموعة من العوامل على تحقيق تواصل له أبعاد متعددة بين روسيا والعرب[7].

4- أهمية الشرق الأوسط لروسيا

إن اهتمام روسيا بهذه المنطقة طبيعي وتاريخي، فلم تكن روسيا بعيدة أبداً عن منطقة الشرق الأوسط، التي تمثل حزامها الجنوبي الغربي، وجواراً شبه مباشر لها. وقد انطلق تقاربها من المنطقة دوماً، منذ العهد القيصري وعلى مدى قرون، من منظور تعاوني وليس استعمارياً مهيمناً كحال قوى كبرى أخرى. وهناك انفتاح روسي على كل دول المنطقة، وتسعى موسكو إلى تطوير شراكات استراتيجية بعيداً عن المحاور والاستقطابات، ومن دون خلط الأوراق ببعضها. فهناك شراكة استراتيجية بين روسيا وكل من إيران، والمملكة العربية السعودية، ومصر، وتركيا، والجزائر، والمغرب، العراق وهي تؤكد على احترام الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحل الدولتين،

[5] فتحي ذياب سبيتان، قضايا عالمية معاصرة (الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع ،2011)، ص 256.

[6] محمد أحمد عقلة المومني، **السيطرة على العالم**، (الأردن : عالم الكتب الحديث،2010)، ص 130.

[7] ناصر زيدان، **دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فالديمير بوتين**، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013).

مع الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع إسرائيل، ولا ترى موسكو في ذلك تعارضاً باعتبارها تنطلق من التوازن في علاقاتها بالأطراف المختلفة، وضرورة تسوية الخلافات الإقليمية ودعم التفاهمات والاستقرار الإقليمي[8].

وخلال عملية إدراك روسيا لذاتها من جديد، وإعادة النظر في دورها على المستوى العالمي، وتحول توجهها نحو آسيا، حيث يتمتع الشرق الأوسط بمكانة مهمة، ازداد اهتمامها بالماضي التاريخي لعلاقاتها مع دول المنطقة، إذ يزداد اليوم دور التاريخ كأحد العوامل التي تؤثر بقوة في السياسة. ومهما قيل من أنه من غير المستحسن خلط التاريخ بالسياسة، فإن هذا في الواقع يحدث طوال الوقت. التاريخ والموقف من التاريخ عاملان مهمان في علاقات روسيا مع الجهات الفاعلة في الشرق الأوسط

المحور الثاني : الأهداف الاستراتيجية والاقتصادية الروسية في الشرق الاوسط

بروز روسيا في العقد الأول من الألفية الثانية، والنمو السريع لقدراتها، إلى جانب التقدم الجاد في أولويات توجهات سياستها الخارجية، على خلفية الضغوط الاقتصادية والعسكرية السياسية من الدول غير الصديقة، ومن قبل المنافسين، في إعادة التفكير بقائمة الأولويات التي عاد الشرق الأوسط ليشغل مكانته المتقدمة فيها. وساعد إنشاء حزام من الدول الصديقة على طول الحدود الجنوبية لرابطة الدول المستقلة، الذي تطلب عملاً دبلوماسياً عالي الدقة، على حل المهمة الاستراتيجية المتمثلة في ردع نشاط اللاعبين العالميين المعادين لمصالح موسكو في هذا الاتجاه. والهدف نفسه خدمه التطور المتنوع لعلاقاتها مع الشركاء العرب «القدامى» و«الجدد». وأيضاً البراغماتية، والعلاقات الجيدة مع الجميع، بما في ذلك مع الأطراف المحلية المتنازع بعضها مع بعض، والوساطة في حالات الصراع، وعدم وجود متطلبات آيديولوجية، واحترام سيادة واستقلال دول الشرق الأوسط، وعدم التدخل في شؤونها، ورفض سياسة «تغيير الأنظمة»، والدفاع الصارم عن مصالحها، وصد التهديدات المباشرة لأمنها؛ كل هذه العناصر باتت «علامات» واضحة في عملية تعزيز دور روسيا في المنطقة. لم تدخل موسكو في صدام مباشر مع لاعبين عالميين آخرين، ولم تضع أمامها هدف إزاحتهم، متجنبة بذلك مخاطر لا داعي لها، واحتراماً لاختيار الدول في المنطقة، وهذا رغم نجاحها في استخدام استراتيجية الردع الحذر في بعض الحالات.

1- الاهداف الاستراتيجية

يرى ديمتري ترنين في كتابه " **ماذا تفعل روسيا في الشرق الاوسط؟**" ، أن الشرق الأوسط يعدّ عالماً مصغراً عن هذه التطورات الأخيرة، وكنموذج جيد لأي من ألعاب القوى في القرن الحادي والعشرين التي تغير التوازن العالمي. ويقول في هذا السياق: «المشتبهون الاعتياديون»، هؤلاء الذين في المئة سنة الماضية تدخلوا بشكل متكرر في المنطقة، وقسموها إلى مناطق

[8] نورهان الشيخ ، روسيا من التأثير الى المبادرة في الشرق الاوسط ، **صحيفة الشرق الاوسط** ، العدد15034, 26 يناير 2020.

النفوذ، وسعوا إلى التلاعب بالعمليات الاجتماعية السياسية فيها - أبرزهم الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون - أصبحوا يخيبون آمالهم، وباتوا غير مهتمين بشكل مستمر بهم. فخلال هذه العملية، فقدوا كلاً من المبادرة الاستراتيجية والإحساس بالاتجاه. ومن المثير للفضول أن البلاد التي كانت تتجه نحو الانحدار، اقتصادياً، خلال العقود الأربعة الأخيرة، وهي الصين، لم تعد مع ذلك متلهفة إلى خوض غمار المياه الجيوسياسية العالمية، فهي تختبر فقط تلك المياه. كما أن الهند تعتبر قوة صاعدة أخرى، حتى وإن كانت لا تزال في طور التقدم. لكن ما يثير المفاجأة أن روسيا، التي تعد لاعباً كبيراً أساسياً، كانت بشكل افتراضي قد غادرت المنطقة والعالم خلال ربع القرن الأخير، تعود بشكل غير متوقع إلى اللعبة العالمية وبروح حماسية عالية[9].

واستناداً "لقاعدة المصلحة" التي يمكن أن تدخل روسيا على أساسها إلى منطقة "الشرق الأوسط" بمفهوم جديد ومغاير لذلك الذي كان سائداً أيام الحقبة السوفياتية، وهو ما يمكن أن يوفر لها العديد من الامتيازات.فمن جهة، تعتبر منطقة "الشرق الأوسط" بالمفهوم التقليدي ووفق اصطلاح "الفناء الخلفي"، من المناطق التي لا يمكن الاعتراف فيها بشرعية مصالح قوة دولية واحدة، وبالتالي فهي منطقة مفتوحة على مصراعيها للتنافس بين جميع القوى على قدم المساواة[10].

في أعقاب "الربيع العربي"، صعّدت موسكو جهودها البحرية الشاملة. وفي 26 تموز/يوليو 2015, يوم البحرية الروسية, أعلن بوتين العقيدة البحرية الروسية حتى عام 2020. كما حدّد هدف توسيع القدرات البحرية الروسية من المنطقة "الإقليمية" إلى "المياه الزرقاء العالمية". وبعد عامين، أعلن بوتين العقيدة البحرية الروسية الجديدة التي ردّدت هذه الأفكار،وفي أفضل الأحوال، سيستغرق تحقيق طموحات موسكو في الوصول إلى المياه الزرقاء سنوات عديدة. فقد كان بناء السفن عبر التاريخ من بين أكثر القطاعات فسادا في المجمع الصناعي العسكري الروسي. وعانت البحرية الروسية من مشاكل أخرى متعددة، مثل المرافق التي عفا عليها الزمن، كما فاقمت العقوبات الغربية هذه الصعوبات[11] .

ولكن لا ينبغي استبعاد البحرية الروسية. وتتجلى إحدى الطرق التي تستطيع موسكو من خلالها التغلب على هذه الصعوبات بتأمين الوصول إلى منفذ بحري يسمح باستخدام السفن الأصغر حجما . أو على الأقل الوصول إليها. وفي الواقع، تواصل موسكو سعيها المتواصل للوصول إلى منفذ بحري في المنطقة. وفي كانون الأول/ديسمبر 2017، وقّع بوتين قانونا لتوسيع قاعدتي طرطوس وحميميم من أجل ترسيخ الوجود "الدائم" لروسيا في سوريا. وإلى جانب موانئ سوريا، تتطلع موسكو إلى مصر وليبيا، وكذلك إلى شمال أفريقيا على نطاق أوسع. إن تأمين الوصول إلى منافذ بحرية . بدلا من الاستثمار في بنائها . هو نهج عملي وفعال من حيث التكلفة، وعلى الرغم من مشاكلها المتعددة، قامت البحرية الروسية بتحسينات منذ عام 2008. إن جهود موسكو للسيطرة

[9] صحيفة الخليج ، 2018/3/3.

[10] غازي دحمان ، روسيا واشرق الاوسط ، مركز الجزيرة للدراسات ،(الدوحة :2010).

[11] انا بور شفشكايا، روسيا في الشرق الاوسط : هل هناك مرحلة نهائية؟، الحرة ، 2019/2/6.

على البحر الأسود تؤتي ثمارها، ومن هناك يمكن أن تُظهر نفوذها في الشرق الأوسط والبحر المتوسط وفيما يتخطى ذلك، وفي الواقع، بإمكان موسكو الآن نشر قوة دائمة في شرق البحر الأبيض المتوسط. بالإضافة إلى ذلك، يكون مجرد وجود [أي قوّة] مهما في بعض الأحيان، كما هو الحال مع حاملة الطائرات الروسية "كوزنيتسوف" في سوريا.[12] وتهدف موسكو إلى تحقيق التفوق البحري في البحر الأسود وشرق البحر الأبيض المتوسط، وفي السنوات الأخيرة، تحدث المسؤولون الروس بشكل متزايد عن البحرية الروسية في سياق الردع غير النووي. وربما أكثر من ذلك، تظهر خطوات موسكو تصورها المستمر عن تهديد حلف "الناتو" والرغبة في ردع الغرب. وتستمر هذه النية في التأثير على أنشطة موسكو في الشرق الأوسط، حيث تعمل بشكل منهجي على منع الوصول إلى البحر الغربي.

عقب التوتر الشديد بين روسيا والغرب على خلفية الأزمة الأوكرانية، بدأت روسيا في توجيه سياستها الخارجية لفضاءات أرحب، وبرزت دوائر أخرى كمحور ارتكاز للحركة الروسية وشمل ذلك الفضاء السوفياتي السابق، والعمق الآسيوي، والتخوم الشرق أوسطية إلى جانب أميركا اللاتينية وأفريقيا، وفي كل هذه الدوائر تقود المصالح بشقيها الاقتصادي والاستراتيجي التوجهات الروسية. في هذا السياق يشهد الشرق الأوسط والمنطقة العربية من الخليج إلى المحيط اهتماماً متزايدًا من جانب موسكو. وقد أكدت زيارة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للمملكة العربية السعودية والإمارات، يومي14 و15 تشرين الأول/ أكتوبر2019, الانطلاقة الجديدة للعلاقات الروسية الخليجية, وكونها توجها ثابتا وخيارا استراتيجيا في السياسة الروسية, سبق ذلك توقيع اتفاقية «الشراكة الاستراتيجية الشاملة بين روسيا ومصر» في تشرين الأول/ أكتوبر 2018، والتي تكفل إطاراً منظماً يضمن شراكة استراتيجية مستقرة ومتنامية بين البلدين في مختلف المجالات [13].

وتظل سوريا ركيزة الاستراتيجية الروسية في المنطقة، ورغم ما تداولته بعض الصحف ووسائل الإعلام من أنباء حول توتر العلاقات الروسية السورية، فإن هذا لم يكن سوى إعادة ترتيب وصياغة لأطر هذه العلاقة في فترة ما بعد المعارك الكبرى والاستعداد لإعادة الإعمار، ويتضمن ذلك ليس فقط العلاقة بين البلدين ولكن حدود الأدوار الأخرى للشركاء والمنافسين الدوليين والإقليميين. وقد أكدت قمة الثلاثي الضامن في سوريا، روسيا وإيران وتركيا، في الأول من تموز/ يوليو 2020 استمرار تفاهمات أستانة بين الدول الثلاث والتي تعطي لروسيا اليد الطولى في الملف السوري مع اعترافها بمصالح الدول الأخرى في حدود معينة، كما كانت رسالة واضحة بأن روسيا لن تسمح للدول الغربية بعرقلة الحصاد الروسي في سوريا من خلال عقوبات «قانون قيصر» أو غيره، أو القفز على مكتسبات إعادة الإعمار في سوريا، ولم يكن مصادفة عقد قمة الثلاثي الضامن في اليوم التالي لمؤتمر بروكسل للدول المانحة لسوريا[14].

[12] المصدر نفسه .

[13] نورهان الشيخ ، روسيا تتمدد في الجوار الشرق الاوسطي، صحيفة الشرق الاوسط السعودية ، العدد 15202, 2020/7/12.

[14] نفس المصدر.

2- الاهداف الاقتصادية

بدت الروابط الاقتصادية بين روسيا ودول الشرق الأوسط محكومة بالاعتبارات المصلحية بدلا الاعتبارات الإيديولوجية ولا سيما بعد فشل التجربة الشيوعية والتحول إلى تبني اقتصاد السوق وخصخصة المشاريع الاقتصادية، حيث أصبحت السياسة الخارجية الروسية تخدم السياسة الاقتصادية للبلاد ويمثل تطوير التعاون الاقتصادي ما بين روسيا ودول الشرق الأوسط احد الخيارات أمام روسيا لتطوير اقتصادها من دون الاعتماد على القروض والمنح الدولية التي تقيد حرية التصرف الخارجي لروسيا لا سيما تجاه قضايا منطقة الشرق الأوسط [15].

ويؤكد الرئيس بوتين على أهمية تطوير العلاقات مع دول المنطقة بقوله : (كان تطوير العلاقات المتعددة الجوانب مع البلدان العربية وسيبقى توجه في السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية، ويؤديً دورا مهما في هذا المجال ... ومن مصلحتنا في الوقت الراهن توسيع التعاون في المجالات ذات الأولوية كالطاقة والتجارة والتعاون الإنتاجي، وتتوفر إمكانيات كبيرة في مجال العلوم والتكنولوجيا الحديثة حيث تستطيع الموارد المالية العربية إذا اقترنت بالتكنولوجيا الروسية المعاصرة ان تعطي نتائج جيدة) [16].

ويعود العامل الأهم في عودة الاهتمام الروسي إلى الشرق الأوسط إلى تنافس الشركات الغربية لكبرى على استغلال الثروات البترولية التي تزخر بها هذه المنطقة وماترتب على اقصاء الشركات الروسية من المنافسة في المنطقة ، وهذا ما أكده احد الباحثين الروس بقوله: (أن ما يجري في الشرق الأوسط وفي الخليج لا بد وان ينعكس علينا أو في دول جوارنا القريب في الشيشان وطاجاكستان وأفغانستان)[17].

ان تطابق وجهة نظر روسيا مع العالم العربي والإسلامي في الكثير من الأمور والقضايا في مجال مكافحة التطرف والإرهاب، والعمل على توسيع التعاون بين روسيا والعالم الإسلامي عبر منظمة المؤتمر الإسلامي واللجان المشتركة ضمن مجلس الأعمال الروسي - العربي، وإنشاء مركز الحوار العربي - الروسي من مجلس السفراء العرب في روسيا الرامي إلى تفعيل التعاون الثقافي بين الجانبين، والذي لاقى ترحيبا من قبل مجلس سفراء العرب قي روسيا الاتحادية، الأمر الذي يستدعي في أذهاننا الدور المناط بالثقافتين الروسية والعربية في تكريس وتفعيل مطلب التنوع الثقافي الذي لا محيد عنه في مواجهة نزعات الهيمنة اللغوية والفكرية، ودور الحضارتين العربية والروسية في إرساء إستراتيجية حوار ثري وناجح بين الحضارات ومدى الحاجة إلى هذا الحوار لدرء المخاطر لتي أضحت تهدد العالم في أمنه واستقراره كنزعات العنصرية الثقافية والتطرف الديني والانكفاء على الخصوصيات الضيقة العاجزة عن التواصل مع الآخرين، وفي المقابل فالمملكة العربية السعودية - على سبيل المثال- كانت من البلدان الأوائل التي أيدت مبادرة روسيا بشان الانضمام إلى منظمة المؤتمر الاسلامي بصفة مراقب ومارست دوراً ايجابي بهذا الشأن. وبفضل ذلك

[15] عبد العزيز مهدي الراوي ، توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة مابعد الحرب الباردة ، مجلة دراسات دولية ، العدد35, ص174.

[16] المصدر نفسه ، ص 175.

[17] نبيه الاصفهاني ، مستقبل التعاون الروسي - الايراني في ضوء التقارب الاخير، مجلة السياسة الدولية ، العدد 144, ابريل 2001, ص 169.

شاركت روسيا لأول مرة بصفة مراقب في القمة الاستثنائية لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد في كانون الأول/ ديسمبر 2006 في مكة المكرمة[18].

أن السعي الروسي نحو المنطقة العربية والخليج العربي تحديدا يقوم على معيار المصلحة، فروسيا بحاجة إلى رأس المال الخليجي أكثر من حاجتها إلى خلق صدامات ومواجهات مع إي طرف كان، فالمشاكل الداخلية لروسيا أصبحت تشكل محور السياسة الخارجية الروسية ومحاولة إيجاد توازن مع كل الأطراف في المنطقة واثبات دورها كدولة يعتمد عليها من قبل دول الخليج والعراق وايران.

إنّ حوض البحر المتوسّط، هو بين المناطق "الأغنى" في العالَم بالغاز، ومَن يملك سوريا، يملك الشرق الأوسط، وبوّابة آسيا، ومفتاح بَيت روسيا (بحسب كاترين الثانية)، وأوّل طريق الحرير (بحسب استراتيجيّة الصين)، فهو يستطيع أن يتحكَّم بالنظام الاقتصادي العالَمي. ومن هنا يُمكن مَعرفة الأسباب الحقيقيّة لتمسُّك روسيا بوجودها في سوريا، وهي مُستعدّة لخوض حرب عالَميّة من أجل استمرار نفوذها والحفاظ على مصالحها في هذه المنطقة الحيويّة . ووفق تقرير المؤسّسة العربيّة لضمان الاستثمار، تصدَّرت روسيا قائمة أهمّ المُستثمرين في البلدان العربيّة بقيمة 32,8 مليار دولار في العام 2017. وفي هذا المجال يُمكن قراءة السياسة الخارجيّة الروسيّة على أنّها لا تقوم على المُواجَهة بقدر ما تطمح إلى أن تكون شريكاً فاعِلاً في النظام السياسي والاقتصادي العالَمي الذي يجري العمل حاليّاً على بلْورته وتشكّله. لذلك فهي تركِّز على اعتماد الصداقة في علاقاتها مع دول المنطقة. ويُلاحَظ أنّ قاعدة علاقتها مع إيران, والتعاون العسكري الثنائي, والنظرة التقاربيّة مع سوريا, والاستفادة من المُواجَهة الإيرانيّة - الأميركيّة, ومع تركيا, محورها الاقتصاد وخطوط أنابيب الغاز, والإشراف على مفاعلَين نوويَّين تركيَّين, وتنظيم الخلاف التركي- الإيراني حول سوريا. ومع السعوديّة, التنسيق في مجال النفط وضبْط إنتاجه, ولاسيّما أنّ البلدَين يتصدّران قائمة الإنتاج العالَمي بمعدّل 10 ملايين برميل يوميّاً لكلّ منهما. ومع إسرائيل، يشكِّل الأمن القومي فضاء روسيّاً وهدفاً في تفاصيل علاقاتها معها. وهكذا تُحاول روسيا الاستفادة من مظلّة الصداقة مع دول المنطقة، على الرّغم من وجود تناقضات كثيرة، وخلافات سياسيّة ونزاعات أمنيّة وعسكريّة بين هذه الدول [19].

[18] ثمانون عاما على التعاون والصداقة في عمر العلاقات الروسية السعودية،
http://www.ru4arb.ru/cp/eng.php?id=200510091310208art=20060430192243.

[19] عدنان كريمة ، روسيا والاقتصاد العالمي الجديد ، مؤسسة الفكر العربي،
https://arabthought.org/ar/researchcenter/ofoqelectronic-article-details?id=986

الخاتمة

ما تقدم يتضح ان الاستراتيجية الروسية تجاه الشرق الاوسط تتضمن عدة اهداف منها السياسية والاستراتيجية والاقتصادية ، ففي ضوء التنافس الروسي الامريكي في المنطقة تحاول روسيا الى تحصين تحالفاتها السياسية بعد تحلل من عقدتها وارتباطها الايديولوجي والبحث عن المجالات الاستراتيجية بعيداً عن طوق حلف الناتو في المحيط الغربي باتجاه جنوبها وفي اطار المجالات الاستراتيجية المفتوحة والقريبة من اقليمها والمطلة على البحر المتوسط والخليج العربي فضلا عن الاهداف الاقتصادية في تقوية الاقتصاد الروسي في ظل تصاعد الدور الاقتصادي الروسي في النظام الدولي.

المصادر:

أولاً- الكتب:

1- بيكا واسر ، حدود الاستراتيجية الروسية في الشرق الاوسط (واشنطن: مؤسسة راند، 2019).

2- فتحي ذياب سبيتان، قضايا عالمية معاصرة (الأردن: الجنادرية للنشر والتوزيع، 2011،).

3- محمد أحمد عقلة المومني، السيطرة على العالم، (الأردن : عالم الكتب الحديث، 2010).

4- ناصر زيدان، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فالديمير بوتين، (بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2013).

ثانياً- الدوريات:

1- خضر عباس عطوان ، سياسة روسيا العربية والاستقرار في النظام الدولي، مجلة العربية للعلوم السياسية ، العدد 20 (بيروت:2008).

2- عبد العزيز مهدي الراوي ، توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة مابعد الحرب الباردة ، مجلة دراسات دولية ، العدد35.

3- نبيه الاصفهاني ، مستقبل التعاون الروسي - الايراني في ضوء التقارب الاخير، مجلة السياسة الدولية ، العدد 144, نيسان/ ابريل 2001.

ثالثاً- الرسائل والاطاريح العلمية:

نجاة مدوخ، السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر ،2015.

رابعاً- الصحف:

1- نورهان الشيخ ، روسيا من التأثير الى المبادرة في الشرق الاوسط ، صحيفة الشرق الاوسط السعودية ، العدد15034, 26 يناير 2020.

2- صحيفة الخليج ، 2018/3/3.

3- انا بور شفشكايا، روسيا في الشرق الاوسط : هل هناك مرحلة نهائية؟، الحرة ، 2019/2/6.

4- نورهان الشيخ ، روسيا تتمدد في الجوار الشرق الاوسطي، صحيفة الشرق الاوسط السعودية ، العدد 15202, 2020/7/12.

خامساً- مواقع الانترنت:

1- غازي دحمان ، روسيا واشرق الاوسط ، مركز الجزيرة للدراسات ،(الدوحة :2010).

2- ثمانون عاما على التعاون والصداقة في عمر العلاقات الروسية السعودية، http://www.ru4arb.ru/cp/eng.php?id=200501091310208art=20060430192243

3- عدنان كريمة، روسيا والاقتصاد العالمي الجديد، مؤسسة الفكر العربي، https://arabthought.org/ar/researchcenter/ofoqelectronic-article-details?id=986.

مكانة سوريا في الاستراتيجية الروسية للشرق الأوسط

د.عبدالله تركماني*

الملخص

يبدو أنّ أسباب التحرّك الروسي في سوريا تتلخص في محاولتها العودة إلى المشهد السياسي الدولي، عبر البوابة الشرق أوسطية. إذ لطالما شكّل البحر المتوسط واحدة من الواجهات التي طمحت روسيا - تاريخياً - إلى تأمين نفوذ لها دائم فيها، وكان هذا الطموح يزداد كلما طورت روسيا قوتها وإمكاناتها العسكرية والاقتصادية، حيث يغدو البحر المتوسط أحد أهم المجالات لممارسة السلوك التنافسي مع القوى الأخرى.

ومن زاوية التنافس الدولي على الشرق الأوسط تشكل الجغرافية السوريا واحدة من الضرورات اللوجستية للمشروع الروسي: في مجال الطاقة، تملك سوريا إمكانيات ربط بين مواقع الإنتاج ومناطق الاستهلاك، وكمعبر للغاز القادم من آسيا الوسطى الواقعة تحت قوس السيطرة الروسية، مثل كازاخستان وتركمانستان وأوزبكستان، ولربط استثمارات الغاز على المتوسط بالغاز القادم من إيران، وكمعبر إجباري لخطوط النقل المتجهة إلى أوروبا، مما يجعل من سوريا درة الإستراتيجية الروسية في المنطقة، وما يشجع على اعتماد سوريا كذلك، وجود بنية تحتية روسية في سوريا تتمثل بميناء طرطوس وباستثمارات عديدة في مجال النفط والغاز.

أن روسيا اليوم تريد استعادة نفوذها في منطقة الشرق الأوسط عبر لعب دور الوسيط بين سوريا وإسرائيل، كما يبدو أن الولايات المتحدة اختارت الخروج من تقليدية علاقاتها مع المملكة العربية السعودية عبر البوابة الإيرانية، اختارت روسيا الدخول إلى علاقات جديدة نوعياً مع الدول الخليجية.

إن تحركات روسيا تقوم على خطين متوازيين في الشرق الأوسط: أولهما، التمسك بدور فاعل لموسكو في الأزمات الإقليمية وأبرزها حالياً سوريا. وثانيهما، محاولة ترتيب الأجندة الروسية في المنطقة، وفتح آفاق جديدة تحسباً لخسارة محتملة في سوريا، واستجابة لضرورات الواقع الجديد وتوقعاته بعد احتمال توقيع الاتفاق النووي الجديد بين الولايات المتحدة الأميركية وإيران.

الكلمات المفتاحية: سوريا، روسيا، الشرق الأوسط، البحر الأبيض المتوسط، موارد الطاقة.

* أستاذ مساعد متقاعد في التاريخ المعاصر، حالياً باحث في مركز حرمون للدراسات المعاصرة.

Syrian Status in Russian Strategy in the Middle East

Dr. Abullah Tourkmani

Abstract

It seems that the reasons that led Russia to move toward Syria could summarize in its attempt to return to the international political scene through the Middle East. - historically-the Mediterranean be one of the regions that Russia craving to have stable domination there. Moreover, these desires grew up whenever Russia developed its military and financial abilities, where the Mediterranean was a vital arena to compete for the other global power.

From the international competitiveness view on the middle east, Syria has geopolitical importance for the Russian project, wherein the energy, Syria is a transportation route for Oil and Gas between the production regions (Iran, Central Asia) and consumption areas. Also, it is the compulsory crossing for transportation lines. For these, Syria is the milestone of Russian Strategy in the region. In addition, Syria has a Russian infrastructure presented in Tartus' port also numerous investments in oil and gas.

Forth more, Russia wants to regain its domination in the middle east by being the mediator between Syria and Israel. On another point, it seems that the United States has chosen to exit from its traditional relations with Saudi Arabia through the Iranian gate; on the contrary, Russia has chosen to enter new, qualitatively, relations with the Gulf states.

Russia's actions based on two parallel lines in the Middle East: The first is to adhere to an influential role for Moscow in regional crises, where Syria is most important. The second, it attempts to arrange the Russian agenda in the region and open new horizons in anticipation of a possible loss in Syria and the necessities and expectations of the new reality after the possible signing of the new nuclear agreement between the United States and Iran.

Key words: Syria, Russia, Middle East, Mediterranean, Energy.

مقدمة

تمثل سوريا لحظة فاصلة في رؤية بوتين لمصالح روسيا في الشرق الأوسط ودورها وموقعها على المسرح العالمي، إذ إن صك الانتداب الروسي على سوريا، الموقَّع في 26 آب/أغسطس 2015، لا يعطي روسيا تفويضاً مفتوحاً في سوريا فحسب، وإنما يوفر لها صلاحيات واسعة في البر والبحر والجو دونما رقيب.

وتدل مجريات الاشتباك الإقليمي والدولي، الدائر على الأرض السوريا منذ عشر سنوات، على تحوّل الصراع فيها وحولها إلى ما يشبه – حسب تعبير الدكتور خطار أبو دياب - " اللعبة الكبرى " في القرن التاسع عشر.

وفي الواقع ثمة أسباب متعددة تكمن وراء التدخل الروسي المباشر في سوريا، بعضها يتعلق بمصالح روسيا الاستراتيجية، وأخرى بأوضاع سوريا والإقليم. فسوريا في الاستراتيجية الروسية ليست دولة نائية عن حدودها البرية فحسب، إنَّما بوابة شرق أوسطية آيلة إلى السقوط والتفكك، وبحاجة إلى من يدعمها مقابل الوقوع التام في سلة روسيا، سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، أي هي " بؤرة نفوذ مستقبلية " وسط منطقة نفوذ سياسية وعسكرية أميركية من الجهات الأربع، فهي محاطة بقواعد عسكرية أميركية في العراق وتركيا والأردن وإسرائيل، إضافة إلى تمركز الأسطول السادس الأميركي قبالة الساحل السوري. ومن ثَمّ ترغب روسيا في أن تتجاور في منطقة نفوذها بسوريا مع مناطق نفوذ الولايات المتحدة الأميركية.

وفي الواقع تتميز الدول الباحثة عن وضع جديد في تراتبية المكانة والحضور العالميين، كما حال روسيا، بحساسيتها الشديدة تجاه الجغرافية السياسية، ويرجع ذلك الى سببين: أولهما، ينطوي على بعد سلبي، خوف تلك الدول من إمكانية وقوعها تحت الحصار من قبل الدول المنافسة، وبالتالي إضعاف قدراتها التنافسية. وثانيهما، يتضمن بعداً إيجابياً يتمثل ببحث تلك الدول عن مجالات حيوية لتصريف فائض قوتها من جهة، ولإمكانية استثمارها كنطاقات عازلة تصدُّ عنها هجوم القوى المعادية، وغالباً ما تكون تلك الأراضي في الجوار القريب، وتحديداً في المناطق التي تسمى بالمفهوم الإستراتيجي " الخواصر الرخوة "، ويحصل هذا الأمر في المناطق التي يكون فيها فراغ قوة.

أولاً: الخلفية التاريخية للاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط

لطالما شكل البحر المتوسط - تاريخياً - مجالاً لممارسة السلوك التنافسي مع القوى الأخرى، وهو ما يفسر اعتبار الوجود الروسي في المتوسط كضرورة تعاطت معها القيادات الروسية منذ القدم. وكان الحرص الروسي على الحضور الدائم في المتوسط من العوامل الرئيسية وراء إلحاق شبه جزيرة القرم بالاتحاد الروسي، في عام 2014، لضمان بقاء ميناء " سيواستبول "، مقر قيادة أسطول البحر الأسود، تحت الهيمنة الروسية. فمن خلال هذا الميناء " تستطيع روسيا إدامة وجود قواتها في البحر الأبيض المتوسط "[1].

[1] د. عبدالله تركماني: روسيا وأقنعتها المكشوفة في الحالة السوريا - صحيفة " العربي الجديد "، لندن 22 أيلول/سبتمبر 2015.

إذ تقول نصيحة القيصر بطرس الأكبر (1627 – 1725)، إن على روسيا، إذا أرادت أن تبقى أمة قوية عظيمة، تحقيق ثلاثة شروط في سياستها الخارجية[2]: أولها، أن تصل إلى المحيط الهادي، حتى لو اضطرت إلى الصراع مع الإمبراطورية الفارسية. وثانيهما، أن تبلغ المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط، حتى لو اضطرت إلى تقويض الإمبراطورية العثمانية. وثالثها، أن تقيم أفضل العلاقات والتحالفات مع سوريا (الهلال الخصيب في ذلك العصر) نظراً إلى موقعها " الجيو - استراتيجي " الذي يربط ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وأفريقيا.

ففي الفقرة التاسعة من وصيته لأبناء روسيا يقول[3]: " نقترب من القسطنطينية/اسطنبول والهند بقدر الإمكان، فمن يملك القسطنطينية فقد ملك العالم، وبناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع العثمانيين ". ويتابع في الفقرة الحادية عشرة قوله: " نشارك النمسا فيما قصدناه من إخراج العثمانيين من أوروبا ". وفي الفقرة الثالثة عشرة يقول: " وبعد التسلط على الممالك العثمانية، نجمع جيوشنا وتدخل أساطيلنا بحر البلطيق والبحر الأسود ونشرع في التفاوض مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة العالم بيننا ".

لقد اهتمت روسيا بتلك الوصية في عصر السلطان عبد الحميد الثاني، فكثرت الثورات بدعم من روسيا والدول الأوروبية في البلقان واليونان وغيرها من الأقاليم العثمانية، ولم تكتفِ بذلك بل عملت على قيام دول مستقلة مثل رومانيا، وبلغاريا والصرب واليونان. وبعد أن حقق العثمانيون انتصارات في البلقان استعدت روسيا للحرب، ثم أعلنتها حرب لا هوادة فيها ضد الدولة العثمانية وانضمت رومانيا إلى روسيا، ودخل العثمانيون في حرب طاحنة مع الروس.

لقد رأى الأباطرة الروس أنفسهم ورثة بيزنطة، وعاصمتهم وريثة للقسطنطينية/اسطنبول " أورشليم جديدة "، وتبنوا مباشرة لقب القيصر، الذي كان أصلاً لقب الإمبراطور البيزنطي. خلال القرون القليلة التالية، وبالرغم من أن العثمانيين استمروا في التوسع في شرق ووسط أوروبا، كان القياصرة الروس يعززون من قدراتهم العسكرية. في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، في عهد الإمبراطورة كاترين " بدأت المواجهة الطويلة والمريرة بين العثمانيين والإمبراطورية الروسية، التي لم تصل نهايتها إلا بعد الانهيار العثماني في الحرب العالمية الأولى[4].

ولأن التحرك الروسي اكتسب منذ البداية صبغة دينية، افترض الروس لأنفسهم دور الحماية للأرثوذكس العثمانيين، في الشام والأناضول والبلقان، ووفرت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية الغطاء الأيديولوجي لحروب القياصرة.

ما يستدعي هذه الذاكرة اليوم كان الخطوة التي اتخذتها موسكو للتدخل العسكري المباشر في سوريا، في أيلول/سبتمبر 2015، والدعم الذي تلقّاه الرئيس بوتين من الكنيسة الروسية. ففي لحظة بحث موسكو عن المجد الإمبراطوري من جديد، توجه قيصر روسيا الاتحادية ببصره نحو

[2] عدنان كريمة: سوريا عقدة مصالح روسيا الاقتصادية ونفوذها – صحيفة " الحياة "، لندن 21 أيلول/سبتمبر 2015.

[3] عادل موسى: العلاقات الروسية الشرق متوسطية – عن موقع " كلنا شركاء في الوطن " 16 شباط/فبراير 2015.

[4] د. بشير موسى نافع: عودة إمبراطورية وصاية الأقليات الروسية – صحيفة " القدس العربي "، لندن 14 تشرين الأول/أكتوبر 2015.

الجنوب والبحار الدافئة، وباركت الكنيسة الروسية خطوة بوتين، ليس فقط بوصفها بأنها " حرب مقدسة "، ولكن أيضاً بالتأكيد على أن حرب روسيا في سوريا ليست سوى تجلٍّ لـ " الدور الخاص الذي لعبته بلادنا دائماً في الشرق الأوسط ".

ثانياً: الدوافع الروسية للتدخل العسكري في سوريا

تتعدد الدوافع الروسية للتدخل العسكري في سوريا: الاندفاعة الاستراتيجية في مواجهة حصار الدول الغربية، والحضور العسكري في البحر الأبيض المتوسط، والسيطرة على طرق موارد الطاقة، وخطر الإرهابيين المسلمين في روسيا الاتحادية، وتسويق السلاح الروسي.

1- الاندفاعة الاستراتيجية في مواجهة حصار الدول الغربية

كانت استراتيجية الأمن القومي الروسي، التي صدرت في عام 2009، قد دعت إلى تحويل " روسيا المنبعثة " إلى دولة كبرى مجدداً. ومن أجل ذلك " أدرك صناع القرار في الكرملين أنه، ومن دون بناء مجال استراتيجي روسي خالص، فإن عودة روسيا دولة مقررة على الصعيد الدولي أمر لن يرى النور، وهذا لن يتحقق سوى بوجود مناطق نفوذ روسية خالصة، في المدارات القريبة من الجغرافية الروسية، وتحقيق انتشار روسي على المستويين القاري والعالمي، يسند هذه الوضعية ويدعمها. وبالتالي، فإن خطوط التحرك الروسي تسير على هدى ذلك الإدراك، وفي إطار مقتضياته "[5].

وبعد أن أطاحت الحرب، في جورجيا عام 2008 وفي القرم وأوكرانيا عام 2014، محاولات الغرب لجلب حلف " الناتو " إلى أعتاب روسيا، جاءت خطة إعادة بناء وجود عسكري روسي في سوريا لتعلن أنها ليست مجرد قوة إقليمية في أوروبا الشرقية فحسب، لكنها أيضاً لاعب دولي مؤثر، وأنها على استعداد لاستعراض قوتها العسكرية في مناطق أخرى من العالم بعيدة عن الأراضي الروسية. لذلك جاء التواجد الميداني في سوريا من أجل ممارسة النفوذ عبر تحويل ميناء طرطوس إلى قاعدة عسكرية روسية ومطار " حميميم " المدني في اللاذقية إلى مطار عسكري في خدمة روسيا. خاصة بعدما استبعدت الولايات المتحدة الأميركية روسيا عن العراق في حربها على الإرهاب هناك، وبعدما " خدعت " دول حلف " الناتو " روسيا في ليبيا.

لقد حرص الرئيس فلاديمير بوتين على المحافظة على الاندفاعة الاستراتيجية التي بدأها بالرد على الاتحاد الأوروبي، لمنعه من مدّ نفوذه إلى أوكرانيا وضمها إلى الاتحاد وإلى حلف شمالي الأطلسي. تُضاف إلى ذلك رغبة بوتين في الرد على القرار الأميركي بنشر الدرع الصاروخية في الدول المجاورة لروسيا. وهكذا سعى إلى الإفلات من الحصار الذي فرضه الغرب على روسيا، بعد ضم شبه جزيرة القرم إلى بلاده، من خلال التوجه إلى البحر الأبيض المتوسط لفتح جبهة جنوبية على حلف شمالي الأطلسي.

وفي هذا السياق كانت روسيا حريصة على إظهار اثنين من طرق العبور التي أنشأتها إلى سوريا في عام 2017: طريق المياه, من البحر الأسود (بما في ذلك من شبه جزيرة القرم الأوكرانية التي

[5] غازي دحمان: **سوريا نجمة الاستراتيجيا الروسية - صحيفة " العربي الجديد "، لندن 23** نيسان/أبريل 2014.

احتلتها في سنة 2014, وأبخازيا الجيورجية التي فرضت نفوذها فيها منذ سنة 2008) عبر مضيق البوسفور إلى البحر الأبيض المتوسط. وعن طريق الجو، محلقة فوق بحر قزوين والعراق وإيران. و« أظهرت روسيا أيضاً أن لديها عدة طرق للدفاع عن منطقتها السوريا، بما في ذلك صواريخ كروز التي أطلقتها من السفن الروسية الراسية في بحر قزوين "[6].

2- الحضور العسكري في البحر الأبيض المتوسط

عملت موسكو منذ اليوم الأول لحشد قواتها على تقوية قاعدة طرطوس البحرية وتوسيع قاعدة " حميميم " الجوية، بما يعزز ويقوّي حضورها العسكري في شرقي المتوسط، كما يؤهلها استراتيجياً للعب دور مؤثر وفاعل على مستوى المنطقة. فلطالما شكل البحر المتوسط واحدة من الواجهات التي طمحت روسيا - تاريخياً - إلى تأمين نفوذ لها دائم فيها، وكان هذا الطموح يزداد كلما طورت روسيا قوتها وإمكاناتها العسكرية والاقتصادية، حيث يغدو البحر المتوسط أحد أهم شرايين التغذية الروسية ومجالاً لممارسة السلوك التنافسي مع القوى الأخرى، بالرغم من كون روسيا قوة برية أكثر منها بحرية، وبالتالي فهي " لا تلجأ في الغالب إلى المجال البحري إلا لدواعي الضرورة الاقتصادية والعسكرية، ولم يعرف عنها أنها توسّعت كثيراً في هذا المجال خارج نطاقاتها الاستراتيجية القريبة. وهو ما يفسر اعتبار الوجود الروسي في المتوسط كضرورة تعاطت معها القيادات الروسية على مر التاريخ، وليست تعبيراً عن فائض قوة يراد استعراضه في المياه الدافئة "[7].

إن العقيدة الروسية تتصور حوض البحر المتوسط كجزء من ناقلات الأطلسي، التي توازن من خلالها البحرية الروسية حلف شمال الأطلسي. وتعد سوريا، بالنسبة إلى روسيا، نقطة الانطلاق باتجاه المياه الدافئة، وهي ستضمن بذلك الانفتاح البحري على جنوب القارة الأوروبية وشمال القارة الأفريقية. فقد عُزّفت سوريا، لا سيما في مرحلة الحرب الباردة، باسم أراضي حافات آسيا (تسمية أميركية)، ولذلك " ترى روسيا أن اكتساب هذه الحافة لمصلحتها هو أفضل من أن يكتسبها الأميركيون. فسوريا دولة مناسبة للمصالح الروسية لأنها ستستطيع من خلالها التلويح في وجه دول الغرب، لكي ترسل رسالة مفادها بأنها ما تزال محافظة على قوتها العسكرية، ومنزلتها السياسية، ووزنها في مجلس الأمن "[8].

ويندرج توجه روسيا نحو توسعة مرفأ طرطوس، وإنشاء رصيف عائم فيه، في إطار رغبة موسكو بتعزيز وتقوية حضورها في البحر المتوسط. ففي عام 2022، يُسلَّم رصيف عائم في طرطوس لروسيا، وبعد ذلك ستصبح قدرات هذا المجمّع كبيرة، ومن الممكن إجراء عمليات إصلاح السفن والغواصات الحربية هناك، بدلًا من ورشات عمل الصيانة العائمة في البحر الأسود والبلطيق.

[6] نزار عبد القادر: الاستراتيجية الروسية في سوريا.. تغيير موازين قوى إقليمية ودولية - صحيفة " الحياة "، لندن 28 تشرين الأول/أكتوبر 2017.

[7] **غازي دحمان: سوريا والمجال الروسي - صحيفة "** المستقبل **"**، بيروت 15 نيسان/أبريل 2014.

[8] جوان حمو: سوريا في المعايير الجيوسياسية الروسية وموقع كرد سوريا فيها - موقع " مركز حرمون للدراسات المعاصرة "، 1 نيسان/أبريل 2017.

وفي السياق ذاته، يشير الكاتب المختص بالشأن الروسي سامر إلياس إلى " تزامن توسعة مرفأ طرطوس، مع توسعة قاعدة "حميميم " في ريف اللاذقية، ويعتبر أن هدف روسيا من كل ذلك يتعدى الحسابات السوريا، بحيث تخطط روسيا لوجود دائم في البحر المتوسط "[9].

3- التحكم في موارد الطاقة وطرق نقلها

ترغب روسيا في السيطرة واستغلال الموارد النفطية والغازية في سوريا وفي المنطقة الاقتصادية الخالصة في شرقي المتوسط، ففي أواخر عام 2013 وقّعت شركة " سيوز نفط غاز " الروسية الحكومية عقداً للتنقيب عن النفط والغاز في الامتداد البحري بين بانياس وطرطوس لمدة 25 سنة. استناداً إلى أن الدراسات الجيولوجية الأميركية أوضحت الإمكانات المتوقعة للغاز والنفط، وأكدت وجود كميات كبيرة في هذه المنطقة.

وتفيد دراسات الأميركيين أن " تطوير موارد شرق البحر المتوسط يجب أن يكون تحت سيطرتهم، وأن يؤدي إلى تصدير الغاز إلى تركيا ومن ثم إلى الأسواق الأوروبية، فتكون النتيجة تقليص دور روسيا في مجال تزويد تركيا بالغاز، الذي هو على مستوى 70 في المئة من الحاجات التركية "[10]. كما ترسخ موسكو وجودها في منطقة شرق الفرات، لموقعها في المثلث الحدودي ما بين سوريا والعراق وتركيا، وأهميتها الاقتصادية، لاسيما في إمكانية عبور شبكات أنابيب النفط والغاز مستقبلاً عبرها. ويبدو أن قرار إدارة الرئيس الأميركي جو بايدن بسحب ترخيص شركة " دلتا كريسنت إنرجي " الأميركية للعمل في حقول النفط في شمال شرقي سوريا، يسهّل مهمة شركات نفط روسية للانتقال إلى المنطقة، التي تديرها الإدارة الذاتية بقيادة قوات سوريا الديمقراطية " قسد ".

وتشكل الجغرافيا السوريا واحدة من الضرورات اللوجستية للمشروع الروسي في مجال الطاقة، وذلك لما تملكه من إمكانيات ربط بين مواقع الإنتاج ومناطق الاستهلاك، وكمعبر للغاز القادم من آسيا الوسطى، الواقعة تحت قوس السيطرة الروسية، ولربط استثمارات الغاز على المتوسط بالغاز القادم من إيران، وكمعبر إجباري لخطوط النقل المتجهة إلى أوروبا. مما " يجعل من سوريا درة الاستراتيجية الروسية في المنطقة، خاصة مع وجود بنية تحتية روسية في سوريا، تتمثل بميناء طرطوس وباستثمارات عديدة في مجال النفط والغاز "[11].

ويمثل التنافس الدولي والإقليمي على خطوط نقل الغاز والنفط من الدول المطلة على الخليج العربي أحد المحددات الهامة للموقف الروسي من الأزمة السوريا، فروسيا " تخشى أن يؤدي سقوط النظام السوري إلى نزع مكانتها المهيمنة على سوق الغاز الأوروبية كنتيجة لاحتمال مدّ الغاز القطري عبر السعودية وسوريا وتركيا إلى أوروبا، وهذا من شأنه أن يحرمها من ورقة رابحة استراتيجياً واقتصادياً "[12].

---

[9] **غازي دحمان: سوريا والمجال الروسي، المرجع السابق.**

[10] د. سمير صالحة: الاستثمار الإقليمي والدولي في ملف الأزمة السوريا - موقع " تلفزيون سوريا "، 4 نيسان/أبريل 2021.

[11] **غازي دحمان: سوريا والمجال الروسي، المرجع السابق.**

[12] معن طلاّع: السياسة الروسية تجاه سوريا منذ الثورة..، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية - 8 حزيران/يونيو 2015, ص 8.

خاصة بعد أن تابعت روسيا التهديد الأميركي المتزايد لمشروع أنابيب الغاز الروسي " نورد ستريم- 2 " إلى ألمانيا، والذي تعوّل عليه موسكو كثيراً لرفد خزينتها بالعملة الصعبة.

وبعدما رفضت سوريا مرور خط غاز قطر، الذي يحمل الغاز الإسرائيلي والمصري إلى تركيا لوصله بأنبوب " نابوكو " من أراضيها، واستعاضت عنه بأنبوب غاز يمر من إيران إلى العراق إلى سوريا إلى لبنان، إضافة إلى غاز بحر قزوين بأنابيب السيل الجنوبي في " غازبروم "، أصبحت سوريا عقدة أنابيب الغاز التي تعتبر شرايين دماء القرن الحالي.

وهكذا " أصبح الصراع على سوريا مصيرياً بالنسبة إلى روسيا وفرصة ذهبية لاستعادة دورها كقوة عظمى في حلبة الصراع الدولي. وسوريا باتت في صميم الأمن الاقتصادي الروسي "[13].

ومن جهة أخرى، حددت روسيا بحر قزوين " نقطة انطلاق " في ملفين أساسيين بالنسبة إليها[14]: أولهما، متعلق بخطوط النفط " نابوكو "، والتي على أساسها خاضت حربها ضد جورجيا في عام 2008، لتمنع عبور أي خط غاز من بحر قزوين عبر الأراضي الجورجية إلى أوروبا، والذي لو حصل، لرمى خطوط الغاز الروسية العابرة إلى القارة العجوز، عبر أوكرانيا، جانباً. وثانيهما، متعلق بـ " الاتحاد الأوراسي "، الذي يشكل بحر قزوين ونفطه وغازه محطة أساسية في تكوينه وانطلاقه نحو وسط آسيا. لقد تعددت الأهداف الروسية في سوريا، لكنّ الأساس بالنسبة لموسكو هو السيطرة على جزء كبير من الحقول النفطية البحرية (البحر الأسود، وقزوين، والمتوسط) لتحقيق حلم النفوذ الغابر.

إن السيطرة على الساحل السوري تجعل روسيا في موقع متقدّم في الصراع على الطاقة، ليس فقط في الشرق الأوسط وإنما في العالم. إذ " من المعلوم أن جزءاً من الصراع في سوريا هو لتأمين خطوط النفط والغاز من الخليج نحو البحر المتوسط على الساحل السوري. فطهران كانت قد وقّعت اتفاقاً مع دمشق في العام 2010 لمدِّ أنبوب غاز عبر العراق إلى بانياس. كما تسعى المملكة العربية السعودية ودولة قطر إلى تصدير نفطها وغازها أيضاً عبر الأراضي السورية، ما يقصّر المسافة بينها والدول المستوردة، ويحررها - نسبياً - من عبور بواخرها مضيق هرمز الذي تسيطر عليه إيران "[15].

وبذلك تسعى روسيا إلى تقديم نفسها على مسرح السياسة الدولية كقوة طاقة مهمة ومؤثرة، وهي تستند في ذلك على احتياطيها الكبير من الغاز، كما تسعى إلى " تشكيل كارتل غازي كبير " بالإضافة الى ما تنتجه داخل الأراضي الروسية " يشمل إيران بوصفها صاحبة ثاني أكبر احتياطي عالمي، وكذلك كميات الغاز المكتشفة حديثاً في شواطئ البحر الابيض المتوسط الجنوبية من قبرص إلى سوريا ولبنان وإسرائيل ".

---

[13] عدنان كريمة: سوريا عقدة مصالح روسيا الاقتصادية ونفوذها، المرجع السابق.

[14] بيار عقيقي: **رسائل قزوين الروسية - صحيفة " العربي الجديد "، لندن 9 تشرين الأول/** أكتوبر 2015.

[15] فادي الأحمر: قراءة جيوسياسية في " الإنزال " العسكري الروسي في سوريا - صحيفة " السفير "، بيروت 30 تشرين الأول/أكتوبر 2015.

وهكذا، يعتبر موضوع الغاز أحد محركات السياسة الروسية في الزمن الحالي، ذلك أنه في ظل تراجع القدرات الروسية التنافسية على كل المستويات " يبرز موضوع الغاز كواحدة من ممكنات إعادة السيطرة والنفوذ الروسي الى المجال الدولي، ولروسيا في هذا المجال خبرة كونتها عبر السنوات الماضية عن مدى تأثير قوة سلاح الغاز في العلاقات مع أوروبا، ولعلّ ما يعزز درجة الثقة بهذا السلاح ويؤكد مدى فعاليته، تحوّل جزء كبير من الإنتاج الأوروبي، وخاصة في ألمانيا، إلى الغاز كوقود محرك، وذلك لما يتمتع به من مزايا تفضيلية تناسب الواقع الأوروبي وتجعله منافساً قوياً للنفط "[16].

لقد باتت روسيا الممثل الفعلي للمصالح السوريا النفطية والغازية في شرق المتوسط، ودخلت بقوة إلى ميدان النزاع المفتوح حول الثروات في هذه المنطقة، والذي يشكّل التوتر اليوناني - التركي أحد عناوينه العريضة. وفي ختام زيارة الوفد الروسي رفيع المستوى إلى دمشق، في أيلول/سبتمبر 2020, تم الإعلان عن توقيع 40 اتفاقية، حسب رئيس الوفد نائب رئيس مجلس الوزراء الروسي، يوري بوريسوف، تشمل " إعادة بناء البنية التحتية لقطاع الطاقة، بعد أن تم التوقيع على عقد عمل لشركة روسية للتنقيب واستخراج النفط والغاز قبالة الشواطئ السوريا ".

وبموجب الاتفاقية، صار في وسع روسيا أن تدفع بسفنها للتنقيب في السواحل السورية، الأمر الذي يعيد خلط الأوراق في منطقة، يرتفع فيها منسوب التوتر كلما نقترب من استغلال الثروات الغازية المقدّرة بـ 122 تريليون قدم مكعبة من الغاز الطبيعي.

إن الاتفاقية تضع سوريا في قلب المعادلة من جهة، ومن جهة ثانية يمكنها أن تعوّض روسيا عن الاستثمار الكبير الذي وظفته في سوريا من أجل الحفاظ على النظام السوري، خاصة بعد أن فازت بخمسة عقود نفطية بين عامي 2013 و2020. ومن شأن دخول روسيا على خط المعادلة الحالية، المتمثلة في منتدى غاز المتوسط، أن " يخلق واقعاً جديداً، ويشكل تعزيزاً لموقف تركيا التي عملت أطراف المنتدى على إقصائها وعزلها، وهذا سوف يقود إلى اتفاقية جديدة من أجل استثمار ثروات شرق المتوسط على أسس واضحة، وفق القانون الدولي الخاص باستغلال الثروات البحرية المشتركة بين دول منطقة حوض المتوسط "[17].

ومن شأن القيام بذلك أن يقرّب روسيا من تحقيق بعض أهدافها الجيوسياسية الطويلة الأمد[18]: أولاً، إلى جانب خطي" أنابيب " السيل الشمالي 2 " و« التيار التركي " عبر بحري البلطيق والأسود، ستكمّل السيطرة على "الصنبور" السورية طرق تصدير النفط الثلاثية التي تتلقى عبرها أوروبا الغاز. وبهذه الطريقة لن تتجنب روسيا المرور في دول أوروبا الشرقية وبالتالي رسوم العبور فحسب، بل سيصبح الاتحاد الأوروبي حينها عاجزاً عن شراء الغاز من أية دولة مصدّرة، بما فيها دول الشرق الأوسط، من دون إبرام صفقات بشكل مباشر أو غير مباشر مع روسيا. ثانياً، من شأن

[16] **غازي دحمان: سوريا والمجال الروسي..، المرجع السابق.**

[17] بشير البكر: روسيا وكيل سوريا في غاز المتوسط - صحيفة " العربي الجديد "، لندن 11 أيلول/سبتمبر 2020.

[18] نيكيتا سوغولوف (معهد واشنطن): **الأهداف الطاقوية لروسيا في سورية - عن موقع "** كلنا شركاء في الوطن **"** 2 أيلول/سبتمبر 2017.

تواجد طويل الأمد في سوريا أن يعزز هيمنة روسيا في شرق البحر المتوسط. وستمثل قاعدة بحرية ومطارات قادرة على استيعاب أكبر وجود عسكري روسي خارج حدودها تحدياً كبيراً لكلّ من شركات الطاقة الغربية العاملة في المنطقة، على غرار " نوبل غاز "، والدعم العسكري الذي توفره. ونتيجة لذلك، ستقترب روسيا أكثر من ميزان قوى عالمي متعدد الأقطاب سعت إليه منذ سقوط الاتحاد السوفيتي.

4- محاربة إرهابيي الاتحاد الروسي في سوريا

شكلت الحرب على الإرهاب العنوان الأبرز في الاستراتيجية الروسية للتدخل في سوريا، بعدما أدركت روسيا أن ثلث أعداد الإرهابيين، الأجانب الذين انضموا إلى الدولة الإسلامية " داعش " وعددهم ثلاثون ألفاً، هم من الاتحاد الروسي أو من دول وسط آسيا. واعتبرت هذه القيادة أن " أفضل سياسة دفاعية يمكن أن تعتمدها ضد هؤلاء الإرهابيين تتركز على مقاتلتهم والتخلص منهم قبل عودتهم إلى ديارهم "[19]. وتسعى موسكو إلى بقاء هؤلاء الإسلاميين (شيشان وطاجيك وأوزبيك وتركمان) في سوريا يقاتلون فيها، ولكن من دون تحقيق انتصار على النظام. إذ " يخدم غرق هؤلاء في المستنقع السوري المصالح الروسية في ظلّ مخاوف موسكو من التطرف والإرهاب في الجمهوريات الإسلامية القريبة منها "[20].

5- تسويق السلاح الروسي

كشف الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، خلال فعالية " الخط المباشر " مع المواطنين، في 14 حزيران/يونيو 2017، عن أن العملية العسكرية الروسية في سوريا أتاحت اختبار أحدث الأسلحة والمعدات العسكرية في ظروف القتال. إذ قال " هناك نفع كبير على مجمّعنا الدفاعي الصناعي. أتاح استخدام أحدث نماذج الأسلحة فهم كيفية عملها في ظروف القتال، وإدخال التعديلات اللازمة على جودة أحدث نظم الأسلحة ". وأضاف " يمكن القول إن خبرة استخدام قواتنا المسلحة في ظروف القتال، وباستخدام أحدث الأسلحة، لها قيمة كبيرة جداً من دون أية مبالغة "[21].

كما كشف رئيس لجنة مجلس الدوما لشؤون الدفاع، فلاديمير شامانوف، أن بلاده اختبرت أكثر من 200 سلاح جديد في سوريا. حيث قال " إن روسيا أظهرت للعالم بأسره فعالية المجمّع الصناعي العسكري، من خلال اختبار أكثر من 200 سلاح جديد في سوريا "، قبل أن " يفتخر " بأن ذلك " ساهم في زيادة مبيعات روسيا من السلاح، حتى من قبل بلدان ليست حليفة "[22]. وسبق للرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، أن صرح، بدوره، بأن " الاستخدام الفعال " للأسلحة الروسية في سوريا ساهم في تزايد إقبال دول العالم على شراء الأسلحة الروسية. وبحلول بداية عام 2018، بلغت حقيبة طلبيات شركة " روس أوبورون إكسبورت " الروسية لتصدير الأسلحة أكثر من 50 مليار دولار, وسط استقرار معدلات الصادرات الفعلية عند مستوى 15 مليار دولار سنوياً. وفي هذا السياق

[19] نزار عبد القادر: الاستراتيجية الروسية في سوريا..، المرجع السابق.

[20] خيرالله خيرالله: من العبث السوفياتي... إلى العبث الروسي في سوريا - صحيفة " الرأي "، الكويت 17 أيلول/سبتمبر 2015.

[21] موسكو: خطط بوتين في سوريا.. تسوية وانسحاب إلى طرطوس وحميميم - صحيفة " العربي الجديد "، لندن 15 حزيران/يونيو 2017.

[22] موسكو: روسيا اختبرت 200 سلاح جديد في سوريا.. تسويق على جثث السوريين - صحيفة " العربي الجديد "، لندن 22 شباط/فبراير 2018.

" تعمل وزارة الدفاع الروسية على إبرام صفقات ضخمة مع دول الخليج العربية، في مجال تطوير سلاح البحرية ونظم الدفاع الجوي وتقنيات الدفاع الجوي بدون طيار، فضلاً عن العربات المدرعة وأنظمة الإشارة "[23]. مما يتطلب صياغة تحالفات أمنية، ووجوداً دائماً في شرقي البحر الأبيض المتوسط.

ثالثاً: توظيف موقع سوريا في الاستراتيجية الروسية للشرق الأوسط

تدفع روسيا إلى الانخراط المسبق في رسم الحدود الجديدة للشرق الأوسط الجديد في القرن الحادي والعشرين، من خلال وجودها في سوريا. وتُعَدُّ منطقة الساحل السوري نقطة انطلاق للاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط، فلموسكو قلق وهواجس من دور تركيا في شمال سوريا، لانعكاساته المحتملة على استراتيجيتها البحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط. وموسكو مهتمة بالتطبيقات الجيوسياسية للجغرافية السوريا التي تشكل " مسرحاً استراتيجياً " يؤثر في قضايا حيوية عديدة للنظامين الدولي والإقليمي: الصراع العربي - الإسرائيلي، القضية الكردية، الصراع السني - الشيعي، أنابيب النفط والغاز، أمن الخليج.

لقد جاء كتاب " ماذا تريد روسيا في الشرق الأوسط؟ " ليؤكد أن الحرب الأهلية السوريا " تعتبر مرحلة فاصلة في التاريخ المعاصر للشرق الأوسط، بقدر ما كان غزو العراق الذي قادته الولايات المتحدة في 2003 حدثاً مفصلياً أيضاً أثر بقوة على تدافعات وتحولات المشهد اللاحق، منوّهاً إلى أن الحرب في سوريا، مثل الحرب العراقية، كانت لها هي أيضاً تداعيات عالمية كبيرة ". وأشار إلى أنه في أوروبا، تعتبر روسيا قوة رجعية تسعى إلى الثأر للهزيمة السوفييتية أثناء الحرب الباردة. وفي الشرق الأوسط، تعتبر روسيا قوة الوضع الراهن، وإن كانت متقلبة، فقد تعلمت من هزيمتها في أفغانستان " أن تتعامل مع التحالفات والانحيازات في هذا الجزء من العالم باعتبارها مواقف تكتيكية بصورة أساسية ومن السهل تحولها، فلا أصدقاء دائمون ولا أعداء مؤبدون "[24].

كما حذر مركز " ويلسون " الأميركي للأبحاث على موقعه الإلكتروني في خلاصة الحلقة النقاشية التي شارك فيها 12 محللاً ودبلوماسياً من الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل وروسيا، في أوائل أيار/مايو الماضي، من تصاعد خطر الدور الروسي المتزايد في منطقة الشرق الأوسط. وجرى الحديث عن أن روسيا " أصبحت عاملاً أساسياً في سوريا وليبيا وشريكاً لإيران، وشريكاً لطموحات مصر العسكرية، ومحاوراً لدول الخليج وبخاصة الإمارات العربية المتحدة والسعودية، وكذلك محاوراً لإسرائيل والحكومة الأفغانية وحركة طالبان والفلسطينيين وغير ذلك من الكيانات السياسية. كما أصبحت روسيا عنصراً في الأزمة اليمنية ووسعت مصالحها في شمال أفريقيا ". ومع ذلك، ما زالت " أبعد من أن تكون قد شكلت نظاماً إقليمياً من تصميمها في المنطقة ".

[23] د. بشير زين العابدين: التدخل الروسي في سوريا.. المخاطر والفرص الكامنة، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، ص 6.

[24] قراءة وائل بدران: **روسيا وأهداف التدخل في سوريا - صحيفة " الاتحاد " الإماراتية**، 8 كانون الأول/ديسمبر 2017 (الكتاب: ماذا تريد روسيا في الشرق الأوسط؟ - المؤلف: ديميتري ترينين (رئيس مركز " كارنيغي " للسلام الدولي في موسكو)، الناشر: بوليتي 2017).

وعلى ضوء الانسحاب الأميركي الواضح من الإدارة اليومية لأزمات الشرق الأوسط وانحسار رغبة واشنطن في أي دور قيادي مباشر في هذه الملفات والاكتفاء بالإدارة عن بعد، وجدت موسكو أن الفرصة مهيّأة لها لإمساك زمام الأمور، وملء الفراغ، والإقدام بشراسة من أجل حياكة القيادة الروسية في منطقة الشرق الأوسط برمتها. وإذ كانت الولايات المتحدة قد تبنّت " الفوضى الخلّاقة " وسيلة لإحداث التغيير في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، فإن روسيا تستثمر في رغبة الولايات المتحدة بفكرة " التفاهمات الخلّاقة " و« الترتيبات الخلّاقة "[25].

وفي الواقع لم تكن موسكو في يوم من الأيام غير مهتمة بمنطقة الشرق الأوسط، بل " سعت بكل ثقلها لتكون طرفاً فاعلاً في أزماتها ومشاريع حلولها ماضياً ومستقبلاً، بل ظلت المنطقة باباً رئيسياً لعودتها للنظام العالمي "[26]. لكن مراقبة السلوكين السياسي والعسكري الحاليين، يشيران إلى جملة من الأسئلة التي ينبغي التوقف عندها، ومن بينها، هل تعتبر موسكو أن ظروف المنطقة مناسبة لهذه الاندفاعة؟ وهل بمقدورها حالياً الوصول إلى أهداف محددة عجزت عن تحقيقها خلال العقدين المنصرمين مثلاً؟ وهل ثمة فك وربط بين ما يجري في شرقي أوروبا، وتحديداً في البلقان، وما يجري في الشرق الأوسط؟

على المستوى الإقليمي، فإن روسيا تختبر إمكانية إعادة بناء تحالف واسع في الشرق الأوسط بعد غياب طويل. إن الوجود الروسي الجديد في سوريا يبعث بإشارة قوية إلى بغداد، بأن روسيا قد عادت مرة أخرى إلى الشرق الأوسط وعلى استعداد لبناء تحالفات جديدة. وتأتي مصر كمحور ثالث للعلاقات المميزة مع روسيا. وعلى رغم أن الجيش المصري لا يزال يحصل على معظم العتاد العسكري من الولايات المتحدة الأميركية، إلا أن من الواضح أن وجهات نظر الرئيسين عبد الفتاح السيسي وبوتين تتوافق حول عدد كبير من القضايا السياسية والأمنية. وإذا نجحت روسيا في مساعيها، تكون قد " أعادت بناء تحالف يشبه التحالف السوفياتي القديم الذي شمل دمشق والقاهرة وبغداد، بل زادت عليه طهران التي كانت في الحرب الباردة حليفاً لأميركا "[27]، بهدف إنشاء منظومة إقليمية جديدة. ففي مقابلة مع موقع RT الروسي، في 2 تشرين الأول/أكتوبر 2015، أكد الفريق سيرغي كورالينكو ممثل روسيا في المركز الإعلامي ببغداد: إن المهمة الأساسية للمركز تتمثل في " جمع وتحليل ومعالجة وتبادل المعلومات الجارية حول الوضع في منطقة الشرق الأوسط "، وأضاف قائلاً " أود التأكيد على أن هذا المركز المعلوماتي لا يعتبر مقتصراً على الأطراف الأربعة فقط، وإنما نأمل أن ينضم إلى عملنا دول أخرى، والتي لها مصلحة في القضاء على داعش "[28]، وذلك في إشارة واضحة إلى تعاون المركز الإعلامي مع رئاسة الأركان الإسرائيلية، وإمكانية انضمام إسرائيل إلى هذا التحالف. وبذلك يتضح أن هدف روسيا هو ملئ " الفراغ الغربي " من جهة، وضرب العزلة على تركيا والمملكة العربية السعودية في ذلك الوقت (2015).

[25] **أوردتها** راغدة درغام: روسيا.. الترتيبات الخلّاقة بعد الفوضى - صحيفة " الحياة "، لندن 11 أيلول/سبتمبر 2015.

[26] د. خليل حسين: روسيا والعودة العسكرية للشرق الأوسط - صحيفة " الخليج " الإماراتية، 12 أيلول/سبتمبر 2015.

[27] بول سالم: أبعاد التصعيد الروسي في سوريا وتداعياته - صحيفة " الحياة "، لندن 18 أيلول/سبتمبر 2015.

[28] د. بشير زين العابدين: التدخل الروسي في سوريا..، المرجع السابق، ص 3 و9.

إن ما يهم روسيا هو أن أمامها فرصة تاريخية لنحت جغرافيا جديدة لدورها السياسي في الشرق الأوسط عبر سوريا، إنها في صدد بناء محور أو محاور في الشرق الأوسط بقيادة روسية. وهي " تريد أن تقود تسويات سياسية لأزمات الشرق الأوسط وفق الشروط الروسية بدءاً ببقاء نظام بشار الأسد في السلطة "[29].

ويُمكن إدراج إطلاق البحرية الروسية 26 صاروخاً من أربع سفن من بحر قزوين، لتُحدّد بالتالي روسيا " خريطتها الجديدة " من بحر قزوين إلى البحر المتوسط، وما بينهما من إيران والعراق وسوريا ولبنان، " مدى حيوياً لها ". وذلك بصورة مشابهة لارتباط شبه جزيرة القرم وشرق أوكرانيا بالأراضي الروسية[30]. وتتعلق هذه الرسالة بتفكير الكرملين عن " عَظَمَة " روسيا عالمياً، وسعيه إلى تثبيت هذا النفوذ. وفي تحليق الصواريخ الروسية فوق المجالين الجويين، الايراني والعراقي، تأكيد على" أولوية الروسي " في تراتبية محور جديد، كانت روسيا تطمح كي يتشكّل ميدانياً.

فبعد خسارة مواقعها في المنطقة، في المشرق العربي ومصر واليمن ودول أخرى " تعود روسيا في زمن تهالك النظام الإقليمي العربي والفراغ الذي أحدثته السياسة الأميركية المتعثرة. وتأتي عودة روسيا بالتحالف مع إيران التي بدأت تطبيع علاقاتها مع المجتمع الدولي (بعد اتفاق 5+1 في عام 2015)، وبعدما أحرقت تركيا أوراقها مع الاطراف جميعها، في العالم العربي، لا سيما مصر، وأوروبا، وحتى إسرائيل "[31].

إن روسيا تتعاون مع القوى الإقليمية الفاعلة في الشرق الأوسط لتحقيق مكاسب في المنطقة على المدى القصير، حيث أن مصالحها لا تتفق مع مصالح هذه الدول على المدى الطويل. وهنا " تعمل موسكو على إقامة توازن بين هذه القوى الإقليمية حتى لا تنفرد أي منها في كسب تأثير كبير بالمنطقة ". استراتيجية موسكو في الشرق الأوسط هي البقاء أقرب لجميع اللاعبين أكثر من قربهم من بعضهم بعضاً. روسيا تتبع هذه الاستراتيجية لا لأنها تريد أن تكون قائداً رئيسياً في المنطقة، بل لـ " تكسب أكبر مقدار ممكن من التأثير، ما يسمح لها بعرض التعاون على واشنطن في الشرق الأوسط مقابل تنازلات في مناطق أخرى، في أوكرانيا مثلاً. إذا رفضت واشنطن عرض موسكو للتعاون، فإن روسيا، على الأقل، ستكون قد جعلت الوضع أكثر صعوبة بالنسبة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وأبقتها أكثر تشتتاً وتعثراً ".

ومن ناحية أخرى، يبدو أن روسيا تحاول المناورة بين المطالب الاسرائيلية، الرافضة للتمدد الإيراني في سوريا، وبين ضرورة التعاون مع طهران، وذلك من خلال تقديم وعود متضاربة لكل جانب. ويبقى السيناريو الغامض تجاه التمدد الإيراني في سوريا هو ردة فعل إسرائيل. ومن وجهة النظر الإسرائيلية، ربما تكون روسيا هي " القوة الأكثر تأثيراً للمساهمة في احتواء إيران ضمن الحدود المقبولة لإسرائيل في سوريا "[32].

[29] راغدة درغام: هدف موسكو فرض التسويات في المنطقة بشروطها - صحيفة " الحياة "، لندن 9 تشرين الأول/أكتوبر 2015.

[30] بيار عقيقي: **رسائل قزوين الروسية...، المرجع السابق.**

[31] فريد الخازن: عودة روسيا المدوّية - صحيفة " السفير "، بيروت 31 تشرين الأول/أكتوبر 2015.

[32] يوسف شيخو: موسكو تخطط لإبقاء قواعدها في سوريا - صحيفة " الحياة "، لندن 5 كانون الثاني/يناير 2018.

وثمة من يعتقد أن هناك توافقاً أميركياً - روسياً، في عهد إدارة أوباما، على الترتيبات الجديدة في الشرق الأوسط، إذ إن أوباما "لم ينجح في شيء قدر نجاحه في دفع الشرق الأوسط للسقوط في أحضان الروس والفرس "، أي أن الشرق الأوسط " يدخل العصر الروسي بقرار ثنائي أميركي - روسي، بهدف تقاسم النفوذ في المنطقة، كما فعلت بريطانيا وفرنسا في بدايات القرن العشرين "[33].

ولكن في الواقع، ثمة نظامان إقليميان رئيسيان يتنافسان، ويمكن أن يتقاسما الشرق الأوسط[34]: أولهما، النظام المعتاد والقائم على استمرار الهيمنة الغربية الأميركية. وثانيهما، ما يمكن أن نسميه بسلام بوتين. ويعرض بوتين الآن على المنطقة بديلًا من (منظومة السلام الأميركي)، على أساس ترسيخ دور روسيا كوسيط عسكري. ومن خلال هذا المنهج، يحاول إثبات قدرة الدبلوماسية العسكرية الروسية على أن تصبح روسيا القوة المهيمنة الوحيدة الحاذقة في المنطقة. روسيا " تريد ملء الفراغ الذي تعتقد أن الفراغ الأميركي والأوروبي خلّفه ".

وبالعودة إلى كتاب ديمتري ترينين نرى أن موسكو " لم تحلّ أيضاً محلّ واشنطن كقوة فاعلة أساسية أو مزود رئيس للأمن في الشرق الأوسط، وليست لديها رغبة ولا موارد ولا نية للاضطلاع بذلك الدور. ولكن ما فعلته هو مجرد قطيعة مع حالة ما بعد الاتحاد السوفييتي بالانكفاء على حدودها الاستعمارية السابقة والغياب بشكل كبير عن بقية العالم "[35].

ويبدو أن احتمالات التقارب الأمريكي - الإيراني، بعد اتفاق (5+1) في عام 2015، كان لها أثر على تحريك الموقف الروسي، إذ " بدت أميركا بصدد إعادة صياغة علاقاتها مع إيران التي يتداخل فيها الاقتصاد والسياسة بدرجة كبيرة ". وذلك لأن موسكو " تدرك أنّ قدرتها على التأثير بالنظام السوري ومصيره هي عامل متغيّر يخضع لشروط علاقة طهران وواشنطن، إذ في ظل تحوّل الصراع إلى النمط الطائفي يصبح لإيران اليد العليا في التأثير على النظام السوري "[36].

بالنسبة إلى إيران، سعت روسيا، منذ تولّي فلاديمير بوتين مقاليد السلطة في موسكو عام 2000، إلى تثبيت حلفاء في مواقع مختلفة كمناطق عازلة، ضد النفوذ الأميركي في العالم. ووفق هذا التصوّر " احتلت إيران مكانتها لدى موسكو، باعتبارها شريكاً لروسيا في منطقة الشرق الأوسط والخليج وآسيا الوسطى، بحيث يحقق المحور الجنوبي لروسيا الخروج إلى المياه الدافئة عبر الخليج العربي، وهو هدف ظلت موسكو قروناً طويلة تسعى إليه ولا تتمكن من تحقيقه ". والحال هذه، فروسيا التي تضم أكثر من 25 مليون نسمة من المسلمين السنة المنحدرين من الأرومة التركية " تعمل على التعاون إسلامياً مع طهران، كما تتعاون معها بوصفها مخفراً متقدماً في وجه النفوذ الأميركي المتغلغل على مقربة من روسيا، سواء أفغانستان أو الخليج العربي ".

---

[33] محمد خليفة: مخطوط كتاب " الغزو الروسي لسوريا "، ص ص 145 و146.

[34] د. **سمير التقي: انتخابات سوريا ما بين نظامين إقليميّين متنافسين - صحيفة " النهار العربي "، بيروت 1 نيسان/أبريل 2021.**

[35] وائل بدران: **روسيا وأهداف التدخل في سوريا..، المرجع السابق.**

[36] نزار عبد القادر: الاستراتيجية الروسية في سوريا..، المرجع السابق.

كما تحرص موسكو على الإفادة المثلى من البوابة الإيرانية إلى الشرق الأوسط، وتقوم بمهام حراسة لهذه البوابة في المحافل الدولية. فالأمر الذي تفهمه موسكو جيداً، هو أنه من دون موافقة إيران أو من دون مشاركتها، فإن " الحصول على نتائج مهمة في الشرق الأوسط ليس بالأمر السهل، كما أن التوصل إلى حلول لكثير من القضايا، سيكون أمراً غير ممكن[37].

أما بالنسبة إلى تركيا، فقد أجبر التدخل الروسي في سوريا أنقرة على التقارب مع موسكو لاحتواء أزمة إسقاط طائرة روسية من قبل مقاتلة تركية، وإلى تطوير العلاقات من أجل تحقيق مزيد من التعاون الديبلوماسي في مؤتمر آستانة الذي أدى إلى إنشاء مناطق " خفض التوتر " في سوريا بمشاركة تركية فاعلة. كما " وجد الطرفان في ظل الوقائع القائمة على الأرض، أن هناك ضرورة عسكرية واستراتيجية لتوسيع التعاون ومنع أي خلل قد يضر بالمصالح الاستراتيجية والاقتصادية لكل منهما "[38]. ولكن سوريا في الجيوسياسية الروسية هي منطقة لكسر الرغبة التركيّة (جارتها على البحر الأسود) في إنشاء منطقة عازلة شمالي سوريا، وهذا ما لا ترضاه روسيا التي تستغل الورقة الكُرديّة للضغط على تركيا.

بالنسبة لإسرائيل، فإن التواصل مع روسيا، يتيح لإسرائيل تحقيق نجاحات على صعيد تقليص القدرات العسكرية لإيران في سوريا، مع تأثير روسي محدود على العمليات الإسرائيلية في الأراضي السوريا. وتحتاج إسرائيل إلى المحافظة على تواصلها مع روسيا لتأمين هذه الأهداف العليا. فقد أشار مدير مركز " ديان لدراسات الشرق الأوسط " التابع لجامعة تل أبيب، إيال زيسر، إلى أن " التدخل الروسي المباشر، لا يمسّ بإسرائيل ولا يعني مساعدة إيران على تحويل سوريا إلى نقطة انطلاق للعمل ضد إسرائيل "[39].

خلال عشر سنوات من الحرب الأهلية السوريا ضمنت روسيا مصالحها الأمنية والاستراتيجية في سوريا، واستطاعت إسرائيل بلورة تفاهمات مع روسيا للحفاظ على مصالحها الأمنية هي أيضاً، وأسهمت روسيا في تمكينها من ضمان هذا الأمن بيسر، على الرغم من أنها كانت تدّعي أنها لا ترسم استراتيجياتها بناء على المصالح الإسرائيلية، كما حرصت روسيا على الحفاظ على توازن المصالح بينها وبين إسرائيل، التي تعتبرها قوة إقليمية لا بدَّ من أخذ مصالحها في الحسبان.

وإزاء كل ما ذكرناه قد تصبح منطقة الشرق الأوسط ساحة لصراعات أكبر وأكثر خطورة، تهدد السلم والأمن الدوليين، وربما تقود في وقت لاحق إلى مواجهة روسية - غربية.

---

[37] د. عبدالله تركماني: محددات العلاقات الإيرانية الروسية وتجلياتها في سوريا – مقاربة افتتاحية في ورشة العمل المشتركة بين " مركز حرمون للدراسات المعاصرة " و " مركز الدراسات الإيرانية " بأنقرة في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2017، حول " محددات العلاقات الروسية – الإيرانية وتجلياتها في سوريا ".

[38] نزار عبد القادر: الاستراتيجية الروسية في سوريا..، المرجع السابق.

[39] صالح النعامي: **التدخل العسكري الروسي بعيون إسرائيلية: الساحل السوري خط أحمر - صحيفة " العربي الجديد "، لندن 10 أيلول/سبتمبر 2015.**

خاتمة

السلوك الروسي، في سياق الأزمة السوريا، تعرّض لامتحانات عدة، ولم تكن النتائج إيجابية، بحيث يظهر أن ما تمارسه الديبلوماسية الروسية يمثل استراتيجية وليس تكتيكات سياسية، كما بدت واضحة محاولات توظيف الأزمة السوريا في سياق صراع المصالح والنفوذ الذي تخوضه مع الغرب. وتكمن الإشكالية - في هذا الإطار - في حقيقة أنّ حزمة المطالب التي ترفعها روسيا، في مواجهة منافسيها وخصومها، كبيرة تشمل مكانتها الميدانية في منطقة الشرق الأوسط ومكانتها السياسية ونفوذها في مجلس الأمن، وكذلك علاقاتها الثنائية مع الولايات المتحدة الأميركية، وتسعى لإبرام معاهدة شراكة استراتيجية مع الاتحاد الأوروبي تشمل إلغاء تأشيرات الدخول لمواطنيها، وكذلك منحها تسهيلات إضافية في إطار منظمة التجارة الدولية، أو تخفيف الدعم الغربي للحركة الاحتجاجية في روسيا.

ومن جهة أخرى كيف بمقدور موسكو أن تسوّي الصلف الإيراني تجاه دول الخليج العربية وعلى رأسها السعودية التي باتت تتعرض يومياً لمقذوفات من الحوثيين في اليمن المدعومين والمسلحين من إيران؟ وأيُّ نظام أمني للشرق الأوسط وفق مبادئ مؤتمر هلسنكي للأمن، قابل للتطبيق وسط هذه التهديدات، وقبل أن تقتنع طهران بأنها دولة وليست ثورة مستمرة للتصدير؟ أيُّ نظام أمني إقليمي مع إمعان طهران بابتزاز العالم يومياً عبر تهديداتها بالحصول على قدرات نووية؟

وفي مفارقة آخرى، هل من عاقل يعتقد أن موسكو قادرة على إقناع إسرائيل بأن تُقْدم على سلام مع نظام يتهاوى ويتعكز للاستمرار كواجهة نتيجة للدعم الإيراني والروسي المتقاطع المصالح؟ هذا علماً بأن موسكو لم تنجح حتى الآن في تهدئة تل أبيب وتطمينها من مخاطر السلاح الإيراني عليها في سوريا بعد أكثر من سنتين على وعودها الخائبة؟

وفي الواقع ليس الوجود العسكري الروسي في طرطوس أو مطار اللاذقية يشكل تهديداً للغرب، وبوتين يعرف جيداً أنّ روسيا ليست تهديداً جدياً في البحر المتوسط لأنّ مرفأ طرطوس الوحيد لها فيه يمكن منع الوصول إليه من المنفذين الوحيدين له وهما الدردنيل والبوسفور التركيين ومضيق جبل طارق. ويعرف أيضاً أنّ وجوده البحري في المتوسط لا يستطيع أن يواجه بفاعلية الوجود الأميركي المماثل كما وجود بحرية حلف " الناتو".

أهم المراجع:

- معن طلّاع: السياسة الروسية تجاه سوريا منذ الثورة..، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية – 8 حزيران/يونيو 2015.
- نيكيتا سوغولوف (معهد واشنطن): **الأهداف الطاقوية لروسيا في سورية - عن موقع " كلنا شركاء في الوطن "** 2 أيلول/سبتمبر 2017.
- د. بشير زين العابدين: التدخل الروسي في سوريا.. المخاطر والفرص الكامنة، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية.
- وائل بدران: **روسيا وأهداف التدخل في سوريا - صحيفة " الاتحاد " الإماراتية،** 8 كانون الأول/ديسمبر 2017 (الكتاب: ماذا تريد روسيا في الشرق الأوسط؟ - المؤلف: ديميتري ترينين (رئيس مركز " كارنيغي " للسلام الدولي في موسكو)، الناشر: بوليتي 2017).
- محمد خليفة: مخطوط كتاب " الغزو الروسي لسوريا ".
- د. عبدالله تركماني: محددات العلاقات الإيرانية الروسية وتجلياتها في سوريا – مقاربة افتتاحية في ورشة العمل المشتركة بين " مركز حرمون للدراسات المعاصرة " و " مركز الدراسات الإيرانية " بأنقرة في 7 تشرين الأول/أكتوبر 2017، حول " محددات العلاقات الروسية – الإيرانية وتجلياتها في سوريا ".

الإستراتيجية الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط: الواقع، التحديات، رؤية مستقبلية

د. أحمد مشعان النجم*

الملخص

تعد منطقة الشرق الأوسط من بين أبرز المناطق الجيوسياسية التي يشهدها العالم مجالاً للتعاون والصراع في وقتنا الحاضر، ومن المرجح وبصورة كبيرة ان يكون مرجلاً للمزيد من للتنافس والصراع العرقي والأمني بشقيه الدولي والاقليمي، فضلا عن امكانية التعاون سواء في اطار التفاعلات ما بين دول المنطقة نفسها أو بين الدول الاقليمية والدولية ذات الأهمية الجيوسياسية أو عن طريق اقامة التحالفات والائتلافات بمجالاتها المختلفة السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية-الأمنية وغيرها، وذلك بحسب التوافق أو التعارض في المصالح المشتركة أو المختلفة بين الاطراف الفاعلة في هذه المنطقة المهمة من العالم وبحسب القدرات والامكانيات المتاحة لهذه الاطراف، ولعل من بين أهم هذه الاطراف هي إيران كونها فاعل اقليمي مهم في هذه المنطقة وما تتضمنه من رؤية واستراتيجية خاصة بها في سعيها لتحقيق أهدافها ومصالحها القومية وإدراكها للتحديات والدوافع التي تشتمل عليها منطقة الشرق الأوسط بما في ذلك تقاطع أو تطابق الاستراتيجية الإيرانية مع استراتيجيات ورؤى للاعبين آخرين في المنطقة كالحال مع المتغير "الإسرائيلي" والمتغير التركي والمتغير السعودي، مما يولد حالة من الصراع والتوتر والتعاون والتنافس التي يمكن ان تشهدها المنطقة الجيوسياسية في الشرق الأوسط، الامر الذي ينعكس بصورة واضحة ودقيقة في تشكيل توازنات للقوى الاقليمية والدولية وانعكاس وتأثير كل منها على الآخر في ظل متغيرات البيئة الداخلية والخارجية المحيطة بالنظام الدولي.

الكلمات المفتاحية: إيران - الشرق الأوسط - الاستراتيجية - النظام الاقليمي - العلاقات الدولية.

* مدرس دكتور، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية - الدراسات الدولية- من كلية العلوم السياسية بجامعة بغداد، يعمل حالياً مدرساً في كلية القانون والعلوم السياسية بجامعة الانبار، العراق.

Iranian Strategy In The Middle East: Reality، Challenges، And A Future Vision

Dr. Ahmed Mashaan Al-Najm

Abstract

The Middle East region is one of the most prominent geopolitical regions in the world. It is highly likely to be a breeding ground for further competition، ethnic and security conflict in both the international and regional sectors as well as the possibility of cooperation، both within the framework of interactions between the countries of the region itself and between Regional and international countries of geopolitical importance or by establishing alliances and coalitions in their various political، economic، military، security and other fields, according to the consensus or conflict of common or different interests between the actors in this The most important of which is Iran as an important regional actor in this region and its vision and strategy in its pursuit of its national goals and interests and its awareness of the challenges and motives of the Middle East, This is a clash of the Iranian strategy with strategies and visions for other players in the place، such as the variable "Israeli" and the Turkish variable and the Saudi variable، which generates a state of conflict and tension and cooperation and rivalry that can be seen in the geopolitics region in the Middle East, which is reflected in a clear and accurate balances in the formation of regional and international powers and a reflection of the impact of each on the other in the light of the internal and external environment surrounding the international system variables.

Key words: Iran - The Middle East - Strategy - Regional system - International relations

المقدمة

أهمية الدراسة:

إن أهمية هذه الدراسة تكمن بتقديم فائدتين مهمتين الأولى نظرية للباحثين والاكاديميين تتمثل بالتعرف على الأُطر العامة للاستراتيجية الإيرانية ورؤيتها تجاه منطقة الشرق الأوسط كمنطقة استراتيجية وجيوسياسية في آن واحد بالنسبة لها، فضلاً عن فائدة عملية تتمثل بالتعرف على أهم الرؤى لصناع القرار الإيراني إزاء منطقة الشرق الأوسط، وأهم أهدافها، وما هي أهم مقومات القوة لديها وسبل تحقيق أهدافها ومصالحها القومية، وماهي أبرز التحديات التي تواجه المشروع الإيراني في المنطقة، وكيف يمكن ان ينعكس ذلك على مستقبل التعاون والصراع في منطقة الشرق الأوسط.

اشكالية الدراسة:

تتمثل اشكالية الدراسة في حالة الجمع بين الاضداد التي تشتمل عليها الاستراتيجية الإيرانية بين التوجه الأيديولوجي من جانب والفلسفة البراغماتية من جانب آخر في التعامل مع قضايا السياسة الخارجية، ومدى امكانية ان تؤثر رؤية إيران واستراتيجيتها في منطقة الشرق الأوسط على حالة الصراع والتعاون ايجاباً أو سلباً نحو الأستقرار من عدمه بوصفها لاعباً اقليمياً فاعلاً في النظام الاقليمي القائم، الامر الذي اثار مجموعة من التساؤلات بخصوص ذلك أبرزها:

1 ما هي الرؤى لصناع القرار الإيراني إزاء منطقة الشرق الأوسط وتوجهاتها الاستراتيجية؟

2 ما هي طبيعة استراتيجية إيران الاقليمية إزاء منطقة الشرق الأوسط ما بعد ثورة فبراير/شباط 1979م؟ وما المقصود بأستراتيجية أم القرى؟ وما هي أهم أهدافها والمعوقات والتحديات التي واجهتها؟

3 ما هي طبيعة الانموذج الأمني الإيراني لمنطقة الشرق الأوسط ما بعد عام 1979م؟

4 ما هي طبيعة الاستراتيجية الاقليمية الإيرانية (الاستراتيجية العشرينية 2005-2025م) إزاء منطقة الشرق الأوسط؟ وما هي أهم التحديات والمعوقات التي تواجه استراتيجية إيران الاقليمية المعروفة بالاستراتيجية العشرينية؟

5 ما هو الانموذج الأمني الذي طرحته إيران لمنطقة الشرق الأوسط ما بعد عام 2005م؟ وما هي الآليات الي يتضمنها للتغلب على التحديات والمعوقات التي تواجه استراتيجيتها؟

6 مدى انعكاس الرؤى الإيرانية على حالة الصراع والتعاون التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط؟ وما هو دورها إزاء ذلك؟

فرضية الدراسة:

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها ان الرؤية الإيرانية لمنطقة الشرق الأوسط قائمة على اساس السعي إلى ان تكون إيران قوة اقليمية فاعلة ومؤثرة في منطقة الشرق الأوسط ومحوراً ومركزاً للدول والقوى والحركات في بيئتها المحيطة بها، والتقاء هذه الرؤى مع رؤى فاعلين آخرين في المنطقة اقليميين ودوليين من ناحية وتصادمها مع رؤى واستراتيجيات للاعبين آخرين، مما ولد حالة من توازن القوى الاقليمي والدولي في إطار الاحلاف والاحلاف المضادة، وهو ما انعكس على حالة الصراع والتعاون في منطقة الشرق الأوسط.

منهجية الدراسة:

تعتمد الدراسة في بيان حقائقها على مجموعة مناهج علمية مهمة، أهمها المنهج التاريخي والمنهج المقارن ومنهج التحليل النظمي خلال حيثيات الدراسة.

هيكلية الدراسة:

تتوزع الدراسة فضلاً عن المقدمة والخاتمة، بين مبحثين رئيسين، اذ يتناول المبحث الأول استراتيجية إيران إزاء منطقة الشرق الأوسط بعد عام 1979م وعن طريق ثلاث محاور رئيسة, اما المبحث الثاني فيذهب إلى دراسة استراتيجية إيران إزاء منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2005م والتي عرفت بوثيقة رؤية 2025م ومن خلال ثلاث محاور رئيسة ايضاً.

المبحث الأول: استراتيجية إيران إزاء منطقة الشرق الأوسط بعد عام 1979م

كتاب التحالف الخفي بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران و«إسرائيل"(The Treacherous Alliance) للكاتب ورجل الاعمال الإيراني- أمريكي الجنسية (تريتا بارسي) Trita Parsi أكد فيه وبعد لقاءات مع مسؤولين إيرانيين وأمريكيين و«إسرائيليين"، ان الاعتبارات الجيوسياسية لها الأولوية بشكل أكبر على الاعتبارات الآيديولوجية والعقائدية في السياسة الخارجية الإيرانية، ومن ثم فإن إيران تتعامل مع العالم الخارجي المحيط بها على مستويين، الأول وهو المعلن ويتمثل بالمستوى الآيديولوجي، والثاني وهو الخفي ويتمثل بالمستوى الجيوستراتيجي[1].

إنَ الدافع المحدد للنشاط والفعالية والطموح الإيراني في منطقة الشرق الأوسط هو شعورها الحاد بالحاجة إلى الأمن نتيجة فقدانها له تاريخياً بسبب التدخل الخارجي الذي مرت به[2]، ومن ثم فإن منطقة الشرق الأوسط لها أولوية كبرى في الاستراتيجية الإيرانية، مقارنة مع المناطق الأُخرى التي تولي إيران اهمية لها كالحال مع منطقة آسيا الوسطى وشبه القارة الهندية وأفريقيا، وهذه

[1] عبدالله فهد النفيسي، "معضلة إيران الاستراتيجية"، في كتاب: عبدالله فهد النفيسي(مقدماً)، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، ط3, دار البشير للثقافة والعلوم ومركز امية للدراسات والبحوث الاستراتيجية, جمهورية مصر العربية, 2015م, ص16.

[2] Suzanne Maloney, The Roots and Evolution of Iran's Regional Strategy, Brent Scowcroft Center on International Security, The Atlantic Council of the United States, Washington, DC, U.S.A, September 2017, P9.

الاهمية ناجمة عن مدى القدرات والامكانيات والأدوات وطبيعة الموقف بما يشتمل عليه من فرص قابلة للتوظيف في حدود هذا الاقليم وفقاً للاستراتيجية الإيرانية، دون ان يكون هناك نفي للقدرات والأدوات التي تتمتع بها إيران في المناطق آنفة الذكر، ولكنها ليس على المستوى نفسه في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي بشكل خاص، من حيث التأثير السياسي والجيوستراتيجي[3]، فالخليج العربي والذي هو جزء من منطقة الشرق الأوسط تأتي اهميته كونه المنفذ البحري الوحيد لإيران والذي يمتد من شط العرب حتى خليج عمان بطول يقارب(1200) كم, فضلاً عن الاهمية التجارية سواء بالنسبة للصادرات أو الواردات, بما في ذلك صادرات الطاقة النفطية وغيرها من الموارد, أذ ان ما يقارب(90%) للدخل العام يعتمد على الصادرات النفطية، وان نجاح برامج الحكومة الإيرانية للتنمية يعتمد على ذلك، وتأتي اهمية هذا المسألة بارتباطها بـ(مضيق هرمز) المخرج النفطي الوحيد بالنسبة لإيران، وعليه فإن أمنه لا يتجزأ عن الأمن الإيراني، ولعل هذا الاعتماد الإيراني في تصدير النفط عن طريق الخليج العربي، مرده عدم امتلاكها لخطوط الانابيب اللازمة القادرة للوصول إلى البحر الابيض المتوسط من أجل نقل النفط الإيراني كما هو الحال بالنسبة للعراق، ومن هنا تأتي الاهمية الاستراتيجية للخليج بالنسبة للاستراتيجية الإيرانية لغرض العمل على ضمان حرية وأمن الملاحة وسلامة وحماية مؤسساتها ومنشئاتها النفطية من أي اعمال تخريبية أو غير ودية من قبل فاعلين في المنطقة يتم تصنيفهم بكونهم غير اصدقاء سواء أكانوا جماعات أو حركات أو حكومات، ومن جانب آخر تأتي اهمية منطقة الخليج بقربها من المناطق الغنية بالنفط في الجزء الجنوبي-الغربي من إيران ووجود الطاقة في المياه الاقليمية والجرف القاري لها[4].

يستند المشروع الإيراني في منطقة الشرق الأوسط من اجل تحقيق أهدافه ومصالحه بالاعتماد على طرح نظرية متمثلةً بوجود توازن الرعب مع وجود النشاط الإيراني في المنطقة، سوف يشكل دافعاً وضغطاً على الولايات المتحدة الأمريكية لكي تتقبل إيران بدورها الوظيفي الاقليمي كشريك اقليمي، ومن ثم تقاسم المصالح والنفوذ والهيمنة في ظل التنافس في لاعبين اقليميين كالحال مع اللاعب "الاسرائيلي" على دور الوكيل المعتمد في المنطقة التي تعاني من غياب نظام اقليمي رسمي، وعليه فإن المشروع الإيراني لا ينافس أو يعارض أو يتصادم مع المصالح الأمريكية في المنطقة[5]، ومن ثم فإن إيران تسعى لتغيير النظام الجيوسياسي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية لغرض اكتساب دور فاعل في النظام الاقليمي، وذلك في ظل المعتقدات لدى

[3] Firas ELIAS, "The Future of Iran's Influence in The Middle East", Bölgesel Araştırmalar Dergisi. ANKARA KRIZ VE SIYASET ARASTIRMALARI MERKEZI(ANKASAM), Ankara، Turkey, Ekim 2017، P107.

[4] د. ممدوح الجازي، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة 2003-2011م, ط1, الاكاديميون للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, 2014م, ص95.

[5] الدكتور مصطفى اللباد، "ملامح المشروعين التركي والإيراني في المنطقة العربية بعد أحتلال العراق"، أوراق الشرق الأوسط، العدد(40), المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط, القاهرة, جمهورية مصر العربية, 2008م, ص90.

كبار الشخصيات الحكومية الإيرانية[6]، فمن وجهة نظر المرشد الأعلى(علي خامنئي) وكبار القادة في الحرس الثوري الإيراني، أن الولايات المتحدة الأمريكية تعارض بشكل جذري الثورة الإيرانية التي حدثت عام 1979م[7]، ومن ثم فهي تعد قوة معادية وتحدي وجودي بالنسبة لإيران[8]، وان هذه العداوة ذات طابع مؤسسي ومنهجي، وهي تعود إلى التعارض الآيديولوجي بين الطرفين بما لا يمكن التوفيق بينهما[9]، وانها تريد تغيير النظام السياسي الإيراني القائم من خلال العديد من الادوات مثل دعم المعارضة الداخلية أو فرض عقوبات اقتصادية أو اقامة الاحلاف الاقليمية المضادة أو غيرها[10]، وهذا الامر يتطلب من إيران العمل على حماية ذاتها وثورتها، وان تعمل على دعم ومساندة الدول "الإسلامية" الخاضعة للهيمنة الأمريكية وصولاً لـ«تحريرها"[11]، ووفقاً للدستور الإيراني يجب على إيران ان تكون قادرة على "القضاء على الامبريالية والنفوذ الاجنبي" في منطقة الشرق الأوسط وخارجه، وطالما ان الجمهورية الإسلامية قائمة فسوف تبقى معارضة آيديولوجياً للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، سيما "إسرائيل"، ودول مجلس التعاون الخليجي، وعليه فإن هذا العداء بحد ذاته يعد متغيراً اساسياً في تبرير وجود النظام السياسي الإيراني، ومن جانب آخر يجب عليها الاستمرارية في التنافس مع الولايات المتحدة الأمريكية كونها القوى العظمى الوحيدة في العالم[12]، وان إيران هي القوة الموازنة الوحيدة "للإمبريالية" الأمريكية في المنطقة[13]. ويمكن بيان أهم محددات هذه الرؤية وكالآتي:

طبيعة الاستراتيجية الاقليمية الإيرانية إزاء منطقة الشرق الأوسط بعد 1979م:

وضعت إيران الُأسس الخاصة بمشروعها (الاستراتيجية الوطنية-نظرية أم القرى) خلال ثمانينيات القرن الماضي، والذي من خلاله سوف يكون لإيران نوع من القدسية في العالم الإسلامي "كونها تعد أم القرى وان الدفاع عنها واجب يعلو على كل مصلحة أُخرى" وهو ما يشكل أهمية آيديولوجية، فضلاً عن انه يعطي أهمية جيوسياسية للموقع الجيوبوليتيكي الإيراني في سياستها الخارجية تحقيقاً للتوسع والنفوذ والهيمنة الإيرانية في المحيط الخاص بها، وتركز هذه الاستراتيجية في معالمها العامة على ثلاث عناصر اساسية بالنسبة لإيران[14]:

---

[6] Farzan Sabet and Roozbeh Safshekan، Soft War - a new episode in the old conflict between Iran and the United States، the Center for Global Communication Studies' Iran Media Program، University of Pennsylvania، Philadelphia، U.S.A، 2013، P24.

[7] افشان استوار، المعضلات الطائفية في السياسة الخارجية الإيرانية: حين تتصادم سياسات الهوية مع الاستراتيجية، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، لبنان، تشرين الثاني/نوفمبر 2016م, ص16.

[8] Farideh Farhi، Iranian Power Projection Strategy and Goals، CSIS Middle East Program، The Center for Strategic and International Studies(CSIS)، Georgetown University، Washington، D.C.، U.S.A، April 2017، P1.

[10] Kenneth Katzman، "Iran's Foreign and Defense Policies"، CRS reports، R44017، Congressional Research Service(CRS)، The Library of Congress، Washington، DC، U.S.A، March 15، 2019، P1.

[9] علي رضا نادر، "إيران بعد القنبلة: كيف يمكن لإيران المسلحة نووياً ان تتصرف؟"، ط1, دراسات عالمية, العدد(133), مركز الأمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, ابوظبي, دولة الامارات العربية المتحدة, 2014م, ص10.

[11] إف. ستيفن. لاربي وعليرظا نادر، العلاقات التركية-الإيرانية في شرق اوسط بات متغيراً، مؤسسة RAND، واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية، 2013م, ص6.

[12] علي رضا نادر، مصدر سبق ذكره، ص10.

[13] إف. ستيفن. لاربي وعليرظا نادر، مصدر سبق ذكره، ص2.

[14] علي حسين باكير، "إيران والتنافس الشرق أوسطي: التقاء وتصادم المشاريع(تركيا وإسرائيل)"، في كتاب: عبدالله فهد النفيسي(مقدماً)، مصدر سبق ذكره، ص61-62.

1 لا بد من الحفاظ وتثبيت السمة الإسلامية في النظام السياسي الإيراني، فضلاً عن موقع إيران ضمن العالم الإسلامي.

2 حماية الأمن الإيراني والدفاع عنه.

3 التوسع بالمستوى الإقليمي. وثمة تفسير لهذه النقطة، إذ يشير الدكتور(محمد جواد لاريجاني) مفسراً بإن هذه الاستراتيجية توجه إيران بعدم الاكتفاء بدورها المحلي ضمن حدودها الضيقة جغرافياً، لأن العالم الإسلامي بحاجة إلى دولة لها القدرة على قيادته، وإيران هي الدولة الوحيدة القادرة على ذلك وهذا يعد لحظة تاريخية لتحقيق هدفها ودورها.

وفي هذا المجال يقدم مرشد الثورة الإسلامية في إيران(آية الله علي الخامنئي) أسباباً سبعة لموقف الولايات المتحدة الأمريكية من الثورة الإيرانية والتي تكمن في"عدم فصل الدين عن السياسية وتأسيس الجمهورية الإسلامية على قاعدة إسلامية، الاستقلال السياسي لهذا النظام بمعنى عدم الاستسلام للغطرسة التي دأبت عليها القوى العظمى، التصريح بموقف الجمهورية الإسلامية الواضح حيال قضية فلسطين والذي هو عبارة عن حل الكيان الصهيوني وقيام حكومة فلسطينية من الفلسطينيين انفسهم يعيش في ظلها المسلمون والمسيحيون واليهود في فلسطين، تقديم الدعم المعنوي والسياسي للحركات الإسلامية كافة وشجب الضغوط التي تمارس ضد المسلمين في بقاع العالم كافة، الدفاع عن عزة الإسلام والقرآن الكريم وكرامة الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) وكافة الأنبياء ومجابهة مؤامرة توسيع رقعة انتهاك حرمة المقدسات، رفض الثقافة الغربية التي تسعى حكومات الغرب لفرضها بتعنت وقصور نظر على شتى شعوب العالم والتركيز على احياء الثقافة الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي، مكافحة الفساد والانحلال الإخلاقي"[15].

سعت إيران إلى ان تكون مركزاً ومحوراً رئيساً في العالم الإسلامي "الشيعي"، وأداتها في تحقيق ذلك هو القيام بدور اقليمي فاعل ومؤثر ومن ثم توظيف هذا الدور ضمن توازن القوى الاقليمي ومعادلاته، وهذه المسألة أكدت عليها "نظرية أم القرى" وطبقتها واقعياً[16]، من خلال استثمار العديد من المتغيرات المحيطة بها، سيما غياب نظام اقليمي عربي واقعي، وتخبط السياسات الأمريكية وحسابتها في المنطقة، والقيام بدور اقليمي فاعل غير مرغوب أمريكياً الفاعل الرئيس والمؤثر في منطقة الشرق الأوسط، ومن ثم تقديم أنموذجاً جديداً ومغايراً في منظومة العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي(السابق) وبروز الولايات المتحدة الأمريكية كقطب رئيس في النظام الدولي[17].

[15] أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية الإيرانية 1979-2011م, ط1, دار الجنان للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, 2012م, ص247.

[16] Firas ELIAS, Op.Cit, P.126.

[17] د. مصطفى اللباد، "قراءة في مشروع إيران الاستراتيجي تجاه المنطقة العربية"، مجلة شؤون عربية، العدد (129) , الامانة العام لجامعة الدول العربية, القاهرة, جمهورية مصر العربية, 2007م, ص34.

معوقات الاستراتيجية الاقليمية الإيرانية إزاء منطقة الشرق الأوسط ما بعد 1979م:

كان هناك العديد من المتغيرات الاقليمية والدولية التي أدت إلى تراجع المشروع الإيراني في تحقيق أهدافه ولعل في مقدمتها الحرب العراقية-الإيرانية1980-1988م[18] وتفكك الاتحاد السوفيتي(السابق) وانتهاء الحرب الباردة 1991م, وحرب الخليج الثانية 1991م, ومن ثم احداث 11 ايلول/سبتمبر 2001م وانتهاء حكم طالبان في أفغانستان 2002م واحتلال العراق عام 2003م، جميع هذه المتغيرات وغيرها مثل الضغوط الأمريكية ومساعيها لعزل إيران تمهيداً لإسقاط نظام الحكم فيها، شكلت مخاطر أمنية متعددة إزاء إيران بسبب موقعها الجيوستراتيجي وهو ما فرض عليها السعي إلى مواجهة هذه التحديات والمعوقات من خلال بناء منظومة تحالفات اقليمية ودولية قادرة على حمايتها وتعزيز نفوذها ومواجهة الأخطار المتنوعة ولعل أبرزها وجود الأقليات العرقية والمنتمية لدول أُخرى مثل التركمان والآذريين سيما في شمال إيران[19]، والمخاطر القريبة من الحدود الشرقية لإيران والمتمثلة بالوجود الأمريكي في أفغانستان، فضلاً عن الوجود الأمريكي في العراق والقريب من الحدود الغربية لإيران، ومخاطر وضغوطات حركات "الربيع العربي"[20]، ولكن من جانب آخر، المتغيرات الاقليمية الجديدة شكلت فرصة لإيران في منطقة الشرق الأوسط لتعمل على تعديل مشروعها الاقليمي أو العمل على تغييره وطرح بديل عنه يحقق لها رؤيتها وهدفها الاستراتيجي المتمثل في ان تكون إيران فاعل اقليمي قوي ومؤثر في المنطقة، وهو ما تعمل إيران على تحقيقه من خلال سعيها للحصول على الاعتراف الدولي بدورها الاقليمي الجديد والمنفرد في منطقة الشرق الأوسط[21].

الأنموذج الأمني الإيراني إزاء منطقة الشرق الأوسط ما بعد عام 1979م:

منطقة الشرق الأوسط تعد بيئة فوضوية وغير مستقرة بالنسبة لإيران، وهي منطقة قابلة للتقلبات المستمرة، بغض النظر عن تنافسها القائم مع الولايات المتحدة الأمريكية و«اسرائيل"، ذلك ان التركيبة الايديلوجية-المذهبية والقومية لإيران كونها أمة شيعية ذات أغلبية فارسية في منطقة غالبيتها من القومية العربية ومن السنة، جعل منها دولة غير آمنة وقلقة بشكل دائم، ومهما كانت طبيعة النظام السياسي فيها سواء كان امبراطورياً أو ثيوقراطياً أو ديموقراطياً، فإنه يرى التهديدات الاقليمية والدولية بمقياس واحد[22]، ومن ثم فإن فكرة عدم الأستقرار للمنطقة تثير بخصوصها الكثير من الاسئلة، أكثر مما تثير الاجابات عنها، وكلما بدأت في الأستقرار نسبياً، بالشكل الذي يوحي امكانية تصور لملامح بناء نظام اقليمي أمني جديد ومستقر، بما يتضمنه من فاعلين وتفاعلات وأسس وقواعد لـ«بيئة استراتيجية" قابلة للأستقرار، ما تلبث إلا بوقوع حالة من الصراع والتنافس غير المتوقع نتيجة لمتغيرات متعددة، لتبدأ معها حالة من عدم الأستقرار مرة

[18] مارينا أوتاواي وآخرون، الشرق الأوسط الجديد، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية، 2008م, ص12.

[19] مصطفى علوي، المشروع الإيراني في الشرق الأوسط بين الاستمرارية والتغيير، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الاردن، 2012م, ص425-426.

[20] Suzanne Maloney, Op.Cit, P.3.

[21] إف. ستيفن. لاربي وعلي رضا نادر، مصدر سبق ذكره، ص6.

[22] علي رضا نادر، مصدر سبق ذكره، ص11.

أُخرى، ولكن في ظل حالة التنافس والصراع الحالية التي تعيشها منطقة الشرق الأوسط، ليست ناجمة من متغيرات خارجية كما هو الحال بالنسبة لحرب اقليمية مثل حرب عام 1967م, أو لحركة غير تقليدية من خارج المنطقة كما هو الحال لعملية السلام 1977م, أو حتى ثورة منفصلة كحال الثورة في إيران عام 1979م, أو لمتغير دولي كبير كالحرب على أفغانستان عام 2001م, أو الغزو الخارجي كاحتلال العراق عام 2003م، بل تمثلت حالة التغيير من الداخل أكثر منه للخارج نتيجة العديد من "الثورات الشعبية" ضد أنظمة الحكم في عدد من البلدان مثل مصر وليبيا وسوريا واليمن وغيرها، الأمر الذي أدى إلى تفكك وضعف عدد من الوحدات الاقليمية، وخلق بيئة استراتيجية تتسم بالغموض والتشتت والتغيير المستمر بالشكل الذي يصعب من عملية توقع الاحداث وتصورها مستقبلاً وسيما من لدن صانع القرار، وهذا التوقع يعد جوهر النظام الجديد، وعلى هذا الاساس فإن منطقة الشرق الأوسط تعد منطقة خالية من أي منظومة اقليمية أمنية شرعية شاملة لجميع الفاعلين الاقليميين، رغم الجهود التي بذلت وتبذل في سبيل ذلك، ومنها جهود ومبادرات الجامعة العربية ومبادرة الحوار عبر المتوسط والمبادرة الأمنية لحلف شمال الاطلسي(NATO) المعروفة بإسم منتدى اسطنبول للتعاون عام 2004م، لم تلفح في تحقيق انجازات على المستوى الأمني، الامر الذي انعكس على دول المنطقة بالاعتماد على نفسها بشكل منفرد بوضع تصورات أمنية اقليمية بما يخدم أهدافها ومصالحها واستراتيجياتها[23]، ومن بين هذه الدول كانت إيران، والتي وجدت نفسها محاطة بالطوق الأمريكي حولها في أفغانستان والعراق، لتبدأ عملية البحث عن آليات لضمان دور فاعل لها في المنطقة[24]، وتتلخص الرؤية الأمنية الاقليمية الإيرانية بما هو آت[25]:

1 بناء نظام أمني على ان تكون إيران هي قاعدته المركزية.

2 إخلاء المحيط الإيراني من أي قوة عسكرية دولية، ويشمل ذلك منطقة الخليج العربي والمناطق المجاورة لإيران.

3 التخفيف من حدة سباق التسلح في منطقة الخليج.

4 الأعتراف بالنفوذ الإيراني على المستوى السياسي في المنطقة وسيما في العراق وسوريا واليمن والبحرين.

5 الاعتراف بحق إيران في امتلاكها الاسلحة النووية، أو على أقل تقدير التكنولوجيا النووية.

يتضح مما سبق، ان الاستراتيجية الإيرانية إزاء الشرق الأوسط وفق الرؤية الأولى 1979م, كانت ناجمة من عدة اعتبارات داخلية وخارجية انعكست على الوضع الإيراني الجديد وعلى مدركات صناع القرار لبناء استراتيجية توافقية مع هذه المحددات والتي كان أهمها, ادراك صناع القرار في إيران

[23] Firas ELIAS, Op.Cit, P.114-115.

[24] توماس ليندیمان، "الخطاب الداخلي في إيران والتحديات الأمنية الحقيقة"، ط1, سلسلة محاضرات الامارات, العدد(179), مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, ابوظبي, الامارات العربية المتحدة, 2014م, ص22.

[25] Firas ELIAS, Op.Cit, P.114-115.

للوضع غير المستقر لمنطقة الشرق الأوسط وغياب نظام أمني اقليمي قادر على ضمان الأمن الإيراني والذي يعد جزء من أمن المنطقة نفسها، والسعي للقيام أو بامتلاك دور اقليمي فاعل ومؤثر مدعوم دولياً سيما من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والتي ترى إيران انها تمثل خطراً وجودياً بالنسبة لها لتعارضها مع مبادئ الثورة الإيرانية واستراتيجيتها في المنطقة ظاهرياً أو ايديولوجياً، اما جيوسياسياً فإن إيران تسعى للتوافق والتنسيق مع الولايات المتحدة الأمريكية في تحقيق الأهداف والمصالح المشتركة في المنطقة كلاعب اقليمي فاعل موازن أو متحالفاً للاعب دولي مثل الولايات المتحدة الأمريكية، فضلاً عن الأهمية الاستراتيجية للمنطقة بالنسبة لإيران والتي ترى فيها من المصالح والأهداف الحيوية سيما مصادر الطاقة والطريق الاستراتيجي لصادرات النفط الإيرانية للخارج، كما هو الحال بالنسبة لـ(مضيق هرمز) المنفذ الوحيد لإيران في منطقة الخليج للعالم الخارجي، الان ان المشروع الإيراني ورؤيتها قد واجهت العديد من التحديات والتي ادت إلى تراجع هذا المشروع واستراتيجيته بشكل تدريجي كان أهمها حرب الخليج الأولى والثانية وتفكك الاتحاد السوفيتي(السابق) وبروز قطب مهيمن للنظام الدولي، وأحداث 11 ايلول/ سبتمبر والحرب الأمريكية في افغانستان والعراق, وغيرها من المتغيرات والتي ان من شانها ان أدت إلى كشف الكثير من نقاط الضعف في الاستراتيجية الإيرانية الأولى للمنطقة, كان من الضرورة العمل على معالجتها وادارتها والعمل على اجراء التغذية العكسية الايجابية والسلبية لدى صناع القرار في إيران وتبني رؤية واستراتيجية أُخرى تكمل الاستراتيجية الأولى وهو الامر الذي تمثل بطرح استراتيجية إيران إزاء الشرق الأوسط العشرينية 2005-2025م، وهو ما سنبحثه تباعاً.

المبحث الثاني: استراتيجية إيران إزاء منطقة الشرق الأوسط بعد عام 2005م

أدت المتغيرات والتحولات الاقليمية والدولية التي شهدتها إيران داخلياً وخارجياً ما بعد قيام الثورة في شباط/فبراير 1979م وخلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي إلى اختبار حقيق لاستراتجيتها الاقليمية التي عرفت بأسم(أم القرى) والتي استطاعت ان تحقق بعض أهدافها وتراجع البعض الآخر، وفي الوقت الذي شكلت هذه المتغيرات معوقات وتحديات أمام إيران في تحقيق أهدافها ومصالحها القومية على المستوى الاقليمي والدولي، فإنها شكلت أيضاً دوافع لإيران في فهم وتوظيف هذه المتغيرات لتعديل خططها وسلوكها الخارجي بالشكل الذي يؤدي إلى تحقيق أهدفاها ومصالحها القومية بل ورسم أهداف أكبر وطموح يتناسب مع الامكانيات ومقومات القوة الداخلية والخارجية وهو ما عرف بوضع استراتيجية جديدة مكملة للاستراتيجية الأولى(أم القرى) والتي يمكن التعرف عليها بما هو آت:

طبيعة الاستراتيجية الاقليمية الإيرانية(الاستراتيجية العشرينية) إزاء منطقة الشرق الأوسط 2005-2025م:

تبنت إيران استراتيجية ثانية تضاف إلى استراتيجيتها الأولى والتي عرفت بأسم مشروع "الاستراتيجية الإيرانية العشرينية 2005-2025م" وقد شكلت وثيقة رسمية تتضمن أهم التصورات

والرؤى للدور الإيراني مستقبلاً خلال عقدين من الزمن، وبحسب هذه الاستراتيجية تسعى إيران لتحقيق مجموعة من الأهداف غايتها النهائية ان تتحول إيران إلى قوة دولية ضمن اطار النظام الدولي، ومصدر الهام ومحوراً للعالم الإسلامي، وتنعكس كل ذلك على محيطها الاقليمي[26]، والسعي إلى منع تحويل الشرق الأوسط إلى منطقة منقسمة بين قطبين طائفيين، والعمل على تبني موازنة قادرة على تبني دوراً اقليمياً فاعلاً بين أكثر من قطبين في المنطقة، ذلك ان الانقسام على أُسس مذهبية وقيام اقطاب رئيسة لكل طائفة أو أقلية معينة، من شأنه ان يؤدي إلى زيادة حدة وحجم الصراع في الشرق الأوسط، وتكون حدود التقسيم واضحة للجميع ولا وجود للخط الوسط، بل ويتم تخوين كل من يتعدى هذه الحدود في داخل كل قطب، اما بالنسبة للعلاقة بين القطبين فتكون ذات صفة تصارعية على المستوى الخطابي والمستوى العملي، لتعكس إيران بهذه الرؤية استراتيجيتها الاقليمية الجديدة والشاملة[27]، وتتمثل بتحويل إيران إلى القوة الأولى المحورية في منطقة الشرق الأوسط، وذلك بحسب ما جاء في مشروع "رؤية 2025م" والتي اكدت على وجوب تحويل إيران إلى فاعل اقليمي اساس في منطقة جنوب شرق آسيا والتي تضم(25) دولة وهي(دول آسيا الوسطى وتركيا, افغانستان, باكستان, العراق, اليمن, سوريا, سلطنة عمان, المملكة العربية السعودية, الإمارات العربية المتحدة, الكويت, البحرين, قطر, لبنان, الاردن, فلسطين, مصر) أي أنها تشتمل على منطقة الشرق الأوسط ككل, بداية من مصر ومروراً باليمن وباكستان, ومن ثم جمهوريات آسيا الوسطى وتركيا وصولاً إلى لبنان, وهذه الوثيقة تشمل أيضاً خططاً للمجالات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والصناعية والاجتماعية, وهي قائمة على التنافس البناء وليس على الصراع, وان إيران سوف لن تشكل مصدراً للتهديد لأي طرف, وتشير الوثيقة إلى أهمية مقومات القوة لمنطقة جنوب شرق آسيا وسيما في الجانب الجغرافي والجانب السكاني, اذ تبلغ مساحة هذه المنطقة ما يقارب(12) مليون كم, وتعداد سكاني يصل الى(530) مليون نسمة، ومن أجل ضمان تحقيق المكانة الاقليمية المرغوبة إيرانياً فلا بد من التأكيد على "معدل النمو الاقتصادي" فبالنسبة لإيران يجب ان يكون معدل نموها الاقتصادي في عام 2025م, بحدود(8%), وتشير الخطة إلى امكانية تحقيق هذه النسبة وفقاً للقراءات السابقة لمعدلات النمو الاقتصادي الإيراني منذ عام 1995-2006م، مع افتراض ان الظروف الدولية والاقليمية تتماشى مع الرؤية المستقبلية لهذه الوثيقة بتحقيق تقارب تدريجي بين إيران والقوى الكبرى، مع ضرورة "بناء الثقة بين دول جنوب غرب آسيا"[28].

ووفقاً للوثيقة الرسمية الإيرانية، فإن إيران تسعى إلى ان تكون محوراً مركزياً لمجموعة من الدول والقوى والحركات المنتشرة في داخل منطقة جنوب غرب آسيا(وبخاصة المنطقة العربية من مصر وسوريا وصولا للجزيرة العربية) تحقيقاً للنفوذ والهيمنة، وذلك بحسب قدراتها وامكانياتها الداخلية والخارجية ووضعها الجيو-سياسي والجيو-اقتصادي والاتصالي، لتتحول إيران إلى القوة

[26] علي حسين باكير، "إيران والتنافس الشرق أوسطي: التقاء وتصادم المشاريع(تركيا وإسرائيل)"، في كتاب: عبدالله فهد النفيسي(مقدماً)، مصدر سبق ذكره، ص96.

[27] د. حسن احمديان، "الموقف الإيراني من تطورات اليمن: وجهة نظر إيرانية"، تقارير الجزيرة، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 25 حزيران/يونيو 2015م, ص3.

[28] عبدالله فهد النفيسي، "معضلة إيران الاستراتيجية"، في كتاب: عبدالله فهد النفيسي(مقدماً)، مصدر سبق ذكره، ص27-28.

القيادية والريادية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً-أمنياً للنظام الاقليمي لهذه المنطقة بالتعاون مع بعض القوى الأُخرى، وعدم المواجهة مع القوى الخارجية المهيمنة على مستوى النظام الدولي، إلا في المناطق التي تضم مصالح متناقضة بين الاطراف[29]، ومن ثم فإن هدف المشروع الإيراني يتمثل تعزيز دور إيران الإقليمي وتأثيرها -السياسي والأيديولوجي والاقتصادي- بما يتماشى مع حجم وقدرات إيران سيما في ظل الفراغ الإقليمي الذي تعيشه المنطقة وحماية سيادة الجمهورية الإسلامية واستقلالها بما يتماشى مع تاريخ البلاد وتجربتها ومثلها الثورية[30]، وهو ما أكده المرشد الأعلى(علي خامنئي) في نيسان/ابريل 2018م، بعد التصريحات الأمريكية بضرورة خروج إيران من سوريا، بالقول: "الشخص الذي يجب أن يغادر هو الولايات المتحدة، وليس الجمهورية الإسلامية. نحن من هذه المنطقة: الخليج الفارسي هو وطننا. غرب آسيا هو وطننا"[31].

يمكن القول ان معظم هذه الرؤى والطروحات لا تختلف عن الطموح الإيراني القديم على عهد الشاه، الا من حيث السمة أو الصفة لهذه الطموحات والتي كانت ملكية على عهد الشاه، لتأخذ طابعاً اسلامياً بعد عام 1979م، وهي تلخص رؤية قاد الثورة الإيرانية(آية الله الخميني) للطموح الإيراني على المستوى الاقليمي بحسب ما نقله عنه الرئيس الإيراني الأول بعد الثورة(ابو الحسن بني صدر) والذي قال: "كان الخميني يقول انه يريد اقامة حزام شيعي للسيطرة على العالم الإسلامي، وكان هذا الحزام يتألف من إيران والعراق وسوريا ولبنان، وعندما يصبح سيداً لهذا الحزام يستخدم النفط وموقع الخليج العربي للسيطرة على بقية العالم الإسلامي"[32].

معوقات الاستراتيجية الاقليمية الإيرانية إزاء منطقة الشرق الأوسط ما بعد عام 2005م:

إن الانموذج الإيراني من جانب آخر، يواجه معوقات مهمة فاعلة ومؤثرة على المستويين الخارجي والداخلي ومن أهمها[33]:

1 معوقات خارجية تتمثل بإستمرارية الضغط الدولي وقيوده بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها على الرغم من توقيع الاتفاق النووي مع إيران[34]، الامر الذي كان وما زال يشكل تداعيات مهمة تؤثر بصورة سلبية على إيران اقتصادياً وسياساً وعسكرياً، فضلاً عن استمرارية القناعة الأمريكية وتصورها في ان إيران تشكل قوة مهددة للأمن والأستقرار الدوليين في منطقة الشرق الأوسط، وهو ما أشار إليه مستشاري الرئيس الأمريكي السابق(دونالد ترامب)[35]، فضلاً عن تأكيد الرئيس الأمريكي(جو بايدن) لمجلس العلاقات

[29] علي حسين باكير، "إيران والتنافس الشرق أوسطي: التقاء وتصادم المشاريع (تركيا وإسرائيل)"، في كتاب: عبدالله فهد النفيسي(مقدماً)، مصدر سبق ذكره، ص96-97.

[30] Farideh Farhi, Op.Cit, P.2-3.

[31] Alex Vatanka, Iran's USE of Shi'i militant proxies: Ideological and Practical expediency versus uncertain sustainability, POLICY PAPER 2018-5, The Middle East Institute, Washington, D.C.، U.S.A, JUNE 2018, P17.

[32] نقلاً عن: علي حسين باكير، "إيران والتنافس الشرق أوسطي: التقاء وتصادم المشاريع(تركيا وإسرائيل)"، في كتاب: عبدالله فهد النفيسي(مقدماً)، مصدر سبق ذكره، ص97.

[33] Firas ELİAS, Op.Cit, P.115.

[34] توصلت إيران والدول الست الكبرى في مدينة لوزان السويسرية في 2 نيسان/أبريل 2015م إلى "اتفاق إطار" سيقود إلى حل نهائي لملف البرنامج النووي الإيراني. للمزيد ينظر: Alex Vatanka, Op.Cit,P.14.

[35] Farideh Farhi, Op.Cit, P.2.

الخارجية بأن إيران تمثل قوة "مزعزعة للأستقرار" في المنطقة ويجب ان لا يسمح لها بتطوير اسلحة نووية مطلقاً[36].

2 معوقات داخلية متمثلة بضغوطات مستمرة من قبل شرائح الرأي العام الإيراني إزاء النظام السياسي، سيما في مجالات حقوق الانسان والحريات والبطالة والصحافة والاعلام، مما انعكس سلباً على شرعية النظام السياسي نتيجة فقدان دعم القوى المجتمعية الداخلية للنظام السياسي وحركته الخارجية وعلى جميع المستويات، لتشكل تداعيات مهمة في ترتيب الأولويات الرئيسة للاستراتيجية الإيرانية وضرورة تحقيق التوازن ما بين متطلبات البيئة الخارجية والطموح الإيراني الذي يسعى لأن تكون إيران قوة اقليمية فاعلة ومؤثرة من خلال برنامجها النووي المعرض للتدمير، وما بين السعي لإنقاذ اقتصادها الضعيف بسبب الضغوطات والعقوبات الدولية، والتغاضي عن طموحات المجتمع الإيراني ومتطلباته والتي لها دورها الكبير في تحديد إدراك وسلوك الناخب الإيراني، وهو الامر الذي بدأ واضحاً في الانتخابات الرئاسية الإيرانية في آيار/مايو 2017م، اذ هيمنت القضايا المجتمعية الداخلية على السياسة الخارجية الإيرانية وأهدافها.

الأنموذج الأمني الإيراني إزاء منطقة الشرق الأوسط ما بعد عام 2005م

ان النظام الأمني الاقليمي الذي تسعى إيران إلى تحقيقه، والذي تحيطه المعوقات الداخلية والخارجية، يتضمن مجموعة من الآليات لها القابلية على تحقيقه، ويمكن الاشارة إلى اكثرها أهمية وكالآتي[37]:

1 دعم وتطوير القدرات العسكرية-الأمنية الإيرانية على المستويين المادي واللوجستي، بالشكل الذي يعزز من الموقف الإيراني بمواجهة التهديدات الخارجية بتهديدات مماثلة، فضلاً عن القيام بالمناورات ذات الأهداف والمستويات المتعددة والمختلفة لتحقق هدفين أساسين وهما ردع القوات العسكرية الأجنبية المتواجدة في المنطقة من جانب، وتحجيم قدراتها من جانب آخر، وتبني تكتيكيات غير تقليدية في مواجهة المخاطر الخارجية مثل حروب الاستنزاف وحرب العصابات وحرب الأمن السيبراني.

2 العمل على تطوير استراتيجية عسكرية إيرانية في المنطقة، من خلال نقل الأنشطة العسكرية الإيرانية إلى مناطق خارج الحدود الإيرانية، لتشمل بعض الدول التي تسعى إيران إلى بناء وتحقيق النفوذ فيها والتي تجمعها مع إيران مشتركات أيديولوجية، وقاعدة جماهيرية داعمة لها مثل العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين، لتشكل آليات عسكرية بقيادات محلية توجه من إيران، تحقيقاً لاستراتيجيتها، بدلاً من آلية التجنيد التقليدية[38].

---

[36] President-Elect Biden on Foreign Policy, Carnegie Corporation of New York, November 7, 2020, https://www.cfr.org/election2020/candidate-tracker

[37] Firas ELİAS, Op.Cit, P.113-114.

[38] J. Matthew Mcinnis, "Iranian Deterrence Strategy and Use of Proxies", The American Enterprise Institute(AEI), U.S.A, November 29, 2016, P.5.

3 القدرة الإيرانية على إدارة الازمة، من خلال الجمع بين المصالح المتعارضة أو المتضادة، سيما في مواجهة الازمات المعقدة والمؤثرة التي تواجهها إيران منذ قيام الثورة وبشكل مستمر، داخلياً وخارجياً، الأمر الذي فرض على إيران ضرورة تحقيق التوازن والأولويات بين متطلبات البيئة الداخلية وضرورة الحصول على الدعم والقبول والشرعية من قبل شرائح الرأي العام الإيراني للنظام السياسي، بين متطلبات البيئة الخارجية وتحقيق الأهداف والمصالح الخارجية المرغوبة من لدن صناع القرار، من خلال تبني مفاهيم ومصطلحات جديدة، وخصائص وسمات خاصة للتركيبة الاجتماعية والثقافة الشخصية الإيرانية، لتمكن صانع القرار من ادارة الازمات ومعالجتها من خلال الحوارات الثنائية أو المتعددة الاطراف وغيرها من الأساليب.

4 المشروع النووي، يشكل آلية أساسية لدعم وتعزيز مكانة إيران كقوة اقليمية فاعلة ومؤثرة في المنطقة، ولها القدرة على فرض رؤيتها وتصوراتها للنظام الأمني والسياسي الاقليمي للمنطقة، وهو أمر متفق عليه على المستويين الشعبي والرسمي في إيران[39].

5 العمل على صياغة نظام اقليمي ودولي ذو سمة "إسلامية" للمنطقة، وبناء استراتيجية جديدة تتلائم مع الصياغة الجديدة للنظام الاقليمي، وتعديل بعض السياسيات بما يتناسب مع استراتيجيات القوى الكبرى للنظام الدولي ويحقق المصلحة الإيرانية باحتياجاتها السياسية والأمنية في ظل بيئة اقليمية ودولية مستجدة.

يمكن القول ان الأهداف التي تسعى إيران إلى تحقيقها ضمن استراتيجية سياستها الخارجية تتمثل بهدف رئيس لا بد من تحقيقه على المدى البعيد وهو تحويل إيران إلى فاعل اقليمي مؤثر ومحوراً مركزياً تدور في فلكه الدول والحركات والتنظيمات في منطقة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى والتي تضم أكثر من(25) دولة مع قدرات وامكانيات جغرافية وسكانية من شأنها ان تشكل متغيرات مهمة داعمة للقوة الاقتصادية وللنمو الاقتصادي الذي تحتاجه إيران لتتحول إلى القوة والفاعل الاقليمي في المنطقة وتحقق مكانتها الاقليمية التي تسعى اليها, فضلاً عن هدف ثاني والذي يعد غاية ووسيلة في آن واحد الا وهو مواجهة التحديات والضغوط الدولية المحيطة بإيران وحالة العزلة التي تعيشها نتيجة الاتفاق النووي والتصور الأمريكي لإيران في كونها تهدد الأمن والسلم الدوليين في منطقة الشرق الأوسط, مما أدى إلى تراجع نموها الاقتصادي وانخفاض في قوة عملتها المحلية وفقدان السيولة التي هي بحاجة اليها لتحقيق هدفها الاساس, ومن ثم فإن الاستراتيجية الإيرانية ورؤيتها المستقبلية في سياستها الخارجية2025م من حيث تحقيقها وتنفيذها تتأثر بمحددات خارجية متمثلةً بالضغط الدولي واستمراريته بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها وذلك طبعاً في اطار توازنات القوى الاقليمية والدولية والتي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ضد غرمائها الدوليين كروسيا الاتحادية والصين الشعبية، ويمكن لإيران ان تعالج هذه الاشكالية بالانضمام إلى المحور الأمريكي في المنطقة، ومحددات داخلية متمثلة

[38] إف. ستيفن. لاربي وعلي رضا نادر، مصدر سبق ذكره، ص23.

بالضغط الداخلي الناجم عن الرأي العام الإيراني إزاء النظام السياسي بخصوص العديد من القضايا أبرزها حقوق الانسان والصحافة والبطالة، ويمكن لإيران معالجة هذه الاشكالية عن طريق تحقيق النمو الاقتصادي الداخلي والخارجي والذي من شأنه ان ينعكس بصورة ايجابية لدى الراي العام الإيراني لتعمل على تحقيق التوافق المطلوب بين متطلبات البيئة الخارجية وتحقيق الطموح الاقليمي الإيراني وبين متطلبات البيئة الداخلية وتحقيق الدعم الاجتماعي والسكاني للنظام السياسي وشرعيته بما يمنحه القوة والشرعية والدعم في صنع وتنفيذ القرار السياسي الخارجي المطلوب سياسياً واقتصادياً وعسكرياً-أمنياً.

يبدو السؤال المهم الذي يمكن طرحه هو هل يمكن لإيران ان تحقق استراتيجيتها الاقليمية مستقبلاً على المدى القريب(خمس سنوات القادمة)، اجابة على هذا السؤال يعتمد على المتغيرات المحلية والتي تشير إلى وضع إيران اليوم في ظل تراجع اقتصادها المحلي وانخفاض قيمة عملتها نتيجة للعقوبات الاقتصادية المفروضة عليها نتيجة برنامجها النووي وضغوطات الرأي العام المحلي بسبب الحريات وحقوق الانسان وما تمثله من معوقات داخلية من جانب، وقدرتها على التكيف مع هذه العقوبات ومواجهة الضغوط الخارجية بما تمتلكه من مقومات للقوة سياسيا واقتصادياً وعسكرياً وأمنياً، يثبت قدرة إيران مستقبلًا على امكانية تحقيق جزء من أهداف استراتيجيتها الاقليمية.

أما على المستوى الاقليمي، فان الاستراتيجية الإيرانية تواجه عدد من الاستراتيجيات التي تشكل عوائق مهمة وتحديات كما هو حال الاستراتيجيات الاقليمية المتنافسة مثل الاستراتيجية التركية والاستراتيجية "الاسرائيلية" والاستراتيجية السعودية والتي تسعى جميعها إلى تحقيق أهداف ومصالح تتعارض وتتصادم مع أهداف الاستراتيجية الإيرانية الاقليمية في بعضها سيما على مستوى تحقيق دور الريادة والقيادة الاقليمية في النظام الاقليمي فضلاً عن ارتباط هذه الاستراتيجية بمحور دولي معارض للتحرك وللدور الاقليمي الإيراني متمثلاً بالمحور الأمريكي، ولكن من جانب آخر إيران لديها من التحالفات والشراكات مع دول المنطقة والتنظيمات الفاعلة فوق الدولية ما يحقق لها نفوذاً وهيمنةً ينافس ويتفوق في بعض الاحيان لاستراتيجيات الفاعلين الاقليميين آنفي الذكر، وعليه هذا المتغير يؤكد على امكانية وقدرة الاستراتيجية الاقليمية الإيرانية على تحقيق اهدافها ومصالحها المستقبلية في بعضها وامكانية عدم تحقيق البعض الآخر.

أما على المستوى الدولي، نجد ان الاستراتيجية الإيرانية في منطقة الشرق الأوسط تواجه تحديات مهمة وضغوطاً كبيرة سيما من قبل الولايات المتحدة الأمريكية الدول المهيمنة على النظام الدولي ككل كقوة دولية فاعلة ومؤثرة في النظام الاقليمي الشرق أوسطي، والتي تعارض رؤية وتوجهات إيران في تحقيق مصالحها وأهدافها اقليمياً نتيجة اختلاف المدركات والتصورات لكل طرف سيما فيما يخص النظام الأمني للمنطقة والتوتر الكبير الناجم عن البرنامج النووي الإيراني وتداعياته المهمة والمؤثرة على حالة السلم والأمن الدوليين وتهديد المصالح والأهداف الأمريكية في المنطقة من جانب، ومن جانب آخر نجد ان الاستراتيجية الاقليمية الإيرانية 2025م تحظى بدعم من قبل قوى دولية مهمة لا يمكن أبداً التغافل عن تأثيرها وتفاعلها في منطقة الشرق الأوسط كما

هو الحال مع روسيا الاتحادية والصين الشعبية والتي تدخل في إطار التنافس على النفوذ والهيمنة في المنطقة مقابل النفوذ الأمريكي وتعمل على تبني كافة الادوات والقدرات لتحقيق ولتفعيل هذا التنافس ولعل في مقدمتها دعم الحلفاء والشركاء الاقليميين وهو ما ينطبق على الحليف الاقليمي الإيراني، ليكون التأثير الروسي - الصيني الدولي الداعم للاستراتيجية الإيرانية على موازاة التأثير الأمريكي النافذ في المنطقة المضاد للاستراتيجية الاقليمية الإيرانية، وعليه يمكن تحليل ذلك بإمكانية وقدرة الاستراتيجية الإيرانية على توفر الفرص والعوائق الدولية امام تحقيق اهدفاها ومصالحها القومية ضمن استراتيجيتها الاقليمية لعام 2025م خلال الخمس سنوات القادمة.

الخاتمة

تبين الدراسة ان الاستراتيجية الإيرانية منذ قيام الثورة الإسلامية فيها عام 1979م تميزت تجاه الشرق الأوسط بشكل خاص, فقد تمثلت بان هذه المنطقة هي منطقة صراعات مستمرة وتحمل العديد من التهديدات الإقليمية والدولية تجاه إيران, ومن ثم فإن إيران تسعى إلى تطبيق استراتيجية أمنية-عسكرية فضلاً عن استراتيجية سياسية واقتصادية وثقافية-اجتماعية من اجل تحقيق النفوذ والهيمنة في المنطقة وتعزيز مصالحها وأهدافها القومية في المنطقة في ظل حالة الصراع والتنافس التي تشهدها المنطقة على المستويين الإقليمي والدولي, مستخدمة بذلك العديد من المقومات والآليات لتحقيق هذه الأهداف والتي توزعت بين القوة الناعمة والقوة الصلبة والقوة الذكية, وطرحت بذلك رؤيتين استراتجيتين عرفت الأولى بـ(نظرية أم القرى) عام 1979م, وعرفت الاستراتيجية الثانية بـ(الاستراتيجية العشرينية أو رؤية 2025م) والتي طرحت ما بعد عام 2005م، ولكن التطبيق العملي لهذه الاستراتيجية قد واجه العديد من التحديات والعوائق في ظل تصادم الاستراتيجية الإيرانية في بعض الاحيان مع استراتيجيات فاعليين آخرين في المنطقة كالحال مع الاستراتيجية "الإسرائيلية" والاستراتيجية التركية والاستراتيجية السعودية وغيرها، وتطابقها مع هذه الاستراتيجيات في احيان أُخرى، فضلاً عن تأثير المتغيرات الإقليمية والدولية المؤثرة في الشرق الأوسط كالحال مع متغير ما بعد الحرب الباردة، ومتغير احداث 11 ايلول/سبتمبر 2001م والحرب على العراق عام 2003 ومتغير "الربيع العربي" 2011م، والمتغير الأمريكي وتعارضه مع التوجهات الإيرانية كل ذلك متفاعلاً مع توازن القوى الإقليمي والمرتبط والمتأثر بتوازن القوى الدولي في ظل بيئة النظام الدولي، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات أهمها:

1. طرحت إيران رؤيتين إزاء منطقة الشرق الأوسط، الأولى كانت بعد الثورة الإسلامية فيها عام 1979م, والثانية بعد عام 2004م والتي عرفت بوثيقة رؤية عام 2025م.
2. ترى إيران ان منطقة الشرق الأوسط هي منطقة صراعات بالمقام الأول ومتفجرة من الداخل، فما تنتهي ازمة وصراعات الا وتتولد ازمة بدلاً عنها، مما يشكل تهديداً للمصالح والأهداف القومية الإيرانية.

3 سعت إيران إلى تقديم نظام اقليمي بديل عن النظام القائم في منطقة الشرق الأوسط من شانه ان يحافظ على الوجود الإيراني ونفوذه ويحقق الهيمنة فيها، مضاد للنظام الأمريكي-الغربي المسيطر.

4 ان المتغير المحدد لاستراتيجية إيران الاقليمية ودورها في منطقة الشرق الأوسط ينطلق من المتغير الأمني-العسكري.

5 تولي إيران أهمية كبرى للخليج العربي كونه المنفذ البحري الوحيد لها لتحقيق أهدافها السياسية من حيث النفوذ والهيمنة واقتصادية من حيث ضمان امداد خطوط الطاقة وتصديرها إلى البحر الابيض المتوسط وللأهمية الاقتصادية الخاصة باحتياطات النفط والطاقة فيها.

6 تسعى إيران في استراتيجيتها الاقليمية إلى انتزاع دور اقليمي فاعل ومؤثر في المنظومة الدولية التي تقودها الولايات المتحدة الأمريكية من خلال فرض وجودها وحضورها الاقليميين وتأدية دور الموازن الاقليمي مع دول الخليج العربي و«إسرائيل".

7 تعد استراتيجية إيران الاقليمية إزاء منطقة الشرق الأوسط حلقة مكملة لاستراتيجيتها الكبرى والتي تشتمل على استراتيجيات إزاء مناطق اقليمية أُخرى مثل آسيا الوسطى وافريقيا وشبه القارة الهندية وحتى أوروبا.

8 تشكل منطقة الشرق الأوسط حالة من عدم الأستقرار بشكل دائم بالنسبة لإيران ورؤاها الاستراتيجية.

9 سعت إلى إيران في طرح استراتيجية اقليمية فاعلة في منطقة الشرق الأوسط منذ قيام الثورة في شباط/فبراير 1979م والتي ارتكزت على ان تكون إيران مركزاً ومحوراً للعالم الإسلامي ككل من خلال نظرية أم القرى.

10 استطاعت إيران ان تطرح رؤيتها الاستراتيجية لدورها الاقليمي ما بعد عام 1979م مستثمرةً بذلك غياب النظام الاقليمي العربي وتناقضات السياسات الأمريكية بعد صعودها كقطب رئيس للنظام الدولي الجديد.

11 واجهت الاستراتيجية الإيرانية إزاء منطقة الشرق الأوسط العديد من التحديات والمعوقات والتي حالت دون تحقيق اغلب أهدافها ومن بينها الحرب العراقية-الإيرانية 1980-1988م, وحرب الخليج الثانية وانتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي(السابق) وتشكيل نظام دولي جديد 1991م بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية, والحرب على افغانستان 1996م, واحتلال العراق عام 2003م.

12 ان هدف استراتيجية إيران الاقليمية العشرينية 2025م تهدف إلى ان تكون إيران قوة دولية في النظام الدولية أولاً، وان تكون محوراً ومركزاً للعالم الإسلامي بصورة أقل ثانياً، وان

ينعكس جميع ذلك على وزنها ومكانتها الاقليمية ثالثاً.

13 تركز الاستراتيجية الإيرانية العشرينية على منطقة جنوب شرق آسيا والتي تدخل ضمنها منطقة الشرق الأوسط.

14 ان الاداة الرئيسة التي تتبناها إيران في تحقيق استراتيجيتها الاقليمية 2025م هو ان تكون إيران مركزاً لدول المنطقة وليس تابعاً ضمن سياسة الاحلاف والاحلاف المضادة وان تمارس دوراً اقليمياً فاعلاً وموازناً بين أكثر من محور أو قطب.

15 تتعامل إيران مع دول المنطقة سعياً لتحقيق الدور الريادي والقيادي لها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً-أمنياً واجتماعياً-ثقافياً، وتشمل أيضاً التعامل مع القوى والحركات داخل المنطقة.

16 تولي إيران أهمية كبرى لمقومات القوة لمنطقة جنوب شرق آسيا(الشرق الأوسط من ضمنها) سيما الجيوسياسية والسكانية.

17 تواجه الاستراتيجية الإيرانية العشرينية العديد من المعوقات والتحديات الخارجية والداخلية، فعلى المستوى الخارجي تشكل الضغوط الدولية وحالة العزلة التي تمارس من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها ضد إيران بسبب برنامجها النووية معوقات ضاغطة في تحقيق استراتيجية إيران الاقليمية، وعلى المستوى الداخلي فإن قضايا حقوق الانسان والصحافة والاعلام تشكل حاجزاً بين شرائح الرأي العام المحلي الإيراني وبين النظام السياسي في إيران مما يفقده الشرعية والدعم الاجتماعي اللازم والمطلوب لتحقيق الاستراتيجية الاقليمية واهدفها القومية وهو أمر واضح في الانتخابات الإيرانية الرئاسية 2017م اذ هيمنت القضايا الاجتماعية على الانتخابات وطبيعتها.

المصادر

أولاً- المصادر العربية:

أ - الكتب:

1 أحمد نوري النعيمي(دكتور)، السياسة الخارجية الإيرانية 1979-2011م, ط1, دار الجنان للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, 2012م.

2 إف. ستيفن. لاربي وعلي رضا نادر، العلاقات التركية-الإيرانية في شرق اوسط بات متغيراً، مؤسسة RAND، واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية، 2013م.

3 افشان استوار، المعضلات الطائفية في السياسة الخارجية الإيرانية: حين تتصادم سياسات الهوية مع الاستراتيجية، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، بيروت، لبنان، تشرين الثاني/نوفمبر 2016م.

4 سنية الحسيني، "طبيعة الدور الإيراني في الشرق الأوسط"، مجلة آراء حول الخليج، العدد(85), جدة, المملكة العربية السعودية, أكتوبر 2011م.

5 عبدالله فهد النفيسي(مقدماً)، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، ط3, دار البشير للثقافة والعلوم ومركز امية للدراسات والبحوث الاستراتيجية, جمهورية مصر العربية, 2015م.

6 مارينا أوتاواي وآخرون، الشرق الأوسط الجديد، مؤسسة كارنيغي للسلام الدولي، واشنطن، الولايات المتحدة الأمريكية، 2008م.

7 مصطفى علوي، المشروع الإيراني في الشرق الأوسط بين الاستمرارية والتغيير، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، الاردن، 2012م.

8 ممدوح الجازي(دكتور)، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الأمريكية تجاه المنطقة 2003-2011م, ط1, الاكاديميون للنشر والتوزيع, عمان, الاردن, 2014م.

ب- الدوريات والبحوث:

1 توماس ليندیمان، "الخطاب الداخلي في إيران والتحديات الأمنية الحقيقة"، ط1, سلسلة محاضرات الامارات, العدد(179), مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, ابوظبي, الامارات العربية المتحدة, 2014م.

2 حسن احمديان(دكتور)، "الموقف الإيراني من تطورات اليمن: وجهة نظر إيرانية"، تقارير الجزيرة، مركز الجزيرة للدراسات، قطر، 25 حزيران/يونيو 2015م.

3 علي رضا نادر، "إيران بعد القنبلة: كيف يمكن لإيران المسلحة نووياً ان تتصرف؟"، ط1, دراسات عالمية, العدد(133), مركز الأمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية, ابوظبي, دولة الامارات العربية المتحدة, 2014م.

4 مصطفى اللباد(دكتور)، "قراءة في مشروع إيران الاستراتيجي تجاه المنطقة العربية"، مجلة شؤون عربية، العدد(129), الامانة العام لجامعة الدول العربية, القاهرة, جمهورية مصر العربية, 2007م.

5 مصطفى اللباد(دكتور)، "ملامح المشروعين التركي والإيراني في المنطقة العربية بعد أحتلال العراق"، أوراق الشرق الأوسط، العدد(40), المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط, القاهرة, جمهورية مصر العربية, 2008م.

ج- شبكة المعلومات العالمية(الانترنيت):

1 President-Elect Biden on Foreign Policy ، Carnegie Corporation of New York, November 7, 2020, https://www.cfr.org/election2020/candidate-tracker

ثانياً- المصادر الاجنبية:

2 Alex Vatanka, Iran's USE of Shi'i militant proxies: Ideological and Practical expediency versus uncertain sustainability, POLICY PAPER 2018-5, The Middle East Institute, Washington، D.C., U.S.A, JUNE 2018.

3 Farideh Farhi, Iranian Power Projection Strategy and Goals, CSIS Middle East Program, The Center for Strategic and International Studies(CSIS), Georgetown University, Washington, D.C., U.S.A, April 2017.

4 Farzan Sabet and Roozbeh Safshekan, Soft War - a new episode in the old conflict between Iran and the United States، the Center for Global Communication Studies, Iran Media Program, University of Pennsylvania, Philadelphia, U.S.A، 2013.

5 Firas ELİAS, "The Future of Iran's Influence in The Middle East", Bölgesel Araştırmalar Dergisi. ANKARA KRIZ VE SIYASET ARASTIRMALARI MERKEZI(ANKASAM), Ankara, Turkey, Ekim 2017.

6 J. Matthew Mcinnis, "Iranian Deterrence Strategy and Use of Proxies", The American Enterprise Institute(AEI), U.S.A, November 29, 2016.

7 Kenneth Katzman, "Iran's Foreign and Defense Policies", CRS reports, R44017, Congressional Research Service(CRS), The Library of Congress, Washington, DC، U.S.A, March 15, 2019.

Suzanne Maloney, The Roots and Evolution of Iran's Regional Strategy, Brent Scowcroft Center on International Security, The Atlantic Council of the United States, Washington, DC، U.S.A, September 2017.

لغة المعالجة الإعلامية لأزمة شرق المتوسط: الموقع الإخباري "الجزيرة نت" إنموذجاً

د.علي بوكريطة*

ياسين صدوقي**

الملخص

تتناول هذه الورقة البحثية أزمة شرق المتوسط من خلال دراسة تحليلية كمية وكيفية لعينة من المقالات الصحفية المنشورة على موقع الجزيرة نت، وهي عينة قصدية قوامها 52 مفردة "قصة خبرية" عمل عليها صحفيو الموقع ابتداء من 09 آب / أغسطس 2020 الى غاية 18 ديسمبر/ كانون الأول 2020، وتهدف هذه الدراسة لمعرفة خصائص المعالجة الإعلامية لأزمة شرق المتوسط لدى موقع الجزيرة نت الى جانب الرغبة في توضيح صورة ازمة شرق المتوسط إعلامياً من خلال معرفة الكيفية التي عالج بها الموقع الأزمة، خاصة وأن الأزمة قد خلفت أثراً كبيراً في الساحة الدولية والإقليمية ولم يكن الخطاب يخرج فقط من حناجر أطراف الأزمة "تركيا واليونان" بل تعداه وتعدى الحلفاء وكان حديثاً دولياً عن أزمة تهدد سلامة المجتمع الدولي وتضرب جهود الأمم المتحدة في ظل أهداف التنمية المستدامة 17 للحفاظ على سلامة العالم من الحروب والنزاعات.

الكلمات المفتاحية: تركيا، اليونان، أزمة شرق المتوسط، الصحافة العالمية، شبكة الجزيرة الإعلامية.

* أستاذ مساعد دكتور في قسم علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة ولاية عين الدفلى، الجزائر.

** باحث وطالب ماجستير في قسم علوم الاعلام والاتصال في كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة ولاية عين الدفلى، الجزائر.

Media Treatment Of The Eastern Mediterranean Crisis: Al Jazeera Net News Site As An Example

Dr. Ali Bokreta

Mr.Yacine Sadouki

Abstract

This research paper deals with the eastern Mediterranean crisis through an analytical, quantitative and qualitative study of a sample of press articles published on Al-Jazeera Net. It is an intentional sample consisting of 52 single "news story" that the website's journalists worked on from August 09, 2020 to December 18. The first 2020, and this study aims to know the characteristics of the media

treatment of the Middle East crisis on Al Jazeera Net, in addition to the desire to clarify the image of the Middle East crisis in the media by knowing how the site dealt with the crisis, especially since the crisis has had a great impact in the international and regional arena and the speech does not come only from the throats of the parties to the crisis, "Turkey and Greece," but exceeded it and the allies. It was an international talk about a crisis threatening the safety of the international community and hitting the efforts of the United Nations in light of the 17 Sustainable Development Goals to preserve the world's safety from wars and conflicts.

Key words: Turkey, Greece, the Eastern Mediterranean crisis, the international press, Al Jazeera Media Network.

مقدمة

يمتلك المواطن دوماً الحق في معرفة الحقائق والأخبار التي تهمه أو تحيط بمستقبله ومستقبل مجتمعه، هنا نتحدث عن المجتمعات داخل حدود كل دولة أو عن المجتمع الدولي في ظل عصر رفع الحدود الذي نعيشه، ووسائل الاعلام باختلاف أنواعها وتعدد فروعها هي أهم وعاء يقدم للمواطن هذه الخدمة، وان كان في هذا التقديم اصطدام واختلاف حول الكيفية التي تقدم بها المؤسسة الإعلامية هذه الخدمات للجمهور من عموم المواطنين، وبقي النقاش بين فرضيتين أساسيتين الأولى قانونية والثانية أخلاقية، يعني هناك من يرى هذا الضبط في صورة التشريعات والنصوص القانونية التي تنظم الممارسة الإعلامية وان كان هذا بدوره يعرف نقاشاً كبيراً، حيث أخذت به الأنظمة المتسلطة ولعبت به وفق أنغامها، وهناك من يرى الفرضية الأخلاقية في صورة المسؤولية التي تقع على عاتق الصحفيين أو المؤسسات بحد ذاتها في التعاطي مع الأخبار والتزام الحياد وتقديم صورة إعلامية نظيفة، وتتجلى هذه الصورة في المعالجة الإعلامية والتعاطي مع المضامين الصحفية في الأزمات السياسية أكثر منها في غيرها، لسخونة هذا الجانب وتأثيراته على الحياة الصحفية في المجمل، خاصة وأن الوضع في الأزمات يعرف تدفقاً وتضارباً للمعلومات وتعدد المصادر وتشابكها في عالم رقمي افتراضي فرض التدفق الغزير للمعلومات ورفع كل الحواجز، بالإضافة الى أطراف الصراع الذين يلهبون الوضع في سبيل ترجيح كفة طرف على حساب طرف آخر خدمة للمصالح السياسية والاقتصادية، ناهيك عن الضغوطات اليومية التي يعيش في كنفها الاعلاميون في التغطية الميدانية المستمرة وسط الظروف الاجتماعية والأمنية الصعبة.

وتعد أزمة شرق المتوسط من الأزمات التي تعرفت عليها المؤسسات الإعلامية واستنزفت من حبرها لسنوات، بين تصعيد وتخفيض، بين حوار وصدام، كان الحال دوماً في منطقة شرق البحر المتوسط بين تركيا واليونان على صفيح ساخن لا يستطيع أحد التكهن بما قد تصل اليه الأمور بين البلدين، خاصة وأن كل طرف منهما له من القوة ومن الحلفاء ما يدعمه بقوة عند أي تحرك دبلوماسي أو حتى عسكري ان تطلب ذلك، لذلك كيفية معالجة المؤسسات الإعلامية للأزمة لم يكن بالأمر السهل، والتعامل معها كالسير فوق خط رقيق، كل طرف يقنع بأحقيته في المكان، الصراع ليس من اليوم بل من بطون الزمن، وشبكة الجزيرة الإعلامية من بين المؤسسات الإعلامية التي كانت لها الصدارة في معالجة الأزمة وهذا من خلال التدفق الغزير في الحديث عن التطورات اليومية للأزمة وما نتج عنها، بالإضافة الى شبكة مراسليها التي تواجدت بكثافة في محيط الأزمة، لذلك اخترنا موقع الجزيرة نت وهو قلم الشبكة للنظر في الكيفية التي عالج بها الموقع الأزمة والنظر في خصائص اللغة المستخدمة، وذلك من خلال تحليل محتوى عينة من المقالات الصحفية المنشورة على الموقع تحليلاً كمياً وكيفياً.

الإطار المنهجي للدراسة:

• إشكالية الدراسة:

شكلت أزمت شرق المتوسط حالة ترقب كبيرة عاشتها أوروبا ودول المنطقة بسبب الصراع المحتدم بين تركيا واليونان حول حقوق الغاز والنفط في شرق البحر الأبيض المتوسط، يغذيه

خلاف أعمق على الحدود البحرية بين الدولتين، ممتد منذ قرون، وشكلت أيضاً تحدياً كبيرا بين وسائل الاعلام العالمية التي أظهرت على الدوام إمكانية التعامل باحترافية مع مختلف الأزمات والصراعات في مختلف مناطق العالم، ووسائل الاعلام باختلاف أنواعها وتعدد قوالبها تسلط الضوء دائماً على ما يطفو للسطح من قضياً ومسائل تهم الرأي العام الدولي بالدرجة الأولى، لذا شكلت أزمة شرق المتوسط طبقاً شهياً لمختلف وسائل الاعلام العالمية، ومن بين هذه الوسائل موقع الجزيرة نت الذي ينتمي لشبكة الجزيرة الإعلامية في قطر، والذي توقفنا عنده في تناوله الغزير لكل القضاياً والصراعات الدولية، وما أزمة شرق المتوسط بالبعيدة عن هذا الاهتمام، حيث تصدر ملف أزمة شرق المتوسط "ترند" المعالجة الإعلامية لدى الموقع الاخباري الجزيرة نت، وهذا في مختلف أقسام الموقع أين نال حصة الأسد من الاهتمام في ذروة التصعيد بين تركيا واليونان قصد اشباع الملف من التغطية الإعلامية، لذا يثار النقاش حول نوعية هذه المعالجة الإعلامية وهل هي منطقية أم عاطفية، لذا فان إشكالية الدراسة في الأساس تتمحور حول **ما خصائص اللغة المستخدمة في معالجة أزمة شرق المتوسط في الموقع الاخباري الجزيرة نت؟**

وتندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية التالية:

- ماهي المفردات المرتبطة بتركيا واليونان التي يستخدمها الموقع في معالجته للأزمة؟
- ماهي المصادر والشخصيات التي ركز عليها الموقع في معالجته لأزمة شرق المتوسط؟
- ماذا عن المصطلحات العسكرية المرتبطة بالأزمة المتضمنة في معالجة الموقع للأزمة؟

• أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية هذه الدراسة من الأثر الكبير والعميق الذي خلفته أزمة شرق المتوسط في الساحة الإقليمية والدولية، واستنزفت الأزمة من حديث الاعلام قبل الساسة الشيء الكثير، بين داعم وساخط من أطراف الأزمة، وراح بعض المؤسسات الإعلامية في ظل الازمة يلعب على أوتار وأنغام جددها واستحدثها لتبدوا طاقم يليق بدولة من حجم تركيا أو اليونان المتصارعان على مياه شرق المتوسط منذ سنين، وتزيد الأهمية في هذه الدراسة من خلال التنقيب والتحليل والفحص في مقالات موقع الجزيرة نت أحد أهم وأبرز وأضخم منبر اعلامي في منطقة الشرق الأوسط والعالم أجمع، ونحاول التنقيب والبحث ما بين سطور المقالات الصحفية عينة الدراسة المأخوذة من الموقع لتطبيق الدراسة التحليلية الكمية والكيفية عليها.

• أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الى:

- فتح المجال أمام النخبة الأكاديمية قصد البحث والتنقيب في المعالجة الإعلامية للأزمات والصراعات.
- معرفة خصائص المعالجة الإعلامية لأزمة شرق المتوسط لدى موقع الجزيرة نت.
- الرغبة في توضيح صورة ازمة شرق المتوسط إعلامياً من خلال تحليل كيفية معالجة موقع الجزيرة نت للأزمة.
- محاولة اقتراح ووضع جملة توصيات وآليات لأسس معالجة الأزمات والصراعات اعلامياً.

• منهج الدراسة:

تعتمد كل دراسة على السير وفق خطوات فكرية منظمة وعقلانية هادفة لبلوغ نتيجة ما، وما ذلك الا باتباع منهج معين يتناسب مع طبيعة الدراسة التي تتطرق اليها، حيث يعرف المنهج بانه الطريقة التي تتبع للكشف عن الحقائق بواسطة استخدام مجموعة من القواعد العامة التي ترتبط اساساً بتجميع البيانات وتحليلها حتى تسهم في الوصول الى نتائج ملموسة، وهذه الدراسة في الأساس تعد من الدراسات الاستكشافية، لذا فان المنهج المسحي هو ما يصلح لها، حيث يعد من أبرز وأكثر المناهج العلمية الصالحة للبحث والتوظيف في الدراسات الاستكشافية التي تعتمد على تحليل الظاهرة قيد الدراسة انطلاقاً من تحديد المكان والمجال والناس المعنيين بالدراسة ويقوم المنهج المسحي على تناول الظواهر الأخرى ودرجة ارتباطها بالظاهرة محل الدراسة كما يعتمد كذلك على عنصري الوصف والتحليل لربط هذه المتغيرات مع بعضها البعض وكشف العلاقة بينهما، والوظيفة الأساس للدراسات المسحية هي جمع المعلومات التي يمكن فيما بعد تحليلها وتفسيرها وثم الخروج باستنتاجات منها، ويهدف منهج المسح الإعلامي أو مسح وسائل الاعلام أيضاً التعرف على شخصية الوسيلة الإعلامية، وما يميزها عن غيرها من الوسائل سواء من حيث الشكل او المضمون أو حدود التأثير، كما أن المسح يستخدم عندما يرتبط تحقيق الأهداف المطروحة في إشكالية الدراسة بالحاضر القائم، حيث تتوفر للباحث إمكانية الرجوع اليها في الحيز الطبيعي الذي تنتمي اليه، لمعاينتها ميدانياً والقيام بالمسح لخصائصها وللمتغيرات داخلها.

• مجتمع الدراسة:

هناك من يطلق عليه مجتمع الدراسة الأصلي ويقصد به كامل أفراد موضوع البحث، ويعرف على أنه مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المجددة مسبقاً والتي ترتكز عليها الملاحظات، ويمثل مجتمع البحث في هذه الدراسة مجموع القصص الخبرية التي حررها صحفيو ومراسلو موقع الجزيرة نت حول أزمة شرق المتوسط خلال سنة 2020 أين عادت الأزمة لتتصدر المشهد وتشهد تصعيد غير مسبوق بين تركيا واليونان. وقد ركزت القصص الخبرية في البداية على الامتداد التاريخي للأزمة بين البلدين، وصولاً الى المواجهة المباشرة على هامش تنقيب تركيا على الغاز في المنطقة المتنازع عليها في البحر المتوسط، وأخيراً استشراف وتحليل مستقبل العلاقات بين البلدين وانعكاس الأزمة على المجتمع الدولي.

• عينة الدراسة:

عادة ما ترتبط بحوث الوصف بنظام العينات نظراً لاستحالة تطبيق المسح الشامل لكونه يتميز بضخامة العدد والتشتت لذلك يلجأ الباحث الى اختيار عدد أصغر من أفراد مجتمع البحث يكون ممثلاً في خصائصه للمجموع ويسمح في نفس الوقت بتحقيق أهداف الدراسة في حدود الوقت والامكانيات المتاحة، وهذا العدد الأصغر يسمى العينة، بحيث يسمح نظام العينات للباحث باستنتاج خصائص عدد كبير جداً من المفردات من خلال الاتصال المباشر مع عدد صغير مختار منها.

في دراستنا الحالية ونظراً لصعوبة مسح كل مجتمع البحث للأسباب العلمية والمنهجية المعلومة، شرعنا في دراسة مجتمع أصغر والمتمثل في العينة انطلاقاً من هذا الاعتبار، ونحاول أن نجعل من عينتنا قدر الإمكان ممثلة لمجتمع البحث الأصلي، لذا اخترنا اتباع العينة القصدية التي تعرف تحت أسماء متعددة منها العينة العمدية أو الغرضية أو النمطية، وهذه كلها أسماء تشير الى العينة التي تقوم على التقدير الشخصي للباحث في اختيار مفردات مجتمع البحث اذ يقوم بختيار تلك التي لها صلة بالبحث.

وتعرف العينة القصدية عند مورس أنجرس بأنها العينة التي يختار فيها الباحث العدد المطلوب من وحدات البحث حسب ارادته ومشيئته، فالباحث يقوم باختيار الأشخاص الملائمين والذين يدخلون في عينة البحث وذلك من أجل الحصول على المعلومات اللازمة للبحث .

في حين تعرفها شيماء ذو الفقار بأنها العينة التي تم انتقاء أفرادها بشكل مقصود من طرف الباحث نظراً لتوفر بعض الخصائص في الأفراد المختارين دون غيرهم ولكون تلك الخصائص من الأمور الهامة بالنسبة للدراسة، كما يتم اللجوء لهذا النوع من العينات في حال توفر البيانات اللازمة للدراسة لدى فئة محدودة من المجتمع الأصلي للدراسة.

وعلى هذا الأساس قمنا باختيار عينة قصدية قوامها 52 مفردة "قصة خبرية" التي عمل عليها صحفيو موقع الجزيرة نت ابتداء من 09 آب / أغسطس 2020 الى غاية 18 ديسمبر/ كانون الأول 2020.

• أداة الدراسة:

يحتاج أي بحث الى أدوات منهجية يفعلها قصد الحصول واستخراج المعلومات اللازمة التي يرتكز عليها في بحثه، حيث تعود قيمة الدراسة ومدى سلامة نتائجها الى مدى قدرة الباحث على الحصول الكافي على المعلومات المفتقرة والتي تحقق أهداف الدراسة، ويختار الباحث الأدوات اللازمة والكافية لأي دراسة بناء على ما يرتبط بطبيعة الإشكالية والبيانات اللازمة للإجابة عليها، وبما أن بحثنا هذا يسير وفق المنهج المسحي ونظراً لطبيعة الدراسة الاستكشافية كما ذكرنا قمنا بالاعتماد على أداة تحليل المضمون وذلك قصد تحليل محتوى المقالات المنشورة في موقع الجزيرة نت والتي تناولت أزمة شرق المتوسط منذ ارتفاعها للسقف مجدداً، أي على هامش شروع تركيا في عملية التنقيب على الغاز.

ويرى البروفيسور ماكميلان أن هناك خمس خطوات أساسية في عملية إجراء تحليل المضمون بالتطبيق على مواقع الشبكة العنكبوتية الدولية، ولهذا نجد بأنه قد حددها في اتجاهين رئيسيين في تحديد وحدة التحليل في الدراسات التي وظفت أداة تحليل المضمون على مواقع الويب:

1 - وحدة التحليل هي الصفحة الافتتاحية للموقع (home page) ومن ممثلي هذا الاتجاه لويزاها وجيمس لينكولن في دراستهما لتفاعلية مواقع منظمات العمال على الويب عام 1998 .

2 - وحدة التحليل هي موقع الواب بالكامل مهما بلغت عدد صفحاته وهو ما وصفه ماكميلان بأنه مدخل أكثر شمولاً لتعرف على وحدة التحليل.

ويعرفه واليز ووابنز (Walizer and Wienir) عام 1970 بأنه أي إجراء منتظم منهجي يستخدم لفحص مضمون معلومات مسجلة، وعرفه كريبندورف (Krippendorf) عام 2004 بأنه تقنية بحثية من أجل صنع مراجع صحيحة وقابلة للتكرار وصحيحة من البيانات بالرجوع إل سياقها. ونجد أيضا تعريف كيرلينجر (Kerlinger)سنة 2000 بأنه منهاج لدراسة الاتصال وتحليله بطريقة منتظمة وموضوعية وكمية بغرض قياس المتغيرات (Source spécifiée non valide).

• فئات ووحدات التحليل:

1- فئات الشكل:

- فئة الخدمات: وتمثل الخدمات التي يقدمها الموقع، والتي تأتي في صورة أبواب وأقسام ووسائط متعددة التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي، والتي الى جانب نشر المادة تضمن التعليق الآني عن مضمون المادة المنشورة.

- فئة الأنواع: يعني الأنواع الصحفية المستعملة في سبيل معالجة القصص الخبرية، ونقصد الخبر، التحقيق، التقرير، البورتري المكتوب، الربورتاج ...، الخ.

2- فئات المضمون:

- فئة الموضوع: ونقصد بها الكلمات والمصطلحات التي وظفها موقع الجزيرة نت في معالجته لأزمة شرق المتوسط.

- فئة الاتجاه: ونقصد بها حياد أو تحيز موقع الجزيرة نت لطرف ما من أطراف الصراع في أزمة شرق المتوسط، يعني سنرصد من خلال هذه الفئة اتجاه المعالجة الذي سار الموقع وفقه.

- فئة المصدر: ونقصد بها مصادر المادة الخبرية التي استق منها موقع الجزيرة نت معلوماته التي وظفها في معالجة أزمة شرق المتوسط.

أما فيما يخص وحدات التحليل فقد لجأنا الى وحدة الكلمة حيث تعد الكلمة من أصغر مقاطع النصوص .Source spécifiée non valide

• البرامج الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

استخدمنا البرنامج الإحصائي انتلايز (Intellyze) 3.0: وهو برنامج يقوم بحساب تردد الكلمات حيث يقوم مستخدمه بلصق النص الأصلي داخله ثم يضغط على خانة (**أحسب تردد الكلمات**) فيقوم البرنامج بحساب تردد الكلمات كل على حد، وقد استخدم البرنامج عادة في تحليل دراسة تحليل المحتوى، ويصلح البرنامج لدراسة تحليل المضمون عندما يستخدم الباحث

وحدة الكلمة فقط لأن البرنامج يتعامل مع النص ككلمات فقط.

⊙ الإطار النظري للدراسة:

سنحاول في هذا القسم تقديم التراث النظري للدراسة.

• اللغة الإعلامية:

اللغة تعد أهم وسيلة للإعلام والتي بها تنقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل، وهي التي تؤدي الوظيفة الاتصالية، ومع التطور التكنولوجي وظهور وسائل الإعلام كالإذاعة والتلفزيون، زادت الحاجة لتصميم لغة تستمد صبغتها من الوسيلة التي توظف فيها، سواء كانت مكانية أو زمنية، فالمكانية هي التي تشغل حيزا في الصحف، أما الزمنية فتتعلق بالتسلسل الزمني في الإذاعة والتلفزيون. ولذلك نجد أن لغة الاعلام في اغلب الأحيان تختلف عن غيرها، كما انها تطرح اشكالاً في مربع التوظيف والاستعمال، بين ان كانت غاية أم وسيلة.

• خصائص اللغة الإعلامية:

تحتوي اللغة الإعلامية على عدة خصائص ومميزات، وهي نقطة اختلاف بين الباحثين والعلماء المتخصصين، وسنعرج على أهم ما توصل اليه الباحثين، أين تم حصر الخصائص في الميزات التالية:

- **الاختصار:** والمقصود به استخدام الجمل القصيرة التي تؤدي رسالتها التبليغية للمستمع أو القارئ لكي يستوعب المعنى

بسهولة، ويتجنب التكرار، وتجنب استخدام الجمل الطويلة والمعاني المتشعبة التي تشتت ذهن المستمع أو القارئ وتباعد بينه وبين المعاني المقصودة.

- **التنوع:** والمقصود به تحقيق التنوع في اللغة الإعلامية عن طريق استعمال الجمل التي تتفاوت بين القصر والطول وكذلك

استخدام فقرات مختلفة الأطوال مع تغير سرعة الحديث.

- **الوضوح:** وهي من أبرز سمات اللغة الإعلامية بالنظر إلى خصوصية هذه الوسيلة، فإذا كانت الكلمات غير واضحة في

الإذاعة مثلا، فقد المستمع المضمون المقدم له، ولا يستطيع استرجاعه، لذا يجب أن تكون الجمل والكلمات والمعاني واضحة.

- **الملاءمة:** ويقصد بها أن تكون اللغة ملائمة مع الوسيلة ومع الجمهور، حيث أن لغة الإعلام هي ذات طابع وصفي

وموجهة إلى كل فئات المجتمع.

- **المرونة:** ويقصد بها أن تكون اللغة قادرة على التعبير عن مختلف الموضوعات بسلاسة ودون تعسف، وأن تكون متعددة

المستويات لتخاطب الجمهور بمختلف فئاته.

- **الجاذبية:** ويقصد بها أن تكون اللغة قادرة على الشرح والوصف بطريقة مسلية ومشوقة لتكون جذابة للمستمع ويستمر في

التعاطي معها.

• أساسيات النص الإعلامي:

يجب أن تتوفر في النص الإعلامي جملة من الأساسيات التي تضمن حسن سيره وتضبط سلوكه اللغوي في توجه الرسالة، وهي كما حددها الباحثون والمختصون في النقاط التالية:

- **تحديد الهدف من النص:** يعتبر الهدف من النص الإعلامي باختلاف أنواعه، والغرض منه هو المنطلق الذي يتحدد عليه

الأثر الذي يريد تحقيقه، والهدف قد يكون الترفيه، التثقيف الإرشاد ... والهدف هو الذي يحدد للكاتب المعلومات اللازمة.

- **تحديد الجمهور المستهدف:** هو الجمهور الذي يتوجه إليه بالكتابة، وهو الذي يتحكم في تحديد مواصفات البرنامج كالشكل

والوقت والأسلوب والمادة، من أجل إثارة الاهتمامات المتوقعة والمرغوبة لدى الجمهور.

- **التشويق وإثارة الاهتمام:** القاعدة الأساسية أن يكون البرنامج أو المضمون الاعلامي مشوقاً أيا كان الموضوع الذي يعرض،

إلى جانب إثارة الاهتمام وسلاسة الأسلوب وبساطة الكلمة وسهولتها، وهو الطريق الأمثل لإقناع الجمهور.

• المواقع الإخبارية:

تعرف المواقع الإخبارية على أنها تلك النوافذ المتواجدة على شبكة الانترنت، تعرض الأخبار والأحداث المستحدثة، وتعتمد بالأغلب على وكالات الأنباء أو مراسلين ينتشرون في المواقع أو نقلاً عن مؤسسات إعلامية تلفزيونية تكون تابعة لها بشكل مباشر أو غير مباشر. كما تعرف أيضا على أنها إصدار لا ورقي يتم إنتاجه بالاستعانة بشبكات الانترنت، وعرضه على الشبكة، أو على وسائط أخرى غير ورقية.

ومع انتشار الانترنت والتطور التكنولوجي المتسارع الذي شهده العالم، وتطور فكرة الصحافة الالكترونية بدء يبرز نوع جديد متجدد في عالم الصحافة وهو المواقع الإخبارية الالكتروني، التي تعتني بالإخبار ونقل المعلومات والبيانات بشكل آني للجمهور، وقد نشأت في بيئة الفضاء التفاعلي، وتتسم المواقع الإخبارية بالسرعة في نقل الأخبار والأحداث مقابل وسائل الإعلام التقليدية، ولها أساليب لقياس رد الفعل، مثل الخطابات الالكترونية وغرف الحوار الحي وندوات النقاش، وقد أحدثت هذه المواقع تطورا كبيراً في الوسط الإعلامي وأدخلت على الصحافة أشكالاً جديدة مست المحتوى والشكل.

ومع مرور السنوات تطورت المواقع الالكترونية فأصبح لها جمهور خاص يحمل بالضرورة أجندة مختلفة، وسياسة خاصة تبعاً لتغير الجمهور وطبيعته وعاداته، وكذا تقنيات خاصة مستفيدة من إمكانات الكمبيوتر وشبكة الانترنت.

• مفهوم الأزمة:

توجد تعريفات متعددة للأزمة في الأدبيات العربية، فيذهب أحد تلك التعريفات إلى أن الأزمة هي خلل يؤثر تأثيراً مادياً على النظام كله، ويهدد الافتراضات الرئيسية التي يقوم عليها النظام، ويذهب تعريف آخر للأزمة بأنها حدث مفاجئ غير متوقع يؤدي إلى صعوبة التعامل معه، ومن ثم ضرورة البحث عن وسائل وطرق لإدارته بشكل يحد من آثاره السلبية.

• مدارس دراسة الأزمة:

لقد تعددت وكثرت تعريفات الأزمة وأخذ كل باحثه من زاويته مدخلاً لتعريف الأزمة، ورغم أنه سعى الكثير وبذل العديد في سبيل تجميع وحصر تلك التعريفات وفق مجموعات فكرية منظمة تضمن السلامة النقدية للتعريف، الا أن التعريف في مجمله لا يزال يعرف اتساعاً، وبرز من أهم تلك الجهود حسب ما أشار اليه الكثير من الباحثين مدرسة النظم، مدرسة صنع القرار، مدرسة بحوث السلام، وهذه المدارس في اطارها العام ترتبط بعضها ببعض، ولكنها تتميز من حيث التركيز على حيز معين، وعلى سبيل المثال تركز مدرسة النسق ومن أنصارها كينيث بولدنج وأوران يونج وكورال بيل وتشارلز ماكليلاند على أن الأزمة الدولية هي نقطة تطور في نظام دولي ما عام أو فرعي، وأنها تزيد من احتمالات الحرب واللجوء إلى استخدام القوة العسكرية بدرجة تُهدد باختلال وظيفي للوضع القائم.

أما مدرسة صنع القرار فقد اهتمت بتحديد خصائص موقف الأزمة كالمفاجأة والتهديد وقصر الوقت المتاح، كما ركزت على الأزمة من خلال اتخاذ القرار، ومن أهم رواد مدرسة صنع القرار هيرمان كان وجيمس روبنسون وأنتوني فينر وتشارلز هيرمان ومارجريت هيرمان ورايموند كوهين. وقد اتخذت مدرسة بحوث السلام اتجاهاً توفيقياً يجمع بين بعض عناصر تعريف الأزمة كما جاءت في مدرستي النظم وصنع القرار، كما عرّف جيمس روبنسون وتشارلز هيرمان ومارجريت هيرمان الأزمة بأنها موقف أو حدث يشكل تهديداً لشيء موضع اهتمام طرف آخر بدرجة كبيرة، وقسموا الأزمة إلى نوعين هما الأزمة الشديدة والأزمة الأقل شدة.

• إدارة الأزمة:

تعتبر إدارة الأزمة الأسلوب والآلية التي توظف مزيج من الأدوات والطرائق المساومة الضاغطة والتوفيقية من أجل التعامل مع عناصر وما يحيط بموقف الأزمة، وهذا في سبيل المحافظة على أهداف استمرار الدولة وتحقيق مصالحها، كما أنها من جهة أخرى تعد مجموعة القواعد والأسس والإجراءات التي تستخدمها الهيئة أو الدولة بهدف السيطرة على أزمة ما وتوجيهها وفق ما يتفق مع سياسة الدولة لتحقيق مصالحها، وهي تكون في الأغلب في اطار يتجاوز الأشكال التنظيمية المألوفة أي بعيدة عن أساليب الإدارة الروتينية المتعارف عليها، حيث تسعى كل دولة لضبط اطار خاص مبتكر لإدارة الأزمة يسجل باسمها أمام المجتمع الدولي، وبالتالي فإن إدارة الأزمةCrisis Management تعني معالجتها على نحو يمكن من تحقيق أكبر قدر ممكن من الأهداف المنشودة والنتائج الجيدة. ومن بين التعريفات التي قدمت لمفهوم إدارة الأزمة أنها نظام يُستخدم للتعامل مع الأزمة، من أجل تجنب وقوعها، والتخطيط للحالات التي يصعب تجنبها، بهدف التحكم في النتائج، والحد من الآثار السلبية، وبالتالي فلابد أن تشتمل على خطوات لتقليل مخاطر حدوث الأزمة، وتختلف إدارة الأزمة بالمعاني السابقة عن مفهوم الإدارة بالأزمة Provocation of Crisis والذي يعبر عن آلية تقوم على خلق الأزمة وإثارتها والإعداد المسبق لها والتخطيط المبكر لوقوعها بهدف تحقيق مصالح محددة، وهي قدرة لا تتوفر إلا لعدد محدود من الدول والمنظمات التي تمتلك من القوة والوسائل ما يمكنها من خلق الأزمة وإدارتها بما يحقق أهدافها.

كانت أزمة الصواريخ الكوبية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي السابق عام 1962 نقطة التحول المركزية نحو تحويل إدارة الأزمة إلى حقل علمي مستقل, وبالتالي بحوث السلام, وقد أدرك الجميع, ومن بينهم وزير الدفاع الأمريكي الأسبق روبرت مكنمارا أنه من الآن فصاعداً لم يعد هناك ما يُسمى بالاستراتيجية بل إدارة الأزمة, ومنذ ذلك الحين, صارت ألفاظ وأدبيات إدارة الأزمة وإدارة الصراع هي اللغة السائدة في العلاقات الدولية. وحددت أدبيات دراسة الأزمة الدولية بعض العوامل التي تُعتبر مصادر للأزمات الدولية, ومن بينها العوامل الاقتصادية, النزعة العسكرية, أنظمة الأحلاف, إلا أن أحد الدارسين وجد من تحليله لسبع حالات دراسية تتمثل في الحربين العالميتين الأولى والثانية, وحرب 1967 بين العرب وإسرائيل، وأزمة فيتنام، وأزمتي الخليج الأولى والثانية أنه لم يكن لأي من العوامل السابقة دور في اندلاع تلك الأزمات، وأن شخصيات القادة والبيئة النفسية لهم كانت أكثر حسماً.

• الاعلام والأزمات:

البشرية على الدوام تعيش في كنف أزمات وضغوطات اجتماعية تقع فيها أو تختارها، أزمات أمنية أو أزمات صحية أو غيرها ... لذلك ما يرتقب من المؤسسة الإعلامية التي يفترض أنها ترافق الانسان في مساره في هذه الحياة، ان تمده وتعينه وترشده وتثقفه لأسس إدارة الأزمات، يعني أن الاعلام مكلف بالقيام بأدواره الى جانب الإخبارية أيضاً التعليمية من خلال معالجة أبعاد الأزمات واستشراف مستقبلها وفق معالجة موضوعية دقيقة بعيد عن الزيادة أو المبالغة. وما يبدوا جلياً

من ملاحظتك لأجندة وسائل الاعلام الإخبارية على وجه الخصوص فإنك تجدها تعيش أزمة تعاطيها مع الأزمات، وعلى كل الأصعدة حتى ملف الحياد في المعالجة أو الاستقلال عن سياسة الدولة الممولة، رغم أن وسائل الاعلام كما هو متعارف عليه في أدبيات الاعلام تعد أحد مكونات النظام الإتصالي حول قضية ما، يعني هو الذي يساهم في احداث وحدة في الفكر العام لدى المجتمع وصياغة رأي عام متفق عليه حول قضية ما وهو ذو تأثير واضح بقضايا العصر ومشاكله وطريقة معالجتها.

ويشكل الإعلام الحديث خط التماس الأول للتعامل مع الأزمة، وإن آنية الإعلام وموضعيته ودوريته وتنوعه أمور تجعله الفاعل الأكثر تأهيلا للتعاطي مع الازمة منذ مراحلها المبكرة، وذلك بعكس البحث او الكتاب او المسرحية او الرواية او الفيلم التي بحكم طبيعتها تحتاج الى زمن أطول للتعرض للأزمة ومعالجتها. حيث أصبحت اهتمامات وسائل الإعلام الحديثة عامة ومتنوعة تتسع لتشمل مجالات الحياة كافة، وخطابها عام ومنتشر وتتسع لتشمل المجتمع كافة والرأي العام الاقليمي والعالمي، وفي ضوء ذلك يمكن فهم انجذاب الفعاليات والمجالات الاخرى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية ...الخ واندفاعها صوب الساحة الإعلامية لتشخيص واقعها، ولمعالجة أمورها وتقوية تأثيرها ومخاطبة جماهيرها.

⊙ الإطار التطبيقي للدراسة:

• تحليل محتوى المادة الخبرية التي قدمها موقع الجزيرة نت:

الخدمات التي يقدمها الموقع	التكرار	النسبة
التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي	52	%50
التعليق على المادة المنشورة	52	%50
المجموع	104	%100

الجدول رقم (01): يمثل الخدمات التي يقدمها موقع الجزيرة نت خلال أزمة شرق المتوسط

من خلال الجدول أعلاه والذي رصدنا فيه الخدمات الإضافية التي يتكفل موقع الجزيرة نت توفيرها لجمهوره، والتي شملت مرحلة أزمة شرق المتوسط، نلاحظ أن خدمتي التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي والتعليق على المادة المنشورة متوفرة بنسبة متساوية في كل المقالات عينة الدراسة وقد قدرت بـ 50% لكل خدمة. ويمكننا أن نرجع هذا لأهمية الأوعية الرقمية التي تنتشر في شبكة الانترنت وتعتمد عليها المؤسسات الإعلامية بشكل مباشر أو غير مباشر في التواصل مع جمهورها سواء من خلال إعطاء مساحة مباشرة للتعليق والرد ومناقشة مضمون المادة وهذه تتصور في خدمة التعليق المباشر أسفل المادة الصحفية المنشورة والتي تعطي صورة أوضح

للمؤسسة عن جمهورها وتعطي صورة أقرب للجمهور عن المادة وهذا من خلال مناقشتها وتمحيصها، أو من خلال إعطاء مساحة غير مباشرة للتعليق والرد والمتضمنة إمكانية التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي من خلال نشر المادة الصحفية والتعليق عليها اما داعماً أو غير داعم لما أتى في المادة المنشورة، كما أن هذه الخاصية يمكن أن تخدم المؤسسة الاعلامية والقضية في نفس الوقت حيث أنها تسمح بقياس مدى انتشار الموضوع الذي تحدثت عنه المادة الصحفية في مساحة أوسع يعني في شبكات التواصل الاجتماعي.

الأنواع الصحفية	التكرار	النسبة
الخبر	32	%61.54
التحقيق	02	%3.85
التقرير	18	%34.61
المجموع	52	%100

الجدول رقم (02): يمثل فنون الكتابة الصحفية التي وظفها موقع الجزيرة نت خلال أزمة شرق المتوسط

من خلال الجدول السابق الذي يمثل الفنون المستخدمة في الكتابة الصحفية لموقع الجزيرة نت خلال أزمة شرق المتوسط نلاحظ ان فن الخبر الصحفي جاء في الصدارة كأكثر ما استخدم من قبل الهيئة التحريرية لموقع الجزيرة نت خلال الأزمة وذلك بتكرار 21 بلغت نسبته المئوية بـ 61.54% ليأتي بعده مباشرة التقرير الصحفي الذي قدرت نسبته بـ 34.61% من اجمالي الفنون, ويأتي أخيراً فن التحقيق الصحفي كأقل توظيفاً خلال الأزمة بنسبة مئوية قدرت بـ 3.85% وتعود هذه النتائج حسب رؤية الباحثان الى طبيعة الأزمة والتي كانت أطرافها وظروفها وخلفيتها معلومة مكشوفة وبقيت تطوراتها اليومية بين أخذ ورد في مربع تركيا اليونان حلف الناتو الاتحاد الأوروبي, لذلك عمل أو ركز موقع الجزيرة نت على فن الخبر الصحفي حتى يفي الأزمة ما ينقسها ويقدم للجمهور ما يجهله من أرقام ومعلومات تتغير وتتطور بشكل يومي ودُبُرَ كل تصريح من الساسة, وهذا يتقارب الى حد ما مع ما تم ملاحظته في بعض المؤسسات الإعلامية الأخرى سواء العربية أو العالمية التي عالجت الأزمة, حيث أنها كانت في أغلبها تسير في فلك الجزيرة نت أي تركز كل التركيز على سرد القصص الخبرية في شكل أخبار مركبة وهذا ما يفسر بروز فن الخبر الصحفي في الصدارة في هذه الدراسة. أما التقرير ثاني الفنون المعتمد عليها في المضامين الصحفية التي ارتكز عليها موقع الجزيرة نت خلال أزمة شرق المتوسط يمكن تفسيره كون أن البيئة الإعلامية في العموم كان لديها الكثير من المعلومات التي تم تجميعها مسبقاً خاصة وأن أزمة شرق المتوسط ليست وليدة سنة 2020 لذلك كان سهلاً على الإعلاميين ربط المعلومات وتحليلها واستشراف مستقبلها خاصة بعد التصعيد الذي شهدته الأزمة والتهديدات التي أطلقت من الطرفين.

المصطلحات	التكرار	النسبة
تركيا	233	%30.33
اليونان	185	%24.08
شرق المتوسط	192	%25.04
صراع الغاز	33	%4.29
حرب الغاز	15	%1.95
التهديدات	21	%2.73
الخلافات	19	%2.47
النزاع	05	%0.65
البحر	20	%2.60
التصعيد	16	%2.08
الاجتماعات العسكرية	09	%1.17
الاستفزاز	03	%0.30
تأجيج التوتر	17	%2.31
المجموع	768	%100

الجدول رقم (03): يمثل المصطلحات الأكثر استخداماً في معالجة موقع الجزيرة نت لأزمة شرق المتوسط

من خلال الجدول رقم 3 الذي يمثل جملة المصطلحات الأكثر استخداماً في معالجة موقع الجزيرة نت لأزمة شرق المتوسط, نلاحظ أن النتائج أظهرت أن مصطلح تركيا الأكثر استخداماً وذلك بتكرار 233 ما يقدر بنسبة 30.33% تليها مصطلح شرق المتوسط بتكرار 192 ما يقدر بنسبة 25.04% ثم بعدها مصطلح اليونان بتكرار 185 أي نسبة 24.08% بعد ذلك أتت المصطلحات التي تصف الأزمة أو تعبر عنها حيث أتى مصطلح صراع الغاز في المرتبة الرابعة بنسبة 4.29% بعده مصطلح التهديدات بنسبة 2.73% بعدها مصطلح البحر بتكرار 20 أي نسبة 2.60% بعدها مصطلح الخلافات بنسبة 2.47% يله مصطلح تأجيج الصراع بتكرار17 ما يعادل نسبة 2.31% وفي الأخير أتت مصطلحات التصعيد, حرب الغاز, الاجتماعات العسكرية, النزاع, الاستفزاز في المراتب الأخيرة بنسب متقاربة وهي على التوالي 2.08% 1.95% 1.17% 0.65% 0.30%.

ويعاز ذلك الى أن المصطلحات التي احتلت الصدارة هي مصطلحات الأزمة حيث أن الأزمة تدور في فلك تركيا اليونان منطقة شرق المتوسط، لذلك فهي تعد مصطلحات تعريفية للأزمة في حين نجد أن باقي المصطلحات أتت كوصف محيط بالأزمة تم الاستناد عليه في المقالات عينة الدراسة للحديث عن الظروف وما يحيط بالأزمة.

كما توصلنا من خلال نتائج التحليل الكمي للجدول أن المصطلحات المفسرة للأزمة وما يحيط بها أتت بنسب متقاربة، ويفسر ذلك أن الجزيرة نت قد ركزت بشكل كلي على الجانب التعريفي عن تطورات الأزمة وهو أكثر المواضيع التي يبحث عنها الجمهور خاصة المهتمون بالشؤون التركية، وبشكل أكبر عبر مواقع التواصل الاجتماعي، فالحديث كان دائماً على طبق ساخن عبر منصات التواصل الاجتماعي بين المهتمين والمتابعين لتحركات أنقرة، والكل كان يتساءل ويتباحث حول هذه الأزمة وما يمكن أن تسفر عنه خاصة بعد المناورات العسكرية في منطقة شرق المتوسط وما أتى بعدها من مخاوف المجتمع الدولي من أن تنزلق الأمور بين البلدين، ويلاحظ أن مصطلحات النزاع، التصعيد، الاجتماعات العسكرية تقريباً أتت متقاربة ويفسر ذلك أن معالجة موقع الجزيرة نت قد شملت التطورات الميدانية، وهذا بالموازاة مع تناول الصورة المفسرة لهذه التطورات وما قد يخلص عليه الحال في منقطة شرق المتوسط.

من خلال ما تم التطرق اليه من تحليل كمي وكيفي للجدول الخاص بالمصطلحات التي استخدمها موقع الجزيرة نت في معالجة القصص الخبرية لأزمة شرق المتوسط، يمكن القول أن الموقع قد حاول تقديم تغطية شاملة للأزمة، تتميز بالتنوع في الطرح والكم الملائم للأزمة دون زيادة أو مبالغة ما يحقق التغطية الأنجح للأزمات الدولية، حيث تم المعالجة وفق ثلاث جوانب وهي الجانب المفسر للأزمة وهو في الصدارة أين أخذ أكبر النسب، بعده جانب التطورات الميدانية على الصعيد السياسي والعسكري بين البلدين، ثم بعدها الجانب الثالث والذي تعلق بتحليل واستشراف ما قد يخلص عليه الحال في شرق المتوسط نتيجة تلك التطورات الميدانية، وأيضاً نتيجة الضغوطات الدولية على طرفي الأزمة.

المصادر	التكرار	النسبة
وكالات الأنباء	13	%21.31
مصادر رسمية (الحكومات)	25	%40.98
المراسلون	23	%37.71
المجموع	61	%100

الجدول رقم (04): يمثل المصادر التي اعتمد عليها موقع الجزيرة نت في معالجته لأزمة شرق المتوسط

من خلال الجدول أعلاه المتضمن المصادر التي اعتمد عليها موقع الجزيرة نت في معالجته لأزمة شرق المتوسط يتضح لنا أن المصادر الرسمية أي حكومات البلدين أو منظمة الأمم المتحدة أو مجلس الأمن الدولي أو حلف الناتو وغيرهم ممن كان لهم تأثير مباشر في الحديث عن أزمة شرق المتوسط قد نالت أعلى نسبة كمصدر رئيسي اعتمد عليه موقع الجزيرة نت في معالجته لأزمة شرق المتوسط وذلك بنسبة 40.98% من اجمالي المصادر المعتمدة في المقالات عينة الدراسة, بعد ذلك تلتها بشكل متقارب شبكة مراسلي الجزيرة نت المنتشرين في كل بقاع العالم, وهم يشكلون كثافة خاصة في تركيا, وقد بلغت نسبة الاعتماد على المراسلين في تغطية الأزمة ما يعادل نسبة 37.71% وأخيراً كان الاعتماد على وكلات الأنباء العالمية وذلك بنسبة 21.31%

ويمكن تفسير هذه النتائج بان موقع الجزيرة نت حاول تعزيز مصداقية تغطيته دوماً من خلال الاعتماد على التصريحات الرسمية ونقلها مباشرة، خاصة وأن الأزمة كانت تشهد تدفق غزير في تصريحات الحكومة التركية أو نظيرتها اليونانية، وحتى المجتمع الدولي الذي أخذ يراقب التطورات ويحاول التصدي سياسياً لأي انزلاق قد يقع بين الطرفين، ثم أن موقع الجزيرة نت كان يمتلك ترسانة بشرية من المراسلين في تركيا والذي رصدوا كل صغيرة وكبيرة في محيط شرق المتوسط وهذا ما سمح لموقع الجزيرة نت تعزيز تغطيته بالسبق الصحفي والتفرد بالخبر دون غيره.**الجدول**

الشخصيات	التكرار	النسبة
الرئيس التركي رجب طيب أردوغان	21	%26.33
وزير الخارجية التركي مولود جاووش أغلو	16	%20.29
رئيس الوزراء اليوناني كيرياس ميتسوتاكيس	18	%22.13
وزير الخارجية الألماني هايكو ماس	05	%6.25
المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل	11	%13.75
رئيس مجلس الاتحاد الأوروبي شارل ميشيل	09	%11.25
المجموع	80	%100

رقم (05): يمثل الشخصيات الفاعلة في القصص الخبرية التي عالجها موقع الجزيرة نت خلال أزمة شرق المتوسط

نلاحظ في خلال الجدول أعلاه والذي يمثل مجموع الشخصيات الفاعلة في القصص الخبرية التي عالجها موقع الجزيرة نت خلال أزمة شرق المتوسط أن شخصية الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الأكثر تواجداً في القصص الخبرية وذلك بتكرار21 ما يعادل 26.33% من اجمالي الشخصيات المستخدمة في المقالات عينة الدراسة, ويأتي بعده في المرتبة الثانية رئيس الوزراء

اليوناني كيرياس ميتسوتاكيس بتكرار 18 ونسبة 22.13% وهما يمثلان الشخصيتان الرئيسيتان في الأزمة حيث يقود كل واحد منهما بلده أي تركيا واليونان, بعد ذلك نجد وزير الخارجية التركي مولود جاووت أغلو في المرتبة الثالثة بنسبة 20.29% وهو الذي كان فاعلاً ونشطاً في كل صغيرة وكبيرة تخص الشأن التركي خارجياً, بعد ذلك نجد في المراتب الثلاث الأخيرة كل من المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل, ورئيس مجلس الاتحاد الأوروبي شارل ميشيل, ووزير الخارجية الألماني هايكو ماس, الذين كانوا يقودون جهود الوساطة على المستوى الدولي لاحتواء الأزمة وإجراء محادثات مباشرة حول ادعاءات ملكية مناطق في شرق المتوسط بين الدولتين المنتميتين إلى حلف شمال الأطلسي (ناتو) وذلك بالنسبة التالية على التوالي: 13.75% 11.25% 6.25%.

وتعزى هذه النتائج حسب ما يرى الباحثان الى اعتماد موقع الجزيرة نت بالدرجة الأولى على الأطراف المعنية مباشرة بالأزمة والتي تمتلك خيوط الأزمة، يعني الجانب التركي والجانب اليوناني، خاصة وأن هذه الأطراف أصبحت المصدر الرسمي والحصري للأزمة ورغم الضغوطات الدولية والتهديدات الى أن القرار بقي حكراً بين تركيا واليونان الى أن توصلاً للجلوس على طاولة الحوار، نعم لا يمكن انكار الجهود الدولية لكن قناعات تركيا واليونان كان لها الحظ الأوفر في القبول بطاولة الحوار أو رفضها. كما يمكن كذلك تفسير النتائج الثلاث الأخيرة، أي المستشارة الألمانية ورئيس مجلس الاتحاد الأوروبي ووزير الخارجية الألماني باعتبارهم شخصيات لعبت دوراً مهماً ومثيراً في الأزمة وخاصة جهود ألمانيا للتهدئة واجتماعها بوزراء خارجية الدول الأوروبية، والعمل على منع أي تجاوز يخرج من اطار الحوار الدبلوماسي، ومنع أي خطاب عسكري قد يرتفع للسقف بين البلدين وهذا ما دفع بوسائل الاعلام والجزيرة نت من بينهم للاعتماد على شخصيات الحكومة الألمانية، يليها الاتحاد الأوروبي في صورة رئيسه الذي ضغط بكل الطرق وان لم يكن محايداً الى أبعد نقطة لكنه سعى لإيقاف أي تجاوز قد يتصاعد في منطقة شرق البحر المتوسط.

اتجاه المضمون الصحفي	التكرار	النسبة
تغطية مهنية نسبياً	43	%82.69
تغطية غير مهنية نسبياً	09	%17.31
المجموع	52	%100

الجدول رقم (06): يوضح فئة اتجاه المضمون الصحفي للمادة الإعلامية خلال معالجة موقع الجزيرة نت لأزمة شرق المتوسط.

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه الذي يمثل فئة اتجاه المضمون الصحفي للمادة الإعلامية خلال معالجة موقع الجزيرة نت لأزمة شرق المتوسط أن الموقع قد التزم بتغطية مهنية نسبياً وذلك بتكرار 43 ما يعادل نسبة 82.69% من اجمالي المقالات عينة الدراسة في حين انزلق مؤشر الموقع في تكرارا 9 أي 17.31% في تغطية غير مهنية نسبياً.

ويمكن أن تفسر هذه النتائج بناء على قراءة المعطيات الكمية والنتائج المتحصل عليها في الجدول الخاص بالمصادر المعتمد عليها من قبل موقع الجزيرة نت (الجدول رقم 04) حيث أن هناك تباين كبير بين اتجاهات المادة التي نال فيها الموقع مؤشر تغطية مهنية نسبياً ومؤشر تغطية غير مهنية نسبياً أين نجد الأولى قد نالت النسبة الأكبر وبفارق كبير جداً, ويعاز هذا حسب اعتقاد الباحثان لسياسة الموقع في التعامل مع الأزمة حيث اعتمد في تغطيته على المصادر الرسمية كما تم التوضيح في النتائج المتحصل عليها في الجدور رقم 04, وهذا ما يضفي مصداقية على تغطية موقع الجزيرة نت ويعزز ثقة الجمهور كون أن المصادر المعتمد عليها قريبة جداً من الحدث. كما أنه وبالرجوع الى النتائج المتحصل عليها في الجدول رقم03 والخاص بالمصطلحات التي استخدمها موقع الجزيرة نت في معالجة أزمة شرق المتوسط، يمكن القول أن التغطية كانت شاملة وذكية بما ان المصطلحات المستخدمة لم يكن فيها تخويف أو تحيز لطرف ما على حساب الأخر، بل كانت في مجملها مصطلحات تصب في محيط الازمة، أي التركيز على المصطلحات المفسرة للأزمة بشكل عام، وتلك التي تصدر عن أطراف الأزمة والجهات الفاعلة في الأزمة على مستوى المجتمع الدولي.

• نتائج الدراسة

بعد تحليل المادة الإعلامية المتضمنة في موقع الجزيرة نت خلال معالجته لأزمة شرق المتوسط بالاعتماد على أداة تحليل المحتوى، وبعد القيام بالتحليل الكمي والكيفي لمعطيات الجداول توصلنا للنتائج التالية:

- اعتمد موقع الجزيرة نت على خدمتي التفاعل عبر شبكات التواصل الاجتماعي وخدمة التعليق على مضمون الموضوع المنشور في الموقع بنسب متساوية في كل المقالات عينة الدراسة وقد قدرت بـ **50%** لكل خدمة، ويعود ذلك لأهمية المنصات الرقمية التي تعتمد عليها المؤسسات الإعلامية بشكل مباشر أو غير مباشر في التواصل مع جمهورها، وهي كجزء مهم من عملية إيصال الرسالة الإعلامية للمتلقيين.
- اعتمد موقع الجزيرة نت في تغطيته لأزمة شرق المتوسط على فن الخبر بشكل أكبر، حيث بينت الدراسة أن فن الخبر الأكثر استخداماً بنسبة **61.54%** ويعود هذا حسب ما يرى الباحثان لطبيعة الأزمة وما كن ينقسها، لذا قدم للجمهور أرقام ومعلومات أكثر في قالب خبري تفي بالغرض.
- اعتمد موقع الجزيرة نت في توظيفه لمصطلحات معالجة أزمة شرق المتوسط على اتجاه تغطية شاملة من كل الجوانب حيث احتلت مصطلحات الأزمة الصدارة وهي تركيا اليونان منطقة شرق المتوسط، أكثر ثلاثة مصطلحات قريبة من أزمة شرق المتوسط، لذلك فهي تعد مصطلحات تعريفية للأزمة في حين نجد أن باقي المصطلحات أتت كوصف محيط بالأزمة تم الاستناد عليه في المقالات عينة الدراسة للحديث عن الظروف وما يحيط بالأزمة، ووظف الموقع في المجمل **768** مصطلح.

- اعتمد موقع الجزيرة نت خلال تغطيته لأزمة شرق المتوسط على مصادر رسمية (الحكومات والساسة) بنسبة أكبر من غيرها وذلك بنسبة **40.98%** وهذا قصد تعزيز مصداقية المضمون الصحفي المنشور حيث نقل على لسان صناع القرار في الأزمة.
- اعتمد موقع الجزيرة نت في مجموع الشخصيات الفاعلة في القصص الخبرية التي عالجها الموقع خلال أزمة شرق المتوسط بالدرجة الأولى على الأطراف المعنية مباشرة بالأزمة والتي تمتلك خيوط الأزمة، يعني الجانب التركي والجانب اليوناني، حيث نالت شخصية الرئيس التركي أردوغان نسبة **26.33%** في حين نال رئيس الوزراء اليوناني ميتسوتاكيس نسبة **22.13%** وهما يمثلان الشخصيتان الرئيسيتان في الأزمة.
- اعتمد موقع الجزيرة نت في فئة اتجاه المضمون الصحفي خلال معالجته لأزمة شرق المتوسط على تغطية مهنية نسبياً في معظم تغطياته وذلك بنسبة **82.69%** وهذا حسب ما يرى الباحثان يعود للخط التحريري الذي يعمل وفقه الموقع في الأزمات حيث اعتمد في تغطيته على المصادر الرسمية كما تم التوضيح في النتائج المتحصل عليها.

خاتمة

تشكل الأزمات الدولية دوما تحديات كبيرة أمام مختلف المؤسسات الإعلامية التي يقع على عاتقها الزاماً تغطية الأزمة والحديث عنها، وهذا لدى المؤسسات الإعلامية أكثر منه لدى غيرها، وموقع الجزيرة نت حاله حال غيره من المنابر الإعلامية التي تهتم بالشؤون الدولية، وما يقع في الساحة السياسية الدولية، لذلك وجد صحفيو الموقع أنفسهم أمام حدث ليس جديداً وليس قديماً، لكنه صراع سنوات يتغير ويتطور ويرتدي أثواب متجددة عند كل احتكاك، أزمة شرق المتوسط التي أخذت من عمر تركيا واليونان سنوات عديدة، واستمدت من تاريخ البلدين فصول كثيرة، وترسم لحاضر ومستقبل البلدين تحديات جسيمة، ووسط كل ذلك كانت وستكون دوماً أي مؤسسة إعلامية حين تطرقها للأزمة بين معسكرين متصادمين، لا مخرج لها غير التزام أخلاقيات العمل الصحفي، يعني الحياد وتناول الأزمة بموضوعية، وان كان هذا أمر نسبي الى أبعد حدود الا انه مما يعز طلبه، حيث لا ترتقي المؤسسة الإعلامية ولا تزدهر الا بتواجده، ولا تعز الا بعزه، وبالنظر الى عينة الدراسة التي اختارها الباحثان والمتمثلة في موقع الجزيرة نت التابع لشبكة الجزيرة الإعلامية في قطر يمكن القول أن هذه الأخيرة قد تعاملت مع الأزمة بمهنية الى حد كبير نظراً لاعتمادها دوما الوسطية في الطرح وان كان يميل الطرف في بعض الأحيان لصالح الأتراك الا أنه ليس بشكل بارز ولم يهضم حظ اليونانيين ولا الأوروبيين بصفة عامة في الطرح، وهذا ما عزز ويعزز مصداقية الموقع عند جمهوره، الذي تفاعل بشكل كبير مع ما ينشره الموقع عن أزمة شرق المتوسط، وكانت المنصات الاجتماعية دوماً تعرف تواجداً للأزمة وأخبارها، كما تفاعل الجمهور كذلك مع المقالات عينة الدراسة المنشورة في موقع الجزيرة نت من خلال خدمتي التعليق أو النشر، ويمكن القول أن الموقع قد قدم معالجة إعلامية جيدة للأزمة على جميع المستويات، وهذا ما يأخذ من موقع الجزيرة نت ويحمل على محمل الجد كصورة متطورة محترفة لأساسيات المعالجة الإعلامية للازمات.

قائمة المراجع:

مراجع أجنبية:

1- bbc)2020 ,10 12(. أزمة الصواريخ الكوبية: حكاية 13 يوما كان العالم خلالها على شفا حرب نووية. تم الاسترداد من موقع قناة عربي bbc news https://cutt.us/qT2kh

2- STOESSINGER, J. G.)2010(. Why Nations Go to War. Washington: Learning, Inc. All. pdf.

مراجع عربية:

1- اثار عبد الهادي محمد. (2011). إستراتيجيت ادارة الازمات: تأطير مفاهيمي على وفق منظور اسلامي. مجلة العلوم الاقتصادية والادارية، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد، المجلد 17، العدد 64، 63-47.

2- أحمد العبد أبو السعيد. (2014). الكتابة لوسائل الاعلام. عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع/ نسخة الكترونية، موقع عالم الكتب الالكترونية.

3- أحمد بن مرسلي. (2010). مناهج البحث العلمي في علوم الاعلام والاتصال. الجزائر العاصمة: ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة 4 / نسخة الكترونية، موقع .socio books

4- أحمد بنمرسلي. (2013). الاسس العلمية لبحوث الاعلام والاتصال. الجزائر العاصمة: دار الورسم للنشر والتوزيع.

5- أحمد صالح عبد القادر بني حمدان. (2014). دور المواقع الاخبارية في تدعيم عملية الاصلاح السياسي. عمان: مذكرة ماجيستير في الاعلام، جامعة الشرق الاوسط للدراسات العليا/ نسخة الكترونية، موقع الجامعة.

6- اسماعيل شرقي. (2009). جمهور المواقع الالكترونية للفضائيات الإخبارية دراسة في العادات والانماط . باتنة : مذكرة ماجستير في علوم الاعلام والاتصال من جامعة باتنة 1 الجزائر/ نسخة مستعارة من المكتبة المركزية جامعة الحاج لخضر باتنة 1.

7- الدكتور عثمان الطاهات. (4 8, 2020). دور الإعلام في إدارة الازمات. تم الاسترداد من صحيفة الدستور الأردنية : https://cutt.us/w2isY

8- أنجرس موريس. (2004). منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية . الجزائر العاصمة : دار القصبة للنشر والتوزيع.

9- حسين عبد الجبار. (2008). اتجاهات الاعلام الحديث والمعاصر. عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع.

10- ذو الفقار شيماء. (2009). مناهج البحث والاستخدامات الاحصائية في الدراسات الاعلامية . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع.

11- روجر جوزف، دومينيك ويمر،(2011). مدخل إلى مناهج البحث الإعلامي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة/ نسخة الكترونية، موقع نيل وفرات كوم.

12- رياض عثمان. (2014). معايير الجودة البحثية في الرسائل الجامعية. بيروت: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.

13- عبد الدايم عمر المحسن. (2008). الحوار الاذاعي .. الاعداد والتقديم. القاهرة : مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع/ نسخة الكترونية، موقع نيل وفرات كوم .

14- غسان عبد الرحمن أبو الحسين. (2017). الخطاب الاعلامي لتنظيم الدولة الاسلامية، مجلة دابق الالكترونية نموذجا- تحليل مضمون. عمان: مذكرة ماجيستير في الاعلام، جامعة الشرق الاوسط للدراسات العليا/ نسخة الكترونية، موقع الجامعة.

15- كمال محمد الأسطل. (24 11, 2018). أدارة الأزمات والإدارة بافتعال الأزمات والأزمة الدولية. تم الاسترداد من موقع الدكتور كمال الأسطل : https://cutt.us/23wKN

16- محمد الهادي. (1995). أساليب اعداد وتوثيق البحوث العلمية. القاهرة: الكتب الأكاديمية للنشر والتوزيع.

17- محمد رشاد الحملاوي. (1997). ادارة الأزمات . أبو ظبي : مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية/ نسخة الكترونية من موقع المركز.

18- محمد شفيق. (2000). البحث العلمي (الخطوات المنهجية لاعداد البحوث الاجتماعية). الاسكندرية: المكتبة الجامعية للنشر والتوزيع/ نسخة الكترونية، موقع .goodreads

19- محمد صادم. (2017). الأزمة الدولية وطرائق ادارتها دراسة تحليلية لأزمة العلاقات العراقية-الأمريكية 1990/2003 دراسة حالة. عمان: مذكرة ماجيستير في العلوم السياسية، جامعة الشرق الاوسط للدراسات العليا/ نسخة الكترونية، موقع الجامعة.

20- محمد عبد الحميد. (1993). دراسات الجمهور في بحوث الاعلام. الاسكندرية: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع / نسخة الكترونية، موقع مكتبة النور.

21- مصباح عامر . (2008). منهجية البحث في العلوم السياسة والاعلام. الجزائر العاصمة: ديوان المطبوعات الجامعية.

22- مصطفى محمد الحسناوي. (2011). واقع لغة الاعلام المعاصر . عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع / نسخة الكترونية، موقع نيل وفرات كوم .

23- ولاء البحيري. (2008). ادارة الأزمة. القاهرة : المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، سلسلة مفاهيم العدد 38، نسخة الكترونية .Google Books

الملاحظات

الملاحظات

الملاحظات

الملاحظات

الملاحظات